

اتحاف السادة المنقذين بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأتابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه
فتتبعنا للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة
بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الأحياء للأستاذ الفاضل
العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس بأعلوي
قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحياء
تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على
بعض مواضع من الاحياء وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن
الاحياء بآخره وفصل بينها مجلية .

المجلد التاسع

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

مؤسسة التلايح العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر الجدة الذي جعل الجدة مفتاحا
لذكره * ومصباحا يهتدى به من وفق لشكره * وسببا للمزيد من فضله ونعمته * ودليلا على آلائه
وعظمته * أحده على ما أخذ وأعطى * وعلى ما أبلى وأبلى * الباطن لكل خفيه * الحاضر لكل
سريه * العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون * وتغنى الظنون * وأسأله الصبر على بلوائه
والشكر على نعمائه * وأشهد أن لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه * ولا
محمود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * ونقلت موازينه * وأشهد
أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفه وخليله ونجيه وحبيبه * وبهينه ونجيبه المختار من
خلائقه * والمفتاح لشرح حقائقه * والمختص بفضائل كراماته والصطفى لأكرام رسالاته شهادة وافق
فيها السر الاعلان * والقلب اللسان * صلى الله عليه وعلى آله الانجم الهداة * وأصحابه السادة
الكرام النقات * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فهذا شرح (كتاب الصبر والشكر) وهو
الثاني من الربع الرابع والثاني والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام علم الائمة
الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره وضاعف بره * ونفع بأسرار علومه ومتع
أبصار العارفين في رياض معارفه وفهمه سلكه فيه منهاج الايضاح والبيان * والافصح والبيان
لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان * وضبط قواعد فوائده المهدية المؤسسة الاركان * مع كشف
العويصات * وتنبه الى الاشارات * وعزوا الاخبار الى الرواة * والآن انا الى الوعاة وتوجيه الاقوال عن
الثقات * متجنبين الاعتساف والتطويل * ما تلاعن تكثر القول والقليل * متوكلا على المولى المنعم الجليل
في التيسير والتسهيل * سائلين ان ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه * وان يبلغنا من فضله واحسانه

(كتاب الصبر والشكر)
وهو الكتاب الثاني من
ربع المختار من كتب
احياء علوم الدين *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله أهل الحمد والثناء
المتفرد برداء الكبرياء
المتوحد بصفات المجد والعلاء
المؤيد صفوة الاولياء بقوة
الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء
والصلاة على محمد سيد
الانبياء وعلى أصحابه سادة
الاصفياء وعلى آله قادة
البررة الاتقياء صلاة
محروسة بالدوام عن الفناء
ومصونة بالتعاقب عن
التصرم والانقضاء (أما
بعد) فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف
شكر كما وردت به الآثار
وشهدت له الاخبار وهما
أيضا وصفان من أوصاف
الله تعالى واسمان من
أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه
صبوراً وشكوراً فالجهل
بحقيقة الصبر والشكر
جهل بكلا شطري الايمان
ثم هو غفلة عن وصفين من
أوصاف الرحمن ولا سبيل
الى الوصول الى القرب من
الله تعالى الا بالايمان وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان
دون معرفة مآبه الايمان
ومن به الايمان والتقاعد
عن معرفة الصبر والشكر
تقاعد عن معرفة من به
الايمان وعن ادراك مآبه
الايمان فما أخرج كلا
الشطرين الى الايضاح
والبيان ونحن نوضح كلا
الشطرين في كتاب واحد
لارتباط أحدهما بالآخر
ان شاء الله تعالى

* (الشرط الاول) في الصبر

مانوئله وزنجبه * انه ولي ذلك والقادر عليه لاله الا هو عليه توكلت واليه أنيب * قال رحمه الله تعالى
(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء) أصل الثناء من الثني وهو العطف ومنه الائتان
لعطف أحدهما على الآخر والثناء لعطف المناقب في المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة
بينهما في أول كتاب العلم ومعنى كونه أهلاً لهما أي مستحقاً لهما لكمالهما في ذاته وصفاته فلا يليق بهما
ولا يستحقهما الا هو جل ذكره وثناؤه (المتفرد) وفي نسخة المتفرد (برداء الكبرياء) أي العظمة والجلال
وفيه تلميح الى الحديث القدسي قال الله تعالى الكبرياء ردائي وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم
الكبر والعجب وسبق الكلام على الانفراد والتفرد في كتاب قواعد العقائد (المتوحد بصفات المجد
والعلاء) المجد السعة في الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أي هو تعالى مختص بتلك
الصفات فلا يشاركه فيها أحد (المؤيد صفوة الاولياء) أي خاصتهم (بقوة الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء) والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى
الاختبار والامتحان واختيار الله تعالى لعباده تارة بالمسار لبشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المنحة
والمنحة بلاء فالمنحة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحق الصبر أي سمر من القيام بحق
الشكر فصار من المنحة أعظم البلاءين (والصلاة على) سيدنا (محمد سيد الانبياء) أي رئيسهم وزعيمهم
وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالاخبار الصحيحة (وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء
صلاة محروسة بالدوام عن الفناء) أي تدوم أبداً لا يباد فلا تنفني (ومصونة) أي محفوظة (بالتعاقب)
أي التوالي والتكرار (عن التصرم والانقضاء) أي الانقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام
تقدم البحث فيه في أول كتاب العلم (أما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به
الآثار وشهدت له الاخبار) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن
أنس ويزيد ضعيف اه قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب ولكن بلفظ نصف في الصبر ونصف في
الشكر (وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه صبوراً
وشكوراً) فالصبر هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه بل ينزل الامور بقدر
معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكامل ولا يقدمها على أوقاتها
تقديم مستعجل بل يودع كل شئ في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي وكل ذلك في غير مقاساة
داع على مضادة الارادة والشكور هو الذي يجازي بيسر الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام
معدودة نعمياً في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة باضعافها يقال انه شكور بتلك الحسنة ومن
اثني على المحسن أيضا فيقال انه شكور فان نظرت الى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق
الا هو سبحانه لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة وان نظرت الى معنى الثناء فناء كل مثن على
فعل غيره والرب تعالى اذا اثني على أعمال عباده فقد اثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه وان
كان الذي أعطى فإثني شكوراً فالذي أعطى واثني على المعطى أحق بان يكون شكوراً فثناء الله على
عباده عطية منه (فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن) معرفة
(وصفين من أوصاف الرحمن) جل وعز (ولا سبيل الى القرب من الله تعالى الا بالايمان) به (وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة مآبه الايمان) وهو الصبر والشكر (ومن به الايمان) وهو
الصبر والشكر (والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك مآبه
الايمان فما أخرج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن) بحمد الله تعالى (نوضح كلا الشطرين في
كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى) أي فلم يفرد لكل واحد منهما كتابا كما فعله غيره
من المتكلمين على مقامات اليقين

* (الشرط الاول في الصبر) *

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميته باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان (٤) الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشمل

على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واذضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة فقال عز من قائل وجعلناهم من أئمة يهدون بامرنا الماصرين وقال تعالى وتمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب فمن قرأه أو أجراها بتقديرو حساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزى به فأضافه الى نفسه من بين سائر العبادات و وعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النعمة على الصبر فقال تعالى لي ان تصبروا وتقوا وياأتوكم من فورهم هذا من الملائكة مسؤمين

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين (وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميته باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى) * (بيان فضيلة الصبر) * من الكتاب والسنة اعلم انه (قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف) جليلة (وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا) وعن الامام أحمد انه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعا بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف انى الله عليه في كتابه (واضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها) أى تلك الدرجات والخيرات (ثمرة له) ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعا * الاول انه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وان بالصبر واليقين ينال الامانة في الدين (فقال عز من قائل وجعلناهم من أئمة يهدون بامرنا الماصرين) وكانوا باياتنا يوقنون قال ابن عيينة في هذه الآية أخذوا برأس الامر فجعلهم الله رؤساء * النوع الثاني انه تمم عليهم كلمة الحسنى في الدين (و) منه (تمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) * النوع الثالث ايجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم (و) منه (قال) تعالى (وليجزين الذين صبروا وأجرهم بأحسن مما كانوا يعملون) * النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل (و) منه (قال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) * النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلائهم بانه ولاحد (و) منه (قال تعالى انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب فاما من قرأه أو أجراها بتقديرو حساب الا الصبر) فقد أوجب الجزاء للمعتصِف به بغير حساب وحدود ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزى به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فأضافه الى نفسه) لتشر يفاله (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعد الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار من الله تعالى انه معهم ومن كان معه الله غاب بكن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعوان والله معكم (و) * النوع السابع (علق النعمة) والمدد بجذده (على الصبر) فقال تعالى لي ان تصبروا وتقوا وياأتوكم من فورهم هذا يدرككم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين) فاشتراط الصبر والتقوى لاسداده بجذده ونصره وتأيدده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور) ثلاثة (لم يجمعها غيرهم) وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التذلل (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الانواع التي سبق الوعد بها * فن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا واصبروا وقوله واصبروا واصبروا * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

تعالى

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها غيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول

تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لا تقول لهم الادبار فان تولية الادبار ترك الصبر والمصابرة * النوع الحادى عشر الثناء على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين فى البأساء والضراء وخين الباس وأولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ونظائره كثيرة * النوع الثانى عشر ايجاب محبته لهم كقوله تعالى والله يحب الصابرين * النوع الثالث عشر اخباره بان الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله وان تصبروا فهو خير لكم * النوع الرابع عشر اطلاق البشرى لاهل الصبر كقوله تعالى وبشر الصابرين * النوع الخامس عشر الاخبار بان اهل الصبر مع اهل العزائم كقوله تعالى ولئن صبرتم وغفر ان ذلكم ان عزم الامور * النوع السادس عشر الاخبار بانه ما يلقى الاعمال الصالحة وجزاها الا اهل الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون وقوله وما يلقاها الا الذين صبروا * النوع السابع عشر الاخبار بان الفوز بالطلب والنجاة من المارهب ودخول الجنة انما يأتونه بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (وأما الاخبار) الواردة فى فضيلة الصبر (فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والطبيب والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة واليقين الايمان كله وقد تقدم (على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم) كذا فى النسخ وفى القوت ان أقل ما أوتيتم (اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فن صبروا احتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا والآية) تقدم هذا الحديث فى كتاب العلم مختصراً وذكر العراقى انه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا فى القوت وعزاه الى أبى امامة الباهلى من رواية شهر بن حوشب عنه وسأتى بتماه فى آخر كتاب الزهد فى الفصول التى نلقتها بخطته (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان) ماهو (فقال) هو (الصبر والسماحة) قال صاحب القاموس وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوعبه لمقامات الايمان من أولها الى آخرها فان النفس يرادها شيطان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهى عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اه وقد سبقه البيهقى بهذا فقال يعنى بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمع بأداء ما افترض عليه انتهى وتبعهما امام الطائفة الحسن البصرى فقال يعنى الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض قال العراقى رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اه قلت وذكر صاحب القوت انه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله فى يوسف انه ضعيف هو قول النسائى وروى الذهبى عنه انه قال فيه انه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو غير بن واقد اللبثى له حجة فاخرجه البخارى فى التاريخ باللفظ أفضل الايمان الصبر والسماحة ورواه الديلمى هكذا فى مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار وعزاه صاحب القاموس الى كتاب الادب المفرد للبخارى باللفظ المصنف (وقال) صلى الله عليه وسلم (الصبر كنز من كنوز الجنة) قال العراقى غريب لم أجده اه قلت وبما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث على رضى الله عنه أنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكنمان المصيبة وصلة الرحم وقول لاحول ولا قوة الا بالله وهذا لان كنمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بدل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصرى الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله

وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فن صبروا احتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا وآية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضاً الصبر كنز من كنوز الجنة

الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والانبجار في هذا الانحصي (وأما الآثار) فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عليه السلام بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر

الالعبد كريم عنده (وسئل) صلى الله عليه وسلم (مرة ما الإيمان فقال الصبر) أي بجميع أنواعه الآتي ذكرها فها هم مراتب الإيمان وقد أحاله العراقي على حديث علي الآتي ذكره للمصنف في الآثار ولفظه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا يخفى أنهم جاحدون بأن متغيران فتأمل (وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة) وقد تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج أي معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان (وقال أيضا) صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس) هكذا هو في القوت واستطرد ذكره في كتاب التوبة فقال ثم على التائب أن يعمل في قطع معتاد أن كان ثم يصبر على مجاهدة النفس في الهوى أن يلبى به ثم قال فهذه الخصال من أفضل أعمال المرادين وأزكاها ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدًا وتقواها وهي تخرج من وصف الامارة بالسوء إلى وصف المطمئنة إلى اخلاق الإيمان وهذا أحد المعاني في الخبر المشهور أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار اجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق لأن محبة الحق من أفضل الأعمال اه وقال العراقي لأصل له مرفوعا وانما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذارواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام) يا داود (تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور) نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاقي الله تعالى والتخلي بمعاني صفاته وإيمانه بقدر ما يتصور في حقه ليصير بذلك ريانا رفيقا للملائكة الأعلى من الملائكة على بساط القرب وسمائي الكلام على ذلك (وفي حديث عطاء) بن أبي رباح التابعي المسكن الثقة (عن ابن عباس) رضي الله عنه قال (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم أو كان جالسًا معهم اذ ذلك فاجاب نبأه عنهم وقال (نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء) أي الرخصة والسعة (ونصبر على البلاء) أي الاختبار والشدة (ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون أنتم ورب الكعبة) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف ابن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء اه (وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير) ولفظ القوت أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون) ولفظ القوت إلا بالصبر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين) قال العراقي رواه الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي اه قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريق صحيح بن دينار البليدي عن المعاني بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعاني (والاخبار في هذا) الباب (بما لا تحصى) لكثرة ما ومن ذلك ما رواه الديلمي بلا سند من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه ما الصبر مفتاح الفرج والزهد غني البذور والقضاء من حديث ابن عمر وابن عباس انتظار الفرج بالصبر عبادة وروى الطبراني في الكبير من حديث الحكم بن عمار التميمي الصبر والاحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحب الجنة بغير حساب (وأما الآثار) في الصبر (فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه أرسلها إليه حين كان واليا بالبصرة (عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر) رواه إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن والده ادريس بن عبد الله عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه وكان أبو موسى قد

أوصى إلى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها إليه (وقال على رضي الله عنه بنى الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل) ولفظ القوت وقد جعل على رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الإيمان وقربه بالجهد والعدل والايقان فقال بنى الإيمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهد والعدل اه قلت وقد روي ذلك من حديث على مرفوعا قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن السدي حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا معمر بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاص بن عمر وقال كحلوسا عند علي بن أبي طالب اذا تأه رجل من خراعة فقال بأمر المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث الاسلام قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بنى الاسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهد والعدل الحديث وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاص بن عمر ومرفوعا وخالف الرواة عن علي فقال الاسلام ورواه الاصمعي بن نباتة عن علي فقال الإيمان ورواه الحرث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اه قلت ولفظ الإيمان موقوفا رواه صاحب نهج البلاغة (وقال) على رضي الله عنه (أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له) كذا في القوت ولكن بلفظ إنما الصبر من الإيمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب باسناده إليه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال على رافعا صوته اما انه لا إيمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال على رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم بها أباط الأبل لكنت لذلك أهلا لا رجوت أحد منكم إلا ربه ولا تخافن الأذنبه ولا يستحيين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد اذا لم يتعلم الشيء أن يتعلم وعليكم بالصبر فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه انتهى وقد روي أوله مرفوعا من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول نعم العبدان) مني العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الحال زنة ومعنى اذ كل منهم ما عدل للآخر قال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالقض ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشيء بالكسر مثله من جنسه ومقداره (ونعمت العلاء للصبرين يعني بالعدل الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء) بالكسر (ما يحمل فوق العدلين على البعير) فيكون كعدل ثالث وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الاداءة والسفرة والجمع علاوي (أشار إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) كذا في القوت وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في الغزاة عن عمر بن الخطاب قال نعم العبدان ونعم العلاء الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا الله وانا لله واجمعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون نعم العلاء (وكان حبيب بن أبي حبيب) البجلي أبو عمر والبصري نزيل الكوفة صدوق يخطئ روى له الترمذي (اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب) يعني داود عليه السلام (بكي وقال واغجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه) والرب اذا أثني على أعمال عباده فقد أثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قال حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من

وقال على كرم الله وجهه بنى الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العبدان يعني بالعدل الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب بكي وقال واغجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثنى وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف
فلنذكر حقيقة ومعناه وبالله التوفيق (٨) (بيان حقيقة الصبر ومعناه) اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة
فلا تحصل قبل معرفة الموصوف) فلا بد من معرفة الموصوف الذي هو حقيقة الصبر (فلنذكر حقيقة
ومعناه وبالله التوفيق) * (بيان حقيقة الصبر ومعناه) *

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الصبر مقام) شريف (من مقامات الدين) وهو ثاني مقام من مقامات اليقين
(ومنزل) منيف (من منازل السالكين) في طريق الحق لا يستغنى عنه سالك ألبتة الا رجل انسلخ
من غفلته الى حضرة ربه فان هذا المنزل لا يعرف ولا يدور حوله الى أن يرجع الى بشريته وانسانيته
(و جميع مقامات الدين انما تنظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال) وذلك لان المقامات كلها من
الايمان بالله وبالله كما دل عليه قوله تعالى فليس تحصيوا الى وليه ومنوا بي ولا يمان بالله وبالله عقود كثيرة لانهاية
لها على ما أشرنا اليه في أول كتاب التوبة وكل عقد من هذه العقود أصل ولذلك الأصل فرع والفرع ثمرة
(فالمعارف هي الاصول) الثابتة في القلوب بآمرها الله بهما من النظر والاعتبار (وهي ثورث الاحوال)
أي ان تلك الاصول فروعات تنشأ عنها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها
وكمالها (والاحوال ثمرات الاعمال) أي ان لذلك الاحوال ثمارا هي الاعمال الناشئة عن أحوال القلوب وبها
النجاة والكمال فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وألله والحال ما ينشأ عنه من المواجه
والعمل هو ما تنشأ المواجه على القلوب والجوارح من الاعمال (فالمعارف كالاشجار) فانها ثابتة في
القلوب ثبوت الاشجار في الارض (والاحوال كالانصان) فانها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الانصان
عن الاشجار (والاعمال كالثمار) فانها تنشأ من تلك الاحوال تنشأ الثمار من الانصان وقد بين ذلك
قوله تعالى ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وتقدمت الاشارة اليه أول كتاب
التوبة (وهذا ما طرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف) فقط
التي هي الاصول (وتارة تطلق على الكل) أي عليها مع ما ينشأ منها ويثمر منها (كأذا كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر) من جملة عقود الايمان بالله وبالله (لا يتم الا بمعرفة
سابقة وبحالة قائمة) تنشأ عن تلك المعرفة هي كالفرع لها (فالصبر على التحقيق عبارة عنهما) عن تلك المعرفة
والحالة (والعمل هو كالثمره يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الموجودات
(والملائكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس) أي مخصوص بنوع الانسان لتركبه من طرفي
مشابهة الملائكة والبهايم (فلا يتصور ذلك في البهايم والملائكة أما) عدم تصوّره (في البهايم فلنقصانها)
وتسفل درجتها في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفي ادراك البهيمة نقص وفي
فعلها نقص أما ادراكها فنقصانها انه مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء
الاجماسة أو يقرب منها فالحس معزول عن الادراك ان لم يكن مماسة ولا قرب فان اللمس والنوق
يحتاجان الى المماسه والسمع والبصر والشم يحتاجون الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب
فالحس معزول عن ادراكه في هذه الحالة وأما فعلها فسيأتي في سياق المصنف قريبا (وأما) عدم تصوّره
(في الملائكة فلنكاليها) وعلود درجتها (و بيان ان البهايم سلط عليها الشهوات وصارت مسخرة) أي
منقادة (لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا) وهو اشارة الى نقصانها في فعلها
(وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم
تسلط عليهم شهوة صارقة صادرة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن (حضرة الجلال بجند

منازل السالكين وجميع
مقامات الدين انما تنظم
من ثلاثة أمور معارف
وأحوال وأعمال فالمعارف
هي الاصول وهي ثورث
الاحوال والاحوال ثمر
الاعمال فالمعارف كالاشجار
والاحوال كالانصان
والاعمال كالثمار وهذا
مطرد في جميع منازل
السالكين الى الله تعالى
واسم الايمان تارة يختص
بالمعارف وتارة يطلق على
الكل كأذا كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في
كتاب قواعد العقائد وكذلك
الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة
وبحالة قائمة فالصبر على
التحقيق عبارة عنها والعمل
هو كالثمره يصدر عنها ولا
يعرف هذا الا بمعرفة كيفية
الترتيب بين الملائكة
والانس والبهايم فان الصبر
خاصية الانس ولا يتصور
ذلك في البهايم والملائكة أما
في البهايم فلنقصانها وأما
في الملائكة فلنكاليها وبيان
أن البهايم سلط عليها
الشهوات وصارت مسخرة
لها فلا باعث لها على
الحركة والسكون الا الشهوة
وليس فيها قوة تصادم
الشهوة وتردها عن مقتضاها
حتى يسمى ثبات تلك القوة
في مقابلة مقتضى الشهوة

آخر يغلب الصوارف وأما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبابة فاصمائل الهيمة لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر فقام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم ولكن الله تعالى بفضل له وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة (٩) البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر

يقويه فميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الايمان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله يسدده ويؤيده ويقويه

آخر يغلب الصوارف) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب الى الله تعالى (وأما الانسان) فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكانه مركب من هيمة وملكية (فانه خلق في ابتداء الصبي ناقصا مثل الهيمة) أي في الادراك اذ ليس له منه أولا الا الحواس التي يحتاج في الادراك بها الى طلب القرب في المحسوس بالسعي والحركة الى ان يشرق عليه نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والارض من غير الحاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب أو محاسن المدرك له بل مدركه الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان (لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه) فهي مستولية عليه (ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة) وفي انشاء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب وبحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون اتباعاته (ثم شهوة النكاح على الترتيب) الى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات (وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم) يدعو الى أفعال ملائمة لشهوته (ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده) وكرمه (أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم) اذ قد خصهم بالكمال في الادراك وفي العقل (فوكل به) أي بكل واحد منهم (عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر يقويه فميز بمعونة الملكين عن رتبة) البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله (الثانية) معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة) يقال للامرغب بالكسر ومغبة أي عاقبة (ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها) من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الايمان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله يسدده ويؤيده ويقويه

(٢ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) بجند لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كإن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث (١٠) الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعد اوة الشهوات ومضادتها لاسباب

السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين لكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجنتين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسالمه فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومضى اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه

وخربه وهذا الايمان واجب لا يستغنى عنه سالك لطريق الله تعالى (فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أي باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن) وأترله الله في جواره ومتعه بالنظر الى وجهه (وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين) وسم عليه بمسمى الابعاد عن حضرة رب العالمين (فاذا ترك الافعال المشتهة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعد اوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال) الصادرة عنه (على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها) والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة القوية له الى ان يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ولولم يكن الاقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وان تغافل وتلاشى في أمره ولم يستعجز يا امن الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره قال الله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولذلك خلقهم وتمت كقربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجنتين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين) جملة (الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين) قال الله عز وجل كلاب تكذبون بيوم الدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى ابن جرير عن ابن عباس قال جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وروى البزار عن حديث ابن عباس ان الله ينهاكم عن التعري فاستحبوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم الا عند احدي ثلاث حالات الغائط والجنبات والغسل فان اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بحزم حائط أو بغيره وفيه حفص بن سليمان ابن الحديث وروى ابن مردويه عن حديث ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فرأى رجلا يغتسل بغلاة من الارض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم الا عند احدي منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لانهم كرام كما سماهم الله فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بحزم حائط أو بغيره فافهم لا ينظرون اليه (واذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسالمه) موكولا اليه (فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومضى اليه فيكتب اعراضه عنه) سينتو بالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت (هذه الحسنات والسيئات باثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تتفاد العبد بكم مهمما ولان الملائكة كلهم كرام بررة)

ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تتفاد العبد بكم مهمما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهم ما كتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما تعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة (١١) الصغرى ومرة في القيامة الكبرى

وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسبي اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا واليهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى فطير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم أن الزلزلة اذا زلزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضى مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان لا تحللك فيه وانما تخاف من زلزلة ان يترزل بدنك بسببه والا فالهوى ابدام تزلزل وأنت لا تخشاه ولا تعني به اذ ليس يترزل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترايب الخاص بك وعظامك جبال أرضك أي بمنزلة الصلابتها بالاضافة الى سائر أجزاء البدن وأطرافك أشجار أرضك لا ارتفاعا كارتفاع الاشجار ورأسك سماء أرضك لعالوها كعلا السماء وقبلك شمس أرضك أي بمنزلة التي تنويرها وشمسك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة بنجوم

كلوصفهم الله تعالى بذلك وهم كلوصفوا (وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات) في صحائف أعمال العباد (وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب) أي باطنه (ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهم ما كتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما تعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة) والملك (وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم) وانما تدركه البصائر الصافية المصقولة بانوار العرفان (ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى) وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته (قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت وعند ابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي من حديث أنس اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة وروى العسكري في الامثال من حديث أنس أكثر واذكر الموت فانكم ان ذكركم في غنى كثره عليكم وان ذكركم في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر وفيه داود بن المهبر كذاب عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك منهم عن محمد بن زاذان قال البخاري لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ أكثر واذكر الموت فان ذلك تحبص للذنوب وترهق في الدنيا الموت القيامة وعند ابن أبي الدنيا فانه يحبص الذنوب وترهق في الدنيا وسنده ضعيف جدا وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته (وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى) أي افرادا (كما خلقناكم أول مرة) أي في وقت الولادة (وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسبي) أي حاسبا (اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق) من الاول الى الآخر (فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق) ورؤس الاشهاد (وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا) كجدل عليه قوله تعالى وسبق الذين اتقوا بهم الى الجنة زمرا الآية (والهول الاول هو هول القيامة الصغرى) يعني به هول (الموت وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فان للقيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى اذ زلزلت الارض زلزالها (فان أرضك الخاصة بك بدلك تزلزل في الموت) أي تضارب وترج (فانك تعلم ان الزلزلة اذا زلزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان واعلم انك ارضى مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان لا تحللك فيه وانما تخاف من زلزلة ان يترزل بدنك بسببه والا فالهوى ابدام تزلزل وأنت لا تخشاه ولا تعني به اذ ليس يترزل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترايب الخاص بك وعظامك جبال أرضك أي بمنزلة الصلابتها بالاضافة الى سائر أجزاء البدن وأطرافك أشجار أرضك لا ارتفاعا كارتفاع الاشجار ورأسك سماء أرضك لعالوها كعلا السماء وقبلك شمس أرضك أي بمنزلة التي تنويرها وشمسك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة بنجوم

وحظك الخاص من التراب بدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان لا تحللك فيه وانما تخاف من زلزلة ان يترزل بدنك بسببه والا فالهوى ابدام تزلزل وأنت لا تخشاه اذ ليس يترزل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترايب الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وشمسك وبصرك وسائر حواسك بنجوم

سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا انهم دم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحم فقد حلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى

ساقيك بالآخرى وهما مطبئتان فقد عطلت العشار تعطيلًا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حلت الارض فدت حتى ألفت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاھوال وليكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخص بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذا السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن ان ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد موخر

سمائك) أي بمنزلة (ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك) أي بمنزلة في أسالة الفوهات (وشعورك) النابتة في البدن (نبات أرضك) أي بمنزلة في النمو (وهكذا الى جميع أجزائك) وقد أشار اليه المصنف في كيمياء السعادة فقال ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب (فاذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها) أي اضطرابها المقدر لها (فاذا انفصلت العظام واللحم) من بعضها (فقد حلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا أرميت العظام) أي بليت وتخرت (فقد نسفت الجبال نسفا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويستألفك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وفي نسخة فقد بسيت الجبال بسا (فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا) أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف مشوعها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره (فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا) أي أظلمت وانقضت (فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقا) أي صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام (فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك) وذلك عند الموت فان الجبين لا تعرق الا عند معاناة الاھوال ولاھول أعظم من الموت (فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالآخرى وهما مطبئتان فقد عطلت العشار تعطيلًا) أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشاء (فاذا فارقت الروح الجسد فقد حلت الارض فدت) أي بسطت بان تزال جبالها وأكامها (حتى ألفت ما فيها) أي في جوفها (وتخلت) أي تكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في بطنها (ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاھوال وليكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى) وتعابن أهوالها (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخص بل ما يخص غيرك) أيضا (فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى) الذي ذهب بصره (يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت في حقه دفعة واحدة فهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره) ممن براه (ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذا السماء عبارة عما يلي جهة الرأس) لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الاعتبار (فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى) المشار اليها في الحديث المذكور (والخوف بعد أسفل والهول بعد موخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وبنت الاھوال واعلم

وغيرها أن هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فان لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في العزيز (وله في سلوكه الى الكمال منازل) يسلكها (وأطوار) ينتقل اليها (من نطفة وعلقته ومضغة وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وبنت الاھوال واعلم

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء (١٣) الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم

بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى وتتشكّم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمساكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والرجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يدك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلاتكفيلك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم (كفى بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كفى بالموت واعظا وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا بالفظ كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالتبث لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالدهر واعظا والموت مفرقا ورأه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسل كفى بالموت مفرقا ورأه ابن أبي شيبة وأجد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسل كفى بالموت مره في الدنيا ومره غيا في الآخرة (أو ما سمعت بكربيه صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هوّن علي محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أهني علي سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطا تلك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يغمضون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيطون بها اللهم أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يعظون (ويأتهم الشيب رسولا منه) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بأن يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلا كانوا من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم) وسعته (فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى) قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين) الاولى والثانية (واليه الاشارة بقوله تعالى وتتشكّم فيما لا تعلمون بالقيامتين) الصغرى والكبرى (مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمساكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين) عالم الملك فقط (وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والرجال) اذ هو مسوخ العين البني كالأوراد في الاخبار (فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين) قد ضربت الغفلة على بصائرنا حجابا (وكيف تغفل وبين يدك هذه الاهوال) والمصائب والاحوال (فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال) واغواء العدو الحيل (فلا تكفيلك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كفى بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كفى بالموت واعظا وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا بالفظ كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالتبث لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالدهر واعظا والموت مفرقا ورأه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسل كفى بالموت مفرقا ورأه ابن أبي شيبة وأجد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسل كفى بالموت مره في الدنيا ومره غيا في الآخرة (أو ما سمعت بكربيه صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هوّن علي محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أهني علي سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطا تلك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يغمضون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيطون بها اللهم أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يعظون (ويأتهم الشيب رسولا منه) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بأن يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلا كانوا من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

الى أهلهم يرجعون فيأتهم المرض نذرا من الموت فلا يتزحرون ويأتهم الشيب رسولا منه فياعتبرون فيأحسرة على العباد ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أم يروا كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون أم

(14)

أن يكتب على الصبي شيئاً وحده
بالضرب فكل ولي هذا سمته في
الملائكة فيكون مع النبيين والم
الكرمين صلى الله عليه وسلم

أَنْ يَكْتُبَ عَلَى الصَّبِيِّ سِتِّينَ وَحَسَنَةً عَلَى صِحْفَةٍ قَلْبِهِ فَيَكْتُبُ عَلَيْهِ بِالْخَطِّ ثُمَّ يَنْشُرُهُ عَلَيْهِ بِالتَّعْرِيفِ ثُمَّ يَعْذِبُهُ عَلَيْهِ الْمَعَارِفُ بِالضَّرْبِ فَكُلُّ وَلِيٍّ هَذَا مِمَّا تَفِي حَقَّ الصَّبِيِّ فَقَدْ وَرِثَ أَخْلَاقَ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي حَقِّ الصَّبِيِّ فَيُنَالُ بِهِمَ أَدْرَجَةُ الْقَرَبِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا نَالَهُ الْمَلَائِكَةُ فَيَكُونُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالْمُقَرَّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَآلِهِمُ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّكَ أَكْفَلُ النَّبِيِّمَ كَهَاتَيْنِ فَمَا لَمْ يَجْعَلُوا أَشَارًا إِلَى أَصْبَعَيْهِ الْكَرْبَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * (بَيَانُ كَوْنِ الصَّبِيِّ نَصْفَ الْإِيمَانِ) * أَعْلَمُ الْإِيمَانَ تَارَةً يَخْتَصُّ فِيهِ بِالطَّلَاقِ بِالتَّصْدِيقَاتِ بِأَصُولِ الدِّينِ

وتارة يختص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليها جميعا والمعارف أبواب ولاعمال أبواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا (١٥) فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد

باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهذا النظر قال ابن مسعود (رضي الله عنه) الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في القوت وقدرناه البيهقي نحوه (وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى شبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذات والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم والصبر (لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

المعارف) وتارة يختص في اطلاقه (بالاعمال الصالحة الصادرة عنها) أي عن تلك التصديقات (وتارة يطلق عليها جميعا والمعارف والاعمال أبواب) كثيرة (ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها) بالاطلاق الثالث (كان الايمان نيفا وسبعين بابا) كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي الايمان بضع وسبعون بابا فادناها ما ملأ الله أرفعه لاله الا الله وأدناه ما ملأ الاذى عن الطريق وعند ابن حبان الايمان سبعون أو ثمان وسبعون بابا أرفعه لاله الا الله وأدناه ما ملأ الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان وقد تقدم (واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات) فليراجع هناك (ولكن الصبر نصف الايمان) كما ورد في الخبر (باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق) الايمان (على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما) أي اليقين والصبر (فقال ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث) الخ من رواية شهر بن حوشب عن أبي امامة مرفوعا وقد تقدم قريبا وهذا الاعتبار أيضا يكون اليقين نصف الايمان لأنه أحد ركنيه ويقرر كون الصبر نصف الايمان بوجه آخر هو أنه كما سيأتي ان الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات لان الاوقات الداخلية على الطاعات من جهة المعاصي لان العدو وحظا في دخول الاوقات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على تلك المعصية الا الصديقون والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي اذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محلك الايمان ولان الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد والصبر على المصائب في الغالب لا يكون الا عن مشاهدة انقضاء القدر والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعود والوعيد من الايمان بالله وما نشأ عن الايمان بالله تعالى كان أفضل وبشرف الصبر بشرف المصبور وفيه المصبور لاجله وبه يعرف سر قوله الصبر نصف الايمان لان النصف الاول هو العلم والنصف الثاني هو العمل (الاعتبار الثاني أن يطلق) الايمان (على الاحوال المثمرة للاعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهذا النظر قال ابن مسعود (رضي الله عنه) الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في القوت وقدرناه البيهقي نحوه (وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى شبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذات والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم والصبر (لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى شبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذات والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

الاعتبار وبيع الايمان فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان فإن اسم الايمان يطلق (١٦) على وجوه مختلفة * (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

الاعتبار وبيع الايمان) وباعتبار ان الصبر لا يتم الا بعمل يثمره وعمل هو غرته يكون الصبر الايمان كله كما في الحديث وباعتبار ان مدار اليقين على الايمان بالله وبقضائه وقدره وما جاء به رسوله مع الثقة بوعده ووعيده فهو متضمن لكل ما يجب الايمان به يكون اليقين الايمان كله كفي ثمة خبرا بن مسعود السابق ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهد بن يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الاشعري عند الحكميم وابن عساكر ومن ثم قالوا اليقين الايمان بالقدر والسكون اليه (فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة) واعتبارات شتى

* (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الصبر) في اللغة الحبس والكف فيضيق ومنه قتل فلان صبرا اذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية أي احبس نفسك معهم وهو (ضربان ضرب بدني) ويقال له الجسمي أيضا وذلك (كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها) على قدر قوة البدن ونهايته معلومة وأكثرها النوى الجسموم الخسنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله * صبرا بالملك وليس بالاجسام

(وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا حتى تسقط قوته (أو من غيرها) كالمشي الكثير ورفع الحجر الثقيل (واما بالاحتمال) وهو الانفعال (كالصبر على الضرب الشديد) بالمقارع (والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون مجودا اذا وافق الشرع) نصا أو قياسا أو تحببا (ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي) وذلك بان يكف النفس (عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى) وبه تتعلق الفضيلة (ثم هذا الصبر) ضربان (ان كان صبرا عن تناول شهوة البطن والفرج سمي عفة) فالعفة لا تتعلق بالا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية بالا بالملذات الحيوانية وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الالوان الحسنة والالوان الطيبة والاشكال المنتظمة والعفة أس الفاضل وانما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد ما يكون جالبا للبغى والعدوان ونماها يتعلق بحفظ الجوارح (وان كان عن احتمال مكروه) وهو الضرب الثاني وهذا قد (اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر) وأخصر (من ذلك اختلفت أساميته بحسب اختلاف مواقفه فان كان) ذلك (في) نزول (مصيبة اقتصر) به (على اسم الصبر) ولم يتعده هذا الاسم (وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع) والجزع (وهو اطلاق دواعي الهوى يستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود) ولهم الصدور (وشق الجيوب وغسبها) مما يشا كلها (وان كان) ذلك (في احتمال الغنى) فقد (سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر) وقال بعضهم ضبط النفس في الاشياء المملذة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما في الاسماء المترادفة على معنى واحد (وان كان) ذلك (في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم) هو امساك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلسا ويضاده التذمر) بالذال المعجمة (وان كان في بذل المال وانفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير وان كان) ذلك (في نائبة من نواب الزمان مضرة) أي مقلقة (سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام) وامساكه في الضمير (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما) ويضاده الافشاء (وان كان من فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

اعلم ان الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون مجودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفتوان كان عن احتمال مكروه اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق دواعي الهوى ليستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلسا ويضاده

على

التذمر وان كان في نائبة من نواب الزمان مضرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحجة عرفة وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى (١٧) الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق

المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولاً فيطالع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل وإلى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن عشي مبكا على وجهه أهدي أمن عشي سوي على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الامثلة هذه الانعكاسات نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه * (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) * اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى ويصدمه مرة (فلا تبقي له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلاً (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصنهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله أنزلنا ربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناورة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم) أي غلبت عليهم (وغلبت عليهم شهواتهم) وسوء حظهم (فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضغة العثمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره) محرقة (فاكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال هو الصبر) كما تقدم قريلاً لأنه أكثر أعماله وأعزها (كما قال) صلى الله عليه وسلم (الحجة عرفة) تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج (وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً) في آية واحدة (فقال والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة) فهذا صبر عام ولما كان أشق شيء على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الأمور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمالهم فقال (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها) فاختلقت الاسامي لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته في نفسه وأنه مقصود لذاته (ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة) وهذا نظر قاصر (والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله) مما أفيض به على بصيرته (يلحظ المعاني أولاً فيطالع على حقائقها) الأصلية (ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل) قدمه (والى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن عشي مبكا) بعثر كل ساعة ويحجر (على وجهه أهدي) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قاله بقوله (أمن عشي سوي) فأنما سال من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة (فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الامثلة هذه الانعكاسات) فكان سبيل العثارهم (نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه أمين)

*) (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) *

(اعلم) هداية الله تعالى (ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى) ويصدمه مرة (فلا تبقي له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلاً (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصنهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله أنزلنا ربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناورة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم) أي غلبت عليهم (وغلبت عليهم شهواتهم) وسوء حظهم (فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضغة العثمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

(٣ - اتحاف السادة المتقين) - تاسع) واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية *) (الحالة الثانية) * أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناورة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم وغلبت عليهم شهواتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو لاعلمهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفقتهم وقبل لمن قصد ارشادهم فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظا قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى (١٨) توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية الشهوة فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحبل

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولو شاء ربك لجلع للناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم (وقيل لمن قصد ارشادهم) بلسان الوحي (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق) ونهاية الجهل (كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي ملكها (وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله) الاماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية) أي ملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحبل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في بدشهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه) أي يستخدمونه (في رعاية الخنازير ورو حفظ الخجور وجلها) من موضع الى موضع (ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لان تفاش جنايته سببه انه سخر ما كان حقه ان لا يستخزعه وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر) أي جعله رقيقاً (بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه) المحسن له (فأخذ أعز أولاده وسلمه الى) يد بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته (أي استحقاقه) لنقمته لان الهوى ابغض الاله عبد في الارض عند الله تعالى) وقدر وى ذلك من حديث أبي امامة بالفظ ابغض الاله عبد عند الله في الارض هو الهوى هكذا رواه الطبراني في الكبير باسناد ضعيف (والعقل أعز موجود خلق في الارض) وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم (الحالة الثالثة ان يكون الحرب بجبالاً) ودولا (بين الحندين فتارة له اليد) أي الغلبة والتفهر (عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين) قال الله تعالى فيهم وآخرون (اعترفوا بذنوبهم خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) ان الله غفور رحيم (هذا باعتبار القوة والضعف وتطرق اليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه) لا يتخلو (اما ان يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض) فالحالة الاولى للسابقين والثانية للظالمين والثالثة للمعتصدين (وتنزىل قوله تعالى) وآخرون اعترفوا بذنوبهم (خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله

التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في بدشهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير ورو حفظ الخجور وجلها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لانه بغاش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه ان لا يستخزعه وسلط ما سببه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه الى أبغض أعدائه

غفور

فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته لنقمته لان الهوى ابغض الاله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الارض (الحالة الثالثة) أن يكون الحرب مجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خطوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزىل قوله تعالى خطوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً

على من عجز عن بغض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا إذا البهيمة لم
تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حق المدبر يقينا ولذلك قيل
ولم أرفى عيوب الناس عيبا * كنعص القادرين على التمام وينقسم الصبر أيضا باعتبار (١٩) اليسر والعسر إلى ما يشق على

النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى ومثال هذه القسمه قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بآدنى جهلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة أعباءه ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى تيسر الصبر بطول الموانعة وأورث ذلك مقام الرضا وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسيأتى فى آخر كتاب الرضا) أن شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) أن شاء الله تعالى (أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) أعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي لأحداث على الأعمال فانظر فليس الخبر كالعيان أن السالك لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومداغة العدو الداعى إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

غفور رحيم (على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى) من تنزله على الحالة الثانية (والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطاه) أى أهمله (فهو الناقص حق المدبر يقينا ولذلك قيل) (ولم أرفى عيوب الناس شيئا * كنعص القادرين على التمام)
وفى نسخة نقصا بدل شيئا فإنه قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنسانا أو إنسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا وأن يرضى بقنينة معارة وحياة مستردة وله أن يتخذ قنينة مخلدة وحياة مؤبدة (وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا) وصاحبه متصبر أى متكلف الصبر وحامل نفسه عليه (والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر) وإلى ما يكتب الصبر ويتلى به ويخص ذلك باسم الاصطبار فالمراتب ثلاثه وهى فى الوصف والكيف وهنالك مرتبتان أخريان فى القدر والحكم وهما الصبور والصبار فالصبور العظيم الصبر الذى صبره أشد من صبر غيره والصبار الشديد الصبر فكملة المراتب خمسة وأعمها الصابر (وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر) وسهل عليه (ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) فتيسره للحالة اليسرى هو ادامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه (ومثال هذه القسمه قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بآدنى جهلة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقاه فى مصارعة) أياه (اعياء ولا لغوب) أى تعب (ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر) أى لا ينقطع نفسه من الضعف (ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين) وهو كناية عن الشدة (فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى) أى غلب وقهر (وتيسر الصبر بطول الموانعة أو رث ذلك مقام الرضا) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسيأتى فى آخر كتاب الرضا) أن شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) أن شاء الله تعالى (أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) أعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي لأحداث على الأعمال فانظر فليس الخبر كالعيان أن السالك لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومداغة العدو الداعى إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكرر خبر كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين * وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين * وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين فى كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر

وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم * فالصبر عن المحظورات فرض (٢٠) وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يدولاه وهو يصبر عليه

ساكنا أو كمن يقصد حربه بشهوة محذورة فتهمج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة * (بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال) * اعلم أن جميع ما يليق العبد في هذه الحياة لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهاذا لا يستغنى قط عن الصبر (النوع الاول) ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى في كتابه العزيز زرد عالما كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لو احدث قاله البياضاي (حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

واهتمام وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ونشاط ولو بذل روحه ما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتي ذكرها بعد (وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا) لاني صبر عام شامل لجميع افراده فقد روى عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر على المصائب وقد روى ذلك من حديث ابن عباس الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية الحديث فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر (واعلم أن الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يدولاه وهو يصبر عليه ساكنا أو كمن يقصد حربه بشهوة محذورة فتهمج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع) وهذا يدل أن الصبر لا يراد لذاته ولفظ القوت الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا واجبا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا ونذبا فالصبر عليه أو عنه نذوب وفضل (فليكن الشرع محك الصبر) فما كان المصبر عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل (فيكون الصبر نصف الايمان ولا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد منه) أي من الصبر المحمود (أنواع من الصبر مخصوصة) وقال القطب الجليلي قدس سره في فتوح الغيب لابد للعبد من أمر يفعله ونهى يجتنبه وقد يصبر عليه وذلك متعلق بطرفين طرف من جهة الرب وطرف من جهة العبد فالاول هو ان له سبحانه على عبده حكمين كوني قدرى وشري ديني فالكوني متعلق بخلقه والشري بامر به فالاول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر والثاني لا يتم الا به فرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور وترك المحذور وفعل المأمور وأما الطرف الثاني فان العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضا ولا يسقط عنه ما بقي التكليف فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوى الاعليه كالاتسوى السنبلة الاعلى ساقها وهذه الثلاثة قد وقعت الاشارة اليها بآية أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك * (بيان مظان الحاجة الى استعمال الصبر) *

في الطاعات وغيرها (وان العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال اعلم) وفقه الله تعالى (ان جميع ما يليق العبد في هذه الحياة الدنيا لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهاذا لا يستغنى قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة من الآفات (والمال والجاه وكثرة العشرة) من بنه وبني عمه (واتساع الاسباب) المحصلة لذلك (وكثرة الاتباع) من المال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى في كتابه العزيز زرد عالما كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لو احدث قاله البياضاي (حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا (٢١) بفتنة السراة فلم نصبر ولذلك حذر

الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال عز وجل ان من أرواحكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مخزنة وما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذه فني ذلك عبرة لولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التمتع واللذة والله واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحماة والفصدا اذا قولا غيرك أيسر من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

السراة (و) كذلك (لما فتحت أموال الدنيا) من سائر البلاد (على الصحابة رضي الله عنهم) وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فتالوا من العيش واتسعوا (قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراة فلم نصبر) فعظموا الاختبار بالسراء وهو ماسر على الاختبار بالضراء وهو ماضر قال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة عن أبيه عن الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال قال عبد الرحمن بن عوف بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراة فلم نصبر (وكذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لان فيها ماسر فيشغل عن ذكر الله تعالى (وقال عز وجل ان من أرواحكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) لان في الارواح والاولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف بودهم المولى فصاروا أعداء في العقبي لما يؤول اليه من شأنهم (وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مخزنة) رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ الولد مبخلة مجبنة مخزنة وقد تقدم ورواه أحمد وابن سعد والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري الولد مبخلة مجبنة وان آخر وطأة وطأة فوج وتقدم أيضا (وما نظر صلى الله عليه وسلم الى ولده الحسن) رضي الله عنه (يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني) هذا (يتعثر) في قميصه (لم أملك نفسي ان أخذه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب انتهى قلت واه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياع كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفعه قال صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين عشرين ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى النبي صلى الله عليه وسلم فضعهما اليه وقال الولد مبخلة مجبنة وروى العسكري في الامثال والحاكم في صحيحه من طريق معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الاسود بن خلف عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الحسن فقبله ثم أقبل عليهم فقال ان الولد مجبنة مبخلة وأحسبه قال مجبلة وتقدم وروى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة دخولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن حسنا وحسينا وهو يقول انكم لتجنبن وتجهلون وانكم لمن ربحان الله (ففي ذلك عبرة لولي الأبصار وقد جمع الله بين ماسر وضر) وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة وعسى ان يسترجع على القرب) الى المودع (وان لا يرسل نفسه في الفرح بها) والركون اليها (ولا ينهمك في التمتع واللذة والله واللعب وان يؤد حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق منه) في المواضع الثلاثة (وفي بدنه ببذل المعونة للخلق) على قدر استطاعته (وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه) وقال صاحب القوت ومن الصبر صبر على العوافي ان لا يجربها في مخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذل في الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية لحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبة بالصبر عليها لحاجته ومطالبة بالصبر على المكروه والفقر والصبر على الشدائد والضراء (وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي) ان شاء الله تعالى (وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة) والتمكن (ومن العصمة ان لا تقدر) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم والمشهور على الاسمة ان لا تجحد (والصبر على الحماة والفصدا اذا قولا غيرك أيسر من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء* (النوع الثاني)* ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخفى لو امان ارتباط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنواب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالنشى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام* (القسم الاول)* ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان (الضرب الاول) الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتى الربوبية (٢٢) ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهى مضجرة ما أظهره فروعون من قوله أنار بكم

الاعلى ولكن فروعون وجد له بحالا وقبولا فإظهاره اذا استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان متمتعا من اظهاره فان استشاطته وغبطه عند تقصيرهم في خدمته واستعباده ذلك ليس يصدر الا عن اضمحار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبر يا فاذ العبودية شاقة على النفس مطلقا من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسبب الجاهل كالجهاد فالصبر على الطاعة يحتاج الى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر

الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة (المشتهة) (وقدر عليها) من غير مانع حقيقى أو حكمى (فلهذا عظمت فتنة السراء* النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع) ولا يلائمه (وذلك لا يخلو امان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنواب أولا يرتبط) (ب) (اختياره) ولكن له اختيار في ازالته كالنشى من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد (وفيه مشقة) لان النفس بطبعها تنفر عن (العبودية) وتشتى (عز) الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهى مضجرة ما أظهره فروعون من قوله أنار بكم الاعلى ولكن فروعون وجد له بحالا وقبولا فإظهاره) ما كان مضرا في قلبه (اذا استخف قومه) أى وجدهم اخفاء العقول (فأطاعوه) وامتثلوا له (وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان متمتعا من اظهاره) بلسانه (فان امتعاضه) أى احتقاره (وغبطه عند تقصيرهم في خدمته واستعباده ذلك ليس يصدر الا عن اضمحار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء) يشير الى الحديث القدسى المتقدم بذكر من نازعنى رداها لكبرياء قسمته (فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسبب الجاهل كالجهاد) فانهم اعماد ثمان مشر كنان في المال والبدن (فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الاولى قبل الطاعة) أى قبل الشروع فيها (وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الاخلاص وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص) على ما سبأنى بيانه في كتاب الاخلاص (وآفات الرياء ومكاييد النفس) على ما تقدم في كتاب ذم الرياء (وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى) متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال) جل ذكره (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أشار اليه صاحب القوت وهذا يسمى الصبر لله (الحالة الثانية حالة العمل كى لا يغفل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ) منه ويتأني ويترك الجملة حتى ينقضى صحيح الاركان كامل السنن والهيئات (وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أحوال العاملين الذين صبروا أى صبروا الى تمام العمل) وهذا يسمى الصبر مع الله (الحالة الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه) لغيره (و) عن (التظاهره للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال

الشد يد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس وقد نبه عليه تعالى

صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات* الحالة الثانية حالة العمل كى لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أحوال العاملين الذين صبروا أى صبروا الى تمام العمل* الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهره للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال

تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المال والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليه ما جبر وما جبره الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثاني) (٢٣) المعاصى فما حوج العبد الى

الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصى في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصى مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم وأحوالهم (ومناصبهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس) فلهذا قيل فيه شهوتان احدهما انى الغير والآخرى اثبات نفسه وبها أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يرنى

تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة على المال والاذى فقد أبطل عمله) وأحبط أجره وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث نجيلة وتصغيره وكنهه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والادلال به على الله بل رؤية المنه والفضل وما أحوج العبادة الى الصبر فى عدم دخول هذه الآفات عليها وهذا القسم يسمى الصبر بالله واليه الاشارة بقوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله (والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليها جميعاً وقد جمعها الله تعالى فى قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثانى) المعاصى فما حوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصى فى قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وقال صاحب القوت ومن الصبر كفف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله تعالى والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب بالاقرب وهذا مقام المقر بين يدخل فى قوله تعالى وايتاعذى القربى ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآتية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن ثلاث منها الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود يقول هذه الآتية اجمع آية فى كتاب الله لا مروءة (وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه) قال العراقى رواه ابن ماجه بالشطر الاول والنساقى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جدين وقد تقدم (والمعاصى مقتضى باعث الهوى) وفى نسخة بواعث الهوى (وأشد انواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً للطبع (بالعادة) واعناد عليهم أو انس بها (فان العادة) كما قالوا (طبيعة خامسة) زائدة على الطباع الاربعة (فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها) وازالتها (ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس) وأشد (كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم وأحوالهم (ومناصبهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس) فلهذا قيل فيه شهوتان احدهما انى الغير والآخرى اثبات نفسه وبها أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يرنى

احداهما انى الغير والآخرى اثبات نفسه وبها أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا)

ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فوجب عليه العزلة والانفراد فلا يجنبه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة (٢٤) الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان

حركة الحواطر باختلاف الاج
الوساوس فلا جرم يبقى
حديث النفس في العزلة
ولا يمكن الصبر عنه أصلا
الابان يغلب على القلب هم
آخر في الدين يستغرقه كمن
أصبح وهمومه هم واحد
والافان لم يستعمل الفكر
في شيء معين لم يتصور وفور
الوساوس عنه (القسم الثاني)
ملا يرتبط هجومه باختياره
وله اختيار في دفعه كالأودى
بفعل أو قول وجنى عليه في
نفسه أو ماله فالصبر على ذلك
بترك المكافاة تارة يكون
واجبا وتارة يكون فضيلة
قال بعض الصحابة رضوان
الله عليهم ما كان عدايمان
الرجل إيمانا أدام بصبر
على الأذى وقال تعالى
ولنصبرن على ما آذيتونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرة ما لا فقال
بعض الأعراب من المسلمين
هذه قسمة مأر يدها وجه
الله فأخبر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجرت
وجنتاه ثم قال يرحم الله
أخي موسى لقد أودى
بأكثر من هذا فصبر وقال
تعالى ودع أذاهم وتوكل
على الله وقال تعالى واصبر
على ما يقولون واحجرهم

فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقد تقدم في آفات اللسان
(ومن لم يملك لسانه) وفي نسخة نفسه (في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد) عن
الناس (فلا يجنبه) من ذلك (غيره) فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة (معهم)
(وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة
اللسان حركة الحواطر) من الباطن (باختلاف الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر
عنه أصلا) الابان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه (و يستولى عليه) (كمن أصبح وهمومه هم واحد)
أي اجتمعت في هم واحد ولم تشعب به (والافان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور وفور (و السواوس عنه)
أبدا (القسم الثاني) ملا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأودى بفعل أو قول وجنى عليه في
نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة
رضوان الله عليهم ما كان عدايمان الرجل إيمانا أدام بصبر على الأذى (ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كان
نعدايمان من لم يؤذ فيجتم على الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد فعل الله ذلك قال اختيار أو أخبران ذلك ليس منه
عذابا وانما هو فتنة بل من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار رحمة للأودى وخيرا في قوله
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا وانما
هو رحمة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربى اهانن كلاً أي لم أهلك بالفقر كالم
أكرم الآخر بالنعيم اكراما وعلى هذا خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فالصبر
على ما يقولون واذا كر عبدنا داود وسلاهما به وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافاة على الأذى
توكل على المولى (قال) الله (عز وجل) ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وهذا صبر
أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد
ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ما لا
فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة مأر يدها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجرت وجنتاه ثم قال رحم الله أخي موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر) قال ذلك يوم حنين إذا عطى
الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل إن هذه القسمة
مأر يدها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشحان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال
تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فالصبر على ما يقولون واحجرهم
هجر اجيلا) بعد قوله فاتخذوه كيلا فيهم ما من مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الأذى وهو أول مقام
الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبطلن في
أموالكم وأنفسكم (ولتسمع من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس
على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن
التقوى بالصبر والتقوى جماع كل خير كان الصبر داخل في كل خير وبر في جميعها أوتى عزائم الأمور وكان
من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الأذى (والمكافاة) وتتقوا عند الابتلاء والمكافاة وكذلك قوله تعالى انه
من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العاقلين عن حقوقهم في القصص وغيره
فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولئن انتصرت بعد

هجر اجيلا وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمع من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور وأي تصبروا عن المكافاة ولذلك
مدح الله تعالى العاقلين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

طلبه فاولئك ما عليهم من سبيل الآية ثم قال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فالاول عن به المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثاني هو الصبر والعفو من الاحسان والفضل وهو أحسن ومن ذلك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية فاستماع القول هو العدل واتباع الاحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين قيل هم الذين لا يظلمون فاذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو بالاخبات وهو الخشوع والطمأنينة الى الجزاء من الله في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك) رواه ابن البخار من حديث علي بن الغضا صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك وقيل الحق ولو على نفسك وقد تقدم (ورأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم) يعني في التوراة وغيره من كتب السماء (من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن أخذ زرادك فاعطه ازارك ومن سخر لك لتسير معه ملافير معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر) وقد تقدم انه أول مقام من مقامات الرضا (لانه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعي العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر) وهو ثاني مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أكثر الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله سبحانه في المجمل ولربك فاصبر ثم فسر في الكلام المفسر فقال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا (قال ابن عباس) رضى الله عنهما (الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه) باعتبار متعلقه (صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة) أي منزلة عالية في الجنة (وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة) ولفظ القوت وروى عن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله وصبر على محارم الله وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فن صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة اه قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديث علي رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وأبو الشيخ في كتاب الثواب والديلي في مسند الفردوس كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن زكريا عن عمر بن علي عن عمر بن يونس الميماني عن مدرك بن محمد السدوسي عن رجل يقال له علي عن علي رضي الله عنه رفعه الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فن صبر على المصيبة حتى ردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كباين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين وهذا صريح في ان الصبر على المقدور أدنى المراتب ثم الصبر على المأمور ثم عن المحذور وله وجه وذلك لان الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختيارا أو اضطرارا والصبر على الاوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات فان الاوامر أكثرها محبوب للنفس لما فيها من العدل والاحسان والاخلاص والبر والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وجملة على خير طبعها وهو أشق شيء واصعب والصبر عن المعاصي التي أكثرها محاب للنفس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى ولا يصبر على ذلك الا الصديقون وهذه الثلاثة محاب النفوس الزكية الفاضلة قالوا والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وحيثما هم قيام داعي تناول وقوله خطب مهول ولهذا

كان باب قربان النهى مسدودا و باب الامر مقيدا بالمستطاع ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حدا معينا وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فله أيضاً وجه وقد أشار إليه المصنف بقوله (وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس) وذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق مانعه وهذا يحتاج الى تفسير لم يقصد ابن عباس ان الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على اداء الفرائض لان الصبر في ذلك من مزيد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين فانما فضل المقام في اليقين على المقام في الاسلام (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا الدنيا) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وقد تقدم في كتاب الدعوات (فهذا صبر مستند حسن اليقين) وأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس خزا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا وأكثرهم حبال الدنيا ومثله ما رواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه من ترك المراء وهو يحق بنى الله له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له في ريع الجنة فقد علمت ان ترك الكذب والمراء مبطالا فرض وواجب فنبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد يحق صادق ثم لا عار في زهدا في الظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا المتقون وهم خصوص المؤمنين فقامه من اليقين والزهد واثار الصمت والنجول على الكلام والشهرة أفضل فهو اليقين فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمعاراة وان كان أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه يقال من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فكأنه يقال كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشتراط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل ٧ صغرها وفي صدقة القاب أول ما يبعثه الشيء فينظر الى نظر الله عز وجل فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى فانك باعنا ناه هذا مقام المتوكلين على الله تعالى كل هذا السياق في كتاب القوت وقال بعض من اختصر الاحياء وزاد عليه مانعه اما آداب الصبر فقد تقدم ان حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته فليبدأ في ذلك بالاهم فالاهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فالبداهة بترك المحظورات وهو واجب ثم بالمكروهات وهو مستحب ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الارض والسماوات وهي قربة فان قيل لم فرقت بين المستحب والقربة وهو ما واحد فأقول بينهما عند التحقيق فرق وذلك ان الله تعالى بمنه وفضله انا بناعلى كل حسنة ثوابا عاجلا وثوابا آجلا ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فاذا تركت مكروها لله انا بك الله عليه بترك مكروهه وادق منه في الرتبة واذا تركت مباحا شاغلا ففتح قلبك بسببه بابا اليه لحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فيترك فضول المباحات بسبب ذلك ويعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها فان كنت من أهل الذوق والا فالتصديق به واجب تدايما في البداية بالواجب من الطاعات ويقدم الاوجب على الواجب وما يلهو عن على ما لا يلهو وهذا واجب ثم يقدم أفضل الفضائل فافضلها ويترك الفاضل للافضل اذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين ثم الصبر على المصائب بالثبات

وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا فهذا صبر مستند حسن اليقين

عند الصدمة الاولى لان كل شئ يوجد صغيرا ثم يأخذ في النماء والزيادة الا المصيبة فانها تبدو عظيمة ثم
تصغر وتأخذ في النقصان وهذا واجب فان غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه
واسترجاعه توبة له وقد قلنا ان التوبة تصح من كل ذنب ويدخل في هذا النوع الصبر على الآمن ومكافأة
الجاني بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم اجابته عنه وان تألم في
باطنه ولكن ترك المكافأة عليه في الظاهر فهو أحسن حالا من الاول ولا يدخل في نهى التحريم لان
الآلم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكاف العباد ولا يؤاخذهم الا بما يدخل تحت اختيارهم
ويستحب علاج الآلم وتكسبه الى أن يستوى عند القلب وجود الآلى وعدمه كما تكسب الطاعة والمشقة
ويجتنب المعاصي فان فرح بالجناية ودعا للجاني فهذه هي القرية الصديقة ولا يحصل هذا الا لعبد فزع
نورا التوحيد قلبه فارفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالافعال ويعرفه إيمانه ان سيده
اختاره ذلك ليزكي قلبه وينمى له نوره الى هنا كلامه (وكان أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى
(يقول والله ما نصبر على ما تحب فكيف نصبر على ما تكره) نقله صاحب الرسالة قال سمعت الشيخ أبا
عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عباسا يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى
يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال ذكره (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى
عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا أو أنشرله ديوانا) قال العراقي رواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اه قلت
وكذلك رواه الحكيم في النوادر والديالى في مسند الفردوس (وقال صلى الله عليه وسلم انتظروا
الفرج بالصبر عبادة) رواه القضاى في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا
في الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر وكذا رواه أبو سعيد المالبني في مسند الصوفية
من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم
في الدعوات انتهى قلت ومن رواه دون قوله بالصبر ابن عدى والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف
ورواه الترمذى وحسنه من حديث ابن مسعود في أثنا حديث وقد روى من حديث علي بمثل لفظ القضاى
رواه ابن عبد البر والبيهقى وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر من حديث علي بلفظ انتظار الفرج عبادة
ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن
أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني) بالمد (في مصيبتى واعقبني
خيرا منها الا فعل الله به ذلك) قال العراقي رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى قلت لفظ مسلم ما من
عبد يصيب مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا آجره الله
في مصيبتى واخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سامة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخلف الله خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أحمد عن أم سلمة قالت اتاني أبو سامة يوما من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به قال
لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبتيه ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي
خيرا منها الا فعل الله به ذلك به قالت أم سلمة حفظت ذلك منه فلما توفي أبو سامة استرجعت وقلت اللهم أجرني
في مصيبتى واخلف لي خيرا منه ثم رجعت الى نفسى وقلت من أين لي خيرا من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي
سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطيالسى وأبو نعيم في الحلية بلفظ ما من عبد يصاب
بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احسبت مصيبتى فآخرفني منها واعقبني خيرا منها الا
أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح الى
ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى هذه وعوضني خيرا منها الا آجره

وقال أبو سليمان والله
ما نصبر على ما تحب
فكيف نصبر على ما تكره
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبد من عبيدى
مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده
ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحيت منه يوم القيامة أن
انصب له ميزانا أو أنشرله
ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم
انتظروا الفرج بالصبر عبادة
وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد مؤمن أصيب
بمصيبة فقال كما أمر الله
تعالى انا لله وانا اليه راجعون
اللهم أجرني في مصيبتى
وأعقبني خيرا منها الا فعل
الله به ذلك

الله في مصيبيته وكان قنأ أن يعوضه الله منها خيرا منها وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن علي مامن مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا لاجله الله له عند ذلك فاعطاه مثل آخرها يوم أصيب (وقال أنس) رضي الله عنه (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة (أي عينيه ويقال للعين كريمة) لكونها مكرمة عند صاحبها (قال) جبريل (سبحانك لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال) الله عز وجل (جزاء الخلود في داري والنظر الى وجهي) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من رواية أبي ظلال القسبي واهله هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدتي بحبيبتها فصبر عوضته منها الجنة ورواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمة عبدك أرض له ثوابا دون الجنة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف انتهى قلت وروى الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب بلفظ ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمة عبدتي في الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة ورواه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح بلفظ يقول الله عز وجل من أذهب حبيبتها فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه هناد كذلك وروى الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة وابن عساكر من حديث أبي أمامة ان الله تعالى يقول يا ابن آدم اذا أخذت منك كريمة فصبرت واحتسبت عند الصدمة الاولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة ورواه أحمد وابن ماجه مثله بلفظ يقول الله تعالى يا ابن آدم وروى عبد بن حميد ورواه ابن عساكر من حديث أنس قال الله عز وجل وعزني لأقبض كريمة عبدتي فصبر لحكمي وبرضي بقضائي فارضي له بثواب دون الجنة وحديث أنس عند البخاري ورواه أيضا أحمد وزاد يعني عينيه ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث جبرور في لفظه من حديثه قال الله عز وجل من سلبت كريمة عوضته منها الجنة وروى ابن حبان والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث العرياض بن سارية قال الله عز وجل اذا سلبت من عبدتي كريمة وهو ههنا ضنين لم أرض له بها ثوابا دون الجنة اذا جدني عليهما ورواه الطبراني وحده من حديث أبي أمامة نحوه بلفظ قال ربكم وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس قال ربكم من أذهب كريمة ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ يقول الله لا أذهب بصفتي عبد فارضي له ثوابا دون الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لهما خيرا من لهما وما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة قال سبحانك لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لهما خيرا من لهما وما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمته فانتزعها منه (٢٩) وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه

منها أفضل مما انتزع منها
وقرأ النماز في الصبر ون
أجرهم بغير حساب وسئل
فضل عن الصبر فقال هو
الرضا بقضاء الله وقيل وكيف
ذلك قال الرضا لا يتمنى
فوق منزلته وقيل حبس
السبيل رحمه الله في المارستان
فدخل عليه جماعة فقال
من أنتم قالوا أجبائك جارك
زائر بن فاخته بزمهم بالحجارة
فاخذوا بهرون فقالوا
كنتم أجبائك لصبرتم على
بلائي وكان بعض العارفين
في جيبه رقعة بخرجه كل
ساعة ويطلعها وكان فيها
فأصبر لحكم ربك فانك
باعتنا ويقال ان امرأه فتح
الموصلى عثرت فانقطع
ظفرها فضحك فقيل
لها ما تجد من الوجع فقالت
ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي
مرارة وجعه وقال داود
لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المؤمن
بثلاث حسن التوكل فيما
لم ينل وحسن الرضا فيما
قد نال وحسن الصبر فيما
قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من اجل الله
ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعلك ولاند كرمصيتك
و روى عن بعض الصالحين
انه خرج يوما في كفة صرة
فاثقلها فاذا هي قد أخذت
من كفة فقال بارك الله فيها
لعله أحوج اليها مني وروى

روحه في الارواح قال اللهم فاجزاء من يعزى خزينا ابتغاء مرضاتك قال ان ألبسه لباس التقوى
واستره به من النار فأدخله الجنة الحديث (وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى في خطبته ما أنعم الله
على عبد نعمته فانتزعها منه وعوض منها الصبر الا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى
النماز في الصبر ون أجرهم بغير حساب) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار
حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمته
ثم انتزعها منه فاعاضه مما انتزع منه الصبر الا ما كان عاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية النماز في
الصبر ون أجرهم بغير حساب وقد نقله كذلك صاحب العوارف (وسئل فضيل بن عياض رحمه الله
تعالى عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله وقيل وكيف ذلك قال الرضا لا يتمنى فوق منزلته) وكانه يشير
الى ثاني مقام من مقامات الصبر الذي هو درجة الزاهدين واليه يشير ما رواه الحكيم والديلي وابن
عساكر من حديث أبي موسى الأشعري الصبر الرضا وفي لفظ الصبر رضى يعني ان التحقق بالصبر هو
الذي يقض الوصول الى مقام الرضا (وقيل حبس السبيل رحمه الله تعالى) وقتنا (في المارستان) هو دار
المرضى (فدخل عليه جماعة فقال) لهم (من أنتم قالوا أجبائك جارك زائر بن فاخته بزمهم بالحجارة)
اختبارا لمحببتهم له (فاخذوا بهرون منه فقال) لهم (لو كنتم أجبائك) صادقين (لصبرتم على بلائي)
اعتبارا بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان ونسبته الى الجنون وليس بمجنون نقله القشيري
في الرسالة (وكان بعض العارفين في جيبه رقعة بخرجه كل ساعة ويطلعها) أى يقرأ ما فيها (وكان
فيها وأصبر لحكم ربك فانك باعينا) ولفظ القشيري في الرسالة وقال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقهرا طاف
بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومروا كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثل
ذلك فيوما من الايام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها
وأصبر لحكم ربك فانك باعينا (وقيل ان امرأه فتح) بن شحرف (الموصلى) وكانت من العارفات (عثرت)
أى وقعت برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها) أما تجد من ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن
قلبي مرارة وجعه) أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالا به على الصبر على البلاء ومعلوم ان المستدل
بالبنية لا بعد صبرا حقيقة ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبر فقال تعالى انا وجدناه صابرا
ولم يقل صبرا الكونه كان يستدل ما تزل به في بعض أحيانه (وقال داود لسليمان عليهما السلام) يجتنبه
بم يستدل على تقوى المؤمن فقال (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث) خصال الاولى (حسن التوكل فيما
لم ينل و) الثانية (حسن الرضا فيما قد نال و) الثالثة (حسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من اجل الله ومعرفته حقه ان لا تشكو وجعلك ولاند كرمصيتك) قال العراقي لم أجده
مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من
الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تترك نفسك انتهى قلت وقال صاحب القوت وقد روينا عن
النبي صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس والصبر عن شكوى
المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله خبره وشه (و روى عن بعض الصالحين انه خرج يوما الى السوق
فساوم شيئا من الطعام (و) كانت (في كفة صرة) فيها دراهم فاراد ان يدفع لصاحب الطعام منها فضرب
بيده عليها (فاثقلها فاذا هي قد أخذت من كفة) أى اختلفت أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم
(فقال بارك الله فيها لعله أحوج اليها مني) فهذا من الصبر على المصيبة وعدم اظهار الجزع وقد دفع
مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه (و روى عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة) بن
عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وكان من أكثرهم قرآنا (في القتلى) وكان
معه لواء المهاجرين روى ابن المبارك في كتاب الجهاد انه قال حينئذ بش حامل القرآن انابني ان فررت

عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى

وبه رمق فقلت له أسمعيلك ما عقال جرنى قلبى لالى العدو واجعل الماء فى الترس فأتى صائغ فان عشت الى الليل شربته ففككذا كان صبر
سالى طريق الاسخرة على بلاء الله تعالى (٢٠) فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر فى المصائب وليس الامر الى اختياره فهو

مضطر شاء أم أبي فان كان
المراد به ان لا تكون في
نفسه كراهية المصيبة فذلك
غير داخل في الاختيار فاعلم
انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الحدود
والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغيير
العادة في الملبس والمفروض
والاطعم وهذه الامور داخله
تحت اختياره فينبغي أن
يجتنب جميعها يظهر الرضا
بقضاء الله تعالى وينبغي
مسترا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان وديعة
فاستر جعت كما روى عن
الريضاء أم سليم رجاها الله
انها قالت توفي ابن لي وزوجي
أبو طلحة فتأثبت ففقت
فسميته في ناحية البيت
فقدم أبو طلحة فقمت
فهيأت له افطاره فجعل
ياكل فقال كيف الصبي
فقلت باحسن حال بحمد
الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى باسكن منه الليلة ثم
تصنع له أحسن ما كنت
اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب
منى حاجته ثم قلت ألا تنجب
من جبرائيل قال ما لهم قلت
آعبروا عارية فلما طلبت
منهم واسترجعت جزعوا
فقال بس ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه

اليوم فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبره فقال اللهم بارك لهم في ليلتهم ما قال الراوي فلقد رأيت والنسائي لهم بعد ذلك في المجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرمضاء امرأة أبي طلحة

وقد قيل الصبر الجبل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج عنه حد الصابر بن توجع القلب ولا يفيض العين بالدمع اذ يكون من جميع الحاضر بن لاجل الموت سواء ولأن البكاء توجع القلب (٣١) على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا

يفارق الانسان الى الموت ولذلك لمات ابراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتمنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرجاء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الجحامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه بالدمع (قيل له أمانتم منّا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرجاء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الجحامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب ابن أبي نجيج يعزى بعض الخلفاء ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عندكم انما يصيبون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعاقون فيه) والحمد لله رب العالمين كذا نقله صاحب القوت (فاذا دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والادجاع والصدقة) ففي اظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفقود للأجر وكتمان رأس الصبر وقد شكك الاحنف بن قيس الى عمه وجع ضرره وكدره فقال له لقد ذهبت عني منذ أربعين سنة فما شكوتها لاحد فكتمان هؤلاء الثلاثة كثير خير لصاحبه اليوم فاتمه لا يطلع على ثوابه ملك ولا يدفع الى خصمائه بل يعرضهم الله من باقي أعماله أو خزان فضله ليقب له كثره وذلك اذا كان صبرا منه ورضا عن ربه وحيا منه ان يشكو أو يستغنى باحد من خلقه وهذا قد روى مرفوعا وانما تتبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه فقد رواه أبو نعيم في الحلية وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه ثم قال أبو نعيم غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز بن زانتهى وقال الذهبي زافر بن سليمان قال ابن عدى لا يتابع على حديثه وعبد العزيز بن أبي رواد يروي عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى الطبراني من حديث أنس ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة ورواه الطبراني أيضا وابن عساکر من حديثه ثلاث من كنوز البر انشاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصر الحديث وقد تقدم قريباً وهذا ظهران الحديث له أصل وابراد ابن الجوزي اياه في الموضوعات فيه نظر (فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال) لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل (فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن) أبدا (وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر) من الازل (فهو كيفما كان تضييع زمان) فاي

الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان

وآله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس (٣٢) في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية

قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جنودان جند طير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطير والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا الان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كاف الملعون المخلوق من النار ان يطعن عن حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين (وان النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف) فاذا ثبت لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده) وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب علي فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فغاض الخطاب نعم ان يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلة) فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود ومعناه في الباطن (وانما وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكحاح بين يدي) الرجل (المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب والممكنات (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك كلها هم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون مجالا فيك ولا يتمكن منك مادمت كذلك كذلك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

فائدة في شئ فان لم يمكن تلافيه أم أي فائدة في شئ هو غيب لا يدري كيف يكون واليه أشار التامل ماضى فات والمآمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها (وآله العبد قلبه وبضاعته عمره) وكل منهما نفيس (فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى) ويحظى بمزيد القرب منه (فهو مغبون) أي خسر (هذا اذا كان فكره ووسواسه في المباحات) الشرعية (وكان ذلك مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل) وأنواع الخداع (لقضاء الشهوات) النفسية (اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور رامرة) أي علامة (له منه) تدل على ذلك (بل يقدر المخالفة من اخلص في حبه) وأحبه اليه (حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له) في أمره أو غرضه (ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته) فيطول الحال ويكثر الاشتغال (ولا يزال في شغل دائم) لا ينتهي الى حد (فالشيطان جنودان جند طير وجند يسير والوسواس) العارض منه (عبارة عن حركة جنده الطيارة والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة وهذا الان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار) كما هو نص الكتاب العزيز (والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين) اذ لا يكون فخارا يصلصل الا بدخوله في النار (والطين طبيعته السكون) والاستقرار والبرودة (والنار طبعها الحركة) والاضطراب والحرارة (فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كاف الملعون المخلوق من النار ان يطعن عن حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين) وان النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف (فاذا ثبت لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده) وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب علي فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فغاض الخطاب نعم ان يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلة) فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود ومعناه في الباطن (وانما وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكحاح بين يدي) الرجل (المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب والممكنات (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك كلها هم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون مجالا فيك ولا يتمكن منك مادمت كذلك كذلك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجهة على الارض علامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

هذا اللعين ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فانك ان أردت ان يخلو القدر عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكرهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والافن غفل (٢٢) عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرب من الا الشيطان

ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغيض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهرة فارغ ولم يبق قلبه فارغا بل يعش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزوج أفرأخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الخلفاء اليابسة كثرت نسله فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكالاتبي النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة (ولذلك قالوا النار اذا لم تكن شهوة) فاذ اذا تأملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك في الخبر اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وفي رواية زوجتك التي تضاجعك وروى العسكري عن سعيد بن أبي هلال مرسل ليس عدوك الذي ان قتلته كان لك نورا وان قتلته دخلت الجنة ولكن اعدى الاعداء لك نفسك التي بين جنبيك (ولذلك قال) أبو المغيث (الحسين بن منصور) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح بن عبد الله بن أبي أيوب الانصاري (الحلاج) محب الجنيد والثوري وغيرهما واختلف الناس فيه فاقى كثير من العلماء باباحة دمه فقتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ (حين كان يصب) وذلك ببغداد (وقد سئل عن التصوف فقيل) له ما هو (فقال هو نفسك ان لم تشغلها) بالذكر والفكر (شغلتك) بما يبعدك عن حضرة الله (فاذا حققت الصبر وكاله الصبر عن كل حركة مذمومة) ذمها الشارع (وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك) لما فيه من الوسواس والخطرات (وهذا صبر دائم لا يقطعه الاموت) نسأل الله حسن التوفيق بمه وكرمه

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء) روى أبو نعيم في الطب من حديث أبي هريرة ان الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء ورواه ابن السني والحاكم بلفظ ان الذي أنزل الداء أنزل الشفاء (فالصبر وان كان شاقا) على النفس (أو تمتنع فحصيله ممكن بمعجون) مركب من

(٥ - (اتحاف السادة المتقين) - ناسع) التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حققت الصبر وكاله الصبر عن كل حركة مذمومة متحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الاموت نسأل الله حسن التوفيق بمه وكرمه *(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)* اعلم ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا أو تمتنع فحصيله ممكن بمعجون

عالم مع هافر جبهه أوعك
فرجه ولكن ليس عك عيه
أوعك عيه ولكن ليس
عك قلبه ونفسه اذ لا تزال
تحدنه بعقضيات الشهوات
و بصرفه ذلك عن المواظبة
على الذكر والفكر والاعمال
الصالحه فقهول قد قدمنا
أن الصبر عبارة عن مصارعة
باعث الدين مع باعث
الهوى وكل متصارعين
أردنا أن يغلب أحدهما
الاستخفاف لا طريق لنا فيه
الاتقوية من أردنا أن
تكون له اليد العليا
وتضعيف الاستخفاف فلزنا
ههنا تقوية باعث الدين
وتضعيف باعث الشهوة
فاما باعث الشهوة فسيل
تضعفه ثلاثة أمور أحدها
أن ننظر الى مادة قوتها
وهي الاغذية الطيبة المحركة
للاشهوة من حيث نوعها
ومن حيث كثرتها فلا بد
من قطعها بالصوم الدائم
مع الاقتصاد عند الافطار
على طعام قليل في نفسه
ضعيف في جنسه فيحتزرن
اللحم والاطعمة المهيجة
للاشهوة الثاني قطع أسبابه
المهيجة له في الحال فانه انما
يهيج بالنظر الى مظان
الشهوة اذ النظر يحرك

(العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منهما تركيب الادوية) النافعة (لأمراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكان أقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها) لان النفس ان كانت زكية طاهرة مهيبة الاخلاق فينبغي أن يسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفاء لها فان كانت ناقصة عادمة الكمال والصفاء وجب العلاج بضد العلة المطلوب زوالها فمع علاج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل بالسخاوة ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشهية تكافؤ واستيفاء ذلك مما يطول ولا يحتاج الى الطریق في بعض الامثلة فتقول اذا اقتصر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه (في حال يقظته ونومه) أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه (بالتطلع) أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه في سره (بمقتضيات الشهوة) ويصرفه ذلك عن الواجبة على الذكرو الفسكو) والمراقبة (والاعمال الصالحة فتقول) في علاجه (قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنان يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الاتقوية من أردنان تكون له البدا العلية) أي العلية (وتضعيف الآخر فلهذا منا هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسيبدل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها ان تنظر الى مادة قوتها وهي الاغذية العلية اللذيذة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها باليوم الدائم مع الاتصاف عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جنسه فيحترز عن تناول اللحم) في المأكولات (و) عن (الاطعمة المهيجة للشهوة) في طبعها أو بجلابة الازار (والثاني قطع أسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة) ومن ذلك قولهم من ادارنا طره اتعب خاطره (وهذا يحصل) علاجه (بالعزلة) عن الناس مرة (والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور) الجيلة (المشتبهة) بالطبع (والفرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظارة سهم مسموم من سهام ابليس) رواه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة بافظ النظارة سهم من سهام ابليس مسمومة فمن تركها من خوف الله اصابه ايماننا يجد حلالاته في ذاب وروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث علي بن النضر الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس فمن صرف بصره عنها رزقه الله عبادة يحد حلالاتها وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر انظر المؤمن في محاسن المرأة سهم من سهام ابليس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها وقد تقدم ذكر هذا الحديث مرارا (وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه) ويتنرس به (الاتغميض الاجفان والهرب من صوب رمية) وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة يقول الله تعالى يا ابن آدم انك بصرك الى بعض ما حرم عليك فقد اعتك عليه بطبعين فاطبقهما عليه الحديث (فانه يرى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلب عن صوب الصور لم يصبك سهمه) وامنت من شره (الثالث تسليمة النفس بالمباحات من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح) مع حليته (فان كل ما يشتهيه الطبع في المباحات من جنسه ما يغني عن المحظور منه وهذا هو العلاج الانفع) والدواء

القاب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مغان وقوع البصر على الصور المشتبهة والفرار منها **السكر**
بالكمية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسده المعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان
أو الهروب من صوب رمية فانه انما يرى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلب عن صوب الصور لم يصب سهمه الا بالث تسليمة النفس بالباح
من الجنس الذي تشبهه وذلك بالنكاح فان كل ما يشبهه الطابع في الباحات من جنسه ما يغني عن المحاورات منه وهذا هو العلاج الانفع

في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباه
فن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجوح وعن
الكب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب (٢٥) وتغيب الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك

بواطنها بسبب مشاهدتها
والثالث يضاهي تسليتها
بشي قليل مما يبسل اليه
طبعها حتى يبقى معها من
القوة ما تصبر به على
التأديب وما تقوية باعث
الدين فانما تكون بطريقين
أحدهما اطعماعه في فوائد
المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا وذلك بان يكثر فكره
في الاخبار التي أوردناها في
فضل الصبر وفي حسن
عواقبه في الدنيا والآخرة
وفي الاثران ثواب الصبر على
المصيبة أكثر مما فات وانه
بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة
اذفاته ما لا يبقى معه الامدة
الحياة وحصل له ما يبقى بعد
موته أبد الدهر ومن أسلم
خسيسا في نفيس فلا ينبغي
أن يحزن لغفوات الخسيس
في الحال وهذا من باب
المعارف وهو من الايمان
فتارة يضعف وتارة يقوى
فان قوى قوى باعث الدين
وهيجته تهيجها شديدا وان
ضعف ضعفه وانما قوة
الايمان يعبر عنها باليقين
وهو المحرك لعزيمة الصبر
وأقل ما أوتي الناس الصبر
وعزيمة اليقين والثاني ان
يعود هذا الباعث مصارعة

الاكبر (في حق الاكثر فان قطع الغذاء) معالفا (يضعف عن سائر الاعمال) الصالحة التي تستدعي
القوة (ثم قد لا تقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) يا أيها الناس (عليكم
بالباهة) أي التكاثر (فان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) رواه الطبراني في الاوسط والضياء من
حديث أنس وقد تقدم في كتاب التكاثر (فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي
قطع العلف عن البهيمة الجوح) أي العاصية عن التأديب (وعن الكب الضاري) أي اللهيج
يا كل لحم الصيد (ليضعف فتسقط قوته و) العلاج (الثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب وتغيب
الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها) بالعين والخس (و) العلاج (الثالث
يضاهي تسليتها بشي قليل مما يبسل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التأديب) والرياضة
(وأما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين أحدهما اطعماعه في فوائد المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا) والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأته من البواعث الحادثة المقوية له الى أن
يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له (وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل
الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثران ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وانه بسبب
ذلك مغبوط بالمصيبة اذفاته ما لا يبقى معه الامدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر) كانه يشير الى
أثر ابن عباس المتقدم ان من صبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعة عشر درجة تبعها صاحب القوت
وقد تقدم الكلام عليه وان المروي من حديثه على خلاف ذلك (ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن
يحزن لغفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان) بالتغيب والترهيب والقضاء
والقدر وخبره وشهره وحلوه ومره من الله تعالى والايمان بهذا واجب والشرعية طاعة بهذا والقرآن
من فأنتم الى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير به اللبيب فاذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والاصغاء
أحضر قلبه وتفكر في مراتب الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوى اعانته
ويقينه واليه أشار المصنف بقوله (فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها
شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس
الصبر وعزيمة اليقين) كجاء ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه وقد تقدم ذكره
واذا قوى يقينه انهم زعم كيد الشيطان وخزيه واذا قوى يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله وان
اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضا عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله
تعالى (والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدبر بقليل لا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها
فيستجري عليها وتقوى منته) أي قوته (في مصارعها فان الاعتناء والممارسة للاعمال الشاقة تؤكده
القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين) للاعمال الثقيلة (والفلاحين) لمعاونة
أعمال الاعراض (والمقاتلين) في الحروب (وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة
الحياطين والعطارين) وهم الصيادلة (والفقهاء) في المدارس (والصالحين) في الزوايا (وذلك لان
قواهم لم تتأكد بالممارسة) والمزاولة (فالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلعة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة) والانعام (كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى) عليه السلام

باعث الهوى تدبر بقليل لا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى منته في مصارعها فان الاعتناء والممارسة للاعمال الشاقة
تؤكد القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على
قوة الحياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلعة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى

حيث قال وانكم اذا ان المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصباح حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيمنته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباهاهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق (٢٦) كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم

(حيث قال وانكم اذا المن المقربين و) العلاج (الثاني أيضا يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك) منذ زمن الصبا (حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباهاهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس) وتوارد الهواجس على الخواطر (وانما يشد ذلك على من تفرغ له) به منته بالسكينة (بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة) والانفراد عن الخلق (وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب) وتحول بينه وبين شغله (وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء) والاقارب والمعارف (ثم الاعتزال) عنهم (الى زاوية) من زوايا البلد (بعد احراز قدر يسير من القوت) يقيم به صلبه (وبعد القناعة به) واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله (ثم ترك ذلك كما لا يكفي مالم تصير الهوم هما واحد وهما الله تعالى) فلا يكون له هم الا هو ولا شغل الا به (ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك مالم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا يجنبه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب بالباطن (فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) الجارية على اللسان في منزلة حديث النفس (ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا) أي بالشرط المذكور (اذلا يخلو في جميع أوقاته من حوادث تتحدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداع من اناس وطغيان من مخالط اذلا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة) بحسب الضرورة الطارئة (فهذا أحد الانواع الشاغلة) عن الذكر والفكر (وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيبه ذلك أيضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه) يشغله عما هو بصدده (وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) في بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملة زوافة) من ملات الدهر وقائعه (وفي تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذا كرو يراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق) وذلك الانكشاف لاحدله فيقف عليه (والانتهاء الى هذا) المقام (هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي مالم تصير الهوم هما واحد وهما الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك مالم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا يجنبه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب بالباطن (فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا اذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتحدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداع من

انسان وطغيان من مخالط اذلا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الانواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيبه ذلك أيضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) في بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملة زوافة) من ملات الدهر وقائعه (وفي تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذا كرو يراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاؤ الى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

بالاكتساب والجهـد فاما مقام برما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق فتدقيل الجهد ويجعل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الخط والمقول وراعهذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازي أعمال النملين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك (٢٧) الجذبة بان يقطع عن قلبه جوازب الدنيا فان المجذوب الى

أسفل سافلين لا يجذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو مجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى يبسر الله تعالى أسباب الرزق فاعلمنا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة بلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الارض وينقبها من الحشيش ويث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا مطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر الهوات وبذر فيه بذر الارادة والانخلاص

بالاكتساب والجهـد) بقدر الطاقة البشرية (فاما مقام برما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله في الاعمال والاحوال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق) المقسوم (فتدقيل الجهد ويجعل الصيد) أي يعظم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (وقد يطول الجهد ويقل الخط) فلا ينال مقدار جهده (والمقول وراعهذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازي أعمال النملين) وعلى هذا بناه سلوك الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره وهو شيخ المصنف فالجذب عنده مقدم على السلوك واليه ذهب بعض الشيوخ في الطريقة العلية النقشبندية ومن يتيسر له هذا الحال أولا يامرونه بمراقبة الجلالة ثم يذكر النفي والاثبات وذهب بعضهم الى ان السلوك مقدم على الجذب وان الجذب نتيجة السلوك فن قال بذلك بأمر المرید أولاً لا يذكر النفي والاثبات ثم بمراقبة الجلالة (وليس ذلك باختيار العبد) أي حصول الجذبة الالهية لتكون من ارادات الحق (نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جوازب الدنيا) فيختل عنها فيكون حراً بورود الجذبة الالهية اليه (فان المجذوب الى أسفل السافلين لا يجذب الى أعلى عليين وكل مهموم على الدنيا) حريص على تحصيلها (فهو مجذب اليها) لا يلوى على غيرها (فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) رواه الطبراني في الكبير وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بطحا فتعرضوا لعله ان دعيتكم نفحة منها فلا تشقون بعده أبدا وقد تقدم في الجمعة والمراد بالنفحات هنا التجليات القربان والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الكد والاحلاق الذميمة والطلب منه في كل وقت فانه لا يدري في أي وقت يكون فتح خزان المني (وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون) والرزق رزقان ظاهر وهى الاقوات والاطعمة وذلك الظواهر وهى الابدان وباطن وهى المعارف والمكاشفات وذلك القلوب والاسرار (وهذا من أعلى أنواع الرزق) وأشرفها فان ثمرته حياة الابد وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى بخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين (والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى يبسر الله تعالى أسباب الرزق) المعنوى (فما علمنا الا تفريغ المحل) عن المشغلات (والانتظار لنزول الرحمة) فيه (وبلواغ الكتاب أجله) أي منتهاه الذي قدر له (كالذي يصلح الارض وينقبها من الحشيش ويث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه) وفي نسخة لا ينفعها (الاجطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى ورحمته ان لا يخلى سنة عن مطر) كما جرت سنة (فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات) الالهية (ونفحة من النفحات) الرحمانية (فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الارادة والانخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة ولا يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كفى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان) فان هذه أيام شريفة وأوقات منيفة تجتمع فيها الهموم وتوجه القلوب بحضورها الى الله تعالى فانظروا النفحات الالهية يكون قويا (فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرا) اخلاق (رحمته) وفيوضاته (حتى) انه (تستدرجها) أي بالهمم والانفاس (الامطار في أوقات الاستسقاء) عند حصول الجذب (وهى لاستدرا) أمطار المكاشفات) الالهية (ولطائف المعارف) السبحانية (من خزان الملكوت) الغيبية (أشد مناسبة وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كفى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رحمة حتى تستدرجها الامطار في أوقات الاستسقاء وهى لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزان الملكوت أشد مناسبة

وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كفى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رحمة حتى تستدرجها الامطار في أوقات الاستسقاء وهى لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزان الملكوت أشد مناسبة

(7A)

الرئوسية وعنه العبارة بقوله
وليس القلب مذموماً على جهة
عالم الامر فأضله وأغواه وكيف

مذموما

وليس القلب مذموماً على جبهته ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فأضله وأغواه وكيف يكون

مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الأبقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وأمن الأخوف فيه وغنى لا فقر فيه وكما لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملك مشوب بأنواع الآلام والمخوف (٣٩) بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو

في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه أجل وقد خلق الإنسان عجولا واغبا في العاجلة فجاء الشيطان ونوسل إليه بواسطة الجملة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة ونوسل إليه بواسطة الحق فوعده بالغرور في الآخرة ومنامه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم والا حق من أتبع نفسه هواها وغنى على الله الاماني فالتخددع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر ما كانه ولم يتدل الموفق بنجل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقيل وفي نسخة بطلب عز الدنيا وملكها على قدر ما كانه ولم يتدل الموفق بنجل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون الآخرة أي يدعونها وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون رءاهم يومئذ فقال تعالى فاعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق وانتشر خدعه اياهم (أرسل الله الملائكة الى الرسل) عليهم السلام (وأوحى) وفي نسخة فأوحوا (اليهم ماتم على الخلق من اهلاك العدو واغواؤه) واضلاله (فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لأصله ان سلم) من الكدورات (ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم) بما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله انما قلتم الى الارض فامتنعتم من الخروج أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتنع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى عليه السلام (وكل كتاب منزل ما أنزل الادعوة الخلق الى الملك الدائم الخالد) روى عبد بن جريد وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساکر من حديث أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربع كتب أنزل على شيث خسين صحيفته وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كتابا قلت فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها قلت فهل أنزل الله عليك شيئا ما كان في صحف ابراهيم وموسى قال نعم قد أفغ من تزكي وذكرا سم ربه فصلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما لك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها) بقدر ما يبلغه الى الآخرة

مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة) وهو أعلى النسم الموهوبة وأشرفها (ومن يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب الأبقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وأمن الأخوف فيه وغنى لا فقر فيه وكما لا نقصان فيه) او قدرة لا عجز فيها وعلم لا جهل فيه واليه الاشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا في الجنة الآية ولا يمكن الوصول لذلك الا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها (وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعز والعلو والكمال لا محالة ولكن الملك ملك مشوب بأنواع الآلام) والا كدار (ولمخوف بسرعة الانصرام) أي الانقطاع (وايكفه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم) أي لا يخالطه (ولا يقطعه قاطع ولكنه أجل) أي متأخر (وقد خلق الإنسان عجولا واغبا في العاجلة) كما في نص القرآن (جاء الشيطان ونوسل إليه بواسطة الجملة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة ونوسل إليه بواسطة الحق) وهو فساد جوهر العقل (فوعده بالغرور في الآخرة ومنامه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاخر (من أتبع نفسه هواها وغنى على الله) الاماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (فالتخددع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر ما كانه ولم يتدل الموفق بنجل غروره) اذ علم مداخل مكره (ومطاولى خدعه) فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقيل وفي نسخة فعبر تعالى عن المخذولين وقال (كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة) أي يدعونها (وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون رءاهم يومئذ فقال تعالى فاعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد العلم) في آيات كثيرة تشير الى أحوال المخذولين عن آثر الدنيا على الآخرة (ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق) وانتشر خدعه اياهم (أرسل الله الملائكة الى الرسل) عليهم السلام (وأوحى) وفي نسخة فأوحوا (اليهم ماتم على الخلق من اهلاك العدو واغواؤه) واضلاله (فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لأصله ان سلم) من الكدورات (ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم) بما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله انما قلتم الى الارض فامتنعتم من الخروج أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتنع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى عليه السلام (وكل كتاب منزل ما أنزل الادعوة الخلق الى الملك الدائم الخالد) روى عبد بن جريد وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساکر من حديث أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربع كتب أنزل على شيث خسين صحيفته وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كتابا قلت فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها قلت فهل أنزل الله عليك شيئا ما كان في صحف ابراهيم وموسى قال نعم قد أفغ من تزكي وذكرا سم ربه فصلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما لك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها) بقدر ما يبلغه الى الآخرة

على الخلق من اهلاك العدو واغواؤه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لأصله ان سلم ولادوام له أصلا فنادوا فيهم يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فامتنع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل الادعوة الخلق الى الملك الدائم الخالد والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما لك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها

وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخره ضربتان ولعله بان الدنيا لاتسليم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهمما تسلم وتم الأسباب ينقضى العمر حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت ووطن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه (٤٠) الرياح والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى

(وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس) يشير الى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (والشيطان قديدهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخره ضربتان) أي بمنزلة ان أرضيت احدهما سخطت الاخرى وهكذا مثلهما على رضى الله عنه وتقدم في كتاب العلم (ولعله بان الدنيا لاتسليم له أيضا) لانه يفارقها عن قرب (ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه) والرياسات (ثم مهمما تسلم وتم الأسباب) لما يوافق راحته وهواه (ينقضى العمر) وينتهي (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت ووطن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصيدا) أي محصودا منكسرا (كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما) أي يابس منكسرا (تذروه الرياح) وكان الله على كل شيء مقتدرا (والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه) أي منعه (ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينتقد ان لباعث الدين ولاشارة الايمان) فلا يتخلو عن مقتضاهما (وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا) كاملا (وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه ووطنه وسائر أغراضه) ومهمماته (فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنته) أي حلقومه (الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة) مكابلى وجهه (ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة) لك الينا (قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك قال) كيف ذلك (قلت أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ووطنك وقدم ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخمدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا (فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط) والاشتباه (في ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبسه) ونحده ومكره (فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والاعراض عنهم والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينتقد ان لباعث الدين وشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه ووطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنته الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبيدى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ووطنك وقدم ملكك هؤلاء

كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخمدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه بيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

الجاء حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحرر كمن لم يفعل هذا فقد كفر
نعمة الله في سعة الأرض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثاني ان يكاف نفسه في أعماله أفعالا تتخالف ما اعتاده
فيبدل التكاف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء
بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بقاضاها حتى يرسخ باعتبار ذلك ضد ما رسخ فيه من (٤١) قبل باعتياده فلامعنى للمعالجة الا

المضادة * الثالث ان يرمى

في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدرج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقع في الصلوات التي رسخت فيه والى هذا التدرج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته فان المنبت (وهو من انقطع به في السهر وعطبت راحلته) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى أي فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به رواء أحد والبرار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقدرى تختصرا من حديث أنس ان هذا الدين متين فاعغلوا فيه برفق رواء هكذا أحد والضياء وروى ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته فان المنبت لا يقطع سفرأولا يستبق ظهر رواء البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته ر. بك فان المنبت لا سفرأقطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا هو مارواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولة ومرسلات فواعملوا فيه واضطربوا رج البخاري في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تسادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه) رواء البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان يشاد هذا الدين أحد الاغلبة فسدوا وقاربوا وقد تقدم ايضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع المهلكات واتخذة دستوروك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الأحاديث طول ومن راعى التدرج) والتلطف (يرقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

الجاه حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحرر كمن لم يفعل هذا فقد كفر
الحسان (المحرر للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمته الله في سعة الأرض اذ قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكاف نفسه في أعماله افعالا تتخالف ما اعتاده فيبدل التكاف بالتبذل) وهو خلاف التصون (وزي الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بما يناقضها) وفي نسخة بنقاؤها (حتى يرسخ باعتبار ذلك ضد ما قدر رسخ فيه من قبل باعتياده فلامعنى للمعالجة المضادة الثالث ان يرمى في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل) وترك التكاف (فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الا بالتدرج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقع في الصلوات التي رسخت فيه والى هذا التدرج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين) أي صلب شديد (فاوغل فيه برفق) أي سرفيه من غير تحمل مالا تطيق ولا يغال السير الشديد والوغل الدخول في الشيء (ولا تبغض الى نفسك عبادته الله تعالى فان المنبت) وهو من انقطع به في السهر وعطبت راحلته (لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) أي فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به رواء أحد والبرار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقدرى تختصرا من حديث أنس ان هذا الدين متين فاعغلوا فيه برفق رواء هكذا أحد والضياء وروى ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته فان المنبت لا يقطع سفرأولا يستبق ظهر رواء البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته ر. بك فان المنبت لا سفرأقطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا هو مارواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولة ومرسلات فواعملوا فيه واضطربوا رج البخاري في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تسادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه) رواء البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان يشاد هذا الدين أحد الاغلبة فسدوا وقاربوا وقد تقدم ايضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع المهلكات واتخذة دستوروك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الأحاديث طول ومن راعى التدرج) والتلطف (يرقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

(٦ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الاحاديث طول ومن راعى التدرج يرقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

العارفين انه سال) أبا بكر (السبلي) قدس سره (في الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله) وهو الصبر
 على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بأنواع الطاعات (فقال لا قال الصبر لله)
 تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في حل ما يرد منه مراض بذلك (قال
 لا قال الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة (قال لا قال فابش) أي أي شيء هو
 (قال الصبر عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تقربيه اليه فيسلازم الباب ويتمرغ في التراب
 (فصرخ السبلي صرخة كادت روحه) ان (تتلف) لان قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر
 مذموم وهذا قد أورد القشيري في الرسالة سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت علي بن عبد الله البصري
 يقول وقف رجل على السبلي فقال أي صبر أشد على الصابر بن فذكره وقال بعضهم الصبر لله ما كان في
 أول العبادات والصبر مع الله ما كان في اثنائها والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها (وقد قيل في معنى
 قوله تعالى اصبر وادابر وادابر ابطوا أي اصبروا في الله) تعالى أي في طاعته (وصابر وباللله) تعالى أي
 بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أي بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصابرة
 والمصابرة دون المراقبة وقيل اصبر وابغضواكم على طاعة الله وصابر وابقلواكم على البلوى في الله ورابطوا
 بأسراركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها رباطك وما دون الله تعالى اعداؤك فاحسن
 المراقبة في رباط حالك وقيل المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيجوز الصبر عن
 الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا
 كل ذلك نقله القشيري (وقيل الصبر لله عناء) أي مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) أي عون منه (والصبر
 مع الله وفاء) لما امتحن به (والصبر عن الله جهالة) أي بعدد اعراض عنه نقله القشيري وزاد بعد قوله
 بقاء والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر
 (والصبر عنك فمذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود)

العارفين انه سأل الشبلي
عن الصبر أياه أشد فقال
الصبر في الله تعالى فقال
لا فقال الصبر لله فقال لا
فقال الصبر مع الله فقال
لا قال فابش قال الصبر عن
الله فصرخ الشبلي صرخة
كادت روحه تتلف وقد قيل
في معنى قوله تعالى اصبروا
وصابر واو را بطوا اصبروا
في الله وصابر وباللّه ورا بطوا
مع الله وقيل الصبر لله غناء
والصبر بالله بقاء والصبر مع
الله وفاق والصبر عن الله
جفاء وقد قيل في معناه
والصبر عنك فذموم وعواقبه
والصبر في سائر الاشياء محمود
وقيل أيضاً
الصبر بحمل في المواطن كلها
الا عليك فانه لا يحمل
هذا آخر ما أردنا شرحه من
علوم الصبر وأسراره

وكيف الصبر عن حل مني * بمنزلة اليمين من الشمال
إذا لعب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال
(وقيل أيضا) (والصبر يحمد في المواطن كلها * إلا عليك فإنه لا يحمد)
أورده القشيري بعد قوله وقال يحيى بن معاذ الرازي صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجبها كيف
يصبرون وأنشد فذكره وقال الشيخ عبد الله الانصاري ومن أضعف الصبر الصبر بالله وهو صبر العامة وفوقه
الصبر بالله وهو صبر المريدين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه أن صبر
العامة لله أي رجاء ثوابه وخوف عقابه وصبر المريدين بالله أي بقوة الله ومعونته بهم لا يبرون لأنفسهم
صبرا ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بلا حول ولا قوة إلا بالله علما ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أي على
أحكامه هذا تقرير كلامه قال صاحب البصائر والاصواب أن الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل
شأنًا فإن الصبر لله متعلق بالالهية والصبر به متعلق بربوبيته ومتعلق بالالهية أكمل وأعلى مما تعلق
بربوبيته ولأن الصبر له عبادة والصبر به استعانة والاستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها
والوسيلة مرادة لغيرها ولأن الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من جهد الحقيقة
الكونية صبر به وأما الصبر به فتنزلة الأنبياء والرسل والصديقين ولأن الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب
مرضئ له والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح فإن
هذا من هذا أو ما تسمية الصبر على أحكامه صبرا عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم
(هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر وأسرارها) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر إليها المصنف

مساهو في كتب الشيوخ قال القشيري في الرسالة قال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله واصبرك إلا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك أحياء وبك أموات وقال ذو النون المصري الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واطهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقبل هو الغنى في البلاء بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذي عود نفسه المحجوم على المكروه وقبل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصبغة كالمقام مع العافية وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستغانة بالله وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنشدني أبو بكر الرازي قال أنشدني ابن عطاء لنفسه

صأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي أن ترضى ويتلفني صبرى

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الصبر كاسمه وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وقال أبو محمد الحريري الصبران لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان انقال المحنة وأنشد بعضهم

صبرت ولم أطلع هو الك على صبرى * وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكوى صميرى صباتى * إلى دمعى سرا فتجربى ولا أدري

وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيداً وان أحيالك أحيالك عز يزاول الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج وفي بعض الاخبار بعيني ما يتحمل المتحملون لاجل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر يعبرين لم أبال أهما ركبت وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال هابة ثم تنقش وسئل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فذب على رجله عقرب وهى تضربه بابرها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم لم تنهأ فقال استحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولأى صبر وفي بعض الاخبار الفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعاني فخالطته بالأجابة فشكاني فقلت عبيدى كيف أرجلك من شئ به أرجلك وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ان الصبر حده ان لا تعترض على التقدير فاما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب مع ما أخبر عنه انه قال مسنى الضر وسمعت يقول استخرج منه هذه المقالة يعنى قوله مسنى الضر ليكون منفصلاً عن هذه الامة وسمعت يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه مسنى الضر الآية لحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرجم الراجمين ولم يصح بقوله أرجمى * واعلم ان الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محظوظاً وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفي معناه أنشد

تبين يوم البين ان اعترامه * على الصبر من احدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا علي يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أى فشأنى صبر جميل ثم لم يمض حتى قال يا أسفا على يوسف الى هنا كله كلام القشيري وقال صاحب العوارف لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر تجرى الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم وظاهره باطن العلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يئمه ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما

و بالصبر تحامل على النفس و بالعلم ترقى الى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وحجة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعني العلم والصبر ميل أحدهما الى الآخر أعني النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلي في أشد الصبر كما تقدم ذكره ثم قال وعندى في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون في أنخص معاملة المشاهدة ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالاً وتطيق بصبرته خجلاً وذو باناً ويتخير في مفاوز استكائته وتخفيه لاحتساسه بعظيم أمر التجلي وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تتكحل بصبرتها باسعة نور الجلال وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الخط الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك الا بالله الى هنا كلام صاحب العوارف وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر قال بعض الصحابة ما اذا جعل الله من الشفاء والفضل في التقوى والصبر قلت وهذا تصيف من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسي قال انما هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم وماذا في الامر من من الشفاء النقاء والصبر يعني بالنقاء حب الرشاد والصبر هو المزمع قال صاحب القوت وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصابرون في الصالحين قليل جعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاماً في الصدق في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية على ان الواو للجمع والصبر ينقسم الى عمليين أحدهما لاصلاح الدين الابه والثاني هو أصل فساد الدين ثم ينشوع الصبر فيكون صاراً على الذي فيه صلاح الدين فيكمله به ايمانه ويكون صابراً على الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر شيء واحد ثم قال فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبه من حقيقة الدين وقدر وينبؤني بأشكر أهل الارض فيجزيه جزاء الشاكرين وينبؤني بآصبر أهل الارض فيقال أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعت لك الاجر عليه فيعطى أضغاف جزاء الشاكرين وجاء في الخبر ان لآبواب الجنة مصراعين يأتي عليها زحام الاباب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وللصبر معنيان أحدهما ممنوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا باصاحبه فن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات اذا لا تقي هو الاكرم عند الله والاكرم عند الله هو الافضل وقيل لسفيان الثوري ما أفضل الاعمال قال الصبر عند البلاء وقال بعض العلماء لا يطعن طامع في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فصبره ولا يطعن أحد في حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثني عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك من أخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبداً أَرْضَى عَمَلَهُ مَدَحَهُ وَوَضَعَهُ فَن ابْتَلَاهُ بِكَرَاهَةٍ وَمَشَقَّةٍ أَوْ

هوى أو شهوة فصر بذلك أو صبر عن ذلك فإنه تعالى يمدحه ويشني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد
 في أسماء الموصوفين ويصير واحداً من المدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختتم له بما سبق له من
 صالح العمل وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة والاصغاء اليه وعكوف الهمم عليه وقوة الوجد
 به وهذا لخصوص المقربين أو جباة أوجباله أو تسليماً له أو تطويلاً اليه وهو السكون تحت جريان
 الأقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء
 بها وهو داخل في قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في
 تأويل قول علي رضي الله عنه ان الله يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الاحكام عن
 الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور الا في مواضع القدر ويقال من
 علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين والصبر أيضاً على اظهار
 الكرامات وهي الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الادب من المعاملات وهذا في معنى
 الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس
 عن حب الجسد والملح والرياسة وقدر وينافي خبر مقطوع الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس
 والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خبره وشهره * واعلم ان أكثر معاصي
 الخلق في شيتين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر عما يكرهون وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة
 بالشر في قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو الصبر
 وهو أول فرضة مثل أول الاخلاص والصبر أيضاً حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا كان بيد غيرك لم
 يكن لك الا الصبر عليه ولان الشيء اذا كان لا يأتيك الا قليلاً قليلاً وأنت تحتاج اليه لم يكن لك الا الصبر
 عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرته لانه لو قوى يقينه كان
 الاجل من الوعد عاجلاً اذا كان الواعد صادقاً لحسن صبره لقوة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد الا
 لاجل معينين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام اصحاب اليمين أو النظر الى
 المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حله النظر
 والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو العمل لاصبر بمنزلة التزهد
 وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام الى
 هنا كلام صاحب القوت وقال صاحب البصائر نقلاً عن بعض المشايخ كان صبر يوسف عليه السلام
 عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على لقاء اخوته اياه في الحب وبيعهم وتفريقهم بينه وبين
 أبيه فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسبه له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر وأما صبره
 عن المعصية فصر اختياره ورضا ومحاربة للنفس ولا سيما مع أسباب تقوى معاهدات المواقفة فإنه كان
 شاباً وداعية الشاب البهاقوية وكان عز باليس له ما يعوزه وبرشهوته وغريباً والغريب لا يستحي في
 بلد غريبته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله ويحسبونه ما لو كانوا المأول ليس وازعة كوازع الحرو والمرأة
 جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهي الداعية له الى نفسها والخريصة على ذلك أشد الحرص ومع
 ذلك توعدته بالسجن ان لم يفعل ففعل هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله من هذا من صبره
 في الحب على ما ليس من كسبه والصبر على اداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات فان
 مصلحة فعل الطاعة أحب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض اليه وأكره
 من مفسدة وجود المعصية * واعلم ان الشكوى الى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب عليه السلام
 وعد بالصبر الجميل والنبي اذا وعد لا يخلف ثم قال انما أشكو نبئى وحزنى الى الله وكذلك أنوب عليه السلام
 أخبر الله عنه انه وجده صابراً مع قوله منسى الضر وأنت أرحم الراحمين وانما ينافي الصبر شكوى الله لا

(الثاني) في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) في بيان الافضل من الشكر والصبر * (الركن الاول في نفس الشكر) *

* (بيان فضيلة الشكر) *
اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاحابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء

الشكوى الى الله كما روى بعضهم يشكوا الى آخر فاقه وضرورة فقال يا هذا تشكرون من يرسل الى من لا يرسل ثم أنشد واذا عترتك بلية فاصبر لها * صبر الصبريم فانه بك أرحم واذا شكركم الى ابن آدم لا كما * تشكروا الرحيم الى الذي لا يرحم والله أعلم * (الشرط الثاني من الكتاب في الشكر) * وهو المقام الثالث من مقامات اليقين (وله أركان ثلاثة الاول في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه الثاني في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة الثالث في بيان الافضل من الشكر والصبر الركن الاول في نفس الشكر) وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه * (بيان فضيلة الشكر) *

(اعلم) وفق الله تعالى (ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه) العز يز وأمر به (مع انه) تعالى عظيم الذكركم حيث (قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) فصار الشكر أكبر لا تترانه به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي خرج في لفظ المجازاة لتحقيق الامر وعظيم الشكر لان الغاء للشرط والجزاء والكاف المقدمة للتمثيل فتقوله تعالى فاذكروني متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى (وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجوهما العذاب (وقال تعالى وسنجزي الشاكرين) وقال أيضا وسنجزي الله الشاكرين (وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو) طريق (الشكر) هذا أحد الوجوه في الآية نقله صاحب القوت وقال فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل الى الله تعالى لماعمل العدو في قطعه (ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين) فلولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك (و) كذلك (قال تعالى وقليل من عبادي الشكور) كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس غنه فاتبعوه الا فرى ايمان المؤمنين وفي الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الا على اثنين قال في وصف ابراهيم عليه السلام شاكر الانعمه وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا (وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكر ولم يستثن) فيه (فقال) واذا تأذن ربكم (لئن شكرتم لازيدنكم) ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاحابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء

من الآيات قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا واختلف فيه فقيل هو منصوب على التمييز والمعنى اعملوا ما تعلمونه شكر الله وقيل هو مفعول لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا والنبه على التزام الانواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وساير الجوارح وقال الله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى والله اخرجكم من بطون أمماتكم الى قوله لعلكم تشكرون وقال تعالى ان في ذلك لآية لكل صبار شكور وقال تعالى وان تشكروا يرضه لكم فجعل رضاه عن عباده مشروطا بالشكر وهي منقبة عظيمة (وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) قال العراقي علقه البخاري وأسند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي أسنده اختلاف اه قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ولفظ الترمذي حسن غريب وأما لفظ ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الاسلمى وله حجة الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر وقد رواه كذلك أحمد والدارمي والبخاري والطبراني والضياء وسنة ضبطه بالفتح على الصواب وقد أشار الحافظ الى الاختلاف الواقع في سنده في الاصابة فراجع (تنبيه) * قال الطبري قد تقرر في علم المعاني ان التشبيه يستدعي جهة جامعة والشكر نتيجة النعمة كما ان الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر * وجوابه انه ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم ان ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم فازيل توهمه به يعني هما سيان في الثواب ولان الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى وجس نفسه على محبة المنعم بالقلب واظهارها باللسان فالدرجة الصابر فالتشبيه واقع في جس النفس بالمحبة والجهة الجامعة جس النفس مطلقا (وروى عن عطاء بن أبي رباح) فيما أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أبو الحسن الصفار حدثنا الاسقاطي حدثنا مخاب حدثنا يعلى عن أبي جناب عن عطاء (قال دخلت على عائشة رضي الله عنها) مع عبيدين عمر (فقلت) يا أم المؤمنين (أخبرينا بما يحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شيء من شأنه لم يكن عجبا) انه (أما لي ليله قد دخلت معي في فراشي أوقالت في لحاف حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني (أعبد لبي قالت قلت اني أحب قربك مني) ثم وافقته في مطلوبه (لكني أو نهو الـ فاذا نزلته) فيه (فقام الى قربة) من (ماء) وكانت معلقة خلفها (فتوضأ) منها فلم يكثر (صب الماء) أي توضأ وضوء أخفيا ولفظ الرسالة فاكثر صب الماء أي على أعضائه فاحسن وضوءه (ثم قام يصلي فبكي) وهو قائم (حتى سالت صموه على صدره ثم ركع فبكي) وهو راكع (ثم رفع رأسه فبكي ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكي فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذا نزل بالمداد أي أعلمه (بالصلاة) أي صلاة الفجر (فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك) أي أبكي (وقد أنزل الله علي ان في خلق السموات والارض آية) قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزي وفيه ابن جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء دون قوله وأي شأنه لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث اه قلت لقد ابعد الشيخ النجعة وهذا قد أخرجه عبيد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكير وابن حبان في صحيحه وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال قلت لعائشة أخبريني الحديث وفي آخره ثم قال ويل ان قرأها ولم يتفكر فيها ولفظ الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن حجر في شرح الشمايل وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم في سبب تحمله المشقة في العبادة ان سببها ما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم ان لها سببا آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لها مع المغفرة واجزال

(وأما الانجيل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بما يحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أنا في ليله قد دخلت معي في فراشي أوقالت في لحاف حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أعبد لبي قالت قلت اني أحب قربك مني لكني أو نهو الـ فاذا نزلته فقام الى قربة ما فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى سالت صموه على صدره ثم ركع فبكي ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكي فلم يزل كذلك يبي حتى جاء بلال فاذا نزل بالمداد أي أعلمه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض آية

صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يحبره من النار فاجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالخجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء فقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن وأوحى الله تعالى الى أبواب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ

النعمة وهو اعنى الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل الجهود فن آدم ذلك كان شكورا وقيل ما هم ولم يغز أحد بكمال هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الانبياء عليهم السلام وانما ألزموا بذلك في الجدة في العبادة وعظيم الحسنة لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلا ومنه من غير سابقة توجب استحقاقها اداء بعض الشكر والاحقوقه تعالى أعظم من ان يقوم بها أحد من خلقه (وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع أبداً والى هذا السريش يروى) في بعض الاخبار (انه من بعض الانبياء) من بنى اسرائيل (بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه) لمخالفة العادة (فانطقه الله تعالى) معه فسأله عن سبب ذلك (فقال منذ سمعت قوله) تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وقودها الناس والحجارة) فاما أبكى من خوفه) أى من خوفى اياه ان يجعلنى من تلك الحجارة قال (فسأله) تعالى (ان يحبره من النار فاجابه) بوحى منه اليوم علم الجبر بذلك (ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك) الحال (فقال لم تبكى الآن) وقد غفر الله لك بدعائى (فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور) هكذا نقله القشيري في الرسالة وأنشدوا في المعنى هجم السرور على حتى انتى * من فرط ما قد سرى أبكافى

يا عين صار الدمع عندى عادة * تبكين في فرح وفى أحزان

و يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (وقال العبد كالخجارة) أى فى شدته وبيسه (أو أشد قسوة) منها وذلك بنص القرآن (ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا) فانه يلينه ويزيل صلابته (وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون) أى كثيرى الجدة لله تعالى على نعمه (فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل) يا رسول الله (ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء) قال العراقى رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى الى الجنة الجادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اه قلت لفظ الطبراني أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الجادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه (وقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن) هكذا هو في القوت وقال العراقى لم أجده أصلا وفي الصحيح الكبير باعراؤه وقد تقدم في العلم (وأوحى الله تعالى الى أبواب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل) هكذا هو في القوت قال وقدروى بناق أخبار أبواب عليه السلام ان الله سبحانه وأوحى اليه فذكره (وأوحى الله اليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم) نقله صاحب القوت فقال وروى بناق مناجاة أبواب عليه السلام ان الله تعالى وأوحى اليه في صفة الصابر فذكره وهذا غاية الفضل (ولما نزل في الكنوز ما نزل) وهو قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة الآية (قال عمر رضى الله عنه فأى المال نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذا كراو قلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر) واقتناؤه مالا في الآخرة (بدلا عن المال) في الدنيا وشكر القلب هو مشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة عذبة منه وانعطاء عنه لأن الشكر عند انشاكرين معرفه القلب وصفه لا وصف اللسان كذا في القوت وقد عزاه الى ثوبان وعمر رضى الله عنهما قلت رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا لسانا ذا كراوز وجه مؤمنة تعين على أمر الآخرة وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (الشكر نصف الايمان) وقد روى من حديث أنس مرفوعا الايمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر رواه الديلمي والبيهقى وقد تقدم قريبا من الاخبار الواردة في الشكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعاذنى أحبب فلا تنس ان تقول في دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفي الترمذى من بعض دعائه المشهور

* (بيان حد الشكر وحقيقته) * اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو الفرح بالحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود بالمنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع (٤٩) ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما

قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه (فالاصل الاول) العلم وهو علم ثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم وجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما في حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة راء التوحيد والتقدس اذ دخل التدريس اذ دخل التدريس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الاعمان التدريس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد) وهي الرتبة الثانية (ثم يعلم ان كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي افاض الوجود عليه (بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الاعمان (اذ ينطوي فيها مع التدريس والتوحيد كمال القدرة والافراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الاذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لان الجدا على من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتخر به كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر انتهى قلت ورواه كذلك الحاكم وعند البيهقي وابن النجار أفضل الدعاء لا اله الا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شيء من الاذكار نضاعف ما نضاعف الحمد لله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي قال يقال ان الجدا أكثر الكلام تضعيفا (ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان به هذه

ربا جعلني لك شكارا لك ذكراك رها بالك مطواعا لك محبا باليك أوأها منياد في حديث عمر الجدي على النعمة أمان لزو الهاد في حديث ابن عمر والجدرأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمد

* (بيان حد الشكر وحقيقته) *

(اعلم) انهم قد اختلفوا في الفرق بين الحمد والشكر أمهما افضل وفي الحديث المتقدم الجدرأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والفرق بينهما ان الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الاسباب ومعنى هذا ان الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة وباللسان ثناء واعترافا والجوارح طاعة وانقيادا ومتعلقة النعم دون الاوصاف الذاتية فلا يقال شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على احسانه وعمله والشكر يكون على الاحسان والنعم فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فان الشكر يقع بالجوارح والحمد باللسان فاذا عرفت ذلك فاعلم (ان الشكر من جملة مقامات السالكين) وهو الثالث من مقامات اليقين (وهو أيضا) كما تقدم (ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل) وبه ينضج الفرق بين المقامات والاحوال وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة (أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم وأما الحال فهو الفرح بالحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود بالمنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر) على ما سبقت بيانه (قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه فالاصل الاول العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم وجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى (والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة راء التوحيد والتقدس اذ دخل التدريس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الاعمان التدريس) وأعني به تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها (ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد) وهي الرتبة الثانية (ثم يعلم ان كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي افاض الوجود عليه (بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الاعمان (اذ ينطوي فيها مع التدريس والتوحيد كمال القدرة والافراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الاذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لان الجدا على من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتخر به كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر انتهى قلت ورواه كذلك الحاكم وعند البيهقي وابن النجار أفضل الدعاء لا اله الا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شيء من الاذكار نضاعف ما نضاعف الحمد لله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي قال يقال ان الجدا أكثر الكلام تضعيفا (ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان به هذه

(٧ - (اتحاف السادة المتقين) - ناسع) بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار نضاعف مثل ما نضاعف الحمد لله ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان به هذه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه ولا كما غدا الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما (٥٠) بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل

والخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال وانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم اليه شيئا فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس (اذا التسبيح لغة التقديس) والتزنية يقال سبحت الله أي زهته عما يقوله الجاحدون (ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد) اذ معناها لا معبود بحق الا الله (والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق) لا غيره وهو المنعم المطلق (فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين) ومنها يدخل اليهما (واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه) فيتوزع (أي ينقسم) فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك في الحقيقة (نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل أو الخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال فانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته) لو خالفه (لما سلم شيئا) من تلك النعمة (فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده) أي قليلا من النعمة (فهو مضطر) لا محالة (اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي) والبواعث (والتي في نفسه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما أعطاك وان الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد ان خلق الله هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء ما أعطاك ولولم يعلم ان منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها في نفسه) وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم ان كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا) نقله القشيري في الرسالة ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسل بلفظ قال موسى يارب كيف

الدواعي والتي في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد أن خلق الله هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء ما أعطاك ولولم يعلم أن منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

فإذا لا تشكر الابان تعرف أن السكـل منه فان خالـجـك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة بشكر ولكن انما يكون شكري اذا كان حاوية شرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانه يفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة (٥١) أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من

حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظه في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجد في صحراء فاحذه لكان فرحة مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بحاجته حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أصلاً أو استحقاقه له بالإضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساو يعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

شكره قال علم ان ذلك منى فكان ذلك شكره (فإذا لا تشكر الابان تعرف ان السكـل منه فان خالـجـك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده (كما ان المعرفة بشكر) بمفردها (وانما تكون) تلك الحالة (شكراً اذا كان جامعاً لثوابه) أي الشكر (وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً) ليتضح لك به فهم المقصود (فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانه يفرس) من افراسه المتريفة (على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس) للكر والفر (وهذا فرح من لاحظه في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجد في صحراء) مجازاً (فاحذه لكان مثل ذلك الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بحاجته حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أو لاستحقاقه له بالإضافة الى مطلوبه من نيل المحل) أي المتزلة (في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساو يعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضاً بل يريد من الوزارة مشاهدة الملك (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ويعينه عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأن النعمة كالم يرد صاحب (٥٢) الفرس الفرس لأنه جواد ومهم لم يل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه

التي إليها انتهى الآمال والأمانى (وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ومعينة عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه) أي تشغله (عن ذكر الله تعالى وتصدده) أي تمنعه (عن سبيله فإنه ليس يريد النعمة لأن النعمة) وموافقة لطبعه (كالم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد) وأصيل (ومهم لم يل) أي سربع السيف في الركض (بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه) ومكانته لديه (ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة) نقله القشيري في الرسالة أي بأن يكون السابق منها إلى القلب رؤية النعم وهذا كما قال بعضهم ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أي الغالب على القلب رؤية الله ومراقبته فأي شيء حدث فيه لا يكون مذكرا له رؤية الله فإنه ذاكر غير غافل عنه (وقال الخواص) هو أبو إسحق إبراهيم بن أحمد من أقران الجنيد (شكر العامة) يكون (على المطعم والملبس والمشراب) ونحوها من النعم الظاهرة (وشكر الخاصة) يكون (على واردات القلوب) مما يرد عليها من المعاني التي يعرفها الأولياء تصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما وهذا القول نسبة القشيري في الرسالة إلى أبي عثمان سعيد بن اسمعيل الجبيري تلميذ أبي حفص الحداد ولفظه وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني (وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البطن والفرج ومدركات الخواص) الظاهرة (من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة واقفائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلو) ويستكرهها (ويستحلى الأشياء المريرة) البشعة (حتى قيل) فأنه المتنبى

(ومن يك ذا فم من مريض * يجد مرابه الماء الزلالا)

فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فعزى) وهو جار مجرى الامثال (فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بأن يفرح بالنعمة لأن حيث انما نعمة بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به (أما) الدرجة (الاولى) فخارجة عن كل حساب) وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث انما نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه * الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير والصالح (واضماره لكافة الخلق) أي عامتهم (وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه) بأي صيغة كانت (وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله في طاعته والتوفى من الاستعانة بها على معصيته) قال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول سمعت المرتضى يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري العب وأما ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصى الله تعالى بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد فلا تزال أتكى على هذه الكلمة التي قالها السري (حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراهم سلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه) ولفظ الرسالة وقيل شكر العينين ان تستر عيبا تراهم بصاحبك وشكر الاذنين ان تستر عيبا تسمعه فيه (فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء) وهو بيان لشكر هذه الافعال وقال صاحب القوت وأما شكر الحوارج للمنعم

مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشراب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البطن والفرج ومدركات الخواص من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة واقفائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلو ويستحلى الأشياء المريرة كما قيل ومن يك ذا فم من مريض يجد مرابه الماء الزلالا فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فعزى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه * (الاصل الثالث) العمل بموجب الفرح الحاصل

من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير وضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوفى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراهم سلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء

والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأثور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أجد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي (٥٣) أردت منك وكان السلف يتساءلون

ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فبجته من أهل الدين وكيف لا تقبج الشكوى من ملك المملوك ويبدعه كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فلا حرج بالعبدان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف إلى الشكوى ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء وذلك العبد مملوك لا يقدر على شيء (كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء) ومثله كل شيء (والأحرى بالعبد إذا لم يحسن الصبر إلى القضاء والبلاء وافضى به الضعف) أي ضعف اليقين (إلى الشكوى) ولا بد (ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء وذلك العبد مملوك لا يقدر على شيء) وخزني إلى الله (وذلك العبد مملوك لا يقدر على شيء) واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح (ولفظ القوت يريد علم ان الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وان الطامع التذلل اليهم والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للعييب وقيح الذل للذليل كقيح الذل للعدو وقد قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم) والعبادة هي الخدمة والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل ان يظهر فقره وفاقة إلى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لانه علم خبير بحاله يسمعه ويراوه واعلم بما يصلحه منه (فالشكر باللسان) وحسن الثناء وجبيل البشر للنعماء وتعبيد النعم والآلاء (من جلة الشكر) لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاطهار يقال كثر وشكر بمعنى اذا كشف عن غمره وأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه (وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى في أيام خلافته (فقام شاب) من الوفد (ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير) بضم الكاف فهما أي قدموا للتكلم الاكبر فلا كبر وهذا اللفظ قد روى مرفوعا في حديث سهل بن أبي حنيفة رواه الشيخان وأبو داود (فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر) أي التقديم ههنا (بالسن لكان) غيرك مقدما عليك اذ (في المسلمين من هو أسن منك) لعرف فضله ورفعته على من معه (فقال تكلم فقال) يا أمير المؤمنين (اسناوفا الرغبة) أي لطلب لشيء منك (ولا وفدا للرغبة) أي الخوف لشيء فطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أصلها السناضك) ونحن ببلا دناء (وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك) ونحن كذلك ببلا دناء (وأنما نحن وقد الشكر جنتك نشكرك باللسان وننصرف)

المفضل فهو ان لا يعصيه بنعمة من نعمه وان يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بهما على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى بدلوا نعمته الله كفرا قبل استعانوا بنعمته على معاصيه فيكون قد كفرها فالحق لا يقدر ان على تبدل نعمة الله ولكن معناه بدلوا شكر نعمته الله كفرا وهذا من المصير معناه لظهور دليله عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم فالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبدلها لهم لما أمر (والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأثور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد) عليه (السؤال) ثانية كيف أنت فقال بخير (حتى قال) الرجل (في) المرة (الثالثة بخير أجد الله وأشكره فقال) صلى الله عليه وسلم (هذا الذي أردت منك) يعني اظهار الحمد والشكر والثناء قال العراقي روى الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمر مرفوعا نحوه قال في الثالثة بخير أجد الله وهذا معن ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمر وليس فيه تكرار السؤال وقال أجد الله اليك وفيه رشتين ابن سعد ضعفه الجوهري واسود حفظه ورواه مالك في الموطأ وموقفا على عمر باسناد صحيح (وكان السلف يتساءلون) اذا التقوا (عن أحوالهم ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا) بشكره (والاستنطق له به مطيعا) باستخراج اياه منه فيكون شريكه في ذلك لانه سبب ذكره تعالى (وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر الله تعالى) أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فبجته من أهل الدين فمن علمت انه يشكو مولاه ويتكره عند قضاء اذا سأله عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سببا لشكواه وشريكا في جهله وما أقبح بالعبدان بشكوى مولاه (وكيف لا تقبج الشكوى من ملك المملوك) الذي ليس كمثل شيء (ويبدعه) ملكه (كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء) ومثله كل شيء (والأحرى بالعبد إذا لم يحسن الصبر إلى القضاء والبلاء وافضى به الضعف) أي ضعف اليقين (إلى الشكوى) ولا بد (ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء وذلك العبد مملوك لا يقدر على شيء) وخزني إلى الله (وذلك العبد مملوك لا يقدر على شيء) واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح (ولفظ القوت يريد علم ان الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وان الطامع التذلل اليهم والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للعييب وقيح الذل للذليل كقيح الذل للعدو وقد قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم) والعبادة هي الخدمة والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل ان يظهر فقره وفاقة إلى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لانه علم خبير بحاله يسمعه ويراوه واعلم بما يصلحه منه (فالشكر باللسان) وحسن الثناء وجبيل البشر للنعماء وتعبيد النعم والآلاء (من جلة الشكر) لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاطهار يقال كثر وشكر بمعنى اذا كشف عن غمره وأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه (وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى في أيام خلافته (فقام شاب) من الوفد (ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير) بضم الكاف فهما أي قدموا للتكلم الاكبر فلا كبر وهذا اللفظ قد روى مرفوعا في حديث سهل بن أبي حنيفة رواه الشيخان وأبو داود (فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر) أي التقديم ههنا (بالسن لكان) غيرك مقدما عليك اذ (في المسلمين من هو أسن منك) لعرف فضله ورفعته على من معه (فقال تكلم فقال) يا أمير المؤمنين (اسناوفا الرغبة) أي لطلب لشيء منك (ولا وفدا للرغبة) أي الخوف لشيء فطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أصلها السناضك) ونحن ببلا دناء (وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك) ونحن كذلك ببلا دناء (وأنما نحن وقد الشكر جنتك نشكرك باللسان وننصرف)

لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال اسناوفا الرغبة ولا وفدا للرغبة أما الرغبة فقد أصلها اليافضك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك وأنما نحن وقد الشكر جنتك نشكرك باللسان وننصرف

فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع (٥٤) حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع

على ما نحن عليه من فضلك وامتنك نقله القشيري في الرسالة ولفظه وقيل قدم وقد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبير الكبر فقال الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن فذكره وفائدة ذلك التأكيدي في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه فإذا كان المنعم حاضرا والنعم متواليبة والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرا (فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) نقله القشيري في الرسالة ولفظه وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره (فهو نظري في فعل اللسان مع بعض أحوال القلب) فالاعتراف من جملة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان وهو أيضا سبب للشكر لانفسه وقد ذكر القشيري أيضا ان الشكر ينقسم الى ثلاثة أقسام شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو ائصاف بالوفاء والخدمة وسماي ذكر القسم الثالث (وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه) ولفظ الرسالة ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه له (نظر الى مجرد عمل اللسان) لان الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة (وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على ساط الشهود) أي حضور الفضل ورؤيته (بادامة حفظ الحرمة) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كافي الرسالة وحقيقة الشكر انما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الامكان وهو (جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان) الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنع وحفظ الحرمة ولكن هذا سبب للشكر لانفسه وليس بجامع كالقول السابق (وقول جدون القصار) وهو أبو صالح جدون بن أجد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامية بنيسابور رحمه الله بآثاره الخشبي ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين (شكر النعمة ان ترى نفسك في الشكر طفيليا) نقله القشيري أي تضيف النعمة الى فاعلها وتبرأ من اضافتها اليك وهو (اشارة الى ان معنى المعرفة من معاني الشكر فقط) كأنه يرجع الى الاعتراف بالنعمة واصافتها بالمنعم ويقرب منه قول بعضهم الشكر اضافة النعم الى موليا بنعت الاستكانة وهذا أيضا يرجع الى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر (وقول الجنيد) قدس سره (ان الشكر ان لا ترى نفسك أهلا للنعمة) نقله القشيري أي لان من لم بذلك ورأى ان النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله ان يكون شكره جزاء عليها لانه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج الى شكر فهو يتبرأ من ان يكون شاكرا أبدا وهو (اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص) ويقرب منه قول يحيى بن معاذ لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التعبير (وهؤلاء) السادة (أقوالهم تعرب) أي تفصح (عن أحوالهم) التي هي غرات أعمالهم (فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين) مختلفتين (لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الراهن) أي الثابتة في الحال (الغالبية عليهم) في الوقت (اشغالهم بآعمالهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه) فمن ذلك قول بعضهم حقيقة الشكر نطق القلب واقراءه بانعام الرب وقيل هو الاستقامة في عموم الاحوال وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال رويم الشكر استفرغ الطاعة وقيل الشكر التلذذ بشئائه على ما لم يستوجب من عطائه وقيل هو قيد مودود موقود وقيل هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم (ولا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان) الذي هو الكشف والاطهار (هل يشمل جميع المعاني) المذكورة (أو يتناول بعضها مقصودا) بالذات (وبقية المعاني تكون

فهو نظري في فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر كراهيانه نظري في مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على ساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان وقول جدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيليا اشارة الى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص وهو لا أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الراهن الغالبية عليهم اشغالهم بآعمالهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في

ولسنا نشك في الامر بن جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لادو عليه السلام وكذلك لما رمى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأمالا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي اللفظ آخر وشكركي لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فوحي الله تعالى اليه اذا عرف هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكر فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معني ما وحي اليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكر او كان الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثابتة

واسئنا نشارك في الامر من جميعا والشروع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخطر قد خطر لاد اودع السلام فقال يارب كيف أشكرك وألا أستطيع أن أشكرك الابنعمة ثانية من نعيمك وفي اللفظ آخر وشكرك على الشكر لك فواحي الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعمة منى رضىبت فهى السؤل وفهى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صاوشكر او كما أن الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر (٥٦) عن ذلك السرفيه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن ذلك السرفيه (لذته وغرضه) فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا (وهي أعلى علوم المعاملة) لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها (ولكننا نشير الى ملاح) وإشارات (ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعانه الشاكر وانه المشكور) فاما كونه المشكور فظاهر وأما كونه الشاكر فانه هو الموفق لعبيده لان يشكروا وهو الذي ألهمهم على ألسنتهم وقلوبهم الشاء له فهذا الاعتبار يسمى شاكرا (فانه المحب وانه المحبوب) كما يشير لذلك قوله تعالى يحبهم ويحبونه (وهذا انظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا) وهذا النظر لمن رقى من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكمل معراجة فرأى بالمشاهدة العيانة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ألا وأبدا لا يتصور الا كذلك (لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير) ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته (فلا وجود له بل هو) عدم محض و (محال ان يوجد) واذا اعتبر من الوجه الذي يسرى اليه الوجود من الاول روى موجودا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه وجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجهه الله موجود فاذا لا موجود اذا لله ووجهه فاذا كل شيء هالك الا وجهه ألا وأبدا وقد اشار اليه المصنف بقوله (اذا الموجود المحقق هو القائم بنفسه) أو بذاته (وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم) وبيان ذلك ان الاشياء تنقسم الى مالا يقوم بنفسه ويفتقر الى محل كالاعراض والاصناف فيقال فيها ما انها ليست قائمة بانفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال قائم بنفسه كالجواهر والان الجوهر وان استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده ويكون شرط في وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يتحج مع ذلك الى محل فان كان موجودا يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور الا لاشياء وجوده ولا دوام وجوده لانه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) الفرد الاحد جل شأنه (فان نظرت من هذا المقام عرفت ان السكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب) فانك ان نظرت الى معنى الشاء فتشاء كل من على فعل غيره والله تعالى اذا انى على أعمال عباده فقد انى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان الذي أعطى فائتي شكورا فالذى أعطى واثني على المعطى أحق أن يكون شكورا (ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب) البجلي البصري أبو عمر تزيل الكوفة تقدم ذكره (حيث قرأ) قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني) فهذه ثناء الله على عباده وهو (إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الحسن (الميهني) صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري مات بمهنة وهي بكسر الميم وسكون المشاء الختيسة وهاء مفتوحة ونون قرية بخباران بين سرخس

قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملاح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعانه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا لان الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور الا لاشياء وجوده ولا دوام وجوده لانه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) فان نظرت من هذا المقام عرفت أن السكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأنا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني

وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأنا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني

حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقاك فلا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنيعه فان أحبه فما أحب الا نفسه واذا لم يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبير (٥٧) الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى

فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى ففى لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أوطال من الخبز فيضحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعانى كلامهم وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وآلية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلا عليهم حافطين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم غدا أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا

وأبيورد سنة ٣٣٠ (حيث قرئ بين يديه) قوله تعالى (يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم) ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه) فهو قد (أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب) وفى تقديم يحبهم إشارة الى أنه لولا سبق محبته لنالوا أحبيته (وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقاك فلا يخفى عليك ان المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنيعه) بيد قدرته وبديع حكمته (فان أحبه فما أحب الانفسه) بهذا الاعتبار (فاذا لا يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب) وهو يفتح بابا عظيما من علوم المكاشفة (وهذا كله نظر بعين التوحيد) المحض وهو الذى أشار اليه حبيب بن أبى حبيب وأبو سعيد الميمنى (وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى) وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه فيغيب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره وارادته فلا يرى للغير وجودا الا بالحق (ففى لا يفهم هذا) ولا يدركه (ينكر عليهم) يجمود ذهنه (ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم عدة أوطال من الخبز) ويشرب كذا وكذا من الماء (فيضحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعانى كلامهم) وغفلتهم عن أحوالهم (وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين) أى يكونوا من يضحك عليهم (والية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون (واذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضا وبشرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أى ملتذين بالسخرية (واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون) فنسبهم الى الضلال (وما أرسلا عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (ثم بين ان ضحك العارفين عليهم أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذ لا هم مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم أخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم (على الارائك ينظرون) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (وكذلك أمة نوح عليه السلام) لما أراد الله اهلاكهم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة (كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة) ويستهزئون به (فقال) عليه السلام (ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا أحد النظرين) المذكورين (النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون) المحبسون بحض الظلمة (وعماهم فى كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم) المطلق (الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلما أنهم من حيث هم لا ثبات لهم) ولادوام لوجودهم بل (لا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلي الموجد (لامن حيث وجدوا وافرقت بين الموجود) بنفسه (وبين الموجد) بإيجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد

(٨ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلما أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وافرقت بين الموجود وبين الموجد وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان فلا يبق الا وجهه بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عساها لم يصبرها فافنا غير الموجود الحق فاثبت وجوده آخ مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذى قبله جاحد تحقيقا فان جاز حذ العمى الى العمش ادرك تفاوتين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت (٥٨) والبعض من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كل بصره بما يزيد في

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان (فلا يبق الا وجهه بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عساها لم يصبرها فافنا غير الموجود الحق فاثبت وجوده آخ مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا) لانه أشرك مع الله تعالى موجودا آخر (كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا) لانه جحد ما هو الحق الثابت (فان جاز حذ العمى الى العمش) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع (أدرك تفاوتين الموجودين فاثبت عبدا وربا) وقسم الموجود الى واجب ويمكن (فهذا القدر من اثبات التفاوت) بين الموجودين (وبالعوض من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد) أى أوائله (ثم ان كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عشه) وسيلان دمه (وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يقضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين) وتختلف مشاربهم وأذواقهم (وكتب الله المنزلة على رساله هى الكحل الذى تحصل به أنوار الابصار) وبهذا الاعتبار سميت أنوارا (والانبياء) عليهم السلام (هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله) الدالة على التوحيد (ومعناه) فى الحقيقة (أن لا يرى الا الواحد الحق) قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (والواصلون الى كمال التوحيد الاولون والجاهدون والمشركون أيضا قائلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولوا ضعيفا) هم هذا الخيال القائم فى اذهانهم (والمستوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال) والاحيان (فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف) يذهب سريعاً (لا يثبت) فهو أشبه شئ بالاحوال (وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا) فيكون أشبه شئ بالمقامات (ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز) كما قبل (لكل الى شأ والعلا حركات * ولكن عز نرى الرجال ثبات)

أنواره فيقل عشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يقضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على أسنة رساله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاولون والجاهدون والمشركون أيضا قائلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له (كلا لا تطعموه) اسجد واقترب (أى دم على سجودك وتقرّب من ربك وقال مجاهد أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول اسجد واقترب أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولماسجد (قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك ورضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه مسلم من حديث عائشة بلفظ أعوذ برضاك من سخطك وبعباداتك من عقوبتك والباقي سواء وقد تقدم (فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بنفسه عنه عن فعله) وهذا قسم من الفناء المطلق وهو ان يتجلى الحق لعبده بطريق الافعال ويسلب عنه اختياره

وارادته

دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأواله الحركات * ولكن عز نرى الرجال ثبات ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له واسجد واقترب قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بنفسه عنه فعله

ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهماصفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترّب ورتق من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ (٥٩) بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية

فعل وصفة ولكنه رأى نفسه

فارا منه اليه ومستعيذا

ومثليا ففني عن مشاهدة

نفسه اذ رأى ذلك نقصانا

واقترّب فقال لأحصى ثناء

عليك أنت كما أثبتت على

نفسك فقوله صلى الله عليه

وسلم لأحصى خبر عن فناء

نفسه وخروج ع-ن

مشاهدتها وقوله أنت كما

أثبتت على نفسك بيان انه

المثني والمثنى عليه وان

الكل منه بدا واليه يعود

وأن كل شيء هالك الا وجهه

فكان أول مقاماته نهاية

مقامات الموحدين وهو أن

لا يرى الا الله تعالى وافعاله

فيستعيذ بفعل من فعل

فانظر الى ماذا انتهت نهايته

اذا انتهى الى الواحد الحق

حتى ارتفع من نظره

ومشاهدته سوى الذات

الحق ولقد كان صلى الله

عليه وسلم لا يرى من رتبة

الى أخرى الا يرى الاولى

بعد الاضافة الى الثانية

فكان يستغفر الله من

الاولى ويرى ذلك نقصاني

سلوكه وتقصير في مقامه

والله الاشارة بقوله صلى

الله عليه وسلم انه ليغان على

قلبي حتى استغفر الله في

اليوم والليلة سبعين مرة

فكان ذلك لترقيته الى سبعين

وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا بالحق (ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما) أى الرضا والسخط (صفتان) من صفات الله تعالى (ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترّب فرقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارار منه اليه ومستعيذا ومثليا ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترّب فقال أنت كما أثبتت على نفسك لأحصى ثناء عليك) أى انى لا أطيق بحمادك وصفات الهيتك وانما أنت المحيط بهم اوجدك (فقوله لأحصى خبر عن فناء نفسه وخروج وجهه عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثبتت على نفسك بيان انه المثني وهو المثني عليه) وهو الذى أشار اليه الصديق رضى الله عنه حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك (وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه) وانه لا يحيط بخلق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة (فكان أول مقامه) صلى الله عليه وسلم (نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى) في الوجود (الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق) وهذا المقام غاية ما ينتهى اليه من تله مقام الفناء المطلق (ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة الى أخرى الا يرى الاولى بعدا) من الله تعالى (بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى ذلك نقصاني سلوكه وتقصير في مقامه) وهو من باب حسنات الارباب سيئات المقرين (والله الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث الاغربين بشار المزني بلفظ انه ليغان على قاي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقد تقدم في كتاب التوبة وقبله في كتاب الدعوات (فكان ذلك لترقيته الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكنه كان نقضا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك) وقد تقدم الكلام عليه (ولما قالت عائشة رضى الله عنها) للنبي صلى الله عليه وسلم (قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فهاذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا) رواه أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبله - ذا تسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وهو كذلك في الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبه وقوله أفلا أفعله لا أكون عبدا شكورا فالحق ان المغفرة سبب ذلك التكلف شكر فكيف أتركه بل أفعله لا أكون مبالغيا في الشكر بحسب الامكان البشرى ومن ثم أتى بلفظ العبودية لانها أخص أوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا ذكرها تعالى في أعلى المقامات وأفضل الاحوال اذ هي مقتضى النسبة المستلزمة للقيام باعلى الخدمة وهو الشكر اذا العبد اذا لاحظ كونه عبدا وان ماله كمع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو (معناه) أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال لنشكركم ثم لا يزيدكم) وقد تقدم قريبا وقبل تقدير الكلام اذا أنعم على بالانعام الواسع أفلا أكون عبدا شكورا أى ايصير هذا الانعام سببا لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والاستغفار لانكار سببية مثل هذا الانعام لعدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه ويصح أن يكون التقدير غفر لي ما تقدم وما تأخر لعله بانى أكون مبالغيا في عبادته فاكون عبدا شكورا

مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق واسكن كان نقصانا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضى الله عنها أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهاذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا معناه أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لنشكركم ثم لا يزيدكم

واذ تغافلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يدين بعلم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثل فاقول يمكن ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه مر كوا بملبوسا ونقد الاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له (٦٠) عناية في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد

في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى فيه غناه وغنيته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به فنزل العبد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بحسب رد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمة التي ارادها الملك منه وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآتوا الزكاة فاذانهم الله تعالى) آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

فلا أكون كذلك وهذا قريب من الاول (واذ قد تغافلنا في بحار) علوم (المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يدين بعلم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه) آتفا (ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله) من أوله الى آخره (تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثل) يضرب لك (فأقول يمكن ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه مر كوا بملبوسا ونقد) من المال (لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم) ذلك العبد (ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى فيه غناه وغنيته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به بانتفاعه بنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى لتزجيه عن الافتقار والاحتياج الى معين) والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بحسب رد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمة التي ارادها الملك منه وأما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآتوا الزكاة فاذانهم الله تعالى) آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

الزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به بانتفاعه بنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى لتزجيه عن الافتقار والاحتياج الى معين) والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بحسب رد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمة التي ارادها الملك منه وأما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآتوا الزكاة فاذانهم الله تعالى) آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأوفقه بحجة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمته الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها

في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لا تشتملها المحبة والكره بل رب مراد محبوب ورب مراد مكره ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحله إذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن لا مشكور وحظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله (فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذي أعطى وهو الذي أنى) كيبينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعلة الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجوده كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له) ومظهر لتجانيه (وقد وجد بالقدره الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء) لثبوتك في الابعان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت) في الازل (طانا لنفسك شبيهة من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الابعان (فأنت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهيوم ومصروف لما خلق ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنفه فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فقد وقعدنا حوله ومعهم مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرتهم ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فبين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجارى قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأوفقه بحجة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمته الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لا تشتملها المحبة والكره بل رب مراد محبوب ورب مراد مكره ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحله إذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن لا مشكور وحظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله (فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذي أعطى وهو الذي أنى) كيبينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعلة الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجوده كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له) ومظهر لتجانيه (وقد وجد بالقدره الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء) لثبوتك في الابعان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت) في الازل (طانا لنفسك شبيهة من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الابعان (فأنت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهيوم ومصروف لما خلق ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنفه فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فقد وقعدنا حوله ومعهم مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرتهم ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فبين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجارى قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدره الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ اذ كنت أنت طانا لنفسك شيئا من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء فأنشئ اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له يا رسول الله فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجارى قدراته تعالى ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خالق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم (٦٢) شرط لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هو شرط

ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهراً ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجود لغيره بل معمد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى عجلوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما لبنا شئ فكيف نذم وانما السبب الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب حصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله تعالى في دار كرامته (والله تعالى مسبب الاسباب وممرتها) على أبداع نظام (فن سبق له في الازل السعادة) الموعودة (يسرله هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة) وفي نسخة الى الخير (ويعبر عن مثله بأن كلامه ليسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشياطين) فاذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعذبا البخاري بحب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعذبا أي نعم في الحلية عجت لاقوام يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ الا انه قايساقون (فما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه واما من يخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا فاهراً ولا قادراً الا

ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهراً ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجود لغيره بل معمد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى عجلوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما لبنا شئ فكيف نذم وانما السبب الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب حصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله تعالى في دار كرامته (والله تعالى مسبب الاسباب وممرتها) على أبداع نظام (فن سبق له في الازل السعادة) الموعودة (يسرله هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة) وفي نسخة الى الخير (ويعبر عن مثله بأن كلامه ليسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشياطين) فاذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعذبا البخاري بحب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعذبا أي نعم في الحلية عجت لاقوام يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ الا انه قايساقون (فما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه واما من يخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا فاهراً ولا قادراً الا

تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا (والله تعالى مسبب الاسباب وممرتها) على أبداع نظام (فن سبق له في الازل السعادة) الموعودة (يسرله هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة) وفي نسخة الى الخير (ويعبر عن مثله بأن كلامه ليسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشياطين) فاذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعذبا البخاري بحب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعذبا أي نعم في الحلية عجت لاقوام يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ الا انه قايساقون (فما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه واما من يخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا فاهراً ولا قادراً الا

الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي من الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعود بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فانه أصل أسباب الهلاك * (بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه) * اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بعرفه فما يحبه (٦٣) الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر

استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما ترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه والتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تتبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فن لا يطالع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو اذراك حكمه الله تعالى في كل موجود خلقه اذا خلق شيئاً في العالم الا وفيه محكمة وتحت المحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك المحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكما لعلم بان المحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً أي ظرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحويل المعيشة أو حياة يعيشون فيها عن النوم (والليل لباساً) أي غطاء يستر بظلمته من أزد الاختفاء (فتتيسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جلة حكمه الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة) لا يطالع عليها الأهل البصيرة (وكذلك معرفة المحكمة في الغيم) وهو السحاب المستخرج بين السماء والارض (ونزول الامطار) منه وذلك (كاشفاق الارض بأنواع النبات مطعمها الخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى) في تعداد النعم الخارجية فليتنظر الانسان الى طعامه (انا صبينا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقاً) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلًا آية) ونماها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

الملك الجبار) جل شأنه (فاذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين وشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي من الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص) وقال في مشكاة الانوار عند ذكر حقيقة الحقائق ان أهل المشاهدة العيانة لا يقترون الى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري من الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً (ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعود بالله الحليم الكريم من الجهل والعماء فانه أصل أسباب الهلاك) (بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه) * (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بعرفه ما يحبه) الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه (ومراضيه قال القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنييد يقول كان السري اذا أراد ان ينفعني سألتني فقال لي يوماً يا أبا القاسم ايش الشكر فقلت ان لا يستعان بشئ من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من محالستك (ومعنى الكفر نقيض ذلك) اذ حقيقة ستر نعمة المنعم فترك أداء شكرها (اما ترك الاستعمال) فبعدمها عطلة (أو باستعمالها) ايهاا (في مكارهه) ومساخطه (ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار) من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير) صعب المنال (وهو لاجل ذلك عزيز) الوجود (فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تتبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فن لا يطالع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً) لعدم احاطته بجميع الاحكام (وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو اذراك حكمه الله تعالى في كل موجود خلقه اذا خلق شيئاً في العالم الا وفيه محكمة وتحت المحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك المحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكما لعلم بان المحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً أي ظرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحويل المعيشة أو حياة يعيشون فيها عن النوم (والليل لباساً) أي غطاء يستر بظلمته من أزد الاختفاء (فتتيسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جلة حكمه الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة) لا يطالع عليها الأهل البصيرة (وكذلك معرفة المحكمة في الغيم) وهو السحاب المستخرج بين السماء والارض (ونزول الامطار) منه وذلك (كاشفاق الارض بأنواع النبات مطعمها الخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى) في تعداد النعم الخارجية فليتنظر الانسان الى طعامه (انا صبينا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقاً) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلًا آية) ونماها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جلة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة المحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لاشفاق الارض بأنواع النبات مطعمها الخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صبينا الماء صبا ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حبا وعنباً وقضباً

فدقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وجميع ما قوام الدنيا وهما حيران لا منفعة في أعيانها ما ولكن يضطر الملق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه وذلك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج الى جبل يركبه ومن يملك الجبل وما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدر اذ لا يبذل صاحب الجبل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجبل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بشباب أو عبداً بخف أو دقيقتين بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجبل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جداً فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزله حتى اذا تقررت

(٦٥)

المازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجبل يسوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد اذا غرض في اعيانها ولو كان في اعيانها غرض بما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ولم يقتض ذلك في ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقها الله تعالى لتداولهما الايدي ويكونا حاكين بين الاموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها ما شئت عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فإنه لا يملك الا الثوب فقط) فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صح كاف الكيس فالحل حاصل* (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لا لون لها وتحكى كل لون) عنده مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الحكمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(فمقول من) جملة (نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وجميع ما قوام الدنيا) وملاكها (وهما حيران) كسائر الحجارة (لا منفعة في اعيانها) ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه) ومسكنه (وسائر حاجاته) اللازمة (وقد يعجز عما يحتاج اليه وذلك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج الى جبل يركبه ومن يملك الجبل وما يستغني عنه) في بعض الاحيان (ويحتاج الى الزعفران) لحاجة دعته اليه (فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدر) يرجع اليه (اذ لا يبذل صاحب الجبل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجبل حتى يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بشباب أو عبداً بخف أو دقيقتين بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجبل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جداً) وبشبهه أمرها (فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل) وسط (فيعرف عن كل واحد رتبته ومنزله حتى اذا تقررت الممازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما) في المعاملات (فيقال هذا الجبل يسوي مائة مثلاً وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما متساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد في اعيانها ولو كان في اعيانها غرض بما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقها الله تعالى لتداولهما الايدي ويكونا حاكين بين الاموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها ما شئت عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فإنه لا يملك الا الثوب فقط) فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صح كاف الكيس فالحل حاصل* (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لا لون لها وتحكى كل لون) عنده مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الحكمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(٩ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكها فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فإنه لا يملك الا الثوب فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لامعنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

إذا كثرت فذهب ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير ليد خاصة ولا لعمرو خاصة إذا لغرض لا حاد في أعيانها فأنها حيران وانما خلقت للتداول ولهما الأيدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة المقادير بمقومة للمراتب فآخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة) هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يعجزون عن ادراكه فقال تعالى والذين يكتزون الذهب (٦٦) والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير

إذا كثرت فذهب ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير ليد خاصة ولا لعمرو خاصة إذا لغرض لا حاد في أعيانها فأنها حيران وانما خلقت للتداول ولهما الأيدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة المقادير بمقومة للمراتب فآخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة) هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله المرسل اليهم (حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يعجزون عن ادراكه) وفهم معناه (فقال والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة (وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر) ولم ينفق (لان مثال هذا مثال من استخرجوا كم البلد في الحياكة والكس) غيرهما من (الاعمال التي يقوم بها الخساء الناس) وادباؤهم (والحبس أهون منه وذلك ان الحرف والحديد والرصاص والنحاس) وغيرهما من المنطوقات (ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدد) أي تتفرق (وانما) اتخذ (الاولى لحفظ المائعات) والحفظ يحصل بغيرهما (ولا يكفي الحرف والحديد) والرصاص (في المقصود الذي أريد به النقود) في الغالب وان كان يتعامل ببعضها في بعض الاقطار لكن على سبيل التبعية لهما (فن لم ينكشف له هذا) المعنى (كشف له بالترجمة الالهية وقيل انه من شرب في آية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم) لم يصرح المصنف بكونه حديثا وهو متفق عليه من حديث أم سلمة كما قاله العراقي والفظ مسلم من شرب في آية من ذهب أو فضة فأنما يجرح في بطنه نار من جهنم وروى البيهقي في المعرفة والخطيب وابن عساكر من حديث ابن عمر من شرب في آية من ذهب أو فضة أو آية من ذهب أو فضة فأنما يجرح في بطنه نار جهنم وروى ابن ماجه من حديث عائشة من شرب في آية من ذهب أو فضة فأنما يجرح في بطنه نار جهنم (وكل من عامل معاملته الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم) أي تعدى ووضع الشيء في غير موضعه (لانها مخلوقة لغيرهما لا لانفسهما إذا لغرض في عينهما فاذا تجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة) الالهية (اذ طالب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادباة اذ ربح الا لبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فأنما وسيلتان الى الغير لا لغرض في أعيانها ما موقعهما في الاموال كوقع الحرف في الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء معنى في غيره) كما عرفه ابن الحاجب في كافيته (وكوقع المرأة من الاولان فأنما منعه نقد فلجأه أن يبيعه بالنقد فيخذل التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عندئذ وينزل منزلة المكثور وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا لانتخاذ النقد مقصودا لا دخارا وهو ظلم فان قلت فلم جازي بيع أحد النقيدين بالآخر) أي يبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب متفاضلين

آية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر لان مثال هذا مثال من استخرجوا كم البلد في الحياكة والكس والاعمال التي يقوم بها الخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وانما الاولى لحفظ المائعات ولا يكفي الحرف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملته الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانها مخلوقة لغيرهما لا لانفسهما إذا لغرض في عينهما فاذا تجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طالب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب

ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادباة اذ ربح الا لبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فأنما وسيلتان الى الغير لا لغرض في أعيانها ما موقعهما في الاموال كوقع الحرف في الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء معنى في غيره وكوقع المرأة من الاولان فأنما منعه نقد فلجأه أن يبيعه بالنقد فيخذل التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عندئذ وينزل منزلة المكثور وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا لانتخاذ النقد مقصودا لا دخارا وهو ظلم (فان قلت) فلم جازي بيع أحد النقيدين بالآخر

ولم جاز ببيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقيدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم بمثله فجاز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهماتساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري بجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لانخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا (٦٧) ينظم العقد وان طلب زيادة في الرديء

فذلك مما قد يقصده فلا جرم غنمه من غنمه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم يجوز ذلك لانه لا يقدم على هذا الامساح فاصد لاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له جسد واحد ولا يجوز المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها التي خلقت لها فان فسخ باب المعاملة فيها لوجب تغييرها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أرادت له فخالق الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن يخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج اليها ولا يتعامل على الاطعمة أي فيستغنى عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبيع من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش من ذلك حديث ابن عمر المحسرك ملعون رواه الحاكم ومنها حديث أبي هريرة من احتسرك حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله رواه أحمد (نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع) منه (غير معذور) لانهم حاجس واحد (ولكنه عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة) وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبنى على اخذ لافهم هل هو جنس واحد او جنسان فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيهما جنسان فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لان أحدهما لا يسد مسد الآخر وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى هما جنس واحد فلا يجوز بيع

بدايه وهو بالاتفاق لا يبيع الذهب بالذهب منفردا والورق بالورق منفردا أو تبرهما ومضروبا وحليهما الامثلة وزنا بوزن يدايد (ولم جاز ببيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقيدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم بمثله فجاز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهماتساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري بجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء) فلا ينظم العقد وان طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم غنمه من غنمه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم يجوز ذلك لانه لا يقدم على هذا الامساح فاصد لاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له جسد واحد ولا يجوز المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة لا جديها ولا أجرفهوا أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها التي خلقت لها فان فسخ باب المعاملة فيها لوجب تغييرها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أرادت له فخالق الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن يخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج اليها ولا يتعامل على الاطعمة أي فيستغنى عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبيع من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش من ذلك حديث ابن عمر المحسرك ملعون رواه الحاكم ومنها حديث أبي هريرة من احتسرك حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله رواه أحمد (نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع) منه (غير معذور) لانهم حاجس واحد (ولكنه عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة) وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبنى على اخذ لافهم هل هو جنس واحد او جنسان فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيهما جنسان فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لان أحدهما لا يسد مسد الآخر وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى هما جنس واحد فلا يجوز بيع

الذي أرادت له فخالق الله الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن يخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا المستغنى عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبيع من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكن عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة

ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة (٦٨) ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيها هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم

الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنخلق هذا بفن الفقهاء فإنه أقوى من جميع ما أورده في الخلافات وبهذا يوضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات أذلو دخل الحص فيه كانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا المخل لكان مذهب مالك رحمه الله أنوم المذاهب فيه إذ خصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم فترأى الشرع التحديد بجنس المطعم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال (الله تعالى ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام بتحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس) وفي نسخة بحكمة الجسم لها (كادخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية فهذه أمثال واحد

بعضها ببعض الأمثال يمثل يدا بيد ومع جوازه يكون غائبا) ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات يضطر إليها الإنسان أبدا والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة (الذي هو الغذاء) ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيها هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد أشار إلى نحو ذلك القفال في محاسن الشريعة (وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن) الاشتغال في (فن الفقه) وذلك عند خروجه من دار السلام ببيداد (فلنخلق هذا بفن الفقهاء فإنه أقوى من جميع ما أورده في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله تعالى) على غيره (في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات أذلو دخل الحص فيه لكان الثياب والدواب أولى بالدخول فيه ولولا المخل لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه إذ خصه بالاقوات) وتفصيل ذلك أنهم اختلفوا في علة جريان الربا المحرم في غير الأعيان الستة المنصوص عليها فقال أبو حنيفة وأصحابه العلة في الذهب والفضة الوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه إذا باعه متفاضلا كالذهب والفضة ثم يتعدى منها إلى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبههم وقال مالك والشافعي العلة في الذهب والفضة الثمنية فلا يجري الربا عند ههما في الحديد والنحاس وما أشبههما وقال أبو حنيفة في أظهر الروايات عنه وهي اختيار الخرق من الخنابلة وشيوخ أصحابه العلة في الأعيان الأربعة الباقية الكيل والجنس فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت إذا بيع متفاضلا كالخلفة والشعير والنورة والحص والاشنان وما أشبهه وعن أحمد رواية ثانية في علة الأعيان الأربعة أنهم أكل مكيل أو مأكول موزون فعلى هذه الرواية لا ريب في ما يؤكل كل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا في غير المأكول مما يكال ويوزن كالنورة والحص والاشنان وعنه رواية ثالثة في علة الأعيان الأربعة أنه مأكول جنس فعلى هذه الرواية يحرم ما كان ما كولا خاصة ويدخل في التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولا وقال مالك العلة في الأعيان الأربعة كونها مقنات وما يصلح للقوت في جنس مدخر فيدخل تحريم الربا في ذلك كله كالأقوات المدخرة واللحوم والألبان والخلول والزيتون والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر وقال الشافعي في الجديدان العلة في الأعيان الأربعة أنها مطعومة جنس فعلى هذا يجري الربا عند ه في الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد وقال في القديم مطعومة مكيلة أو موزونة فعلى هذا لا يجري الربا بمجرد الطعم في المطعومات ذكر ذلك كله الوزر في الإفصاح وتقديم في كتاب آداب الكسب (ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت) كذهب إليه مالك (وكان ممكنا بالمطعم) كذهب إليه الشافعي (فترأى الشرع التحديد بجنس المطعم أحرى) أي أشمل (لكل ما هو ضرورة البقاء) ودوام العيش (وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال (الله تعالى ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام بتحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس) وفي نسخة بحكمة الجسم لها (كادخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية فهذه أمثال واحد

يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى بن مريم عليه السلام بتحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كادخل أصل المعنى بالجله الأصلية فهذه أمثال واحد

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق للحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولكن لاتصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولو الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذا لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة (٦٩) وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب

القلوب موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد بحانه في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كاخذ المحبف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأهو خسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخاق سعة العالم لانه خاق الجهات لتكون متسلك في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واستماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمى الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخطئة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدايس) أي

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق للحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة) وأتى من بابها (ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يشير الى قوله تعالى ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (ولكن لاتصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات) ومقارها (وملاعب الشياطين) ومحال وسواسها (بل لا يتذكر الا اولو الالباب) أشار به الى تمام الآية المذكورة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات) رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم (واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه) لا يتخلو (اما شكر واما كفر اذا لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس) وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة (بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب القلوب) وهم المشتغلون بعلوم الآخرة (موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى) وهي اليمين وهذا هو الاغلب فلا يناقضه الا عسر وهو الذي يسره أقوى من اليمين لنسوره (فاستحق الاقوى بمزيد بحانه في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل) لقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان (ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كاخذ المحبف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأهو خسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخاق سعة العالم لانه خاق الجهات لتكون متسلك في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واستماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمى الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخطئة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدايس) أي

ما شرفها بأن وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه استماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكرها وها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الخطئة وكان يتصدق بها فاستل عن سببه فقال لبست المدايس

اختص بغفره أو بعرضه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل هو أن يكون أولى به وغير
الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا للملك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في
نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد أذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة
لعبيده فن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه بوجهه فباع عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم (٧١) يمكن منه لان اللقمة صارت ملكا له

بالاخذ باليد فان اليد
وصاحب اليد أيضا مملوك
ولكن اذا كانت كل لقمة
بعينها لا تفي بحاجة كل
العبيد فالعدل في التخصيص
عند حصول ضرب من
الترجيح والاختصاص
والاخذ اختصاصا بفردية
العبد فنع من لا يدلي بذلك
الاختصاص عن مزاجته
فهكذا ينبغي ان تفهم أمر
الله في عبادته ولذلك نقول
من أخذ من أموال الدنيا
أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه وفي عباد الله من
يحتاج اليه فهو ظالم وهو
من الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله وانما سبيل الله
طاعته وراذ الخلق في
طاعته أموال الدنيا اذ بها
تدفع ضروراتهم وترتفع
حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في
حرفناوى الفقه لان مقدار
الحاجات خفيفة والنفوس
في استشعار الفقر في
الاستقبال مختلفة وأما
الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى
تكليف الصبيان الوفاق

اختص بغفره) أى منبته بالملكية (أو بغفره) بان وضع يده في تلك الارض وتعهده بالسبق (فلا بد من
طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل ان يكون هو أولى به) وهو
ترجيح في حقه (وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو) في الحقيقة (مجاز محض) أى خالص لا شوب
للحقيقة فيه (اذ لا ملك) حقيقة (الملك المملوك) جل شأنه (الذى له ما في السموات والارض) وما في يد
العبد فهو مستعار مردود (وكيف يكون العبد مالكا) هو (في نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره)
لان وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت
ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقى
ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض (نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله) المفروشة (وقد أذن
لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده) فهم شمر كأفها (فن أخذ لقمة
بيمينه واحتوت عليها بوجهه) أى مفاصل أصابعه (فباع عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم يمكن منه لان
اللقمة صارت ملكا له) بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت لقمة بعينها لا تفي
بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاصا
بفردية العبد فنع من لا يدلي) أى لا يتقرب (بذلك الاختصاص عن مزاجته) وانتراع اللقمة منه
(فهكذا ينبغي ان تفهم أمر الله في عبادته ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه) ولم ينفقه (وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم) ولو أدى زكاة ما كنزه وهو أحد الوجوه في
الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى في حقهم والذين (يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله) فبشرهم بعذاب أليم (وانما سبيل الله طاعته وراذ الخلق في الطاعة) وفي نسخة في طاعته (أموال
الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم هذا لا يدخل في حد فتاوى الفقه لان مقدار الحاجات
خفيفة) لا تدرك (والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة) وأما الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوفاق والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم يحكم
نقصانهم) في عقولهم (لا يطبقونه فتركا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وباحثنا ذلك اياهم لا يدل على
ان الله واللعب حق فكذلك باحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات
لضرورة ما جبالوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق) والى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاة فليس
بكنز (وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم) أى يبالغ في سؤالكم حتى لا تبقوا
منها شيئا الا وقد صرفتموه في سبيل الحق (تبخلوا) وذلك بمقتضى الجلية (بل الحق الذى لا كدورة فيه
والعدل الذى لا ظلم فيه ان لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر راد الزكاة) كما ورد ذلك في
الحبر بلفظ ولكن زاد أحدكم من الدنيا مثل زاد الزكاة أى فان الزكاة لا يحمل من الزاد الا قدر كفايته
فقط (فكل عباد الله ركابا لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان) وسنوهم منازلهم (فنى أخذ زبادة عليه
ومنع عن ركاب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو يحكم نقصانهم لا يطبقونه فتركا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وباحثنا ذلك اياهم لا يدل
على أن الله واللعب حق فكذلك باحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبالوا عليه من البخل لا يدل
على انه غاية الحق وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم تبخلوا بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه أن لا
يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر راد الزكاة فكل عباد الله ركابا لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فن أخذ زبادة عليه ثم منعة
عن ركاب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل وانما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجعت الى هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة (٧٢) وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل) لكثرة أنواع الموجودات فتكثر الحكم (وانما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور) تعلم (فرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا) الذى أوردناه (كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة) وهى لسان العرب (وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير) فان التفسير بيان لظاهر اللفظ والمعنى هو ما يكون بيانا لباطنه (فان قلت فقد رجعت حاصل الكلام الى ان الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافيها سبق الى تلوينات (أى اشارات) (بمبادئها) أى أوائلها (ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة) مختصرة (عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجدها من عجز عن الإيضاح) أى الاسراع (فى السير فضلا عن أن يجول فى جو المليكوت جولان الطير فنقول ان الله تعالى فى جلالة وكبرائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها) التى هى هى من حيث هى (فلم تكن لها عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات من ان عند طرف فهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش) جمع خفاش طائر معروف (عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف أبصار الخفافيش) فانها لا تحتل نورها (فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها الى ان يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توههم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعار والها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة) وهى معنى يكون الفعل مراداً وهى أعم من وجهه من

وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافيها سبق الى تلوينات بمبادئها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجدها من عجز عن الإيضاح فى السير فضلا عن أن يجول فى جو المليكوت جولان الطير فنقول ان الله عز وجل فى جلالة وكبرائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم تكن لها عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات من أن عند طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف أبصار الخفافيش فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة وهى معنى يكون الفعل مراداً وهى أعم من وجهه من

وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها فى العالم الارادة عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات من أن عند طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها الى ان يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهمهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعار والها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة

فهى توهم منها أمر الجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقبل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عبادته الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك (٧٣) قهرا فى حقهم - بتسليط الدواعى

والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة الى المشيئة المستعملين فى اتمام الحكمة به - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف) ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر حزم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر (فهى توهم منها أمر الجملا) فى ايجاد معدوم أو اعدام موجود (عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلاف واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقبل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عبادته الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له فى المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة به - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف) ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر حزم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

(١٠ -) (انحاء السادة المتقين) - (تاسع)

ان ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر حزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد

ولفظ القدر يازاء التفصيل المتماضى الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمه اذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم (٧٤) العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لا يقدرون على ملاحظة كنه هذا الامر

والاحتواء على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكنوا فاما لهذا خلقتهم لا يستل عما يفعل وهم يستلون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهاً أولاً صافياً يكاد يضيء ولولم تمسه نار فاستعل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنون بين أيديهم بنور ربهم فأدركوا الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله تعالى واسكنوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للعبطان آذاناً وجو اليكم ضعف الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جحش الليل فيحييه بحاله وان كان لا يحييه حياة المتردين في كمال نور الشمس فكانوا وفي نسخة وكانوا (كما قيل)

(شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب)

(* شربنا وأهرقنا على الارض فضلة *) أي سكبنا عليها ما فضل منها

(*) والارض من كاس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وآخره فلا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له واذا كنت أهلاً له (وساعدتك العناية تحت العين وأبصرت) الطريق (فلا تحتاج الى قائد يقودك)

والاحتواء على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكنوا فاما لهذا خلقتهم لا يستل عما يفعل وهم يستلون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهاً أولاً صافياً يكاد يضيء ولولم تمسه نار فاستعل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنون بين أيديهم بنور ربهم فأدركوا الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله تعالى واسكنوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للعبطان آذاناً وجو اليكم ضعف الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جحش الليل فيحييه بحاله وان كان لا يحييه حياة المتردين في كمال نور الشمس فكانوا وفي نسخة وكانوا (كما قيل)

في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل لهم شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب وهو شربنا وأهرقنا على الارض فضلة * والارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان أول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له واذا كنت أهلاً له ففتح العين وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك

الى المشى على الارض
والسباحة يمكن أن تتعلم
فأما المشى على الماء فلا
يكتسب بالتعليم بل ينال
بقوة اليقين ولذلك قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم ان
عيسى عليه السلام يقال
انه مشى على الماء فقال
صلى الله عليه وسلم لو زاد
يقيننا المشى على الهواء فهذه
رموز واشارات الى معنى
الكراهة والمحبة والرضا
والغضب والشكر والكفران
لا يلقى بعلم المعاملة
أكثر منها وقد ضرب الله
تعالى مثلاً لذلك تقريرا الى
أنهم اخلق الجن والانس الا
لعبده فكانت عبادتهم
غاية الحكم متى حقهم
ثم أخبر أن له عبيدين يحب
أحدهما واسمه جبريل
وروح القدس والامين
وهو عنده محبوب مطاع أمين
مكسين ويبغض الآخر
واسمه ابليس وهو اللعين
المنظر الى يوم الدين ثم أحال
الارشاد الى جبريل فقال
تعالى قل نزل روح القدس
من ربك بالحق وقال تعالى
يلقى الروح من أمره على
من يشاء من عباده وأحال

الاجواء على ابليس فقال تعالى ليضلهم عن سبيلهم والاعواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانه غضب عليهم والارشاد سياقه لهم الى الغاية فانظر كيف نسبته الى العبد الذي اُحبب عندك في العادة له مثاله فمالك الشراب والى من يحجمو ينظف فناعمته عن القاذورات وكان له عبدان فلابعين للنجاسة والتنظيف الا اُحجموا الشراب الطيب الا الى احسنهما واكلهما

وأحبهم ما إليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتصافا للعدل فانه عدله تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والممكنات فذلك تضيفه الى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر (٧٦) ليد الى لعب المشعبذ الذى يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وترزق وتقوم وتقع

وهي مؤلفة من خرق لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بخرك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعملون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثر من الا عارفون والعلماء الراصون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من

عقلا (وأحبهم ما إليه فلا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك) جهلا منك (بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتصافا للعدل فانه تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من أفعاله) بل كل ما في الوجود هو من أفعال الله تعالى (فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركاتك في التعيين هو الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة) ولين يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد فهم ذلك فليحط علما بأفعال الله تعالى كلها وليتقن في معرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتشفها من الاجسام (الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والممكنات فذلك تضيفه الى نفسك) وتنسى ترتيب الاسباب وتوجهها الى المسببات باقضى وجوه العدل (وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر ليد الى لعب المشعبذ) ويقال المشعوذ من الشعبذة والشعوذة وهو ان يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة وقد بينه بقوله (الذى يخرج صوراً) مختلفة الاشكال (من وراء حجاب) رفيع (ترقص وترزق وتقوم وتقع) وتسمى وتقف (وهي مؤلفة من صور لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب) وراء حجاب (عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء) المميزون (فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بخرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعملون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثر من الا عارفون والعلماء الراصون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون) وقال وما ننزله الا بقدر معلوم (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وقال تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمراً (وهذه أمور)

السماء متشبثة الاطراف باشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر فقيل سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وهذه أمور

لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ينزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرف من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان السلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى (٧٧) مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة

الشكر الى كون العبد

مستعملا في انعام حكمه

الله تعالى فاشكر العباد

أحبهم الى الله وأقربهم

اليه وأقربهم الى الله

الملائكة ولهم أيضا ترتيب

ومامنهم الاول مقام معلوم

وأعلاهم في رتبة القرب

ملك اسمه اسرافيل عليه

السلام وانما لودرجتهم

لانهم في أنفسهم كرام بررة

وقد أصح الله تعالى بهم

الانبياء عليهم السلام وهم

أشرف مخلوق على وجه

الارض وبلي درجتهم درجة

الانبياء فانهم في أنفسهم

أخبار وقد هدى الله بهم

سائر الخلق وتتم بهم حكمته

وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله

عليه وسلم وعليهم اذا كمل

الله به الدين وختم به النبيين

وبلهم العلماء الذين هم

ورثة الانبياء فانهم في

أنفسهم صالحون وقد أصح

الله بهم سائر الخلق ودرجة

كل واحد منهم بقدر ما أصح

من نفسه ومن غيره ثم يليهم

السلطين بالعدل لانهم

أصلحوادنيا الخلق كما أصح

العلماء دينهم ولاجل

اجتماع الدين والملك والسلطنة

لنبينا محمد صلى الله عليه

وسلم كان أفضل من سائر

الانبياء فانه أكمل الله به دينهم ودينهم ومعاشهم

ومعادهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني

والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي

في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحو

دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمه الله بهم الا فيهم) فهؤلاء كذلك لهم درجة مافى القرب

(لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم) بتعليم الله اياهم وتفهم الامور الالهية بالامور العرفية عسير جدا وانما ذكر الامثلة لاجل التنبيه عليها (وعبر ابن عباس) رضي الله عنه (عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ينزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرف من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر) وذلك لان افهامهم قاصرة لا تحتمل المعاني الدقيقة من أسرار الربوبية واليه يشير ما ورد افشاء سر الربوبية كقوله (ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان السلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في انعام حكمه الله تعالى فاشكر العباد) أي أكثرهم شكرا (أحبهم الى الله تعالى وأقربهم اليه وأقربهم الى الله تعالى الملائكة) وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من هذه الصفة والمخلوق بها يصير رفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الله تعالى (ولهم) أي للملائكة (أيضا ترتيب ومامنهم الاول مقام معلوم) في بساط القرب وكلهم مقر بون ودرجات قربهم متفاوتة (وأعلاهم في رتبة القرب اسرافيل عليه السلام) وهو صاحب الصور وقال المصنف في مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار المملوكة انما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل فان فيهم الاقرب بقرب درجتهم من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم وانهم كلوصفوا به انفسهم اذ قالوا وما مننا الا له مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون (وانما علودرجتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصح الله بهم الانبياء) بايصال الوحي اليهم (وهم) أي الانبياء (أشرف مخلوق على وجه الارض وتلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق) الى مافيه نجاتهم وعملهم (وتتم بهم حكمته) في الخلق (وأعلاهم رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اذا كمل به الدين) الذي ارتضاه (وختم به النبيين) والمرسلين كما يشير الى كل منهم ما قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقوله تعالى وخاتم النبيين (وبلهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء) ورتبوا منهم علما وحكمة (فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق) بارشادهم اياهم الى طريق الحق (ودرجة كل واحد بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم يليهم) أي يلي درجة الانبياء (السلطين بالعدل لانهم أصلحوادنيا الخلق كما أصح العلماء دينهم) فكل من العلماء والسلطين في درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين (ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء) عليهم السلام (فانه أكمل الله به دينهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم) (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحو دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمه الله بهم الا فيهم) فهؤلاء كذلك لهم درجة مافى القرب (ومن عدا هؤلاء فهم رعا) لايعبأ بهم (واعلم ان السلطان) المتولى لامور المملكة أعم من أن يكون

الانبياء فانه أكمل الله به دينهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فانه أكمل الله به دينهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم

دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمه الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهم رعا واعلم أن السلطان

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتشكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فلهم الوزر وعليكم الشكر أم سلمة تستعمل عليكم أمراء فيعرفون ويشكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون أمراء وقال حسن صحيح وللبراز بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ الا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكر واسيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله اصبروا فان جورا ماكم خمسين سنة خير من هرج سنة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر حديثا فيه الامارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به انتهى قلت بل هو في حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه سليمانكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر في عمل منهم بطاعة الله فلهم الاجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فلهم الوزر وعليكم الصبر واهكذا البيهقي في الشعب وأبو نعيم في العادلين وابن الجار في التاريخ وقد نبه على ذلك الحافظ السخاوي في هامش المغني مختصرا ووجدت بعض سياق المصنف في حديث أبي هريرة سليمانكم بعدى ولاية فيليكم البربره ويليكم الفاجر بفجورهم فاصبروا فلهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق واصلوا وراهم فان أحسنوا فلكم ولهم وان أساءوا فلكم وعليهم رواه ابن جرير والدارقطني وابن الجار باسناد ضعيف وفي خبر آخر سيكون من بعدى أمراء فادوا اليهم طاعتهم فان الامير مثل الجن يتقي به فان صلحوا واتقوا أمرؤكم بخير فلكم ولهم وان أساءوا أمرؤكم به فلهم وأنتم منه برآء وان الامير اذا ابتغى الريه في الناس أفسدهم رواه الطبراني في الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرني جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمر بن الاسود والمقدام بن معدي كرب وأبو امامة (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل) أيضا (أي الناس خير فقال السلطان فقيل له) (انا أكثرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) * وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاها نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشغل بذكر الاتحاد والله الموفق للصواب) (بيان حقيقة النعمة وأقسامها) *

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر) أي مختار (فانه يسمى نعمة ولكن النعمة هي السعادة الاخروية) واليه الاشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا فاني الجنة الآتية

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتشكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فلهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل أكثرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) * وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاها نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشغل بذكر الاتحاد والله الموفق للصواب) (بيان حقيقة النعمة وأقسامها) *

وتسمية ما سواها نعمته وسعادة ما غلط وما مجاز كسمية السعادة الدنياوية التي لا تعين على الآخرة نعمته فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخرى به اصدق فكل سبب يوصل الى السعادة الآخرة ويعين عليها ما بواسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمته صحيحة وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة والذات المسماة نعمته نشرحها بتقسيمات * (القسم الاول) * ان الامور كلها بالاضافة اليها تنقسم الى (٧٩) ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا

كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالطة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضرر فيها ما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضري في المآل بلاء محض عند ذوى البصائر ونظنه لجهال نعمته ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيمسه فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سبق اليه فيجتنبه (والضرر في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوى الالباب بلاء عند الجاهل ومثاله الدواء البشع) أى الكريه (في الحال المر مذاقه) أى طعمه (الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء) سبق اليه (والعاقل) الكامل (بعده نعمة ويتقلد المنعمين بهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه) ويمكنه من (فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامة) في البلاد الحارة (والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلوح العاقبة) أى المآل (والام لفرط حبها) له (وقصورها) في عقلها (تلحق الحال) دون المآل (والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه ويأنس بها) (يميل الى شفتها ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق) فهو كما قال القائل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عدو في ثياب صديق

(لان منعها اياه) أى ولداه (من الحجامة) في الوقت المحتاج (يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامة) فيما بعد (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو ربما يصد عنه كثير مما يعاديه (وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو) حتى العاقل ان يعرف تلك الامور بمحققاتها حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في منحرفاتها طال خبر وهارب من شركا قال الشاعر

ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلوح العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحق الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس بها والى شفتها ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو

(قسمة ثمانية) اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضرة أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان أكثر فينتفع في سبيل الله ويصرفه (٨٠) الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا ذل

لا يزال مستصغرا له شاكا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه *(قسمة ثالثة)* اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهو مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولا لغيره * فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كاذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بهم السككات هي والخصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها صارت عند الجهال محبوبة في نفسهم حتى يجمعوها ويكثروها ويتصارفوا عليها بالربا ويطنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة (الرسول) الذي هو الوسطة (محبة الاصل) الذي هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال الثالث) من الاقسام ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى وهو قصد العارفين (اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

كل يحاول حيلة بروجوبها * دفع المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرف حاله * فلربما اختار العناء على الدعة لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورمو يقدر في الشيء انه رزق نافع وحشوه سم نافع فلذلك يحق على العاقل أن يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقة لئلا يكون كمن يريد جلبا ينطق به فرأى حبة فظنها مبتغاه فاخذها فلدغته *(قسمة ثمانية)* (اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم ذلك الى مانعة أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير) (الزائد في الكفاية) (والجاه الواسع) عند ذوى الاموال (والى ما يكافئ) أى يقابل (ضرره نفعه وهذه أمور تختلف باختلاف الأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان أكثر فينتفع في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه) (اذلم بطغى) (ورب انسان يستتر بالقليل) من المال (أيضا ذل لا يزال مستصغرا له) (أى مستحقرا) (شاكا من ربه) في خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له (طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان) وقلة التوفيق (بلاء في حقه) فحق العاقل أن يتحرى في تلك الامور ويعطى النعم استحقاقها *(قسمة ثالثة)* (اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهو مؤثر لذاته والى ماهو مؤثر لغيره) (لا لذاته والى ماهو مؤثر لذاته ولغيره) معا (فالاول) من الاقسام (ما يؤثر لذاته لا لغيره) وهو (كله النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه) وكذلك السعادة النفسية (وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني) من الاقسام (ما يقصد لغيره ولا غرض أيضا في ذاته) وهذا (كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بهم السككات هي والخصباء بمثابة واحدة) (لو كانت لا تنقضي بهم السككات هي والخصباء بمثابة واحدة) (أي بمنزلة سواء) (ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها) كإقال القائل

اذا كنت في حاجة مر سلا * فارسل رسولا هو البرهم (صارت عند الجهال محبوبة في أنفسهم (يجمعونها ويكثرونها) ويتقاتلون عندها (ويتصارفون عليها بالربا ويطنون انها مقصودة) لذاتها (ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة (الرسول) الذي هو الوسطة (محبة الاصل) الذي هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال الثالث) من الاقسام ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى وهو قصد العارفين (اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته

الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته

وهو غاية الجهل والضلال * الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات الدنيا وتقصدها أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكأن وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة (قسمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع

والذي وجب له ولا الذي الذي تترك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجلب هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم أما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنع الحسد والكبر (وايثار الراحة والدعة وغيرهما من) الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجذع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك النار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة تخاف الغرق فلقى متاعه في الماء فتخلعت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول) في الرتبة (فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكأن وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة) (قسمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع والذين وجب له ولا الذي الذي تترك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجلب هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم أما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنع الحسد والكبر (وايثار الراحة والدعة وغيرهما من) الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجذع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك النار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة تخاف الغرق فلقى متاعه في الماء فتخلعت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

(اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع والذين وجب له ولا الذي الذي تترك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجلب هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم أما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنع الحسد والكبر (وايثار الراحة والدعة وغيرهما من) الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجذع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك النار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة تخاف الغرق فلقى متاعه في الماء فتخلعت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

(١١ - (انحاف السادة المتقين) - تاسع) دائم لا محالة والضرب الثاني المقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأكلة والسعادة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه (ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

البنة غيرهما الى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصهراء فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه (قسيمة خامسة)
اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيق والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة
مع بعض الحيوانات وبدنية (٨٢) مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس يستلذهما السمع

ألبنة غيرهما الى ما لا يكون ضروريا وهو الذي قد يدور غيره مسده (كالسكنجبين مثلا في تسكين
الصهراء فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه) وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه
مبلغا الى ذلك والله أعلم * (قسيمة خامسة) *

(اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيق والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته
لغيره ثلاثة انواع) لذة (عقلية و) لذة (بدنية) وهي على قسمين اما (مشتركة مع بعض الحيوانات
و) اما (بدنية مشتركة) مع جميع الحيوانات (أما) اللذة (العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس
يستلذهما السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها
بالعقل وهذه أقل الذات وجودا وهي أشرفها أما قلتهما فلان العلم لا يستلذهما الاعمال والحكمة لا يستلذهما
الاحكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسعين باسمهم والمتسعين برسوهم وأما شر فها فلانها
لازمة لا تزول أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالتعام يشبع منه فيل وشهوة الواقع يفرغ
منها فتستقل) ولأنه لا يمل منها (والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستقل) فحق العاقل أن
يرغب الى الله في أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه الى اكتسابه وأن يبذل جهده مستعينا بالله
في اكتساب ما له كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف (ومن قدر على الشريفة
الباقى أبادا اذ ارضى بالخسيس الغنى في أقرب الاماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره)
ومن ضيع أنفوس المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دنيء في الهمة راض بخسيس الحال (وأقل أمر فيه
ان) كلاما من (العلم والعقل) اذا حصل لا يغيب و (لا يحتاج) في حفظه (الى أعوان وحفظه بخلاف
المال) وغيره من المقتنيات الحالية (اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال
ينقص بالانفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدي السراق بالاخذ ولا أيدي
السلطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا) وتقدم
الكلام على ضده المجمع تفصيلا في كتاب العلم (ثم العلم نافع ولذيذ وجيل) عاجلا وآجلا ومطلقا (في
كل حال أبدا) أي في كل زمان وكل مكان ولذا كان أفضل الفضائل النفسية (والمال) وكذا الجاه
وهما من الخيرات المتوسطة (تارة يجذب الى الهلاك) اذا كان مع الجهل (وتارة يجذب الى النجاة)
اذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشرف
فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل السعيد
هو الخير العاقل غنيا كان أو فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سماء خيرا في مواضع) كقوله تعالى ان
ترك خير اولئك قد يكون خير لبعض الناس وشر لبعضهم فعلم انه كان شرا لمن قال تعالى فيه الذي
جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخله (وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فاما
لعدم الذوق) وهو تاول الشيء بالغفم لادراك الطعم هذا هو الاصل (ومن لم يذوق لم يعرف ولم يشفق اذ
الشوق تبس للذوق) واليه الاشارة بقول القائل

ولو يذوق عاذني صبا بني * صبا معي لكنه ما ذاقها

(واما لفساد امرجتهم وتمرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات) فان لها تأثيرا ظاهرا في تغيير الامرجة

والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه
أقل الذات وجودا وهي أشرفها ما قلتهما فلان العلم لا يستلذهما الاعمال والحكمة لا يستلذهما الاحكيم وما أقل
أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسعين باسمهم والمتسعين برسوهم وأما شر فها فلانها لازمة لا تزول
أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالتعام يشبع منه فيل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل
والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستقل ومن قدر على الشريفة الباقى أبادا اذ ارضى بالخسيس
الغنى في أقرب الاماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره وأقل أمر فيه ان العلم والعقل
لا يحتاج الى أعوان وحفظه بخلاف المال اذا العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدي السراق بالاخذ ولا

أيدي السلطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف (كالمريض)
أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وجيل في كل حال أبدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في
مواضع وان سماء خيرا في مواضع وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذوق لم يعرف ولم يشفق اذ الشوق تبس
الذوق واما لفساد امرجتهم وتمرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات

كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها مرأوا المقصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطير السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ لذة ولا استطابته اللبن يدل على انه أذا الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اقسام لم يحى باغته كالطفل وامامن مات بعد الحياة باتباع الشهوات وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان

(٨٣)

فرحين وان كانوا موتى بالابدان * الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات * الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهو أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج امتلاء حب الرياضة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياضة وأما سره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه

(كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها) كما قال المتي ومن يك ذا فم مريض * يجد مرأبه الماء الزلالا (واما لقصور فطرتهم) التي فطر واعلمها (اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطير السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ لذة ولا استطابته اللبن يدل على انه أذا الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اقسام لم يحى باغته كالطفل وامامن مات بعد الحياة باتباع الشهوات) فانه غير متهيئ لذلك (وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات) فانه غيبت القلوب (وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات) ولم يمت بعد فكل هؤلاء قاصرون عن درك لذة المعنوية (وقوله تعالى) في حق المنافقين (في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من حي حياة باطنه) وليس المراد به الحياة الظاهرة (وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي) أي يعد منهم (وان كان) هو (عند الجهال) يعد (من الاحياء ولذلك كان الشهداء) في سبيل الله (احياء عند ربهم يرزقون فرحين) كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى (وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء) والقهر (وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات) من السباع والوحوش (الثالثة ما يشاركها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها) رتبة (ولذلك اشترك فيها كل مادب) على الارض (ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين) وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا (ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياضة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياضة) كما قاله سهل رحمه الله تعالى (وأما سره البطن والفرج فكسره) وقهره (مما يقوى عليه الصالحون) من عباد الله تعالى (وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها) وفي نسخة قهرها (الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر) اذ لابد من معاودة في بعض الاحوال بمقتضى ما جبل عليه البشر (ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة) بالعقل (لا تقوى على حمل النفوس على العدول عن) منهج (العدل) المأثور به (وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يجب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياضة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله والتلذذ

الصالحون وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يجب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياضة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله سبحانه والتلذذ

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثر به في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثر به في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول فان كان ممكناً الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طامخة به وأما الثالث والرابع فوجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريية من أعصار (٨٤) الانبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثر به في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثر به في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول وان كان ممكناً في الوجود (لا يستحيله العقل) فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طامخة به (أي ممتلئة) وأما الثالث والرابع فوجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا (قليل الوجود) وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريية من أعصار الانبياء عليهم السلام) لكثرة الانوار فيها (فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة) ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثر فكم لا يكون الفائت في الملك والجمال الا نادرا أو أكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا امرأة الآخرة (فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) المختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كإن الصورة في المرأة تابعة لصورة الناطق في المرأة والصورة في المرأة هي الثانية في رتبة الوجود فانها أول في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وتري صورتك في المرأة أو لا تعرف بها صورتك التي هي قائمة بك نائما على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس) ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محال لعالم الغيب والممكن (وفي هذا العالم عجائب تستحق اليها بالاضافة الى عالم الشهادة وهو بالاضافة الى عالم المكنوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى وعنده مغابح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أتم من آتار ذلك العالم يجرى منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم المكنوت والمشبه لا يخلو من موازاة الشبيه ومجا كانه نوعا من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرجة الالهية عالم الشهادة على موازاة عالم المكنوت فمما شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من المكنوت وربما كان للشئ الواحد من المكنوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ما ناله نوعا من الماثلة وطابقه نوعا من المطابقة (فن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك) والشهادة (الاو يعبر به الى عالم المكنوت فسمى عبوره) ذلك (عبرة) وهو بالكسر من الاعتبار (وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا) أو قدها الله تعالى (شأنها ان تطلع على الاقدرة) أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها (الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها) فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك (الالم) (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة

ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثر فكم لا يكون الفائت في الملك والجمال الا نادرا أو أكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا امرأة الآخرة (فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) المختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كإن الصورة في المرأة تابعة لصورة الناطق في المرأة والصورة في المرأة هي الثانية في رتبة الوجود فانها أول في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وتري صورتك في المرأة أو لا تعرف بها صورتك التي هي قائمة بك نائما على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس) ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محال لعالم الغيب والممكن (وفي هذا العالم عجائب تستحق اليها بالاضافة الى عالم الشهادة وهو بالاضافة الى عالم المكنوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى وعنده مغابح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أتم من آتار ذلك العالم يجرى منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم المكنوت والمشبه لا يخلو من موازاة الشبيه ومجا كانه نوعا من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرجة الالهية عالم الشهادة على موازاة عالم المكنوت فمما شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من المكنوت وربما كان للشئ الواحد من المكنوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ما ناله نوعا من الماثلة وطابقه نوعا من المطابقة (فن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك) والشهادة (الاو يعبر به الى عالم المكنوت فسمى عبوره) ذلك (عبرة) وهو بالكسر من الاعتبار (وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا) أو قدها الله تعالى (شأنها ان تطلع على الاقدرة) أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها (الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها) فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك (الالم) (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة

الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك الاو يعبر به الى عالم المكنوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به تعالى فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس محموله نار من شأنها ان تطلع على الاقدرة الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم

والجماعة
به تعالى فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس محموله نار من شأنها ان تطلع على الاقدرة الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم

استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم نذر مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم اعين اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن (٨٥) القلب الصالح الملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح

الملك الدنيا * (قصة سادسة) * حاوية لمجامع النعم اعلم أن النعم تنقسم الى ما هي غاية مطالبة لذاتها والى ما هي مطالبة لاجل الغاية أما الغاية فانها سعادة الآخرة ورجوع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لافناء له وسرور لا غم فيه وعلم لاجهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسليية للنفس

وذلك في وقت حذر الخندق في شدة الضرر وهذا قدر واه الطيعة السبي وأجدوا الشيطان والثلاثة من حديث أنس ورواه أيضاً أجدوا الشيطان من حديث سهل بن سعد وفي لفظ اللهم لا خير الا خير الآخرة وروى الحاكم من حديث أنس اللهم لا خير الا خير الآخرة فبارك في الانتصار والمهاجرة (وقال ذلك مرة في حال السرور ومنعاً للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداث الناس به في حجة الوداع) يروي ذلك مرسلًا ورواه الحاكم متصلاً وصححه وتقدم في كتاب الحج وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس لبيك اللهم لبيك انما الخير خير الآخرة (وقال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة) قال العراقي واه الترمذي من حديث معاذ بن سعد حسن انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ أن تدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (وأما الوسائل التي يتوصل بها الى الغاية) فتقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس (وهو الاول) والى ما يليه في القرب كفضائل البدن (والى ما يليه في القرب كفضائل البدن) وهو الثاني (وهو الثالث) والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الخاصة بالنفس كالتوفيق والهداية (وهو الرابع) فهي اذا أربعة أنواع) النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الاخرى بخمسة أنواع (النوع الاول وهو الاخص) الاقرب (الفضائل النفسية) ولا يمكن الوصول الى السعادة الاخرى الا بالابتداء بها واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآخرة وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكلامه العلم والعفة وكلامها الورع والشجاعة وكلامها المجاهدة والعدالة وكلامها الانصاف وقد فصله المصنف بقوله (و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى) أصليين عظيمين (الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسوله والى علم المعاملة) وهو مجاهدة البدن في الطاعات (وحسن الخلق ينقسم

و الجماعة) استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان) وهما موجودتان الآن فالجنة فوق السموات والنار تحت الارضين (ولكن الجحيم نذر مرة بادراك يسمى علم اليقين) وهو ما أعطاه الدليل مقصور الامر على ما هو عليه (ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين) وهو ما أعطاه المشاهدة والكشف (وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة) لانها محل الشهود والكشف (وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين) وهو مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار (فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم اعين اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر ان القلب الصالح الملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح الملك الدنيا) * (قصة سادسة حاوية لجميع النعم) *

الموهوبة والمكتسبة (اعلم ان النعم) وان كانت لا تخص مصلحة فانها بالقول المجمل خمسة أنواع وبيان ذلك انما تنقسم الى ما هي غاية مطالبة لذاتها والى ما هي مطالبة لاجل الغاية أما الغاية فانها سعادة الآخرة وهي أعلاها وأشرفها وياها فاعده بقوله تعالى وأما الذين سعدوا في الجنة الآخرة (و يرجع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لافناء له وسرور لا غم فيه وعلم لاجهل معه وغنى لا فقر بعده) ومنهم من ذكر بدل الجملة الثانية وقدرة لا تحزعها (وهي الخير) المحض والفضيلة الصرفة (والنعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) اللهم لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرتين (مرة في حال الشدة تسليية للنفس وذلك وقت حذر الخندق في شدة الضرر) وهذا قدر واه الطيعة السبي وأجدوا الشيطان والثلاثة من حديث أنس ورواه أيضاً أجدوا الشيطان من حديث سهل بن سعد وفي لفظ اللهم لا خير الا خير الآخرة وروى الحاكم من حديث أنس اللهم لا خير الا خير الآخرة فبارك في الانتصار والمهاجرة (وقال ذلك مرة في حال السرور ومنعاً للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداث الناس به في حجة الوداع) يروي ذلك مرسلًا ورواه الحاكم متصلاً وصححه وتقدم في كتاب الحج وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس لبيك اللهم لبيك انما الخير خير الآخرة (وقال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة) قال العراقي واه الترمذي من حديث معاذ بن سعد حسن انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ أن تدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (وأما الوسائل التي يتوصل بها الى الغاية) فتقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس (وهو الاول) والى ما يليه في القرب كفضائل البدن (والى ما يليه في القرب كفضائل البدن) وهو الثاني (وهو الثالث) والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الخاصة بالنفس كالتوفيق والهداية (وهو الرابع) فهي اذا أربعة أنواع) النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الاخرى بخمسة أنواع (النوع الاول وهو الاخص) الاقرب (الفضائل النفسية) ولا يمكن الوصول الى السعادة الاخرى الا بالابتداء بها واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآخرة وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكلامه العلم والعفة وكلامها الورع والشجاعة وكلامها المجاهدة والعدالة وكلامها الانصاف وقد فصله المصنف بقوله (و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى) أصليين عظيمين (الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسوله والى علم المعاملة) وهو مجاهدة البدن في الطاعات (وحسن الخلق ينقسم

المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الخاصة بالنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا أربعة أنواع * (النوع الاول وهو الاخص) * الفضائل النفسية و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسوله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم

الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه (العفة) والثاني (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقداماً واحكاماً بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى أن لا تأمروا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى خفي ضعف عن العبادة والذكر (٨٦) والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما

العدل أن يتجاوزنه وتقديره
عن الطغيان والخسران
فتعادل به كفتا الميزان فاذا
الفضائل الخاصة بالنفس
المقربة الى الله تعالى أربعة
علم مكاشفة وعلم معاملة
وعقصة وعدالة ولا يتم هذا
في غالب الامر الا بالانواع
الثاني وهو الفضائل البدنية
وهي أربعة الصحة والقوة
والجمال وطول العمر
ولا تنبأ هذه الامور الأربعة
الا بالانواع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيعة بالبدن
وهي أربعة المال والاهل
والجاه وكرم العشيرة ولا
ينفع بشئ من هذه الاسباب
الخارجة والبدنية الا
بالانواع الرابع وهي الاسباب
التي تجمع بينها وبين
ما يناسب الفضائل النفسية
الداخلية وهي أربعة هداية
الله ورشده وتسديده
وتأييده فمجموع هذه
النعم ستة عشر اذ قسمناها
الى أربعة وقسمنا كل واحدة
من الأربعة الى أربعة وهذه
الجملة يحتاج البعض منها الى
البعض اما حاجة ضرورية

الى قسمين) أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه (العفة) والثاني (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقداماً واحكاماً بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى (ألا تأمروا في الميزان) أي لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الاتفاق (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه (فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان) فان كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة (ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان) واعتدى (وانما العدل) الحقيقي الذي به قامت السموات والارض (ان يتجاوزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعادل به كفتا الميزان) على السواء (فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعقصة وعدالة) فكمال علم المكاشفة العلم وكمال علم المعاملة المجاهدة وكمل العفة الورع وكمال العدالة الانصاف وهي المعبر عنها بالدين (ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالانواع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة) أشياء (الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الامور الأربعة الا بالانواع الثالث وهي النعم الخارجة المطيعة بالبدن وهي أربعة) أشياء (المال والاهل والجاه) ومنهم من ذكر العز بده (وكرم العشيرة ولا ينفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية) ولا سبيل الى تحصيلها (الا بالانواع الرابع) الذي هو توفيق الله عز وجل (وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة) أشياء (هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الأربعة الى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو بنفسه فقط ثم أشار المصنف الى حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض فقال (وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية) بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر (أو) حاجة (نافعة) بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر (أما الحاجة الضرورية) فكما حاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق) وهي الفضائل النفسية (اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة) الحقيقية (التي لا يهملها) أي باكتسابها (فليس للانسان الاماسي) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاول (وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا) ولذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فبين ان لا مطمع لمن أراد الوصول اليها الا بالسعي (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم) النافعة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (الى صحة البدن وقوته ضرورية) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما الحاجة النافعة على الجملة فكما حاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المطيعة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة فانها لا تغني عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك (ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة) وحصول سعادتها (الى النعم الخارجة) المطيعة بالبدن (من المال والاهل

واولها
او نافلة أما الحاجة الضرورية فكما حاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بها فليس للانسان الاماسي وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة فكما حاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة (فان قلت) فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل

والجاه والعشيرة) وما نفعها في بلوغها (فاعلم أن هذه الأسباب جارية تجري الجناح) للطائر (المبلغ) لحاجته (و) بمنزلة (الالة المسهلة للمقصود) وإن لم تكن الحاجة إليها في بلوغ ذلك ضرورة (فاما المال فالفقير) المعدم (في طلب العلم والكمال) وتجرى المكارم (وليس له كفاية) هو (كساع الى الهيجاء بغير سلاح) والهيجاء ميدان الحرب فمن سعى إليها بغير سلاح فأحرى به أن يخفق سعيه وهو مصراع بيت (وكبار روم الصيد بلا جناح) فكيف يصطاد وفضله مغطى كما تحت أرض وباركامة في شجر وما أصدق ما قال الشاعر والمرء برفعه الغنى * والفقر منقصة وذل وقال آخر فلاجدى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل محمده (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (نعم العون على تقوى الله المال) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر رواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلًا ومن طريقه رواه القضاة في مسند الشهاب هكذا مرسلًا انتهى قلت ورواه أيضا ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث جابر (كيف ومن عديم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهية اللباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض بسبب قلة المال (لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر) والمراقبة (ولا تندفع الابساح المال ثم مع ذلك) بفقدان المال يشك بلوغ الفضائل فمن ذلك انه (يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات) وكثيرا من القرب (وقال بعض الحكماء) قد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قبل زنا قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له قبل زنا قال الشاب فاني رأيت الهرم لا يعيش له (نقله صاحب القوت) الا انه زاد بعد العافية قبل زنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا يعيش له وقال في آخره قبل زنا قال لأجد مزيدا ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قبل الشباب وقيل الفراغ ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكرنا إشارة الى نعيم الدنيا واسكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنأى سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها) هكذا أو رده صاحب القوت وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السباق ولم يقل بحذافيرها في آخره يادور رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سامة بن عبد الله بن نعيم الطحطحي عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنأى سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما في الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل فيضها الله ليزرع فيها زرعها كما قال تعالى نسأوكم حرث لكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجده اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر والدنيا امتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة قلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو نعيم وابن عساکر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحاثر بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفسه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكبار روم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عديم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات وفي تهية اللباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الابساح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قبل زنا قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له قبل زنا قال الشاب فاني رأيت الهرم لا يعيش له (نقله صاحب القوت) الا انه زاد بعد العافية قبل زنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا يعيش له وقال في آخره قبل زنا قال لأجد مزيدا ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قبل الشباب وقيل الفراغ ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكرنا إشارة الى نعيم الدنيا واسكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنأى سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها) هكذا أو رده صاحب القوت وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السباق ولم يقل بحذافيرها في آخره يادور رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سامة بن عبد الله بن نعيم الطحطحي عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنأى سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما في الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل فيضها الله ليزرع فيها زرعها كما قال تعالى نسأوكم حرث لكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجده اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر والدنيا امتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة قلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو نعيم وابن عساکر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحاثر بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفسه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة قال صلى الله عليه وسلم في الولد اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

في دينه ماله وانفرد به لاطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو اذا نعمة وأما العز والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه عله وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاء ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان (قرويان مؤتلغان ومؤديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أيضا الدين أس والسلطان حارس وملا أم له فهدوم وملاحارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها أولى البصائر (قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الامالك القلوب) كما تقدم في كتاب ذم الجاه (كلام معنى للغي الامالك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه) فاذا الجاه تبسع للعالم (فكبححتاج الانسان) في تغيثه (الى سقف) يظله من حوال الشمس و (يدفع عنه المطر و) الى (جبتو) هي المقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذا لبسها (وكب يدفع الذئب) العمدى (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشي (فبححتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه) ويحكى ان الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها واتخذ لنفسك جاها للثلاث طالك الاراذل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه) لشمسية أمورهم الدينية (وكذلك علماء الدين) سافوا وخلفا (لا على قصد التناول من خزانهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يبعثهم) حاشاهم الله عن ذلك (ولا تظن ان نعمة الله تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل دينه) وأتم عليه نعمته) وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة) من محل مولده قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد الله بن أبي بكر بن الترمذي وصحبه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون مابين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الاثنى يواريه ابط بلال قال الترمذي يعني هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبرار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر ينادي ويلكم أقتتلون رجلا أن يقول ربي الله واسناده صحيح على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف والشرف أخص ما ترثه الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعالية اشراف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الاثم من قريش) قال العراقي رواه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

في دينه ماله وانفرد به لاطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو اذا نعمة وأما العز والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه عله وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاء ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان (قرويان مؤتلغان ومؤديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أيضا الدين أس والسلطان حارس وملا أم له فهدوم وملاحارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها أولى البصائر (قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الامالك القلوب) كما تقدم في كتاب ذم الجاه (كلام معنى للغي الامالك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه) فاذا الجاه تبسع للعالم (فكبححتاج الانسان) في تغيثه (الى سقف) يظله من حوال الشمس و (يدفع عنه المطر و) الى (جبتو) هي المقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذا لبسها (وكب يدفع الذئب) العمدى (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشي (فبححتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه) ويحكى ان الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها واتخذ لنفسك جاها للثلاث طالك الاراذل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه) لشمسية أمورهم الدينية (وكذلك علماء الدين) سافوا وخلفا (لا على قصد التناول من خزانهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يبعثهم) حاشاهم الله عن ذلك (ولا تظن ان نعمة الله تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل دينه) وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة) من محل مولده قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد الله بن أبي بكر بن الترمذي وصحبه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون مابين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الاثنى يواريه ابط بلال قال الترمذي يعني هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبرار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر ينادي ويلكم أقتتلون رجلا أن يقول ربي الله واسناده صحيح على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف والشرف أخص ما ترثه الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعالية اشراف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الاثم من قريش) قال العراقي رواه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة (فان قلت) كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم أم لا (فاقول) نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثم من قريش

قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي ورواه أيضاً من حديث علي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني
من حديث أبي برزة زيادة في آخره ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي
والضياء من حديث أنس أيضاً زيادة في آخره ورواه الحاكم من حديث علي زيادة في آخره (ولذلك
كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم) الأرومة بالضم الأصل قال العراقي
وهذا المعجم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً أن الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى
قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وفي رواية الترمذي أن الله اصطفى
من ولد إبراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن
أبي وداعة وحسنه أن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس أن الله خلق الخلق
قسمين فجعلني في خيرهم قسماً وللبراز من حديث ابن عباس ما بال أقوام ينتذلون أصلي فوالله لانا أفضلهم
أصلاً وخيرهم موضعاً وأعلم أن الاخلاق نتائج الامزجة ومزاج الاب كثير ما يتأدى الى الابن كاللون
والخلق والصور (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخير والنطفكم) وانكحوا (الا كفاء) وانكحوا
اليهم رواه ابن ماجه من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب النكاح وفي لفظ اطلبوا مواضع الا كفاء لنطفكم
فإن الرجل ربما أشبه أخواله (وقال) صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) رواه الدارقطني في الافراد والراهمري والعسكري في
الامثال وابن عدي والقضاعي والخطيب في ايضاح المتنبس والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضاً
في كتاب النكاح (فهذا أيضاً من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأزباب الدنيا بل الانتساب الى
شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين الأبرار المتوسمين بالعلم والعمل) ومن
الناس من لا بعد شرف الأصل فضيلة وقال كيا باني للمصنف بعد المرء بنفسه لا بابيه واستدل بقول علي
رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مجوده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر بجد كل جد لا بجد * وهل جد بلأجد بمجد

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرم البالية وليس كما ظن لأن كرم الأعمام والاخوان مخيلة
لكرم المرء ومظنته فالفرع وان كان قد يفسد أحياناً فاعلم ان أصله يورثه الفضيلة والريزية وانه
لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ولذلك قال الشاعر

ومايك من خير أقوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطمي الاوشحة * وتغرس الافى منابها النخل

ان السرى اذا سرى فبنفسه * وابن السرى اذا سرى اسراهما

وقيل وماذ كرم من نحو قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه فحث للناس
على اقتباس العلم ونحوه عن الاقتصار على ما تراث الآباء فان المآثر الموروثة قليلة الفناعمال بضامها فضيلة
النفس لان ذلك انما يحمد لسر وجود الفرع مثله ومتى اختلف الفرع وتختلف فانه يخبر باحد شيئين اما
بتكذيب من يدعي الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيه ما حظ مختار فالحمود
أن يكون الأصل في الفصل راجحاً والفرع به شامخاً كما قال الشاعر

زانوا قدعهم بحسن حديثهم * وكرم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الامر ان فلان يكون المرء شريف النفس دنيء الأصل أولى من أن يكون دنيء النفس
شريف الأصل قال الشاعر

ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم من أكرم الناس
أرومة في نسب آدم عليه
السلام وقال صلى الله عليه
وسلم تخير والنطفكم
الا كفاء وقال صلى الله عليه
وسلم اياكم وخضراء
الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء
في المنبت السوء فهذا أيضاً
من النعم ولست أعني به
الانتساب الى الظلمة وأزباب
الدنيا بل الانتساب الى
شجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإلى أئمة العلماء
وإلى الصالحين والأبرار
المتوسمين بالعلم والعمل

(فان قلت) فما معنى الفضائل البدنية فاقول
 لاخفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لايتعلم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحق من جلته امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجلال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفسه فيها وأما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال الجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس

فما الشرف الموزون لادر دره * بمعتب الا بالآخر مكتسب
 اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس في الخطب

ومتى كان عنصره في الحقيقة سديا وهو في نفسه دنيا فذلك آت امان اهماله نفسه وشؤمها واما التعمد عادات قبيحة وصحبة اشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيئا واحدا (فان قلت فماغناء الفضائل البدنية) وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت انه لا سبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بها وانما لا تغنى عنها فاغناؤها (فأقول لاخفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لايتعلم وعمل الا بها) أي بهذه الثلاثة فلما الحاجة الى الاولين فواضع وأما طول العمر فلولا لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها المائتات السعادات الاخرية (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله) وفي بعض النسخ افضل السعادة طول العمر في عبادة الله قال العراقي غريب بهذا اللفظ والترمذي من حديث أبي بكر بن رجلا قال بارسل الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح اه قات ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي وفي آخره زيادة وشرا الناس من طال عمره وساء عمله والجملة الاولى فطر واهما أيضا عبد الله بن بسر مرفوعا أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب والطبراني والبيهقي والضياء واعلم انه قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء أن يكون صحيح البدن بريئا عن الامراض الشاغلة عن تحري الفضائل العقلية وليس كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللتين بهما صار صانعا وربا وجميع أجزاء البدن بالقول المجمع أربعة العظام التي تجري للبدن مجرى الألواح للسفينة والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الألواح واللحم الذي يجري مجرى الحشول للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشاء لجمعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان تعادل فيها القوى الاربعة وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمي ذلك الصحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به وأما القوة فهي جودة تركيب هذه الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسمى والتصرف في أمور الدنيا والآخرة (وانما يستحق من جاته) أي من جملة هذا النوع (امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن) صحيحا قويا (سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات) والفضائل النفسية (ولعمري الجلال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال الجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس) وقيل صورة حسنة تتبعها لمس رديئة فنفس الخواص تبين

الطين (وقيل مافي الارض قبج الاوجهه أحسن مافيه) حكاه (استعرض المأمون) هو عبد الله
ابن هرون العباسي (جيشا فعرض عليه رجل قبج) الوجهه (فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه)
أى أمر باسقاطه (من الديوان) أى من جريدة الخراج (وقال ان الروح ان أشرفت على الظاهر
فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا) أراه (ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) قال العراقي رواه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عباس عن جبرة بنت محمد
ابن سباع عن أمها عن عائشة وجبرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من
حديثها ورواه البزار والطبراني وابن عدى وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن
عمر وله طرق كلها ضعيفة اه قلت وجدت بخط تلميذه الخافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه جبرة
بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال مشهورة وهى من اتباع التابعين والحديث المذكور أخرجه
أبو يعلى والدارقطنى في الموثلف في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق اسمعيل بن عباس عنهما عن
أبيهما محمد بن ثابت وليس لامهافى هذا الحديث رواية وكأنه وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تصحيف أبيها
فصار عن أمها وأمها غير معروفه كما قال شيخنا وقول الذهبي ان جبرة مشهورة يريد رواية الحديث لانها
معروفة بالتوثيق اه قلت ورواه البخارى في التاريخ فقال حدثني ابراهيم هو المذخر حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي بكر المدينى عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة والمدينى صدوق
لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه مما لا يثبت حتى قيل انه متروك ولكنه لم يتهم بالكذب بل يوثق فرواه
أبو يعلى في مسنده فقال حدثنا داود بن رشيد حدثنا اسمعيل عن جبرة به ومن طرق هذا الحديث ما رواه
تمام والطبراني والبيهقي والخطيب من طريق سفيان الثوري عن طلحة بن عمار عن أبي رباح عن
ابن عباس رفعه اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ تمام النساء وطلحة متروك الحديث الا انه لم يتهم
بكذب وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس الا ان ذلك أثبت وأخرج الطبراني حديث ابن
عباس من طريق مجاهد عنه وقال أراه رفعه ورواه موقوفون الاعبد الله بن خراش بن حوشب مع
ان ابن حبان وثقه ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره وبما ذكرنا ظهر انه لا يثبت الحكم على المتن بالوضع
كما أشار اليه الخافظ ابن حجر ومن طرق هذا الحديث ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن خصيفة عن
أبيه عن جده مرفوعا بلفظ التمسوا وكذا هو عند أبي يعلى وله طرق عن أنس وجابر وابن عمر ويزيد
المستملى وأبي بكرة وأبي هريرة ولفظ أكثرهم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ المستملى اذا طلبتم
الحاجات فاطلبوها الى الحسان الوجوه فحديث أنس أخرجه ابن عساكر وحديث جابر أخرجه الطبراني
في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وحديث ابن عمر رواه ابن عدى وحديث أبي بكرة رواه تمام في
فوائده وحديث أبي هريرة رواه تمام والخطيب في رواية مالك وفي لفظ اطلبوا الخواص الى حسان الوجوه
رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر ورواه الخرائطى في اعتلال القلوب وتمام عن جابر ورواه الطبراني
في الاوسط من حديث أبي هريرة ورواه الخرائطى من حديث عائشة وروى عن الزيادة على لفظ الباب
وتسموا بخياركم واذا أنتمكم كرم قوم فاكموه رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف
وعند ابن أبي الدنيا في قضاء الخواص عن عمرو بن دينار مرسلا اطلبوا الخواص بحكم عند حسان الوجوه فان
قضى حاجتك فضاها بوجه طليق وان ردك ذلك بوجه طليق فرب حسن الوجه ذميمة عند طلب الحاجة
ورب ذميمة الوجه حسنة عند طلب الحاجة ونحوه قيل لابن عباس كم من رجل قبج الوجه قضاء للحوارج
قال انما نعى حسن الوجه عند الطالب (وقال عمر رضى الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه
حسن الاسم) وقد روى معنى ذلك مرفوعا رواه البزار من حديث قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه
رفعه اذا أبرئتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لا تعلم رواه بهذا الاسناد الاقتادة وله

وقيل مافي الارض قبج
الاوجهه أحسن مافيه
واستعرض المأمون جيشا
فعرض عليه رجل قبج
فاستنطقه فاذا هو الكن
فاستقط اسمه من الديوان
وقال الروح اذا أشرفت
على الظاهر فصباحة أو على
الباطن ففصاحة وهذا
ليس له ظاهر ولا باطن وقد
قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند حسان
الوجوه وقال عمر رضى الله
تعالى عنه اذا بعثتم رسولا
فاطلبوا حسن الوجه حسن
الاسم

وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة وقال تعالى تمتا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولستنا نغني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أئونة وانما نغني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه (فان قلت) فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها انعمت مع كونها مذمومة شرنا * فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

أيضاً من حديث عمر بن أبي خشم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه اذا بعثتم الى رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ومن الاشعار القديمة في معنى الحديث السابق ما روى عن ابن عباس انه أنشد قول الشاعر

ابن شرط النبي اذ قال يوما * اطلبوا الخير في صباح الوجوه
ولا بن راحة أو حسان تكرواه العسكري في الأمثال
قد سمعنا نبينا قال قولا * هولن يطلب الخواشج راحه
اغتدوا واطلبوا الخواشج من * زين الله وجهه بصباحه
وأنشد ابن عائشة أبياتاً منها

دل على معروفه وجهه * يدرك هذا هاديا من دليل

ومنها يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه احدى الشواهد

(وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين) في الاقرأ والاعلم والاصح (فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة) فكل من كان أكل فهو أفضل لان المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفر وفي سياق كتب أصحابنا الاحق بالامامة الاعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن فان استوفوا في السن فاحسنهم خلقاً فان استوفوا فاصحهم وجهاً (وقال تعالى تمتا بذلك) ان الله اصطفاه عليكم (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال وزاده في الخلق بسطة فكذلك هذا من البيان في فضل كمال الجسم (ولستنا نغني بالجمال) ههنا (ما يحرك الشهوة) أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء (فان ذلك أئونة) وفي بعض النسخ أئونة (وانما نغني به) معنيين آخرين أحدهما (ارتفاع القامة) وامتدادها (على الاستقامة) الذي يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء الجسم الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان أطاب للعلو في منبته كان أشرق في جنسه ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله

كان دروز القنطرية علفت * علائقها فيه يجزع مقوم

وقول الآخر اشم طويل الساعدين كأنما * نياط نجادا سيفه بلواء

والثاني أن يكون مقدداً أقوى العصب طويل الأطراف الذراع ممتداً رجب (مع الاعتدال في اللحم) والشحم بان لا يكون مثقلاً بهما ولا فارغاً عنهما (وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه) كما قال الشاعر

فتى قد قد السيف لامتضائل * ولادهل لبانه ومبادنه

(فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم) وجعلتهم من الخيرات والفضائل (وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جائران أرسلنا في غنم بافسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والدارمي والطبراني من حديث كعب بن مالك وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والخيل (وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون و) قال أيضاً (قيمة كل امرئ ما يحسنه) رواهما الشريف الموصوف في نهج البلاغة وهما من جوامع كلامه (وقيل المرء بنفسه لا بابيه) ومثله قول الآخر الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من اسجاع الحريري * تباله فخر * بعظم فخر (فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعاً فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك الامور على ماهي عليه ثم تنزل النقل على وفق مظهره بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

الاشعة لا سبيل الى مجدها الا ان فيها قناتنا ونحاف فمثال المسال الحية التي فيها تريقا نافع وسم نافع فان أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج تريقها النافع كانت نعمة وان أصابها السوادى الغرقى عليه بلا عود ولا نوه و مثل البحر الذى تحتة أصناف الجواهر واللائى فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة (٩٣) وطريق الغوص وطريق الاحتراز

الآخرة لاسبيل الى مجدها) وانكارها (الان فيها فتناوخواوف فثال المال) اذا نظرت اليه (مثال
 الحية التي فيها ترياق نافع) وذلك في لهما ماعدا رأسها وذنبها (وسم نافع) وذلك في اطرافها (فان أصابها
 المعزم) أي صاحب العزيمة (الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها) ويتقيه (و) يعرف (طريق
 استخراج ترياقها النافع) بان يسكنها من محل رقبته فيجمع بينه وبين ذنبها فيقطعها ماسكين حادة في ضربة
 واحدة ثم يستقطر ما بقي من لجمها فتهذه هو الذي يدخل في الترياق (كانت نعمة) في حقها لانه يقاوم
 السمومات كلها (وان أصابها السوادى الغر) بكسر الغين المعجمة أي الغبي الجاهل بطرق عزائمها
 وامساكها (فهى عليه بلاء وهلاك) فانه لا يأمن أن تنطوى عليه فتشبهه (وهو) أيضا (مثل البحر
 الذي تحته أصناف الجواهر والالآت) فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص فيه
 (وطريق الاحتراز عن هلكات البحر) من حيوان وغيره (فقد ظفر بنعمه) وهى حوز الجواهر والالآت
 (وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك) أي عرض نفسه للهلاك (فذلك مدح الله تعالى المال) في مواضع
 من كتابه العزيز (وسماه خيرا) وذلك قوله تعالى ان ترك خيرا وقد ذكر المفسرون ان المراد به المال
 (ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله المال) وقد تقدم قريبا (وكذلك
 مدح الجاه والعزاذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وجبته في
 قلوب الخلق) أجمعين (و) هذا (هو المعنى) أي المقصود (بالجاه ولكن المنقول في مدحهما) أي العز
 والجاه (قليل والمنقول في ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب
 القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب) والاجتلاب والملك قريبان (وانما كثر هذا) يعنى ذم المال والجاه
 (وقل ذلك) يعنى مدح العز والجاه (لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص
 في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تساهل بحر
 الجاه قبل العثور على جواهره) أي الاطلاع والاخذ (ولو كانوا في أعينهم مأمومين بالإضافة الى كل
 أحد ما تصور أن ينضاف الى النبوة الملك) الذي لا يتم الا بالمال والجاه (كما كان لرسولنا صلى الله عليه
 وسلم ولأن ينضاف اليها) أي الى النبوة (الغنى) فانه كناية عن وفرة المال (كما كان لسايبان عليه
 السلام فالناس كلهم) في هذه الدار (صبيان) مغفلون (والاموال حيات) أي بمنزلتها (والانبياء)
 عليهم السلام (والعارفون) من علماء الآخرة (معزومون) أي أصحاب عزائم ورفق (فقد يضرب الصبي
 ما لا يضرب المعزم) لمعرفة ماله وعليه فهو لاء اذا تناولوا المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها
 وضرها واذا آمن بها وشربها فيفترق الوجه الذي ينتفعون به وينفع غيرهم وبغيرهم ليس كذلك فما
 أسرع الهلاك اليه فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف ينفع الحية أن يقتدى بالراقى في تناول الحية
 والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدى بالعارفين في تناول اعراض الدنيا (نعم المعزم لو كان له
 ولد يدين بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا
 رآها بالعب بها فيهلك وله غرض في) تحصيـل (الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن
 غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر من الترياق ولا يستضربه ضررا كثيرا
 ولو أخذها لاخذها الهبي ويعظم ضرره به لانه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها) ويرى ذلك

البيها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالتاس كلهم صبيان والاموال حيات الانبياء والعارفون معزومون فقد بضر الصبي ملا بضر المعزم فم المعزم لو كان له والدي بديع ماء وصلحه وقد وجد حجة وعلم أنه لو أخذها لاجل ترباها لاقتدى به ولده وأخذ الحبة اذا رآها يلعب بها فملك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستعصر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي وبعض ضرره من لأكفه فواجب عليه أن يهرب عن الحبة اذا رآها

و يشير على الصبي بالهرب ويقع صورته في عينه ويعرفه ان فيها سمها فالتالا يخوض منه اُحد ولا يجد ثمة اُصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير علم (٩١)

فواجب عليه أن يحذر
الصبي ساحل البحر والنهر
فإن كان لا يترجى الصبي بمجرّد
الزجرهما رأى والده يحوم
حول الساحل فواجب
عليه أن يبعد من الساحل
مع الصبي ولا يقرب منه بين
يديه فكذلك الأمتى في حجر
الأنبياء عليهم السلام
كالصبيان الأغنياء ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم إنما
أنالكم مثل الولد لولده وقال
صلى الله عليه وسلم إنكم
تتهافتون على النار تهافت
الفراس وأنا آخذ بحجزكم
وحظهم لا أوفر في حفظ
أولادهم عن المهالك فإنهم
لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم
في المال حظ إلا بقدر القوت
فلا حرم اقتصر وأعلى قدر
القوت وما فضل فلم يسكوه
بل أنفقوه فإن الانفاق فيه
الترياق وفي الامسالك السم
ولو فقه للناس باب كسب
المال ورغبوا فيه لما لو إلى
سم الامسالك ورغبوا عن
ترياق الانفاق فلذلك فقت
الاموال والمعنى به تقبج
امساكها والحرص عليها
للاستكثار منها والتوسع
في نعيمها بما يوجب الركون
إلى الدنيا ولذا نهاها فاما أخذها
بقدر الكفاية وصرف
الفاضل إلى الخيرات فليس
بمذموم وحق كل مسافر

معاوية

أن لا يحمل الابن وزاده في السفر اذا هم العزم على أن يختص بما يحمله فاما اذا سمحت نفسه باطعام

الطعام ونوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ أحلكم من الدنيا كزاد الركب

معاوية وغيره عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله بن شبرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان بعوده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال ما يبكي خزع الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا فقال ليكن بلغه أحدكم من الدين ما مثل زاد الراكب وهذه الاساور وحولي وانما حوله مطهرة أو اجانه ونحوها فقال له سعد اهد عينا عهدنا أخذ به بعدك فقال له أذكر ربك عند هلك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قصمت رواه مورو العجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعاصم بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبي حدثنا زكريا الساجي حدثنا هبة بن خالد حدثنا جاد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وجدة عن مورو العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقبل له ما يبكيك فقال عهد عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب قالوا فلما مات نظر وافي بيته فلم يروا في بيته إلا كافا ووطاء ومتاع قوم نحو من عشرين درهما ومن رواه عن الحسن السري بن يحيى والربيع بن صبيح والفضل بن دلهم ومنصور بن راذان وغيرهم عن الحسن حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوزر حدثنا بشر بن موسى حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي فقبل له يا أبا عبد الله ما يبكيك أليس فارقت رسول الله وهو عنك راض فقال والله ما بي خزع الموت ولكن رسول الله عهد الينا عهد فقال ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحديث سعيد بن المسيب حدثنا أبي قال حدثنا زكريا الساجي حدثنا هبة بن خالد حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان بعودانه فبكى فقالا ما يبكيك أبا عبد الله فقال عهد عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحديث عاصم بن عبد الله حدثنا أبو عمرو بن جدران حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حملة بن يحيى حدثنا ابن وهب قال أخبرني أبو هاني عن أبي عبد الرحمن الفيلبي عن عاصم بن عبد الله عن سلمان الخبيري أنه حين حضره الموت عرفناه بعض الجزع فقالوا ما يجزعك أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازي حسنة وفتوحا عظيما فقال يحزنني أن حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم عهد الينا حين فارقنا فقال ليكيف المؤمن كزاد الراكب فهذا الذي أحرزني قال فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا قال عاصم بن عبد الله دينارا واتفق الباقر بن علي بضعة عشر درهما ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن عمرو البراز حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان فقالت له لم تبكى فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد لي عهدا أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الجدةاني حدثنا عتاب بن بشير عن علي بن بزيمة قال يبيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهما (معناه لانفسكم خاصة والافقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويقرقهافي موضعه ولا يمسك منه حاجة) وكأنه يشير إلى ما رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا حبيب حدثنا جعفر حدثنا هشام حدثنا الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين وكان يخطب الناس في هبائه يفتش بعضا ويلبس بعضها وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل كل من سطيف يده وروي أحمد في الزهد من طريق عبد الله بن بريدة قال كان سلمان يعمل بيديه فإذا أصاب شيئا اشترى به لحما أو سمكا ثم يدهو المجذمين فيأكلونه معه (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء

معناه لانفسكم خاصة والا
فقد كان فيمن يروي هذا
الحديث ويعمل به من
يأخذ مائة ألف درهم في
موضع واحد ويقرقهافي
موضعه ولا يمسك منه حاجة
ولما ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن الأغنياء

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما عليه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة بدماء متزج دواؤها بدائها ورجوها بخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكال معرفته فله ان يقرب منها متقيادها ومستخر جادها وانها ومن لا يثق بها فالبعد (٩٦)

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) وكان من اغنياء الصحابة (في ان يخرج من جميع ما عليه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف الحديث) قال العراقي رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد قلت كلا فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا اهـ قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا جعفر بن محمد الفرابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحنا فاقض الله يطلق لك قدميك قال ابن عوف وما الذي أقرض الله قال تتبرأ مما أمسيت فيه قال من كاه أجمع يارسل الله قال نعم فخرج ابن عوف وهو بهم بذلك فاتاه جبريل فقال مرابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه (فاذا النعم الدنيوية مشوبة بدماء متزج دواؤها بدائها ورجوها بخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكال معرفته فله ان يقرب منها متقيادها ومستخر جادها وانها ومن لا يثق بها فالبعد والبعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كاهم الامن عصمه الله تعالى وهذا الطريقة فان قلت فامعنى النعم التوفيقية التي لا تحصل الفضائل الخارجية الا بها (وهي الراجعة الى) أربعة أشياء (الهداية والرشد والتأيد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد) وفعاله (وبين قضاء الله وقدره) والاتفاق ومطابقة التوفيق يقال اتفاق جيد واتفاق ردي فالنوفيق وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصلح استعماله فيه - ما جميعا (ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة) فقط (من جهة قضاء الله وقدره كما ان الاتحاد في الاصل (عبارة عن الجبل) ومنه المحدث في القبر (نقص عن جميل الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد) وأشباههما) ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق) كما قال الحكيم الذي لا يستغنى الانسان عنه في كل حال التوفيق (ولذلك قيل)

(اذالم يكن عون من الله للفتي * فأكثر مايجني عليه اجتهاده)

وأما الهداية فلا سبب لاحد الى طلب السعادة) ولا الى شئ من الفضائل (الاجها) أي بهداية الله ورجته ويجب على كل انسان ان يعلم ذلك (لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فنأين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية) فهي مبدأ الخيرات ومنتهىها كما (قال) الله (تعالى) ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى (وقال تعالى) مخاطبا للناس (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدأ ولكن الله يركم من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى أي بهدائيه فقيل ولا أنت يارسل الله قال ولا أنا) تنبيه على انه لو توهمت رحمة مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة ان يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسل الله قال ولا أنا الا ان يتعمدني الله منه بفضل ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخل الجنة

البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كاهم الامن عصمه الله تعالى وهذا الطريقة فان قلت فامعنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأيد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو سقاة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جهة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الاتحاد عن الميل تفصص عن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل

اذالم يكن عون من الله للفتي

فاكثر مايجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان

قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذالم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فنأين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدأ ولكن الله يركم من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى أي بهدائيه فقيل ولا أنت يارسل الله قال ولا أنا

والهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى (٩٧) وهديناك النجى وقد انعم الله تعالى به على

كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما تهود فهديناهم فاستجبوا للهدى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقل وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمى القلوب وان كانت لاتعمى الابصار قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جملة المعصيات الالف والعادة وحب استصحابها ما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة الا آية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشرا منا واحدا ننبهه فهذه المعصيات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراعهذه الهداية العامة وهي التي يد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة في هدى

الحديث واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم انتهى قلت وتنام حديث أبي هريرة عند الشيخين فسددوا وقاربوا ولا يأتين أحدكم الموت اما محسن فلعلمه بزداد خيرا واما مسنى فاعلمه يستعقب وفي لفظ لهما ان ينبغي أحدا منكم عمله قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأنا الا ان يتعمدني الله برحمته ولكن سدودا وقاربوا واغدا واوروحوا وشئ من الدجلة والقصد القصد تبلغوا وروى ابن قانع والطبراني والضياع من حديث شريك بن طارق ان يدخل الجنة أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتعمدني الله من برحمة وفضل وفي لفظ للطبراني ما من أحد يدخل الجنة بعمل وقال الاربعة منه وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد ان يدخل أحد الجنة الاربعة الله قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتعمدني الله (والله داية ثلاث منازل) في الدنيا (الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليها بقوله تعالى وهديناك النجى) هذاهو المشهور في التفسير وقيل طريق الثواب والعقاب وقيل طريق العقل والشرع وقال مجاهد الذين وكذلك قوله تعالى انا هديناه السبيل وقوله تعالى وهديناك ما الصراط المستقيم (وقد انعم الله به على كافة عباده) المكافين (بعضه بالعقل) والفتنة والعارف الضرورية نعم به كل مكلف بل كل شئ حسب احتماله كما قال تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى فهذه القسم الاول من المتزلة الاولى وأشار الى القسم الثاني بقوله (وبعضه على لسان الرسل) أى الهداية التي جعلت للناس بدعائه اياهم على أسنسة الانبياء والرسل وانزال القرآن (ولذلك قال الله تعالى) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفا من المعروف وتعريفا في المعروف وبهما تتم الهداية والتعليم فانه متى حصل البذل من الهادى والمعمى ولم يصح القبول صح ان يقال لم يهتد ولم يعلم اعتبارا بعدم القبول وصح ان يقال هدى وعلم اعتبارا ببذله وعلى الاعتبار الثاني ينزل قوله تعالى (وأما تهود فهديناهم فاستجبوا للهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول) التي هي مبدأ الهداية (وهي مبذولة) لهم (ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمى القلوب) أى تغطي على بصيرتها (وان كانت لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وعمى عين القاب الباطنة أشد من عمى العين الظاهرة واليه الاشارة بقوله تعالى أم على قلوب اقفا لها (ومن جملة المعصيات الالف والعادة) بالشئ (وحب استصحابها ما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة) وانا على آئارهم مقتدون وكذا قوله صلى الله عليه وسلم حبل الشئ يعمى ويصم (وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد تقدم الكلام عليه (وقوله تعالى أبشرا منا واحدا ننبهه) انا اذ انى ضلال وسعر فكل ذلك منشؤه التكبر على المؤمنين والخصام على ما أعطاهم الله تعالى (فهذه هي المعصيات التي منعت الاهتداء) وأشد صاحب الدنيا فانه رأس كل خطيئة (والهداية الثانية وراعهذه الهداية العامة) التي هي الاولى (وهي التي يد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال بحسب استزادته) من العلم والعمل الصالح وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى (وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى) وآئارهم تقواهم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يمد قلبه (والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة في هدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به) وعبر بعضهم عن هذه الهداية بنور الولاية التي هي في أفق نور النبوة واعل هذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف (وهو الهدى المطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

(١٣) (تحاف السادة المتقين) - (تاسع) بعد كمال المجاهدة في هدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى (٩٨) الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا

له نور اعشى به في الناس والمعنى بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتريه عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتبه عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبير بحفظ المال وطرق التجارة والاستثمار ولكنه مع ذلك يبذروا ولا يريد الاستئمان لا يسمى رشدا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة * وأما التسديد فهو توجيه حركته الى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليستد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية مجرد هالات كفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى (٩٨) فأضاف ذلك الى لفظ الله تعظيما له بقوله بيت الله ثم قال هو الهدى فجعله الهدى المطلق وكذلك قوله تعالى هدى للمتقين فالهدى والهداية في موضوع اللغة واحد ولكن قد خص الله لفظ الهدى بما قولاه وأعطاء واختص هو به دون ما هو الى الانسان (وهو المسمى حياة في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نور اعشى به في الناس و) نورا (بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وبقوله تعالى يا أيها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقا نأى نورا تفرقون به بين الحق والباطل وتخرى هذه المنازل الثلاثة يتوصل الى الهداية للجنة في الآخرة وهي المذكورة في قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فمن لم يحصل له الاولى لا يحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة والانسان لا يقدر ان يهدي أحدا الا بالدعاء أو تعريف الطريق دون سائر الهدايات والى سائر الهدايات أشار بقوله انك لا تهدي من أحببت وكل هداية ذكر الله فيها انه منع الكافرين والظالمين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق الذي يختص به المهتدون والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وادخل الجنة المشار اليها بقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وكل هداية فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهي ماعداء المختص به من الدعاء وتعريف الطريق وذلك كأعطاء العقل والتوفيق وادخل الجنة وإلى هذا المعنى أشار بقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله ومن يهدي الله فهو المهتدأى طالب الهدى ومخبره هو الذي يوفقه ويهديه الى طريق الجنة لا من ضاده فتخرى طريق الضلالة والكفر بقوله والله لا يهدي القوم الكافرين وقوله ان الله لا يهدي من هو كاذب كغفار الكاذب الكفار هو الذي لا يقبل هدايته فان ذلك راجع الى هذا وان لم يكن موضوعا لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهتدأ ما قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقد قيل عن به الهداية العامة التي هي العقل وألسنة الانبياء وأمرنا بان نقول ولكن بالسنتنا وان كان قد فعل ليعطينا ثوابا كما أمرنا ان نقول اللهم صل على محمد وان كان قد صلى عليه بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وقيل ان ذلك دعاء بحفظنا من اعتصوا بالغواية واستهوا الشهوات وقبل هو سؤال للتوفيق الموعود في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى (وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان) في أموره (عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه) كذا في النسخ ونص الذريعة فتقربه بما فيه (صلاحه وتفتريه) أي تكسله (عما فيه فساده و) أكثر ما (يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتبه عالمين) وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم أو فسحه واليه توجه قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه (فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبير بحفظ المال وطرق التجارة والاستئمان) أي كيفية تمسك المال (ولكنه مع ذلك يبذره تبذيرا ولا يريد الاستئمان لا يسمى رشدا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره وأعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة من النعم التوفيقية (وأما التسديد فهو توجيه حركته الى صوب الغرض) المطلوب وتيسرها عليه (بان تقوم ارادته وحركته نحوه) (ليستد في صوب الصواب) ويهجم عليه (في أسرع وقت) يمكن الوصول فيه اليه وهو المراد بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم في أحد الوجوه (فان الهداية بمجرد هالات كفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض

التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحرك الاعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل اذ يدرك روح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهسى يسبح في الباطن يقوى (٩٩) به الانسان على تحرى الخير وتجنب

الشر حتى يصير كما نفع من باطنه غير محسوس ويايه عني بقوله تعالى ولقد هدته به وهم به الا ان رأى برهان ربه فهذه هي مجاميع النعم ولن تثبت الا بما يحوله الله من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعى والقلب البصير المتواضع المراعى والمعلم الناصح والمسال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرة والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعدا ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى أن تنتهى بالآخرة الى دليل المخيرين ومجلى المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وباللغة التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

النوفيق
* (بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها

التعريف) والدلالة بالاطاف (والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحرك الاعضاء في صوب السداد) والنصرة من الله تعالى معونة للانبياء والاولياء وصالحى العباد بما يؤدى الى صلاحهم عاجلا وآجلا وذلك تارة يكون من خارج بمن يقضه الله تعالى فيعينه وتارة من داخل بان يقوى قلوب الاولياء أو يلقى رعبا في قلوب الاعدا على ذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا والآخرة وقوله تعالى ولقد حسبنا كتماننا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدول والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله فى وصف النقي كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم (وأما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ يدرك روح القدس) وهو مثال الاول (وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهسى) أى فيض من فيوضاته (يسبح في الباطن) أى يعرض فيه (يقوى به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كما نفع) له (من باطنه غير محسوس) أى وان لم يكن منع محسوسا (وياه عني بقوله تعالى ولقد هدته به وهم به الا ان رأى برهان ربه) وقدروى ان يوسف عليه السلام رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو عاض على ابهامه فأبحم وليس ذلك بمائع ينافى التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فان ذلك كان تصوراً منه وتذكراً لما كان قد حذر منه وعلى هذا قال لنصرف عنه السوء والفحشاء الآية ومن عصمته تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل لآخذنا منه باليدين ثم لقطعنا منه الوتين (فهذه هي مجاميع النعم وان تستثبت الان بما يحوله الله) أى بنعمه (من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعى) لما يحفظه (والقلب البصير المتواضع المراعى) تقييض (المعلم الناصح) له والتوفيق الموافق (و) امداداه من (المسال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته) هكذا فى النسخ ولفظ الذريعة وامداداه من المسال بما لا يقدره عن مغزاه قلته ولا يشغله عنه كثرته (و) من العسيرة (والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعدا) وعن الغض منه من جهة الاغنياء وان يحوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التشوق للمنازل الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية (ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى أن تنتهى بالآخرة الى دليل المخيرين ومجلى المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب) جل جلاله وعم نواله (واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها) أى طلب نهايتها (فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وباللغة التوفيق) وهو حسبي ونعم الوكيل

* (بيان وجه الانموذج فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء) * اعلم اننا جعنا النعم فى ستة عشر ضربا (انا جعنا) فيما تقدم (النعم) الموهوبة والمكتسبة (فى ستة عشر ضربا) من ضرب أربعة فى أربعة فالاربعة أصول ولكل أصل أربعة (وجعلنا صحة البدن) وسلامته من الاسقام (نعمته من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة) لانها من جملة الفضائل البدنية المكملة للفضائل النفسية (فهذه النعمة الواحدة لو أردنا ان نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة) أى نطلب نهايتها (لم نقدر عليها ولكن الا كل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التى بها تمت نعمة الاكل

عن الحصر والاحصاء) * اعلم اننا جعنا النعم فى ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمته من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا ان نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الا كل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التى بها تمت نعمة الاكل

فلا يخفى أن الكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو أنها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد والذات ولا بد لكل من مأكل ولا بد للمأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلذلك أسباب الادراك ثم أسباب الارادات (١٠٠) ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكل على سبيل التلويح لاعلى سبيل الاستقصاء* (الطرف

الاول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك)*
اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمحي ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الارض وهي له آلات بها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تغلظ أصولها ثم تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب الى عروق شجرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ويمس أصله جف وليس له مكانه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بعرفة المطالب وبالانتقال اليها النبات عاجز عن ذلك فمن نعم الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمته الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فأولها حاسة اللمس ولها خصلتها

ولا يخفى ان الكل فعل) لانه هيئة حاصلة لا كل بسبب كونه آكلا (وكل فعل من هذا النوع فهو حركة) لانه خروج من الفعل الى القوة بالتدرج (وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك) وتكون تلك الحركة عارضة لذاته والجسم ماله طول وعرض وعمق (هو) أي ذلك الجسم (ألتها ولا بد لها) أي لتلك الحركة (من قدر على الحركة ولا بد لها من إرادة للحركة ولا بد) مع ذلك (من علم بالمراد) وادراك له ولا بد لكل من مأكل ولا بد للمأكل من أصل منه يحصل وجوده (ولا بد له من صانع يصلحه) وبهيشه لا كل (فلذلك أسباب الادراك أولا ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكل على سبيل التلويح) والاشارة (لاعلى سبيل الاستقصاء) والاحاطة

* (الطرف الاول)* (في) بيان (نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات) وهو ما يخرج من الارض من النباتات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم لكن خصه عرفا بما لا ساق له (وهو) أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي تنمو (نموا) (ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التي هي) (في) باطن (الارض وهي له آلات بها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها) وهي منابت الاوراق (ثم تنشعب وتتفرق ولا تزال تستدق وتنشعب) أي تنقسم (الى عروق) دقيقة (شجرية) أي مثل الشعر في الدقة (تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال) بالاضافة الى الجواهر المذكورة (ناقص فانه لو أعوزه) أي أحوج (غذاء يساق اليه ويمس أصله جف وليس) وذبيت نضارته (ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون لعرفة المطالب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك) أي لا قدرة له على الانتقال من موضعه (فمن نعم الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمته الله تعالى في خلق الحواس الخمس) الظاهرة (التي هي آلة الادراك) وتحقيق المقام ان الافعال الصادرة انما تصدر عن القوى لاعتن الجسم فان الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التي فيه أو بقوة متعلقة به فالقوة مبدأ الفعل وكل فاعل اما قوة أو ذوق أو تفعل بقوته فالفاعل هو القوة والجسم آلة في الافعال فاستعماله على الوجه الالهي تستكمل اذا عرفت هذا فاعلم ان النفس قد عرفت تجرد هاو كونها في أول انشائها ناقصة محتاجة الى الاستكمال بالاجسام ولم يمكنها معرفة الجسم وما فيه من المعاني من غير آلة جزئية تخلق الباري جل جلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الاجسام وعوارفها المكتسبة من الفيض العقلي بحسب استعدادها من الالوان والاشكال والطعوم والروائح وغير ذلك وحواس باطنية تدرك بها أنواعا أخرى من المعارف وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها في مهماتها ومقاصدها ويحصل لها شعور بالحسوسات بواسطتها فالحواس الظاهرة خمسة (فأولها حاسة اللمس) وهي قوة منبثة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال به (وانما خلقت لك) هذه القوة (حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان) ولذلك قالوا الحيوان جسم نام حساس متحرك (وأقصد درجات الحس ان يحس بما يلامسه ويماسه) ويتصل به (فان الاحساس بما يلامسه حساس أتم لا يحاله وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرزت فيها بريرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

النبات

لك حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور

حيوان الا يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان وأقصد درجات الحس أن يحس بما يلامسه ويماسه فان الاحساس بما يبعده منه احساس أتم لا يحاله وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرزت فيها بريرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

النبات يقطع فلا ينقبض الا بحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت (١٠١) ناقصا كالذودة لا تقدر على طلب الغذاء من

حيث يبعد عنك بل ما عسى
بدنك فتحس به فتجذبه الى
نفسك فقط فافتقرت الى
حس تدرك به ما بعد عنك
تخلق لك الشم الا انك تدرك
به الرائحة ولا تدري انها
جاءت من أى ناحية فتحتاج
الى أن تطوف كثيرا من
الجوانب فرمما تعثر على
الغذاء الذى شمت ريحه
ورمما تعرف فتسكون في
غاية النقصان لو لم يخلق لك الا
هذا خلق لك البصر لتدرك
به ما بعد عنك وتدرك جهته
فتقصده تلك الجهة بعينها الا
انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت
ناقصا اذا لا تدرك هذا ما وراء
الصدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب
وتبصر عدو لا حجاب بينك
وبينه وأما ما بينك وبينه
حجاب فلا تبصره وقد لا
يتكشف الحجاب الا بعد
قرب العدو فتجزع عن الهرب
تخلق لك السمع حتى تدرك
به الاصوات من وراء
الصدران والحجب عند
جريان الحركات لانك
لا تدرك بالبصر الاشياء حاضرا
وأما الغائب فلا يمكنك
معرفة الا بكلام ينظم من
حروف وأصوات تدرك
بحس السمع فاشتدت اليه
حاجتك لتخلق لك ذلك
وميزت بفهم الكلام عن
سائر الحيوانات وكل ذلك
ما كان يغنيك لو لم يكن لك
حس الذوق اذ يصل الغذاء

النبات يقطع فلا ينقبض الا بحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالذودة لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما عسى بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس آخر (تدرك به ما بعد عنك تخلق لك الشم) وهى قوة مودعة في الزائدين النابتين في مقدم الدماغ الشبهتين بحلمتى الندى بهما تدرك الروائح بطريق وصول الهواء المتكثف بكيفية ذى الرائحة الى الخيشوم (الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من أى ناحية فتحتاج ان تطوف كثيرا من الجوانب فرمما تعثر على الغذاء الذى شمت ريحه ورمما تعرف فتسكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا خلق لك البصر) وهى قوة مودعة في العصبين المجوفتين اللتين يلتقيان ثم يفترقان تتأدى الى العين بهما الاضواء والالوان والاشكال (لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصده تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذا لا تدرك هذا ما وراء الصدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدو لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا يتكشف الحجاب الا بعد قرب العدو) منك (فتجزع عن الهرب) من بين يديه (تخلق لك السمع) وهى قوة مودعة في القصب المفروش في مقعر الصمناخ به تدرك الاصوات بطريق وصول الهواء المتكثف بكيفية الصوت الى الصمناخ (حتى تدرك به الاصوات) والنبغات اللذيذة واللبشة الحاصلة من تصادم الاجسام (من وراء الصدران عند جريان الحركات) بواسطة الروح المودعة في العصب على حد مخصوص من القرب والبعد وشدة الصوت ورفعته (لانك لا تدرك بالبصر الاشياء حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفة الا بكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك لتخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام من سائر الحيوانات) وقاعدة تشكّل الهواء بمقاطع الحروف غير صحيحة لكون الهواء غير حافظ للشكل لانه سريع الالتئام ثم يتشوش ما عند أذنه من الهواء ينبغي ان لا يسمع شيئا لتشوش التوجّات واضطرابها وقول القائل بان الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه غير سديد فانه اذا تشوش الهواء المجاور للأذن بالكتابة لا يبق للبعث قوة النفوذ والامتياز عن الباقي وأما ما قيل ان الصوت متعلق بقلع أو قرع لا كيف اتفق بل عند حركة من الهواء بعنف فلا ينبغي ان تفهم كونه مادا خائفا في حقيقة الصوت بقاء الصوت بعد الفراغ عنهما والصواب ان الصوت لا يعرف بشئ أصلا وكذا بساط جميع المحسوسات فان التعريفات لا بد وان تنتهى الى معلومات مستغنية عن التعريف لكون التسلسل باطلا واذا وجبت النهاية ولا شئ أظهر من المحسوسات لان جميع علومنا منتزعة منها وهى المعلومات الأولية وبها تعرف حركاتها حقيقة الصوت لا تعرف لمن لا يسمع له وكذلك الضوء لمن لا يبصر له ومن كان له فهو مستغن عن التعريف فالصوت أمر بسيط صورته في العقل كصورته في الحس وحقيقته انه صوت فقط وكذا اللون وسائر المحسوسات وأما ان سبب الصوت قلع أو قرع وان الهواء شرط واذا لم يكن على سبيل حصول المقاطع كان على وجه آخر شرط طافو بحث آخر لا مدخل له في حقيقة الصوت والله أعلم (وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق) وهى قوة منبهة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية وبسائط الطعوم هى الحرارة والمرارة والجوضة والعفوصة والقبض والحراقة والمالوحة والدسومة وواحد لا طعم له ويسمى التفه (اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب فى أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها) أى يبسها وليست النفس دراية بمجرد هذه الا لان بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمرجة مخصوصة اذا وصل اليها الروح النفسانى اللطيف وجال فيها استعداد ذلك لان تفيض النفس عليه هيئة مستعدة بتلك الهيئة لان يكون مرآة للنفس تشهد بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسى وخواصه لمناسبة ما بين النفس وذلك الروح الذى حصل له بتردده فى تلك الآلة هيئة مخصوصة تقتضى ان تشاهده النفس عند الاستعمال نوعا من المعلومات

اليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب فى أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها

ثم كل ذلك لا يكفينا لولم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حساً مشتركاً يتأدى اليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه اطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرّاً بخالفك فتركته فاذا رأيت مرة أخرى فلا تعرف انه مضر مالم تذوقه تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق

يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى اذا أدرك الصفرة حكم بأنه مضر فتمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للسان هذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هذا الكنت ناقصاً فان البهيمة تبحثال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخلص لذاتها وقد تاتي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثانی الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فيك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتآليفها واعداد أسبابها فتنفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتآليفها واعداد أسبابها فتنفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائده العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة

(ثم كل ذلك لا يكفينا لولم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حساً مشتركاً يتأدى اليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه اطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرّاً بخالفك فتركته فاذا رأيت مرة أخرى فلا تعرف انه مضر مالم تذوقه تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى اذا أدرك الصفرة حكم بأنه مضر فتمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للسان هذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هذا الكنت ناقصاً فان البهيمة تبحثال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخلص لذاتها وقد تاتي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثانی الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فيك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتآليفها واعداد أسبابها فتنفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتآليفها واعداد أسبابها فتنفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائده العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه) (وهذه كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكل واحد منها بامر يختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الطعوم والاخرى بالحر والبرد والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الاربع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

(وهذه

الاحساسات الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكل واحد منها بامر يختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الطعوم والاخرى بالحر والبرد والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الاربع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

الاحساسات الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكل واحد منها بامر يختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الطعوم والاخرى بالحر والبرد والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الاربع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

مقدمة الدماغ مثل صاحب
القصص والكتب على باب
الملك يجمع القصص
والكتب الواردة من نواحي
العالم فيأخذها وهي محتومة
ويسلمها اذ ليس له الا
أخذها وجعلها وحفظها
فاما معرفة حقائق ما فيها
فلا ولكن اذا صادف القلب
العاقل الذي هو الامير
والملك سلم الانهاآت اليه
محتومة فيفتشها الملك ويطالع
منها على أسرار المملكة
ويحكم فيها باحكام عجبية
لا يمكن استقصاؤها في هذا
المقام وبحسب ما يلوح له
من الاحكام والمصالح بحرك
الجنود وهي الاعضاء مرة
في العليل ومرة في الهرب
ومرة في اتمام التدبيرات
التي تعين له فهذه سياقة نعمة
الله عليك في الادراكات
ولا تظن اننا استوفيناها فان
الحواس الظاهرة هي بعض
الادراكات والبصر واحد
من جملة الحواس والعين آلة
واحدة له وقد ركبت العين
من عشر طبقات مختلفة
بعضها طرية وبعضها
أغشية وبعضها كالمشيمة
كأنها نسج العنكبوت
وبعضها كالمشيمة وبعض
تلك الرطوبات كأنه بياض
البيضاء وبعضها كأنه الجذ
واكل واحدة من هذه
الطبقات العشر صفة وصورة
وشكل وهيئة وعرض

(وهذه البرد) بضمين جمع بريد الرسول (والجواسيس يقتضون الاخبار) أي يتتبعونها (من اقطار
المملكة) واطرافها (ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب
القصص والكتب) الواردة (على باب الملك يجمع القصص والكتب) الواردة من نواحي العالم فيأخذها من
يد الجواسيس (وهي محتومة ويسلمها) الى الملك (اذ ليس له الا أخذها وجعلها وحفظها) الى وقت الحاجة
(وأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت)
وهو رفع القصص لانه يذكر فيها دائما وانهي البسه كذا وكذا (اليه محتومة فيفضها الملك) وفي نسخة
فيفتشها (وبدائع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجبية لا يمكن استقصاؤها) في هذا المقام
وقد يفيض صاحب الاخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشا وارفح الباقي صافيا الى حضرة الملك
فيميزه ويرفعه ويعرف مضاره ومنافعه ويسلمه الى خازنه وهي القوة الحافظة الى وقت حاجته فينشد يتقدم
بإخراجه (وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح بحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في
الهرب ومرة في اتمام تدبيرات تعين له) أي تعرض (فهذه سياقة نعمة الله) تعالى (عليك في الادراكات ولا
تظن اننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة) الحس (هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس
والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها طرية وبعضها أغشية وبعض
الاعشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه
الجدول كل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض ونور وبرق كيب لو اختلفت طبقة
واحدة من جملة العشر أوصلة واحدة من صفات كل طبقة لا تحتل البصر وعجز عنه الاطباء والكهالون كلهم)
وبيان ذلك ان كلا من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهي العصب والعضل والعروق
وقد سمي المصنف الكل طبقات وفيه تسامح لا يضر وكيفية تركيبها ان العصب المجوفة التي هي أول العصب
الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى قعر العين وعليها غشاء آنه - ما غشاء الدماغ فاذا برزت عن العين
وصارت في جوف عظم العين فارقتها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباسا على عظم العين ويسمى هذا الغشاء
الطبقة الصلبة ثم يفارقتها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباسا بعد الصلبة وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها
بالمشيمة لانها ذات عروق كثيرة ثم تصير هذه العصبية نفسها الى المجوفة عريضة ويصير منها غشاء بعد
الاولين ويسمى الطبقة الشبكية ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب
وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير الان في جانبه
الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه اشباح المراتب وفي جانب الداخل تنو لتتوصل بالعصب المجوفة كما ينبغي
وتسمى الرطوبة الجليدية تشبهها بالجليد في صفاته ويسمى البردية أيضا لشبهها بالبردية في شكلها واصفائها
وشبهها ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف وبعلا النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت
شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلا هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض
وقوامه يسمى الرطوبة البيضاء يعلا البيضاء جسم رقيق يحمل الداخل أمانس الخارج ويختلف لونه
في الابدان فربما كان شديدا السواد وربما كان دون ذلك في وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع
ويضيئ في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة
ويسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة الغنية في خلل باطنها وملاسة بظاهرها والثقب الذي في
وسطها وبعضهم يقول ان لون هذه الطبقة هو الاسمانجوني ليكون نور الباصرة فيها معتدلا لا ذالون
أنسب وأوفق لنور الباصرة من هذا لان لون السواد يقبض النور المذكور والبياض يفرقه وهذا
اللون متوسط بين السواد والبياض ولا نجد في الالوان ما هو في حاق الوسط بينهما مثل هذا اللون ويعلا هذه
الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه محيطة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير

ونور ووتر كيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر أوصلة واحدة من صفات كل طبقة لا تحتل البصر وعجز عنه الاطباء والكهالون كلهم

فهذا في حس واحد قدس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جلته لا تزيد على جوزة صغيرة (١٠٤) فكيف نطيق بجميع البدن وسائر أعضائه وعجايبه فهذه مرامنا إلى نعم الله

*) الطرف الثاني في أصناف

النعم في خالق الارادات)*

اعلم انه لو خاق لك البصر

ح- تی تدرک به الغذاء من

١٤-د ولم يخلق لك ميل في

الطبع وشوق اليه وشهوة

له استخمسك على الحركة

١- كان البصر معطالاً فيكم

من مریض پوری الطعام

وهو اذ يعالجه الاستبراء وقد

سهل سہوہ فلاینڈاؤلہ

في البصر والادراك

معیار فی حقہ فاصطوری

الى ان يدون لنا ميل الى ما

توافق اسمی سهوا و نهرة
ع اضا لانت

تجارت کا اعلیٰ قسمی گراہہ
لنظام سالہ و تہمت

بالحكمة تفتاة الله تعالى

فيلك شهوة الطعاب وساطها

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَأَنَّ كَاتِبًا:

الذي يخط الخطاطون

حَتَّى تَتَنَاوَلَ وَتُغْذِمَ فِتْنَةً

ماغذاء و هذا مما يشترك

فيه الخبز اثنان دون النابت

ثم هذه الشهادة له لم تسك.

إذا أخذت مقدار الحاجة

أُمر فت وأهلك نفسك

فخلق الله لك الكراهة عند

الشعب - لم يترك الا كل ما

لا كالزروع فانه لا يزال يحثذب

لما اذا انصب في أسفله

حتی یفسد فیحتاج الی آدمی

بقدر غذاغه بقدر الحاجة

يسقيه مرة ويقطغ عنه الماء

انهم يتناولون بلون الطبقة التي تحتها المسماة بالعينية كما اذا الصق وراء جام من زجاج شئ ذفولون فيخبل ذلك
المكان من الزجاج بلون ذلك الشئ ولونهم يختلف في الناس ففي بعض يكون زرقاء وفي بعض يكون شهلاء
وفي بعض يكون سوداء ويعاوه هذه الطبقة ويغشيها كهايل الى موضع سواد العينين جسم أبيض
اللون صلب يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي على
القحف من خارج وجوهره من لحم أبيض دسم وقدامترج بعضلة العين وأحكم على القرنية فلهذا يسمى
بالملتحمة ونبات القرنية من الصابية ونبات العينية من المشيمة ونبات العنكبوتية من الشبكية هكذا رتب
بعضهم هذه الطبقات والرطوبة أعني جعل الاول الطبقة الصلبة ثم الطبقة المشيمية ثم الطبقة الشبكية
ثم الرطوبة الجليدية ثم الطبقة العنكبوتية ثم الرطوبة البيضية ثم باقي الطبقات وبعضهم جعل الرطوبة
البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية ليأخذ الغذاء من الزجاجية وتدفع البيضية
عنها اشعة الشمس ونحوها وجعل الطبقات الاربع اعني العنكبوتية والعينية والقرنية والملتحمة تالية
للرطوبة الثلاث المتتالية وأشرف أجزاء العين انما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبة
لاجل مصلحتها فالزجاجية والطبقات الثلاث المتصلة بها قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة
البيضية والطبقات الاربع المتصلة بها محيططة بنصفها الآخر من جانب آخر وهي موضوعة في الوسط صيانة
لها وحرا (فهذا في حس واحد فقص به حاسة السمع وسائر الحواس) ومن أعجب ما في حاسة السمع ان في
داخلها فضاء موضوعا بحجرا فاذا تعبير يؤدى اليه ثقبة وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس
المذكور على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل وبهذا الغشاء يكون السمع عند ما يقرعه
الصوت لان في ذلك الفضاء هواء راكد اذ كما وصل الهواء الخارج الى المموج الى العصب حركه الهواء
الداخل فيصا دمان في العصب معا فبدرك الصوت (بل لا يمكن ان تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في
جسم البصر وطبقاته) المذكورة (في مجلدات كثيرة) قد تكفل ببيان بعضها أهل التشريح (مع ان جلته
لا تزيد على جورة صغيرة) أي في المقدار (فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وبجائته) التي
ركبها الله تعالى فيه (فهذه مرا من) أي اشارات (الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات) والله أعلم
(الطرف الثاني) (في) بيان (أصناف النعم التي في خلق الادراكات) أعلم انه لو خلق لك البصر
حتى تترك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوته لتستحيل على الحركة لكان
البصر معطلا (مهملا) فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الاشياء له وقد سقط شهوته فلا يتناوله
فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطرت الى أن يكون لك ميل الى ما يوافقك) ويلان من زجرك
يسمى شهوة (و) ان تكون (نفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق
الله تعالى فيك شهوة الطعام وساطها عليك ووكهايك كالتقاضى) أي المطالب (الذي يضطرك) أي
يلجئك (الى تناول) منه (حتى تتناول وتغنى قنيتك بالغذاء وهذا) القدر (مما يشارك فيه
الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة) منه (أشرفت) وتجاوزت
(وأهلك نفسك فخلق الله سبحانه لك الكراهة عند الشبع لتترك بها الاكل لا تزرع فانه لا يزال يجتذب
الماء اذا انصب في أسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع
عنه الماء أخرى) حتى يصلح (ويخلق لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع
حتى يجامع فيبقى به نسلك) وهاتان هما الشهوتان واحداهما تحدث عن الاخرى (ولو قصصنا عليك

فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكلما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيمضي به بدنك خالق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيمضي به نسلك ولو قصصنا عليك

محائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية خلق الاثني عشر والعروق السالكة اليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأمن الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكّل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتشكّل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظاما ولحما ودماء وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ويد ورجل وبطن وظهور وساير الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكالسنائر يد أن نتعرض الانعم الله تعالى في الاكل وحده كي (١٠٥) لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام

أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيلك فانه تأتيلك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا توافقك لبقيت عرضة للاسقام ولا خذ منك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا توافقك ثم هذا لا يكفيلك اذا الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضرون وينفع في الحال وأما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة لخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادرالك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة (قد أفردت بها عن البهائم) وميزت بها عنها (اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب) التي هي من خواص العقل (وقد سميناهذه الارادة باعداد دينيا وفلسفا في كتاب الصبر اوفى من هذا) فراجعوا والله أعلم

محائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض في الرحم الذي هو من المرأة بمنزلة الذكور من الرجل (وكيفية خلق الاثني عشر) وهما رجا من لحم أبيض غدوي دسم ومن عروق وشريانيات وهما آلتا المني ومعدهناه اذا المني ينزل اليهما من جميع الاعضاء من كل عضو جزء (والعروق السالكة اليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة) وهي فقرات الظهر (وكيفية انصباب ماء المرأمن الترائب) وهي ضلوع صدرها أو ماوى الترقوتين أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربعة اضلاع من عانة الصدر وأربع من بصرته (بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكّل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتشكّل بشكل الاناث) وهو مربوط برباطات متصلة متصلة بخز الظهر وبجانب السرة والمثانة تحفظه على وضعه وله زائدتان يسميان قرني الرحم وخلاف هاتين الزائدتين بيضا المرأين نصب منهما منى المرأ الى تجويف الرحم (وكيفية ادارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظاما ولحما ودماء وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ورجل وبطن وظهور ويد وساير الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكالسنائر يد أن نتعرض الانعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام) ويتسع المجال ويخرج عن مقصود الكتاب (فاذا شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيلك فانه تأتيلك المهلكات من الجوانب) الاربعة (فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا توافقك لبقيت عرضة للاسقام) وهذا للمهلكات (ولا خذ منك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه) عنك (ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضاذك ولا توافقك ثم هذا لا يكفيلك اذا الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضرون وينفع في الحال أما في المآل فلا تكفي هذه الارادة لخلق الله لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادرالك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة (قد أفردت بها عن البهائم) وميزت بها عنها (اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب) التي هي من خواص العقل (وقد سميناهذه الارادة باعداد دينيا وفلسفا في كتاب الصبر اوفى من هذا) فراجعوا والله أعلم

(١٤ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الارادة أفردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سميناهذه الارادة باعداد دينيا وفلسفا في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا * (الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك) وقد تقدم ان كل حاسة لها الادراك الخاص (والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او) الى (الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكيف من زمن) وهو المرض الذي يطول به المرض زمانا طويلا (مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه ان عشي اليه لفقدر جله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقديده أو لفلج وخدر فيهما) خاصة مع صحة الجسم (فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا

الاعضاء التي تنظر الى
ظاهرها ولا تعرف أسرارها
فإنها ما هو للطالب والهرب
كل رجل للانسان والجنح
للطير والقوائم للدواب ومنها
ما هو للدفع كالأسلحة
للانسان والقرون للحيوان
وفي هذا تختلف الحيوانات
اختلافا كثيرا فإنها ما يكثر
اعداءه ويعد غذاؤه فيحتاج
الى سرعة الحركة تخلق له
الجنح لطير بسرعة ومنها
ما خلق له أربع قوائم ومنها
ماله رجلان ومنها ما يدب
وذكر ذلك بطول فلنذكر
الاعضاء التي بهائم الاكل
فقط ليعلم عليها غيرها
فنقول رؤيتك الطعام من
بعد وحركتك اليه لا تكفي
مالم تتمكن من ان تأخذه
فانقرت الى آلة باطشة
فأنعم الله تعالى عليك بخلق
اليدين وهما طويلتان
ممتدتان الى الاشياء
ومشتملتان على مفاصل
كثيرة لتحرك في الجهات
فتمتد وتنثني اليك فلا تكون
تكشبة منصوبة ثم جعل
رأس اليد عريضا يخلق
الكف ثم قسم رأس الكف
بخمسة أقسام هي الاصابع
وجعلها في صفتين بحيث
يكون الابهام في جانب ويدور
على الاربعة الباقية ولو
كانت مجمعة أو متراكمة لم
يحصل بها تمام غرضك
فوضعها وضعا ان بسطتها

فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها) وما خلقت له (فإنها ما هو
للطالب والهرب كالرجل للانسان) فانه ما يطلب ما يريد ويهرب عما لا يريد (والجنح للطير والقوائم
للدواب ومنها ما هي للدفع) عنه (كلاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات
اختلافا كثيرا فإنها ما يكثر اعداؤه ويعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة تخلق له الجنح لطير بسرعة
لتحصيل غذاؤه ولئلا يدركه الطالب (ومنها ما خلق له أربع قوائم) ولا زيادة عليها وما وجد في بعضها من
زيادات الارجل فهي بمنزلة الزائدة أو المعينة (ومنها ما له رجلان) كبنى آدم والطيور (ومنها ما يدب) على
بطنه كالحيات وما أشبهها (وذكر ذلك بطول) ولم يخلق للحيات ما يكون بمنزلة السلاح لها فعوض عنها
بالهيبة فلا تخرج على جماعة الا ويتفرقون من هيبتها (فلذلك كذا الاعضاء التي بهائم الاكل فقط ليعلم
عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي مالم تأخذه) وفي نسخة مالم تتمكن من
أخذه (فانقرت) لاجل آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الى
الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك (بسهولة) فلا تكون تكشبة
منصوبة (تمتد ولا تنثني) ثم جعل رأس اليد عريضا يخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي
الاصابع وجعلها في صفتين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجمعة
أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها (الحكيم تعالى شأنه) وضعا ان بسطتها كانت لك مجرزة
وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتهما كانت آلة لضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض
وبين ذلك ان الساعدين أربعة عظام لكل اثنان هما الزندان وطولهما من المرفق الى الرسغ أحدهما
كبير وموضوع في الاسفل يلي الخنصر ويقال له الزند الاسفل ويسمى باسم جله الساعد ذراعا وثانيهما
صغير وموضوع فوق ما يلي الابهام ويقال له الزند الاعلى وانما جعل كذلك لان الحامل يجب أن يكون أقوى
من المحمول وقولنا فوق وأسفل انما هو عند ما يكون الساعد منصوبا بحيث يقبل باطنه وباطن الكف
على البدن وانما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه الى مفصلين ينسبط وينقبض باحدهما وهو المفصل
الملتئم بين الزند الاسفل وذلك لان الزند الاسفل له في أعلاه رأسان فيهما يدينهما خشيبة بسني اليونان هكذا
(<) فينبسط الساعده انبساطا يصير جله اليد مدودة وتنقبض بحيث يلحق الكف الكف فاذا أريد
البسط دخل رأس الزند الاسفل الذي هو من خلف في نقره مهيأة في طرف الخزن العضد من خلف واستقر
فيها فبفتح الساعد ان ينثني الى خلف واذا أريد القبض دخل رأس الزند الاسفل من قدام في نقرة أخرى
في طرف ذلك الخزن قدام فاستقر فيها فلا تنقبض اليد ولا ينثني أكثر من ذلك وينكب بالمفصل الآخر
على وجهه وينقلب على قفاه وهو المفصل الملتئم بين الزند الاعلى والعضد اذا الطرف الوحشي من طرف
العضد مما يلي الساعد يدخل في نقرة فيها طرف الزند الاعلى فيدور الزند عليه وأما عظام رسغ اليدين فهي
ستة عشر لكل ثمانية وهي عظام صلبة صلبة عددها المخرج سبعة منها انضدت صفتين فالصفتان الاعلى من ثلاثة
والاسفل من أربعة وذلك لان أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطراف ليس بين عظميه في هذا الجانب
ذريعة أعني الساعد وأسفله بعضو عريض أعني مشط الكف وأما الشامن فلما خلق لحفظ عصبة هناك
تأني الكف لا للرسغ خاصة وللرسغ مفصلان أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة العليا في حفرة في طرف
الساعد مشطورة في رأس الزنديين جميعا وبهذا المفصل يكون انقباض الرسغ وانبساطه والثاني صغير يلتئم
بدخول زائدة في طرف الزند الاسفل مما يلي الخنصر في نقرة العظم الذي في هذا الموضع من عظام الرسغ
فيدور الرسغ على تلك الزائدة وبهذا المفصل ينكب الرسغ وينقلب وأما عظام الكف فهي ثمانية لكل
أربعة وهي كالمستويين أربعة الرسغ والاصابع الاربعة سوى الابهام وطرفها الذي يلي الرسغ متصل
به اتصالا كجبار بطته وتبقى بحيث لا تظهر فيه حركة ورؤس العظام في هذا الطرف متصل بعضها

كانت لك مجرزة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتهما كانت لك آلة لضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض بعض

ثم خلق لها أظفار وأسند

اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتأخذها برؤس أظفارها ثم هب انك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيلك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز البها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللعجين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام نارة يحتاج الى الكسر ونارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالارضاس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللعجين متخللا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرمح ولولا ذلك لما تيسر الاضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

بعض أيضا اتصالا شديدا بعظام الرسغ حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة ببعضها وصلها عن الحس وأما رؤس التي في الطرف الآخر فيبينها فخرج مادامت الاصابع منفرجة وهي تنضم بانضمام الاصابع وأما عظام الاصابع الـيدين فهي ثلاثون لكل خمسة عشر وكل أصبع مؤلف من ثلاثة عظام تسمى الانامل والسلاميات يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة مربوط وكذا الانامل الان العظام الاول منه مربوط بالرسغ بالمشط كالاربعة الاخر وقيل هو متصل بطرف الزند الاعلى بمفصل واسع سلس لانه يحتاج الى حركة واسعة ليلقي به الاصابع الاربعة (ثم خلق لها أظفار) وهي امامن العظام واما أجسام عظمية موصولة بالسلاميات الاخيرة من الاصابع مربوطة مع اللحم والجلد برباطات من جنس الوتار وقد يصير اليها عصب ووريد وشرائيات يؤدي اليها الحياة والغذاء (وأسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت) ولانهم عند الشد على الشيء هذا أحد منافع الاظفار (و) الثانية من منافعها (حتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة) الصغيرة (التي لا تحويها الا الاصابع فتأخذها برؤس أظفارها) والمنفعة الثالثة ان تتمكن من الحلك والتفتية والاربعة ان تكون سلاحا لك في بعض الاوقات واليه يشير ما ورد في الخبر وأما الظفر فدى الحبشة والثلاثة الاولى الى انواع الانسان والاربعة ببعض الحيوانات ولذا وردت السنة في تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الاطراف من عظام لينية لتتطامن تحت ما يصا كلها فلا تنصدع وخلقت نائمة دائما وفي كل ذلك حكم خفية لا يعلم بها الا الراسخون في العلم (ثم هب انك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيلك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز البها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا للطعام الى المعدة مع ما فيه (من الحكم الكثيرة) ما بين ظاهرة وخفية (سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة) وأجلها النطق الذي هو سبب السعادات كلها (ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو) أي الطعام (قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه) لضيق المدخل (فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللعجين من عظمين) هذا على الاجال وبالفصل فعظام اللحي الاعلى اربعة عشر ستة في العيمين لكل ثلاثة واثنتان في الوجنتين وهما كبيران (وركب فيهما) أكثر (الاسنان) سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنتان صغيران وفيهما ثعبتان من المنخرين الى الفم واثنتان في طرف اللحي وفيهما بقية الاسنان واثنتان في الانف وأما عظام اللحي الاسفل فطرف كل منهما من أسفل في موضع الذقن يلتمح بصاحبه والآخر من فوقه شعبتان (وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام نارة يحتاج الى الكسر ونارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالارضاس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب) اعلم ان الاسنان اثنتان وثلاثون وفي كل لحي ست عشرة أربعة من قدام وهي الثنيتان والرباعيتان ويقال لها القطاعة اذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين وهي عراض حادة الرؤس واثنتان من جانبي الاربعة ويقال لهما الثنايا وهما حادة الرؤس عريضة الاصول يكسرها ما ماصلب من الطعام ولكل من هذه الست أصل واحد وخمس في كل من الجانبين وهي عراض خشنة الرؤس وتسمى الاضراس والطواحين لانها تطحن الطعام وتسحق ولكل منها اذا كان من فوق ثلاثة أصول وقد يكون لاقصاها أربعة وان كان من أسفل أصلا وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول وانما جعل أصول الاضراس أكثر لشدة عملها ودوامه وانما جعل أصول الوجوانية منها أكثر من أصول الثنيتان لتعلقها ورجوعها عن النواحي منها في بعض الناس وهي الاربعة الطرفانية فتكون اسنانه ثمانية وعشرين والنواحي ثنتان في الأكثر في وسط زمان النمو وهو بعد البلوغ الى الوقوف وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك تسمى أسنان الختم (ثم جعل مفصل اللعجين متخللا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرمح ولولا لما تيسر الاضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

لا يتم الطعن في فعل اللحي الأسفل متحركاً حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحي صنعه الخلق
 فثبت منه الحجر الأسفل ويدور (١٠٨) الأعلى الا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى اذ يدور ومنه الأسفل على الأعلى فسبحانه

لا يتم الطعن في فعل اللحي الأسفل متحركاً حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك (أي ان الثنايا
 والرباعيات تنماس وتتلاقى في حالة العض ولولم يكن كذلك لم يتم العض على الاشياء وذلك يكون بجذب
 الفك الى قدام حتى يلاقى بعضها بعضاً وعند المضغ والطعن يرجع الفك الى مكانه فتدخل الثنايا
 والرباعيات السفليات الى داخل وتعيد عن موازاة العالمية فيتم بذلك للاضراس وقوع بعضها على بعض
 وذلك لانه لا يمكن ان تتلاقى الثنايا والرباعيات التي في اللحي الأعلى وفي اللحي الأسفل ان تتلاقى للاضراس
 (فانظر الى عجيب صنع الله تعالى) وبديع حكمته (فان كل رحي صنعه الخلق فثبت منه الحجر الأسفل
 ويدور الأعلى) ولو تحرك الأسفل لفسد (الا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى اذ يدور ومنه الأسفل على
 الأعلى) وسر ذلك ان الله تعالى قد وضع خزائن الحواس في اللحي الأعلى فلودار الفك الأعلى خفيف من
 تطرق الخلل والفساد على تلك الخزائن وقد استثنى مما ذكر التماسيح فقد قالوا كل حيوان يتحرك فكفه
 الأسفل عند المضغ الا التماسيح (فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك وضعت
 الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ماتحت الاسنان أو كيف تستجبره الاسنان الى نفسها وكيف
 ينصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان) وركبه من لحم وعروق وشريانات
 وعصب حساس وغشاء متصل بغشاء المريء (فانه يطوف في جوانب الفم وبرد الطعام من الوسط الى
 الاسنان بحسب الحاجة) الى طعن أو كسر أو مضغ (كالجحفة التي ترد الطعام الى الرحي) وذلك ان
 جوهره لحم أبيض رخو مجمل بالغشاء المذكور وقد التف به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمر لونه
 وتحت عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم (هذا مع ما فيه من فائدة
 الذوق) اذ موضع قوته العصب المفروش عليه (وبجانب قوة النطق) وهي القوة الانسانية التي يكون
 بها الكلام (والحكم التي لسانا تطب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر
 على الابتلاع) والازداد (الابان يتزلق الى الخلق) وهو الفضاء الذي في أقصى الفم وفيه مجريان أحدهما
 قصة الرئتين والثاني المريء ولا يكون التزلق الا (بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان
 عينا يفيض اللعاب منها) وهما فوهتان وهما ساكنتا اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله الندادة
 الطبيعية (و) هذا اللعاب (ينصب بقدر الحاجة حتى يتجنب به الطعام فانظر كيف مخرها له هذا الامر
 فانك ترى الطعام من بعد فيشور الحنك للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداً فك الطعام بعد
 بعيد عنك ثم هذا الطعام المطعون المنجمن من بوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا
 في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هب الله تعالى المريء والخجيرة) فالمرء هو منفذ الطعام
 والشراب متصل بالخلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأغشية والخجيرة مؤلفة
 من غضاريف ثلاثة (وجعل على رأسها طبقات) منها داخلية وهي شبيهة بالأغشية ومنها خارجة وهي
 أكثر جسمية (تنفتح لاختذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطة فتتهوى الى المعدة في دهليز
 المريء) واعلم ان في الخجيرة رطوبة دسمة لزجة كائنة في تضاعيف غضاريف الخجيرة بها يكون الصوت
 صافياً فاذا عرض لاحد حتى محرقه تحترق تلك الرطوبة فلا يقدر على اخراج الصوت وكذا من تكلم كثيراً أو
 سافر في هواء حار يابس فانهم لا يقدر ان على التكلم الا اذا بلال حلقهم بالماء أو بشئ آخر رطب (فاذا)
 ورد (طعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لهما وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل

ما أعظم شأنه وأعز سلطانه
 وأتم برهانه وأوسع امتنانه
 ثم هب انك وضعت الطعام
 في فضاء الفم فكيف يتحرك
 الطعام الى ماتحت الاسنان
 أو كيف تستجبره الاسنان
 الى نفسها وكيف يتصرف
 باليد في داخل الفم فانظر
 كيف أنعم الله عليك بخلق
 اللسان فانه يطوف في
 جوانب الفم وبرد الطعام
 من الوسط الى الاسنان
 بحسب الحاجة كالجحفة
 التي ترد الطعام الى الرحي
 هذا مع ما فيه من فائدة
 الذوق وبجانب قوة النطق
 والحكم التي لسانا تطب
 بذكرها ثم هب انك قطعت
 الطعام وطحنته وهو يابس
 فلا تقدر على الابتلاع الا
 بان يتزلق الى الخلق بنوع
 رطوبة فانظر كيف خلق
 الله تعالى تحت اللسان
 عينا يفيض اللعاب منها
 وينصب بقدر الحاجة
 حتى يتجنب به الطعام فانظر
 كيف مخرها له هذا الامر
 فانك ترى الطعام من بعد
 فيشور الحنك للخدمة
 وينصب اللعاب حتى تتحلب
 أشداً فك الطعام بعد
 بعيد عنك ثم هذا الطعام
 المطعون المنجمن من بوصله
 الى المعدة وهو في الفم ولا

تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هب الله تعالى المريء والخجيرة وجعل
 على رأسها طبقات تنفتح لاختذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطة فيتهوى الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على
 المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لهما وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل

لابد وأن يطبخ طبخا تاما تشابه اجزائه نخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابس فيها حتى يتم الهضم والنضج اعلم ان المعدة جسم مستدير الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين وهي مؤلفة من طبقتين والطبقة الظاهرة الحية وكلما بعدت المعدة عن المريء اتسعت وصار المريء كالعنق ولها من أسفل ثقب أضيق من فيها يسمى البواب وعند اشتغال المعدة على الغذاء وانضمامها يتغلق البواب بحيث لا يخرج عنه أصلا حتى المساء الى أن يتم الهضم ثم ينفتح ليصير ما في المعدة الى الامعاء الاثني عشر ويبقى مفتوحا الى أن يتم فعل الدافعة ومبدأ الاتساع يسمى فم المعدة وهو عندما ينقطع عظام القص وهو عار عن اللحم وباقية هو العضو المسمى بالمعدة وموضعها فوق السرة وهي مربوطة مع الطقار ومع غيرها من الاحشاء باربطة وثيقة تمسكه وكذا جميع الاحشاء قد أحكم ربطها ودعائها بقدر ثمرتها وشدة الحاجة اليها والحواف عليها فاذا ورد الغذاء في البطن ثم ضمه الطبيعة هضمها أربعة أي تعدده لان يصير جزأ من البطن وابتداء الهضم الاول عند المضغ بسبب ان سطح الفم متصل بسطح المعدة بل لانها مسطح واحد وفيه منه قوة هاضمة فاذا لاقى المضغ حاله حاله تاما ويعين على ذلك الريق المستفيد بالنضج الواقع في حرارة غريزية ثم اذا ورد على المعدة انضم الهضم التام الاول لبحرارة المعدة وحدها بل (وبالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة) أيضا (اذ من جانبها الايمن الكبدة ومن الايسر الطحال) فان الطحال قد يسخن به لاجوره بل بالشرايين والاوردة الكثيرة التي فيه (ومن قدام الترب) الشحمي القابل للحرارة المؤديها الى المعدة (ومن خلف لحم الصلب) أي العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة ومن فوق القلب بتوسط تسخينه للحجاب لانه حاجز بين القلب والمعدة فهو يسخن الحجاب ثم يسخن الحجاب المعدة ومن تحت المارة بما فيها من الصغراء (فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير) بذاته في كثير من الحيوان كجوارح الصيد والجل والحية من غير شرب ماء ومعونة ما يتخالطه من المشروب في أكثره (ماتعاشا بها) أي كياوسا وهو جوهر سبال (يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير) وهو الكشك الشخين (في تشابه اجزائه وهو بعد لا يصلح للتغذية) اعلم ان جسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات احدها يأخذ ليفة طولا والثانية يأخذ ليفة عرضا والثالثة يأخذ ليفة ورابا وليس في المريء ليف موزن لعدم الاحتياج الى الماسكة هنالك ويوجد اللحم في الطبقة الخارجة عند فم المعدة أكثر ليكون أسخن فيجود الهضم وذلك ان قعرها بعيد عن القلب والكبد المسخنين بالمجاورة فاحتيج الى فضل تسخين وقد وصل الى فم المعدة شعبة من عصب الحس وانبط فيه وبواسطته يدري ألم الجوع والحاجة الى الغذاء ولهذا لا يحس بالم الجوع الا في فم المعدة والشريان والاحجوف قد أتيامن القلب والكبد الى محدد المعدة ونسجت شعرا بعضها ببعض وأصل الشرب وهو عضو مؤلف من طبقتين غشائيتين يراكب احدهما على الاخرى وتخلل بينهما شحم كثير وشعب دقاق في العروق والشرايين اذ هو يتدنى من فم المعدة ويمر منها الى المعاء قولون وانه كجراب لواعي شبا سبالا لاسكه وتنسج طبقاته من الصفاق ومن شطايا العروق والشرايين ثم ترشح اليها رطوبة لزجة دهنه هي الشحم وهو كبطانة للصفاق وظهارة للمعدة ومنفعتها تقوية الاحشاء وتسخينها وفوق الشرب غشاء قوي يسمى الصفاق يحفظ الامعاء على أوضاعها وفوق الصفاق تكون عضلات البطن المسماة بالمرق والصفاق والمرق يحفظان حرارة الاحشاء وقد ثبت أصل الصفاق من فوق الحجاب ثم انبط الى الاضلاع من داخل البطن ثم نزل الى أسفل المثانة وهناك يوجد فيه منفذان ضيقان تنفذ فيهما العروق والرياطات النازلة الى الاثني عشر وقد ظن بعض الناس ان المعدة تغذي من الكيلوس وهو خطالان الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير الى الكبد وينضم فيها ويستحيل الى الدم وباقي الانحلال ثم يختر الم عنهما كما فيكون غذاء للاعضاء

لابد وأن يطبخ طبخا تاما
حتى تشابه اجزائه نخلق
الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فيقع فيها الطعام
فتحتوى عليه وتغلق عليه
الابواب فلا يزال لابس فيها حتى
يتم الهضم والنضج بالحرارة
التي تحيط بالمعدة من الاعضاء
الباطنة اذ من جانبها الايمن
الكبد ومن الايسر الطحال
ومن قدام الترائب ومن خلف
لحم الصلب فتتعدى الحرارة
اليها من تسخين هذه
الاعضاء عن الجوانب حتى
ينطبخ الطعام ويصير مائعا
متشابها يصلح للنفوذ في
تجاويف العروق وعند ذلك
يشبه ماء الشعير في تشابه
اجزائه ورقته وهو بعد
لا يصلح للتغذية

خلق الله تعالى بينهما وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد (يشير إلى أن ذلك الكبد ليس بغيره بل هو الكبد نفسه) ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له تضخم آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء الآن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ أحدهما شبيهة بالردى والعكر وهو الآخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولولم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا مدودا إلى الكبد داخل في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه زيادة رطوبة ولا في زيادة المائية ولولا هاتان انتشر في تلك العروق الشعرية خرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

والله أشار المصنف بقوله (خلق الله تعالى بينهما وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد) يشير إلى أن ذلك الكبد ليس بغيره بل هو الكبد نفسه ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له تضخم آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء الآن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ أحدهما شبيهة بالردى والعكر وهو الآخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولولم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا مدودا إلى الكبد داخل في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه زيادة رطوبة ولا في زيادة المائية ولولا هاتان انتشر في تلك العروق الشعرية خرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

والله أشار المصنف بقوله (خلق الله تعالى بينهما وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد) يشير إلى أن ذلك الكبد ليس بغيره بل هو الكبد نفسه ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له تضخم آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء الآن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ أحدهما شبيهة بالردى والعكر وهو الآخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولولم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا مدودا إلى الكبد داخل في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه زيادة رطوبة ولا في زيادة المائية ولولا هاتان انتشر في تلك العروق الشعرية خرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

الغليظة بواسطة الحدة وأما الطحال فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان يخفف اللحم كد اللون وهو وعاء السوداء وبالوعته وموضع في الجانب الايسر من ضلوع الخلف والمعدة ويلزم المعدة من جانب وضلع الخلف من آخره تحت المعدة وقدر يطر بط متصلة بالغشاء الذي عليه وجعل متخللا يستقر السوداء المتجذب اليه في تضاعفه وجعل فيه الشرايين الكثيرة وينبت عنه قناتان احدهما عن طرفه ويتصل بالكبد عند تقعره والثانية من داخله وتتصل بالمعدة وبها يتدفق شئ من السوداء الى المعدة لتنبيه شهوة الطعام ثم ان الدم بعد ما دام في الكبد يكون ارق مما ينبغي لفضل المائية المحتاج اليه الترقيق الكيلوس وتنفيذه في المسالك الضيقة وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فيجذب عنه في عرق نازل الى السكيتين واليه أشار المصنف بقوله (خلق الله سبحانه السكيتين وأخرج من كل واحدة) منهما (عقنا طويلا الى الكبد) وكل منهما مركب من لحم مكثتر صلب قليل الحرارة وعروق وشرايين وهما موضوعتان عن جنبتي خرز الصاب بالقرب من الكبد اليمنى وشكلهما كمنصف دائرة ومجدهما الى طرف خرز الظهر ليمتكن الانسان من الانحناء بسهولة وجوهرهما من دمج صلب ثلاثينغذ فيهما لا الماء الرقيق ومزاجهما ميل الى البرودة والرطوبة بسبب الاوردة والشرايين فيهما وتتكسر بذلك حدة الصفراء النازلة اليهما مع الماء فلا تحرق المثانة اذا نزلت اليها ولا حس لهما كالثلاثي يحس الصفراء المزوجة بالماء النازل اليهما فيحفظ الماء ريثما ينطبع فينضم قدور من الدم المخاط لذلك ايضا بحيث يصلح لان يكون غذاء لهما (ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخل في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد) وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره (حتى يجذب ما تبته بعد الطلوع من العروق الدقيقة) الشعرية (التي في الكبد اذلا يجذب قبل ذلك لغاظ ولم يخرج من العروق) فيغذي السكيتين الدسومة والدموية من تلك المائية ويندفع باقيا الى المثانة والاحليل (فاذا انفصلت منه المائية) الفضلية عن الدم عند خروجه من الكبد (فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيان من كل ما يفسد الغذاء) وصارت المائية الى هذين المنفذين فتجذبهما السكيتان فيكون الغذاء الواصل الى الاعضاء بلا مائية فضلية والثاني من كل منهما يمر مستقلا حتى يصل بالمثانة وينسجمان الحالبين وهما مجرى البول وانما جعل السكيتان ثنتين لان أكثر أعضاء البدن زوج والدماع ينقسم بقسمين وكذا الاعصاب والعضلات والعروق والشرايين فكان البدن بدنان وان كان في الحقيقة واحدا فجعل السكيتين ثنتين ليعمل كل منهما عمله من جانب ولما كان القلب أشرف الاعضاء وكذا الزئفة لانها خادمة للقلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وانضج من غذاء جميع الاعضاء فلها قدر الخالق تعالى شأنه ان العرق الذي يصل غذاء هذين العضوين اليهما نزل من الكبد الى السكيتين ونفذ فيهما ثم خرج منهما ورجع الى فوق لتجذب السكيتان بقوتهما المصاصة المائية المصاحبة للدم الذي فيهما الغذائية هذين العضوين الشريفيين ولينضج الدم المذكور في هذه المسافة الطويلة ويتصل غذاؤهما اليهما صافيا نضجا (ثم ان الله تعالى اطاع من الكبد عروقاً قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم يشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الشرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها) بعد اندفاعه في العرق العظيم الطالع من حدة الكبد المسمى بالاجوف فيسلك في الاوردة المتشعبة منه ثم في جداول الاوردة ثم في سواقي الجداول ثم في راض السواقي ثم في العروق الشعرية الكثيفة فينضم بالهضم الثالث (ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية) أي كهية الشعر في الدقيقة (كعروق الاوراق) الظاهرة فيها (والاشجار) المستبطانة في الارض (بحيث لا تدرك بالابصار) لدقتها وخفائها (فصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء) فيحصل لتغيب كل عضو عنده هضم رابع (ولو حل بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصراوية) وذلك بان يتفق قصور في جذب الصفراء من الكبد بدم الكبد

خلق الله سبحانه السكيتين
وأخرج من كل واحد
منهما عناقط وبلالى
الكبد ومن عجائب حكمة
الله تعالى أن عنقهما ليس
داخل في تجويف الكبد
بل متصل بالعروق الطالعة
من حدة الكبد حتى
يجذب ما تبته بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التي في
الكبد اذلا يجذب قبل
ذلك لغاظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه
المائية فقد صار الدم صافيا
من الفضلات الثلاث نقيان
من كل ما يفسد الغذاء ثم ان
الله تعالى اطاع من الكبد
عروقاً قسمها بعد الطلوع
أقساما وشعب كل قسم
يشعب وانتشر ذلك في البدن
كله من الفرق الى القدم
ظاهرا وباطنا فيجري الدم
الصافي فيها ويصل الى سائر
الاعضاء حتى تصير العروق
المنقسمة شعرية كعروق
الاوراق والاشجار بحيث
لا تدرك بالابصار فيصل منها
الغذاء بالرشح الى سائر
الاعضاء ولو حل بالمرارة آفة
فلم تجذب الفضلة الصفراوية
فسد الدم وحصل منه
الامراض الصراوية

يسهل نفوذ الدم فيه وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جدا كالشعر مستقر فاذا طلع ليس يمر كبريشي حتى ينقسم قسمين الاول وهو الاعظم يأخذ نحو أعالي البدن ليسقى الاعضاء العالية فيمر حتى يلاصق الجنب وينقسم منه هالك عرقان يتفرقان ثم ينفذ الجنب فاذا نفذ انقسمت منه عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بقسمين وبغلاف القلب وبالقوة المسماة بالغوثة وتفرقت فيها ثم يتشعب فيها شعبة عظيمة تتصل بالاذن اليمنى من اذن القلب وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام واذا جاوز القلب مر على استقامته الى ان يجاوز الترقوتين وينقسم حينئذ في مسلكه هذا شعب صغير في كل واحد من الجانبين يسقى ما يحاذيها ويخرج منها شعب الى خارج فيسقى العضل وعند محاذاته للابطى يخرج منه الى خارج شعبة عظيمة يأبى اليد من ناحية الابطى وهو المسمى بالباسليق فاذا حاذى الترقوتين الوسط منهما موضع اللبة انقسم قسمين قسم أخذ الى ناحية اليمين وقسم أخذ الى ناحية اليسار وانقسم كل منهما الى قسمين أحدهما ركب الكتف وجاء الى اليد من الجانب الوحشي وهو العرق المسمى بالقيفال والثاني انقسم الى قسمين في كل جانب وهما الوداج الغائر والوداج الظاهر ولا يتم ذبح الحيوان الا بقطع هذين ويتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغير ويسقى ظاهر العضد ومن الابطى شعب صغير يسقى باطنه فاذا قارب بمفصل المرفق انقسما فيكون منهما العرق المسمى بالاكل ومن الابطى العرق الذي بين البنصر والخنصر المسمى بالاسليم والقسم الثاني من الاجوف يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الظهر أخذ الى الاسفل ويتشعب منه شعب يأبى لفائف الكل وأعشيتها ثم شعبتان يصيران الى الانثيين فاذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين أحدهما أخذ نحو الرجل اليمنى والثاني نحو اليسرى حتى اذا بلغا منشالركبة انقسم ثلاثة أقسام منها المابض والصافن وعرق النساء ويتشعب من كل منها شعب كثيرة فهذه معرفة العروق السواكن المسماة بالاوردة وأما الضواريب المسماة بالشرابين فنباتها التجويف الابر من القلب ويخرج من هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدي والثاني كبير جدا ويسمى الابهروفي الاوردة عرق مضاعف يسمى الوريد الشرياني وهو شعبة من الاجوف متصلة بالاذن اليمنى من أذن القلب كما تقدم ذكرها وهي أعظم عروق القلب لان سائر عروقه توصل اليه نسيم الهواء وهذا الوصل اليه الغذاء والابهروفي عند طلوعه يتشعب منه شعبتان أحدهما تأخذ نحو أعالي البدن ويتشعب منها شعب صغير في العضد والثانية تصعد الى ظاهر الوجه والرأس وتتفرق فيما هنالك من الاعضاء الظاهرة وقد يظهر بعض هذه القسم خلف الاذن من الصدغ وأما الاعضاء فهى أجسام كثيفة متكونة من الرطوبات المحمودة وهي امامفردة أو مركبة فالمفردة هي التي أي جزء محسوس أخذت منها كان مشاركا لكل في الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاعضاء وهي العظام ثم الغضروف ثم الوتر ثم العصب ثم الوتر ثم الرباط ثم الاوردة وهي العروق السواكن ثم الاغشية ثم اللحم ثم الشحم ثم المنخ ثم الجلد ثم الشعر والمركبة هي التي تكون فيها أجزاء محسوسة متخالفة بالطبع والمزاج وتركبها اما ان يكون أوليا كالعضل لانه مركب من الاعضاء المفردة التي هي العصب والرباط واللحم والغشاء أو ثانيا كالعين لانها مركبة من الاعضاء المركبة التي هي الطبقات أو ثالثا كالوجه لانه مركب من الانف والحد وغيرهما وكل واحد منهما مركب ثانيا أو رابعا كالرأس فانه مركب من الدماغ والوجه والاذن ومن الاعضاء المركبة الاعضاء الرئيسية وهي القلب والدماغ والكبد والانثيان وأما العظام فحملتها مائتان وعثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظام الشبيهة باللام وسوى العظام الذي في القلب فانها عند بعض الناس من جنس الغضروف (بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته) على ما هو مودع في كتب التشريح (ولاشئ منها الا وفيه حكمه) واحدة (أو اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشرة وزيادة)

بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته ولا شئ منها الا وفيه حكمه اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشرة وزيادة

وكل ذلك نعم من الله تعالى عليه لما لو سكن من جلتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتتوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه الا الاكل وهو أحسنها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والجار أيضا علم انه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي (١١٤) فيجامع ويستنفض فينفض ويرجع فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الجار فكيف تقوم بشكر نعمة

الله عليك بهذا الذي رزقنا اليه على الاجاز فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجال ما أهم لنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من نعمة الله تعالى أقل من قطرة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك شئ من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكها بخلق لطيف يتصاعد من الاربعه ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق والضراب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة وحس وادراك وقوة حركة أو غيرها) اعلم ان الروح عند الاطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه وفائدة وجوده في البدن ان يكون حاملا للقوى حتى ينتقل ويحرق في البدن بتوسطه لان القوى لكونها من الاعراض لا تنقل بدون المحال ولذلك صار أصنافها كاصنافها فان الروح اذا تولدت في القلب بسمي روحا حيوانيا لكونه عاملا للقوة الحيوانية فينفذ في الشرايين الى الاعضاء فيغذيها بالحياة وخرصه صالح من هذا الروح يصعد الى الدماغ فيغيره الى مزاج أحد بصير به روحا نفسانيا أي روحا صالحا لان يكون مر كبالقوى النفسانية فتصير أفعالها عنه وخره ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني بصيرا الى جانب الكبر فيغيره تغيرا بصير به روحا طبيعيا أي روحا يستعد له بول القوى الطبيعية قصدا لأفعال منه وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني ثم يمكن ان يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس أحدها القوى الطبيعية والثانية القوى النفسانية والثالثة القوى الحيوانية ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفه لاجل الشخص وهي الغذائية والنامية ومنها ما هي متصرفه لاجل النوع وهي قوتان المولدة والمصورة والغاذية فتخدمها قوى أربع الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وأما القوى النفسانية فمنها محركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة وأما القوة الحيوانية فهي مبدؤ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروي اللطيف الى الاعضاء فهي (كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب) ثم يحول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثله حرم نار السراج والقلب له كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والفداء له كالزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

الله عليك بهذا الذي رزقنا اليه على الاجاز فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجال ما أهم لنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من نعمة الله تعالى أقل من قطرة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك شئ من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكها بخلق لطيف يتصاعد من الاربعه ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق والضراب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة وحس وادراك وقوة حركة أو غيرها) اعلم ان الروح عند الاطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه وفائدة وجوده في البدن ان يكون حاملا للقوى حتى ينتقل ويحرق في البدن بتوسطه لان القوى لكونها من الاعراض لا تنقل بدون المحال ولذلك صار أصنافها كاصنافها فان الروح اذا تولدت في القلب بسمي روحا حيوانيا لكونه عاملا للقوة الحيوانية فينفذ في الشرايين الى الاعضاء فيغذيها بالحياة وخرصه صالح من هذا الروح يصعد الى الدماغ فيغيره الى مزاج أحد بصير به روحا نفسانيا أي روحا صالحا لان يكون مر كبالقوى النفسانية فتصير أفعالها عنه وخره ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني بصيرا الى جانب الكبر فيغيره تغيرا بصير به روحا طبيعيا أي روحا يستعد له بول القوى الطبيعية قصدا لأفعال منه وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني ثم يمكن ان يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس أحدها القوى الطبيعية والثانية القوى النفسانية والثالثة القوى الحيوانية ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفه لاجل الشخص وهي الغذائية والنامية ومنها ما هي متصرفه لاجل النوع وهي قوتان المولدة والمصورة والغاذية فتخدمها قوى أربع الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وأما القوى النفسانية فمنها محركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة وأما القوة الحيوانية فهي مبدؤ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروي اللطيف الى الاعضاء فهي (كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب) ثم يحول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثله حرم نار السراج والقلب له كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والفداء له كالزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والفداء له كالزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تثبت به هذا البخار في القلب قد يحترق بفراط حرارة القلب فينطفئ من جود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تثبت النار به وكأن السراج نارة تنطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه ونارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساد القتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبته يكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب (١١٥) فكذلك انطفاء الروح وكان

السراج اذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيد منها من الروح وهي أنوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وبغائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مداداً لكتابت ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى عز وجل فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر بنعمته سحقاً فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح (فلم يزدان قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم على هذا الوجه) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القاب (فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح تطلق لمعان كثيرة لا تطيل بدكرها) وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب (ونحن انما وصفنا من جلتها جسمها لطيفاً) بخار ياتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه (تسميه الاطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به) وقسموه الى حيوانى ونفسانى وطبيعى (حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل ينظرون) منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة) فيزول الخدر (فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء) على الوجه الذى تقدم ذكره (وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل) الدرجة (وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى) المكتومة التي لا يطلع عليها الا هو (لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها) ولا تختملها (بل تعبر فيها عقول

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تثبت به هذا البخار في القلب قد يحترق بفراط حرارة القلب فينطفئ من جود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تثبت النار به وكأن السراج نارة تنطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه ونارة بسبب من خارج كريح عاصف (بسبب من خارج كريح عاصف) أو باطفاء انسان (فكذلك الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساد القتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبته يكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب (١١٥) فكذلك انطفاء الروح وكان البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيد منها من الروح وهي أنوار الاحساسات (الظاهره والباطنة) (والقدر) وهي القوى (والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وبغائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مداداً لكتابت ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى عز وجل فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر بنعمته سحقاً) فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح (فلم يزدان قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم على هذا الوجه) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القاب (فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح تطلق لمعان كثيرة لا تطيل بدكرها) وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب (ونحن انما وصفنا من جلتها جسمها لطيفاً) بخار ياتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه (تسميه الاطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به) وقسموه الى حيوانى ونفسانى وطبيعى (حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل ينظرون) منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة) فيزول الخدر (فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء) على الوجه الذى تقدم ذكره (وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل) الدرجة (وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى) المكتومة التي لا يطلع عليها الا هو (لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها) ولا تختملها (بل تعبر فيها عقول

وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تعبر فيها عقول

أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتترزّل في ذكر مبادئ وصفها معاد العقول المقيدة بالجواهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل بشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية تنسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكل يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها لحظ جناب الحق بنور (١١٦) الايمان واليقين وذلك المشرب أعز من أن يكون شربة لسلك وارد بل لا يطالع عليه الا

واحد بعد واحد ولبجاب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزنة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة الى هذا الامر الرباني كالسكره التي يحركها صولجان الملك بالإضافة الى الملك فمن عرف الروح الطي فظن انه أدرك الامر الرباني كان كمن رأى السكره التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في أن خطاه فاحش وهذا الخطأ أخف من جدها ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف يوم تترك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر

أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات) فانه من ادراكات السمع والبصر قاصرة عنه (وتترزّل في ذكر مبادئ وصفها معاد العقول المقيدة بالجواهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل بشرق ذلك في عالم النبوة والولاية) به تنكشف حقائقه (ونسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً) مختلفة (فلا يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها لحظ جناب الحق) تعالى (بنور الايمان واليقين) ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوة الايمان وضعفها (وذلك المشرب أعز من أن يكون شربة لسلك وارد بل لا يطالع عليه الا واحد بعد واحد) وفي نسخة الا واحد بعد واحد (ولجناب الحق) تعالى (صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب) أي واسع (وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل الى الميدان) وأن يكون من رجا له (فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه) معرفة كاية (لم يعرف ربه) وهو المفهوم من قولهم من عرف نفسه عرف ربه (وانى يصادف هذا في خزنة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى الذي يسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة الى هذا الامر الرباني كالسكره) في الميدان (التي يحركها صولجان الملك بالإضافة الى الملك فمن عرف الروح الطيبي وظن انه ادراك الامر الرباني كان كمن رأى السكره التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في انه خطأ فاحش وهذا الخطأ أخف من جدها ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبما تترك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم) كما ورد ذلك في الخبر (ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى) قل الروح (من أمر ربى وأما فعله فقد ذكره في قوله تعالى) يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتي ولنرجع الا ان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آيات الاكل) والله التوفيق

(الطرف الرابع) (في) بيان (نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتضير صالحة لان يصلحها الاذى بعد ذلك بصنعة) ومعالجته (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الاطعمة كثيرة وقلته تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه) أي متتابعة (لا تنهاى) وذلك في كل طعام مما يطول) بيانه (فان الاطعمة) لا تتخلو (أما أدوية وأما فواكه وأما أغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل)

لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى من أمر ربى وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى ولنرجع الا ان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آيات الاكل*(الطرف الرابع) في نعم الله تعالى في الاصول التي يحصل منها الاطعمة وتضير صالحة لان يصلحها الاذى بعد ذلك بصنعة*(اعلم ان الاطعمة كثيرة وقلته تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه لا تنهاى وذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما أدوية وأما فواكه وأما أغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل

ولنأخذ من جملة حاجته من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلوأكلتها فزيت وبقيت جافة فاما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتريدو تنضغف حتى تنفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغذي به كإخلاق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغذية لانه يغذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم ترد لانه ليس يحيط بها الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم ترد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم ترد بل (١١٧) لا بد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه

بالارض فيصير طينا واليه
الاشارة بقوله تعالى فليستظر
الانسان الى طعامه أنا
صينا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبثقا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ثم
لايكفي الماء والتراب اذ لو
ترك في أرض ندية صلبة
مراكة لم تنبت لفقد الهواء
فيحتاج الى تركها في أرض
رخوة متخلخلة يتغلغل
الهواء اليها ثم الهوا
يتحرك اليها بنفسه فيحتاج
الى ريح تحرك الهواء
وتضربه بهور وعنف على
الارض حتى ينفذ فيها
والله الاشارة بقوله تعالى
وأرسلنا الرياح لواقح
القاحه في ايقاع الازدواج
بين الهواء والماء والارض
ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان
في برد مفرط وعشوائه
فتحتاج الى حرارة الربيع
والصيف ففقدان احتياج
غذائه الى هذه الاربعة
فانظر الى ماذا يحتاج كل

في قوام الابدان (ولنأخذ من جملة حاجته من البر) وهو أشرف الحبوب (ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلوأكلتها فزيت وبقيت جافة فاما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتريدو تنضغف حتى تنفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغذي كإخلاق فيك) من تلك القوى (فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغذية لانه يغذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق) كما تغذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل لو أنك تركتها في البيت لم ترد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم ترد أيضا (بل لا بد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالارض فيصير طينا) رخوا (والله الاشارة بقوله تعالى) في حلة تعدد النعم (انما صينا الماء صبا) أي من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) ونسبة الشق اليه مجاز (فانبتنا فيها حبا وعنبا) وقضبا وزيتونا ونخلنا وحداثا وغلبلها وكهتوبا (ثم لايكفي الماء والتراب اذ لو تركت في أرض ندية) بالماء لكنتها (صلبة مراكة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتخلل الهواء اليها ثم الهوا لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بهور وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح) أي ذات لقاح وقد اتفقت الريح السحاب (وانما القاحه في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط أو شوائه فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف ففقدان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذا احتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها لغور العيون والانهار في الارض (فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار العالم وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة) اليه (وانظر كيف خلق الجبال حافظه للمياه تتفجر منها العيون ندر يحافظون جت دفعة لغرق البلاد وهالك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما يزدان (طبعها) فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقتها مع بعدها عن الارض) اذهى في الفلك الرابع (مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد) يحصل (الحر عند الحاجة الى الحر فلهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في القواكه انعقاد وصلابة

واحد اذا احتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار الارض وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظه للمياه تتفجر منها العيون ندر يحافظون جت دفعة لغرق البلاد وهالك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما يزدان فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقتها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فلهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في القواكه انعقاد وصلابة

فتنقر إلى رطوبة تنبجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه
ويصبغها بتقدير الغاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى
ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلمت اشجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف رأسه بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر
عنها بالزكام فكما يرطب رأسك (١١٨) يرطب الفاكهة أيضا ولا تطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء

فتنقر إلى رطوبة تنبجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها أي يلونها ألوانا مختلفة (بتقدير الفاطر الحكيم) جل جلاله
فالشمس طباخ والقمر صباغ (ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة) لا ينتفع بها (حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلمت اشجرة
كبيرة) حتى ان بعض أغصانها البارزة إلى السماء أحسن ونور من التي تحت الظلال (وتعرف ترطيب
القمر بان تكشفه رأسك بالليل) عند نومك (فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام) وهو عندهم عبارة عن تحلب فضول رطوبة من بطن الدماغ المقدمين إلى المخبرين (فكما يرطب رأسك يرطب
الفاكهة أيضا ولا تطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخرنوع فائدة
كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تنفي قوة البشر
باحصائهم ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا لم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا ولا
(قوله تعالى وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا لآيات لعلهم يعقلون) كذا
خاصة (فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة) وحكمة (والعالم كله) اذا تصورته (كشخص
واحد واحد اجسامه كالأعضاء) وهي متعاونة تعاون اعضاءه في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا
ينبغي أن تظن أن الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله (منقاداته) في أمور جعلت
أسبابا بحكم الحكمة (الالهية) بخالف للشرع كما ورد فيه من النهي عن تصديق النجمين (روى أحمد
ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أموراً كأنها صنعتها في
الجاهلية كأنها أتت الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث قال ابن الاثير في النهاية ان منهم من كان يسمى
الطبيب والنجم كاهنا قلت وبهذا يتم الاستدلال بالحديث (وعن علم النجوم) روى أحمد وأبو داود وابن
ماجه بسند صحيح والبيهقي من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد
ما زاد ولطبراني من حديث ابن مسعود وثوابان اذا ذكر النجوم فامسكوا واسنادهما ضعيف وقد تقدم
قريباً في كتاب العلم (بل المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لا تارها مستقلة بها
وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر) والآخر ان تصديق
النجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن
جهل فان علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الانبياء قيل هو ادريس وقيل هو دانيال (عليهم السلام
ثم اندرس ذلك العلم) وانما يحى بانقطاع نبوته وقد ورد مثل ذلك في الخطر روى أحمد ومسلم وأبو داود
والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله اني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله
بالاسلام الى أن قال ومنار جال يحطون فقال كان نبي من الانبياء يحط فن وافق خطه فذلك (فلم يبق الا
ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لا تار تحصل بخلق الله تعالى
في الارض وفي النبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل هو الحق) عند أهل الحق (ولكن دعوى العلم
بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين) اذ قد سد بابها بموت ذلك النبي الذي كان ذلك علما على

فقد سخرنوع فائدة كما
سخرت الشمس للتسخين
والقمر للترطيب فلا يخلو
واحد منها عن حكم كثيرة
لا تنفي قوة البشر باحصائهم
ولولم يكن كذلك لكان
خلقها عبثا وباطلا لم يصح
قوله تعالى ربنا ما خلقت
هذا باطلا وقوله عز وجل
وما خلقت السموات والارض
وما بينهما الا لآيات لعلهم
يعقلون فليس في اعضاء
الافائدة فليس في اعضاء
بدن العالم عضو الا لفائدة
والعالم كله كشخص واحد
واحاد اجسامه كالأعضاء
له وهي متعاونة تعاون
أعضاءه في جملة بدنك
وشرح ذلك بطول ولا
ينبغي أن تظن أن الايمان
بان النجوم والشمس والقمر
مسخرات بامر الله سبحانه
في أمور جعلت أسبابا لها
بحكم الحكمة بخالف للشرع
لما ورد فيه من النهي عن
تصديق النجمين وعن علم
النجوم بل المنهي عنه في
النجوم أمران أحدهما ان
تصدق بانها فاعلة لا تارها
مستقلة بها وانها ليست
مسخرة تحت تدبير مدبر

خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق النجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها نبوته
لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك لعلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز
فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لا تار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قاذحا في الدين
بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين

ولذلك اذا كان معك ثوب غسسته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغيير وجه الانسان فقال قرعتنى الشمس فى الطريق فاسود وجهى لم يلزمك تكذيبه بذلك وقسم هذا سائر الاثار الا ان الاثار بعضها (١١٩) معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز

دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطولع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى وهذا انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته وهو ما أسبل من اللحية (ومعناه أن يقرأ أو يترك التأمل) فيها (ويقصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن فتح منزهة معرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته فله تعالى فى ملكوت السموات والآفاق والانس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال يطلب تصانيفه ليزداد بهزدا فكل ذلك الامر فى عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيف المصنفين من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيده وتوفيقه (وتعريفه) اياه ولولا ذلك لما تم له التصنيف (كما اذا رأيت لعب) بضم ففتح جمع لعبة (المشعوذ) وهى التى تعمل من خرق على هيئة بنى آدم (ترقص وتتحرك) وتقوم وتقع (حركة موزونة متناسبة) فلا تعجب من اللعب فانها حركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحركة (لا متحركة) بانفسها (ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحركة لها روابط) شعرية (دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركزات فيها ولا تتم الا بالافلاك الجبركانها

نبوته (وكذلك اذا كان معك ثوب غسسته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحى النهار والهواء لا يلزمك الانكار عليه بحوالته حى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغيير وجه الانسان) أى عن انقلاب لونه (فقال قرعتنى الشمس) أى ضربتني بحرها أو أسالك (فى الطريق) فأثرت (فاسود وجهى) وفيه يقول الشاعر جاء الحبيب الذى أهوى من السفر * والشمس قد أثرت فى وجهه أثرا (لم يلزمك تكذيبه وقسم هذا سائر الاثار الا ان الاثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ولا القول بحس وخمين والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطولع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر) عند تعرية الرأس (فان الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا الآية ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته) بحركة وهو ما أسبل من اللحية (ومعناه أن يقرأ أو يترك التأمل) فيها (ويقصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن فتح منزهة معرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته) قال العراقي رواه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو خباب يحيى بن أبي سية ضعيف اه قلت ورواه عبد بن حديد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا فى التفكر وابن حبان فى صحيحه وابن عساكر من رواية عطاه قال قلت لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وقد تقدم ذكره قريبي فى بيان فضيلة الشكر وفى آخره ولم لأفعل وقد أنزل الله على هذه الآية ان فى خلق السموات والارض الآية ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقد أشار العراقي هناك انه أخرجه أبو الشيخ فى كتاب اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزى وروى الديلمى من حديث عائشة ويل ان قرأ هذه الآية ثم لم يتفكر فيها يعنى ان فى خلق السموات والارض الآية وروى ابن أبي الدنيا فى التفكر عن سفیان رفته من قرأ آخر سورة آل عمران فلم يتفكر فيها ويله فعد باصابعه عشرا قبل الاوزاعى ما غايه التفكر فيه قال يقرؤه وهو يعقلهن (فله تعالى فى ملكوت السماء والآفاق والانس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبوب لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطالب تصانيفه ليزداد بهزدا بيزداد بهزدا فكل ذلك الامر فى عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه) وتركيبه على أبداع نظام (بل تصنيف المصنفين) من عباده (من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده) فانه الذى اهتم ذلك وأرشده اليه (فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيده وتوفيقه (وتعريفه) اياه ولولا ذلك لما تم له التصنيف (كما اذا رأيت لعب) بضم ففتح جمع لعبة (المشعوذ) وهى التى تعمل من خرق على هيئة بنى آدم (ترقص وتتحرك) وتقوم وتقع (حركة موزونة متناسبة) فلا تعجب من اللعب فانها حركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحركة (لا متحركة) بانفسها (ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحركة لها روابط) شعرية (دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركزات فيها ولا تتم الا بالافلاك الجبركانها

العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه بواسطة قلوب عباده فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيده وتوفيقه (وتعريفه) اياه ولولا ذلك لما تم له التصنيف (كما اذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها حركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحركة لها روابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركزات فيها ولا تتم الا بالافلاك الجبركانها

ولا تتم حركاتها الا بملأئكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركا ذكرها تنبيه بما ذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات (الطرف الخامس) في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة فيتحول بينهم بينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون فاما (١٢٠) أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطع الطريق أو يعمدون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين

ولا تتم حركاتها الا بملأئكة سماوية يحركونها) بامر الله سبحانه (وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب) آخر (بعيدة) يتوقف عليها (تركها ذكرها تنبيه بما ذكرناه على ما أهملناه) أي تركها (ولنقتصر على هذا) القدر (من ذكر اسباب غذاء النبات) وبالله التوفيق

* (الطرف الخامس) * (في) بيان (نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم) أرشدك الله تعالى (ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض) شرقها وغربها وشمالها وجنوبها (وقد تبعد عنهم الاطعمة) ولا يمكنهم تحصيلها (وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون فاما أن تغرق بها) أي بتلك الاطعمة (السفن) ان كانوا في البحر (أو تنهبها قطع الطريق) ان كانوا في البر (أو يعمدون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين) ظلموا وعدوانا (وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لوعرفوا) فانهم يمتنون موته لاجل المال (فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح وركبو الاخطار) أي الامور الصعبة (ويغرروا بالارواح في ركوب البحر فيعملون الاطعمة) أنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الجار كيف جعل صبوراً على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الاعباء) أي الاحمال (الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليعملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج) ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعباً شديداً (وتحمل ما تحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاه ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها) الآن (طلبه لا يحجز) وبالله التوفيق

* (الطرف السادس) * (في) بيان (اصلاح الاطعمة اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخرى لا تخص واستقصاء ذلك في كل طعام بطول فلنعين رغبة ما واحد ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستد برو يصلح لكل من بعد القاء البذر في الارض فأقول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان) وهو

وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لوعرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح وركبو الاخطار و يغرروا بالارواح في ركوب البحر فيعملون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الجار كيف جعل صبوراً على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليعملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج اليه الحيوانات

من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاه ذلك الخشب غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلباً لا يحجز * (الطرف السادس) في اصلاح الاطعمة اعلم أن الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخرى لا تخص واستقصاء ذلك في كل طعام بطول فلنعين رغبة ما واحد ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستد برو يصلح لكل من بعد القاء البذر في الارض فأقول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان

وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناعات في إصلاح آلات الحرائث والطحن والخبز من نجار وحداد (١٢١) وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر

كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فشت علمت أن رغبوا واحداً لا يستدبر بحيث يصلح لكل واحد ما يمكنه من العمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدأر طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات التي هي أتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى أن الآلة التي هي آلة صغيرة فأنشأتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديد تصلح للآلة إلا بعد أن تمر على يد البري خمسة وعشرين مرة ويتعامل في كل مرة منها عمل فلول يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافترقت إلى عمل المنجل الذي تحصده البر مثلاً بعد نبأه أن ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قدرة أي متغيرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصناعات الغريبة وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحى إلهي من الملائكة والحق وأولها من الله تعالى في قلبه (فانظر إلى المقرض مثلاً وهو جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينبغي أن لا شيء معاً يقطعانه بسرعة) وأصل الجلم المقطوع ومنه الجلم محرك المقرض ويقال له أيضاً الجلمان بالتنبيه كما يقال فيه المقرض والمقرضان والقلم والقلمان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان اسماً واحداً على إعلان كالشرطان والديوان وتجعل النون حرف إعراب ويجوز أن يبقيا على ما هما في إعراب المثني (ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذهم كرمه لمن قبلنا) من أهل الحكمة (واقفنا إلى استنباط الطريق فيه فكرونا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر) بالآلة التي يحصل الآلات التي بها يعمل المقرض وغيره

الخشب الذي يوضع على عنق الثورين (وجميع أسبابه) وآلاته (ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة معلومة) (ثم تنقية الأرض من الحشيش) الذي ينبت في أصول الزرع فإن تركه مما يضعف قوة الزرع وقوة الأرض (ثم الحصاد) بالمنجل (ثم الفرك) حتى تخلص الحبة من قشرها (والتنقية) مما يجاوره (ثم الطحن) بين الحجرين (ثم العجن) بالماء (ثم الخبز) في النور (فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناعات في إصلاح آلات الحرائث والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس) منفرداً ومجموعاً (وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن) التي يستخرج منها كل ما ذكر (وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فشت علمت أن رغبوا واحداً لا يستدبر بحيث يبين يديك) يصلح لكل واحد ما يمكنه من العمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى (أي يسوق) (السحاب لينزل الماء) على الأرض التي أمر بها (إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدأر طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات التي هي أتم مصلحة الخلق) ويكمل نظامهم وقد تقدم أن أصول الصناعات التي لا قوام للعالم دونها أربعة الزراعة والحياكة والبناء والسياسة ومنها ما هي مرشحة لكل واحد وحده كالحداثة للزراعة والقضارة للحياكة ويدخل تحت كل قسم من ذلك أنواع لا تحصى وفي القوت يقال إن الرغب لا يستدبر حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صنعة من السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض والأفلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصناعاتهم والبهائم ومعادن الأرض وأولها ميكائيل الذي يكبل الماء من الخزائن فيطرقه على السحاب ثم السحاب التي تحملها وترسله ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق والمكان الذي يسوق السحاب وآخرها الخبز فإذا استدأر رغبه طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات فهذه كلها من في حضور رغب في كيف يعمد إليه مما ورأه (حتى أن الآلة التي هي آلة صغيرة فأنشأتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك) في الوقت الشاق (لا تكمل صورتها من حديد تصلح للآلة إلا بعد أن تمر على يد البري) بكسر الهمزة ففتح منسوب إلى البري جمع الآلة (خمس وعشرين مرة ويتعامل في كل مرة منها عملاً) مستقلاً (فلولم يجمع الله تعالى البلاد) وفي نسخة العباد (ولم يسخر العباد وافترقت إلى عمل المنجل) بكسر الميم (الذي تحصده البر مثلاً بعد نبأه) وتبين أنه لا يمحصد (لنفد عمره) أي في ذهابه (وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قدرة) أي متغيرة (لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصناعات الغريبة) وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحى إلهي من الملائكة والحق وأولها من الله تعالى في قلبه (فانظر إلى المقرض مثلاً وهو جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينبغي أن لا شيء معاً يقطعانه بسرعة) وأصل الجلم المقطوع ومنه الجلم محرك المقرض ويقال له أيضاً الجلمان بالتنبيه كما يقال فيه المقرض والمقرضان والقلم والقلمان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان اسماً واحداً على إعلان كالشرطان والديوان وتجعل النون حرف إعراب ويجوز أن يبقيا على ما هما في إعراب المثني (ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذهم كرمه لمن قبلنا) من أهل الحكمة (واقفنا إلى استنباط الطريق فيه فكرونا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر) بالآلة التي يحصل الآلات التي بها يعمل المقرض وغيره

(١٦ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) نطفة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصناعات الغريبة فانظر إلى المقرض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينبغي أن لا شيء معاً يقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذهم كرمه لمن قبلنا واقفنا إلى استنباط الطريق فيه فكرونا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقرض وغيره

الواحد منا عرف فوج وأوفى أكمل القول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فاسبحان من ألحق ذوى البصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطعان مثلاً وعن الحداد أو عن الخجام الذى هو أنس الاعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصنائع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فاسبحان من سخّر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنخرج القول فى هذه الطبقة أيضاً فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

(الطرف السابع فى اصلاح المصلحين) (١٢٢) اعلم أن هؤلاء الصنائع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنازعت

الواحد منا) دهر طويلا مثل (عمر فوج) عليه السلام (وأوفى أكمل القول لقصر عمره من استنباط الطريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها) ويقال ان الحكيم الذى استنبط طريق عمل المقراض لما أتم عمله مات فرحاً (فسبحان من ألحق ذوى البصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطعان مثلاً وعن الحداد أو عن الخجام الذى هو أنس الاعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصنائع ماذا يصيبك من الأذى) والتعب (وكيف تضطرب عليك أمورك كلها) ولا ينظم حالك (فسبحان من سخّر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنخرج القول فى هذه الطبقة أيضاً فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء) وبالله التوفيق

(الطرف السابع) (فى بيان (اصلاح المصلحين اعلم) هداك الله تعالى (ان هؤلاء الصنائع المصلحين للاطعمة) خصوصاً (وغیرها) عموماً (لوتفرقت آراؤهم وتنازعت طباعهم تنافرت طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم) مع اختلاف أشكالهم وأجناسهم (وسلط الانس والمحبة عليهم ولوأنفقت مافي الارض) من الاموال (جميعاً ما ألف بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فلاجل) هذا (الالف وتعارف الارواح اجتمعوا واتلفوا) وتعاونوا (وبنوا المدن والبلداد) والقرى (ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة) بعضها يقرب بعض (ورتبوا الاسواق) لمعاملتهم (والخانات) اسكنى من يرد عليهم (وسائر أصناف البقاع) كالحمامات وغيرها (مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة) قد (تزول باغراض يتزاحون عليها ويتنافسون فيها فى جبله الانسان الغيظ والحسد) والافقة (والمنافسة) وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتناظر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين (والمالوك والامراء) وأمرهم بالقوة (الظاهرة والعدة من السلاح وغيره) (والاسباب) والآلات (والتي رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً) ولم يخالفهم فيما يأمرهم (و) انظر (كيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء) وهم الامراء (والقضاة والشحن) جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد (وزعماء الاسواق) والمحلات وهم رؤساؤها (واضطروا الخلق) أى ألجؤهم (الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجام ينتفع بالحراث والحراث بالخجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء (والرسل عليهم السلام) حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم) وترتيبهم (وكشفوا من أحكام الامامة

طباعهم تنافرت طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم موسط الانس والمحبة عليهم ولوأنفقت مافي الارض جميعاً ما ألف بين قلوبهم والله ألف بينهم فلاجل الف وتعارف الارواح اجتمعوا واتلفوا وبنوا المدن والبلداد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ومجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحون عليها ويتنافسون فيها فى جبله الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتناظر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمرهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد وزعماء الاسواق والمحلات وهم رؤساؤها واضطروا الخلق أى ألجؤهم الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجام ينتفع بالحراث والحراث بالخجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء والرسل عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة

قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد

حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجام ينتفع بالحراث والحراث بالخجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالجبار يخبر العجيين والطمان يصلح الحب بالحب والحرث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات الحرث والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصانع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم (١٢٣) والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا عن أن نطلع بعين الطمع الى الاحاطة بكنهه نعمه لتسوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عز لنناجكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تسكنا فبإذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانافي كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالجدة الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصح الله الانبياء بالملائكة وكيف أصح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى وهو اسرافيل عليه السلام (فالجبار يخبر العجيين والطمان يصلح الحب بالحب والحرث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات الحرث والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصانع) بعدله فهم (والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم) لما ورد العلماء ورثة الانبياء (والعلماء يصلحون السلاطين) كما قال القائل ان الملوك ليحكمون على الوري * وعلى الملوك ليحكم العلماء ونجمل القول في بيان السياسة أربعا ضرب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثاني سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة ودون باطنهم والثالث الحكم على حكمهم على باطن الخواص والرابع الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (والملائكة يصلحون الانبياء) عليهم السلام وهكذا الامر (الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب) جل شأنه (ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا) أي لاجلنا (لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمه الله تعالى ولولا عزله ايانا عن أن نطلع بعين الطمع الى الاحاطة بكنهه نعمه لتسوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء) وطلب الغايات (ولكنه تعالى عز لنناجكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تسكنا فبإذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانافي كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وهو اشارة الى مقام العارفين الذين ترقوا من حضيض المجاز الى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شئ هالك الاوجه ولم يبق غير هؤلاء الى قيام القيامة ليسمعوا النداء المذكور بل هؤلاء لا يفارق سمعهم أبدا (فالجدة الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار) وبالله التوفيق

(الطرف الثامن) * (في) بيان (نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) اعلم انه (ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم) بالامانة (ولا تظن انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر) يقال اقصر واقتصر بمعنى واحد (بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسمائية وجملة العرش) قال المصنف في مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملائكية وجدت على ترتيب بعضها أعلى من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل عليهم السلام وان فيهم الاقرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم (فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء والغذاء

نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) * ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظن انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسمائية ويوجه العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء

الذي ذكرناه دون ما يجاور ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى إلا بان يוכל به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبمائه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر ثم يصير لحما وعظما وأصارا لحما وعظما ثم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ويجرد الطبع لا يكفي في تردها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحيما ثم عجينا ثم خبزاً مستديرا ثم خبزاً الابيضناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا الابيضناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة (١٢٤) وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار

الذي ذكرناه دون ما يجاور ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى إلا بان يוכל به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبمائه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر) وذلك بعد الهضوم الاربعة على الترتيب الذي ذكرناه آنفا (ثم يصير ذلك الدم الحاصل من الغذاء) لحما وعظما ثم اغتذاؤك واللحم والدم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ويجرد الطبع لا يكفي في تردها في أطوارها (السبعة) كما أن البر بنفسه لا يصير دقيقا ثم عجينا ثم خبزاً مستديرا ثم خبزاً الابيضناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا ومخا الابيضناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة (وقد اختلف في تفسير النعم الظاهرة والباطنة على أقوال وأشار إليها التاج السبكي في مفيد النعم وألف فيها الجلال السيوطي رسالة ذكر فيها ما أورده السبكي وزاد) فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه بل لا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يتخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسو صورة اللحم والعرق والعظم) والعصب (ولا بد من خامس يدفع الفضل الفضل عن حاجة الغذاء) إلى مخرج البراز (ولا بد من سادس يلقى ما كتسب صفة العظم بالعظم وما كتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرى المقادير في الاصاق فيلحق بالمستد برمالا يبطل استدارته وبالعرض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على نفسه لكبر أنفه وبطل تجويفه) اللائق به (وتشوهت) لذلك (صورته) الظاهرة فإن الجمال في الأنف (بل ينبغي أن يسوق إلى الاجتنان مع رقتها وإلى الخدقة مع صفاتها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يابق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والابطال الصورة) المعهودة (وربما) أي كبر وعظم (بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لولم يراع هذا الملك) الموكل (العدل في القسمة والتقسيم) بأن يعطى كل جزء قسطه الحقيقي به (فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الاحدى الرجلين مثلاً لبعيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع به البتة فراعاه هذه الهندسة في بيان القسمة مفوضاً إلى ملك من الملائكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه) كما ذهب إليه الطبائعيون (فإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول) فالقول له باطل كالقول بالتولد (فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يتخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسو صورة اللحم والعرق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلقى ما كتسب صفة العظم بالعظم وما كتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً ولا بد من سابع يرى المقادير في الاصاق فيلحق بالمستد برمالا يبطل استدارته وبالعرض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على نفسه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقه بل ينبغي أن يسوق إلى الاجتنان مع

رقتها وإلى الخدقة مع صفاتها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يابق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والابطال الصورة ور ب بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لولم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الاحدى الرجلين مثلاً لبعيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فراعاه هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضاً إلى ملك من الملائكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

على ترتيب معلوم لا يحيط
بكنهه الا الله تعالى وممدد
الملائكة لسمواوية من
جملة العرش والمنعم على
جلتهم بالتأييد والهداية
والنسيب المهيمن القدوس
المنفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت جبار
السموات والارض مالك
الملك ذوالجلال والاكرام
والاخبار الواردة في الملائكة
الموكلين بالسموات والارض
واجزاء النبات والحيوانات
حتى كل قطرة من المطر
وكل سحاب ينجر من جانب
الى جانب أكثر من أن
تحصى فلذلك تركنا
الاستشهاد به فان قلت
فهلا فوضت هذه الافعال
الى ملك واحد ولم اقرر الى
سبعة أملاك والخطة أيضا
تحتاج الى من يطحن أولا
ثم الى من يميز عنه الفخالة
ويدفع الفضلة نائما ثم الى
من يصب الماء عليه الثالث
الى من يجن رابعاً ثم الى من
يقطعه كرات مدورة
خامساً ثم الى من يرقها رغفناً
عريضة سادساً ثم الى من
يلصقها بالنور سابعا
ولكن قديوني جميع ذلك
رجل واحد وبسته قل به
فهلا كانت أعمال الملائكة
باطناً كاعمال الانس
ظاهراً فاعلم أن خلقه

تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يعملون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزاءك التي لاتعجز حتى يفقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددوهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حلة العرش فانهم المقربون لقربهم من النور الاقصى وهم على ترتيب كذلك (والمنعم على جلاتهم بالتأييد والهداية والتسديد) الملك (المهين القدوس المتفرد بالملك والمكوث والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام) جل شأنه (والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل صهاب ينجر من جانب الى جانب أكثر من ان تحصى فلذلك ترك الاستشهاد به) قال العراقي في الصحيحين من حديث أبي ذرقة الاسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افخض فيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افخض الحديث ولهما من حديث أبي هريرة ان الله ملائكة يطوفون في الطرق وللناس في حديث ابن مسعود ان الله ملائكة سياحين يبلغوني من أمي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه على ابن عبد ياليل فناداني ملكا الجبال ان شئت ان أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس ان الله وكل بالرحمة ملكا الحديث وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الاسلمي ما من نبت ينبت الا يحفظه ملك موكل به حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو الحسن البكري واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف والطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف ان الله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحبسون الكلال عن دواب الغزاة الادابة في عنقها حرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود يا أبا القاسم خبرنا عن الرعد قال ملك موكل بالسحاب واسلم من حديث أبي هريرة بينما رجل بفلاة من الارض سمع من سحابة اسق حديقة فلان فتحنى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة الحديث انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي وحديث بريدة الاسلمي تمامه فاعلم امرئ وطئ ذلك النبت يا عنه ذلك الملك وحديث ابن عباس في الرعد لفظه عند الترمذي الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذي تسمعون زجره بالسحاب اذ ازرعه حتى ينتهي الى حيث أمره وحديث أبي هريرة عند مسلم لفظه عنده وعند أحمد حديثنا رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتحنى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فاذا شرجه من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتنبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بسحباته فقال له يا عبد الله ما سمعك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحابة التي هذا ماؤها يقول اسق حديقة فلان لاسمك فاستضع فيها قال أما ذقلت هذا فاني أنظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وبعالي ثلثا وأردفها ثلثا (فان قلت فهذا فرضت هذه الافعال) كلها (الى ملك واحد ولم اقتصر الى سبعة أملاك والخطة أيضا تحتاج الى من يطعن أولا ثم الى من يميز عنه الخلة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه) ثالثا (ثم الى من يعجن رابعاً ثم الى من يقطعه كرامدة ثم خامساً ثم الى من يرققها رغباً ثم اربعة سادساً ثم الى من يلبسها بالنور سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهذا كانت أعمال الملائكة باطناً كإعمال الانس ظاهراً فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس ومامن واحد منهم الا هو وحدثني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لسلك واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى) حكاية عنهم

الملائكة تخالف خلقة الانس ومامن واحد منهم الا هو وحدثني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لسلك واحد واليه الاشارة بقوله تعالى

وما من الا اله مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الخواص الخمس فان البصر لا تراحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم تراجمها ولاهما ينارعا في الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتراحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتراحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والجحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول (١٢٦) عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة

فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان بطبيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسجدون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم رাকع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لاختلاف في أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جازمت الارادة بفتح الجفان لم يكن الجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجهه لكن يخالفه من وجهه اذا جفن لاعلم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وطباقا

اذ وصفوا به أنفسهم اذ قالوا (وما من الا اله مقام معلوم) أي فلا تتعداه (فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله مثال الخواص الخمس فان البصر لا تراحم السمع في ادراك الاصوات) فانه ليس من ادراكه (ولا الشم تراجمها) فيما خصه به (ولاهما ينارعا في الشم) فيما يخص به (وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتراحم به اليد) فان الرجل انما وضعت لشيء ما وليس من خواصها البطش وانما هو لليد (وقد تضرب غيرك برأسك فتراحم اليد التي هي آلة الضرب) كما هو عادة المغاربة (ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والجحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول) أي الصرف (عن) طريق (العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان بطبيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم) هم كالموصفهم الله تعالى في كتابه العزيز (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) كما قال تعالى (يسجدون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم رাকع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم منهم قائم أبدا لا يختلج النومة في أعينهم ولا يصرفون عن آلهم شرفا ولا ذللا) وقد روى أبو الشيخ في العظمة والبهيق والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة ان الله ملائكة ترعد فرأتهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعته الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفة وقالم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا اليه وقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك وروى الديلمي من حديث ابن عمر ان الله ملائكة في السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحان ذي الملائكة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة في السماء الثانية متركوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة في السماء السادسة سجودا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جازمت الارادة بفتح الجفان لم يكن الجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجهه لكن يخالفه من وجهه اذا جفن لاعلم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وطباقا

وللملائكة احياء عالون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليكم في الملائكة الارضية والسمائية يذروا وحاجتك اليهم في غرض الا كل فقطدون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانما لم نطوّل بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وبجميع الطبقات لا يمكن احداؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت جميع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمة عليه ظاهرة وباطنة ثم قال (تعالى) (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) ففيه تنبيه لا ولي الا للباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا ان

فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضممار الشر للناس الى غير ذلك من آنام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظر يفة واحدة بان فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه (١٢٧) الله تعالى حتى الملائكة والسموات

والارض والحيوانات

والنبات بحملته نعمة على

كل واحد من العباد قد تم

به انتفاعه وان انتفع غيره

أيضاً به فان الله تعالى في كل

نظر يفة بالجفن نعمتين

في نفس الجفن اذ خلق

تحت كل جفن عضلات

ولها أو تارور باطات متصلة

بأعصاب الدماغ بها يتم

انخفاض الجفن الاعلى

وارتفاع الجفن الاسفل

وعلى كل جفن شعور سود

ونعمة الله تعالى في سوادها

انها تجمع ضوء العين اذ

البياض يفرق الضوء

والسواد يجمعه ونعمة الله

في ترتيبها صفواً واحداً أن

يكون مانعاً للهوام من

الديب الى باطن العين

ومتشبيهاً للاقذاء التي تنشا

في الهواء وله في كل شعرة

منها نعمتان من حيث لين

أصلها ومع اللين قوام نصيبها

وله في اشباك الاهداب

نعمة أعظم من السكل وهو

أن غبار الهواء قد يمنع من

فتح العين ولو طبق لم يصير

فيجمع الاجفان مقدار

ما تشباك الاهداب فينظر

من وراء شباك الشعر

فيكون شباك الشعر مانعاً

من وصول القذى من

يذر واطاهر الاثم شكر الظاهر النعم ويذر واططن الاثم شكر الباطن النعم (فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة) المخالفة (واضممار الشر للناس الى غير ذلك من آنام القلوب) مما تقدم ذكرها (هو الشكر للنعم الباطنة) مثل معافاة القلوب وسلامة العنود (وترك الاثم الظاهر بالجوارح) من معاني حظوظ النفوس (شكر للنعمة الظاهرة) مثل عوافي الاجسام ووجود الكفايات من الاموال (بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظر يفة واحدة بان فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما) فما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بحملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضاً به فان الله تعالى في كل نظر يفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أو تارور باطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل اعلم ان منفعة العضل ان الانسان اذا أراد ان يقرب عضواً من آخر حرك العضل فتشجبت وزاد في عرضها ونقص من طولها واذا أراد التباعد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص في عرضها فحصل المقصود والعضو الذي يحرك عضواً كبيراً يكون كبيراً كالذي في الفخذ والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جداً وليس لها أو تار فاذا علمت ذلك فلعين أربع وعشرون عضلة ثلاثة تحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين وترها يميز في وسط طي الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفقه والثانية والثالثة موضوعتان في موقف العين مدفورتان في حفرها وترهما يأتیان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يعضضان العين باطباقهما الجفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلاً فان نال احدهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحاً واحدة وقبل ثنتان وقبل ثلاثة قد عدم العصبه المحبوبة التي يكون بها البصر وتشبهت حتى لاتالهـ ما بسبب لينها عند التحديق الشديدين تنقطع وست عضلات تحرك العين أربعة الى الاستقامة الواحدة تميلها الى فوق والثانية تحفظها الى أسفل والثالثة تحركها بمنى والرابعة تحركها بمنى واثنتان على الاستدارة فهذه عشرة وأحدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين ولاخرى مثلها (وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه) أى الشعر الاسود (يجمع ضوء العين اذا البياض يفرق الضوء والنسواد يجمعه) فلا لون نسب وأوفق لنور الباصرة من السواد (ونعمة الله في ترتيبها صفواً واحداً أن يكون مانعاً للهوام من الديب الى باطن العين ومتشبيهاً للاقذاء التي تنشا في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصيبها) وله في منابت الشعر نعمة أخرى وهو ان جعل بين كل شعرة فاصلاً لا يلتصق مع بعضه (وله في اشباك الاهداب نعمة أعظم من السكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصير فيجمع الاجفان مقدار ما تشباك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غباراً قد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرأة فيطبقة مامرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان) وبقيت الحدقة صافية (والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين) زائدتين (فتراه على الدوام معهما حدقته ليصقلها عن الغبار) وهذا أحسن الوجوه وقبل انما يفعل ذلك لكونه لم يقع على جسد النبي صلى الله عليه وسلم فهو أبداً يلطم وجهه وفيه نظار (واذ

خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غباراً قد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرأة فيطبقة مامرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام معهما حدقته ليصقلها من الغبار واذا

تركها الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقتارها الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنفله كتاباً مقصوداً فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه بحاثب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاحضان ولا تقوم الاحضان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيمة والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك (١٢٨) الا بالسماوات ولا السماوات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه

تركها الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقتارها الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنفله كتاباً مقصوداً فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه بحاثب صنع الله تعالى (وقد حقق الله تعالى مأموره ويسر له تأليفه وقد عده ابن السبكي في جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك في مقدمة كتاب العلم) فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين في حيث لا يحل (نعمة الله تعالى في الاحضان ولا تقوم الاحضان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيمة والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسماوات ولا السماوات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن ببعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد الا ويا عنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلغهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي لم أجده أصلاً (وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) (وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الملائكة لتلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لايه وأمه اهـ قالت وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصي ولو بتاريفة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الآن يتبع السيئة بحسنة تمحوها) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر وأتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) بفضلهم وكرمه وورد في بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين الاومعه ملكان فاذا شكركني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعماء على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً) وزدهم شكرًا وزدهم من النعماء (فكني بالشاكرين) يا أيوب (علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والانس تارتبكي عليهم) فكن لي يا أيوب شاكرًا ولا تاتي ذكرا ولا تذكري حتى أذكرك ولا تشكركي حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقهم واقبضتهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكركني الا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورده بكتابه صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولوسد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهالك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منها ما اثنتا عشرة ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولفظ القوت ويقال ان تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وفي جسم الانسان ثلاثمائة

بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد الا ويا عنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلغهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الملائكة لتلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لايه وأمه اهـ قالت وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصي ولو بتاريفة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الآن يتبع السيئة بحسنة تمحوها) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر وأتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) بفضلهم وكرمه وورد في بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين الاومعه ملكان فاذا شكركني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعماء على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً) وزدهم شكرًا وزدهم من النعماء (فكني بالشاكرين) يا أيوب (علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والانس تارتبكي عليهم) فكن لي يا أيوب شاكرًا ولا تاتي ذكرا ولا تذكري حتى أذكرك ولا تشكركي حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقهم واقبضتهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكركني الا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورده بكتابه صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولوسد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهالك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منها ما اثنتا عشرة ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولفظ القوت ويقال ان تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وفي جسم الانسان ثلاثمائة

أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً فكني بالشاكرين علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والانس تارتبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع الروح الهواء الى القلب ولوسد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهالك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا

ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهى كيف أشكرك وفى كل شعرة من جسدى نعمتان ان لبيت أصلها وان طمست رأسها وكذا ورد فى الأثر أن من لم يعرف نعم الله الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه فى (١٢٩) العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجوده الا

ويتحقق أن الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطعم * (بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر) * اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة بالخلق عن شكر النعمة الا بالجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها انهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة فى تمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصولها تبين المعرفتين الاغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يحلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة (ولو أخذ يفتقهم) هو محل القلادة من العنق (لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ما تناولوا جسدوا فى بيت حلم فيه هواء حار) ولا منفذ له (أوفى برفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما تناولوا غما فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

وستون مفصلا وكذلك العظام وفى كل طرفة نعمتان وفى كل نفس نعمتان وفى كل دقيقة تأتى عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزءا من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا من ساعة والانسافس أربعة وعشرون ألف نفس فى اليوم والليلة (ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهى كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان أن لبيت أصلها وان طمست رأسها) نقله صاحب القوت (وكذلك ورد فى الأثر من لم يعرف نعم الله) عليه (الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه) نقله صاحب القوت وهو فى الخلية من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال أبو الدرداء من لم يعرف نعم الله عليه الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه ومن لم يكن غنيا فى الدنيا فلا دين له قال صاحب القوت ويقال ان فى باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التى فى ظاهره وان فى القلب من النعم أضعاف ما فى الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله والعلم واليقين أضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصىها الا من أنعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتزايد بان أدخل منها وأخرج اذاه وبقي فى الجسم قواه وبان طبيب مدخله ويسر خروجه وبقي منفعة وما أحال من صورته وغيره من صفته لا تهدى والنم والاعتبار والتذكرة أيضا نعم (وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه فى العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجوده الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطعم) وبالله التوفيق * (بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر) *

(اعلم) هذا الله تعالى (انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا بالجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها) اذن لم يعرفها كيف يقوم بشكرها فالشكر فرع المعرفة فاذا جهل النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيدي فهو فى نقصان ما ادعى وايضا فان لم يشكر النعم لجهله بما كفرها فان كفرها فان كفرها العذاب الشديد الا ان تداركه نعمة من ربه (ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها) مجرد (أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله) من غير فهم معنى ما يقول (ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة فى تمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصولها تبين المعرفتين) الاولى معرفة النعمة والثانية معرفة معنى الشكر عليها (الاغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان) عليه (أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها ان الناس يحلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة (ولو أخذ يفتقهم) هو محل القلادة من العنق (لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ما تناولوا جسدوا فى بيت حلم فيه هواء حار) ولا منفذ له (أوفى برفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما تناولوا غما فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

(١٧) - (انخاف السادة المتقين) - (تاسع) ولا تراهم يشكرون الله على روح الهوا وولو أخذ يفتقهم لحظة حتى انقطع الهوا عنهم ما تناولوا جسدوا فى بيت حلم فيه هواء حار وأوفى برفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما تناولوا غما فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

النعمه ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمه في جميع الاحوال أولى بان تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عنه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمه ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعد الجاهل نعمه وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دأتما حتى اذا ترك ضربه ساعة تغلبه منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطور وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقله وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما يشكوا بعضهم فقره الى بعض أبواب البصائر (١٣٠) وأظهر شدة اغتمامه به فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا اقبل

(النعمة) برهة (ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا يرى البصير يشكر صحة بصره الى ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه) نوره (أحسن به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق) وكل من السعة والعموم من مقتضيات هذه الصفة (وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعد الجاهلون نعمة) فغفلوا عن الشكر عليها (وهذا الجاهل مثل العبد السوء فقهه أن يضرب دأما) لمخالفة سيره في أوامره ونواهيه (حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطور وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم) في سائر أحوالهم (كماش - كما بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به) ولفظ القوت وحدثت عن رجل شكك الى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه (فقال له الرجل أيسرك انك أعنى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا فقال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا فقال أما تستحي ان تشكروا ولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا) قال صاحب القوت وهذا كما قال لان في الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح وزيادة من المال لانها ديات جوارحه لو قطعت (وحكى ان بعض القراء) أي العلماء ولفظ القوت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض القراء المقربين (اشتد به الفقر حتى) أخرجه (ضاق به ذرعا) قال (فرأى في المنام كان قائلا يقول له تود انما أنسبناك من القرآن سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سوراتم قال ففعل قيمة مائة ألف دينار) هكذا في القوت وفي بعض نسخ الكتاب قيمة ما يبلغ آلافا (وانك تشكو) الفقر (فاصبح وقد سرى عنه همه) أي انكشف وزال (ودخل) محمد بن صبيح (بن السمال) الواعظ البغدادي تقدمت ترجمته مرارا (على بعض الخلفاء) العباسية (وبينه كوزما يشربه فقال له عظمي فقال لولم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع أموالك والا بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لولم تعط الابل كك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بذلك لا بسوى شربة ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة) المبذولة للخلق كلهم (فلندكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولوا من النظر في أحواله) وتأمل بصفى بصيرته (رأى من الله تعالى نعمة أو نعمنا كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما) يتفق انه (لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم اما العقل فاما من عبد الله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله بعتقدانه أعقل الناس و) لذا (فلما يسئل الله العقل) ومن المعلوم (أن من شرف العاقل أن يفرح به الخلق عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لانه

أيسرك أنك أخوس ولك
عشرة آلاف درهم فقال لا
فقال أيسرك أنك اقطع
اليدين والرجلين ولك
عشرون ألفا فقال لا فقال
أيسرك أنك مجنون ولك
عشرة آلاف درهم فقال
لا فقال أما تستحي أن
تشكو مولا وله عندك
عروض بخمسين ألفا
وحكى أن بعض القراء اشتد
به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فرأى في المنام كأنه
يقول له تود أن أئسبك من
القرآن سورة الانعام وان
لك الف دينار قال لا قال
فسورة هود قال لا قال فسورة
يوسف قال لا فعدد عليه
سورا ثم قال فذلك قيمة مائة
ألف دينار وأنت تشكو
فاصبر وقد سرى عنه ودخل
ابن السماك على بعض
الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه
فقال له عطشني فقال لولم تعط
هذه الشربة الا يبذل جميع
أموالك والا بقيت عطشان
فهل كنت تعطيه قال نعم
فقال لولم تعط الا بملكك كله
فهل كنت تتركه قال نعم
قال فلا تفرح ملك لا يساوي

شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اذا
اعنداد النعمة الخاصة بنعمة دون العامة فقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو أمعن النظر في
أحواله رأى من الله نعمة أو نعمًا كثيرة تخصه لا تساو كفه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما يشاركه فيها أحد وذلك يعترف
به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم أما العقل فامن عبد الله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه أعقل الناس وقل من يسأل
الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه

ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ اكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حق كالباقى وأما الخلق فسامن عبد لا يرى من غيره عيبا يكرهها واخلاقا فيذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه برياً عنها فاذا لم يشغل بذم الغير فينبغي أن يشغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ وأما العلم فسامن أحد الا يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره (١٣١) ماهو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق

اذا كان كذلك في حقيقة الامر (فالشكر واجب عليه وان لم يكن) كذلك (ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ اكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حق كالباقى) فكذلك العقل فانه بمنزلة اكثر المذقون (وأما الخلق فسامن عبد الا يرى من غيره عيبا يكرهها واخلاقا فيذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه برياً عنها) خالصتها (فان لم يشغل بذم الغير فينبغي أن يشغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ) ففيه نعمتان عليه ما شكران فتحسب كل ما وجه الى غيرك من المدام نعماً عليك بمثل ما وجه اليك من المحاسن لان النفوس كنفوس واحد والمشيئة والقدرة واحدة فقد رجت بانك من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك (وأما العلم فسامن أحد الا يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ماهو منفرد به ولو انكشف الغطاء) وزال الحجاب (حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا فتضح) حاله عنده (فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجهه مساوياً فظاهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد) فلا تدري أى النعمتين أعظم اظهار الجليل أو ستر القبيح وقد مدح الله سبحانه بهم ما في الدعاء المأثور يا من أظهر الجليل وستر القبيح (فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد امام مطلقا وما في بعض الامور فتنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فتقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رقيقه أو أقراره أو عزه أو أواجه أو في سائر محابه) (الدينية (أمور) أو ألب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جاداً وانساناً لا بهيمة وذكر الأتني وجميع الامور بسلبها لا بمعيباتها فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم أيضاً فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض به (وفي القوت وأول نعمة عقلها ان جعلنا موجد من دون سائر المعدادات ثم جعلنا حيواناً دون سائر الموات ثم جعلنا بشر اذون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكور اذون الاناث ثم تصورنا في أحسن تقويم ثم عوفاً القلب من الزيف عن السنة ومن الميل الى دواعي النفس الامارة بالسوء ثم خفف السر ثم حسن الكفاية للحاجات ثم صنوف ما أظهر من الزواج والاوقات (بل له أمور لا يبذلها باحوال الآدميين أيضاً وذلك اما ان يكون بحيث لا يبذل بما خص به أحد من الخلق أو لا يبذل بما خص به الا كثر فاذا كان لا يبذل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصاً يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة وأما في أمر خاص فاذا الله تعالى نعم ليست له على أحد من عباد الله سواء وان كان يبذل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليست الى عدد المعبودين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من هو فوقه نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى ليردري) أي يحقر (نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى

لا فتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجهه مساوياً فظاهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد امام مطلقا وما في بعض الامور فتنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فتقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رقيقه أو أقراره أو عزه أو أواجه أو في سائر محابه) (الدينية (أمور) أو ألب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جاداً وانساناً لا بهيمة وذكر الأتني وجميع الامور بسلبها لا بمعيباتها فان كل هذه خصائص وان كان فيها

عموم أيضاً فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبذلها باحوال الآدميين أيضاً وذلك اما أن يكون بحيث لا يبذل بما خص به أحد من الخلق أو لا يبذل بما خص به الا كثر فاذا كان لا يبذل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره واذا كان لا يعرف شخصاً يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة وأما في أمر خاص فاذا الله تعالى نعم ليست له على أحد من عباد الله سواء وان كان يبذل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليست الى عدد المعبودين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من هو فوقه ليردري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى

وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة ان عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه
وعما في يداخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا ما القوت يأتيك * كذا الصحة والامن وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن بل أرشق
العبارة وأفصح الحكامات كلام أفصح من نطق بانضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه
عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت للناس كلهم وجدتهم (١٣٣) يشكون ويتألمون من أمور ورعاء هذه

الثلاث مع انها وبال عليهم
ولا يشكرون نعمة الله في
هذه الثلاث ولا يشكرون
نعمة الله عليهم في الايمان
الذي به وصولهم الى النعيم

المقيم والمالك العظيم بل
البصير ينبغي أن لا يفرح الا
بالمعرفة واليقين والايمان
بل نحن نعلم من العلماء من
لو سلم اليه جميع ما دخل
تحت قدمه ملك الارض

من المشرق الى المغرب من
أموال واتباع وانصار وقيل
له خذها عوضا عن علمك
بل عن عشر عرش - بر علمك لم

يأخذه وذلك لرجائه ان نعمة
العلم تقضى به الى قرب الله
تعالى في الآخرة بل لو قيل
له لك في الآخرة ما ترجوه

بكماله فخذ هذه اللذات في
الدنيا بدلا عن الآخرة
بالعلم في الدنيا وفرحك به
لكان لا يأخذه لعل به لذة

العلم دائمة لا تنقطع وباقية
لا تسرق ولا تغصب ولا
ينافس فيها وانما صافية
لا كدورة فيها ولذات الدنيا

كلها ناقصة مكدورة مشوشة
لا يفي مرجوها بمخوفها ولا
لذتها بالمها ولا فرحها بغمها

وقال القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا أغنيته عن ثلاث لقد أتممت
عليه نعمتي) أغنيته (عن سلطان يأتيه) أي جعلته غنيا (و) أغنيته (عن طبيب يداويه) أي جعلته
صحيحا سليما (و) أغنيته (عما في يداخيه) أي جعلته قانعا بما في يده نقله صاحب القوت (وعبر الشاعر
عن هذا فقال

اذا لقوت تأتي لك الصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن)

كذا هو في القوت وفي بعض نسخ الكتاب اذا ما القوت يأتي لك وفي أخرى اذا القوت يأتيك كذا الصحة
(بل أرشق العبارة وأفصح الحكامات كلام أفصح من نطق بالاضاد) يشير الى ما اشتهر على اللسان أنما أفصح
من نطق بالاضاد قال ابن كثير معناه صحيح ولكن لا أصل له (حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى
فقال من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) تقدم

الكلام عليه غير مرة (ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور ورعاء هذه
الثلاث) وهي الامن والصحة والقوت (مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي
به وصولهم الى النعيم المقيم والمالك العظيم) الذي لا يفي (فان البصير) أي صاحب البصيرة (ينبغي ان
لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان) فانها من أفضل النعم الباطنة (بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم

اليه جميع ما دخل تحت قدمه ملك الارض من المشرق الى المغرب من أموال) وأعراض (وأتباع
وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك) ومعرفتك (بل عن عشر عرش علمك لم يأخذه) ولم يقبله (وذلك
لرجائه ان نعمة العلم تقضى به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة) وما ذكر في عرضه فكأنه فان

ولا يقرب به الى جوار الله تعالى (بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن
الآخرة) بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعل به لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها وانما صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدورة ومشوشة لا يفي
مرجوها بمخوفها ولا ألها بلذتها ولا فرحها بغمها) فانها ان حلت أوجلت أو حلت أو كست

أو كست (هكذا روي) من أول الزمان (الى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان) ودار الملوك (اذما خلقت
لذات الدنيا اللذات تلج بها العقول الناقصة وتتخذ حتى اذا اتخذت وتقبلت بها أبت عليها) وامتنعت
(واستعصت) فهي (كل امرأة الجميل طاهرها تزين للشباب الشبق) الكثير الشهوة (الغبي) الغافل
عن العواقب (حتى اذا تقيد بها قلبه) وعلق بها باطنه (استعصبت عليه) وجمحت (واحتجبت عنه) ولم

تواصله (فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لا غتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل
وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره) في ماله وعرضه وجسده (فهكذا وقعت أرباب الدنيا في
شباك الدنيا وجبا تلها) وخذعها (ولا ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل
عليها أيضا متألم بالصبر عليها) على (حفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض عنها
(يقضى الى الآخرة) وهي القرب من جوار الله تعالى (وتألم) المقبل عليها (يقضى الى الآخرة) وتألم المقبل

يقضى الى الآخرة وتألم المقبل يقضى الى الآخرة

الآخرة فليقر المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تنهوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يآلمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعمامة فان قلت فاعلاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر فاقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيمارضنا اليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتعد النعمة (١٣٤) نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسيبيله أن ينظر أبا الى من دونه ويفعل ما كان

يفعله بعض الصوفية اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصيته من الجنائات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصي الله فليزداد في طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غيبي اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات وأما العاصي فغيبته طاهر فاذا شاهد المقابر وعلم أن

الآخرة) وهو البعد عن جوار الله تعالى (فليقر المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تنهوا) أي لاتضعفوا (في ابتغاء القوم) أي طلبهم ومقاتلتهم لاعلاء كلمة الحق (ان تكونوا تألمون فانهم يآلمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) وهو اشارة الى تلك اللذة (فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعمامة) وانسداد طريق الشكر حرموا طريق المزيد وأورثهم ذلك النقصان أبدا (فان قلت فاعلاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر فاقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيمارضنا اليه من أصناف نعم الله تعالى العامة) المبذولة على الخلق (وأما القلوب) الجامدة (البليدة التي لاتعد النعمة نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسيبيله ان ينظر أبا الى من هو دونه) في أمور الدنيا (ويفعل ما كان يفعله بعض) السادة (الصوفية اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى) وهي المارستان (والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود) الشرعية (فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته) من تلك البلايا (فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض) كان يحضر المواضع التي تقام فيها الحدود (يشاهد الجنة) هم الجانون على أنفسهم (الذين يقتلون) قصاصا (وتقطع أطرافهم) في السرقة (ويعذبون بأنواع العذاب) في حد الخمر والقذف وغير ذلك أو من طريق السياسة (ليشكر الله تعالى على عصيته) وحفظه (من الجنائات) الشرعية (ومن تلك العقوبات) ويشكر الله تعالى على نعمة الامن (حيث لا يطالبه أحد بدم أو ذمة أو غير ذلك) (و) كان (يحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا) كما ورد ذلك في الاخبار (أما من عصي الله فليزداد في طاعته وان يوم القيامة) هو (يوم التغابن) كما سماه الله تعالى في كتابه ذلك يوم التغابن (فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غيبي) وخسارتي (اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات) وأما العاصي فغيبته طاهر) يرى غيره يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره في الغفلة والعصيان فلا أغنى منه (فاذا شاهد المقابر وعلم ان أحب الاشياء اليهم) أي الى أصحاب المقابر (ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي أهل القبور والعود) الى الدنيا (لانه ليكون ذلك معارف لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين (فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر وكان الربيع بن خثيم) الثوري الكوفي الفقيه الزاهد (مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة) الحاصلة (له فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلاني عنقه و ينام في لحده ثم يقول) هذه الآية (رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول) مخاطبا لنفسه (ياربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وما ينبغي ان تعالج به

احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي أهل القبور والعود لاجله ليكون ذلك معارف لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر وقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلاني عنقه و ينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول ياربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وما ينبغي ان تعالج به

القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بملزمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية تقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فن تهافت بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام هذا الركن * (الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر (١٢٥) والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر) *

القلوب البعيدة عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عليكم ملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم (نقله صاحب القوت) وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر (نقله صاحب القوت) وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فن تهافت بهم عرض تلك النعمة للزوال قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ الا عظمت مؤنة الناس اليه فن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال انه موضوع على حجاج الا عور انتهى قلت حديث معاذ رواه أيضا أبو سعيد السهمان في مشيخته وأبو اسحق المستملي في معجمه والبيهقي وضعفه والخطيب وابن النجار وفيه أحد بن معدان العبدى قال أبو حاتم مجهول والحديث الذي رواه باطل ورواه الشيرازي في الالقاب عن عمر بن الخطاب موقوفاً ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة بلفظ الاشتدت عليه مؤنة الناس وتقدم في كتاب ذم الخيل والمال بلفظاً من عظمت وتقدم الكلام عليه هناك فراجع (وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروا بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا بمعاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمته ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الاسباب بعيشته وحكمته (فهذا تمام هذا الركن) الثاني وبانه التوفيق

* (الركن الثالث) * (من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر و يرتبط أحدهما بالآخر)

* (بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد) *

(اعلم) أيها السالك (لعلك تقول ماذا كثرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا البشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فاعني الصبر إذا وان كان البلاء موجوداً فاعني الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أن الشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي الماء والشكر يستدعي فراخاً وهما يتضادان) فكيف يجتمعان (وما معنى ما ذكرته ومن أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أمافي الآخرة فكسعادة العبد بالقرول والقرب (في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فبالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما إلى نعمة مقبلة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجهه ويفسده من وجه) آخر ولذا عد من الخبرات المتوسطة (فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى أمامدة) من الزمن (وأما أبدأ وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تقضي إلى البلاء المطلق وأما البلاء المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤثر بالصبر عليه فإن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذلك المعصية بل حق الكافر

بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجهه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجهه ويفسده من وجهه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعث من الله تعالى امامة وأما أبداً وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطاعة أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء لا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر

أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غير هافلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس الى العبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور (١٣٦) أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب الهلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده والصحة أيضاً كذلك فإيمان نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخسيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور

ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها مما يذهل العقل فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فانه لا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس للعبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده وانصاره ويؤخذ منه ذلك المال والصحة أيضاً كذلك فإيمان نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء من البلاء التي تصيب العبد الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى وتجاوز الحدود (قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) ولكن ينزل بقدر ما يشاء (وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فجعل الطغيان ثمرة الاستغناء (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي مريضه) الطعام والشراب يخاف عليه وراه أحد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد بلفظ كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ورواه كذلك الحاكم من حديث أبي سعيد وروى الديلمي من حديث أنس ان الله ليحمي المؤمن من الدنيا نظراً وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله الطعام وروى الروياني وأبو الشيخ في الثواب يحمي المريض أهله الطعام وقد تقدم (وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه من الاقسام الستة عشر من النعم) من ضرب أربعة في أربعة (سوى الايمان وحسن الخلق فانها تتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى) باعتبار كونها مرادفة للعلم (ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقد هانعة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش) أي تذكر (وطال بذلك غمه) ولم يتهن في أحواله فإيمانه من النعم اللطيفة (وكذلك جهله بما يضره الناس) أي يخفونه (عليه) في قلوبهم (من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر) وانكشف الحال (واطلع عليه أطال ألمه وحقدته وحسدته واشتغاله بالانتقام) منهم ليشقى غيظه فيهم (وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها) بما فيه (أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالأعلى في الدنيا والآخرة) اما في الدنيا فلا اشتغاله بأبغاضه وتضييع أوقاته وأما في الآخرة فلما يترتب عليه من المؤاخذات (بل جهله بالخصال في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان الله لا محالة أعظم فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف القوت ومن كثرت النعم ثلاث من جهلها أضع الشكر عليها ومعرفة شكر العارفين أولها استنار الله عز وجل

حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده والصحة أيضاً كذلك فإيمان نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخسيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور

بلاء ويكون فقد هانعة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه أطال ألمه وحقدته وحسدته واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالأعلى في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المذمومة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان الله لا محالة أعظم فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف

وبقدرته وعزته عن الابصار ولوظهر للعباد العيان لكأن معاصيهم كفر الانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولانه تعالى كان يظهر بوصف لا يتنعون معه من المعاصي ووراء هذا سائر الغيوب الا انهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم في الايمان من عظيم درجات ما لهم الا ان لانهم حياتهم يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحق اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم بالنعمة الثانية اخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لانهم امن سر الغيب وصالح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولوظهورت لهم لكأن خطاياهم الصغائر كباثر مع عناية الآيات وما ضعف لهم على أعمالهم الحسنة كمضاعفاتها الا ان للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغيب الآجال عنهم اذ لو علموا بما كانوا يزادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان ذلك مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع للعبية عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون واظفاهم ونظر اليهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من امانات النعم ثم ول ستره لهم احتجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظر اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولوا أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقريم منه ليعال ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم في محب ذلك وستره ما عمل العاصون لهم في الخير والشر على الزجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتاخوت عقوبات المؤذين لهم عن المعالجة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم في ستره هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنهم ونعم جليلة على المتشككين لحرمتهم المصغرين لسعائر الله من أجلهم اذا كانوا ساروا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما جاء في الخبر يقول الله تعالى من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم ان المشاير لولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره انه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره وزر من انتك حرمة نبي قد كان أعلمه انه نبي الله اعظم حرمة النبوة وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في اخفاءها قال ان الله تعالى خباثاتنا في ثلاث رضاء في طاعته فلا تحقرها منها شيئا لعل رضاء فيه وخبا سخطه في معصيته فلا تحقرها منها شيئا لعل غضبه فيها وخبا ولايته في عبادته المؤمنين فلا تحقرها منهم أحدا لعل ولي الله عز وجل اه (ومنها اجام الله تعالى أمر القيامة) متى تقوم (واجمامه ليلة القدر) في أي ليلة من ليالي شهر رمضان (واجمامه ساعة الجمعة) التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله بشئ الا استجيب له (واجمامه بعض الكبائر) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة (فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطالب والاجتهاد) وقد زيد على ما ذكر الصلاة الوسطى فان الله تعالى أخفاهما كذلك لطفه ومنه لتوفير الدواعي على الاجتهاد (فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق لا خطأ فيه (وذلك مظهر في حق كل أحد) اطرادا شائعا) ولا يستثنى عنه بالظن الا الا لام التي تخلقه في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن نعمة في حق كآلام الحاصل من المعصية كقطع يد نفسه ووسمه بشرته (بالنار أو النبل) (فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لاني حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد) وهو نصف مصراع بيت (ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة) من العباد (لما عرف المتنعون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون

وبقدرته وعزته عن الابصار ولوظهر للعباد العيان لكأن معاصيهم كفر الانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولانه تعالى كان يظهر بوصف لا يتنعون معه من المعاصي ووراء هذا سائر الغيوب الا انهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم في الايمان من عظيم درجات ما لهم الا ان لانهم حياتهم يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحق اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم بالنعمة الثانية اخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لانهم امن سر الغيب وصالح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولوظهورت لهم لكأن خطاياهم الصغائر كباثر مع عناية الآيات وما ضعف لهم على أعمالهم الحسنة كمضاعفاتها الا ان للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغيب الآجال عنهم اذ لو علموا بما كانوا يزادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان ذلك مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع للعبية عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون واظفاهم ونظر اليهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من امانات النعم ثم ول ستره لهم احتجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظر اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولوا أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقريم منه ليعال ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم في محب ذلك وستره ما عمل العاصون لهم في الخير والشر على الزجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتاخوت عقوبات المؤذين لهم عن المعالجة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم في ستره هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنهم ونعم جليلة على المتشككين لحرمتهم المصغرين لسعائر الله من أجلهم اذا كانوا ساروا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما جاء في الخبر يقول الله تعالى من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم ان المشاير لولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره انه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره وزر من انتك حرمة نبي قد كان أعلمه انه نبي الله اعظم حرمة النبوة وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في اخفاءها قال ان الله تعالى خباثاتنا في ثلاث رضاء في طاعته فلا تحقرها منها شيئا لعل رضاء فيه وخبا سخطه في معصيته فلا تحقرها منها شيئا لعل غضبه فيها وخبا ولايته في عبادته المؤمنين فلا تحقرها منهم أحدا لعل ولي الله عز وجل اه (ومنها اجام الله تعالى أمر القيامة) متى تقوم (واجمامه ليلة القدر) في أي ليلة من ليالي شهر رمضان (واجمامه ساعة الجمعة) التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله بشئ الا استجيب له (واجمامه بعض الكبائر) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة (فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطالب والاجتهاد) وقد زيد على ما ذكر الصلاة الوسطى فان الله تعالى أخفاهما كذلك لطفه ومنه لتوفير الدواعي على الاجتهاد (فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق لا خطأ فيه (وذلك مظهر في حق كل أحد) اطرادا شائعا) ولا يستثنى عنه بالظن الا الا لام التي تخلقه في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن نعمة في حق كآلام الحاصل من المعصية كقطع يد نفسه ووسمه بشرته (بالنار أو النبل) (فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لاني حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد) وهو نصف مصراع بيت (ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة) من العباد (لما عرف المتنعون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون

في عمارته ولكن زينة السماء لم تحت لم يشعر واهل لم يفرحوا بسببها فاذا قدم ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباد الله وعلى بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتي او على غير المبتي فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان كانت فيهما متضادان فكيف يجتمعان اذا صبر الاعلى غم ولا شكر الاعلى فرح (١٣٨) فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث

الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتنصرون ان يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضاعها الله تعالى وزادها ما كان برده ويحجزه فليشكر اذ لم تكن أعظم منها في الدنيا * الثاني انه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضى الله وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ما ذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني وقال عسر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما ابتليت ببلاء الا كان الله تعالى على فيه أربع نعم اذ لم يكن في ديني واذا لم يكن أعظم منه واذا لم أحرم الرضا به واذا رجوا الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب

في عمارته (واكن زينة السماء لم تحت) على الخلق (لم يشعر واهل لم يفرحوا بسببها فاذا قدم ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة) اما طاهرة واما باطنية (ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة) اما على جميع عباد الله وعلى بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتي (به) (أو على غير المبتي) فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا) فهذا وجه اجتماعهما في محل واحد (فان كانت فيهما متضادان فكيف يجتمعان اذا صبر الاعلى غم ولا شكر الاعلى فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور) ولغظ القوت ويقال ما من مصيبة الا والله تعالى فيها خمس نعم اهـ (ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها ان كل مصيبة ومرض فيتنصرون ان يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضاعها الله تعالى وزادها ما كان برده ويحجزه) عن ذلك (فليشكر اذ لم تكن أعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه) حتى انه (قال رجل لسهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى (دخل اللص بيتي وأخذ متاعى) فقال له على وجه التذكير بما فوق ذلك من البلاء (اشكر الله لو دخل) اللص الذي هو (الشيطان قلبك فأفسد) عليك (التوحيد ما ذا كنت تصنع) عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه فان بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أو رده القشيري في الرسالة (ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني) أى لانها أعظم من مصيبة الدنيا (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما ابتليت ببلاء الا وكان الله تعالى على فيه أربع نعم) أولها (اذ) لم يكن ذلك البلاء (في ديني) (الثانية) اذ لم يكن أعظم منه (و) الثالثة (اذ لم أحرم الرضا به) (الرابعة) اذ أرجوا الثواب عليه (و) قبل (كان لبعض أرباب القلوب صديق) فابتلى بكذب عليه أو بغيره (فحبسه السلطان فأرسل اليه) أى الى صاحبه بذلك (فقال) له صاحبه أى كتب اليه (اشكر الله تعالى فضر به) السلطان فكتب اليه بخبره (فقال) أى فكتب اليه (اشكر الله تعالى فجاء) اليه في الحبس (بمجموعى فحبس عنده وكان مبطونا فقيده وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة من رجليه هذا (في رجل المجوسى) بحيث لا يشي أحدهما الا بشي الآخر (فأرسل اليه) يخبره بخبره (فقال) أى فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فكان المجوسى يحتاج أن يقوم) بسبب بطنه لبيت الخلاء (مرات) عديدة بالليل (وهو) أى هذا الصديق (يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته) ثم يرجع ما كانهما (فكتب اليه بذلك فقال) أى فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فقال) أى فكتب اليه (الومنى) تقول (هذا) يعنى قولك اشكر الله (وأى بلاء أعظم من هذا) البلاء (فقال) أى فكتب اليه يقول (لوجعل الزنار الذى في وسطه على وسطك) كوضع القيد الذى في رجليه ورجلكم الزنار كمران علامة الشرك (ما ذا كنت تصنع) نبيه بذلك على انه ما من بلاء الا فوقه ما هو أعظم منه من بلاء الدين والدنيا وعلى ان كل ذلك بقضائه وقدره وقد سلك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك أو رده القشيري في الرسالة وفي القوت

وذلك

صديق فحبسه السلطان فأرسل اليه يعلمه ويشكره اليه فقال له اشكر الله فضر به فأرسل اليه يعلمه ويشكره

اليه فقال اشكر الله فجاءه بمجموعى فحبس عنده وكان مبطونا فقيده وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة في رجل المجوسى فأرسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج الى أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا أو أى بلاء أعظم من هذا فقال لوجعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع

فاذا ما من انسان قد أصيب بيسلاء الاولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك ان يقطع يدك فتترك احدهما فهو مستحق للشكر ولذلك من بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه (١٣٩) طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقبل له ما هذه

السجدة فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقصر على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتسبت الامطار فقال أنتم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الخمر * فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد نسي له ما هو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما أغلظ لهم ليزدادوا اثما وأما المعاصي فمن أين تعلم ان في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهكذا هو الوجه الثالث في الشكر على المصيبة من الوجوه الخمسة (وهو انه مامن عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة) فيعظم عذابها (ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب آخرتها من المصيبة فيخفف وقعها) أي أثرها (ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي) عنها باسباب آخر (اذا اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين) لانقطاع الاحساب والانساب (ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا) اذا الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (اذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به قاله أعدل من أن يشي عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذي من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عباد بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث اه قلت وتعام الحديث عند الترمذي ومن أصاب حدا فستره الله عليه قاله أكرم من أن يعود في شيء

وكذلك اذا رأيت مبتلي في دينه بصفات المنافقين أو مبتلي بنفسه باخلاق المتكبرين أو منهم كما فيما عليه من أفعال الفاسقين عدت جميع ذلك نعم عليك من الله تعالى اذ لم يجعل لك ذلك لانك قد كنت أنت ذلك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ما وجه الى غيرك من الشر أو صرف عنه من الخير نعم عليك بمثل ما وجه به من الخير اليك وصرف من الشر عنك لان النفوس كنفوس واحدة في الامر بالسوء والمشتة والاقدة واحدة فقد رجليك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك (فاذا ما من انسان قد أصيب بيسلاء الاولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة) مثلا (فهو مستحق للشكر) كذا (من استحق عليك ان يقطع يدك جميعا (فتترك احدهما فهو مستحق للشكر) ولو ضربك مائة سوط كاملا أو قطع يدك جميعا ماذا كنت تصنع (ولذلك من بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر) ولم يتغير حاله الذي كان عليه (فقبل له) أي قال له أصحابه الذين شاهدوا ذلك منه (ما هذه السجدة) في هذه الحالة (فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقصر على الرماد نعمة) هذا نظر العارفين بالله حيث جعل صب الرماد عليه مصالحة عن النار التي كان يستحقها (وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتسبت الامطار فقال أنتم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الخمر) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا الوعر وعثمان بن محمد العثماني حدثنا اسمعيل بن علي حدثنا هرون بن جندب حدثنا سيار حدثنا جعفر قال قالنا مالك بن دينار ألا تدعوك قاريا تقرأ قال ان الشكوى لا تحتاج الى ناشئة فقلنا له ألا تستسقي قال أنتم تستبطلون المطر لكني أستبطل الخمر (فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد نسي له ما هو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما أغلظ لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى وأملئ لهم ان كيدى منين) وأما المعاصي فمن أين تعلم ان في العالم من هو أعصى منه ومنه ورب خاطر (بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته) ما هو (أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهكذا هو الوجه الثالث في الشكر على المصيبة من الوجوه الخمسة (وهو انه مامن عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة) فيعظم عذابها (ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب آخرتها من المصيبة فيخفف وقعها) أي أثرها (ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي) عنها باسباب آخر (اذا اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين) لانقطاع الاحساب والانساب (ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا) اذا الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (اذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به قاله أعدل من أن يشي عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذي من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عباد بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث اه قلت وتعام الحديث عند الترمذي ومن أصاب حدا فستره الله عليه قاله أكرم من أن يعود في شيء

وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب آخرتها من المصيبة فيخفف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذا اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا

* الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة * الخامس ان (١٤٠) نوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه

الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان بمنع ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سبباً لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سبباً لهلاكه فالمحذرة غداً يتبنون لو كانوا يجانبون أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فمان شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا يرى ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البليات اذ ارادوا ثواب الله على البليات كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب

قد عفا عنه وقال حسن غريب ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي وقد روى ذلك أيضاً من حديث خزيمة بن ثابت ولفظه من أصاب منكم ذنباً ما نسي الله تعالى عنه فاقم عليه حده فهو كفرارة ذنبه ورواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم وفي لفظه من أصاب ذنباً فاقم عليه حد ذلك الذنب فهو كفرارة ذنبه والدارمي وابن جرير والدارقطني والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياع ورواه ابن النجار بلفظ من أذنب ذنباً ورواه أحمد وابن جرير وصححه من حديث علي بلفظ من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فانه أعدل من ان يثنى عقوبته على عبده الحديث (الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب) لا محالة (وكان لابد من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة) ان تأملت فيها (الخامس ان نوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة) نقله صاحب القوت وذلك (من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان بمنع ذلك عن العلم والادب) أي عن تحصيلهما (فكان يخسر جميع عمره) ويندم على جهله (فكذلك المال والاهل والاقارب) ففي الخبر سيأتي زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده (والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سبباً لهلاك الانسان في بعض الاحوال) اذ لم يفهم الحرام (بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سبباً لهلاكه فالمحذرة) الخارجون عن عقائد الجماعة (غداً يتبنون ان لو كانوا يجانبون أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله عز وجل فان الذي أمابهم من زيغ عقائدهم انما هو من تغليبهم جهة العقل على النقل) فمان شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا يرى ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البليات) والمصائب التي أصابته في الدنيا (اذا رادوا ثواب البلاء) مضاعفاً (كما يشكر الصبي بعد) زمان (العقل والبلوغ) الى مراتب الرجال (استاذه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب) والضرب وهو العلم والمعرفة (وبالبلاء من الله تعالى) على عبادته (تأديب) لهم (وعنايته بعبادته) ثم وأمر من عنايته الآباء بالاولاد فقد روى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شئ قضاء عليك قال العراقي ورواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زياد في أوله وفي اسناد ابن لهيعة (ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسل) عن ضحكك (فقال عجب لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراة ورضي وكان خيراً له) قال العراقي ورواه مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء وضحكك عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراة شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراة صبر فكان خيراً له ولانسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجب من قضاء الله للمؤمن ان أصابه خير جدد ربه وشكر الحديث انتهى قلت حديث صهيب ورواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان وعند الطبراني عجب من قضاء الله للمسلم كله خيراً ان أصابته سراة فشكر آجره الله عز وجل وان أصابته ضراة فصبر آجره الله عز وجل فكل قضاء قضاء الله للمسلم خير وأما حديث سعد بن أبي وقاص فتمامه وان أصابته مصيبة جدد ربه وصبر يجر المؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى في امرأته ورواه كذلك أحمد وعبد بن حنيد والبيهقي في الضياء وفي لفظ لطيف السدي عجب للمسلم اذا أصابته مصيبة احتسب وصبر واذا أصابه خير جدد الله وشكر ان المسلم يورح في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى فيه ورواه كذلك عبد بن حنيد

وعنايته بعبادته ثم وأمر من عنايته الآباء بالاولاد فقد روى ان رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شئ قضاء عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسل فقال عجب لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراة ورضي وكان خيراً له وان قضى له بالضراة ورضي وكان خيراً له

* الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة الخجاف بالقلب عن دار الغرور وموادة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طعنا نينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت سجناء عليه وكانت نجاة منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من (١٤١) أعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة

الدنيا ورضى بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الخشوع الى الخروج منها والكافر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدرب حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشر كالحفي بل الواحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هـ ذا الوجه فيجب الفرح به وأما التالم فهو ضروري وذلك بضاهي فرحك عند الحاجة الى العجامة فمن يتولى حجامته سلك حجامنا أو يسقى دواء نافعا بشعنا حجامنا فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثال الداء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنضارة من دخل دار ملك للنضارة وعلم انه يخرج منها لاجلته فرأى وجهها حسنا لا يخرج منها لاجلته فرأى وجهها حسنا لا يخرج منها لاجلته فرأى وجهها حسنا لا يخرج منها لاجلته

والصحيح وفي الباب عن أنس عجباً للمؤمن ان الله لا يقضي له قضاء الا كان خيراً له رواه كذلك ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن منبغ وأما التيسم والنظر الى السماء فقد روي من وجه آخر من حديث ابن مسعود قال كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبسم قلنا يا رسول الله ثم تبسمت قال عجبت للمؤمن وجعه من السقم لو كان يعلم ماله من السقم لاحب أن يكون سقيماً حتى يلقى ربه عز وجل ثم تبسم اثنية ورفع رأسه الى السماء فنظر اليها فقالوا ثم تبسمت قال عجبت للمكين تلامن السماء يلتمسان مؤمناً في مصلاه الحديث (الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا) كما رددت في ذلك في الخبر (ورأس أسباب النجاة الخجاف بالقلب عن دار الغرور) بان يبعد عنها وعن الأسباب التي تقربها اليها (وموادة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طعنا نينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها) لها التعلق بقلبه بها (واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت سجناء عليه وكانت نجاة منها) بالموت (غاية اللذة كالخلاص من السجن) فيفرح كما يفرح الذي خرج من سجن (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (و ليس المراد بالكافر هنا من أشرك بالله في توحيدهِ ولم يصدق رسوله بل الكافر كل من أعرض عن الله تعالى) بقلبه (فلم يرد الا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن اليها) وهذا المعنى يتصور في بعض من تحلى بظاهر الايمان (والمؤمن) هنا (كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الخشوع الى الخروج منها والكافر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدرب حب الدنيا في القلب) وتكتمه منه (يسرى فيه الشر كالحفي) أخفى من ديب النمل (بل الواحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق) ولا يريد سواه (فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التالم فهو ضروري وذلك بضاهي فرحك عند الحاجة الى العجامة فمن يتولى حجامته سلك حجامنا أو يسقى دواء نافعا بشعنا حجامنا فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثال الداء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل) فالصبر يتعلق بالاول والشكر يتعلق بالثاني (بل من دخل دار ملك للنضارة) أي التفرح (وعلم انه يخرج منها لاجلته فرأى وجهها حسنا لا يخرج منها لاجلته فرأى وجهها حسنا لا يخرج منها لاجلته) لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيمضوا كان عليه في المقام خطر من ان يطاع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه (يجب مقابلاتها بالشكر) والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحمة وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنفسهم بالنزول فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على عباس على أبيه) رضى الله عنهما (فقال) ولفظ القوت وحدث ان العباس لما توفي فعد عبد الله للتغزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعراي فانشا يقول (اصبر نسكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحمة وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنفسهم بالنزول فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على عباس على أبيه) رضى الله عنهما (فقال) ولفظ القوت وحدث ان العباس لما توفي فعد عبد الله للتغزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعراي فانشا يقول (اصبر نسكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجزل بعده

والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ماعزاني

أحد أحسن من تعزيتي

والاخبار الواردة في الصبر

على المصائب كثيرة قال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم من برد الله به خيرا

يصب منه وقال صلى الله

عليه وسلم قال الله تعالى

اذا وجهت الى عبد من

عبيدي مصيبة في بدنه أو

ماله أو ولده ثم استقبل ذلك

بصبر جميل استجبت منه

يوم القيامة أن أنصبه

ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال

عليه السلام ما من عبد

أصيب بمصيبة فقال كما أمره

الله تعالى أنا لله وأنا اليه

راجعون اللهم آخري

في مصيبتى وأعقبني خيرا

منها لا فعل الله ذلك به وقال

صلى الله عليه وسلم قال الله

تعالى من سلمت كرىمته

فجزاؤه الخلود في داري

والنظر الى وجهي وروى

أن رجلا قال يا رسول الله

ذهب مالي وسقم جسمي

فقال صلى الله عليه وسلم

لا خير في عبد لا يذهب ماله

ولا يسقم جسمه وإن الله إذا

أحب عبد ابتلاه وإذا ابتلاه

صبره وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم إن الرجل

لتكون له الدرجة عند الله

تعالى لا يبلغها بعمل حتى

يتلى بيلا في جسمه فيبلغها

بذلك

خير من العباس أجزل بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس (ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي) واستحسن ذلك ثم قال صاحب

القوت وعندنا في قوله تعالى إن الإنسان لظالم كفار قيل ظالم بالخطأ كفار بالنعم وفي قوله تعالى إن

الإنسان لربه لكونه قبيلا وهو الذي يشكو المصائب وينسى النعم ولوعلم أن مع كل مصيبة عشر نعم

بمذاثم أو زيادة قلت شكواه وبدلها شكرا ثم إن المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى

أما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين أو تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب البين والابرار

أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين فتجمل العقوبة في الدينار حسنة ونعمة ومعرفة هذه النعم

طريق للشاكرين (والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة) منها (قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من برد الله به خيرا يصب منه) أي ينبل منه بالمصائب ويتلبس بها قال العراقي رواه البخاري من

حديث أبي هريرة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا

الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ولده ثم

استقبل ذلك بصبر جميل استجبت منه يوم القيامة أن أنصبه ميزانا أو أنشر له ديوانا) رواه الحكيم في

النوادر والذيلي في مسند الفردوس من حديث أنس وقد أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من

عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم آخري في مصيبتى وأعقبني خيرا

منها لا فعل الله ذلك) رواه الطيالسي وأحمد وأبو نعيم في الحلية من رواية أم سلمة عن أبي سلمة بألفاظ ما من

عبد يصاب بمصيبة فيقول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى فأخبرني فيها وأعقبني منها

خيرا إلا أعطاه الله ذلك ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرغ الى ما أمره الله

به من قول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم آخري في مصيبتى هذه وعرضني خيرا منها إلا آخره الله في مصيبتى

وكان قنات يعرضه الله خيرا منها وقد أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلمت

كرىمته فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي) رواه الطبراني في الكبير والوسط من حديث جرير

بلفظ عوضته عنهما الجنة ورواه أبو يعلى وابن حبان والضايع من حديث ابن عباس قال الله تعالى إذا

أخذت كرىمته عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة وقد تقدم الكلام عليه وأغفله العراقي

(وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب

ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بأسناده لين انتهى قلت الجملة الأولى قد رويت

من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي بلفظ لا خير في مال لا يرزأ وجسد لا ينال منه والجملة الثانية تروى

نحوها من حديث أبي عتبة الخولاني بلفظ إن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه قالوا

يا رسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا رواه الطبراني وابن عساكر وروى البيهقي من حديث أبي

هريرة أن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ليسمع صوته وعند هذا ليسمع نصره وعن الحسن مرسل أن الله إذا

أحب قوما ابتلاهم رواه البيهقي وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد أن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم

فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى

لا يبلغها بعمل حتى يتلى بيلا في جسمه فيبلغها بذلك) قال العراقي رواه أبو داود في روايته ابن داسة وابن

العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في روايته الأولى ورواه أحمد وأبو يعلى

والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو الملقح الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يرو عن خالد إلا

ابنه محمد وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده العلاج بن حكيم فأنه أعلم وعلى هذا فإنه خالد بن العلاج

هو غير خالد بن العلاج العامري ذلك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في

الصحابه من رواية عبد الله بن أبي اياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية ابراهيم السلمي عن أبيه عن جده قاله أعلم انتهى ورواه كذلك هناد بن السري من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وتعقب وقال الحافظ في الاصابة روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي الملقح الرقي حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم عن أبيه عن جده سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان لا عبد عند الله درجة لم ينله اياها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة قال وقد رواه ابن منده في ترجمة اللجلاج بن حكيم السلمي وزعم انه أخو الخفاف بن حكيم وانه في أهل الجزيرة وساق حديثه من طريق أبي الملقح أيضا الا أنه لم يسم والد خالد بل قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسمة عنه في السنن ولم أر والد خالد سمي الا في رواية ابن شاهين وقال البغوي في الكنى أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد ثم أورده هذا الحديث من طريق أبي الملقح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الاصابة في ترجمة أبي فاطمة الضمري قال البخاري قال ابن أبي أوفى حدثني أخى عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل عن مولى الزرقين دعات على عبيد رابن أبي اياس بن أبي فاطمة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدى قال اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب ان يصح فلا يسقم الحديث وفيه ان الله لينبئ المؤمن وما ينبله الا لكرامته عليه وآله فان له منزلة عنده فلا يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور ووقع ابن يعقوب في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو جواد عن مسلم بن عقيل عن عبد الله بن أبي اياس عن أبيه عن جده قال ابن منده ورواه رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبد الله قال الحافظ الا انه سمي أباه أنسابا بدل اياس كذا قال وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين فيقال اياس فلعل الوهم من النسخة (وعن خباب بن الارت) بتشديد المنة بن جندب بن سعد بن خزيمة التميمي ويقال الخراعى أبو عبد الله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهيدا واما بعدها ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف على من صفين عن ثلاث وستين سنة (قال أنينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برأته في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله ألا تدعوا الله تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفرة ويحجأ بالمشارف فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه) قال العراقي رواه البخاري فقلت ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن جعفر بن اسحق الموصلي حدثنا محمد بن أحمد بن المنثري حدثنا جعفر بن عون حدثنا معمر بن أبي خالد عن قيس عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع في برذنه في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعوا الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شئ أو عشط بامشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شئ ولين الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تجلون (وعن علي كرم الله وجهه قال اعمار جل حبسه السلطان فمات فهو شهيد فان ضربه فمات فهو شهيد) هذا أثر أورده في خلال الاخبار (وقال صلى الله عليه وسلم من احل الله ومعرفة حقها لا تشكوا وجعل ولا تذكر مصيبتك) تقدم الكلام عليه وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال ثلاث من ملاء أمر ابن آدم لا تشك مصيبتك ولا تحدث برجعك ولا ترك نفسك لسانك (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (تولدون للموت وتعمرون للخراب وتعمرون على ما يفتى وتذرون ما يبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قسدة قال قال أبو

وعن خباب بن الارت قال
أتبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد
برأته في ظل الكعبة
فشكونا اليه فقلنا يا رسول
الله ألا تدعوا الله تستنصره
فجلس محمرا لونه ثم قال
ان من كان قبلكم ليؤتى
بالرجل فيحفر له في الارض
حفرة ويحجأ بالمشارف فيوضع
على رأسه فيجعل فرقتين ما
يصرفه ذلك عن دينه وعن
على كرم الله وجهه قال أعمار
رجل حبسه السلطان فلما
مات فهو شهيد وان ضربه
فمات فهو شهيد وقال عليه
السلام من احل الله
ومعرفة حقها أن لا تشكوا
وجعل ولا تذكر مصيبتك
وقال أبو الدرداء رضى الله
تعالى عنه تولدون للموت
وتعمرون للخراب وتعمرون
على ما يفتى وتذرون ما يبقى
ألا حبذا المكروهات
الثلاث الفقر والمرض
والموت

والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا يتسرلهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيؤدأهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرر أجسادهم بالمقاريض المايرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال سكانبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويحتجب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويحتري دليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العبادني والبلاء لى وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقي فاجر به بحسناته ويكون الكافر له الحسنات قابسط له الرزق وأزوى عنه البلاء فاجر به بحسناته في الدنيا حتى يلقي فاجر به بسناته وروى انه لما نزل

قوله تعالى من يعمل سواء يجزيه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض ألست بصييك الذي ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لما ذنوبك أيضا

وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب (١٥٠) وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك

استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة أي فجأة قال العراقي رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (وعن الحسن بن يسار) البصري رحمه الله تعالى أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي فصدمه حائط فأتى وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أعجل له عقوبة ذنبه في الدنيا) قال العراقي رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن بن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا وصله الطبراني أيضا من رواية الحسن بن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اه قلت ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن إذا أراد الله بعد خير أعجل له عقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعد شرا أخر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كانه غيره فيطره في النار ورواه الحاكم من حديث أنس وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إذا أراد الله بعده الخير أعجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعده الشر أسهل عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وحديث الحسن بن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقي (وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال المصائب في الدنيا يكسب (الأوزار) أي يسبب ارتكابها (فاذا عاقبه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة) تقدم قريبا حديث علي من رواية الترمذي بلفظ من أصاب في الدنيا ذنبا عاقبه والله أعدل من أن ينشئ عقوبته على عبده ومن أصاب حدا فبستره الله عليه وعفاه عنه فآله أكرم من أن يعود في شيء قد عفاه عنه ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال من أصاب حدا فجعل عقوبته في الدنيا فآله أعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي (وعن أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظردها بحلم) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة) من (خطوة إلى صلة الرحم) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة ما قطرت في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اه قلت وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبدا كظمها عبد الاملاء الله حوفة إيماناً وروى حديث ابن عمر بلفظ ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والطبراني والبيهقي وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسل ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير قال ليس فيها شيء ثبت (وعن عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج وقرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني لما تركوا ما أمروا به) فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة أي فجأة قال العراقي رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (وعن الحسن بن يسار) البصري رحمه الله تعالى أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي فصدمه حائط فأتى وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أعجل له عقوبة ذنبه في الدنيا) قال العراقي رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن بن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا وصله الطبراني أيضا من رواية الحسن بن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اه قلت ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن إذا أراد الله بعد خير أعجل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد الله بعد شرا أخر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كانه غيره فيطره في النار ورواه الحاكم من حديث أنس وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إذا أراد الله بعده الخير أعجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعده الشر أسهل عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وحديث الحسن بن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقي (وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال المصائب في الدنيا يكسب (الأوزار) أي يسبب ارتكابها (فاذا عاقبه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة) تقدم قريبا حديث علي من رواية الترمذي بلفظ من أصاب في الدنيا ذنبا عاقبه والله أعدل من أن ينشئ عقوبته على عبده ومن أصاب حدا فبستره الله عليه وعفاه عنه فآله أكرم من أن يعود في شيء قد عفاه عنه ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال من أصاب حدا فجعل عقوبته في الدنيا فآله أعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي (وعن أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظردها بحلم) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة) من (خطوة إلى صلة الرحم) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة ما قطرت في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اه قلت وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبدا كظمها عبد الاملاء الله حوفة إيماناً وروى حديث ابن عمر بلفظ ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والطبراني والبيهقي وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسل ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

وعن أبي الدرداء قال توفي ابن سليمان بن داود عليه السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فغشيا بين يديه في ربي الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه الطريق ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال فلم

(١٤٦)

مشاهرا رجل إلى صف يسده وتغام حديث أبي امامة عند الديلمي بعد قوله سواد الليل من خشية الله لا يراه أحد الا الله عز وجل (وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه (قال توفي ابن سليمان بن داود عليه السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فغشيا بين يديه في ربي الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال سليمان للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة) أي شارع الطريق الذي يسلكه الناس (فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام) للرجل المدعي (ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال) الرجل (فلم تحزن على ذلك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة) لا بد للناس من المروء عليها (فتاب سليمان) عليه السلام (إلى ربه) لما نبهه على ذلك (ولم يحجز عني) ولما بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز (الأموي) رحمه الله تعالى (على ابن له مريض) قبل هو عبد الملك (فقال) له (يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب) أخرجه أبو نعيم في الحلية (و) بروي (عن ابن عباس) رضي الله عنه (أنه نعى إليه ابنته) أي أخبر بموتها (فاسترجع) أي قال أنا لله وأنا إليه راجعون وصبر (وقال عورة سترها الله تعالى) (ومؤنة كفها الله تعالى) (وأجر ساقه الله تعالى) ثم نزل (عن سريره) فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال الله تعالى (وإن الله يعلم ما كنتم سركم) (و) يحكي (عن ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (أنه مات ابن له فعزاه بجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعالم أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام) يعني الصبر (فقال ابن المبارك) لا صحابه (اكتبوا عنه هذه) القولة أي فأنهم من الحكم (وقال بعض العلماء أن الله عز وجل ليتلى العبد بالبلاء حتى يمسي على الأرض وماله ذنب) ومضى هذا في الحديث المرفوع روى الطبراني من رواية محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه أن الله ليتلى عبده بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب وروى الحاكم وتغام وابن عساكر من حديث أبي هريرة أن الله ليتلى عبده المؤمن بالسقم حتى يحقق يكفر ذلك عنه كل ذنب (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (أن الله عز وجل ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الرجل أهله بالخير) وقد روى نحو ذلك في المرفوع روى الروياني وأبو الشيخ والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة أن الله ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الوالد ولده بالخير الحديث (وقال حاتم الأصم) رحمه الله تعالى (أن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق باربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان بن داود (وعلى الفقراء بالمسح) عيسى بن مريم (وعلى العبيد) أي الأرقاء (بيوسف) بن يعقوب (وعلى المرضى) أي يارب صلات الله عليهم) أجمعين (وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل لما أحس منهم الشر واختفى في الشجرة) فأنما انشقت بنصفين فدخل في بطنها ثم التأم (فعر فوذلك) وذلك أن إبليس أمسك طرفا من ثوبه فبقى بارزا فلما جاء بنو إسرائيل يتقشون عليه فآخبرهم أنه في بطن الشجرة فلم يصدقوه فآراه طرف ثوبه فعر فوه (فجىء بالمشارق فشرحت الشجرة حتى بلغ المشار إلى رأس زكريا) عليه السلام (فأن منه أنه) أي من ألم مالم يلقى من المشارق (فأوحى الله تعالى إليه) أن (يا زكريا لننصرت منك أنه ثانية للاحقونك من ديوان النبوة فعوض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشرطين) ولم يثن ويقال أنه كان يذكر حين وصل المشار إلى حلقة الشريف فزال يذكر من

تحزن على ذلك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان إلى ربه ولم يحجز عني ولما بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب وعنه ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعى إليه ابنته فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه بجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعالم أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء أن الله ليتلى العبد بالبلاء حتى يمسي على الأرض وماله ذنب وقال الفضيل أن الله عز وجل ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الرجل أهله بالخير وقال حاتم الأصم أن الله

حلقة

عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق باربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى يارب صلات الله عليهم وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعر فوذلك فجىء بالمشارق فشرحت الشجرة حتى بلغ المشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لنصعدت منك أنه ثانية للاحقونك من ديوان النبوة فعوض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشرطين

خلقه حتى نشر وسماه هذا الذ كرز كرم المشاور وهو من أذكرا اتباع القطب باباً أحد الميسوي قدس سره
 (وقال أبو مسعود البلخي) رحمه الله تعالى (من أصيب بمضمية فزق ثوباً وضرب صدره فكان كما أخذ
 رجماً يريد أن يقتل به ربه عز وجل) هكذا في النسخ وأبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيئاً في بعض النسخ
 ابن مسعود فليحمر (وقال لقمان) رحمه الله تعالى (لابنه يابني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح
 يجرب بالبلاء وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) يستأنس لاشطار
 الأول بما رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي امامة إن الله ليحرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما
 يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابيض فذلك الذي جاء الله من الشهادت ومنهم من
 يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذي قد
 افتتن قال الحاكم صحيح وقد تعقب بعضه بن معدان وهو ضعيف وأما الشطر الثاني فقد رواه الطبراني في
 الاوسط والبيهقي والضياء من حديث أنس إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ورواه أحمد في الزهد عن وهب بن
 منبه مرسل وروى أحمد والبيهقي من حديث مجاهد بن لبيد إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر
 ومن جزع فله الجزع (وقال) أبو بحر (الاحنف بن قيس) بن معاوية التميمي السعدي البصري وكان
 احنف الرجلين جميعاً واسمه مخزومة ما مود قليل الحديث (اصبحت يوماً اشتكى ضرسى فقلت لعمي)
 صفعه بن معاوية بن حصين التميمي له حجة (مائت البارحة من وجع الضرس حتى قلته ان لا نقال
 أكثر من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد) قال الزبير بن
 بكار حدثني محمد بن سلام عن الاحنف بن قيس انه قال لاصحابه أتعجبون من حلي وخلق وانما هذائى
 استفدته من عصى صفعه بن معاوية شكوت اليه وجعا في بطني فاسكنني مرتين ثم قال لي يا ابن أخي
 لا تشك الذي نزل بك الى أحد فان الناس رجالان اما صديق فيسوءه واما عدو فيسره ولكن اشك الذي
 نزل بك الى الذي ابتلاك ولا تشك قط الى مخلوق مثلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الذي نزل بك
 يا ابن أخي ان لي عشرين سنة لا أرى بعيني هذه سهلاً ولا جبلاً فاشكوت ذلك لزوجتي ولا غيرها اه
 وروى المزي في تهذيب الكمال عن الاحنف قال ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكونها الاحد (وأوحى
 الله الى عزير عليه السلام) يا عزير (إذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كالأشكوك الى ملائكتي
 إذا صعدت بمساويك وفضائحك) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ أوحى الله تعالى الى أنس العزير
 ان أصابك مصيبة فلا تشكني الى خلقي فقد أصابني منك مصائب كثيرة ولم أشكك الى ملائكتي يا عزير
 اعصني بقدر طاقتك على عذابي ولساني حوائجك على مقاديرك لي ولا تأمن مكري حتى تدخل جنتي فاهتز
 عزير يركي فأوحى الله تعالى اليه لا تبك يا عزير فان عصيتني ببهالك غفرت لك بحلمي لاني كريم لا أجعل
 بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين

(بيان فضل النعمة على البلاء)

(لعلك تقول) ان (هذه الاخبار) التي سقتها باسمها (تدل على ان البلاء خير في الدين من النعم) لما
 يترتب عليه من الثواب الجزيل (فهو لما نزلت نزل الله بالبلاء) لحوز ذلك الثواب الموعود (فاقول لوجه
 لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعبد في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة) قال
 العراقي رواه احمد من حديث بسير بن أبي ارمطة بلفظ أجراً من خزي الدنيا وعذاب الآخرة واسناد جيد
 ولا يداود من حديث عائشة اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس
 ورواه بالنعنة اه قلت حديث بسير بن أبي ارمطة رواه أيضاً ابن حبان والبارودي وابن قانع وابن أبي
 عاصم والطبراني والحاكم والضياء ولفظه اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها وأجر من خزي الدنيا
 وعذاب الآخرة وفي لفظ الطبراني اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها وأجر من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

وقال أبو مسعود البلخي من
 أصيب بمضمية فزق ثوباً وضرب صدره فكان كما أخذ
 ضرب صدره فكان كما أخذ
 رجماً يريد أن يقتل به ربه
 عز وجل وقال لقمان رحمه
 الله لابنه يابني إن الذهب
 يجرب بالنار والعبد الصالح
 يجرب بالبلاء فإذا أحب الله
 قوماً ابتلاهم فمن رضى فله
 الرضا ومن سخط فله السخط
 وقال الاحنف بن قيس
 أصبحت يوماً اشتكى ضرسى
 فقلت لعمي مائت البارحة
 من وجع الضرس حتى
 قلته ان لا نقال لقد أكثر
 من ضرسك في ليلة واحدة
 وقد ذهبت عيني هذه منذ
 ثلاثين سنة ما علم بها أحد
 وأوحى الله تعالى الى عزير
 عليه السلام إذا نزلت بك
 بلية فلا تشكني الى خلقي
 واشك الى كلاً أشكوك الى
 ملائكتي إذا صعدت مساويك
 وفضائحك نسأل الله من
 عظيم لطفه وكرمه ستره
 الجليل في الدنيا والآخرة
 (بيان فضل النعمة على البلاء)
 لعلك تقول هذه الاخبار
 تدل على أن البلاء خير في
 الدين من النعم فهل لنا ان
 نسأل الله البلاء فاقول لوجه
 لذلك لما روى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه كان
 يستعبد في دعائه من بلاء
 الدنيا والآخرة

من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وبفاعة نعمتك وجميع سخطك (وكان يقول هو والانباء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آتنا الحديث ولابي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركعتين ربنا آتنا الحديث اه قلت عند الشيخين بزيادة فناء ذاب النار وكذلك رواه أحمد وأبو داود وأما دعوة الانبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم في كتاب الحج (وكأنوا يستعيذون من شتماته الاعداء وغيره) رواه أحمد والنسائي والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر واللهم اني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشتماته الاعداء وقد تقدم في كتاب الدعوات (وقال علي كرم الله وجهه) في مرضه (اللهم اني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ في اثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما قال سمع رجلا وله والنسائي في اليوم والليلة من حديث علي كنت شا كافر في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه وان كان بلاء فصبر في فصر به برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (وروى) أبو بكر (الصدیق رضی الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين) أو رده صاحب القوت الا انه قال فما أعطى عبد وقال العراقي رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة باسناد جيد وقد تقدم قلت ورواه أحمد والجيسدي والنعوف في مسانيدهم والترمذي وحسنه والضياء بلفظ سلوا الله العفو والعافية فان أحد الم يعط بعد اليقين خيرا من العافية ورواه ابن أبي شيبة وأحمد أيضا والحاكم بلفظ سلوا الله العفو والعافية واليقين في الاولى والآخرة فانه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية ورواه البيهقي في الشعب بلفظ سلوا الله اليقين والعافية (وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن) ولفظ القوت بعدا يراد حديث أبي بكر رضي الله عنه فضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فاليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من العلل والاسقام واليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان يستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعمة من الملائكة من أقوى المعاني في قوله عز وجل الامن أتى الله بقلب سليم أي سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعاني وبوجود عافية اليقين في القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال في قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضا من الكبر كما قال تعالى فيطعم الذي في قلبه مرض يعني الرضا (وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى الخير المعنى لا شرفه العافية مع الشكر) والصبر عند المصيبة (فكم من منعم عليه غير شاكر) وكم من مبتلى غير صابر نقله صاحب القوت وروى نحوه عن مطرف بن عبد الله انه كان يقول نظرت ما خيرا لا شرفه ولا آفة ولا كل شيء آفة فواجبته الا ان يعافى عبد فيشكر (وقال مطرف بن عبد الله) بن الخير البصري رحمه الله تعالى من ثقات التابعين تقدمت ترجمته (لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر) أي لان مقام العوافي أقرب الى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال أهل البلاء كذا في القوت وهذا القول رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة قال قال مطرف لان أعافى فذكره (و) معنى ذلك فيما (قال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب الى) كذا في القوت قال العراقي رواه ابن الجوزي في السيرة في دعائه يوم خرج الى الطائف بلفظ وعافيتك أو سألني وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلًا ورواه أبو عبد الله بن منده من

وكان يقول هو والانباء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شتماته الاعداء وغيرها وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية وروى الصدوق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين وأشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شرف فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب الى

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه الى

دليل واستشهاد وهذا لان

البلاء صار نعمة باعتبار من

أحدهما بالاضافة الى ما هو

أكثر منه اما في الدنيا أو في

الدين والاخر بالاضافة

الى ما يرجى من الثواب

فينبغي ان يسأل الله تمام

النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه

من البلاء ويسأله الثواب في

الآخرة على الشكر على

نعمته فانه قادر على ان يعطى

على الشكر مالا يعطيه على

الصبر فان قلت فقد قال

بعضهم أو أدان أن يكون

جسرا على النار يعبر على

الخلق كلهم فينجون

وأكون أنا في النار وقال

سمنون رحمه الله تعالى

وليس لي في سؤالك حظ

فكيف ما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء

فاعلم انه حكى عن سمنون

المحب رحمه الله انه بلى بعد

هذا البيت بعلة الحصر فكان

بعد ذلك يدور على أبواب

المكاتب ويقول للصبيان

ادعوا العمى الكذاب وأما

محبة الانسان ليكون هو في

النار دون سائر الخلق فغير

ممكّن ولكن قد تغلب المحبة

على القلب حتى يظن المحب

بنفسه حبالا مثل ذلك فمن

شرب كأس المحبة سكر

ومن سكر توسع في الكلام

ولوزايله سكره علم ان ما غلب

عليه كان حالة للاحقيقة لها

فاسمعه من هذا الفن فهو

حديث عبد الله بن جعفر مستند اوفيه من يجهل (وهذا أظهر من أن يحتاج الى) اقامة (دليل واستشهاد) وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبار من أحدهما بالاضافة الى ما هو أكثر منه اما في الدنيا أو في الدين (والاخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب) وقد يفتقران وقد يجتمعان (فينبغي ان يسأل الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على النعمة) وروى الطبراني من حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك النعمة وتماها فقال أتدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (فانه) تعالى (قادر على ان يعطى على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم أو أدان أن يكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار) فهل هذا القول صحيح أم لا (وقال سمنون) بن خزيمة البغدادي أبو الحسن وقيل أبو القاسم ويعرف بالمحب السري وأبأ أحد القلانسي ومحمد بن علي القصاب وأكثر كلامه في المحبة وكان كبير الشأن مات قبل الجنب كما قيل (رحمه الله تعالى)

(وليس لي في سؤالك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني)

ان كان برجوسا قلبي * لانت سؤالي ولا التمني

ومن هذا الوادي قوله أيضا

وكان فـ وادي خالي باقبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويرح

فلماذا قلبي هــ والـ أجا به * فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت بين من كان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وان كان شئ في البلاد بأسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يصلح

فان شئت واصلني وان شئت لاتصل * فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

(فهذا) وأمثال ذلك (من كلام هؤلاء) المحبين الهائمين (سؤال البلاء) وتعرض له (فاعلم انه حكى عن سمنون) قائل هذا الكلام (انه بلى بعد) انشاده (هذا البيت بعلة الحصر) أي احتباس البول من ساعته فكيف أرى بركة عشر يوما يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل يتقاب عينا وشمالا واعترف بالعجز من نفسه (فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب) التي فيها الصبيان يتعلمون القرآن (ويقول للصبيان) لكونهم لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعلم كتاب الله تعالى رجاء اجابة دعائهم (ادعوا العمى الكذاب) في دعواه نقله القشيري في الرسالة ثم قال وقيل بل أنشد هذه الايات فقال بعض أصحابه لبعض سمعت البارحة وكنت بالرساق صوت أستاذنا سمنون يدعوا لله ويتضرع اليه ويسأله الشفاء فقال آخر وأنا أيضا كنت سمعت هذا البارحة وكنت بالموضع الغلاني فقال ثالث ورابع مثل هذا فاخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الحصر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعوا لائق بشئ علم بان المقصود منه اظهار الجزع تاديا بالعبودية وستر الخاله فاخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا العمى الكذاب اه قال الشارح يقال انه لما أطلق قوله قال يارب تبث اليك وأنشد

أنا راض بطول صدك عني * ليس الا لأن ذلك هو اكا

فامتن بالخفا ضميري على الوذ * ودعني معلقا برجا كا

(وأما محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكّن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبالا مثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره) أي فارقه (علم ان ما غلب عليه كان حالة) عارضة (لاحقيقة لها فاناسمعه من هذا الفن فهو من كلام العشاق) في حال الاستغراق (الذين أفرط بهم حبهم) وأشربوا قلوبهم اياه (وكلام) العشاق المهيمن (يستلذ سماعه ولا يعول عليه) ولا يستشهد به على مقام (كما حكى ان فاختة) طائر معروف (كان يراودها زوجها)

من كلام العشاق الذين أفرط بهم حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكى ان فاختة كان يراودها زوجها

فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو أردت أن أقرب لك الكونين مع ملك سليمان ظهر البطن لفعلته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكي وهو كما قال وقال الشاعر أريد وصاله وريد هجرى فأتروك ما أريد لما يريد وهو أيضا محال ومعدا إلى أريد ما لا يريد (١٥٠) لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرد به بل لا يصدق هذا

الكلام الابتأويلين
السفاد (فتمنع) منه (فقال) لها (ما يمنعك عني) ولوأردت اقلب لك ملك سليمان ظهره البطن لفعلت لاجلك
أحدهما ان يكون ذلك في
بعض الاحوال حتى يكتسب
به رضاء الذي يتوصل به الى

(أريد وصاله ويريد هجرتي * فاترك ما أريد لما تريد)

(هو أيضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر الذي لم يرد) ولا يبعد انه

أراد أن لا تكون له ارادة بدون ارادة الله وان تكون ارادته تابعة لارادته وصلاً وأهمراً بما أوعدا

وفيه قال أنه لا يقدس به لما قبله ما توعد أن لا يدبر واعتد منه صاحب منازل السالكين فقال

وحيث كان أبو زيد قد سهر سهره فاقبل له ما تريد أو يدان لا أو يدك وأعرضه صاحب منار السبلاب فقال
هذه أصداء أدبه ونفثه بانحلال أدبه وطوبى له وانحلال أدبه فبقا له لأرأيت يا أبا زيد والحق أنه منار كل النصارى
المحبوب والوسيلة إلى

المحمول محسوبه قشكون

(بل لا يصدق في هذا الكلام الإبتناء و يبين أحدهما أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضا

الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال الى

المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبه فيكون مثاله مثال محب المال اذا اُسلم درهمان في درهمين فهو محب

يجب الدرهمين يترك الدرهم الدرهمين يترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوباً من حيث انه رضاه فقط وتكون له لذة

في الحال * الشافي ان يصبر

رضاء عنده مطلوب وامن حيث

ما فيه الرضا فذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صاروا لهم في استغفارهم رضائهم تعالى عنهم انه رضاه فقط وبكنه الله

أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لاء اذا قدر وارضاه في البلاء صار البلاء أحب اليهم

من العافية وهذه حالة لا يعود وقوعها في غلبات الحب) وجذبات الشوق (ولكنها لا تثبت) بل تزل

وتتقبل وهكذا شأن الأحوال (وان ثبتت فلا فهي حالة صحيحة) مستقلة (أم حالة اقتضت حالة أخرى وردت

غُلِّ الْقَلْبُ فِي التَّوْبَةِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ هَذَا فِيهِ نَظَرٌ (وَمَا تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِقْلَامِ وَالْإِنْفَادِ وَاسْتِثْنَاءِ

على القلب فطالب به عن الأعداء هدفية نظر) وحمل نامل والذي يظهر أن الحق القول الثاني وأما الثاني

عن حاله اخرى ودعى الى القلب (ود كر حقيقه) بالتفصيل (لا يليق بما نحن فيه) لانه من علوم المكاشفه

(وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فسال الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا

وَالْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ) * (بَيَانُ الْاَفْضَلِ مِنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ) *

صارت لهم في البلاء مع (اعلم) وفقك الله تعالى (ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر) وهم الاكثرون

استشعارهم رضا الله عنهم

أكثر من لذتهم في العافية

من غير شعور الرضا فهو لاء

في الدرجة والمقام (لافضلية لاحدهما على الآخر) اذ كل منهما مقام وليس يمكن الترتيب بين مقامين

لان في كل مقام طبقات متفاوتة وهذا مذهب القدماء من العلماء اذ مثل بعضهم عن عبد بن ابي ابيهما

فصبروا نعم على الاحرف شكر فقال كلاهما سوء لان الله تعالى اثنى على عبد من احدهما صابر والآخر

العافية فهو - هذه حاله لا يبعد
شاكر نشاء واحسد فقال في وصف أبوس علمه الب - الام نعم العبد انه أواب وقال في وصف سليمان عليه

وفسوعها في غلبان الجلب

وَلَكِنَّهَا لَا تَنْبِتُ وَأَنْ ثَبِتَتْ

الأحوال) وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون أنه لا يجتمع عبدان في مقام بالسواء لا بد أن يكون
مثلا فيها هي حالة محجة أم

أحدهما يعمل أو علم أو وجد أو مشاهدة لتفاوت أوجه بمشاهدات وإن كان الصواب والقصد واحدًا وقال

حاله اوده - مهنا حاله حری

وردت على القلب فالتفت به عن الاعتدال هداية نظروا كرحمة لا يلق بها نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية

خير من البلاء فتسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ولنا جميع المسلمين * (بيان)

الافضل من الصبر والشكر) * اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وقال

آخرون هماسمان وقال آخرون بخلاف ذلك باختلاف الاحوال

وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّكَ فَقُلِ إِنَّمَا هِيَ إِتْرَافَةٌ لِّكَ وَلِأُمَّتِكَ فَنَعَمٌ غَافِرٌ زَاهِقٌ

واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلامعنى للتطوير بل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان * (المقام الاول) * البيان على سبيل التسهيل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتحقيق بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من (101) الكلام الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ

اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظواهر المشقة لا ينبغى ان تصلح الصبي الطافل بالطيور السمائم وضروب الخلاوات بل باللبين اللطيف وعلمايان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذى هو عليه في بنيتة فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله (فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل) اما من الكتاب فكقوله تعالى **أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** بما صبروا فالشكر يؤتى أجره مرة فاشبه مقام الصبر بمقام الخوف واشبه مقام الشكر بمقام الرجاء وقد قال تعالى **وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى تَفْضِيلِ الْخَوْفِ عَلَى الرَّجَاءِ** من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الشاكر من قر به ومن السنة (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعز الصبر) ومن أوفى خصلة منه ما في بيان ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه في محبت الصبر فقر بباليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارترافاع الاعمال وعلاوا العلوم به (وفي الخبر يؤتى بالشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له امانرضى ان تجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكره وابتليتك فصبرت لضعفك لاجل) عليه (فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وقد) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر وهو ان الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس اشق (قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والشاكر يؤتى أجره بحساب لانه انما هو تحقيق الوصف ونفى ما عداه وقد رفع على رضى الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال في حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب الاعمى والصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق والزهد والتقريب فن اشفق من النار رجوع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه ويحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه (وأما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من علو درجته الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

الله تعالى ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا قيل اقصدوا أقرب طريقا (واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطوير بالنقل بل بالمبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل التسهيل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتحقيق بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من (101) الكلام الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ (هو الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ) وفي عظمهم (اذ) هم حكام العامة و مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم (بجسب حالهم) (والظواهر المشقة) وهي بالكسر وسكون الهمزة المرأة تحضن ولد غيرها (لا ينبغى ان تصلح الصبي الطافل) الرضيع (بالطيور السمائم وضروب الخلاوات) فانها تضرر بعمده (بل باللبين اللطيف وعلمايان تؤخر عنه اطايب الاطعمة) ولذا ائذ الاغذية (الى ان يصير محتتملا لها بقوته) التى تنمو فيه على التدريج (ويفارق الضعف الذى هو عليه في بنيتة فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع) من الكتاب والسنة (وذلك يقتضى تفضيل الصبر) على الشكر (فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله) مما تقدم بعضها (فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل) اما من الكتاب فكقوله تعالى **أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ** بما صبروا فالشكر يؤتى أجره مرة فاشبه مقام الصبر بمقام الخوف واشبه مقام الشكر بمقام الرجاء وقد قال تعالى **وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى تَفْضِيلِ الْخَوْفِ عَلَى الرَّجَاءِ** من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الشاكر من قر به ومن السنة (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعز الصبر) ومن أوفى خصلة منه ما في بيان ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه في محبت الصبر فقر بباليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارترافاع الاعمال وعلاوا العلوم به (وفي الخبر يؤتى بالشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له امانرضى ان تجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكره وابتليتك فصبرت لضعفك لاجل) عليه (فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وقد) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر وهو ان الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس اشق (قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والشاكر يؤتى أجره بحساب لانه انما هو تحقيق الوصف ونفى ما عداه وقد رفع على رضى الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال في حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب الاعمى والصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق والزهد والتقريب فن اشفق من النار رجوع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه ويحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه (وأما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من علو درجته الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من الشرع علو درجته الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل قال العراقي رواه
الحري بن أبي اسامة في مسنده بالشرط الاول من حديث أبي موسى بسند ضعيف والطبراني بالشرط الثاني
من حديثه بسند ضعيف أيضا امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من
الطاعة قال طاعة أزواجه وفي رواية ما جزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث اه قلت وروى
الشرط الاول أيضا ابن زنجويه في تزيينه والقضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر وفي لفظ للآخرين
الفقراء بدل المساكين وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس جهاد المرأة حسن التبعل لزوجهما
وجهاد الضعفاء الحج (وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) قال العراقي رواه ابن ماجه من
حديث أبي هريرة بلفظ مدم من الخمر ورواه بلفظ شارب الخمر الحري بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمرو
وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي ان حديث أبي هريرة اخطأ فيه محمد بن سليمان بن الاصماني اه قلت
ورواه بلفظ المصنف البزار من حديث عبد الله بن عمرو وفي سنده قطر بن خليفة صدوق وثقه أحمد وابن
معين ورواه بلفظ مدم من الخمر في تاريخه وابن حبان من حديث أبي هريرة ومن رواية محمد بن عبد الله
عن أبيه (وأبدا المشبه به أعلى رتبة) من المشبه والا لما حسن وجه التشبيه (فكذلك قوله) صلى الله عليه
وسلم (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي من حديث ابن مسعود وقد تقدم (لا يدل على
ان الشكر مثله وهو كقوله) صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث
أبي هريرة وقد تقدم (فان كل ما ينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفًا وان كان بينهما تفاوت) في الدرجات
(كما يقال الايمان هو العلم والعمل) وروى ابن النجار من حديث عبد الله بن أبي أوفى الايمان قول وعمل
وروى ابن ماجه والطبراني وهمام والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي الايمان عقد بالقلب
وقول بالايمان وعمل بالاركان (فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم) وقد اتفق
أهل المعرفة على ان العلم أفضل من العمل ثم أشار المصنف الى نوع آخر من الاستدلال على تفضيل الصبر بحال
سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وفي أثناء ذلك الاشعار بالرد على من يقول
انهما سيان وبيان ذلك انه قد تقدم قول من قال ان الصبر والشكر سيان لا ترجح لاحدهما على الآخر
وانه استدلل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أنثى عليهما بشاة واحدة وفي هذا غفلة عن لطائف
الافهام وذهاب عن حقيقة نذر الكلام اذ بين ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على
ثنائه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى وشرك سليمان عليه السلام بعد ذلك في وصفين آخرين
وأفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه واذا كرهه كلمة مباهاة
باهي بأيوب عليه السلام عند رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه وفضله بقوله تعالى واذا كره
يا محمد فامر به ذلك والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد
والبلاء منهم أيوب عليه السلام فرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناسير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم
واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم كقوله تعالى واذا كره في الكتاب ابراهيم وكقوله
واذا كره عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل
البصائر واليقين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله ساقية صلى الله عليه وسلم ثم ذكره اياه
وذكره ثم قال عبادنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لامتياز يعرف فيقول
عبادنا فالحق بنظر انهم من أهل البلاء واذا كره عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل البلاء
الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فاضاف أيوب اليهم في حسن الثناء وفي لفظ
التذكير به في الثناء ثم قال نادى ربه فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة فظهر له بوصف الرجعة فاستراح اليه فناداه

في الشكر وهو كقوله
صلى الله عليه وسلم
الجمعة حج المساكين وجهاد
المرأة حسن التبعل
وكقوله صلى الله عليه وسلم
شارب الخمر كعابد الوثن
وأبدا المشبه به ينبغي أن
يكون أعلى رتبة فكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم
الصبر نصف الايمان لا يدل
على ان الشكر مثله وهو
كقوله عليه السلام الصوم
نصف الصبر فان كل ما ينقسم
قسمين يسمى أحدهما
نصفًا وان كان بينهما
تفاوت كما يقال الايمان هو
العلم والعمل فالعمل هو
نصف الايمان فلا يدل ذلك
على ان العمل يساوي العلم

فشكك اليه واستغاث به فأشبهه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام في قولهما أتيت اليك وفي قول
 الآخر لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهدة فنظر الواجبه ثم وصفه بالاستجابة
 له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سبباً لتنفيذ قدرته ومكانا لمجاري حكمته ومقتضا لفتح اجابته
 ثم قال بعد ذلك كله وهبنا له أهله فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف اذ كان بين من وهب لاهله
 وبين من وهب له أهله فضل في المدح لانه قال في وصف سليمان وهبنا لداود سليمان فاشبهه فضل أيوب
 في ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون عليهم السلام لانه قال في فضل موسى عليه السلام وتفضيله
 على هرون عليه السلام وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال في مدح داود وهبنا لداود سليمان
 فهو بـموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبهه مقام أيوب في المباهاة والتذكيرة به مقام داود عليه السلام
 لانه قال أيضا في وصفه لنبية صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذا كرعبنا داود وكذلك قال في نعت
 أيوب واذا كرعبنا أيوب فقد شبه أيوب بـداود وموسى عليهما السلام في المعنى ورفع الله في المقام وهما
 في نفوسنا فضل من سليمان عليه السلام فاشبهه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام
 وعلم الله المقدم ولكن هذا ألقى في قلوبنا والله أعلم ثم قال بعد ذلك رجة مناذ كرفسه ووصفه عند عبده
 تشرى بظاله وتعتظيما ثم قال وذكري لاولي الابواب فجعله اماما للعقلاء وقدة لاهل الصبر والبلاء وتذكيرة
 وسلوقة من المكر وبـللاصفياء ثم قال عز وجل انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه ذكرا ثانيا للعبدة ووصل
 اسمه باسمه سبحانه وقربا منه لان النون والالف في وجدناه اسمه تعالى والهاء اسم عبده أيوب ثم قال صابرا
 فوصفه بالصبر فظهر مكانه في القوة ثم قال في آخر أوصافه نعم العبد انه أواب فهذا أول وصف سليمان
 وآخره ههنا شركه في الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء وذلك من قوله تعالى
 واذا كرعبنا أيوب الى قوله اواب وجعل في أول وصف سليمان بانه وهبه لابيه داود فصار حسنة من
 حسنات داود وأشمل قوله نعم العبد انه أواب على أول وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليهم السلام
 أجمعين (و) قد جاء (في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه قال (آخر الانبياء دخول الجنة سليمان
 ابن داود) عليهما السلام (لمكان ملكه وأصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه)
 هكذا أورد صاحب القوت ويعني الشطر الاول حديث معاذ الآتي ذكره بعد بحديث وروى البرار من
 حديث أنس آخر من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله
 العراقي (وفي خبر آخر) ولفظ القوت وفي لفظ آخر (يدخل سليمان بن داود الجنة) (بعد الانبياء
 باربعين خريفا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار
 الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكرو وروى الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل
 يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما وقال لم يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة
 (وفي الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان الابواب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء امامهم
 أيوب عليه السلام) هكذا أورد صاحب القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا ولا في الاحاديث الواردة في
 مصارع أبواب الجنة مفرقة ثم قال صاحب القوت وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بموم هذه
 الامارة لانه سيد أهل البلاء وتذكيرة وعبرة لاولي النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ثم أشار المصنف
 الى تفصيل آخر في تفصيل الصبر فقال (وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال
 الفقر والشكر حال الغنى) فن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر وليس هذا
 مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقتوا النفوسهم بذلك وطرقتوا للخلق الى نفوسهم
 من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفي
 هذا تفصيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء

وفي الخبر عن النبي صلى
 الله عليه وسلم آخر الانبياء
 دخولا الجنة سليمان بن
 داود عليهما السلام لمكان
 ملكه وأصحابي دخولا
 الجنة عبد الرحمن بن عوف
 لمكان غناه وفي خبر آخر
 يدخل سليمان بن داود الجنة
 باربعين خريفا وفي الخبر
 أبواب الجنة كلها مصراعان
 الابواب الصبر فانه مصراع
 واحد وأول من يدخله أهل
 البلاء امامهم أيوب عليه
 السلام وكل ما ورد في
 فضائل الفقر يدل على
 فضيلة الصبر لان الصبر حال
 الفقر والشكر حال الغنى

فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم - والتعريف لما فيه صلاح دينهم * (المقام الثاني) * وهو البيان الذي نعتد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمرين مهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الإيهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن الموازنة بين الجلة والجللة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الربحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الربحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال (١٥٤) وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض

منها البعض لاح للنظرين في الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الافضل وأما رباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لاحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة فتأثيرها اصلاح العمل واتخاذها العلم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه بما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر

الآخرة (فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم - والتعريف لما فيه صلاح دينهم) اذ ليس فيه صرف عن ظواهر الكتاب والسنة (المقام الثاني) وهو البيان الذي نعتد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح) والتبيين والافصاح (فنقول فيه كل أمرين مهمين) أي غير معلومى الحقائق (لا يمكن الموازنة بينهما مع وجود الإيهام) فيها (مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما) فيرتفع الإيهام (وكل مكشوف) معلوم بحقيقته (يشتمل على أقسام) متنوعة (لا يمكن الموازنة بين الجلة والجللة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الربحان) وبه يتوصل الى الموازنة بين الجلة والجللة (والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة) كما تقدم ذكرها (فلا يتبين حكمهما في الربحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا) في كتاب التوبة (ان هذه المقامات) التسعة من مقامات اليقين (تنظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال) فالعلوم هي الاصول والاحوال ما تنشأ عنها من الواجيد والاعمال ما تنشأ عنها الواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (والشكر والصبر وسائر المقامات) مما ذكر ومما سيذكر (هي كذلك) لا بد في انتظامها الى الأمور المذكورة (وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها البعض لاح للنظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الأفضل) فهذا نظر أرباب الظواهر (وأما رباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال) عندهم (انما تراد للاحوال والاحوال) انما تراد للعلوم (فالأفضل العلوم) وهي المعارف في كل مقام (ثم الاحوال) الناشئة عن مواجيد تلك المعارف (ثم الاعمال) على هذا الترتيب (لان كل مراد لغيره فذلك الغير لاحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال وآحاد المعارف) أي اذا أضيف بعضها الى بعض (وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع) رتبة (من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة) نفسها (فانها) أي تلك العلوم (تراد للمعاملة فتأثيرها اصلاح العمل واتخاذها العلم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه بما يعم نفعه) على الشكل (فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر) وأذا عرفت ذلك (فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى) وعظمته (في ذاته وصفاته وأفعاله) فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه (في ذاته وصفاته وأفعاله) (وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها) وهي القرب من جوار الله تعالى (بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة) فهي المعرفة بالحقائق (فهو المعرفة بالحقائق التي لا يقيد عليها فلا تنقيد بغيرها) وجعلها حرة نظرا الى انفسكا كها عن ربة التقيد بالغير (وكل ما عداها من المعارف) بمنزلة (عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها تراد لاجلها) لالذاتها (ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب كنفها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله

تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة بالحقائق التي لا يقيد عليها فلا تنقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

اما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفته تعالى أقل فهي أفضل وأما الاحوال فنعني بها احوال القلب في
تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا ظهر وصفاً تضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح
القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكان تصغير المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها أقرب الى
الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لاحتالة بسبب القرب من المقصود
وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل (١٥٥) عمل اما ان يجلب اليه حالة مانعة

من المكاشفة وموجبة لظلمة
القلب جاذبة الى زخارف
الدنيا واما ان يجلب اليه
حالة مهينة للمكاشفة وموجبة
لصفاء القلب وقطع علائق
الدنيا عنه واسم الاول
المعصية واسم الثاني الطاعة
والمعاصي من حيث التأثير
في ظلمة القلب وقساوته
مفتاوتة وكذا الطاعات في
تنوير القلب وتصفيته
فدرجاتها بحسب درجات
تأثيرها وذلك يختلف
باختلاف الاحوال وذلك
اما بالقول المطلق وبما نقول
الصلاة النافذة أفضل من
كل عبادة نافذة وان الحج
أفضل من الصدقة وان قيام
الليل أفضل من غيره ولكن
التحقيق فيه ان الغنى الذي
معه مال وقد غلبه البخل
وجب المال على امساكه
فاخراج درهمه له أفضل من
قيام ليل وصيام أيام لان
الصيام يليق بمن غلبته
شهوة البطن فاراد كسرها
أو منعه الشبع عن صفاء

اما بواسطة واحدة (أو بوسائط كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي
أفضل) فهذه معرفة الموازنة في العلوم والمعارف (وأما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيه
وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا ظهر وصفاً) عنها (اتضح له حقيقة الحق) وهذا انما
ينشأ من مواجيد المعارف (فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده)
أي نهيشته (لان تحصل له علوم المكاشفة) التي هي المرادة لذاتها (وكان تصغير المرآة) عن الكدورات
(يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها أقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال
القلب فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لاحتالة بسبب القرب من المقصود) فهذا معرفة
الموازنة في الاحوال (وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب) وطهارته من الادناس
(وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة وموجبة لظلمة القلب جاذبة الى
زخارف الدنيا) وبمجانها (واما ان يجلب اليه) حالة مهينة للمكاشفة وموجبة لصفاء القلب وقطع
علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي (من حيث التأثير في ظلمة
القلب وقساوته مفتاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها
وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق وبما نقول الصلاة النافذة أفضل من كل عبادة
نافذة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره) وهو على اطلاقه صحيح (ولكن التحقيق
فيه ان الغنى الذي معه مال كبير وقد غلبه البخل وجب المال على امساكه فاخراج درهمه له أفضل من قيام
ليال وصيام أيام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها) بريضة الصوم (أو منعه الشبع
عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع) لينفض له باب المعرفة في الله تعالى (فاما
هذا المدبر ان لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشغول بنوع فكير يمنعه الشبع
منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالريض الذي يشكو وجع البطن لذا استعمل
دواء الصداغ لم ينتفع به) لاختلاف العلتين (بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه) وغلب طبعه
(والشبع المطاع) وهو الذي يكون هو مغلوباً له وذلك كما عليه بمنزلة الامير المطاع فيعمل بموجب أوامره
ولا يطيع باحث الدين أبداً وهو (من جملة المهلكات) كما ورد ذلك في الخبر ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
الحدث وقد تقدم في كتاب ذم البخل (ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة) منه لانفكاك
الجهتين (بل لا يزيله الاخراج المال) عن ملكه (فعليه ان يتصدق بتمامه) هذا هو الافضل في حقه
(وتفصيل هذا انما ذكرناه في ربيع المهلكات فليرجع اليه) فانه مهم (فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف
وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب
حق الا ان الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعهما فليُنظر الى الاغلب فان كان العطش

الفكر من علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذ لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو
مشغول بنوع فكير يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل
دواء الصداغ لم ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشبع المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة
منه ذرة بل لا يزيله الاخراج المال فعليه ان يتصدق بتمامه وتفصيل هذا انما ذكرناه في ربيع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال
يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجائع
أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعهما فليُنظر الى الاغلب فان كان العطش

هو الاغاب فالماء افضل وان كان الجوع أغلب فالخبز افضل فان تساوى فافهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجين أفضل أم شراب اللينوفر لم يصح الجواب عنه مما قلنا أصلاً نعم لو قيل لنا السكنجين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجين مرادله وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وينتهي القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لعرفته الله تعالى ووجهه فالأفضل المعروف دونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حدث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله (١٥٦) من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل

والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا أتني على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً فهو كبرص على وجهه من لامة مع فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستخفه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك وبما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى في ذهنه (محفوظاً لقال انه محفوظ ولا حاجة الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن فقط) وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم قدرا (وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد راعاه دون تكليفه) بان يكاف به غيره (واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ عيلاً هذا الخيال طائفة ممن خفت عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

(هو الاغاب فالماء أفضل فان تساوى فافهما متساويان) لافضلية لاحدهما على الآخر (وكذا اذا قيل السكنجين أفضل أم شراب اللينوفر) وفي نسخة اللينوفر وهو نبات يخرج في البرك والانهار عند زيادة الماء وله زهر اسماجوني والشراب المتخذ منه مبرد مرطب نافع للسعال والشوصصة وذات الجنب مقل للقلب مسكن للعطش مزيل للسهل السكائن من الحرارة ملين للطبيعة نافع من الصداع وهو مع حلوانية لا يستعمل صفراء بخلاف سائر الاشربة الحلوة (لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً نعم لو قيل لنا السكنجين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء) أفضل (لان السكنجين مرادله وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وينتهي القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لعرفته الله تعالى ووجهه فالأفضل المعروف دونها الحال ودونها العمل) على هذا الترتيب (فان قلت فقد حدث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) وقال تعالى (ويأخذ الصدقات) وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة (فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا أتني على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً) فخافته عنا (فهو كبرص على وجهه من لامة مع فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستخفه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك وبما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى في ذهنه (محفوظاً لقال انه محفوظ ولا حاجة الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن فقط) وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم قدرا (وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد راعاه دون تكليفه) بان يكاف به غيره (واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ عيلاً هذا الخيال طائفة ممن خفت عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد زع عليه دون تكليفه به واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ عيلاً هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

من ذا الذي يرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لا طعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار
 واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمهم وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
 كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به
 كثيرا فهو لا علم لمنظروا أنهم استخدموا لاجل المساكين والفقراء أولا جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا
 سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كهلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل (١٥٧) العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات

صفة العلم في نفسه وتنا كده
 في قلبه حتى يكون ذلك سبب
 سعادته في الدنيا وانما كان
 ذلك من الوالد تطفاه في
 استجراؤه الى ما فيه سعادته
 فهذا المثال يبين لك ضلال
 من ضل من هذا الطريق
 فاذا المسكين لاخذ المال
 يستوفي بواسطة المال
 خبث الخيل وحب الدنيا
 من باطنك فانه مهلك فهو
 كالجمام يستخرج الدم منك
 ليخرج بخروج الدم العلة
 المهلكة من باطنك فالجمام
 خادم لك لا أنت خادم للجمام
 ولا يخرج الجمام عن كونه
 خادما بان يكون له غرض في
 أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت
 الصدقات مطهرة للبواطن
 ومزكية لها عن خبائث
 الصفات امتنع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من
 أخذها وانتهى عنها كما
 نهى عن كسب الجمام
 وسماها أوساخ أموال
 الناس وشرف أهل بيته
 بالصيانة عنها والمقصود
 ان الاعمال مؤثرات في
 القلب كما سبق في ربيع

من ذا الذي يرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين أطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا
 اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمهم
 أنطعم من لو يشاء الله أطعمهم ان أنتم الا في ضلال مبين (وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
 كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به
 كثيرا ويهدي به كثيرا) يعني القرآن (فهو لا علم لمنظروا أنهم استخدموا لاجل
 المساكين والفقراء أولا جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو
 أمسكنا هلكوا كهلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود
 ثبات صفة العلم في نفسه وتنا كده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد
 تطفاه في استجراؤه الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق) واستولى الشيطان
 على عقله (فاذا المسكين لاخذ المال يستوفي بواسطة المال خبث الخيل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك
 لك فهو كالجمام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك) الحاصلة من تبسيع الدم
 (فالجمام خادم لك لا أنت خادم للجمام ولا يخرج الجمام عن كونه خادما) لك (بان يكون له غرض في ان
 يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات) لقوله تعالى خذ من
 أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها الآية (امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها
 كما نهى عن كسب الجمام) رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وسماها) أى الصدقات
 (أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها) قال العراقي رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة ان
 هذه الصدقة لا تحل لنا انما هي أوساخ الناس وانما التحل لمحمد ولآل محمد وفي رواية له أوساخ الناس اه
 قلت ورواه ابوداود والنسائي بلفظ ان هذه الصدقات انما هي أوساخ الناس وانما التحل لمحمد ولآل محمد
 (والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربيع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول
 الهداية ونور المعرفة فهذه احوال القول الكلي والقانون الاصل الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل
 الاعمال والاحوال والمعارف فلترجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل
 واحد منهما معرفة وحال وعمل) اذ تقدم ان المقامات لا تنظم الا بهؤلاء الثلاثة (فلا يجوز ان تقابل المعرفة في
 أحدهما بالحال والعمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر
 الفضل) والترجيح (ومهما قو بلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر بمار جمعا الى معرفة واحدة اذ معرفة
 الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلامن الله تعالى) فيشكر (ومعرفة الصابر ان يرى العي من الله) فيصبر
 (وهما معرفتان متلازمان متساويتان هذا ان اعتبرته في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون عن
 الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة) هو عين شكر الطاعة (لان الشكر

المهلكات والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذه احوال القول الكلي والقانون الاصل الذي ينبغي ان يرجع اليه في
 معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف ولترجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال
 وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب
 يظهر الفضل ومهما قو بلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر بمار جمعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلامن الله
 تعالى ومعرفة الصابر ان يرى العي من الله (وهما معرفتان متلازمان متساويتان هذا ان اعتبرته في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون
 على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة) هو عين شكر الطاعة (لان الشكر

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصبر عه باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهم اعتبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجازى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة ما ان تقع ضرورة كالعينين مثلا وما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر (١٥٨) الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العي في بعض المعاصي وشكر

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو مقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى) ومقاومته (فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصبر عه باعث الشهوة) اي يقهر ويكسر (فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهم اعتبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه) وهذا فيه نايذ لقول من ذهب الى انهما سميان ومما يدل عليه انهم قالوا ان متعلقات كل من الصبر والشكر والرضا والمحبة متعددة لا اختلاف فيها واذا التحدث أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا باسبابها وأحوالها التي هي حوادث عن الاعمال (فاذا مجازى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية أما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة ما ان تكون تقع ضرورة كالعينين مثلا وما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما ان لا يظهر الشكوى ويصبر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العي في معنى المعاصي) وفي نسخة بعض المعاصي (وشكر البصير عليهما من حيث العمل باصيرين أحدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يتخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكر النعمة العينية وان اتبع النظر كفر نعمة العينية فقد دخل الصبر في شكره وكذا اذا استعان بالعينية على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام قد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام لانه) أي شعبيا (صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكن الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كما هو يترك كالحجم على وضيم) أي اللوح من الحشيش الذي كان يوضع عليه لحم الجوزور ويقسم (وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آله في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي فيه آله من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة شديدة (وهو جهاد الفقراء) أي بمنزلة الجهاد لهم (ووجود الزيادة نعم وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا) والحاصل ان الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر عن ان يعصى الله بنعمته فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله فقد شكر نعمته (وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

البصير عليهما من حيث العمل باصيرين أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يتخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكر النعمة العينية وان اتبع النظر كفر نعمة العينية فقد دخل الصبر في شكره وكذا اذا استعان بالعينية على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام قد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكن الكمال في أن يسلب الانسان الاطراف كما هو يترك كالحجم على وضيم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آله في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي فيه آله من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة شديدة (وهو جهاد الفقراء) أي بمنزلة الجهاد لهم (ووجود الزيادة نعم وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال لم يصبر مثلاً ولا كان الكمال في أن يسلب الانسان الاطراف كما هو يترك كالحجم على وضيم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آله في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آله فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعم وشكرها ان تصرف الى الخيرات أو ان لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال ألم في صرفه الى الفقر اعترك صرفه الى التمتع المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين أفضل من شيء واحد وان الجمله أعلى رتبة من بعض والبعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجمله وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التمتع المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقر الصابر أفضل من الغنى المسلم ماله الصارف اياه الى المباحات لان الغنى الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضاء على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لاجمالة قوة والغنى اتبع نعمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا لان القوة التي عنها يصبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التمتع على المباح والشرف لثلاث القوة التي يدل العمل عليها (١٥٩) فان الاعمال لا تتراد الاحوال القلوب

وتلك القوة حالة للقلب تختلف

بحسب قوة اليقين والايمان فبادل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاجمالة وجيع ماورد من تفضيل أحر الصبر على أحر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى هو والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم كذا في النسخ ولفظ القوت وقد سئل الجنيد عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم (وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن منع صفته ونعمها) هذا نقل كلام الجنيد (والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم وكان كبير الشأن وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة (قد خالفه في ذلك) أي فيما ذهب اليه من تفضيل الصابر على الشاكر (وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد) فيما يقال (فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة وقيل ان يحيى بن معاذ الرازي

احتمال ألم في صرفه الى الفقر اعترك صرفه الى التمتع المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين أفضل من شيء واحد وان الجمله أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجمله وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التمتع المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقر الصابر أفضل من الغنى المسلم ماله الصارف اياه الى المباحات لان الغنى الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضاء على بلاء أمر الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لاجمالة قوة والغنى اتبع نعمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام) أي سعة عنه (ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا لان القوة التي يصدر عنها الصبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التمتع على المباح والشرف لثلاث القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تتراد الاحوال القلوب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فبادل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاجمالة وجيع ماورد من تفضيل أحر الصبر على أحر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى هو والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم كذا في النسخ ولفظ القوت وقد سئل الجنيد عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم (وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن منع صفته ونعمها) هذا نقل كلام الجنيد (والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم وكان كبير الشأن وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة (قد خالفه في ذلك) أي فيما ذهب اليه من تفضيل الصابر على الشاكر (وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد) فيما يقال (فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة وقيل ان يحيى بن معاذ الرازي

ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن منع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر

تسلك ببلغ في تفضيل الغنى على الفقير وأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور ووقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه (ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجه في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق) تقريره (ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر) قال صاحب القوت فاما تفضيل التفضل فعلى ثلاثة أوجه أحدها أن المقامات أعلى من الأحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لأنه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيد الشاكر في مقامه * الوجه الثاني من التفضيل المقربون أعلى مقاماً من أصحاب البين فالصابرون من المقرين أفضل من الشاكرين من أصحاب البين والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب البين * فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقرين فليهما أفضل عندك فقد قلنا أن اثنين لا يتفقا في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعنى لطائف الاطعمة بمثل ما انفردت الوجوه بالطيفة الصفة مع تشابه الصفات واشتباة الادوات وأفضلهما حينئذ اعرفهما لانه أحبهما إليه تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقيناً لأن اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل * نقول إن الصبر عما يوجب الشكر أفضل وأن الشكر على ما يوجب الصبر أفضل وهذا يختلف باختلاف الأحوال تنسيره أن الصبر عن حظ النفس وعن التمتع والترفة أفضل أن كان عبد حاله النعمة فالصبر عن النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لأن فيه الزهد المجمع على تفضيله ونقول إن الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل أن كان عبد حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له في المعرفة فهو حينئذ أفضل لأن فيه الرضا المنفق على فضله وقال في موضع آخر من كتابه ومن الناس من يقول إن الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند أهل التحصيل من قبل أن الشكر مقام لجملة من الموقنين والترجيب بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدات لأن بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته ولكن تفصيل ذلك من طريق الأحوال والمقامات أنا نقول والله أعلم أن الصبر عن النعيم أفضل لأن فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وأن الشكر على المكاره أفضل لأن فيه البلاء والرضا وأن الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل أنه أشق على النفس وأن الصبر مع حال الغنى والمقدرة أن يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل أن الصبر عن المعاصي بالنعم أفضل من الطاعة إن جاهد نفسه فيها فإذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لأنهم شاهدة المقرين وإذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لأنهم حال الزاهدين وفي الخبر نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يعني الأقرب شهابنا فالقرب فرفع أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه فمن كان به صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الأفضل فقد كان صلى الله عليه وسلم شاكر على شدة بلاءه وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء أذهو الأمثل والأقرب إلى وصف الانبياء وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج إلى صبر وإلى شكر وأحد من الأئمة الأربعة سخر من الصبر يحتاج إلى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج إلى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور اه كلام صاحب القوت وربما أفرط بعض الصوفية وقال الفقير الشاكر أفضل من الغني الشاكر (و) أما قولهم الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فإن ذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاده خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسخ حتى يصرف اليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطالب جاه وصيت ولا لتقليد مئة بل أداء لحق الله

ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجه في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاده خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسخ حتى يصرف اليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطالب جاه وصيت ولا لتقليد مئة بل أداء لحق الله

أفضل من الفقير الصابر
فان قلت فهذا لا يشغل على
النفس والفقير يشغل عليه
الفقر لان هذا يستشعر
لذة القدرة وذلك يستشعر
ألم الصبر فان كان متألماً
بفراق المال فيجب بذلك
بلذته في القدرة على الانفاق
فاعلم ان الذي زاهد من
ينفق ماله عن رغبة وطيب
نفسه أكمل حالاً من ينفق
وهو يجبل به وانما يقطعاه
عن نفسه فقراً وقد ذكرنا
تفصيل هذا فيما سبق من
كتاب التوبة فايلا من النفس
ليس مطلوباً بالعينه بل
لتأديبها وذلك يضاهي
ضرب كلب الصيد والكب
المتأدب أكمل من الكب
الاحتياج الى الضرب وان كان
صابراً على الضرب ولذلك
يحتاج الى الايلاام والمجاهدة
في البداية ولا يحتاج اليهما
في النهاية بل النهاية ان
يصير ما كان مؤلماً في حقه
لذيذا عند كيا صبر التعلم
عند الصبي العاقل لذيذا
وقد كان مؤلماً أولاً ولكن
لما كانت الناس كلهم الا
الافلين في البداية بل قبل
البداية بكثير كالصبيان
أطلق الخبيث القول بان
الذي يؤلم صفته أفضل وهو
كما قال صحيح فيما أوراده من
عموم الخلق فاذا اذا كنت
لاتفصل الجواب وتطلقه
لارادة الاكثر فاطلق القول

تعالى في تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر) بهذا الاعتبار (فان قلت فهذا) الذي ذكرته (لا يشغل
على النفس والفقير يشغل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة) والملك (وذلك يستشعر ألم الصبر)
على العدم (فان كان متألماً بفراق المال فيجب بذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي زاهد
من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً من ينفق وهو يجبل به وانما يقطعاه عن نفسه فقراً
وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة) فليراجع هناك (فايلا من النفس ليس مطلوباً بالعينه
بل لتأديبها) أي لتأدب (وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكب المتأدب أكمل من انكسب المحتاج
الى الضرب وان كان صابراً على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلاام والمجاهدة في البداية) أي في ابتداء
السلوك (ولا يحتاج اليهما في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذا عنده) وهو مقام الرضا
ونشأ عن المحبة (كيا صبر التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلماً أولاً ولكن لما كان الناس
كلهم الا الافلين في) درجة (البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان) في نقصهم (أطلق الخبيث)
الله تعالى (القول بان الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أوراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت
لاتفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر أفضل من الشكر لانه صحيح بالمعنى السابق
الى الان فهم) واليه ذهب أكثر الصوفية قدموا وحديثاً ورأيت الكمال أبا بكر محمد بن اسحق الصوفي قد
جفع في كتابه مقاصد المنجيات الى تفضيل الشكر على الصبر وترجيحه عليه وكلامه فيه غريب فاجبت
ان أورده بنصه ولا أترك منه شيئاً التمام الفائدة اذ هو من وادى كالم المصنف فقال الفرع الثاني في فضل
الشكر على الصبر اختلف العلماء في ذلك بين المريج لاحدهما والمؤي له - حاولنا ان الصبر مقام محمود
تعرف فضيلته بالشرع والتجربة ولكن قد تقرر ان المقامات منازل ولها ترتيب في السلوك كالشرط
والمشروط والوسيلة والمقصود ومن النواذر ان يصل السالك الى المقصود قبل الدخول في وسيلته ولا شك ان
الصبر منزل يضع النائب قدمه الاول فيه وقد قطع عقبات كثيرة يصفر قلب السالك وتحول العادة
ويتكشف له الوجود فبري نعم الله الدارة عليه ظاهرة وباطنة فيفرح بنعم الله ويسلك الطريق بحال
الشكر بعد ان كان سالماً كالحال الصبر ونفس السلوك لا يختلف وانما تختلف الاحوال الباعثة عليه والعمل
الواحد لا يبحث عليه حالان شرعيان لان سوادين لا يكونان في محل واحد في زمن واحد احتراراً لذلك عن وازع
الطبع فانه يبحث وازع الشرع في زمان واحد نعم يكون أحدهما لالسالك والثاني فعلاً لحقيقته وقوته
واستيمالاته وقد ترجح الشكر عندى هذه المقدمة وبترجيحات سبعة هي معروضة عليك فسند كر أولاً حقيقة
التفاضل ثم نورد فيها ما وعدنا به حقيقة التفاضل بين الاشياء الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة
فهما تشاركتا شيئان في أمر واحد أحدهما عز يد يقال فضله وله الفضل عليه ولا يصح التفاضل بين علمين
من حيث ان أحدهما أشق على فاعله فقد قال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون أعلاها لا اله الا الله
وأدناها ما طاعة الاذى عن الطريق وليس سدر أس البئر من الطريق باسهل من قول لا اله الا الله وقد ثبت
الله على أعمال الملائكة بعدم السأمة والملل والانقطاع وان تسبى بهم يجرى مناجرى النفس وذلك غاية
الملاذول من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر فقد شوقنا بناجل جلاله الى الجنة وما فيها أكثر
عما شوقنا من النظر الى وجهه تعالى ولا قائل بان لذات الجنة أفضل من لذة النظر الى وجهه تعالى فعلى هذا
تعرف ان حقيقة التفاضل وزن ذات الشئتين وصفاتهما غير ان البراهين فاهم ما رجح فهو الأفضل مثال ذلك
الشكر أرجح من الصبر بسبعة أسباب أحدها ان الله تعالى تسمى به ما جميعاً فخاف في الحديث الذي أخرجه
الترمذي الصبر جاء في كتاب الله الشكر ورفع كقيل في الصبر مضمين في الشكر ورواياه بشانته على
نفسه وعلى عباده بكلامه القديم ولا يوجد مثل هذا في اسمه الصبر الثاني النظر في سببهما وسبب الصبر
معرفة الا لا وسبب الشكر معرفة ذى النعمة وشان بين المعرفتين الثالث النظر في حالهما فالحال الصبر

فاذا أردت التحقيق فلفصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على السلام وهو وراء الرضا والصبر (١٦٢) مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح

استدعاء المكابدة والمجاهدة للغبية وحال الشكر استدعاء الفرح برؤية المنفعة والخادم الفرح أفضل من المتكافؤ عند المخدوم الرابع النظر في أعمالهما فعمل الصبر محنة وابتلاء وعمل الشكر نعمة مشكور عليها عند الشاكر وفرق بين من شهد التكليف محنة وابتلاء فيصبر عليه أو بين من رآه نعمة تشوقه الى جوار الله تعالى فيشكر عليها الخامس النظر في علاجهما وعلاج الصبر رؤية الجزاء للظفر وعلاج الشكر رؤية المريد اطاعة المجيد السادس النظر في استدامتهما في السلوك فالشكر مستحب للسالك في كل مقام وحال والاحوال والمقامات لانهاية لها فالشكر على ذلك لانهاية له والصبر ينقطع عنه أول مقام من مقامات الرضا بالاجماع من مشايخ السلوك السابع النظر في الاستدامة المطلقة اذ لو فرض ان الصبر دائم لمكان الى الموت والشكر في الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فهذا يعي المؤمن والكافر فهذه سبع ترجحات كافية للامتثال فهكذا ينبغي أن يكون التراجع بين شينين اذا رجع أحدهما عمل في الارتقاء اليه والله أعلم انتمى كلامه (فاذا أردت التحقيق فلفصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا) بمقدور الله تعالى (وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو) مقام (وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها) أي دون تلك الدرجات (فان) توفيقنا للحسن وتيسيرنا للبسر ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحييه البنا وتكره الفسوق والعصيان فضلائمه ومنه من جملة النعم بعد الايمان فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهبوا نعم به من المعرفة بذلك والمعونة و (حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق) من العبد بل مضاف الى نعمه (شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والنذل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقد روي

به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والنذل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقد روي

عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انهما زوجت مني فلبلة زفافها قلت تعالى حتى نحبي هذه اللبلة شكر الله تعالى على ما جعنا فلبنا تلك اللبلة ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه فلما كانت اللبلة الثانية قلنا مثل ذلك

زيادة أى قال كل من صاحبها تعالى نحي هذه الليلة شكر الله تعالى على ما من علينا به من الاجتماع وما
 وفقناه من الشكر (فصلنا طول الليلة) ودمنا على ذلك (فند سبعين أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة)
 وفي بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة (كل ليلة) ثم قال هولها (أليس) الامر (كذلك يا فلانة)
 وسماها باسمها (قالت) له (العجوز هو كما يقول الشيخ) وهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب
 في تواليها عليه فيشكرها بالقلب والعقل واللسان هكذا أورد هذه القصة لقشيري في الرسالة (فانظر
 اليها لو صبرا على بلاء الفرقان لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه)
 وفائدة ذكر العجوز والشيخ الاعلام بأنهم ماداما على الاشتغال بالله من حالة الصبا الى تلك الحالة (فلا يخفى
 عليك ان هذا الشكر أفضل فاذا الاوقوف على حقائق المفضلات الابتصیل كما سبق) وأما ترجيح بعض
 على بعض على الاطلاق من غير اطلاع على حقائق المفضلات فلا تحقق فيه لان من اطلع على مقاصد
 الشريعة وسألها عرف المفاضل والافضل من نفس الحقائق واطلع على حكمة الشرع في ذلك (والله
 تعالى أعلم) وبه تم كتاب الصبر والشكر والجد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد
 أفضل الخلق ووفات على آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى ما بعد يوم المعات قال مؤلفه وكان الفراغ من
 تحرير ذلك في الثالثة من ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ١٢٠٠ وكتبه مؤلفه المذكور استاذنا ابو
 النعیم سیدی محمد مرتضى الحسيني غفر الله عنه وكرمه حامدا لله ومصليا ومستغفرا

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الجد لله الواصل الجد بالنعم والنعم بالشكر * والرجاء بالخوف والخوف بالرجاء * والذكر * أحده على آلائه
 كما أحسنه على بلائه * واستغينه على هذه النفوس البطء عما أمرت به * السراع الى ما نهيت عنه *
 واستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه * علم غير قاصر وكتاب غير مغادر * وأمن به ايمان من عين الغيوب
 ووقف على الموعد * ايمانا في اخلاصه الشرك * ويقينه الشك * وأشهد أن لا اله الا الله وحده
 لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل * لا يخف
 ميزان توضعان فيه ولا يتقل ميزان ترفعان منه * وعلى آله الاطهار * وصحابة الائمة الابرار * وعلى من
 تبعهم باحسان * الى ما بعد يوم القرار * أما بعد فهذا شرح * (كتاب الرجاء والخوف) *

وهو الثالث من الاربعة والثالث والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام أبي حامد
 محمد بن محمد بن محمد الغزالي أفاض الله علينا من لطائف علومه وأذاقنا حلاوة فهمه وأجل قراءه وجعل الجنة
 الفردوس ماواه جلوت فيه عن عرائس حقائقه الخدره ونفائس رقائقه المضونة المستره وسلك فيه
 منهاج الايضاح لعبارائه والافصاح عن مرعى اشاراته متمطيا بعزائم الاعتقاد والانتصاف متجنباً عن التطويل
 والاعتساف راجيا من المولى الكريم الاعانة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق انه لا رب غيره ولا خير
 الاخيره المكافى الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)
 رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الجد لله المرجو لطفه) أي عرفه ورأفته (وثوابه) أي جزاؤه ويستعمل
 في الشر والخير لكن المتعارف في الخير واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه (الخوف مكره)
 وهو رادف للنعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب (وعقابه) وهو الايلام الذي يتعقب به جرم
 سابق وفي المرجو والجنات براعة الاستهلال وبين الثواب والعقاب حسن المقابلة (الذي عرقلوب أوليائه
 بروح رجائه) الروح بالفتح ما تلذبه النفس أصله من الريح (حتى ساقهم بلطف آلائه الى النزول)
 أي الاستقرار (بفنائنه) أي ساحة حضرته وهي جنة القرب (والعدول) أي الصرف (عن دار بلائه)
 أي امتحانه (التي هي مستقر أعدائه) وهي نار البعد وبين الاولياء والأعداء حسن المقابلة (وصرف
 بسياط التخويف وزجره العنيف) أي الشديد (وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته)

فصلنا طول الليل فند
 سبعين أو ثمانين سنة
 نحن على تلك الحالة
 كل ليلة أليس كذلك
 يا فلانة قالت العجوز هو كما
 يقول الشيخ فانظر اليها
 لو صبرا على بلاء الفرقة أن
 لو لم يجمع الله بينهما وانسب
 صبر الفرقة الى شكر الوصال
 على هذا الوجه فلا يخفى
 عليك أن هذا الشكر أفضل
 فاذا الاوقوف على حقائق
 المفضلات الابتصیل كما
 سبق والله أعلم
 * (كتاب الخوف والرجاء
 وهو الكتاب الثالث من
 ربيع المخيمات من كتب
 احياء علوم الدين) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 الجد لله المرجو لطفه ووثابه
 المخوف مكره وعقابه
 الذي عرقلوب أوليائه
 بروح رجائه حتى ساقهم
 بلطف آلائه الى النزول
 بفنائمه العدول عن دار
 بلائه التي هي مستقر
 أعدائه وضرب بسياط
 التخويف وزجره العنيف
 وجوه المعرضين عن حضرته
 الى دار ثوابه وكرامته

وصدهم عن التعرض لأثمته والتهدف (١٦٤) لسخطه ونقمته قود الاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق والملاطف الى

وهي الجنة فانها تسمى دار الثواب ودار الكرامة (وصدهم) أي منعهم (عن التعرض لأثمته) وهي الملامة اسم من اللوم (والتهدف) وهو التعرض للهدف (لسخطه ونقمته) أي غضبه وانقامه (قودا) أي جذبا (لاصناف الخلق) على تباينهم وكثرتهم (بسلاسل القهر والعنف) تارة (وازمة الرفق والملاطف) أخرى (الى جنته) والازمة جمع زمام وهو ما يقاد به وفيه إيماء الى الخبر الوارد بحج ربنا من قوم يقادون بالسلاسل الى الجنة وقد تقدم (والصلاة) والسلام (على) سيدنا (محمد) سيد أنبيائه وخير خلقه (ته) أي مخلوقاته (وعلى آله وأصحابه وعترته) العترت نسل الانسان وقيل أقارب الرجل الاذنون (أما بعد) فان الرجاء والخوف جناحان (أي بمنزلة الطائر) (بهما يطير الموقرون) الى الحضرة الذين تم سلوكهم (الى كل مقام محمود) وفيه إشارة الى انهم محالان وقد يكون المقام حالا بالعكس كما سيأتي ونقل القشيري عن أبي علي الروذباري قال الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهب صار الطائر في حداموت وفي قوله مقام محمود إشارة لما سيأتي له ان الرجاء مقام محمود كما أن ضده مزموم (ومطمان) أي بمنزلة الطائر والمطمان ما يعتق طيرها أي يركب (بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة) وهي الشبهة بين الجلبين (كؤد) أي صعوبة المرتقى والمخدر (فلا يقود) أي لا يسوق (الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا) أي الاطراف (ثقل الاعباء) أي الاحمال (محفوف بمكاره القلوب ومشايق الجوارح والاعضاء الأزم) قال الرجاء ولا يصعد عن نار الجحيم والعذاب الليم مع كونه محفوف بالمطائف الشهوات وبغائب الذات الاسباط التخويف وسطوات التعنيف (وفي الفقرتين تلج الى حديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) فلا بد اذا من بيان حقاقتيهما (أي الرجاء والخوف) وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاونهما) وليس المراد بالتضاد هنا انهما مما يستحيل اجتماعهما في موضع واحد وانما يتعاقبان كالسواد والبياض فسيأتي للمصنف قريبا ان الخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيقه وانما المراد به ههنا معنى التعاند والتضارب والامساك بالجمع بينهما (ونحن نجتمع ذكرهما في كتاب واحد) اذ لابد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما وهذا بخلاف غير المصنف كالقشيري وصاحب القوت فانما ذكر كل واحد منهما في باب مستقل (يشتمل) ذلك الكتاب (على شطرين الشطر الاول في الرجاء) وانما قدمه إيماء الى ان الوصول به أرحى للسالك كالايجني (والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواعي الرجاء والطريق الذي يحتل به الرجاء) (انما قدم القشيري باب الخوف على باب الرجاء تبعه صاحب العلم لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة

(بيان حقيقة الرجاء)

(اعلم) وفق الله تعالى (ان الرجاء) بالمدلغة الامل وهو (من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين) وهو المقام الرابع من مقامات اليقين والسالك والطالب واحد الا انه خص السالك بطلب طريق الحق فالطالب أعم وهو واجب لانه من عقود الايمان بكلام الله تعالى ثم اعلم ان هذا العلم الذي نحن بصده يترتب على قواعد شتى لو وضعها المصنف في موضع واحد لاختل نظام الترتيب وعسر البناء عليها عند الحاجة اليها فاختار ان يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبنى عليها أمثاله فقد أشار الى القاعدة المناسبة لهذا الباب ولما أتى بعده من الأحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله (وانما يسمى الوصف مقامات اذنبت وأقام) كأنه أشار به الى وجه تسميته أي يسمى المقام مقام الشبوة واستقراره (وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال) أي يسمى الحاله حال التحول وسرعته زواله (كأن الصفرة تنقسم الى ثابتة وكصفرة الذهب) هذا أصل لونه الذي لا يتغير عنه وقد يحمر لعرض فيثبت فيه (والى سر بعة الزوال كصفرة الوجل) فان

جنته والصلاة على محمد
سيد أنبيائه وخير خلقه
وعلى آله وأصحابه وعترته
(أما بعد) فان الرجاء
والخوف جناحان بهما
يطير الموقرون الى كل
مقام محمود ومطمان بهما
يقطع من طرق الآخرة
كل عقبة كؤد فلا يقود الى
قرب الرحمن وروح الجنان
مع كونه بعيدا الار جاء
ثقل الاعباء محفوف بمكاره
القلوب ومشايق الجوارح
والاعضاء الأزم قال الرجاء
ولا يصعد عن نار الجحيم
والعذاب الليم مع كونه
محفوف بالمطائف الشهوات
وبغائب الذات الاسباط
التخويف وسطوات التعنيف
فلا بد اذا من بيان حقيقةتهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل
الى الجمع بينهما مع تضادهما
وتعاونهما ونحن نجتمع
ذكرهما في كتاب واحد
يشتمل على شطرين الشطر
الاول في الرجاء والشطر
الثاني في الخوف (أما
الشطر الاول) فيشتمل على
بيان حقيقة الرجاء وبيان
فضيلة الرجاء وبيان دواعي
الرجاء والطريق الذي
يحتل به الرجاء *(بيان
حقيقة الرجاء)* اعلم ان
الرجاء من جملة مقامات
السالكين وأحوال الطالبين
وانما يسمى الوصف مقاما
اذنبت وأقام وانما يسمى

حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكأن الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سر بعة الزوال كصفرة الوجل الانسان

والى ماهو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير (١٦٥) ثابت يسمى حالالانه يحول على القرب

وهذا جارئى كل وصف من
أوصاف القلب وغرضنا
الآن حقيقة الرجاء
فالرجاء أيضا يتم من حال
وعلم وعمل فالعلم سبب يشمر
الحال والحال يقتضى العمل
وكان الرجاء اسم للحال من
جمله الثلاثة وبيانه أن كل
ما يلايقك من مكروه ومحجوب
فيقسم الى موجود فى الحال
والى موجود فيما مضى والى
منتظر فى الاستقبال فاذا
خطر ببالك موجود فيما
مضى سمي ذكر او تذكر
وان كان ما خطر بقلبك
موجودا فى الحال سمي
وجد او ذوقا وادرا كاوانما
سمي وجد الانها حالة تجدها
من نفسك وان كان قد
خطر ببالك وجود شئ فى
الاستقبال وغاب ذلك على
قلبك سمي انتظارا وتوقعا
فان كان المنتظر مكررها
حصل منه ألم فى القلب سمي
خوفا واشفاقا وان كان
محجوبا حصل من انتظاره
وتعلق القلب به وخطر
وجوده بالبال لئلا فى القلب
وارتياع سمي ذلك الارتياح
رجاء فالرجاء هو ارتياح
القلب لانتظار ما هو محجوب
عنده ولكن ذلك المحجوب
المتوقع لا بد وأن يكون له
سبب فان كان انتظاره لاجل
حصول أكثر أسبابه فاسم
الرجاء علمه صادق وان كان

الانسان اذا عراه خوف يصغر لونه فاذا زال الخوف رجع الى لونه (والى ماهو بينهما كصفرة المريض)
فتارة تثبت وتارة تزول (فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالالانه
يحول على القرب) واختلقت اشارات الشيوخ فى الحال والمقام وجود الاشتباه فيهما لمكان تشابههما
فى أنفسهما وتداخلهما فتراعى للبعض الشئ حالا وتراعى للبعض مقاما وكلا الرقيتين صحيح لوجود
تداخلهما واما أحسن ما يفرق به بينهما ما أشار اليه المصنف على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق وقد
يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما والعبد بالاحوال يرتقى الى المقامات (وهذا جارئى كل وصف من
أوصاف القلب) فما يعرف وصف من أوصافه الا وفيه حال ومقام (وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء
أيضا يتم من حال وعلم وعمل) فانه ما من مقام الا وهو يتنظم من هؤلاء الثلاثة والعمل مبراث الحال
والحال مبراث العلم (فالعلم سبب يثمر الحال) أى بمنزلة شجرة والحال ثمرتها (والحال يقتضى العمل) فانه
بمنزلة الغصن (وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة) المذكورة (وبيانه ان كل ما يلايقك من مكروه
ومحجوب فيقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى) من الزمان (والى منتظر فى الاستقبال)
أى فيما سببأتى (فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكر او تذكر) ونمنا وأسفا لذكر وجود الشئ
فى القلب أو اللسان وذلك لان الشئ له أربع درجات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده
فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى قلب الانسان ووجوده فى قلبه هو سبب
لوجوده فى لسانه ووجوده فى كتابته ويقال للوجودين الاولين الذكر وأما التذكر فهو محاولة القوة
العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان (وان كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمي وجد او ذوقا
وادرا كا) وفرعا سورا (وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك) وانما سمي ذوقا على التشبيه
بالذوق الذى هو تناول الشئ بالفم لادراك الطعم وانما سمي ادرا كالانه أحاط عليه علما بكامله (وان كان
قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغاب ذلك على قلبك سمي انتظارا له أو توقعا) فالانتظار هو الثبات
لتوقع ما يكون فى الحال والتوقع تفعل من الوقوع بمعنى الحصول أى تكاف حصول الشئ فى يده (فان
كان المنتظر مكررها حصل منه ألم فى القلب سمي خوفا واشفاقا) وخوفا وقبضا وغما وكدا وقد اختلفت
عباراتهم فى الخوف فقليل هو توقع مكروه أو فوت محبوب وقيل هو حذر النفس من أمور ظاهرة تضره
وقيل توقع مكروه عن أماراة مظنونة أو معلومة وأما الاشفاق فعناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب
المشفوق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدى بمن ففى الخوف فيه أظهر أو بعن فعنى العناية فيه أظهر (وان
كان محجوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به وخطر وجوده بالبال لئلا فى القلب وارتياع سمي ذلك
الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محجوب عنده) عن اماراة مظنونة أو معلومة هذا هو
معناه العرفى وقال بعضهم هو ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة وقيل هو قرب الانتفاع بما تقدم له سبب تا
وقيل تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا وقال القشيري فى الرسالة هو تعلق القلب بمحجوب سيحصل
فى المستقبل وكان الخوف يقع فى مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما تؤمل فى الاستقبال (ولكن
ذلك المحجوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب) ما تقدمه (فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه
فاسم الرجاء علمه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه
أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التنى أصدق على
انتظاره لانه انتظار من غير سبب) وطلب لما لا طمع فى وقوعه كبيت الشيبان يعود وقال القشيري
والفرق بين الرجاء والتنى ان التنى يصاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعبارة صاحب

ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة
الانتفاء فاسم التنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلاذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والاعيان كالبنذر فيه والطاعات جارية بحرى تغليب الارض وتطهيرها وتجري حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الامازرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلبا ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو (١٦٦) بذري أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة ب رجاء صاحب الزرع فكل من

طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جديدا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الارض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حقا وغرور الارعاء وان بث البذر في أرض طيبة لكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمنع أيضا سمي انتظاره تمنا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى

الرجاء (وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى ما يتردد فيه) ويكون التوقع عن اماره اما مظلونة أو معلومة (أما ما يقطع به فلاذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك) أى طلوعها وغروبها في وقتها (مقطوع به) نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) فان نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به (وقد علم أن باب القلوب) ممن نور الله بصيرته (ان الدنيا مزرعة للآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (والقلب كالارض) في قبوله لما يرد عليه (والاعيان كالبنذر فيه والطاعات جارية بحرى تغليب الارض وتطهيرها وتجري حفر الانهار وسياقة الماء اليها فالقلب المستهتر بالدنيا) أى المولع بها (المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر) أى لا يزيد نموا (ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الامازرع) فان من زرع حصدا (ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلبا ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة ب رجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جديدا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته) وهو في مبداء نشأته (ثم نقي الارض من الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده) بعد النبات بان يصفر أوراقه ويضعف قوته (ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق) من الرياح المحرقة (والآفات المفسدة) من الدود والجديد وغيرهما (الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة) لا تثبت أو (سبخة) أو (مرتفعة لا ينصب اليها الماء) هو مع ذلك (لم يشغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد سمي انتظاره حقا وغرور الارعاء وان بث البذر في أرض طيبة ولكن لاماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمنع أيضا) كالارض المصرية (سمي انتظاره تمنا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات) والموانع (فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاء بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة) المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة (كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثاله على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتقان أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهد بماء الطاعات وترك القلب مشغورا بذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة) وعلا الدرجات (فانتظاره حق وغرور) في الحالات (قال صلى الله عليه وسلم) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (الاجق) وفي لفظ العاجز (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والحياكم من حديث شداد ابن اوس وقد تقدم (وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفا) خلف اضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) هو اسم واد في جهنم (وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفا) ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

بذر الايمان وسقاء بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثاله على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتقان أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهد بماء الطاعات وترك القلب مشغورا بذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الا حق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة قال تعالى نخلف من بعدهم خلفا اضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفا ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبید هذه ابدا وما اظن الساعة فائمة وتلن رددت الى ربى لاجد ن خيرا منها من قبل فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة وأما المعاصى فاذا تاب وندارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويؤمها ويشتهى التوبة ويشفق اليها (١٦٧) حقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية

وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذى قد يفضى الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك رجوة الله رجوة يستحقون أن يرجوا رجوة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجوا لكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه المغفرة حتى كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهد بسقى ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من أعظم الاعتراض عندى التماسى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة بغير النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط

الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان (بفلسطين واسمه أبو فطرس) اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبید هذه ابدا وما اظن الساعة فائمة وتلن رددت الى ربى لاجد ن خيرا منها من قبل فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى) الا الصغائر التى لا يخلو من مثلها البشر غير الانبياء (حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة) كفى بالخبر الا ترى بياها ذاهو الموطن الاول (وأما المعاصى فاذا تاب وندارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرجو قبول التوبة) وهذا هو الموطن الثانى (وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويؤمها ويشتهى التوبة ويشفق اليها حقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهية المعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب) الغلب لجانب الرجاء (الذى قد يفضى الى التوبة) وهذا هو الموطن الثالث (وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب) وعهدا بنماها (ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا) أى السبب والذات (وجاهدوا فى سبيل الله) أى بشكثير الطاعات (أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا) رحمة ربهم (وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء) مشير بالبعد منزلتهم بلفظ أولئك (فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع) اليه (فرجاءه المغفرة حتى) وغرور كما قبل الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله ويتنى مغفرته ورجاءه (كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهد بسقى ولا تنقية) واصلاح (قال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (من أعظم الاعتراض عندى التماسى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة بغير النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط فى أمل وأنشد

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس

(ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت انها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغر زماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهداوتخية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتقر عن تعهدا أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فن عرف ان الارض سبخة وأن الماء معوز) أى قليل الوجود (وأن البذر لا ينبت فيترك لاجل الحالة تفقد الارض والتعب فى تعهدا والرجاء محمود) مقامه (لانه باعث) على العمل حاث عليه كالخوف (واليأس)

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغر زماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهداوتخية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتقر عن تعهدا أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فن عرف أن الارض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لاجل الحالة تفقد الارض والتعب فى تعهدا والرجاء محمود لانه باعث واليأس

مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رقيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان
الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال (١٦٨) الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال

الذي هو ضده (مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل) ولفظ القشيري فالرجاء مجرود والتمني معلول
(والخوف ليس بضد للرجاء) كما يتبادر الى الاذهان (بل هو رقيق له كما سيأتي بيانه بل هو) أي الخوف
باعث آخر بطريق آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة (لان السبب الموجب
للخوف هو بعينه سبب الرجاء لان الصفات القديمة تعلقت بكل موجود في الوجود ومنه لعلقها لا تنقض
سرمدا فهي التي يصدر عنها كل ماساء وسر ونفع وضرر فقد تهر وجبر واعطى ومنع كل ذلك على أتم أنواع
الكمال فن عرف ذلك من صفاته تعالى خافه ورجاه وهذا هو الرجاء لذاته الذي لا يتوقع بحسنة ولا يندفع
بسببه انما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمن اختصه في أزله من عباده كما ان الخوف ينشأ عن عدل الله
الذي هو عدله لمن أبعدته عن حضرته في أزله وينتفع به هذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب
الى لباس والقنوط وينتفع بالخوف الذي يراد لذاته من أخرجه رؤية كثرة الاعمال الى الادلال
والامن والاعتزاز (فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما
تقلبت الاحوال) ولا يستعمله مواطن ثلاثة قد أشار اليها المصنف قريبا (و) أما علاماته فهي ما تصدر
(من آثاره) من (التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتشبع بمناجاته والتلطف في التعلق له) عند الدعاء
والسؤال ولذلك ألحق الحليمي رحمه الله تعالى الدعاء بالرجاء وذكره أركاناً وأدبا وقد تقدم بيان ذلك
تفصيلا في كتاب الدعوات فليراجع من هناك (فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر في كل من يرجو مولا كما
من المملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليست له على
الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني) فليست أئمة التوبة والاقبال على العمل
بالجد والاجتهاد حتى تظهر عليه تلك الاحوال (فهذا هو البيان) المفصّل (لحال الرجاء وما أثره من
العلم وما استثمر منه من العمل ويدل على آثاره لهذه الاعمال - حديث زيد الخيل) بن مهلول بن زيد بن
منهيب الطائي رضي الله عنه (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شيء منه سارعت
اليه وأيقنت بشوابه واذا فاتني منه شيء خزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك
للآخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلك) قال العراقي زواه الطبراني في الكبير من حديث
ابن مسعود بسند ضعيف وفيه انه قال له أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سمعناه النبي صلى الله عليه
وسلم والخير سمعت أبي يقول ذلك اه قلت ورواه ابن شاهين من طريق سنيين مولى بني هاشم عن الاعمش
عن أبي وائل عن عبد الله قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل راكب حتى أناخ فقال يا رسول الله
اني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن نصلتين فقال ما اسمك قال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل قال
أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله وأخرجه ابن عدي في ترجمة
سنيين وضعفه (فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير في ارتجى أن يكون مراداً بالخير
من غير هذه العلامات فهو مغرور) في وادي الملامات وبالله التوفيق

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله أحبهم)
أي أكثرهم حبا (له) وانسابه (والحب يغلب بالرجاء) لا بالخوف ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم
الرجاء على الخوف في الذكر (واعترض ذلك بماكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والاخر رجاء لثوابه
فالراجي ثوابه أكثر حبه له من الخائف من عقابه) وهو اعتبار صحيح (ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن)

ومن آثاره التلذذ بدوام
الاقبال على الله تعالى
والتشبع بمناجاته والتلطف
في التعلق له فان هذه
الاحوال لا بد وان تظهر
على كل من يرجو مولا كما
من المملوك أو شخصاً من
الأشخاص فكيف لا يظهر
ذلك في حق الله تعالى فان
كان لا يظهر فليست له
على الحرمان عن مقام
الرجاء والنزول في حضيض
الغرور والتمني فهذه
البيان لحال الرجاء وما أثره
من العلم وما استثمر منه من
العمل ويدل على آثاره لهذه
الاعمال حديث زيد الخيل
اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جئت لاسألك
عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال
كيف أصبحت قال أصبحت
أحب الخير وأهله واذا
قدرت على شيء منه سارعت
اليه وأيقنت بشوابه واذا
فاتني منه شيء خزنت عليه
وحننت اليه فقال هذه
علامة الله فيمن يريد ولو
أرادك للآخرى هيأك لها
ثم لا يبالي في أي أوديتها
هلكت فقد ذكر صلى الله
عليه وسلم علامة من أريد
به الخير في ارتجى أن يكون
مراداً بالخير من غير هذه
العلامات فهو مغرور

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى بالله
أحبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر بذلك بماكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن

ربائبه تعالى (ربائب) أى مرغبات (لا سيما فى وقت الموت) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا وقال
القشيري ومن عرف نفسه بالاساءة فينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه انتهى وهى رواية غير معقدة وقت
الموت وفى القوت ولولان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء فى آخر الاوقات عند
فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة وكذلك قيل ان
الخوف أفضل ما دام حياً فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل (قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله) ان الله يغفر
الذنوب جميعاً (غفر أصل اليأس) الذى هو ضد الرجاء والقنوط بمعناه قال تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون (وفى اخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أنه قد فرقت بينك
وبين يوسف هذه المدة قال لا قال لانك قات) لاختوته (أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت
الذئب) عليه (ولم ترجى ولم نظرت الى غفلة اختوته ولم تنظر الى حفظي له) نقله صاحب القوت زادنى
رواية عن الله تعالى انه أوحى اليه من سبق عنايتي بك ان جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين
فرجوتنى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين (وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا
وهو يحسن الظن بالله) قال العراقى رواه مسلم من حديث جابر اه قلت ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد
ابن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وروى ابن جميع فى مجمعهم والخطيب وابن عساكر من حديث
أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن بالله من الجنة قال الذهبي فيه أبو نواس
الشاعر فسقته ظاهر فليس باهل أن يروى عنه (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن
عبدى بى فليظن بى ما شاء) قال العراقى رواه ابن حبان من حديث واثله بن الاسقع وهو فى الصحيحين من
حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بى ما شاء اه قلت وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبرانى فى معجمه
حكيم عن أبيه عن جده وحديث واثله رواه أيضاً ابن أبى الدنيا والحكيم وابن عدى والطبرانى فى الكبير
والحياكم والبيهقى وتمام ولفظهم قال الله عز وجل والباقي سواء وفى رواية للطبرانى فى الاوسط وأبى نعيم
فى الحلية وابن عساكر ان الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدى بى ان خير انخير وان شر افشروا رواه
كذلك الشيرازى فى الالقباب من حديث أنس وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة قال الله
عز وجل أنا عندى ظن عبدى بى ان ظن خير افعله وان ظن شر افعله ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة
يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى
الحديث وفى رواية لمسلم لم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى والله الله أفرح
بتوبة عبده من أحدكم يجده ضالته بالفلاة الحديث (ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزاع)
أى حاله تزوع الروح منه (فقال كيف تجدك فقال أجدى أخاف ذنوبى وار جورة ربى فقال صلى
الله عليه وسلم ما اجتمع فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمنه بما يخاف) قال العراقى رواه
الترمذى وقال غريب والنسائى فى الكبير وابن ماجه من حديث أنس وقال النووى اسنده جيد اه قلت
وروى البيهقى من مرسل سعيد بن المسيب رفعه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا أعطاه الله الرجاء
وأمنه الخوف (وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط يا هذا يا أسكن من رحمة الله أعظم
من ذنوبك) كذا فى القوت ورواه الشريف الموصوفى فى نهج البلاغة قال صاحب القوت صدق رضى الله
عنه لان اليأس من روح الله الذى يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله التى يرجوها
بالغيوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع عيوبه لانه قطع به واه على صفات الله المرجوة وحكم على كرم
الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكثر وان كانت ذنوبه بكثرة (وقال سفيان) الثورى رحمه الله
تعالى (من أذنب ذنباً فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال) سفيان (لان الله
عز وجل عبر) أى عاب (قوما فقال) تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم
الذى ظنتم بربكم أرداكم

الخاسرين (وقال تعالى) في مثله (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أي هلكي في دليل خطابه ان من ظن ظنا حسنا كان من أهل النجاة هكذا أورد صاحب القوت ثم قال وقد جاء في الاثر من أذنب ذنبا فاخره ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر قلت وقول سفیان المذکور سیأتی معناه في أحاديث الرجاء قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف (وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يدين الناس) أي يعاملهم بالدين (فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فاقى الله تعالى) ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعاثه لحسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي مسعود وحوسب رجل عن كان قبلكم فلم يوجده من الخير شي الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يامر غلامه ان يتجاوزوا عن المعسر فقال قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه يتجاوزوا عنه واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه اه قلت حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو مسعود راوه هو عتبة بن عمر والبدوي الصمعي رضى الله عنه ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معانر جلال من كان قبلكم أنا ملك الموت لي قبض نفسه فقال له هل عملت من خير قال ما أعلم قال له انظر قال ما أعلم شيأ غير اني كنت أبايع الناس وأحارفهم فانظر المعسر وتجاوز عن الموسر فادخله الله الجنة وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة ان رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يدين الناس فيقول لرسوله خذ ما تبسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا فلما هلك قال الله عز وجل هل عايت خيرا قط قال لا الا انه كان لي غلام وكنيت أدين الناس فاذا بعثته يتقاضى قاتله خذ ما تبسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك وفي رواية لا أحد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان كان رجل تاجر يدين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فاقى الله فتجاوز عنه (ولما قال) لهم (صلى الله عليه وسلم) يعظهم (لو تعلمون ما أعلم اضحكتكم قليلا ولبكيتكم كثيرا واخر جتم الى الصدقات تلدمون) أي تضربون (صدوركم وتجاوزون) أي تتضرعون (الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقط عبادي) قال (فخرج عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرجاهم وشوقهم) هكذا هو في سياق القوت ولفظ القشيري في الرسالة وفي بعض التفسيرات رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بني شيبه فرأهم بضحك فقل اضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلا ولبكيتكم كثيرا ثم رجع القهقري وقال نزل على جبريل وأتى بقوله نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم اه وقال العراقي رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديث أنس رواه زيادة ونحوه جتم الى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم اه قلت أما المتفق عليه من حديث أنس الى قوله كثير ارواه أيضا أحمد والداري والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان ورواه أيضا أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة ورواه ابن عساکر والطبراني من حديث سمرة ورواه ابن عساکر أيضا من حديث أبي الدرداء ورواه زيادة ونحوه جتم الى الصدقات تجاوزون الى الله تعجبون أولا تعجبون الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء ورواه زيادة ولما سألكم الطعام والشراب بعد قوله كثيرا الحاك من حديث أبي ذر وروى الحاكم من حديث أبي هريرة لو تعلمون ما أعلم لبكيتكم كثيرا واضحكتكم قليلا يظهر النفاق وترتفع الامانة الحديث وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال قال أبو الدرداء لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شربا على شهوة ولا دخلتم بيتا استظلون فيه ونحوه جتم الى الصدقات تضربون صدوركم

وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يدين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فاقى الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعاثه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية رجونا تجارة لن تبور رواه قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلا ولبكيتكم كثيرا واخر جتم الى الصدقات تلدمون صدوركم وتجاوزون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم

وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام أحبني واجب من يحبني وحبيبي الى خلقي فقال يا رب كيف أحبيك الى خلقك قال
اذكرني بالحسن الجليل واذكر آلائي واحساني وذكركم ذلك فانهم (١٧١) لا يعرفون مني الا الجليل ورؤي أبان بن

أي عياش في النوم وكان
يكثّر ذكر أبواب الرجا فقال
أوقفني الله تعالى بين يديه
فقال ما الذي جعلك على ذلك
فعلت أردت ان أحبيك الى
خلقك فقال قد غفرت لك
ورؤي يحيى بن أكتم بعد
موته في النوم فقبل له ما فعل
الله بك فقال أوقفني الله بين
يديه وقال يا شيخ السوء
فقلت وفعلت قال فأخذني
من الرعب ما يعلم الله ثم قلت
يا رب ما هكذا حدثت عنك
فقال وما حدثت عنى فقلت
حدثني عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري عن أنس عن
نبيك صلى الله عليه وسلم عن
جبريل عليه السلام انك
قلت أنا عبد ظن عبدني
فليظن بي ما شاء وكنت
أظنك أن لا تعذبني فقال
الله عز وجل صدق جبريل
وصدق نبي وصدق أنس
وصدق الزهري وصدق معمر
وصدق عبد الرزاق وصدقت
قال فالبست ومشى بسين
يدي الولدان الى الجنة
فقلت يا لهامن فرحة وفي
الخبر ان رجلا من بني
اسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم قال فيقول
له الله تعالى يوم القيامة
اليوم أو يسلك من رجعي كما

وتبكون على أنفسكم (وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام) يا داود (أحبنى واجب من يحبني
وحبيبي الى خلقي فقال يا رب) هذا أحبك وأحب من يحبك و) كيف أحبيك الى خلقك قال اذكرني بالحسن
الجليل واذكر آلائي واحساني وذكركم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجليل) هكذا هو في القوت الا انه قال
أوحى الله الى داود وغيره من الانبياء ثم ساقه ولم يقل وفي الخبر ولذلك قال العراقي لم أجده أصلا وكأنه من
الاسرائيليات (ورؤي أبان بن أي عياش) البصري أو اسمعيل العبدى واسم أبيه فيروز رؤي له أبو داود
مات في حدود الاربعين (في النوم) بعد موته (وكان يكثّر ذكر أبواب الرجا) والرخص فقال له الراقي
ما فعل الله بك (فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي جعلك على ذلك) أي على أن حدثت عنى بما
حدثت به من الرخص قال (فقلت يا رب أحبيت ان أحبيك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده
صاحب القوت (ورؤي) القاضي (يحيى بن أكتم) بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد فقيه صدوق
روى له الترمذي وكان يرى الرواية بالاجازة والوجادة ولذلك كثرفيه الكلام مات عن ثلاث وعشرين سنة
في أوخر سنة اثنين وأربعين ومائة (بعد موته في النوم فقبل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ
السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب) والفرع (ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال
وما حدثت عنى فقلت حدثني عبد الرزاق) بن همام بن نافع الجعفي مولاهم أبو بكر الصغاني ثقة حافظ
مصنف شهر عجمي في آخر عمره مات سنة احدى عشرة ومائة عن خمس وعشرين سنة روى له الجماعة (عن معمر)
ابن راشد الازدى مولاهم بن عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل مات سنة أربع وخمسين عن ثمان
وخمسين سنه روى له الجماعة (عن الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني الفقيه
الثبت المشهور (عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت) تباركت
وتعاليت (انا عند ظن عبدني فليظن بي ما شاء و) قد (كنت أظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق
نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت قال فالبست) أي من خلق
الجنة (ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لهامن فرحة) هكذا أورده صاحب القوت وحديث انا
عند ظن عبدني تقدم ذكره قريمان رواية واثلة بن الاسقع عند ابن حبان بهذا السياق وليس هو
من حديث أنس وأورده القشيري من وجه آخر فقال سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد
المركي قال حدثنا أبو بكر يحيى بن محمد الاديبي قال حدثنا الفضل بن صدقة حدثنا أبو عبد الله الحسن
ابن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكتم القاضي صديقي وكان يودني وأودعت اني فكنت أشتهي
ان أراه في المنام فاقول له ما فعل الله بك فأيت لي ليلة في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفرت لي الا انه وبخني ثم
قال لي يا يحيى خلطت على في دار الدنيا فقلت يا رب اتسكت على حديث حدثني به أبو معاوية الضري عن
الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قلت اني لاستحى ان أعذب
ذاشبية بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبي الا انك خلطت على في دار الدنيا (وفي الخبر ان رجلا من
بني اسرائيل كان يقنط الناس) من رجة الله تعالى (ويشدد عليهم) بالانذار والتخويف (قال فيقول الله
تعالى له يوم القيامة اليوم أو يسلك من رجعي كما كنت تقنط عبادي منها) كذا في القوت وقال العراقي واه
البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعا (وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها
ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل) اذهب فأتني بعبدى قال فيجي به
فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان فيقول رده الى مكانه قال فيمشي

كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
لجبريل اذهب فأتني بعبدى قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول رده الى مكانه
قال فيمشي

ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل (١٧٢) الى اى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعبدنى اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله

تعالى اذهبوا به الى الجنة
فدل هذا على ان رجاءه كان
سبب نجاته نسأل الله حسن
التوفيق بلطفه وكرمه
*(بيان دواء الرجاء والسبيل
الذي يحصل منه حال
الرجاء يغلب)*
اعلم ان هذا الدواء يحتاج
اليه احذر جلين امار جل
غلب عليه الياس فترك
العبادة و امار جل غلب عليه
الخوف فاسرف في المواقفة
على العبادة حتى اضر
بنفسه واهله وهذان
رجلان ما تزلان عن
الاعتدال الى طرفي الافراط
والتفریط فيحتاجان الى
علاج يردهما الى الاعتدال

ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعبدنى اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة) قال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبهيق في الشعب وضعفه من حديث انس اه قلت وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معا اذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق فيبقى رجلا ن فيؤمر بهما الى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى ردوه فيردونه فيقول له لم التفت فيقول كنت أرجو ان تدخلني الجنة فيؤمر به الى الجنة فيقول لقد أعطاني الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندي شيئا وأما لفظ حديث انس عند البيهقي ان عبد في جهنم ينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل اذهب اتني بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين فيكون فيرجع الى ربه عز وجل فيخبره فيقول اتني به فانه في مكان كذا وكذا فيجيبه به فيوقفه على ربه فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك فيقول يا رب شرمكان وشرمقيل فيقول ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو اذ اخرجتني منها ان تعبدني فيها فيقول ردوا عبدى وندرواه كذلك أحمد وابن خزيمة (فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته) من النار ولفظ القوت وروى في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له كيف وجدت مكانك الحديث ثم قال فقد صار الرجاء طريقة الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا اليها وبنان الاخر سعى مبادر الى النار لما قال ردوه فمقل له في ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابك في الآخرة وقال خفت ان أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا فقال اذهبوا به الى الجنة نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء يغلب)

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان هذا الدواء يحتاج اليه احذر جلين امار جل غلب عليه الياس) من روح الله تعالى (فترك العبادة) من أصلها (وامار جل غلب عليه الخوف فاسرف في المواقفة على العبادة فاضر بنفسه واهله) وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء وقد تقدمت الاشارة للمواطن الثلاثة ثم هذا العبد الذي أورثه الافراط في الخوف الى القنوط اما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بحدود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب اذ ارجع اليه فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء كما يشير اليه المصنف فيما بعد (وهذان رجلان ما تزلان عن) حد الاعتدال الى طرفي الافراط والتفریط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال (فاما العاصي المغرور المتنى على الله) المغفرة والدرجات العالية (مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سمومها ملكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء للناس بنص القرآن أى (من غلب عليه البرد) منهم في مزاجه اما من أصله أو من عارض (وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة) في مزاجه اما من طبع أو من عارض وهذا مما اتفق عليه العارزون بالطب والمتكلمون على الخواص (بل المغرور) المتنى (لا يستعمل في حقه الأدوية الخوف والاسباب المهيبة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلفظا ناظرا الى مواقع العال معالجا لسكل علة بما يصادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير

فاما العاصي المغرور المتنى
على الله مع الاعراض عن
العبادة واقتحام المعاصي
فادوية الرجاء تنقلب
سمومها ملكة في حقه وتنزل
منزلة العسل الذي هو
شفاء لمن غلب عليه البرد
وهو سم مهلك لمن غلب
عليه الحرارة بل المغرور
لا يستعمل في حقه الأدوية
الخوف والاسباب المهيبة
له فلهذا يجب أن يكون
واعظ الخلق متلفظا ناظرا
الى مواقع العال معالجا
لسكل علة بما يصادها لا بما
يزيد فيها فان المطلوب هو
العدل والقصد في الصفات
والاخلاق كلها وخير

الامور أو أساطها فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عولج بما يرد به الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة في التوقيف أيضا تكاد ان لا تردهم الى جادة الحق وسن

(الصواب)

الصواب فاما ذكر أسباب الرجاء فيهم بالكيفية ولكن لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاط الا استعمال القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد (١٧٣) فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم

تعالى قال على كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهم ما جامعان لاسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطيب الحاذق لاستعمال الاخرق الذي يظن أن كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان * وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والاخر استقرار الآيات والاعخبار والآثار * أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان (حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كما لا ينل من الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين) أي كونها على صورة القوس ثم سواهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وجرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينل بفقده غرض مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت (وانما كان يفوت به مزية جمال الصورة) فالعناية الالهية اذالم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

الصواب) أي طريقه (فاما ذكر أسباب الرجاء) والرخيص (فتلهم وتوهم) أي توقعهم في الردي بالكيفية ولكن لما كانت أخف (وقعا على القلوب وألذ عند النفوس) وأرواح عند الاسماع (ولم يكن غرض الوعاط) وأرباب الكراسي (الاستعمال القلوب) اليهم (واستنطاق الخلق بالثناء عليهم كيما كانوا مالوا الى الرجاء) والرخيص حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في الطغيان تعالى قال على كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله تعالى ولغظه في مخرج البلاغة الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله وقال أبو نعيم في الحليسة حدثنا أبي حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن أبي اسحق عن عاصم ابن حمزة عن علي رضي الله عنه قال الان الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخيص لهم في معصية الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره ولا يخبر في عبادة لا علم فيها ولا يخبر في علم لا فهم فيه ولا يخبر في قراءة لا تدبر فيها (ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس) من روح الله (وفيمن غلب عليه الخوف) وأفرط عليه حتى أخرجه الى القنوط من رحمة الله (اقتداء بكتاب الله) عز وجل (وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء) كما ورد ذلك في الخبر وذلك (بحسب الحاجة) والاضطرار (استعمال الطيب الحاذق) الذي يضع الهناء موضع النقب (لا استعمال الاخرق) الجاهل (الذي يظن ان كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار) وهو افتعال من العبرة (والاخر استقرار الآيات والاعخبار والآثار) أي تتبعها (أما الاعتبار فهو) استقرار أول الوجود فانك ترى الوجود من قبة العرش الى منتهى الفرش خيرا كما هو لم يكن فيه من الشر الا ما ينسب الى جنس المكلفين والمكافون في جزء يسير من الارض والارض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا في الآخرة الا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم وهذا ظاهر في الاستقرار لان عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا بل ملك من الملائكة يعدل الخلق أجمع فوجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب ولذلك آثار كثيرة أثبت بها على نفسه فقال الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الاكرم التواب الوهاب العفو الغفور الشكور الصمد المحيى الودود السبر الرزاق اللطيف الرؤف المحسن المنعم المنان الرقيق الهادي مع ما يضاف الى هذا من الرضا والمحبة والذكر والمشي والهرولة وما أشبه هذا فانظر الى آثار هذه الافعال وما ورد من الاخبار في فضائل الاعمال شفاء للآيس وترويح للحائف وترغيب للمعتدل ومن الاعتبار أيضا (ان يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم) الستة عشر (من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان) أي خلقته (حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين) أي كونها على صورة القوس ثم سواهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وجرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينل بفقده غرض مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت (وانما كان يفوت به مزية جمال الصورة) فالعناية الالهية اذالم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وجرمة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينل بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذالم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قدهي له أسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت أبدا مثلاً ولا يحشر أصلاً فليست كراهمهم للعدم الا لان أسباب النعم أغلب لاحالة وانما الذي يتسنى الموت نادو ثم لا يتمناه الا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال أكثر (١٧٤) الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجدها تبديلاً فالغالب ان أمر

نظرا شافيا علم ان أكثر الخلق قدهي له أسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت) ومفارقة لها (وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلاً ولا يحشر أصلاً فليس كراهمهم للعدم) الذي هو الموت (الا لان أسباب النعم أغلب لاحالة وانما الذي يبقى الموت نادراً) قليل (ثم) اذا فرض تخيه فانه (لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة) هجمت عليه ولم يرمها الانفكاك فاختار بطن الارض على ظهرها (فاذا حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجدها تبديلاً) ولن تجدل لسنة الله تحويلاً (فالغالب ان أمر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا) الذي ذكرناه مع ما سبق من غلبة الرحمة (اذا توكل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء) لا يسين (ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة) المطهرة (وسنها في) أحكام (مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة) الطويلة المذكورة (في) سورة (البقرة من أقوى أسباب الرجاء) وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تدابروا فليدعوا الى أجل مسمى فاكتبوه الى قوله والله بما تعملون عليم (فقبيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل بالنسبة الى الآخرة (ورزق الانسان منها قليل) بالاضافة الى رزق سائر الحيوانات (والدين قليل من رزق فأنظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه) في دنياه وعقباه ولفظ القوت وكان بعض الراغبين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقبيل له في ذلك انهم ليس فيها رجاؤه لا ما وجب رجاؤه الاستبشار فقال بل فيها رجاؤه عظيم فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل وهذا الدين من رزقه قليل من قليل ثم ان الله احتاط في ذلك ودقق النظر الى بان وكذا ديني بالشهود والكتاب وأنزل الله فيه أطول آية ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله في في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها

(الفن الثاني استقراء الآيات)

القرآنية (والاخبار) النبوية (فما ورد في الرجاء) من ذلك كثير (خارج عن الحصر) والاضيق ولكن يذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراغبين (أما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) وهذه أرجى آية في القرآن (و) رويناه في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم (وفي المشهورة المتواترة بحذف قال العراقي واه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب (وقال تعالى) محجباً عن الملائكة الحافين حول العرش (والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الارض وأخبر تعالى ان النار أعداء لاعدائهم وانما يخوفهم أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده (قال) تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقي الذي كذب وتولى وقال تعالى في عذوه عن الظالمين (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية (يعني) (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) هكذا أورد صاحب القوت وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيرهم ما من رواية على بن زيد بن جعدان عن

الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا توكل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة وسنها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقبيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فأنظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه (الفن الثاني استقراء الآيات) فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور

سعيد

الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الارض وأخبر تعالى ان النار أعداء

لاعدائهم وانما يخوفهم أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقي الذي كذب وتولى وقال عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم

سعيد بن المسيب قال لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عطاؤه وتجاوز ما نهى
أحد العيش الحديث (و) جاء (في تفسير قوله تعالى) وسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد
صلى الله عليه وسلم (وأحد من أمته في النار) هكذا أورده صاحب القوت والقائل لذلك ابن عباس
رواه الخطيب في تخيص المشابه بسنده عنه ورواه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس بلفظ
من رضا محمدان لا يدخل أحد من أهل بيته النار وراه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير
عنه قال رضاه ان تدخل أمته الجنة كلهم (وكان أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم) يقول أنتم يا أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله
تعالى قوله تعالى وسوف يعطيك ربك فترضى) وعده ربه تعالى ان يرضيه في أمته هكذا أورده صاحب
القوت وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لأبي جعفر
محمد بن علي بن الحسين أرايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال اي والله حدثني
عمي محمد بن الحنفية عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشفع لامني حتى يناديني ربي رضى
يا محمد فأقول نعم يا رب رضى ثم أقبل على فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب
الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قلت اننا نقول كذلك ولما أهل البيت نقول ان أرجى
آية في كتاب الله وسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحباً وقوله تعالى وسعت كل شيء
فدخلت جهنم وغيرها في نوسعة الرحمة من حيث كن شيئاً وقوله تعالى فساد كتبها للذين يتقون معناه
خصوص الرحمة وصفوها لانها اذ لانهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذي لاحدله ولانه لم يخرج عن رحمة
كل شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لان جهنم والنار الكبرى ليس كنه عذابه ولا كنية تعذيبه فن
ظن ذلك فلم يعرفه ولانه انما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار
مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهاراً أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم ان
يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيجه من نهاية ملكه الذي هو قائمه وملكه عن غاية قدرته
وسلطانه وانهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله اظهار ذلك أيضاً عن تعالى صفاته ونهاية معاني أسمائه
المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لانهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد
لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى انه كان حليماً غفوراً وكان الله عليهما حليماً فعملوا ان
المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم فصاروا أعظم علمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره أملاوا
جبل عفوه (وأما الاخبار فقد روى أبو موسى) عبد الله بن قيس الأشعري رضى الله عنه (عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان
يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب فقبل هذا فداؤك من النار) قال صاحب
القوت ورواه في حديث أبي بصير عن أبيه عن أبي موسى وقال العراقي رواه أبو داود دون قوله فاذا كان
يوم القيامة الخ فرأها ابن ماجه من حديث أنس بن مالك ضعيف وهي صحيحة من حديث أبي موسى كما
يأتي في الحديث الذي يليه انتهت قلت لفظ أبي داود أمي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة
انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ورواه كذلك الطبراني والحاكم وروى الحاكم في
السنن من حديث أنس أمي أمة مرحومة مغفولة لها ما تاب عليها وروى الخطيب في المتفق والمفترق
وابن النجار من حديث ابن عباس أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة اذا كان يوم القيامة أعطى
الله كل رجل من أمي رجلاً من أهل الأديان فكان فداءه من النار وفيه عبد الله بن ضار عن أبيه قال

وفي تفسير قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال لا يرضى محمد
وواحد من أمته في النار
وكان أبو جعفر محمد بن
علي يقول أنتم يا أهل العراق
تقولون أرجى آية في كتاب
الله عز وجل قوله قل
يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله الآية ونحن أهل
البيت نقول أرجى آية في
كتاب الله تعالى قوله تعالى
واسوف يعطيك ربك
فترضى * وأما الاخبار
فقد روى أبو موسى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال
أمي أمة مرحومة لا عذاب
عليها في الآخرة عجل الله
عقابها في الدنيا الزلازل
والفتن فاذا كان يوم القيامة
دفع الى كل رجل من أمي
رجل من أهل الكتاب فقبل
هذا فداؤك من النار

ابن معين لا يكتب حديثه (وفي لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة يهودي أو نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فباتي فيها) كذا أو رده صاحب القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فدائك من النار وفي رواية لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً انتهى قلت وفي لفظ لمسلم أعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلاً من الكفار فيقال له هذا فدائك من النار واه هكذا عن أبي بردة عن أبي موسى وفي لفظ للطبراني في الكبير وفي الاوسط والحاكم في الكشي إذا كان يوم القيامة بعث الله الى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هالك هذا الكافر فهذا فدائك من النار وفي لفظ لا حدا إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن الا أتى يهودي أو نصراني حتى يدفع اليه فيقال له هذا فدائك من النار وعند أبي نعيم في الحلية إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم رفع لكل قوم آلهتهم الحديث وفيه فيقال لأهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار وأما الرواية الثانية لمسلم لا يموت رجل الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبراني (وقال صلى الله عليه وسلم الجحيم من فجع جهنم وهي حظ المؤمن من النار) قال العراقي رواه أحمد من رواية أبي صالح الاشعري عن أبي امامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه انتهى قلت ويقال هو الانصاري روى له ابن ماجه في كتاب التفسير له وقد رواه أيضاً الطبراني وابن مردويه وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ولفظ الكل الجحيم كبير من جهنم فإصاب المؤمن منها كان حظ من النار وفي الصحيحين الجحيم من فجع جهنم فأبردوها بالماء وروى الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيباني في الالقاب وابن عساكر من حديث أبي ريمانة الانصاري الجحيم كبير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار وعند ابن الفجار من كبير جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروى الطبراني في الاوسط من حديث أنس الجحيم حظ المؤمن من النار وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان يوم القيامة وروى البزار من حديث عائشة الجحيم حظ كل مؤمن من النار ورواه كذلك القاضي من حديث ابن مسعود زيادة وحي ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة (وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا) الآية (ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم اني أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت خير لهم مني فقال إذا لا تخزيك فيهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله قاتروى أحمد وابن عساكر من حديث حذيفة ان ربي استشارني في أمي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يارب هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى اني لن أخزيك في أمتك يا أحد الحديث (وروى عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحمهم منك لا أجعل حسابهم على غيري لئلا تنظر الى مساوهم أنت ولا غيرك) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس وقال العراقي لم أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم حياتي) أي في الدنيا (خير لكم وموتى خير لكم) ولفظ خير أريد به التفضل لا الافضلية فلا توصل بمن وليست بمعنى الافضل وانما المقصود ان في كل من حياته وموته خير الا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم (أما حياتي فاسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فنا رأيت منها حسناً حدث الله عليه وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم

وفي لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة يهودي أو نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فباتي فيها وقال صلى الله عليه وسلم الجحيم من فجع جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت أرحمهم مني فقال إذا لا تخزيك فيهم وروى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحمهم منك لا أجعل حسابهم على غيري لئلا تنظر الى مساوهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتى خير لكم أما حياتي فاسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فنا رأيت منها حسناً حدث الله عليه وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم

مسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى الله بغير ذنوب لم يزل على الوحي من السماء فأنجزكم بما جعل لكم وما يحرم عليكم وموتى خير لكم تعرض على أعمالكم كل خميس فما كان من حسن جدت الله عليه وما كان من ذنب استوهيت لكم ذنوبكم ورواه الحرث أيضاً مختصراً بالفاظ حياتي خير لكم وماتى خير لكم ورواه كذلك أبو نصر البزنطي في مجمعه وابن النجار وروى ابن سعد في الطبقات عن بكر بن عبد الله المزني مرسل حياتي خير لكم تحذون ويحدث لكم فإذا أنامت كانت وفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حدث الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم (وقال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم العفو وقال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو أن عفان السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وجبريل عليه السلام هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال وهل تدري ما تمام النعمة قال لا قال ودخول الجنة من حديث معاذ بن يزيد والنخاعة من النار وقد تقدم ورواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب والترمذي والبيهقي في في الاسماء بالفاظ يا ابن آدم هل تدري ما تمام النعمة فإن من تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة وفي لفظ للترمذي من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار (قال العلماء قد أتم نعمته برضاه الاسلام لنا اذ قال) ولفظ القوت وقد أخبرنا الله عز وجل انه قد أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة فقال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقد أشركنا في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن زجوا المغفرة لذنوبنا بفضلته تعالى فقال له فترك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك (وفي الخبر إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر يقول الله عز وجل ملائكتنا نظروا الى عبدى أذنب ذنباً فعمل ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له) كذا في التواتر وقال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة أن عبداً أذنب ذنباً فقال أي رب أذنب ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً فقال الحديث انتهى قلت افظ المتفق عليه ان عبداً أصاب ذنباً فقال رب أذنبت فاغفره فقال رب اعلم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت آخر فاغفره لي قال رب اعلم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فيعمل ما شاءه ورواه كذلك أحمد وابن حبان وروى الحاكم من حديث أنس من أذنب ذنباً فاعلم ان له رباً ان شاء أن يغفر له غفر له وان شاء أن يعذبه عذبه كان حقاً على الله ان يغفره ويصحه الحاكم وتعبقه الذهبي فقال كلا والله كيف يكون صحيحاً وفيه جابر بن مرزوق وهو ذكره ورواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر وهذا قد تقدم للمعتمد وروى الطبراني في الصغير والوسط بسند ضعيف حديث ابن مسعود من أذنب ذنباً فعمل ان له ربا يغفر له وان لم يستغفر وهذا أيضاً قد تقدم (وفي الخبر لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرته الله ما استغفر في رجاى) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي ورواه الترمذي من حديث أنس يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن انتهى قلت لفظ الترمذي قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لاتيتك بقرام مغفرة وقال حسن غريب وقد رواه كذلك الضياء في المختارة ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث أبي ذر وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العسر والحكيم وابن حبان في الضعفاء من حديث

وقال صلى الله عليه وسلم
 يوماً يا كريم العفو فقال
 جبريل عليه السلام أتدري
 ما تفسير يا كريم العفو هو
 أن عفان السيئات برحمته
 بدلها حسنات بكرمه فسمع
 النبي صلى الله عليه وسلم
 رجلاً يقول اللهم اني أسألك
 تمام النعمة فقال هل
 تدري ما تمام النعمة قال لا
 قال دخول الجنة قال
 العلماء قد أتم الله علينا نعمته
 برضاه الاسلام لنا اذ قال
 تعالى وأتممت عليكم نعمتي
 ورضيت لكم الاسلام ديناً
 وفي الخبر إذا أذنب العبد
 ذنباً فاستغفر الله يقول الله
 عز وجل ملائكتنا نظروا
 الى عبدى أذنب ذنباً فعمل
 ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ
 بالذنب أشهدكم اني قد
 غفرت له وفي الخبر لو أذنب
 العبد حتى تبلغ ذنوبه
 عنان السماء غفرته الله
 ما استغفر في رجاى

وفي الخبر لولعيني عبدي
بقرب الارض ذنوبا
لعتبه بقرب الارض
مغفرة وفي الحديث
ان الملك ليرفع القلم عن
العبد اذا اذنب ست ساعات
فان تاب واستغفر لم يكتبه
عليه والا كتبها سيئة وفي
لفظ آخر فاذا كتبها عليه
وعمل حسنة قال صاحب
اليمن لصاحب الشمال
وهو أمير عليه ألقى هذه
السيئة حتى ألقى من حسنة
واحدة تضعيف العشر
وأرفع له تسع حسنات
فتلقى عنه السيئة وروى
أنس في حديث انه عليه
الصلوة والسلام قال اذا
أذنب العبد ذنبا كتب
عليه فقال اعرابي وان تاب
عنه قال محي عنه قال فان
عاد قال النبي صلى الله عليه
وسلم يكتب عليه قال
الاعرابي فان تاب قال محي
من صحيفته قال الى متى قال
الى أن يستغفر ويتوب
الى الله عز وجل ان الله
لا يعمل من المغفرة حتى يعمل
العبد من الاستغفار فاذا هم
العبد بحسنة كتبها صاحب
اليمن حسنة قبل أن يعملها
فان عملها كتبت عشر
حسنات ثم يضاعفها الله
سبعائة وتعالى الى سبعائة
ضعف واذا هم بخطيئة لم
تكتب عليه فاذا عملها
كتبت خطيئة واحدة
ووراءها حسن عفو الله

أنس ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرتني (وفي الخبر لولعيني عبدي بقرب الارض ذنوبا لعتبه بقرب الارض مغفرة) ما لم يشرك في شيء كذا لفظ القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي ذر ومن لعيني بقرب الارض خطيئة لا يشرك في شيء لعتبه بمثلها مغفرة ولترمذي من حديث أنس الذي قبله يا ابن آدم لولعيني الحديث انتهى قلت لفظا حديث مسلم يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد من عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قرب الارض خطيئة ثم لعيني لا يشرك في شيء جعلت له مثلها مغفرة الحديث ورواه كذلك أحمد وابن ماجه وأبو عوانة وفي لفظ للطيالسي قال ربكم عز وجل الحسنات بعشر والسبتة نواحدة أو أغفرها ومن لعيني بقرب الارض خطيئة لا يشرك في شيء لعتبه بقرب الارض مغفرة الحديث وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء قال الله عز وجل يا ابن آدم مهما عبتني ورجوتني ولم تشرك في شيء غفرت لك على ما كان فيك وان استقبلتني على السماء والارض خطايا وذنوبا استقبلتك بعلمن من المغفرة وأغفرت لك ولا بأبالي ورواه كذلك الشيرازي في الاقواب (وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسنة واحدة من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فبقي عنه هذه السيئة) هكذا أورده صاحب القوت وزاد ويقال ان الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمن من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه أمره عليه فاذا عمل العبد الحسنات فرح به ملك اليمن ويقال فرح بها الملك لا تسكت فيكتب للعبد بفرحهم الحسنات انتهى وقال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الاول ورواه أيضا أطول منه وفيه ان صاحب اليمن أمير على صاحب الشمال وليس فيه انه يأمر صاحب الشمال بالبقاء السيئة حتى يلقى من حسنة واحدة ولم أجده ذلك أصلا (وروى أنس) رضي الله عنه (في حديث طويل انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي) كان حاضر المجلس (فان تاب عنه قال) صلى الله عليه وسلم (محى عنه) من صحيفته (قال) الاعرابي (فان عاد) الى الذنب (قال صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال) صلى الله عليه وسلم (محى من صحيفته قال) الاعرابي (الى متى) يا رسول الله (قال) صلى الله عليه وسلم (الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يعمل من المغفرة حتى يعمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمن حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعائة ضعف فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه الزبيري والبيهقي في الشعب بلفظ جابر جل فقال يا رسول الله اني أذنبت قال استغفر ربك قال فاستغفر ربك ثم أعود قال فاذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعا قال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور وفيه أبو بدر بشار بن الحكم المصري منكر الحديث وروى الطبراني والبيهقي فيه أيضا من حديث عقبة بن عامر أحدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه هو يتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه ولا يعمل حتى تغلوا واسناده حسن ورواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف وسمى الرجل السائل حبيب بن الحرث وليس في الحديثين قوله في آخره فاذا هم العبد بحسنة الخ وفي الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فيهم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعائة ضعف الى أضعاف كثيرة فان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في روايه أو يحاها الله ولا يهلك على الله الا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة انتهى قلت حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لأصوم الا الشهر لأزید عليه ولا أمة الا الخس لأزید عليها

(١٧٩)

وليس لله في مالي صدقة ولا ج ولا تطوع أن أأذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي اذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وأن تزدرى به ما سلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا لا كريم اذا قدر عفا وفي لفظ تجاوز (واذا حسب صاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وفيه أيضا) أى في حديث أنس المذكور (ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولوان عبدا هدمها حرام اجرانم أحرقتها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) هكذا هو في القوت (وفي بعض الاخبار) ولفظ القوت وفي الخبر المنفرد (المؤمن أفضل من الكعبة) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده حرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وان تظن به الاخير او شيخه نصر بن محمد بن سليمان الخصى ضعفه أبو حاتم ورفعه ابن حبان وقد تقدم انتهى قلت لفظ ابن ماجه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بطوف بالكعبة وهو يقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الاخير والابن أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وعند البيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه وفيه حفص بن عبد الرحمن وقال صاحب القوت وفي الخبر المشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الاخبار انه صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وأعظمك وللمؤمن أعظم درجة عند الله منك (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن طيب طاهر) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا يخس (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن أكرم على الله من الملائكة) قال العراقي رواه ابن ماجه من رواية ابى المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى قلت ونحو هذا الحديث قول عمر بن العاص ليس شئ أكرم على الله من ابن آدم قلت الملائكة قال أولئك كمنزلة الشمس والقمر أولئك مجبورون أخرجه البيهقي وقال ان الصحيح وقصمورفعه بعضهم وهو ضعيف وروى ابن النجار عن حكامه حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه المؤمن أكرم على الله من الملائكة القربين (وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمة سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة) كذا في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا هكذا وبغنى طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمة سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة

وفي خبر آخر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليرجعوا علي ولم أخلقهم لارجع عليهم وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رجليه تغلب غضبه وفي الخبر المشهور أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رجتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك (رضي الله عنهما) أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان هذه أربعة أحاديث ساقها جله واحدة تبعها صاحب القوت أما الحديث الأول فقال العراقي رواه الطبراني في الدعاء بلفظ من شهد من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى قلت ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وجبت له الجنة وروى النسائي والطبراني في الأوساع من حديث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه كذلك من حديث عمر ورواه تمام في فوائده من رواية جابر عن عمر وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحديث الثاني فقال العراقي رواه أبو داود والحاكم ومجمعه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري وأما الحديث الثالث فقال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال ما عدا ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا حرم الله على النار وفي رواية من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أنما حديث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أني رسول الله لا يليق الله عبد مؤمن به ما لا يحب عن النار يوم القيامة انتهى قلت حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحرث بن عبد المطلب معا ولفظهم من لم يقل لا اله الا الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ أبي الدرداء معا وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر من لم يقل لا اله الا الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لا يشرك به شيئاً دخل النار وأما الحديث الرابع فقال العراقي رواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء من شهد أن لا اله الا الله حرم الله على النار وفيه انقطاع عنه من حديث عثمان بن عفان اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه الا حرم الله على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الاخلاص واسنادها صحيح ولكن هذا ونحوه يخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالسفاعة نعم لا يبق في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل إيمان (وفي خبر آخر لوعلم الكافر رجة الله ما أنس من الجنة أحد) ولفظ القوت من رجنه بدل من جنته قال العراقي متفق عليهم حديث أبي هريرة (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انزلناه

عنهم واه البخاري من حديث أبي هريرة بحبر بنان قوم يجاءهم الى الجنة بالسلاسل (وفي خبر آخر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليرجعوا علي ولم أخلقهم لارجع عليهم) كذا في القوت وقال العراقي لم أقفله على أصل قلت ولفظ التشير في الرسالة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام قل لهم اني لم أخلقهم لارجع عليهم وإنما خلقتهم ليرجعوا علي انتهى فظهر انه خبر اسرائيلي (وفي حديث أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) انه قال (ما خلق الله شيئاً الا جعل له ما يغلبه وجعل رجليه تغلب غضبه) أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد وقال العراقي رواه أبو الشيخ في الثواب وفيه عبد الرحيم بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب الميزان ليس بواه ولا هو بحج هول انتهى قلت لفظ أبي الشيخ ما خلق الله من شيء الا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رجليه تغلب غضبه ورواه كذلك الحاكم ومجمعه وتعب (وفي الخبر المشهور أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رجتي تغلب غضبي) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وفي لفظ لابن ماجه أن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه ان رجتي تغلب غضبي وقد تقدم (وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك) رضي الله عنهما (أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان) هذه أربعة أحاديث ساقها جله واحدة تبعها صاحب القوت أما الحديث الأول فقال العراقي رواه الطبراني في الدعاء بلفظ من شهد من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى قلت ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وجبت له الجنة وروى النسائي والطبراني في الأوساع من حديث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه كذلك من حديث عمر ورواه تمام في فوائده من رواية جابر عن عمر وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحديث الثاني فقال العراقي رواه أبو داود والحاكم ومجمعه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري وأما الحديث الثالث فقال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال ما عدا ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا حرم الله على النار وفي رواية من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أنما حديث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أني رسول الله لا يليق الله عبد مؤمن به ما لا يحب عن النار يوم القيامة انتهى قلت حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحرث بن عبد المطلب معا ولفظهم من لم يقل لا اله الا الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ أبي الدرداء معا وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر من لم يقل لا اله الا الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لا يشرك به شيئاً دخل النار وأما الحديث الرابع فقال العراقي رواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء من شهد أن لا اله الا الله حرم الله على النار وفيه انقطاع عنه من حديث عثمان بن عفان اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه الا حرم الله على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الاخلاص واسنادها صحيح ولكن هذا ونحوه يخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالسفاعة نعم لا يبق في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل إيمان (وفي خبر آخر لوعلم الكافر رجة الله ما أنس من الجنة أحد) ولفظ القوت من رجنه بدل من جنته قال العراقي متفق عليهم حديث أبي هريرة (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انزلناه

الساعة شئ عظيم قال أندرون أي يوم هذا (يوم يقال) فيه (لا آدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول) آدم (كم فيقال) له (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال) الراوي (فابلس القوم) أي وقعوا في حيرة (وجعلوا ليكون وتعطوا يومهم) ذلك (عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون) وتصنعون (فقالوا) ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بماذا فقال كم أنتم في الأمم أين بابل) بالبصرة الواحدة وفي بعض النسخ بالثمة الفوقية (وتاريس) بالفوقية وآخرون مهملة وتبت (ومنسك وبأجوج وما أجوج) وهو لاء كلهم من أولاد آدم (أم لا يحصوها إلا الله تعالى) ولكل هؤلاء بقية إلى يوم القيامة في مشارق الشمس كما أن بأجوج وما أجوج في مغاربها (انما أنتم في سائر الأمم كالشعر البياض في جلد الثور الأسود وكالرقة في ذراع الدابة) هكذا هو في سباق القوت والرقة الشبيهة قال العراقي رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال حسن صحيح قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد أنه قلت ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران ولما ظهروا كظم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بهاتين الآيتين يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم إلى قوله ولكن عذاب الله شديد فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المظلي وعرفوا أنه عنده قول يقول فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا لا والله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث بعث النار فيقول أي رب ما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فتعبس القوم حتى ما أبدوا بضاخة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بأصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده أنتم في النار وواحد إلى الجنة فأنشأ المسلمون يقولون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قروا وسددوا فأنهم لم تكن نبوة قط إلا كان جاهلية في وجهه العدة من الجاهلية فان تحت والا أكلت من المنافقين وما مثلكم إلا مثل الرقة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجوا ان تكونوا رباع أهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وقال لا أدري قال الثلثة بن أم لا ورواه كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حنبل والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه وقدرى عن الحسن البصري أيضا رسلا قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل من غزوة العسيرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم فذكر نحوه حديث عمران إلا أنه زاد فيه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فتر من الجاهلية فهم أهل النار وأنكم بين ظهراني خلقين لا يعادها أحد من أهل الأرض إلا كثر وهم بأجوج وما أجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه في الصحيحين يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك بنا وسعديك فيقول ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا إلى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغار وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فسق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فماذا ذلك

الساعة شئ عظيم قال
أندرون أي يوم هذا
هذا يوم يقال لا آدم
عليه الصلاة والسلام
قم فابعث بعث النار من
ذريتك فيقول كم فيقال
من كل ألف تسعمائة
وتسعة وتسعون إلى النار
وواحد إلى الجنة قال فابلس
القوم وجعلوا ليكون
ونعطوا يومهم عن الاشتغال
والعمل فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل
بعد ما حدثتنا بماذا فقال
كم أنتم في الأمم أين بابل
وتاريس ومنسك وبأجوج
وما أجوج أم لا يحصوها إلا
الله تعالى انما أنتم في سائر
الأمم كالشعر البياض في
جلد الثور الأسود
وكالرقة في ذراع الدابة

الواحد فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد وهل أنتم في الامم الا كالشجرة البيضاء في الثور الاسود
أو كالشجرة السوداء في الثور الابيض وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي
في الاسماء والصفات وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسى أما حديث أنس فرواه عبد الرزاق وعبد بن
حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه نزلت يا أيها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في مسيرته فرفع بها صوته حتى ناب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لا آدم يا آدم
فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سددوا قلوبا وبشروا وبشر واو الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع
الدابة وان معكم خليفتين ما كانتا في شيء قط الا أكثرناه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفره الجن
والانس وأما حديث ابن عباس فرواه الزوارق وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم
فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول
ربكم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار واحدا الى الجنة ثم قال اعملوا وابشروا فاشق
ذلك على القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا شطر أهل الجنة ثم قال اعملوا وابشروا
فانكم بين خليفتين لم تكونا مع أحدا الا أكثرناه يأجوج ومأجوج وانما أنتم في الامم كالشامة في جنب
البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة وانما أمي جزء من ألف جزء ورواه ابن مردويه من طريق السكبي عن أبي
صالح عنه بلفظ بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق اذ أنزل الله عليه يا أيها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله شديد فلما أنزلت عليه وقف على ناقته ثم رفع به صوته
فتلاها على أصحابه فقال لهم تعلمون أن ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لا آدم ابعث
بعث النار من ولدك فيقول يارب من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار واحدا
الى الجنة فسكى المساكين بكاء شديدا ودخل عليهم أمر شديد فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الامم
الا كالشجرة البيضاء في الشاة السوداء وانى لارجو ان تكونوا نصف أهل الجنة بل ارجو ان تكونوا
ثلثي أهل الجنة وأما حديث أبي موسى فهو نحو من حديث ابن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير
(فانظر كيف كان) صلى الله عليه وسلم (يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجا الى الله تعالى
اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى حد افراط اليأس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخر لم يكن منافضا للاول ولكن ذكر في الاول مارآه سبيل الشفاء
واقصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدى
بسيد الوعاظ) صلى الله عليه وسلم (فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة) اليها (بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه) قال صاحب القوت مقام
الرجاء هو جند من جنود الله تعالى يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين
وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمن معاملته النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها
عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك ويوحشها اذ جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل
الرجاء في الاحوال مثل العوائق والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجمع همه عندهما
ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما قبل عن الله تعالى ان من عبادي ما لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته
لافسده ذلك ومن عبادي ما لا يصلحه الا العسرة ولو اسقمته لافسده ذلك انى أدبر عبادي بعلى انى بهم علم
خير فكذلك من عبادي من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجوده وحسن

فانظر كيف كان يسوق
الخلق بسياط الخوف
ويقودهم بازمة الرجا الى
الله تعالى اذ ساقهم بسياط
الخوف أولا فلما خرج ذلك
بهم عن حد الاعتدال الى
افراط اليأس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال
والقصد والاخر لم يكن
منافضا للاول ولكن ذكر
في الاول مارآه سبيل الشفاء
واقصر عليه فلما احتاجوا
الى المعالجة بالرجاء ذكر
تمام الامر فعلى الواعظ ان
يقتدى بسيد الوعاظ
فيتلطف في استعمال أخبار
الخوف والرجاء بحسب
الحاجة بعد ملاحظة العلل
الباطنة وان لم يراع ذلك
كان ما يفسد بوعظه أكثر
مما يصلحه

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مِصْطَفَى أَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ أَنَّ فِي دِينِنَا (١٨٥) سُبْحَانَهُ وَيُدَلُّ عَلَى مَعْنَاهُ اسْتِغْبَاةُ اللَّهِ تَعَالَى

للمؤمنين في قولهم ولا
تحمل علينا الصرا وقال تعالى
واضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم
وروى محمد بن الحنفية عن
علي رضي الله تعالى عنهما
انه قال لما نزل قوله تعالى
فاصفح الصفع الجبل قال
يا جبريل وما الصفع الجبل
قال عليه السلام اذا عفوت
عن ظالمك فلا تعاتبه فقال
يا جبريل فالته تعالى أكرم
من ان يعاتب من عفا عنه
فبكى جبريل وبكى النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث الله
تعالى اليهما ميكائيل عليه
السلام وقال ان ربكما
يقربكما السلام ويقول
كيف أعاتب من عفوت عنه
هذا ما لا يشبه كرمي
* والاحبار الواردة في أسباب
الرجاء أكثر من ان تحصى
* (وأما الآثار) * فقد
قال علي كرم الله وجهه من
أذنب ذنباً فسره الله عليه
في الدنيا فالته أكرم أن
يكشف ستره في الآخرة
ومن أذنب ذنباً فعوقب
عليه في الدنيا فالته تعالى
أعدل من أن يثني عقوبته
على عبده في الآخرة وقال
الثوري ما أحب أن يجعل
حسابي إلى أبوي لاني أعلم
ان الله تعالى أرحم بي منهما
وقال بعض السلف المؤمن
اذا عصى الله تعالى سره عن
أبصار الملائكة كيلا تراه
عبي إلى أسود بن سالم بخطه

ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو يقول ياربى حجت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة ياربى قال الله تعالى حتى متى تخججون عنى صوت عبدى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له وقال ابراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلالي الطواف ليلة وكانت ليلة مظلمة فوفقت في الملتزم عند الباب فقلت ياربى اعصمى حتى لأعصيك أبدا فنهتني هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل وان أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه بالذنوب وقال الجنيد رحمة الله تعالى ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالحسنين ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخزقه كساء هذا من الفرح فى حديث ربيع بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين

والمكتوب اليه هو الاسود بن سالم والذي فى القوت وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الى اسود بن سالم يخاطبه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو يقول ياربى فاذا قال ياربى حجت الملائكة صوته وكذا (الثانية) ياربى حجت الملائكة صوته (و) كذا اذا قال المرة (الثالثة) ياربى حجت الملائكة صوته (حتى اذا قال) المرة (الرابعة ياربى قال) ولفظ القوت يقول (الله تعالى حتى متى تخججون صوت عبدى عنى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له) أو رده صاحب القوت ويشهد له الخبر الذى تقدم قريبا اذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله للملائكة انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له رب يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم انى قد غفرت له (وقال) أبو اسحق (ابراهيم بن آدم) رحمة الله تعالى (خلالي الطواف) ذات (ليلة مظلمة مظلمة فوفقت في الملتزم عند الباب فقلت ياربى اعصمى حتى لأعصيك أبدا فنهتني هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر) أى ان وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولا بد ان يخلق مقتضى وصفه حتى بحق وصفه عليه هذا كما يقول فى علم المغفرة ان له سبحانه من كل اسم وصفه ومن كل وصف فعلا وفى هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص ثم هذا الذى ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت ولفظ القشبرى فى الرسالة ويحكى عن ابراهيم بن آدم رضى الله عنه انه قال كنت أنظر مدة من الزمان ان يخلو المطاف لى فكانت ليلة بهم طر شديدا فدخل المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول اللهم اعصمى عنى اللهم اعصمى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن آدم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فاذا عصمتكم فلان أرحم انتهى وفى ذلك دلالة على انه سبق فى علمه انه لا بد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمة عصمة الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال الله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وأراد بما ذكر أن نبيه ابن آدم على ان لا يسأله ما ليس له به علم كفى قصة نوح عليه السلام اذ سأل العبد العصمة عما لا علم به فقد يكون فى معلومه انه ممن يعصى فسأله المغفرة أولى به وأقرب للعبودية ويجوز أن يسأل العبد به ان يحفظه وبصوته عن سائر المعاصي وأما العصمة فمن خصائص الانبياء وقد اختلف فى جواز سؤال الغيرهم فقائل بالمانع وقائل بالجواز كما أوردناه فى شرح الحزب الكبير لآبى الحسن الشاذلى فليراجع (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه بالذنوب) نقله صاحب القوت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالحسنين) نقله صاحب القوت (و) روى انه (لنى) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى (أبانا) وهو ابن أبي عبيد الله المتقدم ذكره فريه او كان أبان عن يحدث العامة باحاديث الرجاء والرخص (فقال له كم تحدث الناس بالرخص) ولا تخوفهم (فقال يا أبا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخزقه كساء هذا من الفرح) نقله صاحب القوت (وفى حديث ربيع) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وباء النسبة (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة وآخوه شين مجتمعة هو ابن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عباس العيسى أبو صريم الكوفى (عن أخيه) مسعود بن حراش قال ابن المدينى بنو حراش ثلاثة ربيع وريبع ومسعود ولم يرو عن مسعود شئ الا كلامه بعبد الموت (وكان ربيع من خيار التابعين) قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجانية وقال العجلي تابعى ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط كان له ابنان عاصيان على الحاج فقبل للحجاج ان أباهما لم يكذب كذبة قط وأرسلت اليه فسأله عنهما فأرسل اليه فقال أين ابناك قال هما فى البيت فقال قد عفونا عنهما بمصدق قلن وى ان ربيعا آلى ان لا يضحك حتى يعلم أين صيره فبما ضحك الا بعد موته وآلى أخوه ربيع بعده ان لا يضحك حتى يعلم أين الجنة هو وفى النار قال غاسله فلم يزل مستمعا على سريره ونحن نفسله حتى فرغنا قال أبو نعيم وغير

وهو من تكلم بعد الموت قال للمامات أحيى سحبي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى فاعدا وقال اني اقبلت ربي عز وجل خياني بروح وريحان ورو غير غضبان واني رأيت الامراء يسر مما تظنون فلا تفتروا وان محمد اصلي الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصة وقت في طست فحملناه ودفعناه وفي الحديث أن رجلين من بنى اسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظمه ويزجره فكان (١٨٧) يقول دعنى وروى أبعتت على رقيبنا

حتى رأه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أبتطيع أحد أن يحظر رحتى على عبادى اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكامة أهلكت ديناه وآخرته وروى أيضا ان لصا كان يقطع الطريق في بنى اسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحوارين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو زلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول في نفسه مثلى لا تمشى الى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا تمشى الى جانبي فضم نفسه ومشى الى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستا نفا

واحد مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ثمان مائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب روى له الجماعة (وهو) أى أخوه وهو مسعود (من تكلم بعد الموت) على الصحيح كما تقدم عن ابن المدينى ولكن روى البيهقي باسناداه في الدلائل عن ربيع ان المتكلم بعد الموت أخوه الربيع (قال) ربيع (المامات أحيى مسعود وألربيع سحبي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى فاعدا وقال اني اقبلت ربي عز وجل خياني بروح وريحان ورو غير غضبان واني رأيت الامراء يسر مما تظنون فلا تفتروا) أى لا تكسلوا وفي بعض النسخ ولا تغتروا من الاغترار (ان محمد اصلي الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال) ربيع (ثم طرح نفسه فكانها كانت حصة وقت في طست فحملناه ودفعناه) كذا هو في سياق القوت (وفي الحديث ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه) أى بالمعاصي (وكان الآخر عابدا وكان) هذا العابد (يعظمه ويزجره) وينهاه (فكان يقول دعنى وروى أبعتت على رقيبنا) أى ترأب أحوالى وأعمالى (حتى رأه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أبتطيع أحد أن يحظر رحتى على عبادى) ولفظ القوت أبتطيع ان تحظر رحتى على عبادى (اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أنت فقد أوجبت لك النار قال) صلى الله عليه وسلم (فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكامة أهلكت ديناه وآخرته) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد جيد اه قلت لفظا أبى داود كان رجلا في بنى اسرائيل متواخيا وكان أحدهما مذنبا والآخر مجتهدا في العبادة وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خاني وروى أبعتت على رقيبنا فقال والله لا يغفر الله لك أولا يدخلك الله الجنة فقبض روحهما فاجتمع عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت في عالمنا أو كنت على ما في يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار وهكذا رواه أحمد أيضا (و روى أيضا) في معناه (ان لصا كان يقطع الطريق في بنى اسرائيل أربعين سنة فرأى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل) من الحوارين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو زلت فكنت معهما ثالثا قال (فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول في نفسه مثلى لا تمشى الى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا تمشى الى جانبي) قال (فضم نفسه ومشى) وتقدم (الى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه) قال (فأوحى الله الى عيسى عليه السلام قل لهما ليستا نفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت عمله وحسناته ليجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سياسته بما ازدرى على نفسه) قال (فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه) هكذا نقله صاحب القوت (و روى عن) أبي عائشة (مسروق) بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين وستين (ان نبيا من الانبياء) من بنى اسرائيل (كان) يوما (ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة) جمع العاتى وهو المتمرّد (حتى التزق الحصى بجهته) من شدة وطأته (قال فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبا

العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته ليجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سياسته بما ازدرى على نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة حتى ألزق الحصى بجهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا

وقال بكر بن سليم الصواف

دخلنا على مالك بن أنس في
العشية التي قبض فيها فقلنا
يا أبا عبد الله كيف تجدك
قال لا أدري ما أقول لكم إلا
انكم ستعاينون من عفو الله
مالم يكن لكم في حساب ثم
ما برحنا حتى أغمضناه وقال
يحيى بن معاذ في مناجاته
يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي إليك مع الأعمال
لاني اعتمد في الأعمال على
الاخلاص وكيف أحرزها
وأنا بالآفة معروف
وأجدي في الذنوب أعتمد
على عفوكم وكيف لا تغفروا
وأنت بالجوهر موصوف
وقيل ان مجوسيا استضاف
إبراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام فقال ان أسلمت
أضفتك فرأى المجوسي فأوحى
الله تعالى إليه يا إبراهيم لم
نطعمه الا بتغير دينه ونحن
من سبعين سنة نطعمه على
كفره فلو أضفته ليله ماذا
كان عليك فرأى إبراهيم يسى
خلف المجوسي فبرده
وأضافه فقال له المجوسي ما
السبب فيما بدالك فذكر
له فقال له المجوسي أهكذا
يعاملني ثم قال اعرض على
الاسلام فأسلم ورأى
الاستاذ أوسهل الصعلوكي
أبا سهل الزجاجة في المنام
وكان يقول بوعيد الابد
فقال له كيف حالك فقال
وجدنا الأمر أهون مما
توهمنا

حديث أبي هريرة عند مسلم فقد روى البخاري في الادب المفرد من حديث أبي سعيد روى ابن أبي شيبة
والشحنان والنسائي من حديث أنس اذا دعا أحدكم فليعزم المسئلة في الدعاء ولا يقل اللهم ان شئت فأعطني
فان الله لا مستكره له وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فانه لا يتعاطم
على الله شيء وروى الطبراني من حديث العرياض اذا سألت الله تعالى فسلوه الفردوس فانه سرا الجنة
وروى ابن حبان من حديث عائشة اذا سألت أحدكم فليكثر فاما يسأل به وروى عبد بن حميد في تفسيره
والطبراني والحاكم ومحمد بن عتيق وابن مردويه من حديث أبي امامة سلوا الله الفردوس فانها سر الجنة
الحديث (وقال بكر بن سليم الصواف) أبو سليمان الطائفي سكن المدينة مقبول روى له البخاري في
الادب المفرد وابن ماجه (دخلنا على) أبي عبد الله (مالك بن أنس) الامام رضى الله عنه (في الغيبة
التي قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم) أي بما رأيت الا من اكرام
الله في ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت ان أعبر عنه بلساني (الانكم ستعاينون
من عفو الله مالم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا) من مكاننا (حتى أغمضناه) هكذا هو في القوت وهو في
كتاب حصن القان بالله لا يكره من أبي الدنيا من طريقه أخرجه القشيري في الرسالة فقال وسمعه يعني أبا
عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أبو العباس البغدادي حدثنا الحسن بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا قال
حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن أنس فسأله (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه
الله تعالى (في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إليك مع الأعمال لاني أعبد) هكذا في النسخ
ولفظ الرسالة لاني أجدي في اعتمد (في الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها) أي احفظها من الآفة (وأنا
بالآفة) من الزبالة والحب والكبر وغيرها (معروف وأجدي في الذنوب أعتمد على عفوكم وكيف لا تغفروا
وأنت بالجود موصوف) هكذا أورده القشيري في الرسالة (وقيل ان مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه
السلام) أي طلب منه ان يضيفه (فقال له ان) (أسلمت استضفتك) كذا في النسخ والاولى أضفتك كما
هو نص الرسالة (فرأى المجوسي) أي جازمه وهو يقول اذا أسلمت أي مئة تكون لك على (فأوحى الله تعالى
إليه يا إبراهيم لم نطعمه الا بتغير دينه ونحن) من منذ (سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته
ليلة ماذا كان عليك) من الخرج (فرأى إبراهيم) عليه السلام (يسى خلف المجوسي فرده) وأضافه فقال له
المجوسي ما السبب فيما (أى في الذي) (بدالك فذكر له) (فقال له المجوسي أهكذا يعاملني) وفي رواية ثم
الرب يعاتب نبيه في عدوه (ثم قال اعرض على الاسلام) فعرض عليه (فأسلم) وجهه تعلق هذا بالزبالة
انه تعالى يجعل الاسباب الضعيفة مقبولة لغفران الذنوب العظيمة فاذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من
جلب نفع أو دفع ضرر وفيما ذكره إشارة الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لاعدائه وبسط
رحمته للدينونة ثم الكافر والمسلم بخلاف الآخر به كما قال تعالى وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة
عند ربك للمنتقين ولما رأى المجوسي فضل الله تعالى عليه في معاقبته نبيه لاجل عدوه وشكر ذلك جازاه بتوفيقه
للاسلام (و) قال القشيري في الرسالة سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول (رأى الاستاذ
أوسهل) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هرون بن موسى بن عيسى العجلي (الصعلوكي) يفتح الصاد
وسكون العين المهملة (النيسابوري) امام الشافعية في عصره تفقه على أبي علي النقي بنيسابور وروى
عن أبي بكر بن خزيمة وأبي العباس السراج وعبد الرحمن بن أبي حاتم وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو حنيفة
عمر بن أحمد بن مسرور والزهدي وفوفى سنة ٣٩٦ عن ثلاث وسبعين بنيسابور (أبا سهل الزجاجة) في المنام
وكان يقول بوعيد الابد أي يعتقد بان الله تعالى اذا تواعد على معصية يعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه
عن شرطه فان ذلك يغفره اذا شاء كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال له
كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون) وفي رواية أسهل (فما توهمنا) يحتمل أن يكون الله غفرا له اعتقاده

ورأى بعضهم أباسهل الصلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا ستاذم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى وحكى ان أبابعباس بن
سريع رحمه الله تعالى رأى فى مرض موته فى منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار ساجده يقول ابن العلماء قال فماذا ثم قال ماذا علمت
فما علمت قال فقلنا يا رب قصرنا وأساءنا (١٩٠) قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس فى

المذكور لغفلته عن شرطه ويحتمل انه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله فلما رآه في المنام وسأله عن حاله أخبره بما ذكر (ورأي بعضهم أباسهل الصلوة في المنام) ولغفال السائل سمعت أبا بكر من أشكيب يقول رأيت أباسهل الصلوة في المنام (على هيئة حسنة لا توصف فقال له لم تلت هذا فقال بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي) مرتين هكذا أوردته القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب (وحكى أن أبا العباس) أحمد بن عمر (بن سريج) بسين مضمومة وآخره جيم البغدادى أحد أئمة الشافعية (رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول أين العلماء قال فماذا ثم قال ماذا علمتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا وأساءنا ذال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في محبتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونك) وذلك قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم) ومات بعد ذلك بثلاث ليل (حكاه القشيري في الرسالة وفيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالأية التي أشار إليها في بشرى عظيمة لابن سريج وهو انه مغفوره وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا الغفرة) (وقيل كان رجل شريب) أى كثير الشرب للخمر (جمع قوما من ندمائه) أى جماعة ممن ينادمونه في الشرب (ودفع الى غلامه) وكان صالحا ينكر عليه ذلك (أربعة دراهم وأمره ان يشتري بها) شيئا من القواكه للمجلس) أى لاهل مجلسه (فمر الغلام بياض المجلس) الشيخ أبي السري (منصور بن عمار) الواعظ أصله من مرو وأقام بالبصرة فكان من المذكورين ترجمه القشيري في الرسالة (وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع اليه الغلام الدراهم) لانه رأى ان هذا أولى مما أمر به سيده وهان عليه مشقة الضرب بالمال من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد وظن منصور انه مالك الدراهم (فقال) له (منصور ما الذي تريد) منى (أن أدعوك) به (فقال لى سيدي أن يردان أنخلص منه) بالعق لاخلص مما يدخلني فيه مما لا أحبه (فدعا) له (منصور) بذلك (وقال ما) الدعاء (الآخر فقال ان يخلف) الله (على دراهمي) التي دفعها للفقير وأردها الى سيدي وأقول لا أعصى ما أمرتني به (فدعا) له بذلك (ثم قال) له (ما) الدعاء (الآخر فقال ان يتوب الله على سيدي) بأن يوفقه للتوبة مما هو مرتكبها لاسترجع من ضرره بالسكبة (فدعا) بذلك (ثم قال وما الآخر فقال ان يغفر الله لى وليسيدي ولك وللقوم) أى جلسائه (فدعا منصور) بذلك (فرجع الغلام) الى سيده (فقال له سيده لم ابطأت فقص عليه القصة) فان فيه صدقوا وتحسن فعله (فقال يوم دعا قال سألت لنفسى العتق) فدعا لى به (قال اذهب فانت حر) لوجه الله تعالى (قال وايش) المدعوبه (الثاني) أى أى شئ هو (قال أن يخلف الله على الدراهم) لاردها لك (قال لك أربعة آلاف درهم قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال ثبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لى ولك وللقوم وللمذكور) أى الواعظ وهو منصور (قال هذا الواحد ليس الى) بل الى الله تعالى (فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأنه قائلا يقول) له (أنت فعلت ما كان اليك أقترى لى أن أفعل ما لى قد غفرت لك وللغلام وللمصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أوردته هكذا القشيري في الرسالة وفيه دلالة على انه تعالى أكرم الأكرمين وانه يجازى بالخير الكثير على العمل اليسير وهو وضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام مات كرم باليسير غفر الله له ولغلامه ولمن كان سببا في ذلك (وروى عن) أبي محمد (عبد الوهاب بن عبد المجيد) بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص

عليك قال ثبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولكم والقوم ولا مذكر قال هذا الواحد ليس (التقني)
الى فلما بان تلك الدبلة رأى في المنام كان قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان اليك افترى افي لا افعل ما الى قد غفرت لك وللغلام وللغلام وللغلام
جاء والقوم الحاضرين أجمعين وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد

الجنان وما فيها من الاوصاف الحسان وهذه مواجهاة أصحاب اليمين وان كان اقيم مقام مخاوف الصفات
عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج ويطش القدرة
وحكم الكبر والخبرية رفع من حيث هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجام من معاني الاخلاق والاسماء
الكرام والاحسان والفضل والعطف واللاطف والامتنان وليس يصلح ان نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل
الرجاء في مقامات الرجاء من قبل انه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد الفساد فليس يصلح
الاختصاص ولا يجذب ولا يستجيب له من المحبين ولا يحبه الا بعد نصع القلب من الخافة فالؤمن بين الخوف
والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
لا اعتدلا للمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام
مشاهدة الصفات المخوفة والاخلق المرجوة والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام
وتفاوت الاقسام من ذلك انه تعالى أنعم على الخلق بفضله عن كرمه اختيار الاجبار فلما أعلمهم ذلك رجوا
تمام النعمة من حيث ابتداءها ومن ههنا طمع الصخرة في المغفرة لما ابتدؤا بالامان فقالوا انما طمع ان
يعفرت لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو بان يعفرت
لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فليس من عودها عليه
فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابر بن علمه
الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل طبقة
طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن ههنا رجاءهم لانفسهم وغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم
فرجوا ان يتم عليهم نعمته وان لا يسلبهم بفضل ما به بدأهم ومنهم من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع
خوفهم عليه وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من
يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومن الناس من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذا ان الحكمان أو جبار جاءهم الثاني
للمشرك اذ ارأوه فلم يقطعوا الظاهر أيضا وخوف هذا الرجاء مخوفان ان يموت على تلك الحالة وان كان ذلك
هو حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الاربعه وزن خوفه ورجاه معا فاعتدل حاله بذلك الاعتدال
ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر وركل الى علام غيوب السرائر ولم يقطع على عبده بظاهره من الشر بل يرجو
له ما يظن عند الله من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف ان يكون قد استسر عند الله باطن
شر الان حال التمام ان يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم مأمورون
بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه
تصير الامور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم اعرفتهم بصفتها ووقعوا الملام عليها ولا يحتجون لها
لباطن الاشفاق منهم عليهم والخوف التركية منهم لهم فن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن
الظن بنفسه ويسبى غفله بغيره فيكون خائفا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا بالاثم الناس ذاما لهم
فهذه من أخلاق المنافقين ثم ان الراجي حالا من مقامه والحال علام من رجائه فن علامة الرجاء عن مشاهدة
المرجود وام المعاملة وحسن التمر بآية وكثرة التجرب بالانفاق لمن لا يميز رجلا من المؤمنين وانما يقتبل
صالح ما أمر به بفضل الله من حيث كرمه لامن حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منافاته أيضا يكفر سبي
ما عمل احسانا منه ورجة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لا اخلاقه السنية والطاقة الخفية لامن حيث اللزوم
بل من حيث حسن الظن به ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل فعلى العبد فرض ان يرجو
مولاه وخالفه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لامن حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان
سهل يقول من سال الله شيئا ففتار الى نفسه وأعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله وحده والى لطفه
وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولا يقبل الله عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر

الى الوحدة انية له فقد فقهه بايام من العبادة ثم تباوت الراجون في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والتجلى لعاني الصفات مما عرفوه وهذا من علمهم به وأصحاب اليمين في الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيدة والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر باعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوته اور جاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعد ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلاة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين اذ يقول تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تحاني الجنوب عن المضاجع لما قر في الصدور والقلوب من المخاوف وكذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا في قوله آمن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ورجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آتاء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفسه المساواة بينهما وهذا ما حذف خبره اكتفاء باحد وصفيه اذ في الكلام دليل عام به فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل في قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله والمهاجرة اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق في سبيل الله ثم السجود آتاء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جل أوصاف الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تزايد الاوصاف في ذلك طاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف المرجوة وفضل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العاملين الى مقام العمل وقد وصف الله الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكمله لصديق الرجاء وتمة لتظيم الغبطة به فقال تعالى يخبر عنهم في حال وفاتهم وأعمالهم انا كآقبل في أهلنا مشفقين فن الله علينا وقال تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار له الخوف ان يقطع به دون ما رجا وقال أهل العربية في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون عفوه وفضله على من يرجو ويضعهم يقول في معنى قوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون أي تخافون منه مالا يخافون فلو لانهم عند العلماء كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى في الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب الى الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال والمساورة اليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بذكرها ومن الرجاء التلذذ بديوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحييب وحسن الظن به في العفو الجميل ومثال الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرى لسان الموحد من نار الشرك لحسنات الشرك وقد كان يحيى بن معاذ يقول في مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقد قال سهل لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الاخطائين والخائفون مقطوعون الالراجين وكان يجعل الرجاء مقامات في المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وفي الخبر اذا حدثت الناس عن ربهم فلا يتحدثون بما يفرغهم وينفرهم وقال بشر الخائف سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مختافا عرض عنه أروا عليه فالتفت المختف اليه فقال

وأنت أيضاً كيفيك ما بك ففرغ من قوله وقال أي شيء تعلم في قال لان عندك انك خير مني فاعترف يوسف بذلك فتاب واستغفر وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلاو بد اللهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو بذلك بوادي الجود والكرم والاحسان ما لم يحتسبه في الدنيا قاط ويقال ان جملة العرش يتجاربون بأصوات سبحانك على حلك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فالراجين من العارفين فهو من السمع للكلام نحو ما لو نظرهم عن عوالمهم بمعاني الصفات فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين ثم خصوص المؤمنين فيه تبارك وتعالى استدلو اعليهم به نظر واليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل يقول المؤمن يعيش في سعة الرحمة والمؤمن يعيش في سعة الحلم فصفاته تعالى كماله فمن شهد ترجع بعضها على بعض تدخل عايمه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الاقرباء فعد ذلك على العبد فصار مقامه في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الراج من الخوف مثل الرخصة من العزائم وفي الخبر ان الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر ابلغ من هذا وأكد ان الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته وفي الخبر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك الى عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى نظر اليه منتبذاً وحداً فقال مالك وحداً فقال عاديت الخلق فيك قال أو ما علمت ان محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هل هناك أكتبك من أوامري وأحباتي ولا تنظر الى عبيدي نظرة جفاء ولا تسوء فإذا أنت قد أبطلت أجرك فأحفظ عني ثلاثاً خالص حبيبي بخالصته وخالق أهل الدنيا بخالقه ودينك فقلدني به ورويناع الضحالك ان العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له عبيدي أتخصي عملك فيقول الهى كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ لا شيء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا ويقول لم أجعل للذنوب راحة توجد منك ولم أجعل في وجهك شهواً وأنا أغفر هالك اليوم على ما كان منك يا عيانك بي وتصديقك المرادين ومن الراجاء شدة الشوق الى ماشوق اليه لكريم وسرعة التنافس في كل نفيس ندب اليه الرحيم والابخار في حقيقة الراجاء تزيد المغترين اغتراراً وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خساراً وهو مزيد التوازين الصادقين وقرة عين للمحبين الخاصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوى العصمة والوفاء ينصبه كرمهم ويشد عندهم حياؤهم وترتاح اليه عقولهم فهو لاء يستخرج منهم الراجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرج منه الخوف ان المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الراجاء طريقاً لاهله وصاروا واجدين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيلاً لم يخف الله لم يعصه أى يترك المعاصي للرجاء لا للخوف فصار الراجاء طريقه فهو لاء هم الراجون حقاً وهذه علامتهم ومثل هؤلاء ذكرنا الاسباب التي توجب الراجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى الموفقين لحسن خدمة المولى فهذه جل أحكام الراجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الراجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الراجاء واعلم ان مقامات اليقين لا تزيل بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها مقام يحكم الله فيه نقل الى ما سواه وكان المقام الاول له عالماً والثاني الذي أقيم فيه له وجداً فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار علانيته ومقام الراجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمنن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند الخوف والترهيب بل قد

يقطعها ذلك ويوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبهم الى عنائها انتهى كلام صاحب القوت
وقد حذفت منها أشياء كثيرة وقال القشيري في الرسالة قال الله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل
الله لا تأسد عن العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا
من عنده قلت لشهر برحمتك الله زودني زودك الله فقال نعم حدثتني عمتي أم الدرداء عن أبي الدرداء عن نبي
الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل عبدى ما عبدتني ورجوتني ولم
تشركني شيئا غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني بعمل الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بعمائم مغفرة
فاغفر لك ولا أبالي وتكاملوا في الرجاء فقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء هو ثقة
الجود من القديم وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى وسئل أجد بن عاصم الانطاكي ما علامة الرجاء
في العبد قال أن يكون إذا أحاط به الاحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا وتمام
عفو في الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله وقيل ارتياح القلوب لرؤية
كرم المرجو المحبوب وقيل هو رؤية الجلال بعين الجلال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل
سرور الفؤاد بحسن المعاد وقال يحيى بن معاذ الهسي أحلى العطايا في قلبي رجاءك وأعذب السكلام على
لساني ثنائك وأحب الساعات الى ساعة يكون فيها لقاءك وكما واذ النون المصري وهو في النزاع فقال
لا تشغلوني فقد تعجبت من كثرة لطيف الله تعالى معي وأسند عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقتون طهم وقرب الرحمة منهم فقالت بأبي أنت
وأبي يا رسول الله أو يضحك بنا عز وجل قال والذي نفسي بيده انه ليضحك فقال لا بعد منا خير اذا ضحك
وروى مالك بن دينار في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قدمت على ربي بذنوب كثيرة فحماها عني حسن
ظني بالله تعالى وقيل كان ابن المبارك يقاتل عجمارة فدخل وقت صلاة العليج فاستمهله فأمهله فلما سجد
للمشيم أراد ابن المبارك أن يضربه بالسيف فسمع من الهواء قائلا يقول وأوفوا بالعهد ان العهد كان
مسؤولا فأمسك فلما سلم المجوسي قال لم أمسك عما هممت به فذكر له ما سمع فقال المجوسي نعم الرب رب
يعاتب وليمه في عذره وأسلم وحسن اسلامه وقيل انما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفوًا وقيل لو قال
لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط ولكنه لما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء طمعو في مغفرته وقيل حج
رياح القيسي حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب الهسي وهبت من حجاتي كذا وكذا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه العشرة واثنين من والدي والباقي من المسلمين ولم يحبس شيئا لنفسه
فسمعها تهايقول يا هذا تتسخر علينا لا غفر لك ولا يؤيك وان شهد شهادة الحق سمعت الاستاذ أبا علي
الدقاق يقول مر أبو عمرو والبكندی يوما بسكة فرأى قوما أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة
تبكى فقيل انها أمه فرجها أبو عمرو وتشفع له اليهم وقال هبوه مني في هذه المرة فان عاد الى فساد فشانكم
واياه فوهبوه منه فغضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتازت تلك السكة فسمع بكاء المجوز من وراء ذلك
الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد الى فساد فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب
فخرجت المجوز وقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لي لا تخبري الجيران بموتي فلقد
آذيتهم فانهم سيشتمونني ولا يحضرون جنازتي فاذا دفنتني فهذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم
فادفنيه معي فاذا فرغت من دفني تشفع لي الى ربي قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن راس قبره سمعت
صوته يقول انصرف يا أمه فقد قدمت على رب كريم انتهى كلام القشيري وانتهى الى شرح كلام
المصنف قال رحمه الله تعالى (فهذه هي الاسباب التي يجب لروح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين
وأما الحق المغرورون فلا ينبغي ان يسمعو شيئا من ذلك) فانهم اتردهم اغترار بالله (بل يسمعون
ما ستورده في أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الاعلى الخوف كالعبد السوء والصبي العرم) أي

فهذه هي الاسباب التي بها
يجب لروح الرجاء الى قلوب
الخائفين والآيسين فأما
الحق المغرورون فلا ينبغي
أن يسمعو شيئا من ذلك بل
يسمعون ما - - - - -
أسباب الخوف فان أكثر
الناس لا يصلح الاعلى الخوف
كالعبد السوء والصبي العرم

التسبيط (لا يستقيم إلا بالسوط والعصا واطهار الخشونة في الكلام) ولفظ القوت وأكثر النفوس لا تصليح
الأعلى الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا ويواجهون بالسيف صلتنا) وأما ضد ذلك
فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين) نسأله تعالى التوفيق

*(فصل) * في بيان لواحق الرجاء اعلم ان من لواحق الرجاء الرغبة ولنسب الكلام في الرغبة اعلم انه
لما كانت حقيقة الرجاء تعلق القلب بما مول يحصل في الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة استيلاء
هذا الحال على الراجي حتى كأنه يشاهد بها المأمول فالرغبة كمال الرجاء ومنتهى حقيقته وهي تعلقه بضد
كل ما يذكر من المخاوف في كمال الخوف ولا تزال مصحوبة للمآدام لك حظ واختيار فاذا ارتقيت عن ذلك
بالفناء بالتوحيد فحينئذ لا رغبة ولا رهبة الى ان ترجع الى بشرتك وانسانيتك فانهم ذلك الكلام
على البسط اعلم ان القلوب كإمتنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء وهذا يدل على فضيلة الرجاء على الخوف
كما سيأتي الكلام عليه لان القلوب اذا انبسطت انشرفت واذا انشرفت انضجت لها طرقت الهدى قال
الله تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيهدى الله بذلك النور الى حضرته فيسقى
مبسوطا لديه مستورا خاله عن الخلق برداء العلم وجليب التقوى فأعز زهدا المقام مأجله وبالله التوفيق
(السطر الثاني من الكتاب في الخوف)

(وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان
الأفضل من الخوف والرجاء وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من
الانبياء) عليهم السلام (والصالحين) رحمهم الله تعالى
(بيان حقيقة الخوف)

(اعلم) رجاء الله تعالى (ان الخوف) هو الخامس من مقامات اليقين وهو باب عظيم من أبواب الايمان
وقد تقدم ان أحوال القلوب تنقسم الى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما وهذا بالنسبة الى الثبات
وسرعة الزوال وان الحالة المتوسطة متى دامت ألحقت بالمقام ومتى زالت ألحقت بالحال وكذلك أحوال
القلب وان الخوف لا يتعلق إلا بشكوك فيه أو مظنون بالخوف (عبارة عن تألم القلب واحترافه)
وانزعاجه (بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء) فلا يعاد نائبا وله لواحق
الحزن والقبض والاشفاق والخشوع حقيقة الحزن ألم بطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائت
محبوب فان كان المحبوب والمكروه مجودين كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة وان كانا مكروهين
كان له حكمهما في الحظر والكراهة وحقيقة القبض هم يطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا فأما ما يعلم
سببه فحكمه حكم الحزن وما لم يعلم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الافراط في البسط يتأدب به المرء دون
المائلون عن الاعتدال وحقيقة الاشفاق اتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما وسيجيء حكم ذلك وحقيقة
الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتهما لمسا عين القلب من عظيم أو مفزع واذا عرفت هذه
الحقائق فاعلم ان (من انس بالله وملك الحق قلبه) بأن لم يبق فيه سواه (وصار ابن وقته) بل وأبا
وقته (مشاهد الجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل) من الايام (فلم يكن له خوف ولا
رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما) كما قال الواسطي (زمامان) مسئوليان (يمنعان
النفس عن الخروج الى رعواناتها) أي سكونها الى حالتها واحتسانها ما هي عليه من طاعتها أو خزعها
أو يأسها من فضل ربها عنده مخافتها فهما يصدانها عن ذلك لانها ان استحسنّت أحوالها وركنت الى
أعمالها زجرها الخوف وان يشمت من فضل ربها وقطعت لسوء حالها جذبا للرجاء للسلامة وللفظ قول
الواسطي زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعواناتها كذا في الرسالة (والى هذا أشار) أبو الحسن بنان
ابن محمد الجمال (الواسطي) تزيلا لمصر والمتوفى به سنة ثمان مائة وكان كبير الشأن صاحب

لا يستقيم إلا بالسوط
والعصا واطهار الخشونة
في الكلام وأما ضد ذلك
فيسد عليهم باب الصلاح
في الدين والدنيا
(السطر الثاني من الكتاب
في الخوف) وفيه بيان
حقيقة الخوف وبيان
درجاته وبيان أقسام
المخاوف وبيان فضيلة
الخوف وبيان الأفضل
من الخوف والرجاء وبيان
دواء الخوف وبيان معنى
سوء الخاتمة وبيان أحوال
الخائفين من الانبياء صلوات
الله عليهم والصالحين رجة
الله عليهم ونسأل الله حسن
التوفيق

(بيان حقيقة الخوف)
اعلم ان الخوف عبارة عن
تألم القلب واحترافه بسبب
توقع مكروه في الاستقبال
وقد ظهر هذا في بيان
حقيقة الرجاء ومن أنس
بالله وملك الحق قلبه وصار
ابن وقته مشاهدا للجمال
الحق على الدوام لم يبق له
التفات الى المستقبل فلم
يكن له خوف ولا رجاء بل
صار حاله أعلى من الخوف
والرجاء فانهما زمامان
يمنعان النفس عن الخروج
الى رعواناتها والى هذا
أشار الواسطي

حدث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيه افضلة (١٩٧) لرجاء ولا خوف وبالجملة فالهيب اذا

شغل قلبه في مشاهدة المحبوب
بخوف الفراق كان ذلك
نقصا في الشهود وانما دوام
الشهود غاية المقامات
ولكن الان انما نتكلم
في أوائل المقامات فنقول
حال الخوف ينظم أيضا من
علم وحال وعمل أما العلم فهو
العلم بالسبب المفضي الى
المكروه وذلك كمن جنى
على ملك ثم وقع في يده
فيخاف القتل مثلا ويجوز
العفو والافلات ولكن
يكون تألم قلبه بالخوف
بحسب قوة علمه بالاسباب
المفضية الى قتله وهو تفاحش
جنايته وكون الملك في نفسه
حقودا غصوا بمنتقمها
وكونه محفوبا بمن يحسنه على
الانتقام خالبا عن يتشفع
اليه في حقه وكان هذا
الخائف عاطلا عن كل
وسيلة وحسنة تمحو أثر
جنايته عند الملك فالعلم
بتظاهر هذه الاسباب
سبب لقوة الخوف وشدة
تألم القلب وبحسب ضعف
هذه الاسباب يضعف
الخوف وقد يكون الخوف
لا عن سبب جنابة قارفها
الخائف بل عن صفة المخوف
كالذي وقع في تخالب سبع
فانه يخاف السبع لصفة
ذات السبع وهي حرصه
وسطوته على الافتراس
عنا وان كان افتراسه
بالاختيار وقد يكون من
صفة جنابة للمخوف منه

السكرامات ربه الله تعالى (حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد) قال القشيري وهذا اللفظ فيه
اشكال أي لان الخوف مطلوب فكيف يكون حجابا بين الخائف وربه معناه ان الخائف متطلع لوقت نان
وأبناء الوقت لا تطالع اهم في المستقبل وحسنات الاراسيات المقربين انتهى فعندو التطلع لوقت نان
حجابا وهو لان تطالع العبد الى غير وقته تفرقه واشتغاله بوقته جيع واعترضه بعضهم بان ذلك لا يدل على
تفرقة خارجة عن مقام الخوف لان متعلق كل مقام من ضرورة الخلق به ملاحظة فهو جيع لا تفرقة
قال والاولى أن يقال العبد اذا وقف وسكن مع حاله في الخوف استحسّن مقامه فيه مكره استعان به على
خلاصه من المكروهات ونشاطه في الطاعات فوقه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى انه منعه
من انتقاله الى ما هو أعلى منه وأقرب الى ربه (وقال) الواسطي (أيضا اذا ظهر الحق على السرائر) بان
أظهر الله لصاحبها من جلاله وجه له ما شغل عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات (لا يبقى
فيها) أي في تلك السرائر (فضلة) من الاحساس (لرجاء ولا خوف) نقله القشيري ويؤيده ظاهر قوله
تعالى ألان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا بالنسبة الى الخواص الكرام وأما بالنسبة الى
الصلحاء من العوام فعنه لا خوف عليهم بل خوف العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى قال
القشيري بعد ان نقل كلام الواسطي السابق وهذا فيه اشكال أي على من لم يعرف اصطلاح القوم لان
الخوف والرجاء مطلوبان فكيف يثنى بفقد ههما وجوابه ان معناه اذا اصطلت شواهد الحق تعالى
الاسرار ما كتها فلا يبقى فيها ما ساع لذكر حدان والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس بأحكام
البشرية (وبالجملة فالهيب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق) في المستقبل (كان ذلك
نقصا في الشهود) اذا القلب ليس له الاوجه واحدة (وانما دوام الشهود غاية المقامات) ونهاية الدرجات
(ولكن الان انما نتكلم في أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينظم أيضا من علم وحال وعمل) لانه
من المقامات وكل مقام فهو كذلك (أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه) وانما بداهة لان كل
ما لا ينكشف سببه لا تضع حقيقته ولا تعرف فضيلته (وذلك كمن جنى على ملك) من المملوك (ثم وقع في
يده) أي في حوزته (فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات) أي الخلاص (ولكن يكون تألم قلبه
بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية) أي الموصلة (الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك
في نفسه حقودا غصوا بمنتقمها وكونه محفوبا بمن يحسنه على الانتقام خالبا عن يتشفع اليه في حقه وكان هذا
الخائف عاطلا) عاريا (عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب
لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب
جنايته قارفها الخائف) أي لاسبها (بل من صفة المخوف كالذي وقع في تخالب سبع فانه يخاف السبع
لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من
صفة جنابة للمخوف منه تخوف من وقع في مجرى سيل أو جوارح رقيق فان الماء يخاف منه (لانه بطبعه
يجبول على السيلان والاغراق وكذا النار) مجبولة بطبعها (على الاحراق فالعلم بالاسباب المكروه هو السبب
الباعث للميل لاحتراق القلب وتألمه) وانزعاجه (وذلك الاحتراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تعالى نارة
يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته) القديم من العلم والارادة والقدرة والكلام أما العلم فالعلم بالسبب
والشقي وانه في ذلك على أتم أنواع الكمال وأما الارادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من الاسعاد والاشقاء وأما
القدرة فابحاده انفس الاسعاد والاشقاء في الوقت الذي خصه به الارادة من غير تقدم ولا تأخر وأما الكلام
فانجازه أيا بالاسباب المسعدة والاسباب المشقية والاسباب منها ما طلع عليه العباد من ان الطاعة مسعدة
وان المعصية مشقية ومنها مخفي فلا اطلاع لاحد عليه وذلك لظن المكروه والالطاف الموجب للتقريب

تخوف من وقع في مجرى سيل أو جوارح رقيق فان الماء يخاف لانه يجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بالاسباب
المكروه هو السبب الباعث للميل لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف من الله تعالى نارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته

ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجنانية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بها جميعا وبحسب معرفته بعبوب نفسه ومعرفته بحلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه فأنخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله وكذلك

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا تكلمت المعرفة أو رثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصقار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المراته فيفيض الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعداذا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى يكون العبد خائفا) ولفظ الرسالة متى يتيسر على العبد سبيل الخوف (قال اذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتجى) من كل شيء (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل بمقتضاه وبعدهما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقة من المشقة في ارتكاب المخالفة لهو ما يؤمله في عقابه ولذلك شبهه بالمرضى الذي

والابعاد فهذه أبواب من الايمان يجب التصديق بها كلها (و) مما يجب عليه في معرفته في توحيد الافعال (انه) تعالى (لو اهلك العالمين) جميعا (لم يبال ولم يمنعه مانع) لوحدة ذاته في الحديث لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقبض أخرى فقال هؤلاء في النار ولا ابالي (وتارة يكون) الخوف (لكثرة الجنانية من العبد بمقارفة المعاصي) أي ارتكابها وملاستها وذلك يستدعي ان يعرف أولا ان كل ماسوى الله تعالى قابل للهلاك والاتلاف والعقاب لما تقدمه من نقص العدم والمحققة بعد اليجاد من نقص الافتقار الى الله تعالى وكيف لا وذات الانسان أضعف ذوات العالم كله الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقرة ترعج بدنه وليس فيه جزء ثالث فاذا عرف العبد هذا أحس بذله وعجزه وقبوله تأثره بالمحقرات فكيف يقهر جبار السموات ثم علم ان لسيده عليه نعماء تترى ظاهرة وباطنة عقابية وحسية ثم علم بكثرة جنائبه على منهاج سيده وشر بعته وأن الذم قابله السلب والذهاب والجنائيات مرتب عليها العذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبير فان لكل باب معرفة تناسبه والايمان بالاعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق العقوبة على الجنائيات واجب وهو فرض عين (وتارة يكون) الخوف (بما جميعا وبحسب معرفته بعبوب نفسه) على ما ذكرناه (ومعرفته بحلال الله تعالى وتعاليمه واستغنائه) على ما سردناه (وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه) ومن نقصت معرفته فهم ما يضعف خوفه (فأنخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله) قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس والله اني لأنخسكم الله واتقاكم لله وللشيخين من حديث عائشة والله لا انا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية انتهى قلت وروى أحمد من حديث رجل من الانصار أنا أتماكم الله وأعلمكم بحمد الله (ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهم العارفون بانفسهم وبربه (ثم اذا تكلمت المعرفة أو رثت حالة الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصقار) مع الكدرة (والغشية والزعقة والبكاء وقد يغلب ذلك عليه حتى) (تنشق به المراته تنفضي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل) ويصير لا يبي (أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما في الجوارح فكيفها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات تلافيا) أي تداركا (لما فرط) منه (واستعداده للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه) ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه (بل) الخائف (من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه) أي بسببه ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه انما الخائف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه انتهى فانخوف المحمود ما صان العبد عن الانحلال بشئ من الأمور أو الوقوع في شئ من المنهيات (وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه) نقله القشيري في الرسالة والحكيم هذا هو أبو القاسم اسحق بن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم السمرقندي ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشر في الارض ذكره وروى عنه أبو جعفر من منيب السمرقندي وغيره ومعنى قوله ان الخوف حقيقة انما يكون من الله لانه الفاعل لكل مخوف فاذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه واذا ذكر الله وخشى ان يسخطه عليه هرب الى الله أي رجع اليه فلا يهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والافرن علم انهم مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى يكون العبد خائفا) ولفظ الرسالة متى يتيسر على العبد سبيل الخوف (قال اذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتجى) من كل شيء (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل بمقتضاه وبعدهما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقة من المشقة في ارتكاب المخالفة لهو ما يؤمله في عقابه ولذلك شبهه بالمرضى الذي

وأما في الصفات فإن يقع الشهوات ويكثر الذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكرهه كما يصير العسل مكرهًا عند من يشبهه إذا عرف أن فيه سمًا فتنترق الشهوات بالخوف وتنأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس والمحظرات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله (١٩٩) من وقع في تخالب سبع ضار لا يدري أنه

يغفل عنه فيفلت أو يتم جمع عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بحلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما ينسرق اليه امكان التحريم فكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا يريبه الى ما لا يريبه

الذي يحتاج الى الادوية ويحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه وجاء العافية من سقمه بلواه (وأما في الصفات فهو بان يقع الشهوات ويكثر الذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكرهه كما يصير العسل مكرهًا عند من يشبهه إذا عرف أن فيه سمًا فتنترق الشهوات بالخوف) قال القشيري سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت ابراهيم بن شيان يقول اذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطر درغبة الدنيا عنه (وتنأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد) وسائر أوصاف الرعونة (بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة) والتفكير (والضنة بالانفاس والمحظرات) أي البخل بها فلا تفرغ في غير ذكر الله (ومؤاخذة النفس في الخطرات) التي تمر (والخطوات التي يخطو بها والكلمات) وعلى هذه الاصول بناء السادة النقيشبندي في طريقهم العلمية التي منها حفظ الانفاس والعقل في النفس والنظر على القدم والتذكر والرجوع وغير ذلك مما هو مذكور في محله (ويكون حاله من وقع في تخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت) أي يخلص (أو يتم جمع عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة) رضوان الله عليهم منهم أبو بكر الصديق وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري وأبو الدرداء (والتابعين) منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر والحسن البصري وكيل بن زياد ومطرف بن عبيد الله وغيرهم (وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بحلال الله) وعظمته (وصفاته) الحسنی (وأفعاله) بحسب قوة المعرفة (بعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات) الشرعية (ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا) وحقيقته بجانب الشيء حذرا من ضرره وله درجات أربع ذكرنا في كتاب الحلال والحرام (فان زادته قوة كف عما ينسرق اليه امكان التحريم فكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف أداءه الى محرم وهو ورع المتقين (اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا يريبه الى ما لا يريبه فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنياه يعلم انها تافقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا) وهو فعيل من الصدق للمبالغة فيه (ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانه عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجدله بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ورعاة اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها تجري

ولا يلتفت الى دنياه يعلم انها تافقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانه عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجدله بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ورعاة اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها تجري

الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل وقال صاحب القوت الخوف اسم جامع
للمقامات المتقنين ثم يشتمل على أهل طبقات خمس في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف وهو
التقوى وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثاني هو الخذر وفي هذا المقام الزاهدون
والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام
الرابع الوجل وهذا الذي كثرين والمحبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين
والشاهدين والمحبتين وخصوص المقر بين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لاعت
مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات وقال في موضع آخر ان الخائف بوصف ما غلب عليه من الحال عما
قوى عليه من الشهادة ويندرج الرجا في مقامه فيكون الرجا له مشهودا والخوف منه وجدا ويوصف
الراجي بما قوى عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوي الخوف في مقامه فيصير الخوف له علما والرجاء
له وجدا ولكنه لا يخوف تعالى فيتناهى الخوف ولا نهاية للمرجو فيقتضى منه الرجاء فاما الشهيد الموقن
العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه
الوصف التام والحال السكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقيق بحق المعرفة لموجب المزيد فاذا
عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه يتحقق بالصدق في جميع معانيه فأعني من أن يقال مخلص
ثم يقال عارف لانه قد رسخ في العلم رسوخ الجبل فكفي أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه أشهد القرب
فاقترب فلم يحتج أن يقال عالم وهذه أسماء الكمال وصفات التمام لا يفتقر الى ذكر حال ولا يوصف بصفة
مقال كما يقال في غيره من ذكر الاحوال خائف أو راج لوجودهما فيه بالكف واعتدالهما عنده بالسواء
لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاصا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه حال محب
ووصف خائف ومقام راج ونعت عالم وسمة عامل لا محالة (كما أنك تقول) في تعالى الانساب واندرجها
في عوالى الاحساب (الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي أو غيره والقرشي اما هاشمي أو غيره
والهاشمي اما علوي أو غيره والعلوي اما حسني أو حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته
بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه) ولفظ القوت فاذا قلت فلان هاشمي
استغنيت ان تقول عربي أو قرشي لان كل هاشمي عربي قرشي لا محالة ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام
والكمال أيضا كما ذكرناه في قولنا عارف فتندرج الانساب فيه فتقول فلان حسني فاكثفت ان تقول
قرشي أو هاشمي أو علوي وان كان قرشيا هاشميا علويا بالاشك انه قد عرف ان كل حسني فهو قرشي
هاشمي علوي لا محالة فأما ان تقول فلان عربي أو قرشي أو هاشمي فهو مقصور على ما وسمته به لانه قد
يكون علويا وهو الغاية في الحسب ثم لا يكون حسنيا فتتقص رتبة منزلته ويكون قرشيا غير هاشمي
فيخطأ درجته وقد يكون عربيا غير قرشي فيبذل مرتبة فيلزمه وصف ما عرفته حسب فاذا قلت حسني
لادخات الاحساب كلها فيه وغنيت ان تصفه بما دونها (فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع
وعفيف) ولفظ القوت كذلك قولنا عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال في السمات
التي عرفت بها كل المقامات تدخل الاحوال والمقامات في هذه السمات فاكثفت ان تقول هو مؤمن
أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج كما ثبتنا في الاحساب من قولنا فلان حسني دخل فيه كل
حسب رفيع وكفي ان تقول عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي ان جميع ذلك داخل فيه لان العارف
لا يرسم بحال دون حال اذ قد غاصت فيه الاحوال ولا يرسم بمقام دون مقام اذ قد استوعب كل مقام بحقيقة
معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوف وغرض غرضه غير ابتداء جنسه أن
يشكروه فان تعرف اليهم به أو عرفوه بهم فليس بعارف (فلا ينبغي أن تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل
على معان كثيرة متباينة ليختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ بالمعاني

الاخص من الاعم فاذا
ذكرت الاخص فقد
ذكرت الكل كما أنك تقول
الانسان اما عربي واما عجمي
والعربي اما قرشي أو غيره
والقرشي اما هاشمي أو غيره
والهاشمي اما علوي أو غيره
والعلوي اما حسني أو
حسيني فاذا ذكرت انه
حسني مثلا فقد وصفته
بالجميع وان وصفته بانه
علوي وصفته بما هو فوقه
مما هو أعم منه فكذلك اذا
قلت صديق فقد قلت انه تقي
وورع وعفيف فلا ينبغي أن
تظن ان كثرة هذه الاسامي
تدل على معاني كثيرة
متباينة فيختلط عليك كما
اختلط على من طلب المعاني
من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ
المعاني

فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالعرفة الموجبة له ومن جانب السفلى كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما
 * (بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف) * اعلم ان الخوف محمود ورميا يظن أن كل ما هو خوف محمود. كل ما كان أقوى
 وأكثر كان أجود وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا به مرتبة القرب من الله تعالى والاصح
 للهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الغضب محمود وكذلك الخوف له قصوره وله افراط وله اعتدال
 والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء (٢٠١) يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن

فيورث البكاء وتفيض
 الدموع وكذلك عند
 مشاهدة سبب هائل فاذا
 غاب ذلك السبب عن الحس
 رجع القلب الى الغفلة
 فهذا خوف قاصر قليل
 الجدوى ضعيف النفع وهو
 كالقضب الضعيف الذي
 تضرب به دابة قوية لا يؤلمها
 ألم المبرح فلا يسوقها الى
 المقصد ولا يصلح لرياضتها
 وهكذا خوف الناس كاهم
 الا العارفين والعلماء ولست
 أعنى بالعلماء المترسمين
 برسوم العلماء والمتسمين
 بأسمائهم فانهم أبعد
 الناس عن الخوف بل أعنى
 العلماء بالله وبآيame وأفعاله
 وذلك مما قد عز وجوده
 الآن ولذلك قال الفضيل
 ابن عياض اذا قيل لك هل
 تخاف الله فاسكت فانك ان
 قلت لا كفرت وان قلت نعم
 كذبت وأشار به الى أن
 الخوف هو الذي يكف
 الجوارح عن المعاصي
 ويقيدها بالطاعات ومالم
 يؤثر في الجوارح فهو

فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانبه كالعرفة الموجبة له ومن جانب السفلى كالاعمال
 الصادرة منه كفا واقداما) ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذي هو الورع والله الموفق
 * (بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الخوف محمود) ومطلوب وفرض عين (ورميا يظن ان كل ما هو محمود
 فكما كان أقوى وأكثر كان أجود وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على
 العلم والعمل لينالوا به مرتبة القرب من الله تعالى) قال القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت محمد بن علي الحيدري يقول سمعت محطوطا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله
 يقوم به الشاردين عن بابه (والاصح للهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي) العزم (ولكن ذلك لا يدل
 على ان المبالغة في لضرب محمود) كما هو ظاهر (وكذلك الخوف له قصور) وهو مرتبة التفريط (وله
 افراط) وهو مرتبة التجاوز (وله اعتدال) وهو مرتبة الوسط (والمحمود) من ذلك (هو الاعتدال
 والوسط) خفي الامور أو ساطعها (فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند
 سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل) عظيم مخوف
 (فاذا غاب ذلك السبب عن الحس) والمشاهدة (رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل
 الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألم المبرح فلا يسوقها
 الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كاهم الا العارفين والعلماء) ولذا قال سهل الناس
 كاهم هلكى الى العالمون والعالمون كاهم هلكى الى المخلصون والمخلصون على خطر (ولست أعنى
 بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعنى به العلماء
 بالله) وبآيانه وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل بن عياض) رجه
 الله تعالى (اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت) اذ ليس
 وصفك وصف من يخاف الله نقله صاحب القوت (وأشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن
 المعاصي ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا
 وأما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه
 يمنع من العمل) وربما أورثه الكفر فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الجل على العمل ولولاه
 أما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأ الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدري عاقبة أمره ولو
 عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذي يتردد فيه وأما العجز فهو انه متعرض للحدور ولا يقدر على دفعه فاذا هو
 محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله
 تعالى به) أما (مالا يجوز وصف الله تعالى به فليس كمالا في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص أعظم

(٢٦ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا أما

المفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا
 الى المرض والضعف والى الولة والذهشة وتوزال العقل فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الجل على العمل ولولاه لما كان الخوف
 كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأ الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذي يتردد فيه وأما
 العجز فهو أنه متعرض للحدور ولا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما
 يجوز أن يوصف الله تعالى به. ومالا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو أعظم

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمود لانه أهون من ألم المرض والموت فيخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط أو أحده هذه (٢٠٢)

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمود لانه أهون من ألم المرض والموت فيخرج الى القنوط فهو مذموم) لما تقدم انه يمنع العمل (وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف) الشديدين (و) الى (ألم الوله) والحسيرة (والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت اذا أثر في المرارة وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء) فيما تقدم من الاخبار (وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط أو أحده هذه الامور) المذكورة (فكل ما يراد لا محمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) الا ان ما يفضي منه الى اليأس والقنوط فهو حرام وان لم يوجب ذلك ولكن أدى الى فساد العقل وضعف البدن فانه مكروه لخروجه عن الاعتدال المحبوب (وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكور وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدر في هذه الاسباب فهو مذموم) والقدر الواجب منه ما يبحث على فعل الواجبات وترك المحظورات ويستحب استيلاؤه على القلب حتى ينشأ بذلك كل سبب يشغل عن الله (فان قلت في خوف فساد من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما) وقد ذكرت ان الخوف اذا تجاوز ركن حد الاعتدال حتى أدى الى الموت فهو مذموم (فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا يناله الموت في ذلك الوقت لاسباب الخوف فهو بالإضافة اليه فضيلة فأما بالإضافة الى تقديريته وطول عمره في طاعة الله وسلك سبيله فليس بفضيلة) لما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء) ولذا وردت مداد العلماء بمداء الشهداء فيرجع مداد العلماء وقال صاحب القوت اذا جاوز الخوف الحد خرج به الى ان يسرى الى النفس فيعرفها فيكون له شهادة وليس هذا بارفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمجاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات لانه قد قال بعضهم مشاهدا بذر باعظم أجرام من مات وجدا وهذه صفات ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أبحر شهيد وبكل معانية قدرة من مقتدر ليلة قدر ومن كل قصد محجة بتعظيم عظيم محجة وبكل عمارة قلب بحال محبة عمرة (ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفتنسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) كما ورد معناه في الخبر (فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسار ونقصان بالإضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة الى ما دونها بالإضافة الى درجة النبيين والصديقين فان الخوف اذا لم يؤثر في العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره وان لم يحمل الاعلى العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان أثمر الورع فهو أعلى (لعلوم رتبة الورع على العفة) وأقصى درجاته) أي الخوف (ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يستولى على القلب حتى) يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكور وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدر في هذه الاسباب فهو مذموم) فان قلت من خاف فساد من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا يناله الموت في ذلك الوقت لاسباب الخوف فهو بالإضافة اليه فضيلة فأما بالإضافة الى تقديريته وطول عمره في طاعة الله وسلك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفتنسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه

وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسار ونقصان بالإضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة الى ما دونها بالإضافة الى درجة النبيين والصديقين فان الخوف اذا لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل الاعلى العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

حتى لا يبقى لغير الله فيه منسج فهذا أقصى ما يحمد منه) لان الغاية المقصودة ان يموت العبد بحمد الله تعالى ولا تحصل المحبة الا بالذكور والافكر ولا يحصل لان الابطراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها الا الخوف فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تعداها (وذلك مع بقاء الصحة والعقل) ورجله القول في تفصيل هذه المخاوف ان للخوف سبع مفايض يقبض اليها من القلب فالى أى مفيض فاض من القلب اليه أتلف صاحبه به الا ما يستثنى فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة فيخرقها وهو لاهم الذين يموتون من الغشى وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيخرق العقل فيتبه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف الرثة فيثقبها فيذهب الاكل والشرب حتى يسيل الجسم وينشف الدم وهذا لاهل الجوع والظمى والا صفرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد ويحدث الفكر الطويل والسهر وهذا من أفضلها وفي هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العالمين وقد يقدح الخوف في الفرائض وهي لجة الكنف ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدد الخوف من القلب مغشى العقل فيجس ساطانه كقهر سلطان القدرة نحو الشمس اذا برزت ضوء القمر البادى الذي يبدو على السر من خزان المكنون فيضعف لجة العقل ويضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وهو لاه أشبه بالفضل وأدخل في العلم وقد سلك في هذه الطريق أفضل أهل القلوب وهم في التابعين كثير منهم الربيع بن خيثم وأبو القريظ وزرارة بن أوفى ونظراؤهم ولم ينكر هذا عليهم الصحابة ممن عرفه مثل عمر وابو مسعود وحذيفة رضي الله عنهم وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع ويضطرب كالبعير وكان سعيد بن جريح من خيار الصحابة ومن أمراء الاجناد وكان يغشى عليه وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيعرق الشهوات ويطفئ شعل الهوى وهذا أجد المخاوف وأعلاها وهو لاه أفضل الخائفين وأرفعهم مقاماً وهو خوف النبيين والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف (فان جاوز هذا) عن حد الاعتدال (الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محموداً واجب علاجه باسباب الرجاء وغيره حتى يزول) أى ان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره فحينئذ يجب معالجته بما يزيله ثم ان بعضهم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الى أحد ثلاثة معان خبيها تيسرى الى النفس فيخرقها فيتلف العبد أو وسطها ان يعالوا الى الدماغ فتخل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبايع لا تحلل عقدة العقل ثم تختلط المزاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والوله والثره وهذا مكروه عند العلماء وعاقبته غير محمودة وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم قولها أبو جده ومنهم من فرغ ذلك من قلبه فسرى عنهم فنفقوا بعلم وصفه (ولذلك كان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (يقول للمريد الملائمين للجوع أياماً كثيرة) من أهل عبادان (احفظوا عقولكم) باستعمال الدسم (فانه لم يكن لى الله ناقص العقل) نقله صاحب القوت وقد ذكر فى كتاب رياضة النفس ويؤيده ما شتهر على لسان العامة ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذ له لعله قال صاحب القوت وحديثي بعض اخواني قال كلاً حول أبى الحسن بن سالم فدخل شاب عريان فوقف على الحافة بهذا فزجرناه فطرده فقال لنا الشيخ دعوه حتى يقضى ما فى نفسه قال وكان يشكلم بوساوس من معانى التوحيد وبهذه ذيان مختلط من علوم المعارف الى ان فتر وسكن ثم انصرف فقال لنا أبو الحسن لا بارك الله فى العلماء السوء ثم قال لم يكن فى أصحابنا أحسن عقلاً ولا أكثر تعبدًا ولا اجتهداً من هذا الشاب وكنت انهاء عن العسف بنفسه والجل عليها وأمره باكل الدسم والحلواء فكان مستقيم الامر فنارقتنا وذهب الى أهل عبادان فقالوا له ان ابن سالم قد ركن الى الدنيا وترك العبادة والاجتهاد وأمره بالجوع الدائم والظمى وترك الدسم والحلاوة حتى أحرق دماغه وزال عقله فذهب الحال وبطلت العبادة والمعنى الثالث من مذموم الخوف وهو شرها فى الجسارة أن يعظم ويقوى فيذهب الرجاء اذ لم يواجه بعلم الاخلاق من

حتى لا يبقى لغير الله فيه منسج فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محموداً واجب علاجه باسباب الرجاء وغيره حتى يزول وذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريد الملائمين للجوع أياماً كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لى الله تعالى ولى ناقص العقل

(بيان أقسام الخوف بالإضافة الى ما يخاف منه) * اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار
واما أن يكون مكروهاً لانه يقضى الى (٢٠٤) المكروه كما تنكره المعاصي لادائها الى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواقه

الجود والكرم والافضال وقديم الاحسان وخفي الامتنان فهذه المعاني بها تعديل المقام من فرط الاهتمام
وترويج الحال من كروب الانغال فلا يساعده القدر بذلك فيخبره وجده الى القنوط من رحمة الله ويعطف
به همه على الایاس من روح الله وتوقعه شهادته على الهرب من قرب الله دخلت عليهم المشاهدة من قبل
المواجهة بالانصاف والعدل بعبارة العقل واتلاف الخدجاوزت بهم العلم باخلاقه المرجوة من الكرم وخفي
الالطاف فبعثت بهم الحدود من قبل قوة نظارهم الى الاكساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم
وعلمهم من غير تغويض منهم الى مشيئة ولا استسلام فحجبوا بذلك على همه ما ذكرناه ان أكثر هذه
كانت في البصريين والعسكريين وأهل عبادان وكان مذهبهم القدر فوقه وفي غاية الخطار والله الموفق

(بيان أقسام الخوف بالإضافة الى ما يخاف منها) *
(اعلم) هذا الله تعالى (ان الخوف المتحقق لا يكون) وفي نسخة ان الخوف لا يتحقق (الابانتظار
مكروه) في الاستقبال (و) ذلك (المكروه) لا يخلو (اما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار) مثلاً
(واما أن يكون مكروهاً) لالذاته بل (لانه يقضى الى المكروه) فتكون كراهته عارضة (كما تنكره
المعاصي) لالذاتها ولكن (لادائها الى مكروه في الآخرة) وهو العتاب والعذاب (و) هذا (كما يكره
المريض الفواقه المضره لادائها الى الموت فلا بد لكل خائف من ان يمثل في نفسه مكروه من أحد
القسمين ويقوى انتظاره في قامه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف
فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس بمكروه لالذاته بل لغيره
كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة (أو) خوف (نكث
العهد) بالخيانة (أو) خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى (أو) خوف وهن العزم بعد القوة
أو خوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفاء (أو) خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة (أو) خوف
حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة أو خوف ظهور الصفة بعد استئثار الشهوة والآفة (أو) خوف الميل
عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة (أو) خوف الجنائيات والاكساب
أو خوف الوعد وسوء العقاب أو خوف التقصير عن الامر بتسبب الاسباب أو خوف مجاوزة الحد أو خوف
سلب الميزان أو خوف حجاب المقطرة عن القاب بالغفلة أو خوف قطع الفتنة من العقل بالوسوسة (أو) خوف
خوف ان يكلمه الله الى حسنة التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه
أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث
يبدوله من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء (أو) خوف
الوقوع في الفتنة بتسبب الخدعة بالحنة ان امرئ سلوا الناقه فتنة لهم فارتقبهم واصطبر أو خوف البلوى بعود
جرى العادة أو خوف الرجوع عن قصد الارادة أو خوف استدلال المهانة بعد الكرامة أو خوف الحور
بعد الكور وهو الرجوع عن المحبة بعد ايقاع الحكم عليه الى طريق الهدى (أو) خوف ما لا يدري انه
يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الاقتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف
الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء
أو اطلاع الله عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبج أعمالهم فيعرض عنهم ومعةتهم (أو) خوف
السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين وطرقا الطالبين وبعضها أعلى من بعض وفيها
ما هو أشد من بعض (ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سالك سبيل الحذر عما يقضى الى المخوف فن

المضره لادائها الى الموت
فلا بد لكل خائف من ان
يمثل في نفسه مكروه من
أحد القسمين ويقوى
انتظاره في قلبه حتى يحترق
قلبه بسبب استشعاره ذلك
المكروه ومقام الخائفين
يختلف فيما يغلب على
قلوبهم من المكروهات
المحذورة فالذين يغلب على
قلوبهم ما ليس بمكروه لالذاته
بل لغيره كالذين يغلب
عليهم خوف الموت قبل
التوبة أو خوف نقض
التوبة ونكث العهد أو
خوف ضعف القوة عن
الوفاء بتمام حقوق الله تعالى
أو خوف زوال رقة القلب
وتبدلها بالقساوة أو
خوف الميل عن الاستقامة
أو خوف استيلاء العادة في
اتباع الشهوات المألوفة أو
خوف ان يكلمه الله تعالى
الى حسنة التي اتكل عليها
وتعزز بها في عباد الله أو
خوف البطر بكثرة نعم الله
عليه أو خوف الاشتغال
عن الله بغير الله أو خوف
الاستدراج بتواتر النعم أو
خوف انكشاف غوائل
طاعته حيث يبدوله من
الله ما لم يكن يحتسب أو
خوف تبعات الناس عنده
في الغيبة والخيانة واضمار

واضممار السوء أو خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والاقتضاح قبل الموت أو
خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة
التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سالك سبيل الحذر عما يقضى الى المخوف فن

يخاف استيلاء العادة عليه فيو اطلب على الطعام عن العادة والذي يخاف من الحلاخ الله تعالى على سر برته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسوس
وهكذا الى بقية الاقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان (٢٠٥) الامر فيه مخطر وأعلى الاقسام وأدناها

على كمال المعرفة خوفاً
السابقة لان الخاتمة تتبع
السابقة وفرع يتفرع عنها
بعد تخطل أسباب كثيرة
فالخاتمة تظهر ماسبق به
القضاء في أم الكتاب
والخائف من الخاتمة بالاضافة
الى الخائف من السابقة
كرجلين وقع الملك في حقهما
بتوقيع يحتمل أن يكون
فيه حزر الرقة ويحتمل أن
يكون فيه تسليم الوزارة اليه
ولم يصل التوقيع اليهما
بعد فبرق قلب أحدهما
بحالة وصول التوقيع ونشره
وانه عماذا يظهر ويرتبط
قلب الآخر بحالة توقيع
الملك وكيفية وانه ما الذي
خطر له في حال التوقيع من
رجة أو غضب وهذا التفات
الى السبب فهو أعلى من
الاتفات الى ما فرغ
فكذلك الالتفات الى قضاء
الازلي الذي جرى بتوقيعه
القلم أعلى من الالتفات الى
ما يظهر في الابد واليه أشار
النبي صلى الله عليه وسلم
حيث كان على المنبر فقبض
كفه اليميني ثم قال هذا كتاب
الله كتب فيه أهل الجنة
باسمائهم وأسماء آبائهم
لا يزداد فيهم ولا ينقص ثم
قبض كفه اليسرى وقال
هذا كتاب الله كتب فيه

يخاف استيلاء العادة عليه فيو اطلب على الطعام من العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سر برته
يشتغل بتطهير قلبه عن الوسوس) والخطرات (وهكذا الى بقية الاقسام) المذكورة (وأغلب هذه
المخاوف على المتقين خوفاً الخاتمة فان الامر فيه مخطر) أي صعب ذو خطر (وأعلى الاقسام وأدناها على
كمال المعرفة خوفاً السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخطل أسباب كثيرة فالخاتمة
تظهر ماسبق به من القضاء في أم الكتاب) قال صاحب القوت وقد فرغ بعض العارفين خوف المؤمنين
على مقامين فقال قلوب الارباب معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعري ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة
بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق اليك من هذه المقامات عن مشاهدتين أحدهما أعلى وأفضل من الاخرى
لخالين أحدهما أم وأكمل وهذا كما قيل ذنوب المقربين حسرات الارباب أي ما يرغب فيه الارباب فهو
عندهم باب قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مدده الختم
بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو في بطلالة لا أرحله ولا عاقبة من قبل ان سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر
فلا ينظر بها ما آخره اذ هما في سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فينظر اليه نظرة بعد
فهو يزداد باعماله بعد افاذا انقطعت الاجال وتناهت الاعمال تنهاى في الابد داخل في دار البعد (والخائف
من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون
فيه حزر الرقة) أي هلاكه (ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة اليهما ولم يصل التوقيع اليهما بعد فبرق
قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك
وكيفية وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رجة أو غضب وهذا التفات الى السبب وهو أعلى من
الاتفات الى ما فرغ فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات
الى ما هو يظهر في الابد) بعدما كان في حيز العدم (واليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان
ذات يوم على المنبر فقبض كفه اليميني ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم
وانسابهم لا يزداد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار باسمائهم
واسماء آبائهم وانسابهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال
كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة) وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي
وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الخلقوم وهذا هو شرك في الرواية
الاخرى وفوق الناقة هو ما بين القلبين وقيل هو شوط من عدو هابين سيرين (وليعلمن أهل الشقاوة
بعمل أهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة) وهذا
من تقليمات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال عقل
الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحسب (السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي
بقضاء الله والاعمال بالخواتيم) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن
صحيح غريب اه قلت وروى الطبراني والبراز من حديث ابن عمر وان العبد يلبث مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم
بائماً يموت والله عز وجل عليه ساخط وان العبد يلبث كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عز وجل عنده راض
وروى الخطيب من حديث عائشة ان العبد يعمل الزمن الطويل من عمره أو كاه بعمل أهل الجنة وانه
لمسكتوب عند الله من أهل النار وان العبد يعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثر بعمل أهل النار وانه
لمسكتوب عند الله من أهل الجنة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان العبد يولد مؤمناً ويعيش مؤمناً

أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم
يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة وليعلمن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله
قبل الموت ولو بفوق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم

وهذا كانهقسام الخائفين الى من يخاف (٢٠٦) معصيته وجنائه تعالى من يخاف الله تعالى نفسه لصفتة وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة

لا محالة فهذا أعلى رتبة
ولذلك يبقى خوفه وان
كان في طاعة الصديقين
وأما الآخر فهو في عرصة
الغرور والامن وانظرب
على الطاعات فالخوف من
المعصية خوف الصالحين
والخوف من الله خوف
الموحدين والصديقين وهو
ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل
من عرفه وعرف صفاته
علم من صفاته ما هو جدير
بان يخاف من غير جنابة
بل العاصي لو عرف الله
حق المعرفة لخاف الله ولم
يخف معصيته ولولا أنه
مخوف في نفسه لما سخره
للمعصية وبسرله سبيلها
ومهد له أسبابها فان تيسير
أسباب المعصية ابعادا ولم
يسبق منه قبل المعصية
معصية استحق بها ان يسخر
للمعصية وتجري عليه
أسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من يسر
له الطاعات ومهد له سبيل
القربات فالعاصي قد قضى
عليه بالمعصية شاء أم أبى
وكذا المطيع فالذي يرفع
محمدا صلى الله عليه وسلم الى
أعلى عليين من غير وسيلة
سبقت منه قبل وجوده
ويضع أبا جهل في أسفل
سافلين من غير جنابة سبقت
منه قبل وجوده جدير بان
يخاف منه لصفة جلاله فان
من أطاع الله أطاع بان سلطا

ويحوت كافر وان العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة
ثم يتركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يتركه ما كتب له فيموت سعيدا
وقال صاحب القوت بعد ان ذكر خوف أهل الخصوص وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين أحدهما عام
والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشوا رادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن اماما
للمتقين عند علوم معرفته وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة ولا يسكن الى علم ولا عمل ولا
يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا سبب من الاعمال وان جلت لعلمه بتحقيق الخواتم فقد قيل
انما يوزن من الاعمال خواتمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة
حتى يقال انه من أهل الجنة وفي خبر آخر حتى ما يبق بينه وبين الجنة الا شبر وفي لفظ آخر الافواق ناقة
ثم يسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار قال لا يتأني في هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم
بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا
مشاهد له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة
فيستحلبها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجوده فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه وذلك هو
سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يكون عند مفارقة الروح
الجسد انما لو فهم نصيبهم غير منقوص اه وروى البراز من حديث أبي هريرة السعيد من سعد في بطن
أمه والشقي من شقي في بطن أمه وسنده صحيح وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية
انما الاعمال بخواتمها الحديث وقد تقدم ومن هنا خوف العارفين حيث انهم لم يعرفوا انهم من أي
القبضتين المذكورتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى فربق في الجنة وفريق في السعير
وفي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد وقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله اما ساكرا واما كفورا
(وهذا كانهقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنائه تعالى من يخاف الله تعالى نفسه لصفتة وجلاله)
وعظمته (وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه) ويدوم ويسمى (وان
كان في طاعة الصديقين وأما الآخر) وهو الذي يخاف معصيته وجنائه (فهو في عرصة الغرور والامن
ان وانظرب على الطاعات فالخوف من المعصية) والجنابة (خوف الصالحين) من المؤمنين (والخوف
من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من
صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف
معصيته) ومن ذلك قول عمر في صهيب رضى الله عنه نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه (ولولا انه يخوف
في نفسه لما سخره للمعصية وبسرله سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسير أسباب المعصية ابعادا) وطرد
عن الحضرة (ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا
سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها من يسر له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه
بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع) قد قضى عليه بالطاعة شاء أم أبى (فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم
الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده) بل هو محض عناية وفضل (ويضع أبا جهل)
واضرا به (في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان
من أطاع الله أطاع بان سلطا عليه ارادة الطاعة) وسهل له سبيلها (وآناه الله القدرة) عليها (وبعد خلق
الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلطا عليه ارادة قوية جازمة
وآناه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد القدرة والارادة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هذا

وتخصيصه عليه ارادة الطاعة وآناه القدرة بعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلطا عليه ارادة قوية جازمة وآناه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد القدرة والارادة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هذا

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط ادعى (٢٠٧) المعصية عليه وكيف يحال ذلك على

العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله الابطال لولا اذن الشرع لم يستجري على ذكره ذوبيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفي كما تخاف السبع الضاري فهذا المثل يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف للجناية سبقت اليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكمبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلك ألف مثلك واهلاك غلة عندك واحدة (اذ لا يدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى) وكذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله استخ من الله كما استخني من الرجل الصالح فانما استخني من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء ووجب على الناظر اليه الاستحياء فالحياء أيضا وان كان أطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع (ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي) قيل يا رسول الله على ماذا عمل قال على مواقع القدر وفي حديث عمر ابن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة بعملهم ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار بعملهم فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط ادعى المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل) وهذا هو الخوف الذي يراد لذاته الى ان ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الازلي وهو خوف العارفين ويجب اعتقاد ذلك لانه من عقود الايمان بالله اذ لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لان احكام الرب تعالى في العباد على ما اقتضته ارادته ومشيئته لا رعاية لاصلاح العباد وكلما زادت المعرفة بهذا زاد الخوف (وراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه) وقد جاء في الخبر القدر سر الله فلا تنشوه فهنا خطاب لمن كوشف به وفي لفظ آخر سر الله فهذا خطاب لمن لم يكشف به وهذا منهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكشف ولا تسأل عما لا يجعل من علمك ولم يوكل اليك فتصنع بما لا يعينك كما كلفته وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام لا تسألني ما ليس لك به علم أي ما ليس من علمك الذي جعلته علمك لك هذا هو علمي وسري في خلقي وهو من معنى قوله لا يستل عما يفعل وهم يسألون أي ليس هو بما يصلح ان تتعلمه وتسال عنه لاني لم اتعبدك به قال صاحب القوت وليس يصلح ان يكشف سر الخوف من الخاتمة والسابقة لان ذلك يكون من حقائق معنى الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فظهرت بدائع الافعال وغرائب المسائل وأعادت الاحكام على من أظهر بها وجعل لها من حقت عليه الكامات وجعل نصيبه من معاني هذه السرائر من الصفات فيؤدي ذلك منالى كشف باطن الاوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه في غير خبر (ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته الابطال لولا اذن الشرع) بضرب الامثلة (لم يستجري على ذكره ذوبيرة) ولم يقدم عليه لصعوبة المقام (فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفي كما تخاف السبع الضاري) قال العراقي لم أجده أصلا ولعل المصنف قصد بآراؤه انه من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة (فهذا المثل يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله) فمن له علم بأسراره المخفية ممن كوشف بها (والحاصل ان السبع يخاف للجناية من الانسان سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته) ما ألبس وجهه من (كمبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك) أي تركك (لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلك ألف مثلك واهلاك غلة عندك واحدة) أي طريقة واحدة (اذ لا يدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى) وكذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله استخ من الله كما استخني من الرجل الصالح فانما استخني من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء ووجب على الناظر اليه الاستحياء فالحياء أيضا وان كان أطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع (ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي) قيل يا رسول الله على ماذا عمل قال على مواقع القدر وفي حديث عمر ابن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة بعملهم ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار بعملهم فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي

ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة* (الطبعة الثانية من الخائفين) أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة (٢٠٨) أو سؤال منكرو نكير أو عذاب القبر أو هول المطلاع أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى

أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وأه مالك وأحد وعبد بن جيد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآخرى في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات والضياع في المختارة والمعنى لا أبالي من ملامة أحد إذا لا يجب على الله شيء لا من أمانة المطيع ولا من تعذيب العاصي أو لا أبالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاصي أو لا أبالي لعدم تأثير الأمانة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه أو لا أبالي لاني متصرف في ملكي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد بالعدل أو لاني متفضل غير مائل عادل غير جائر (ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة) وبالله التوفيق

(الطبعة الثانية من الخائفين)

(ان يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه) في ذاته اعلم ان الخوف الذي يراد لغيره على قسمين لانا قدمنا ان الله تعالى على العبد نعم ما يخاف سلبها وله جنبايات يخاف العقوبة عليها في القسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتبة على الجنبايات وهو السوط الذي يساق به الاخساء من العبيد ولينتاتك العبيد (وذلك مثل) خوف ما يقع في الدنيا من خسف وكسف ومنعة وفقر (سكرات الموت وشدة أو) ما يقع في الآخرة امامن (سؤال منكرو نكير) في القبر (أو) من (عذاب القبر أو) من (هول المطلاع أو) من (هيبة الموقف بين يدي الله تعالى أو) من (الحياء من كشف السر أو السؤال) في الموقف (عن النكير والقطمير أو الخوف من) مرلة (الصراط وحدته وكيفية العبور عليه) باختلاف الاحوال أو خوف المحشر والميزان (أو الخوف من النار وأغلالها) وانكالها (وأهوالها) وأشار المصنف الى القسم الاول وهو خوف سلب النعم بقوله (أو الخوف من الحرمان من الجنات دار النعيم والملك المقيم) نحو ذلك مثل الخوف (عن نقصان الدرجات) العلى (والخوف من الحجاب عن الله تعالى) وهو يكف عن شاغل الاكوان وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملاسة الشهوات ثم خوف قلع أسباب الاتصال وهو يبحث على معرفة النعمة ورؤية المنة ثم خوف نسيانها وهو يبحث على اليقظة وعدم الغفلة ثم قطع أسباب النسيان وهو يبحث على مجالسة الصالحين والمذكرين والتواابين (وكل هذه الأسباب مكر وهمة في نفسها هسي لاجل الخوفة) وتبحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات فان لم تبحث عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظة لانها مخالفة على مشاهدة الوعد وكل حال يراد لغيره فغائده ان يؤدي الى مقصوده فان لم يؤدي كان العلم حجة (وتختلف احوال الخائفين فيها أو أعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى) فانه أشد العذاب عند أولى الابواب (وهو خوف العارفين وما قبل ذلك) هو (خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين) من المؤمنين (ومن لم تكمل معرفته ولم تنفخ بصيرته) لم يمتد الى الكمال (ولم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق) واذا ذكر له ان العارفين لا يخاف النار انما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والاقباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف (هو) (الالة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجوه الحسنان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما الالة العارفين فلا يدركها غيرهم) لان فهمهم لا تختمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله فانه (حرام على من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره والى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

والحياء من كشف السر والسؤال عن النكير والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكر وهمة في نفسها هسي لا بحالة تخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفخ بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له أن العارفين لا يخاف النار انما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والاقباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الالة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسنان

وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما الالة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه

*(بيان)

* (بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) * اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والانباء * أما الاعتبار فسيبيله أن فضيلة الشيء بقدر غناؤه في الاضضاء الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصيل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصيل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة (٢٠٩) ودوام الذكر ولا يتيسر الا بالاطمئنان على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا

ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بجمع الشهوات ولا تنقطع الشهوة بشئ كما تنقطع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله تعالى * وأما بطريق الاقتباس من الآيات والانباء فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر ونهايك دلالة على فضيلته جيع الله تعالى للعاقلين ما فرقه على المؤمنين (بين الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوسفهم بالعلم خشيتهم) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حقيقة بها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه (وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه) والخشية كذا كرم من مقامات الخوف يخص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم بالله تعالى) (ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا في القوت وهومن الاسرائيليات (فاتظر كيف أفردهم) من غير مشاركة (بمرافقة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء في الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد بذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال في وصف

* (بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) *

(اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والانباء أما الاعتبار فسيبيله) أن تعرف (ان فضيلة الشيء بقدر غناؤه في الاضضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة) اذ هي الغاية المطلوبة (ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا) فيموت على ذلك (ولا تحصيل المحبة الا بالمعرفة) لانها فرعها فمن لم يعرف لم يحب (ولا تحصيل المعرفة الا بدوام الفكر) في مشاهدة جلالة تعالى (ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر) لا لاء الله تعالى (ولا يتيسر الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب) وفرغ عنه (ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بجمع الشهوات) وكف النفس عنها (ولا تنقطع الشهوة بشئ كما تنقطع بنار الخوف) فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها (فالخوف هو النار المحرقة للشهوات) والمزيل لآثارها (فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات) وهو القدر الواجب منه وما استيلاؤه على القلب فهو مستحب (ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق) قريبانم يستحب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه مثل قراءتك ملك يوم الدين وغير المغضوب عليهم وعند تذكر ما أعده الله للعصاة وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل يكون هذا عباد الله تعالى ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنقل من قراءة القرآن الى اجابة المؤذن من أجل انهم اعبادة الوقت فالعالم هو القائم بما هو أولى بالوقت (وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله تعالى) وفي هذا القدر مفتح لاهل التأمل والاعتبار وعبرة لاولي الابصار (وأما بطريق الاقتباس من الآيات والانباء فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر) والاحصاء (ونهايك دلالة على فضيلته جيع الله تعالى للعاقلين ما فرقه على المؤمنين (بين الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوسفهم بالعلم خشيتهم) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حقيقة بها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه (وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه) والخشية كذا كرم من مقامات الخوف يخص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم بالله تعالى) (ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا في القوت وهومن الاسرائيليات (فاتظر كيف أفردهم) من غير مشاركة (بمرافقة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء في الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد بذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال في وصف

(٢٧) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) العلماء وصفهم بالعلم خشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم

ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه - أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فاتظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم

ولذلك لما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى فاذن ان نظرا الى مثمره فهو العلم وان نظرا الى (٢١٠) ثمره فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى

منازلهم وحسن أولئك رفيقا بمعنى رفقا عبر عن جاعتهم بالواحد لانهم كانوا واحدا وقد يكون رفيقا مقام في الجنة لعلو عليين واليه أشار بقوله (ولذلك لما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر فلما نزل به ورأسه في حجرى غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فعلمت انه لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث انتهى قلت ورواه أحمد مختصرا ورواه الترمذى في الشمائل معا ولا ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأوئلك لهم الرفيق الاعلى فدل على انهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (فأما ان نظرا الى مثمره) الذي هو السبب (فهو العلم) أو الى حقيقة الخشية (وان نظرا الى ثمره فالورع والتقوى) والكف عما سوى الله (ولا يخفى ما ورد في فضائلهما) أى الورع والتقوى وبعد اذ فهمت سببه وحقيقته وثمرته سهل عليكم معرفة فضيلته (حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة) مخصوصة (برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه) تشريفا له ومعنى وصله وأكرم عبادته عليه تعاليمه (فقال) في هذين المعنيين (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق وكرمكم عند الله أن أكرمكم عند الله أتقاكم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والاخيرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف منه (وأوجبه وشرطه ولفظ الرسالة والخوف من الله تعالى هو ان يخاف ان يعاقبه الله امانى الدنيا واما فى الآخرة وقد فرض الله على العباد ان يخافوه فقال وخافون ان كنتم مؤمنين وقال فاياي فارهبون (لذلك لا يتصور ان ينفلك مؤمن عن خوف وعن ضعف ويكون ضعفه بحسب معرفته وإيمانه) كما ان قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه (وقال صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والاخيرين لملاقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أذاناهم بأسماء الناس الى قد انصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبوا جعلتكم نسبافوضعتكم نسبي ورفعتكم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان قال يوم أضع نسبكم وأرفع نسبي الا ان المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والذهبي في التفسير مقتصر على آخره اني جعلت نسبنا الحديث من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك ابن مردويه معا ولا لفظ الحاء كما ان الله تعالى يقول يوم القيامة أمرتكم فضيعة ما عهدت اليكم ورفعتكم أنسابكم قال يوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم أين المتقون ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقد صححه وتعقب ورواه كذلك ابن مردويه والبيهقي وفي الباب عن علي حديثه عند الخطيب ولفظه اذا كان يوم

مخصوصة بهم كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والاخيرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الايمان فذلك لا يتصور ان ينفلك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعفه بحسب معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والاخيرين لملاقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أذاناهم بأسماء الناس الى قد انصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبوا جعلتكم نسبافوضعتكم نسبي ورفعتكم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان قال يوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب

القيامة

انني قد أنصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبوا جعلتكم نسبافوضعتكم نسبي ورفعتكم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان قال يوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب

وقال عليه الصلاة والسلام

رأس الحكمة مخافة الله

وقال عليه الصلاة والسلام

لا ين مسعود ان أردت ان

تلقاني فاكثر من الخوف

بعدي وقال الفضل بن

خاف الله دله الخوف على

كل خير وقال الشبلي رحمه

الله ما خفت الله يوما الا رأيت

له بابا من الحكمة والعبرة

ما رأيت له قط وقال يحيى بن

معاذ ما من مؤمن به - جل

سيئة الا ولحقها حسنات

خوف العقاب ورجاء

العفو وكغلب بين أسدين

وفي خبر موسى عليه الصلاة

والسلام وأما الورعون فانه

لا يبقى أحد الا ناقسته

الحساب وفتشت عما في

يديه الا الورع فاني استحيي

منهم وأجلهم ان أوقفهم

للمساب والورع والتقوى

اسم اشتقت من معان

شرطها الخوف فان خلت

عن الخوف لم تسم به - هذه

الاسامي وكذلك ما ورد في

فضائل الذكركر لا يخفى

وقد جعله الله تعالى مخصوصا

بالخائفين فقال سيد كرم

من يخشى وقال تعالى ولن

خاف مقام ربه جنتان وقال

صلى الله عليه وسلم قال الله

عز وجل وعزني لا أجمع على

عبدى خوفين ولا أجمع له

أمنين فان أمنني في الدنيا

أخنته يوم القيامة واذا

خافني في الدنيا أمنته يوم

القيامة وقال صلى الله عليه

القيامة وقف العباد بين يدي الله تعالى غلاما في قول الله تعالى عبادي أمرتكم نصية ثم أمرى ورفعت
أنسابكم فنه آخرتم بها اليوم أضاع أنسابكم أنا الملائكة الذين آمن المتقون أين المتقون ان أكرمكم عند الله
أتقاكم (وقال صلى الله عليه وسلم رأس الحكمة) أي أصلها وأصلها (مخافة الله) وفي لفظ خشية الله قال
العراقي رواء ابن لال في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل
النسبة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا اه قلت ورواه أيضا الحكيم في النوادر من حديث ابن
مسعود (وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ان أردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي) قال العراقي
لم أقفله على أصل (وقال الفضل بن عياض رحمه الله تعالى) (من خاف الله دله الخوف على كل خير)
أي أرشده الى كل ما فيه خير ما ظاهرا وما باطنا (وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (ما خفت الله
يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيت قط) فالحكمة هي أسرار المعارف المكتوبة والعبرة اسم
من الاعتبار (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (ما من مؤمن يعمل سيئة الا ولحقته حسنات
خوف العقاب ورجاء العفو وكغلب بين أسدين) فان خاف منها محبت له وان أقدم على رجائه رحمه له (وفي
خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقسته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورع فاني
استحييهم وأجلهم ان أوقفهم للمساب) كذا في القوت وروى الحكيم في النوادر من حديث ابن عباس قال الله
تعالى يا موسى انه ان يلقاني بعدي في حاضر القيامة الانتسبه عما في يديه الا ما كان من الورع فاني استحييهم
وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب ولم يتعرض له العراقي هنا لكونه من الاسرائيليات وليس
من المرفوع لكن تقدم للمصنف في أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه وقال هناك وفي الخبر ثم سأل هذا وأما
الورعون فاني استحييهم وقال العراقي هناك لم أقفله على أصل وقد دللناك على أصله (والورع والتقوى
اسم اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم به هذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل
الذكركر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيد كرم من يخشى) والخشية من مقامات الخوف
ثم قال ويخفها الاشقي أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمة التذكرة تخوف
عموم المؤمنين بظواهر العقاب عن ظواهر العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن
باطن العلم بالوجود فاما خوف اليقين فهو لا يعدى يقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من
الصفات المخوفة (وقال تعالى وان خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
وعزني لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافني في
الدنيا أمنته يوم القيامة) قال العراقي رواء ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة
ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن بن مرسل اه قلت وروى
أبو نعيم في الحلية من حديث شداد بن أوس قال الله عز وجل وعزني وجلالي لا أجمع لعبدى أمنين ولا
خوفين ان هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وان هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي
وأما حديث أبي هريرة فقد رواه كذلك ابن المبارك في الزهد وكلمهم من رواية سلمة عنه ومرسل الحسن رواء
كذلك الحكيم في النوادر ولكن لفظه يقول الله وعزني وعزني عن عبد ابن عسا كرم من حديث أنس يقول الله
عز وجل وعزني وجلالي وارفعني فوق خلق لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع لعبدى أمنين فن
خافني في الدنيا أمنته اليوم ومن أمنني في الدنيا أخفته اليوم (وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى
خافة كل شيء ومن خاف غير الله خوفه من كل شيء) قال العراقي رواء أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث
أبي امامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين باسناد معضل وقد تقدم اه قلت
ورواه أبو الشيخ أيضا من حديث واثله بلفظ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه
الله من كل شيء ورواه الحكيم بلفظ من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه من كل شيء
ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجي في أماليه والرافعي في تاريخه من حديث ابن عمر

وسلم من خاف الله تعالى خافة كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء

وقال صلى الله عليه وسلم أتدركم عقلا (٢١٢) أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ

(وقال صلى الله عليه وسلم أتدركم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرا) قال العراقي لم أقفله على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة) نقله القشيري في الرسالة أي لأن خوفه من الفقر يحمله على أن يشع بمآمعه على نفسه وعياله ويحل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحوز كانه ويقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالنلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطي أسباب دخول الجنة وما غلبت عليه الشهوات (وقال ذوالنون) المصري رحمه الله تعالى (من خاف الله ذاب قلبه واشتدته حبه وصرح له به) وهو داخل القاب (وقال) أيضا (ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء) أي في حال صحته وقوة شبابه (فاذا غلب الرجاء) في القلب (تشوش القلب) أي اضطرب وآل أمره إلى الفساد ومثله قول الداراني اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب (وكان أبو الحسين الضرير) رحمه الله تعالى (يقول علامة السعادة خوف الشقاوة) أي مخافة أن تدركه (لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من آمن الخلق غدا) أي من أكثرهم أمنا في يوم القيامة (فقال أشدهم خوفا اليوم) أي في الدنيا (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لا تجد الخوف) أي لا تكون خائفا خوفا حقيقيا (حتى تأكل الحلال وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد) وهي كنية الحسن (كيف نصنع نحاس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير) أي نزول من مواضعهما من شدة الخوف (قال) الحسن (والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصعب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف) فيه استحسان لتغليب جانب الخوف على الرجاء (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ما فارقت الخوف قلبا الا خرب) قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسين بن احمد الصفاري يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك والمعنى ان الخوف درجات ومن انتقل من مقام شريف ان لم يحذر مما يفسده عليه أولا يكمل أولا يرقيه الى ما هو اعلى منه فسد عليه ما هو فيه فلا يستغنى مقام عن الخوف (و) قال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد الاوزاعي أخبرنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن عثمان حدثنا القاسم بن محمد حدثنا يحيى بن عمار عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال (قالت عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله) قوله تعالى (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهوالهم جل يسرقون) ويشرب الخمر (قال لابل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه) فنه دليل على ان الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله خلفا ما يطرأ في الأعمال من الآفات قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبي حازم عن أبي هريرة اه قلت لفظ الترمذي رواه كذلك الفرابي وأحمد وعبد بن جيد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن الانباري في المصاحف وابن مردويه عن أبي هريرة قالت عائشة يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي وفي لفظه هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه قال لا ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة (والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقيه وضده الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكلاهما مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف

رحمة الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذوالنون رحمه الله تعالى من خاف الله ذاب قلبه واشتدته حبه وصرح له به وقال ذوالنون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل يحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقل أشدهم خوفا اليوم وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع نحاس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارقت الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويذني قال لابل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه والتشديدات

المضاد

الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقيه وضده

الخوف الامن كما أن ضد الرجاء اليأس وكلاهما مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف

المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهم ممتلازمان فان كل من رجا محبو بافلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف

(٢١٣)

عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذا لم يؤم لا يرجي ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتعد وجوده بوجع القلب وتعد بوجع القلب وهو الخوف والتقدير ان يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجى على الآخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك تظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعونهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (فقال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون) لله عظمة اجعوا على هذا التفسير وهو يخرج على قولهم مالكم لا ترجونهم يريدون مالكم لا تخاف وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه (وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفر للذين لا يرجون أيام الله أي يخافون عقوبات الله وكذا قوله تعالى ورجون من الله ما لا ترجون أي يخافون منه لا يخافون (لتلازمهما) ولولا انهما كشي واحد لما فسر أحدهما بالآخر (اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه) أي من مذهبهم ان الشيء اذا كان لازما للشيء أو وصفه أو سببا عنه أن يعبروا عنه به ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لمالم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليل ومنه قوله تعالى مخبرا عن قصة واحدة قال آتيناك لاتبكم الناس ثلاث ليل سويا ثم قال ثلاثة أيام الارض الفلالم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليل لا ينفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشي واحد فكيف وان الليل والنهار أحدهما باليس والآخر مندرج فيه لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامهما فهما واقتران انعامهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته الله تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويده أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني المالكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد خائفا راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه الاغلب عليه وبان الخوف في رجائه (بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهم ممتلازمان فان كل من رجا محبو بافلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر) ولفظ القوت في باب الرجاء ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لانه لما تحقق رجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من الخوف لقوت الرجاء (نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان) وهذا خلاف ما قاله بعضهم انه لا يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما في التعلق بالاسباب فتأمل ذلك (ويجوز أن يشغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه) أو مظنون (اذ المعلوم لا يرجي ولا يخاف) كما سبق (فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة فتعد وجوده بوجع القلب وتعد بوجع القلب وهو الخوف والتقدير ان يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجى بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك تظنا) وهذا هو المراد لغيره وأما المراد لذاته فانه مبني على الشك (فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وغاب الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس) فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر ولو استويا في التعلق بالاسباب (وعلى كل حال فهما) وصفان (متلازمان) لا ينفك أحدهما عن الآخر (وكذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعونهم خوفا وطمعا معا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (فقال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون) لله عظمة اجعوا على هذا التفسير وهو يخرج على قولهم مالكم لا ترجونهم يريدون مالكم لا تخاف وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه (وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفر للذين لا يرجون أيام الله أي يخافون عقوبات الله وكذا قوله تعالى ورجون من الله ما لا ترجون أي يخافون منه لا يخافون (لتلازمهما) ولولا انهما كشي واحد لما فسر أحدهما بالآخر (اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه) أي من مذهبهم ان الشيء اذا كان لازما للشيء أو وصفه أو سببا عنه أن يعبروا عنه به ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لمالم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليل ومنه قوله تعالى مخبرا عن قصة واحدة قال آتيناك لاتبكم الناس ثلاث ليل سويا ثم قال ثلاثة أيام الارض الفلالم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليل لا ينفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشي واحد فكيف وان الليل والنهار أحدهما باليس والآخر مندرج فيه لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامهما فهما واقتران انعامهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته الله تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويده أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني المالكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد خائفا راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه الاغلب عليه وبان الخوف في رجائه (بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

الخوف وذلك لتلازمهما اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

قليلًا وليكثروا كثيرًا) وفي حديث أنس لو تعاون ما أعلم لفتحكم قليلًا وليكنتم كثيرًا وقد سبق (وقال تعالى) في وصفه الباكين من العلماء في السجود يزيد اليقين بالخشوع ويخرجون للأذقان (يكونون) يزيدهم خشوعًا وقال عز وجل أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أي رادعون رؤسكم تخيرون فاسجدوا لله واعبدوا (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعَةٌ وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيًا من حروجه الأحرمة الله على النار) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اه قلت وروى ابن النجار من حديث أنس ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من خشية الله إلا أمهنا الله يوم الفرع الأكبر وعند الحاكم من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة (وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقتشر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما تحات عن الشجرة ورقها) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي من حديث العباس بسند ضعيف اه قلت ولفظهما جلد العبد وفيه عن الشجرة البالية ورقها ورواه كذلك الحكيمة في النوادر وأبو بكر الشافعي وسهويه في فوائده والخطيب (وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت وزاد الترمذي والنسائي ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في مخري مسلم أبدًا وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقي وقال القشيري في الرسالة أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الحبري أنبأنا أبو بكر بن دلويه الدقاق حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عامر بن أبي الفرات حدثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى ابن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وعذر البيهقي وحده لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذبوا لجاه الله يقوم يذنبون فيغفر لهم (وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه قلت (ما النجاة يا رسول الله) قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابذل على خطيئتك) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والترمذي وحسنه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وقد تقدم في كتاب الصمت ورواه أحمد من حديث أبي امامة والطبراني من حديث ابن مسعود ولفظهما أملك بدل أمسك (وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فسكى) أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من فطرة أحب إلى الله تعالى من فطرة دمع من خشية الله تعالى أو فطرة دم أهرقت في سبيل الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي امامة وقال حسن غريب وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اوزقني عينين هاتين تشفيان) القلب (بذروف الدمع) وفي لفظ الدموع (قبل أن تصير) وفي لفظ تكون (الدموع دما والأضراس جرا) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن ورواه الحسين المروزي في زيادته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلًا دون ذكر أبيه وذكر الدارقطني في العلل أن من قال فيسه عن أبيه وهم وانما هو عن سالم بن عبد الله مرسلًا قال وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر اه وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في الكشي وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم فان الراوي له عن سالم ثابت بن شريح أبو سلمة وانما ذكرناه رواية عن سالم المحاربي والله أعلم نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروى عنه سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر اه قلت ومن جزم أنه سالم المحاربي لابن عمر أبو زرعة كما هو بخط الحافظ ابن حجر (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ذكروا من رجل لا ظله خاليًا ففاضت عيناه) رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد

تعالى يكونون يزيدهم خشوعًا وقال عز وجل أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعَةٌ وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيًا من حروجه الأحرمة الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقتشر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما تحات عن الشجرة ورقها (وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر) ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابذل على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فسكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من فطرة أحب إلى الله تعالى من فطرة دمع من خشية الله تعالى أو فطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اوزقني عينين هاتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جرا (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكروا من رجل لا ظله خاليًا ففاضت عيناه)

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه
وحنيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما بكوا فأن لم تبكوا
فتبا كوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى (٢١٥) ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني
رحمه الله ما تغرغرت عين
بما هم إلا لم يرهق وجهه
صاحبها فتر ولاذلة يوم
القيامة فان سالت دموعه
أطفأ الله باول قطرة منها
بحارا من النيران ولو أن
رجلا بكى في أمة ما عذبت
تلك الأمة وقال أبو سليمان
البكاء من الخوف والرجاء
والطرب من الشوق وقال
كعب الاحبار رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لآن أبكى
من خشية الله حتى تسيل
دموعه على وجتي أحب
الي من أن أتصدق بجبل من
ذهب وقال عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما لآن أدمع
دمعة من خشية الله أحب
الي من أن أتصدق بألف
دينار وروى عن حفظة
قال كأعند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوعظنا موعظة
رقت لها القلوب وذرفت
منها العيون وعرفنا أنفسنا
فرجعت الى أهلي فذنت
منى المرأة وجرى بيننا من
حديث الدنيا فنبئت ما كنا
عليه عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخذنا في الدنيا
ثم تذكرت ما كنا فيه
فقلت في نفسي قد ناققت

ورواه مسلم عنهما معا وقد تقدم مرارا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبك) أي ليشتكف البكاء (وكان) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير
التميمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة وروى له الجماعة قال ابن حبان من
سادات القراء لا يمت لك من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا بكى مسح وجهه وحنيته
بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما بكوا فأن لم تبكوا فتبا كوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى
حتى ينكسر ظهره) رواه أحمد في الزهد حدثنا وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عن
عبد الله بن عمر وقال لو تعاون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى
ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وروى من طريق قسامة بن
زهير قال خطبنا أبو موسى الأشعري بالبصرة فقال أيها الناس أبكوا فأن لم تبكوا فتبا كوا فأن أهل النار
يبيكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت (وقال أبو سليمان الداراني)
رحمه الله تعالى (ما تغرغرت عين بما هم إلا لم يرهق وجهه صاحبها فتر ولاذلة يوم القيامة فان سالت دموعه
أطفأ الله باول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة) نقله صاحب القوت
أي كان بكاه من خشية الله تعالى (وقال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (أيضا البكاء من الخوف) أي
منشؤه منه لانه انما يخاف ان يحل به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فنه يحصل البكاء (والرجاء من
الطرب والشوق) لما يؤمله في الاستقبال (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (والذي نفسي بيده لآن
أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعه على وجتي أحب الي من أن أتصدق بجبل من ذهب) أخرجه أبو نعيم
في الحلية (وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما (لآن أدمع دمة من خشية الله أحب الي من
أن أتصدق بجبل من ذهب) وفي لفظ بالفدينار أخرجه أبو نعيم في الحلية (وروى عن) أبي ربي (حفظة)
ابن الربيع بن صبيح بن رياح بن الحرث بن معاوية بن مجاشع التميمي الأسدي المعروف بالكاتب أخو
رياح بن الربيع وابن أخى أكرم بن صبيح حكيم العرب نزل الكوفة ثم انتقل الى قرقيسية ولاخيه حجة
قال الوائدي كتب لني صلى الله عليه وسلم مرة كتابا فسمي بذلك الكاتب وكانت الكتابة في العرب قليلة
وقال ابن البرقي سمى الكاتب لانه كتب لني صلى الله عليه وسلم الوحى ونوفى بعد على وكان معتزلا لا فتنة حتى
مات جاء عنه حديثان روى به مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (قال كأعند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون) أي سالت دموعها (وعرفنا أنفسنا) أي
كرهناها (فرجعت الى أهلي فذنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنبئت ما كنا
عليه صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد ناققت
حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقه فخرجت وجعلت أنا ذى ناقق حفظة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله
عنه فأخبرته الخبر فقال كلام ينافق حفظة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول ناقق
حفظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ينافق فقلت يا رسول الله كأعندك فوعظتنا موعظة
وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت

حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقه فخرجت وجعلت أنا ذى ناقق حفظة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلام
ينافق حفظة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول ناقق حفظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ينافق حفظة فقلت
يا رسول الله كأعندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا
ونسيت

ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدأ على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة في الطرق وعلى فرسكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة قال العراقي رواه مسلم مختصرا اه قلت ولفظه حديثنا يحيى بن يحيى التميمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أنخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن أبياس الجري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسدي قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافع حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون بالنار والجنة كأننا رأينا عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعة فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله أنا ألتقي مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافع حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قلت قلت يا رسول الله نكفون عندك نذكرون بالنار والجنة والنار كأننا رأينا عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعة فنسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكركر لصاغتكم الملائكة على فرسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومدة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لان جلة ذلك متعلق به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب) وهذه عباراتهم في الخوف قال القشيري في الرسالة سمعت أبا علي الدقاق يقول الخوف على مراتب الخوف والخشية والهبة فان خوف من شروط الإيمان وقضيته قال الله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين والخشية من شرط العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والهبة من شرط المعرفة قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهب يلتجئ الى الرب اذا خاف ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجذب فاذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحهم لحام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية وقال أبو حفص الخوف سراج القلب به يصرفه من الخير والشر سمعت أبا علي الدقاق يقول الخوف أن لا تغفل نفسك بعسى وسوف وقال أبو عمرو الدمشقي الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلاء الخائف من يأمن المخوفات وقيل للفضيل ما لا نرى خائفا فقال لو كنت خائفا لرأيت الخائفين ان الخائف لا يراه الا الخائفون وان الشكلى يحب ان ترى الشكلى وقال شاه الكرماني علامة الخوف الحزن الدائم وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يطعم من قلبه ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم خلفه وقال بشر الخافي الخوف ملك لا يسكن الا في قلب متق وقال أبو عثمان الخيري عيب الخائف في خوفه السكون لانه أمر خفي وقال النوري الخائف هرب من ربه الى ربه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب وقال الجنيد الخوف توقع العقوبة مع مجارى الانفاس وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال أبو عثمان صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهر او باطننا وقال ذو النون الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الأصم لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل وقال رجل لبشر أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله شديد وقال ابن المبارك الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وقيل الخوف حركة القلب بحلال الرب وقال الحسين من خاف من شيء سوى الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجابا أبسر الشك وان مما أوجب شدة خوفهم فكرتهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون

(بيان ان الافضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

(اعلم) هـ ذلك الله تعالى (ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما

ما كنا عندك عليه فقال
صلى الله عليه وسلم يا حنظلة
لو أنكم كنتم أبدأ على تلك
الحالة لصاغتكم الملائكة
في الطرق وعلى فراسكم
ولكن يا حنظلة ساعة
وساعة فاذا كل ما ورد في
فضل الرجاء والبكاء وفضل
التقوى والورع وفضل
العلم ومدة الأمن فهو دلالة
على فضل الخوف لان جلة
ذلك متعلق به اما تعلق
السبب أو تعلق المسبب
(بيان أن الافضل هو غلبة
الخوف أو غلبة الرجاء أو
اعتدالهما)*

اعلم أن الاخبار في فضل
الخوف والرجاء قد كثرت
وربما ينظر الناظر اليهما

الارجلا واحد الرجوت ان أكون أنا ذلك الرجل ولو فدى لي دخل الجنة كل الناس الارجل واحد الخشب ان أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتداهم مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فقل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم أن من (٢١٨) بث البذر الصحيح في أرض نقية وراغب على تعهدها وجاء بشرط الزراعة جميعها غلب على

الارجلا واحد الرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله الباقلي حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن كثير عن عمر ابن الخطاب قال لو نادى مناد من السماء أيها الناس انكم داخلون الجنة كلكم أجعون الارجلا واحد انا لظفت أن أكون أنا هو ولو نادى مناد أيها الناس انكم داخلون النار الارجلا واحد الرجوت أن أكون أنا هو) وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتداهم مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي) لانهم لا يثبتان على سابقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والارادة بخفي المكر والالطاف والشك فيما يصدر عنهما متساو فلا يغلب أحدهما الآخر (فقل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فان قلت مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالبذر والزرع) ومضى في كتاب الرجاء (ومعلوم ان من بث البذر الصحيح) عن التسويس (في أرض نقية) صالحة (وراغب على تعهدها) ومراعاتها (وجاء بشرط الزراعة جميعها غلب على قلبه وجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان تكون أحوال المتقين فاعلم ان من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان أوردناه مثالا فليس بضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غاية الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسا لتناظر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أكثرها الصواعق أم لا فقل هذا الزارع وان أدى كنه مجهوده) أي خالصه (وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق تخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثا الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لا يجرب فن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما تنحصر في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومن بعدهم (وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه) فصار في الاعتدال (فاما ان يغلب رجاؤه) على خوفه (فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يباليغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة) بن البيان (رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين) قال العراقي روى مسلم من حديث

قلبه وجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان أوردناه مثالا فليس بضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غاية الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسا لتناظر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أكثرها الصواعق فيها أم لا فقل هذا الزارع وان أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق تخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثا الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لا يجرب فن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما تنحصر في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومن بعدهم (وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه) فصار في الاعتدال (فاما ان يغلب رجاؤه) على خوفه (فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يباليغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة) بن البيان (رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين) قال العراقي روى مسلم من حديث

حذيفة

والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق تخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لم يجرب فن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما تنحصر في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يباليغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين

فإن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتدق نفاق قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بل ليس حاله عليه
واخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل يعمل عمل أهل الجنة
خسین سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه (٢١٩) الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار وقد

فواق ناقة لا يحتمل عملا
بالجوارح انما هو بمقدار
خاطر يخطر في القلب عند
الموت فيقتضى خاتمة السوء
فكيف يؤمن ذلك فاذا
أقصى غايات المؤمن ان
يعتدل خوفه ورجاؤه
وغلبة الرجاء في غالب الناس
تكون مستندة للاغترار
وقلة المعرفة ولذلك جمع
الله تعالى بينهما في وصف
من آثى عليهم فقال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا
وقال عز وجل وبدعونا
رغباً ورهباً وأن مثل أمر
رضي الله عنه فخلق
الموجودون في هذا الزمان
كلهم الاصلح لهم غلبة
الخوف بشرط ان لا يخرجهم
الى اليأس وترك العمل
وقطع الطمع من المغفرة
فيكون ذلك سبباً للتكامل
عن العمل وداعياً الى
الانحياز الى المعاصي فان
ذلك قنوط وليس بخوف
انما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع
الشهوات ويرفع القلب
عن الركون الى الدنيا
ويدعوه الى التجاني عن دار
الغرور فهو الخوف المحمود
دون حديث النفس الذي
لا يؤثر في الكف والحث

حذيفة في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل فيسم الخياط الحديث اه
قالت ورواه كذلك أحد (فإن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتدق نفاق
قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بل ليس حاله عليه واخفاء عيبه منه وإن وثق به فمن أين يثق
ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل يعمل عمل أهل الجنة
خسین سنة) حتى يقال انه من أهل الجنة وفي لفظ (حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا
قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار) هكذا وفي القوت وقد سبق ذكره
قريباً وقال العراقي روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الرجل يعمل الزمان الطويل يعمل أهل الجنة
ثم يحتم له عمله بعمل أهل النار والظاهر ان في الاوسط سبعين سنة واستاده حسن وللشيخين في أثناء حديث
لابن مسعود ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث ليس فيه زمن
العمل بخمسين سنة ولا ذكر شر ولا فواق ناقة اه قلت وتتمام حديث أبي هريرة فيحتم له من أهل
النار وان الرجل يعمل الزمان الطويل يعمل أهل النار ثم يحتم الله عمله بعمل أهل الجنة فيحتم له ان الله من
أهل الجنة فيدخله الجنة ورواه كذلك أحد (وقدر فواق ناقة) وكذا الشبر (لا يحتمل عملاً) أي لا يتأني
في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم (بالجوارح انما هو) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول
(بمقدار خاطر يخطر في القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يكن
في الحياة الدنيا شاهداً له ظهوره ببيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبت فيه حاله كما تظهر له
أعماله السيئة فيستعمل قلبه أو ينطق به لسانه أو يخامرها وجدده فتكون هي خاتمة التي تخرج عليها
روحاً وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وأنا
أوفوهم نصيبهم غير متقوص (فكيف يؤمن ذلك فاذا أقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه
وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من
آثى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعا) والطمع هو الرجاء (وقال عز وجل وبدعونا
رغباً) والرغبة من الرجاء والرغبة من الخوف (وأن مثل أمر رضي الله عنه) في قوته وبأنه (فخلق
الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف) على الرجاء (بشرط ان لا يخرجهم) الى
اليأس من روح الله (وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سبباً للتكامل عن العمل
وداعياً الى الانحياز الى المعاصي فان ذلك قنوط) وهو كفر (وليس بخوف وانما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع الشهوات) ويستأصلها (ويرفع القلب عن الركون الى الدنيا) أي الميل
اليها (ويدعوه الى التجاني عن دار الغرور) واذا تحقق ذلك (فهو الخوف المحمود) شرعاً (دون
حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف) عن المنهيات (والحث) على المأمورات (ودون اليأس الموجب
للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من عبد الله تعالى بمحض الخوف) أي دون الرجاء
(غرق في بحار الافكار) اذا الخوف يجعله الى كل واد (ومن عبده بمحض الرجاء) أي دون الخوف (ناه
في مغاور الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الاذكار) نقله صاحب القوت (وقال
مكحول الدمشقي) هكذا في سائر النسخ ولفظ القوت وقيل مكحول التنسي في معناه الا انه أفرط فيه (من
عبد الله بالخوف فهو حر وري ومن عبده بالرجاء فهو مريض ومن عبده بالمحبة فهو زنديق) كذا في النسخ

ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبده الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء ناه في
مغارة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبده الله بالخوف فهو حر وري ومن عبده بالرجاء
فهو مريض ومن عبده بالمحبة فهو زنديق

ومن عبده بالخوف والرعاة المحبة فهو وحده فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولا يمكن قبل الاشراف على الموت
 أما عند الموت فالاصح غلبة الرعاة وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت
 لا يقدر على العمل ثم لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تجميل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه ويوجب
 اليه به الذي يمر جازوا ولا ينبغي ان (٢٢٠) يفارق أحد الدنيا الا بحب الله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله

لقاءه والرجاء تقاربه المحبة
 فن ارتجى كرمه فهو
 محبوب والمقصود من العلوم
 والاعمال كلها معرفة الله
 تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة
 فان المصير اليه والقيدوم
 بالموت عليه ومن قدم على
 محبوبه عظم سروره بقدر
 محبته ومن فارق محبوبه
 اشتدت محنته وعذابه
 فهما كان القلب الغالب
 عليه عند الموت حب الاهل
 والولد والمال والمسكن
 والعقار والرفقاء والاصحاب
 فهذا رجل محابه كلها في
 الدنيا فالدنيا حبه اذا الجنة
 عبارة عن البقعة الجامعة
 لجميع المحاب فوته خروج
 من الجنة وحيولة بينه وبين
 ما يشتهي ولا يخفى حال من
 يحال بينه وبين ما يشتهي فاذا
 لم يكن له محبوب سوى الله
 تعالى وسوى ذكره ومعرفة
 والفكر فيه والدنيا
 وعلائقها شاغلة له عن
 المحبوب فالدنيا اذا سجنه
 لان السجن عبارة عن البقعة
 المانعة للمحبوس عن
 الاسترواح الى محابه فوته
 قدوم على محبوبه وخلاص
 من السجن ولا يخفى حال

ولفظ القوت فهو جهمي اي يتجهم عليه بالمقال ويتجاوز الحد في الافعال (ومن عبده بالخوف والرعاة
 والمحبة فهو واحد) شبه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنى لاعلى التحقيق أى انه
 اذا انفرد بحال منها لا بد وان يخرج من معيار علم أو عن سنة أو معروف أو معتاد مألوف فاذا جمعها فقد
 استقام على العلم والسنة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني (فاذا لا بد من الجمع بين هذه
 الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن) عند صحة طواعيته وذلك الى (قبل الاشراف على الموت أما عند
 الموت) وشدة المرض (فالاصح) في حقه تغليب جانب (الرجاء وحسن الظن) بالله تعالى (لان الخوف)
 كما سبق (جار مجرى السوط الباعث على العمل) بالجوارح (وقد انقضى وقت العمل) فالمشرف على
 الموت لا يقدر على العمل (ولا تأتي منه) (ثم) هو لا (يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه)
 وهو بكسر النون عرق معلق به القلب (ويعين على تجميل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه ويوجب
 اليه به الذي يمر جازوا ولا ينبغي ان يفارق أحد الدنيا الا بحب الله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان
 من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (والرجاء
 تقاربه المحبة فن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم) والمعارف (والاعمال كلها معرفة الله
 تعالى) واليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحضة (فان المصير اليه
 والقيدوم بالموت عليه و) لا يخفى انه (من قدم على محبوبه عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من قبل
 (ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فهما كان القلب الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والمال
 والولد والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب) وبالجلة كل ما يشغله عن الله تعالى (فهذا رجل محابه
 كلها في الدنيا فالدنيا) اذا (جنته) التي يتقرب بها (اذا الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فوته
 خروج من الجنة وحيولة بينه وبين ما يشتهي ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهي) فانه يتذكر عيشه
 ولا يصفو خاطره (فأما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفة والفكر فيه فالدنيا
 وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن
 الانسراح الى محابه فوته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن ونحلى
 بينه وبين محبوبه بلامانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
 (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعد الله لعباده
 الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كفى خبر أجي هريرة (وفضلا عما أعد الله للذين استحبوا
 الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها وأطمأؤوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب
 الخزي والانشكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسايين ويلحقنا بالصالحين) من عباده (ولا مطمع في اجابة
 هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره) من كل ما يشغله عنه (من
 القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن) وأهل وأصحاب (فالاولى ان
 ندعو بمحاده نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني الى حبك

من أفلت من السجن ونحلى بينه وبين محبوبه بلامانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب واجعل
 فضلا عما أعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر فضلا عما أعد الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على
 الآخرة ورضوا بها وأطمأؤوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والانشكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا
 بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى
 الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بمحاده نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني الى حبك

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان النجوى الوفاة قال لابنه يابني حدثني (٢٢١) بالرخص واذا كررت الرجاء حتى ألقى الله

على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلوة والسلام أن حبيبي الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكر لهم آلائي ونعمائي فاذا غايه السعادة ان يموت بحب الله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأله عن حاله فقيل له انه مات البارحة

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد) رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وقد تقدم في كتاب الاذكار والدعوات (والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة) والانس (وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه) رواه مسلم من حديث جابر وقد تقدم قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وابن حبان وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي وتمام كلهم من حديث واثلة وقد تقدم قريبا في فضيلة الرجاء (ولما حضر سليمان) بن طرخان (النجوى الوفاة) ولفظ القوت ولما حضر سليمان النجوى (قال لابنه) يابني (حدثني بالرخص واذا كررت الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به) كذا في القوت وابنه هو المعتمر ابن سليمان وهذا قد أخرجه المزي في التهذيب بسنده الى المعتمر قال قال أبي عندهم انه يامعتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به قال ابن سعد كان سليمان من العباد المحترمين وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد ثم يوفون في هذا المسجد مرة حتى يصبحا وكذلك لما حضر سفيان الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع (العلماء حوله يرجونه) وكذلك (قال أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (لابنه) عبد الله (عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن) فلو ان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لشكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة (والمقصود من ذلك كله ان يحب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حبيبي الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم آلائي ونعمائي) تقدم ذكره قريبا (فاذا غايه السعادة) ونهاية الفوز (ان يموت العبد) حالة كونه (بحب الله تعالى) أي يفارق هذا العالم وهو متصف بهذا الوصف (وانما تحصل المحبة بالمعرفة) فان من لم يعرف كيف يجب (وبإخراج حب الدنيا من القلب) بان لا يميل اليها باطنها وان كان لابد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية (حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب) أي من وصله ومشاهدته وملاقاته (ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (في المنام وهو يطير) في الهواء (فسأله) عن حاله (فقال الآن أفلت) أي خلصت من السجن (فلما أصبح) سأله عن حاله فقيل له انه مات البارحة (فدلت روياه على انه كان محبوبا كالطير في القفص فلما مات وصل الى مغالوبه كما يفات الطير بعد حبسه والله الموفق

* (بيان الدواء الذي به يستجاب حال الخوف) *

(اعلم) وقل الله تعالى (أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحنه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدرس) هو (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر) والجنة والنار وله درجات ومراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار) يشير (الرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره) أي شتات الامور مما تكرر فيها النفوس (فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات) أي الملاذ النفسية من كل ما تقبل اليه النفوس (فلا يصبر على قمعها) أي دفعها ومنعها (الابوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا) وفي لفظ تبطل

الدرس اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا

عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجريد كراته تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الانس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس إلى المحبة وينتهي مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجريد لله ظاهرا (٢٢٢) وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلى الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة

(عن الشهوات) أي انقطع عنها (ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات) كذا في القوت وقد روى سرفوعا من طريقه باقظا من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن رقب الموت صبر عن الذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار (ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجريد كراته والفكر فيه على الدوام) أي كل من الذكر والفكر من غير انقطاع بل يكون بازائهما فإذا ستم من الذكر اشتغل بالمرآة والتفكير ثم إذا أراد أن يفصل عنه فليعد إلى الذكر حتى يثبت له الدوام ولا يتخلل بينهما الشيطان (ويؤدي دوام الذكر إلى الانس) بالله تعالى (ودوام الفكر) يؤدي (إلى كمال المعرفة) بالله تعالى (ويؤدي كمال المعرفة والانس إلى المحبة) وهو أعلى المقامات (وينتهي بها) أي المحبة (مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات) التي ذكرها (فهذا هو الترتيب في سلوك منازل) الساترين (في الدين) وفي عروج مقامات الطائرين إليه (فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء وليس بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجريد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق) وأذنه بالدخول فيه (الالهداية والمعرفة) لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب) كيف كان (والثقة بعنايته وهو) بعينه مقام (التوكل) فإذا فهم ذلك كراه في علاج الصبر كفاية ولكننا نفرد الخوف بكلام جلي (أي اجالي) فنقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر) وتقرب ذلك إلى الأذهان أنما يكون بمثال يضرب له في الظاهر فيقيس الغائب على الشاهد (ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوجبة ربما كان لا يخاف وربما كان لا يخاف والجد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وتوهر منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائسه ويحتال في الهرب منها فام معه وغلب عليه الخوف ووافق في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسببها وخاصيتها وساطة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد والتبعية (لأنه يحسن الظن بابيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف) وأن الحية مخوفة (ولا يعرف وجهه) لجهله (وإذا عرفت هذا المثل فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه) تعالى في ذاته (فهو خوف العلماء) بالله (وأر باب القلوب) والبصائر النافذة (العارفين من صفاته) تعالى (ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر) وهي صفات الربوبية (المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فاما الأول فهو خوف عموم الخلق) أي الخوف من عذابه (وهو حاصل باصل الإيمان بالجنة والنار وكونهم مجزأين على الطاعة والمعصية) وقد يقوى ذلك وقد يضعف (وبسبب الغفلة) وبسبب ضعف الإيمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم في

الامحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فإذا فهم ذلك كراه في علاج الصبر كفاية ولكننا نفرد الخوف بكلام جلي فنقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوجبة ربما كان لا يخاف وربما كان لا يخاف والجد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وتوهر منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائسه ويحتال في الهرب منها فام معه وغلب عليه الخوف ووافق في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسببها وخاصيتها وساطة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد والتبعية لانه يحسن الظن بابيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا

المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وأر باب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الإيمان بالجنة والنار وكونهم مجزأين على الطاعة والمعصية وبسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم

فان فانت المشاهدة فالسمع لا يتخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف أعنى ان يخاف البعد والحجاب عنه ورجو القرب منه * قال ذوالنون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجى وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولا يمكن هو بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبي من الحية تقليداً لابه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا حرم بضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر اليه ويغتربه فينجراً على أخذها تقليداً له كما احتز من أخذها تقليداً لابه والعقائد التقليدية ضعيفة (٢٢٣) في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها

المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خطبني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جاب الخوف من السبع الضاري الامعرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواء من عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفة ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي

حركاتهم وسكناتهم (فان فانت المشاهدة فالسمع) أى التوقف من الافواه (لا يتخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى) مقاما (فان يكون الله) عز وجل (هو المخوف أعنى ان يخاف البعد) عنه (والحجاب منه ورجو القرب منه) وبذلك ما (قال ذوالنون) المصيرى رحمه الله تعالى (خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لجى) أى فما يكون مقدارها بالنسبة الى البحر المتلاطم الامواج (وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو مقام كمال العارفين (ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد) لغیره (يضاهى خوف الصبي من الحية) أو السبع (تقليداً لابه) اذا رآه قد هرب منها (وذلك لا يستند الى بصيرة فلا حرم بضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم) وهو الذى عسك الحيات بالعزائم (فينظر اليه ويغتربه فينجراً على أخذها تقليداً له) فيكون فيه هلاكه (والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على استمرار) وملازمة (فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة) أى صار الى أعلاها (وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى نبيه) داود (عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري) وهو من الاسرائيليين وقد تقدم الكلام عليه قريبا (ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الامعرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواء من عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة) الى حضرته (من غير وسيلة) منهم (سابقة) تستدعى قربهم (وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة) توجب ابعاده (بل صفة على ما ترجم قوله تعالى) في الحديث القدسي المتقدم يذكره قبض قبضة من بنى آدم فقال (هؤلاء في الجنة ولا أبالي) وقبض أخرى منهم فقال (هؤلاء في النار ولا أبالي) لكن يشترط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بامعان فانه هو المستجلب للخوف والا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب أو أيت لو أوردت ناراً تحت قدر ثم أخذت قبل الانضاج ثم أوقدت ثم أخذت ففي الوجود ما حصل الانضاج فلا بد من الاقبال بكنه الهممة على الفكر المحتاج اليه حتى ينضج القلب على الفور ثلاثين الزمان ولا يتحصل المقصود (وان خطر ببالك انه لا يعاقب الاعلى معصية ولا يثيب الاعلى طاعة فتأمل انه لم يد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهم اخلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعد عنه لانه عصاه فلم حله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل لغير نهاية أو يقف للاحالة على أول لا غاية له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال اخذ آدم وموسى عليهما السلام عند رجوعهما فخرج آدم موسى) رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله عند رجوعهما في لفظ آخر

وان خطر ببالك انه لا يعاقب الاعلى معصية ولا يثيب الاعلى طاعة فتأمل انه لم يد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهم اخلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعد عنه عصاه فلم حله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية أو يقف للاحالة على أول لا غاية له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال اخذ آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند رجوعهما فخرج آدم موسى عليه السلام

قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيدمو نفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالتك وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكلمة وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال اقتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعلمه وقبل أن يخلقنى باربعين سنة قال (٢٢٤) صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور

الهداية فهو من خصوص العارفين المطاعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخلبه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان أضيف الى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان ساط عليه الجوع افترس وان ساط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو

احتج آدم وموسى (فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيدمو نفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض) ولفظ الجماعة بعد قوله جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم (فقال آدم أنت موسى) ولفظ الجماعة فقال آدم يا موسى أنت (الذي اصطفاك الله برسالتك وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكلمة وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال اقتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعلمه وقبل أن يخلقنى باربعين سنة) ولفظ الجماعة بعد قوله وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلاومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى (قال صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى) أى غلب عليه في الحق ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه عبد ابن حنبل وأبو يعلى وابن مردويه من حديث أبي سعيد ورواه أبو بكر في الغيلانيات والخطيب من حديث أبي موسى ورواه النسائي وأبو يعلى والطبراني والآنسوري في الشريعة والاضياء من حديث جندب البجلي (فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطاعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف) ولكن يختلف في قوته وضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب (فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع قد يغفل بالاتفاق فيخلبه) ويتركه (وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب) كثيرة (مرتبة بقدر معلوم) وحديثي انتهى اليه (لكن اذا أضيف لمن لا يعرفه سمي اتفاقا وان أضيف الى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان ساط عليه الجوع افترس وان ساط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته) من البطش والسطوة والجرأة (فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو غير الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى) فهو مثال غير منطبق على الممثل به من كل وجه عند التأمل (فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الارزلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا مسخر والاسباب اشأوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا مسخر والاسباب اشأوا أم أبوا) وروى مسلم من حديث عائشة ان الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا (فلا يرى أحد نفسه في ملأ من أمواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار) والاعتبار (فسيبيل ان يعالج بسماع الاخبار والآثار ويطالع أحوال الخائفين وأقوالهم) ويجالس الصالحين والمذكرين بإيام الله وذكر الامم المغضوب عليهم والفكر في آثار الصفات الموجبة للخوف فقد أثنى بها على نفسه وخوف بها عباده (وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

(المغرورين)

الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الارزلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا مسخر والاسباب اشأوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا مسخر والاسباب اشأوا أم أبوا) فلا يرى أحد نفسه في ملأ من أمواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فسيبيل ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

المغرورين) وعقولهم (فلا يتمارى) أى لا يشك (في أن الاقتداء بهم أولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء) والصالحون من عبادهم (وأما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الاعبياء أمارسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والاخرين) روى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد أناسيد ولد آدم يوم القيامة ولا يخفى الحديث ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن سلام (وكان أشد الناس خوفاً) تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثاً قوله والله انى لا خشاً كمن لله وقوله انى لا علمهم بالله وأشد هم له خشية (حتى روى انه كان يصلى على طفل) منغوس (ففى رواية انه سمع فى دعائه) له (يقول اللهم قم عذاب القبر وعذاب النار) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبراني فى الأوسط من حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية وقال لو كان أحد نجما من ضمة القبر لنجما هذا الصبي واختلف فى اسمه فرواه فى الكبير من حديث أبي أيوب ان صبيادفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اقلت أحد من ضمة القبر لقلت هذا الصبي (وفى رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله انى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم) كذا فى القوت وقال العراقى رواه مسلم من حديث عائشة قالت توفى صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فغضب وقد تقدم (وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون) رضى الله عنه (وكان من المهاجرين الاولين من) الشهداء وهو أول من مات بالمدينة (لما قالت أم سلمة) رضى الله عنها (هنيأ لك الجنة) فقال لها صلى الله عليه وسلم ما قال (فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله ما أركى أحداً بعد عثمان) كذا فى القوت وقال العراقى رواه البخارى من حديث أم العلاء الانصارية وهى القائلة رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال وما يدريك الحديث وورد ان التى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة اهـ قلت لفظ الصحيح عن أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون قلت شهادتى عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث وقوله وورد ان التى قالت ذلك أم خارجة بن زيد قلت قال ابن عبد البر فى ترجمة أم العلاء الانصارية يقال انها والدة خارجة بن زيد بن ثابت الراوى عنها روى حديثها الشيخان من رواية الزهرى عن خارجة بن زيد عن أم العلاء الانصارية قالت طاز لنا عثمان بن مظعون فى السكنى لما افتتحت الانصار فذكر الحديث فى فضل عثمان بن مظعون وفيه انها رأت لعثمان عينا جارية فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله وفى الحديث قولها المتقدم شهادتى عليك أبا السائب لقد أكرمك الله والحديث المذكور الذى جاء فيه التصریح بانه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد والطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن النضر عن خارجة بن زيد عن أمه ان عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم خارجة طبت أبا السائب الحديث قال الحافظ فهذا ظاهر فى ان أم العلاء هى والدة خارجة المذكور (و) أعجب من ذلك ما روى انه (قال) أبو القاسم (محمد بن) على بن أبي طالب وهو ابن (خولة الخنزية) وهى ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن بروع بن ثعلبة بن الدليل بن حنيفة من سبي أهل الردة (والله لا أركى أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه) حين سمعوا ذلك منه (فأخذ يكر فضائل على ومناقبه) نقله صاحب القوت (وروى فى حديث آخر ان رجلاً من أهل الصفة استشهد فقال أمه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يشككم

الفراعنة والجهال والاعبياء
أمارسولنا صلى الله عليه
وسلم فهو سيد الاولين
والاخرين وكان أشد
الناس خوفاً حتى روى
انه كان يصلى على طفل
ففى رواية انه سمع فى
دعائه يقول اللهم قم عذاب
القبر وعذاب النار وفى
رواية ثانية انه سمع قائلاً
يقول هنيأ لك عصفور من
عصافير الجنة فغضب وقال
ما يدريك انه كذلك والله
انى رسول الله وما أدري
ما يصنع بي ان الله خلق
الجنة وخلق لها أهلاً لا يزداد
فيهم ولا ينقص منهم وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال
ذلك أيضاً على جنازة
عثمان بن مظعون وكان
من المهاجرين الاولين لما
قالت أم سلمة هنيأ لك الجنة
فكانت تقول أم سلمة بعد
ذلك والله لا أركى أحداً
بعد عثمان وقال محمد بن
خولة الخنزية والله لا أركى
أحد غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا أبى الذى
ولدنى قال فثارت الشيعة
عليه فأخذ يكر فضائل
على ومناقبه وروى فى
حديث آخر عن رجل من
أهل الصفة استشهد فقال
أمه هنيأ لك عصفور من
عصافير الجنة هاجرت الى

بما لا ينفعه وعنغ ما لا ينصره
وفي حديث آخر أنه دخل
صلى الله عليه وسلم على بعض
أصحابه وهو عليل فسمع امرأة
تقول هنيئاً لك الجنة فقال
صلى الله عليه وسلم من هذه
المتألمة على الله تعالى
فقال المريض هي أمي
يا رسول الله فقال وما يدريك
أهل فلانا كان يتكلم
بما لا يعنيه ويخجل بما لا
يعنيه وكيف لا يخاف
المؤمنون كلهم وهو صلى الله
عليه وسلم يقول شيئتي هود
وأخواتها سورة الواقعة
وإذا الشمس كورت وعم
يتساءلون فقال العلماء لعل
ذلك لما في سورة هود من
الابعد كقوله تعالى ألا
بعد العاد قوم هود ألا بعد
لهمود ألا بعد المدين كما بعدت
ثمود مع علمه صلى الله عليه
وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا
أذلو شاء لا تأتي كل نفس
هــ دهاها وفي سورة الواقعة
ليس لوقعها كاذبة خافضة
واقعة أي جف القلم بما هو
كائن وتمت السابقة حتى
تزلت الواقعة اما خافضة
قوما كانوا مرفوعة في
الدنيا واما رافعة قوما كانوا
منخفضين في الدنيا وفي
سورة التكو برأهوال يوم
القيامة وانكشف الخاتمة
وهو قوله تعالى وإذا الجحيم
سمرت وإذا الجنة أزلقت
علمت نفس ما أحضرت وفي
عم يتساءلون يوم ينظر المرء

بما لا يعنيه وعنغ ما لا ينصره
كذا في القوت وقال العراقي رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف
بلغنا أن أمه قالت هنيئاً لك يا بني الجنة رواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئاً لك الشهادة
وهو عند الترمذي إلا أنه قال إن رجلاً قال له ابشر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والجمل مع اختلاف
(وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئاً
لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألمة على الله فقال المريض هي أمي يا رسول الله فقال
وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويخجل بما لا يعنيه) كذا في القوت وبسط له العراقي
(وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيئتي هود وأخواتها) رواه الطبراني من
حديث عقبة بن عامر والترمذي في الشمائل وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي جحيفة وفي لفظ
شيئتي هود (وسورة الواقعة) والمرسلات (وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون) رواه الترمذي والحاكم
من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر وفي لفظ شيئتي هود وأخواتها الواقعة
والخاتمة وإذا الشمس كورت رواه الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام
عليه في كتاب السماع (فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابداع كقوله تعالى ألا بعد
هود ألا بعد لهمود والابداع المدين كما بعدت ثمود) فهذا هو الذي شينه صلى الله عليه وسلم (مع علمه صلى الله
عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا أذلو شاء لا تأتي كل نفس هـ دهاها) كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني (وفي سورة الواقعة) قوله تعالى (ليس لوقعها كاذبة) أي وقعت السابقة
من سبقت له السابقة وحقت الخاتمة بن حقت عليه الخاتمة (أي جف القلم بما هو كائن) روى أحمد
من حديث ابن عروان الله تعالى خلقته في ظلمة الحديث وفيه فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن
(وتمت السابقة حتى تزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعة في الدنيا واما رافعة قوما كانوا
منخفضين في الدنيا) حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلق وفيها فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب البين فسلام للثمن أصحاب البين واما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من جحيم وتصلية بحجم فهذا هو حق البقين الخاتمة ما الخاتمة اذا وقعت الواقعة بمن
حقت عليه الكلمة (وفي سورة التكو برأهوال يوم القيامة) وهي خواتم المصير لمن أيقن (وانكشفاف
الخاتمة) وفيها تجلى معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك (وهو قوله تعالى وإذا الجحيم سمرت وإذا الجنة
أزلقت علمت نفس ما أحضرت) هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ
يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم وخير يصلح للنعيم ويعلم اذ ذاك من أي أهل الدارين
يكون وفي أي المنزل يحمل فكهم من قلوب قد تقطعت حشرات على الابداع من الجنان بعد اقترابهم وركم
من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران انها تصيبها وركم من ابصار ذليلة خاشعة لمشاهدة
الاهوال وركم من عقول طاشت لمعاينة الزلزال (وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية
وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وهذا الذي عزاه المصنف لبعض العلماء
ساقه صاحب القوت وجها بقوله ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرح به العلماء ان المراد منه
ان في هذه السور من أهوال يوم القيامة وتبين أحوال السعداء والاشقياء والامر بالاستقامة كما أمر
بما يليق بعالي مقامه الذي لا يمكن بشر ان يحمله ومن غير ذلك مما لا يستوعب بعضه الادبوان حافل
ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن سيما على اتباعه وأمة به عظيم راقته ورحته لهم ودوام الفكر
فيما يصلحهم وتتابع الغم مما يوجبهم أو يصدر عنهم واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم
الظاهرة والباطنة وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية وضعفها مستلزم لضعف الحرارة
الغريزية وبعثها يسرع الشيب ويظهر قبل وقته ولكن لما كان عنده صلى الله عليه وسلم من انشراح

والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولولم يكن فيه الاقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اشدى امكن كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب (٢٢٧) وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفحين وقوله تعالى ليسأل

الصدر واتساع القلب وتوالى أنوار اليقين والقرب ما يساه به كل هم وحزن لم يقدر ذلك ان يستولى الاعلى قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجلال وليتبين ان جلاله صلى الله عليه وسلم غالب على جلاله والله أعلم (والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر) وتأمل (ولولم يكن فيه الاقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اشدى امكن كافيا) فى المقصود (اذ علق المغفرة) على (أربع شروط يعجز العبد عن آحادها وهى التوبة ثم الايمان ثم العمل الصالح ثم الاهتداء واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفحين) أى من وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة فعسى ولعل ان يعد من زمرة أهل الفلاح أى الفوز والنجاة (وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيتها الثقلان وقوله تعالى أفامنوا مكر الله الآية وقوله تعالى وكذلك انذركم اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذها أليم شديد وقوله تعالى وفدا الايتين وقوله تعالى وان منكم الاواردها الآية وقوله تعالى فاعلموا ما شئتم الآية وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وقوله تعالى فنعمل مثقال ذرة خيرا يره الايتين وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآيات) فهذه المخاوف وهى من المحسكات ليس فيها أمر ولا زجر وردت فى السوابق الاول والخواتم الاخر وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها سرور الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب وهى من آى المطالع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف (وكذا قوله تعالى والعصر ان الانسان لنى خسر الى آخر السورة فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران) وهى الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر (وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم) الظاهرة والباطنة (لاتهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقد كثرت الاخبار فى من عبد الله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بعجب ساعة أو كلمة كبر أو بارزاة على غيره وجاءت الاخبار باعمال ترفع الى السماء ويبقى بها الدرجات العلى ثم ينظر الله الى صاحبها نظرة بعد أو يعقبه فتهدم الدرجات وتسقط المنازل (حتى روى) فى الخبر المشهور (ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم تبكيا وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرنا) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر وروىناه فى مجلس من أمالى أبى سعيد النقاش بسند ضعيف (وكأنهما اذ علمتا ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الأمور ولم يأمنوا ان يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا ومكرهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمتنا من المكر وما وفيما يقولهما) وعبارة القوت فلولا انهما علمتا ان مكره لانه لانه لا غاية له لم يقولوا ومن يأمن مكرنا مع قوله وقد أمنتكما ولكن قد انتهى مكره بقوله ولكنا قد وفقا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلمتا انهما لا يقفان على كنه غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلانه لا غاية له فى علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لغنايته بهما وفضل نظره لهما ولا انهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضى على باطن الوصف فكانهما خافا ان يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكرى مكرنا منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعاملان تعبدنا منه لهما به اذ الابتلاء موصفه من قبل ان المبتلى اسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سننه التى قد دخلت فى عباده (كأن) خليله (ابراهيم صلى الله عليه وسلم) اختبره (لما وضع فى المنجنيق) وأهوى به فى الهواء (قال حسبي الله وكانت) هذه القولة (من

الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله عز وجل أفامنوا مكر الله الآية وقوله وكذلك انذركم اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذها أليم شديد وقوله تعالى وفدا الايتين وقوله تعالى وان منكم الاواردها الآية وقوله تعالى فاعلموا ما شئتم الآية وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وقوله تعالى فنعمل مثقال ذرة خيرا يره الايتين وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآيات) فهذه المخاوف وهى من المحسكات ليس فيها أمر ولا زجر وردت فى السوابق الاول والخواتم الاخر وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها سرور الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب وهى من آى المطالع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف (وكذا قوله تعالى والعصر ان الانسان لنى خسر الى آخر السورة فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران) وهى الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر (وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم) الظاهرة والباطنة (لاتهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقد كثرت الاخبار فى من عبد الله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بعجب ساعة أو كلمة كبر أو بارزاة على غيره وجاءت الاخبار باعمال ترفع الى السماء ويبقى بها الدرجات العلى ثم ينظر الله الى صاحبها نظرة بعد أو يعقبه فتهدم الدرجات وتسقط المنازل (حتى روى) فى الخبر المشهور (ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم تبكيا وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرنا) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر وروىناه فى مجلس من أمالى أبى سعيد النقاش بسند ضعيف (وكأنهما اذ علمتا ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الأمور ولم يأمنوا ان يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا ومكرهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمتنا من المكر وما وفيما يقولهما) وعبارة القوت فلولا انهما علمتا ان مكره لانه لانه لا غاية له لم يقولوا ومن يأمن مكرنا مع قوله وقد أمنتكما ولكن قد انتهى مكره بقوله ولكنا قد وفقا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلمتا انهما لا يقفان على كنه غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلانه لا غاية له فى علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لغنايته بهما وفضل نظره لهما ولا انهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضى على باطن الوصف فكانهما خافا ان يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكرى مكرنا منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعاملان تعبدنا منه لهما به اذ الابتلاء موصفه من قبل ان المبتلى اسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سننه التى قد دخلت فى عباده (كأن) خليله (ابراهيم صلى الله عليه وسلم) اختبره (لما وضع فى المنجنيق) وأهوى به فى الهواء (قال حسبي الله وكانت) هذه القولة (من

قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا لهما ومكرهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمتنا من المكر وما وفيما يقولهما كأن ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع فى المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من

الدهاوى العظام فامتنع وعرض بحجبريل في الهواء حتى قال: **أنا** حاجة فقال: **أما** البك فلا فكان ذلك وماه بحقيقة قوله حسبي الله فآخبر الله تعالى عنه فقال: **إبراهيم** الذي وفى أى بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم لم حيث قال: **أنا** أخاف أن يفرط علينا وأن يظنى قال: **أخاف** **أنتي** معك (٢٢٨) **أسمع** وأرى ومع هذا **أنا** ألقى السحرة بحرهم أو جس موسى في نفسه خيفة اذ لم يأمن

مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعف شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض أحد يعبدك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكن والملاحدة من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وعرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاطاحة بكنه الامور عظم خوفه لا بحالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن

أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فاعذبهم
 عبادك وان تغفر لهم الله في غفر الامرين الى المشيئة وأخرج نفسه بالكيفية من البين العلم بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة
 بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمأوقات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حصر ولا حساب فضلها عن التحقيق والاستيعان
 وهذا هو الذي قطع قلوب

العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئتهن لا يبالى بل ان اهلك فقد اهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض وعرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباده ثم يخبر عنه ويقول ولوشئنا لا تينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأ من جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى وتحت كل ربك لاملأ من جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انما كانت الاطماع تمتد الى حيلة (٢٢٩) فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء

خفي السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكانه كشفه على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له (وان كانت الخبرات كلها ميسرة والقلب بالسكينة عن الدنيا منقطعاً عن الدنيا وبظاهرة وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثقاً به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف ويؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (وقد قال مقلب القلوب) جل جلاله (ان عذاب ربهم غير مأمن فاجهل الناس من آمنه وهو ينادى بالتخذر من الامن) وأعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام امين وهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب لا يوازيه مقام ولا غل (ولان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرباء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف) ولا يخرجهم الى القنوط ولولائه روحها بروح الانسان يحسن الفن لادخلهم في اليأس ولكن اذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرباء حكمة بالغعة وحكم نافذ لعلم سابق وقدر جار حقيقة ماشاء الله لا قوة الا بالله (فاسباب الرباء رحمة من الله تعالى) لعباده (واسباب الغفلة راحة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقاب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقابل كذا في القوت (وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لا اخترت الموت على الاسلام) دون الشهادة قبل ولم قال (لاني لا ادري ما يعرض لقلبي) من المشاهدة فيما (بين باب الحجر وباب الدار) فبغيره عن التوحيد كذا في القوت قال وروينا عن زهير بن نعيم البجلي قال ما اكثر همي ذنوبي انما اخاف ما هو اعظم علي من الذنوب ان اسلب التوحيد وأموت على غيره (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الاسلبة) وقال مرة فماسبه عبد فوجد له فقد قال صاحب القوت فهذا على امرين أحدهما

العارفين) ولذلك لا يصلح ان يكشف حقيقة تفصيله في كتاب خشية الانكار (اذ الطامة الكبرى هو ارتباط امرك بمشيئتهن لا يبالى بل ان اهلك فقد اهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض وعرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباده ثم يخبر عنه ويقول ولوشئنا لا تينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأ من جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى وتحت كل ربك لاملأ من جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انما كانت الاطماع تمتد الى حيلة (لكن ليس الا التسليم واستقراء خفي اسباب السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكانه كشفه على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له (وان كانت الخبرات كلها ميسرة والقلب بالسكينة عن الدنيا وبظاهرة وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثقاً به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف ويؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (وقد قال مقلب القلوب) جل جلاله (ان عذاب ربهم غير مأمن فاجهل الناس من آمنه وهو ينادى بالتخذر من الامن) وأعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام امين وهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب لا يوازيه مقام ولا غل (ولان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرباء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف) ولا يخرجهم الى القنوط ولولائه روحها بروح الانسان يحسن الفن لادخلهم في اليأس ولكن اذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرباء حكمة بالغعة وحكم نافذ لعلم سابق وقدر جار حقيقة ماشاء الله لا قوة الا بالله (فاسباب الرباء رحمة من الله تعالى) لعباده (واسباب الغفلة راحة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقاب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقابل كذا في القوت (وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لا اخترت الموت على الاسلام) دون الشهادة قبل ولم قال (لاني لا ادري ما يعرض لقلبي) من المشاهدة فيما (بين باب الحجر وباب الدار) فبغيره عن التوحيد كذا في القوت قال وروينا عن زهير بن نعيم البجلي قال ما اكثر همي ذنوبي انما اخاف ما هو اعظم علي من الذنوب ان اسلب التوحيد وأموت على غيره (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الاسلبة) وقال مرة فماسبه عبد فوجد له فقد قال صاحب القوت فهذا على امرين أحدهما

لا احترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرباء حجة لخواص الله واسباب الغفلة راحة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقابل وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لا اخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجر وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الاسلبة

وكان سهل يقول خوف

الصدّيقين من سوء الخاتمة
عند كل خطرة وعند كل
حركة وهم الذين وصفهم
الله تعالى اذ قال وقولهم
وجله ولما احتضر سفيان
جعل يبكي ويجزع فقيل له
يا أبا عبد الله عليك بالرجاء
فان عفواً الله أعظم من
ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي
أبكي لو علمت أني أموت على
التوحيد لم أبال بان ألقى
الله بامثال الجبال من الخطايا
وحكى عن بعض الخائفين
أنه أوصى بعض اخوانه
فقال اذا حضرته الوفاة
فاقعد عند رأسي فان رأيتني
مت على التوحيد فخذ جميع
ما أملك فاشتر به لوزاً وسكر
وانثره على صبيان أهل البلد
وقل هذا عرس المنفلت وان
مت على غير التوحيد فاعلم
الناس بذلك حتى لا يغتروا
بشهود جنازتي ليحضر جنازتي
من أحب علي بصيرة لئلا
يلحقني الرياء بعد الوفاة قال
وبم أعلم ذلك فذكر له علامة
فرأى علامة التوحيد
عند موته فاشترى السكر
واللوز ورفقه وكان سهلاً
يقول المرء يخاف أن يقتل
بالمعاصي والعارف يخاف أن
يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد
يقول اذا توجهت الى المسجد
كان في وسطى زناراً أخاف أن
يذهب بي الى البيعة وبیت
النار حتى ادخل المسجد
فينقطع عني الزناز فهدى الى
في كل يوم خمس مرات

ان يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسبب ايمانه لحق مكر الله به والثاني ان يظلم قلبه ويسود لطول الغفلة وكثافة
الزين فلا يبالى ببقعه اذ قد هيا قلبه على قلة المبالاة وترك الاكتران لذلك فيهن عليه فقد الاعيان
وقد كان بعض العلماء يقول من أعطى التوحيد أعطاه بكاه ومن منعه منه بكاه اذ كان التوحيد في نفسه
لا يتبع (وكان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله يقول خوف الصدّيقين من سوء الخاتمة عند كل
خطوة) وهمة (وعند كل حركة) يخافون البعد من الله تعالى (وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال)
ويؤتون ما أتوا (وقولهم وجله) ولفظ القوت وهم الذين مدح الله وجله فلو بهم وقال أيضاً يصح خوفه
حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات وقال أيضاً ألقى الخوف ان يخاف سبق علم الله تعالى فيه ويجذر
ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال أيضاً خوف التعظيم ميراث خوف السابقة
(ولما احتضر سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء
فان عفواً الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى
الله بامثال الجبال من الخطايا) وقال مرة ذنوبي أهون من هذا ورفع حجة من الارض انما أخاف ان
أسبب التوحيد في آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتي في الحكايات (وحكى عن
بعض الخائفين) ولفظ القوت وحديثي بعض اخواني عن بعض الصادقين وكان خائفاً (انه أوصى
بعض اخوانه) فقال (اذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي) فاذا عايت فانظر الى (فان رأيتني مت على
التوحيد فخذ جميع ما أملك فاشتر به لوزاً وسكر وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت)
الحاذق (وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس) اني مت على غير الاسلام (حتى لا يغتروا بشهود
جنازتي ليحضر جنازتي من أحب علي بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الموت) فاكون قد خدعهم حياء
وميتاً (قال) له صاحبه (وبم أعلم ذلك فذكر له علامة) وهي انه قال له ضع أصبعك في كفي فان أمسكتها
وشددت عليها فاعلم اني قدمت على التوحيد وان أرسلتها وبذلتها فاعلم ان حالي سيئة ففعل (فرأى علامة
التوحيد عند موته) بان قبض على أصبعه وشدها فلم يخرجه من كفه الا بعد موته قال ففخذ وصيته
(فاشترى السكر واللوز ورفقه عند موته) كما أمر قال ولم أحدث بذلك أحداً الا خصوص اخواني من
العلماء وذلك ان العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه
وأشهد وجده اياه عند آخر ساعة من وفاته فان استحلى ذلك بقلبه واستهونه نفسه وقف معه وسكن اليه
فاذا وقف معه حسب عليه وجعل عملاً من أعماله الا انه من أعمال القلوب في الوقت وقد تقدم سعيه فيه
وهو اقبل الوقت وكان ذلك فاتبع سبباً وان قل وكان هو الخاتمة فسبحان متج الأسباب وجاعلها أبواباً
ومقبض القرناء وجاعلها حجاباً (وكان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله (يقول المرء يخاف
ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر) نقله صاحب القوت قال (و) كذلك (كان أبو
يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى قبله (يقول اذا ذهبت الى المسجد كان في وسطى زناراً أخاف ان يذهب
بي الى البيعة وبیت النار حتى ادخل المسجد فينقطع على الزناز فهدى الى في كل يوم خمس مرات) هذا لعلمهم
بسرعة تغلب القلوب في قدرة الغيوب كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة وقال أبو يزيد منذ ثلاثين
سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلها كان مجوسى أريد ان أقطع زنازى أه قال الشارح
فسره في موضع آخر فقال كنت نتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين امرأة قلبي وسنة نظر فيما
بينهما فاذا في وسطى زناز طاهر فعملت في قطعه نتي عشرة سنة ثم فارت فاذا في وسطى زناز باطنى فعملت
في قطعه خمس سنين فلما قطعه راي الخلق كلهم وهو منهم موفى فكبر عليهم أربع تكبيرات وذلك لان
الحداد شأنه ان يحصى الحديد بطرقه ليصقيه ويخرج وسخه فقال كنت أعدل جوارحى وخواطرى
بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة فرأيت في نفسي التقاء الى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من

والسلام انه قال يا معشر
الحواريين انتم تخافون
المعاصي وتحسن معاشر
الانبياء تخاف الكفر وروى
في أخبار الانبياء ان نبيا
شكا الى الله تعالى الجوع
والقمل والعري سنين
وكان لباسه الصوف فاوحى
الله تعالى اليه عبيد أما
رضيت ان عصمت قلبك ان
تكفر بي حتى تسألني الدنيا
فأخذ التراب فوضعه على
رأسه وقال بلي قد رضيت
يا رب فاعصمني من الكفر
فاذا كان خوف العارفين
مع رسوخ أقدامهم وقوة
إيمانهم من سوء الخاتمة
فكيف لا يخاف الضعفاء
وسوء الخاتمة أسباب
تتقدم على الموت مثل
البدعة والنفاق والكبر
وجله من الصفات المذمومة
ولذلك استدخف الصالحون
من النفاق حتى قال الحسن
لو أعلم اني بريء من النفاق
كان أحب الي مما طلعت
عليه الشمس وما عذابه
النفاق الذي هو ضد أصل
الإيمان بل المراد به ما يجتمع
مع أصل الإيمان فيكون
مسما منافقا وله علامات
كثيرة قال صلى الله عليه وسلم
أربع من كن فيه فهو منافق
خالص وان صلى وصام وزعم
انه مسلم وان صلى وصام
وزعم انه مسلم وان كانت
فيه خصلة منهن ففيه شعبة
من النفاق حتى يدعها من

الطاعة الخاتمة فشبها نفسه حيث التفت في عمله الى غير الله بعلامة الشرك وهي الزنار الظاهر فعمل
في قطعه فلما تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وجد نفسه على ذلك ونسى منة ربه عليه فلما أدرك ذلك
رأى زنارا باطنا حيث جعل لنفسه أثرا في طاعته فلما من الله برؤية فضله عليه وان جميع الخلق كالقوت
في انهم لا يضرون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند اليه دون غيره فقوله
كأنني في صلاتي مجوسى يعنى في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها والله أعلم
(و) قد (روى) معنى ذلك (عن المسيح عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي
ونحن معاصر الانبياء نخاف الكفر) كذا في القوت (وروى في أخبار الانبياء) عليهم السلام (ان نبيا)
منهم (شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه)
عبيد (أما رضيت ان عصمت قلبك) أى حفظت من (ان تكفر بي حتى تسألني الدنيا فاخذ التراب فوضعه
على رأسه وقال بلي قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر) فلم يذكر نعمته عليه ببقوته وعرضه للكفر
وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف بذلك فاعصم كذا في القوت (واذا كان خوف العارفين مع
رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء) بل هم بطريق الاولى (ولسوء
الخاتمة والنفاق أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والكبر وجله من الصفات المذمومة) وقد روى في
معنى حديث من غش أمتي فعليه لعنة الله قيل وما غش أمتك قال ان يبتدع لهم بدعة فيبيع عليها فاذا
فعل ذلك فقد غشهم (ولذلك استند خوف الصحابة رضوان الله عليهم من النفاق) كما هو معروف
منهم (حتى قال الحسن) البصري ربه الله تعالى (لو أعلم اني بريء من النفاق كان
أحب الى مما طاعت عليه الشمس) هذا مع فضله وزهده ورعه نقله صاحب القوت (وما عذابه النفاق
الذي هو ضد أصل الإيمان) كما يتبادر الى الأذهان (بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما
منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه) أى وجدت (فهو منافق
خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها) أى
يتركها (من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اثنى خان واذا خاصم فخر وفي لفظ آخر واذا عاهد
غدر) ولفظ القوت ومن المخاوف خوف النفاق قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون
النفاق قد كان يكون فيهم شعبة منه أودقية من حيث لا يعلمون هذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاث من كن فيه فهو منافق وفي حديث عبد الله بن عمر وأربع ورويناها خسا من ثلاثة أحاديث
جعلناها فكانت خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وفي لفظ آخر
أربع من كن فيه فقد أدمج النفاق من فرق الى قدمه ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى
يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اثنى خان واذا خاصم فخر واذا عاهد غدر قال بفعل بعضها
ينظر الى بعض تعبجا اذا لم يكن الرجل كفوا لها قال اني كنت وعدته ان أزوجه ابنتي وأخاف ان ألقى الله
بثلث النفاق وقد كانوا يقولون بالكذب باب من النفاق ومن عزام الأخبار ورشداؤها خبران وردا باربعة
أحاديث انها لا توجد في مؤمن أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم يجعل المؤمن على كل خلق الانحيازة
وبمعناها الكذب بجانب الإيمان وقد يدخل الكذب في الافعال والاحوال دخوله في المبال وليس
يعرى من الكذب اليوم الا الصديقون دون الصادقين والخبر الآخر قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان
لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وليس يعرى من البخل على مذهب أهل المعرفة في هذا الوقت
الابدال فقد سئل بعضهم عن البخل فقال هو ان تأكل الشئ فتدعى ملكه لتمنع الغير ان يأخذه منك قال
بعض العارفين البخل من لم يؤثر بالشئ مع الحاجة اليه فوجود بعض هذه الاخلاق الدنية وهي من صفات
النفس وجبله الطبع وآفات العقل موجب للخوف من النفاق فان هذه علامة نقص أو فقد اليقين اذا

اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اثنى خان واذا خاصم فخر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر

النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الاصديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور ما لوفية بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلمة بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه ان كان الرجل ليبتكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعها من أحدكم في اليوم عشرين مرارا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعتدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن تكبره من الناس ما تأتي مثله وأن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من الحق وقبل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما اذا تدخل على هؤلاء الامراء فنصدهم فيما يقولون فاذا خرجنا تسلكنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

العلامات قد توجد والدلائل في الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها الى المال اه والحديث المذكور قد تقدم في قواعد العقائد وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي لفظ للشيخين اذا اتهم خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواه كذلك الخرائطي في مساوي الاخلاق وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود (وقد فسر الصحابة) رضي الله عنهم (والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شيء منه الاصديق اذ قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان من النفاق) لفظ القوت وكان يقول كانوا يعدون (اختلاف السر والعلانية) واختلاف الظاهر والباطن (واختلاف اللسان والقلب) نفاقا (و) قال مرة كانوا يعدون (اختلاف) القول والعمل (والمدخل والمخرج) نفاقا (ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور ما لوفية بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلمة بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة) فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه ان كان الرجل ليبتكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا) حتى يلقي الله (اني لاسمعها من أحدكم) ليبتكم بها (في اليوم) ولفظ القوت في المجلس (الواحد عشرين مرارا) ولفظ القوت خمس مرات رواه أحمد عن عبد الله بن غير حدثنا رزين الجهني حدثنا أبو الرقاد قال خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعنا الى حذيفة ويقول ان كان الرجل ليبتكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر والنقض على الخير أو ليسحتنكم الله جميعا به عذاب أو لبؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خباياكم فلا يستجاب لكم وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وتقدم في قواعد العقائد (وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كما نعتدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر) وفي لفظ من الموبقات قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس والبراز من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة وصححه اسناده وتقدم في التوبة قلت وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة قال المنافقون اليوم شرهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ذاك يسرونه وهم اليوم يعلنونه قال صاحب القوت وهذا كما قال اعلان المعاصي والجهار بها أعظم من النستر والتخفي لانها اذا أسرت لم تضرب الا صاحبها واذا أعلنت ضربت العامة ونكأت في الاسلام وأهنت شأن الدين (وقال بعضهم علامة النفاق ان يكبره من الناس ما يأتي مثله) نقله صاحب القوت قال (و) روينا مسندا من النفاق (ان يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء من الحق) وسئل وهب من المنافق قال الذي يحب المدح ويكره الذم وروى مسندا من طريق أهل البيت من علامة المنافق أن يحب أن يحمى في جميع أموره (وقبل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك) كذا في القوت وعلامات النفاق أكبر من ان تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من النفاق الا طبقات ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين ضمهم الله الى الانبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعافاهم من الحسرة بالبلوى ووفاهم آفة الاحوال كمال ايمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وتراذف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها فهذه أوجب المخاوف على المؤمنين خشية تمت الله تعالى وخوف جبوط الاعمال من حيث لا يشعرون (وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنهما (انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدهم بما يقولون) ويعلم الله في قلوبنا خلاف ذلك وقال مرة تدخل عليهم فنمدحهم (فاذا خرجنا تسلكنا فيهم فقال) ابن عمر (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم وروى انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج خاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كذا بعد هذا نقفا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ما روى أن نفعرا قعدوا على باب (٢٣٣) حذيفة ينتظرونه فسكوا ويتكلمون

في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا وحياء منه فقال تكلموا فيها كتمت تقولون فسكتوا فقال كذا بعد هذا نقفا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول انه يأتي على القلب ساعة يملي بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغر زارة يأتي عليه ساعة يملي بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة وقد عرفت به أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور تتقدمه منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومقتضى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وارطن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا تزال العارف بين النفاق الى السابقة والخاتمة خاتفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين تخافتين بين أجل قدمضي لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري

كذا نقله صاحب القوت (وروى) عنه من طريق آخر (انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه) ولفظ القوت بسبب الحجاج ويذمه (فقال له) أرايت لو كان الحجاج خاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال (ابن عمر اما هذا فقد) كذا بعد هذا نقفا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) كذا في القوت وقد تقدم في قواعد العقائد قال العراقي ولم أجد فيه ذكر الحجاج قلت ذكر الحجاج فيه في الغيلانيات قال صاحب القوت ولعمري لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يكون بعدى أمر من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني واست منه ولن يرد على الخوض ولكن من كره وأنكر (وأشد من ذلك ما روى ان نفعرا قعدوا على باب حذيفة) رضى الله عنه (ينتظرونه فسكوا ويتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا وحياء منه فقال تكلموا فيما كتمت تقولون فسكتوا) وفي القوت أفيضوا بدل تكلموا (فقال) قد (كانت) مثل (هذا نقفا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقي لم أجد له أصلا (وهذا حذيفة) رضى الله عنه (كان) قد (خص بعلم المنافقين) حتى ان عمر رضى الله عنه كان يقول له هل تعلم في شيء من النفاق (وكان يقول انه يأتي على القلب ساعة يملي بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغر زارة وتأتي عليه ساعة يملي بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة) يعني بهذا عند قوة صفات النفس بالهوى وامتلأها بالشهوة يغيب الآيمان ويحتجب احتجاب الشمس تحت السحاب فيرتفع حكمه عن اظهار أحكامه الموجبة لمقتضاه من الورع أو الزهد أو المراقبة أو المخافة كما يرتفع حكم شعاع الشمس اذا حجب بكشف السحاب على الارض ولم يقع منها ضوء وعلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزن الزاني وهو مؤمن الحديث وفي الخبر لا تحرم مثل الآيمان كالقميص يلبسه احيانا ويخلعه احيانا وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلا عن امتلائه بالآيمان في وقت دخول الشك عليه لانه رفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أوفى وقت انكار القدرة من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فانه من آياته فوجود ذلك نقص للآيمان وينقص الآيمان دخول النفاق فان بغت الموت في هذا الساعة التي يملي القلب فيها نقفا حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة ليس يكون ذلك خاتمة بالنفاق وكذلك ان جاء الامر بغية عند احدى الحاصل الخمس المذكورة في حديث عبد الله ابن عمر وأليس ذلك يصير في آخر عمره من سوء الخاتمة (فقد عرفت به) ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق) وقد يخوف الخصوص اذا جعلوا سبب إبلاء ان يلحقهم منه ذنب وان لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة بالبتي مت قبل هذا لما جعلت محنة الامة وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاعة اني لست هناك اني أخاف لاني قد عدت من دون الله تعالى ومن أعجب ما أضيف الى العبد فعله مما لا يفعله الا انه أجرى عليه وجعل مكانه (ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق) كذا في القوت (وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف على نفسي النفاق قال لو كنت منافقا لما خفت النفاق) ولفظ القوت جاء رجل الى حذيفة باكا قال هلكت قال مالك قال اني أخاف النفاق فقال له لو كنت منافقا لما خفت النفاق ان المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنه وحسب الآمن منه علما لوجوده (فلا تزال العارف بين اللاتفات الى السابقة فالخاتمة خاتفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين تخافتين بين أجل قدمضي لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار الاجنسة أو النار) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن

* (بيان معنى سوء الخاتمة) * فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبين احدهما أعظم من الاخرى فالمرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد والناية وهي (٢٣٤) دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمره من أمور الدنيا وشهوته من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه

و يستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينفو قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسار رأسه الى الدنيا وصار فاجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا من المحبوبين عنه فالما مؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهي فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخاطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا لينتدرك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان أصل الاعمال وحسب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة

عن رجل من الصحابة وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في الزهد بلا غرور ذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرج له ولده في مسند الفردوس اه قلت لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات * (بيان معنى سوء الخاتمة) *

(فان قلت ان أكثر هؤلاء أى الصالحين يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فاعلم) هذا الله تعالى (ان سوء الخاتمة على رتبين احدهما أعظم من الاخرى فالمرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت) وشدائده (وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد) الم لازم (و) الرتبة (الناية وهي دونها) أى دون الاولى (ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمره من أمور الدنيا وشهوته من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه ويستغرقه) أى يغمره (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينفو قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسار رأسه الى الدنيا وصار فاجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب) عن الله تعالى (نزل العذاب) لا محالة (اذ نار الله الموقدة) المشار اليها بالآية (لا تأخذ الا المحبوبين عنه فالما مؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف الى الله تعالى) المشار اليه في قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم أى سليم عن حب الدنيا (تقول له النار جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهي) روى ذلك من حديث يعلى بن منية تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي ورواه الحكيم في النوادر بلفظ ان النار تقول (فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فان الامر مخاطر لان المرء يموت على ما عاش عليه) كانه يبعث على ما مات عليه (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا لينتدرك وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (الا ان أصل الايمان وحسب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يعمق عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب) كفى الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان (وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرج من النار ولو بعد حين ولو بعد آلاف سنين) فقد روى من مرسل الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك (فان قلت فماذا كثره يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويعمل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن) عن (نور الايمان بل الصبح عند ذوى الابصار ما صحته به الانباز وهو ان

وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يعمق عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فماذا كثره يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويعمل طول هذه المدة فاعلم ان كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الايمان بل الصبح عند ذوى الابصار ما صحته به الانباز وهو ان

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانه قد يقع الى قبر المذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب (٢٣٥) باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر

ونكير عند الوضع في القبر
والتمذيب بعده ثم المناقشة
في الحساب والافتضاح على
ملا من الاشهاد في القيامة
ثم بعد ذلك خمار الصراط
وهو ان الزبانية الى آخرها
وردت به الاخبار فلا يزال
الشقي مترددا في جميع
أحواله بين أصناف العذاب
وهو في جملة الاحوال معذب
الان نعمده الله برحمته
ولا تظن أن محل الايمان
ياكله التراب بل التراب
ياكل جميع الجوارح
ويهددها الى أن يبلغ
الكتاب أجله فنجمة مع
الاجزاء المنفردة وتعود
اليها الروح التي هي محل
الايمان وقد كانت من
وقت الموت الى الاعادة ما في
حواصل طيور خضر معلقة
تحت العرش ان كانت
سعيدة واما على حالة تضاد
هذه الحالة ان كانت
والعباد بالله شقية فان قلت
فما السبب الذي يقضى الى
سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب
هذه الامور لا يمكن احصاؤها
على التفصيل ولكن
يمكن الاشارة الى مجامعها
أما الختم على الشك والجود
فينحصر سببه في شيئين

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال
غريب وتقدم في الاذكار (وانه قد يقع الى قبر المذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار) قال
العراقي لم أجده أصلا (فلا تفارقه روحه الا وقد نزل البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف
أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر) تقدم في قواعد
العقائد (والتمذيب بعده) تقدم فيه أيضا (ثم المناقشة في الحساب) تقدم فيه أيضا (والافتضاح على
ملا من الاشهاد في القيامة) قال العراقي روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر ياسنا جدي من انتفى
من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤس الاشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أما الكافر
والمنافق فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وللطبراني والعقيلي في الضعفاء
من حديث الفضل بن عباس فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اه
قلت حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قدرناه كذلك أبو نعيم في الحلية وعند الكل بعد قوله
الاشهاد قصاص بقصاص وأما الحديث الاخير فقد رواه أيضا القضاة كلهم من رواية القاسم بن زيد بن
عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعا (ثم بعد ذلك خطر
الصراط) تقدم في قواعد العقائد (وهول الزبانية) قال العراقي روى الطبراني من حديث أنس
الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة جملة القرآن منها الى عبدة الاوثان والنيران قال صاحب الميزان
حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منسكي
أحدهم كما بين المشرق والمغرب اه قلت وبقي حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون
يدأبنا قبل عبدة الاوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم (الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي
مرددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب) وأنواعه (وهو في جملة الاحوال معذب الان يتعمده الله
برحمته) ويتداركه بلطفه وكرمه (ولا تظن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح
ويهددها) أي يفرتها (الى ان يبلغ الكتاب أجله فنجمة مع الاجزاء المنفردة وتعود اليها الروح التي هي
محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة ما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان
كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعباد بالله شقية) فقد روى الطبراني من حديث
كعب بن مالك وأم مبشر معا أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى
أجسادها يوم القيامة وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده أرواح الشهداء في أجواف طير
خضر تعلق حيث شاءت وروى ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه أرواح الشهداء
تجعل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت الحديث (فان
قلت فما السبب الذي يقضى الى سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل
ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجود فينحصر سببه في اثنين أحدهما يتصور مع
تمام الورع والزهد وتتمام الصلاح في الاعمال كالمتدع الزاهد) دخلت عليه المشاهدة من قبل المواجهة
بالانصاف والعدل بعمارة العقل وتلاف الحد من قبل قوة النظر في الاكتساب (فان عاقبته مخطرة جدا
وان كانت أعماله سالحة) ويدل على ذلك ان أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان
والعسكر وكان مذهبهم القدر فوقوا في غاية الخطر (ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك
يطول القول فيه بل أعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف) ماهو (الحق

* أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتتمام الصلاح في الاعمال كالمتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت أعماله سالحة
ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف
الحق

فيه مذهب على خلاف ما هو عليه امرأته ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر وأما أخذ بالتقليد من هذا حاله فإذا قرب الموت وظهرت له ناصبة ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربحا ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا بذال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور في ما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة (٢٣٦) لالتجاء فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن

عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أولسكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لاهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة لاقاب من أن ينظر الى الماكوت فيطالع مافي اللوح المحفوظ لتتكشف

فيمتدده على خلاف ما هو عليه امرأته ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر (وذلك مثل أصحاب عروبن عبيد وعطاء الغزال والعطوية والفوطية وصحاب المنزل بين المنزلتين) (وأما أخذ بالتقليد فن هذا حاله فإذا قرب الموت وظهرت له ناصبة ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربحا ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا) فيمتنى انه لم يعط عقلا (اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فيهم ما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به) وجازما (متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ في هذا الاعتقاد لالتجاء فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا أصل له ان لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته) سببا (لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لاهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وبقوله تعالى وبدا لهم سيات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستترؤن) (وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فكهم من مغبوط في أحواله تغلبت عليه الحال ومشى بمقارفة قبيح الاعمال فبدل بالنس وحشة وبالخضوع غيبة) وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور) مما كان محجوبا عنه (اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب ان ينظر الى الماكوت فيطالع) بخائب هذا العالم ويطالع (مافي اللوح المحفوظ لتتكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا) لا بانه ومشايخه (واما نظرا بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي أعني لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الا الاعتقاد الحق والبله) (الغافلون) (بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا بجملا راسخا) قويا (كلا عراب) سكان البادية (والسوادية) ساكني الريف (وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استقلال ولا أسفوا الى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقي في الشعب والبراز والديلمي والخلعي في فوائده كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال قال عقيل حدثني ابن شهاب عن أنس مرفوعا وسلامته فيه لين ولم يسمع من جدائيه عقيل انما أخذ من كتبه وعد هذا الحديث في افراده لكن هو عند القاضي من طريق يحيى بن أيوب حدثنا عقيل به وهو في السكندر وذيات من طريق محمد بن العلاء الايلي عن يونس بن يزيد عن الزهري وقال العسكري انه غريب من حديث الزهري وهو من حديث يونس عنه أغرب لأعلمه الامن هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي أيضا من حديث مصعب بن ماهان عن

الثوري

له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون سبب الشك

في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا بجملا راسخا كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استقلال ولا أسفوا الى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله

وبه متعلقة والنعصاب
 النائرة بين الخلق مسامير
 مؤكدة للعقائد الموروثة
 أو المأخوذة بحسن الظن
 من المعلمين في أول الاسرثم
 الطباع بحب الدنيا مشغوفة
 وعليها مقبلة وشهوات
 الدنيا يخففها آخذة وعن
 تمام الفكر صارفة فاذا فتح
 باب الكلام في الله وفي
 صفاته بالرأى والمعقول
 مع تفاوت الناس في
 قرائعهم واختلافهم في
 طبائعهم وحرص كل جاهل
 منهم على أن يدعى الكمال
 أو الاحاطة بكنه الحق
 انطلقت ألسنتهم بما يقع
 لكل واحد منهم وتعلق
 ذلك بقلوب المصغين اليهم
 وتاكّد ذلك بطول الالف
 فيهم فانسد بالأكية طريق
 الخلاص عليهم فكانت
 سلامة الخلق في أن
 يشغلوا بالأعمال الصالحة
 ولا يتعرضوا لما هو خارج
 عن حيطاتهم ولكن
 الآن قد استرخى العنان
 وفشا الهذيان وتزل كل
 جاهل على ماوافق طبعه

أحسنت ظنك بالأيام أحسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فاعتررت بها * وعند صفوا الليالي يحدث الكدر

وقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق ينشد هما كثيرا اه انشدني اياهما الشيخ الاديب
عبدالله بن عبدالله بن سلامة المؤذن قال انشدني اياهما شيخنا ابو المكارم محمد بن سالم بن احمد الحنفي
قدس سره قبل موته بسبعين فكان آخر ما سمعته منه (واعلم يقيننا ان كل من فارق الامعان الساذج بالله
ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينة وهو في ملظام
الامواج يرميه موج الى موج فر بما يتفق ان يلقيه الى الساحل) فينجو (وذلك بعيد والهلاك عليه اغلب
وكل نازل على عقيدة تلافها من الباحثين ببضاعة عقولهم امام الادلة التي حرروها في تعصباتهم اودون

بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيعان وأنه صغوا الإيمان ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلن نبأه بعد حين وينبغي أن يشهد في هؤلاء عند كشف الغطاء * أحسنت ظنك بالإيام إذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسألتك الثاني فأعتررت بها * وعند صفوا البالي يحدث الكدر وأعلم يقينان كل من فارق الإيمان الصادح بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من أنكرت سفينته وهو في ملطم الأمواج يرمي موج إلى موج فرما يتحقق أن يلقاه إلى الساحل وذلك بعيد والهلال عليه أغلب وكل نازل على عقبة تلقفها من الباحثين بضاعة عقولهم أمام الأدلة التي حروها في نصابهم أو دون

الأدلة فإنه إن كان شاك فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأني يتيسر وأنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الأمن حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهمال في اتباع الشهوات (٢٣٨) حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ

الأدلة أن كان شاك فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين (الأدلة جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الأحمر) في عزه وجوده (وأني يتيسر) ذلك (وأنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله) تعالى (فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب) وغلبته عليه (ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا) لانهما ضدان (فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الأمن حيث حديث النفس لا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهمال في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعه رديا) واليه يشير قوله تعالى فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقوله تعالى كلابل رائ على قلوبهم ما كانوا يكسبون (فاذا جاءت سكرات الموت) وشداته (ازداد ذلك الحب أعنى حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فينال القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره) أى يتحرك (بانكار ما قدر عليه من الموت وكرهاته ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا أخذ ولده أمواله التي هى أحب اليه من ولده وأحرقها) وأتلفها (انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً كاملاً وبدأ السبب الذي يقضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر) لان العبرة بالغالب (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) كما ورد (وهو الداء العضال) أى الصعب (وقد علم أصناف الخلق) واستغرقهم (وذلك كله لقله المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الأمن عرفه) فالحجة ثمة المعرفة (ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره الآية) أى إلى آخرها (فاذا من فارقت روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه) الدنيوية (فيكون موته قد وما على ما أبغضه وفراق ما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض) الممقوت (الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا)

ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعه رديا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فينال القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكرهاته ذلك من حيث انه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا أخذ ولده أمواله التي هى أحب اليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً كاملاً وبدأ السبب الذي يقضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر لان العبرة بالغالب (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) كما ورد (وهو الداء العضال) أى الصعب (وقد علم أصناف الخلق) واستغرقهم (وذلك كله لقله المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الأمن عرفه) فالحجة ثمة المعرفة (ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره الآية) أى إلى آخرها (فاذا من فارقت روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه) الدنيوية (فيكون موته قد وما على ما أبغضه وفراق ما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض) الممقوت (الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا)

وإفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال قد علم أصناف الخلق وذلك كله لقله المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الأمن عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره الآية فاذا كل من فارقت روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قد وما على ما أبغضه وفراق ما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا

فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والذكال وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعناء الاسفار طمعا في لقاءه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام (وأما الخاتمة الثانية) التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلاود في النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصي وان قوى الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعلة وجيع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فان كان مثله الاكثر الطاعات كان أكثر ما يحضر ذكر طاعة الله وان كان مثله الاكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فرمما تقبض روحه عند (٢٣٩) غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقيد بها قلبه

ويصير محبوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدا طول عمره حتى انه لا يرى الا ما عاين في حياته (أو يقارنها) في اليقظة وحتى ان المراهق وهو من قارب الاحتلام (الذي يحتمل لا يرى صورة الوقاع اذ لم يكن قد وقع في البقعة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع) لانه لم يعمه قبل ذلك (ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم) ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القاب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها) بسببه (وكأن ما يحظر في البقعة انما يحظر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه اماما بالمشابهة أو

وجزا) فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والذكال) وأنواع الهوان (وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله قدوم العبد المحسن) المطيع (المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعناء الاسفار) من شدائدها (طمعا في لقاءه) ور جاء في مشاهدته (فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلاود في النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصي وان قوى الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي (سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القاب بكثرة الالف والعلة وجيع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فان كان مثله الاكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند موته فرمما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقيد بها قلبه ويصير محبوبا عن الله تعالى) لانه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدا طول عمره حتى انه لا يرى الا ما عاين في حياته (أو يقارنها) في اليقظة وحتى ان المراهق وهو من قارب الاحتلام (الذي يحتمل لا يرى صورة الوقاع اذ لم يكن قد وقع في البقعة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع) لانه لم يعمه قبل ذلك (ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم) ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القاب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها) بسببه (وكأن ما يحظر في البقعة انما يحظر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه اماما بالمشابهة أو

قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكن فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها (وكأن ما يحظر في البقعة انما يحظر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه اماما بالمشابهة أو

وأما بالمضادة وأما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جبل فينذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فينذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان وسنه الى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لا تنتقلات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الحياطة أكثر أشغاله فأنك تراه يوشى الى رأسه كأنه يأخذ ابرته ليخيط بها وييل أصبعه التي لها (٢٤٠) عادة بالكسبتيان ويأخذ الازار من فوقه ويقدره ويشبهه كأنه يتعاطى تفصيله ثم يعيده

بالمضادة أو بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جبل فينذكر جبلا آخر) سواء وهو مشابه له في جماله (وأما بالمضادة فبان ينظر الى جبل فينذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما) في الجمال والقمع (وأما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس) كان (قد رآه من قبل مع انسان فينذكر ذلك الانسان) بانتقال الخاطر اليه (وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين) وأكثر (مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة) ظاهرة توجب انتقال الخاطر اليه (ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة) (فكذلك لا تنتقلات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فان الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط ببعض بأسباب مختلفة ومن أراد أن يكف خاطره من الانتقالات الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار (والمراد بطول العمر ههنا معظمه وهو أيام السلوك حتى يترن على الطعام والقمع والافان شغل عمره كله فيه حتى يتفرغ لمعرفة الله تعالى) (ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشرعة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويمحشر على ما مات عليه) كفى الخير (وكذلك نقل عن بقال) وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقبل (انه كان يلقي عند الموت كلمتا الشهادة فيقول خمسة سنة أو أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفقه قبل الموت) فغلب على لسانه ولم يوفق للشهادتين (وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلأل فورافلا يكون العبد على حال) من أحواله (الا فطامع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرجما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحواله نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجعل (الوصف) نقله صاحب القوت (وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة) كما ورد ذلك في الخبر (فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخله تحت الاختيار دخول كليها وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهذا عظيم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الأحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك) ولم يمكنه (وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر في اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غابت سكرات الموت كشف له

الى المقراض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشرعة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويمحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقي عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة سنة أو أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفقه قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهرة تتلأل فورافلا يكون العبد على حال الا فطامع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له

صورته من العرش فرجما يرى نفسه على صورته معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحواله نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجعل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخله تحت الاختيار دخول كليها وان كان لطول الالف فيه تأثير فهذا عظيم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الأحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غابت

في البيضة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المرید لشيخه وان لا يكون قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخ أبي القاسم الكركاني منامي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهو عجز في شهر اولم يكلمني وقال لولاه كان في باطنك تجوز المطالبة وانكار ما أقوله لك اما جري ذلك على لسانك (٢٤١) في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان

في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال أو عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاءك ويناحتك ويدوم به حزنك وفلقك كما سنخيه من أحوال الانبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشككة جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا أعجب من هلك كيف هلك ولكن أعجب من نجاة من هلك لا نجى من هلك (الثوري) رحمة الله

في البيضة حتى سمعت الشيخ أبا علي (الفضل بن محمد بن علي) الفارمذي (فاه وألف وراء وميم) وذال مجمعة نسبة الى فارمذ قرية بطوس وهو لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة والحقيقة بها حسن الوعظ روى عن محمد بن عبد الله بن باكو به الشيرازي وابن مسرور وعنه عبد الغافر الفارسي وأبو الخير جامع الشفاء وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأولاده أبو الحاشن علي وأبو الفضل محمد وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهاد (رحمة الله تعالى يصف لي وجوب حسن أدب المرید لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخ أبي القاسم) عبد الرحمن بن علي (الكركاني) الطوسي وكر كان تعريب جرجان قال ياقوت في المشترك جميع العرب لا يقولونها الا بالكاف وهي بين طبرستان وخراسان وقيل من خراسان وقيل من طبرستان والله أعلم اهـ وكان أبو علي الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا والمصنف رحمه الله تعالى قد أخذ عن كل من الفارمذي ويوسف النساج وهما جميعا عن أبي القاسم الكركاني هذا وقد دفن الكركاني والنساج كلاهما في قبر واحد بطوس وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقيشبندية ولا الكركاني في الاخذ طريقان أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي عن أبي الحسن علي بن أحمد الكاتب المصري عن أبي علي الروذبادي عن الخليل بسنده والثاني وعليه المدار في سند السلسلة انه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي عن روحانية جعفر الصادق بسنده (منامي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهو عجز في شهر اولم يكلمني وقال لولاه كان في باطنك تجوز المطالبة وانكار ما أقول لك والاما جري ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في البيضة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة) ولا يليق ذكره هنا (وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي) أي تسويق (جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال أو عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين) من عباده (حتى يطول بسببه بكاءك ويناحتك ويدوم حزنك وفلقك) وانزعاجك (كما سنخيه) فيما بعد (من أحوال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشككة جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله) بن الشيخير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالى (يقول اني لا أعجب من هلك كيف هلك ولكن أعجب من نجاة من هلك كيف هلك) وهو في الخلية في ترجمة يحيى بن أبي كثير ان سليمان عليه السلام قال لابنه لا تعجب من هلك كيف هلك ولكن أعجب من نجاة من هلك (ولذلك قال حامد اللاف) له ذكر في الخلية في ترجمة حاتم الاصم (اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجما من دنيا فسد فيها اخبارنا) يشيرون بذلك الى ابليس وهاروت وماروت (وكان) سليمان (الثوري) رحمة الله تعالى (يوما يبكي فليل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالا ننبى على الاسلام) أخرجه أبو نعيم في الخلية (وبالجملة من وقعت سفينة في لجة البحر) أي وسطه (وهجمت عليه الرياح العاصفة)

ولذلك قال حامد اللاف اذا صعدت الملائكة

(٣١ - (اتخاف السادة المتقين) - ناسع)

بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجما هذا من دنيا فسد فيها اخبارنا وكان الثوري يوما يبكي فليل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالا ننبى على الاسلام وبالجمله من وقعت سفينة في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة

واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطا من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيحتم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضرب وتخطر خطور البرق الخاطف (٢٤٢) وقال سهل رأيت كافي أدخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم

المختلفة (واضطربت الامواج من سائر) النواحي (كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطا من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيحتم له بما سبق من الكتاب) تقدم الكلام عليه قريباً (ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة) إذ الروح تكون قريباً من الصدر (بل هي الخواطر التي تضرب وتخطر خطور البرق الخاطف) وفي القوت ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وفواق النافسة هو ما بين القلبين وهذا من تقلبات القلوب عن حقيقة وجهه التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدوله من الله ما لم يكن يحسب (وقال) أبو محمد (سهل) الذي تترى رجه الله تعالى (رأيت كافي أدخلت الجنة فرأيت) وألفظ القوت فلقبت فيها (ثلثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة) أي فالخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفتن له ولا عليه بوقت ولا نهاية لمكره لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها (ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً أما الموت فجأة فلا يفتق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكره أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلا نهام عبارة عن قبض الروح في حاله لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يجمع على صف القتال موطناً نفسه على الموت الاحبالة وطلباً مرضاته بائناً دنياهما سخرته وراضياً بالبيع الذي يباعه الله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (والبائع راغب عن المبيع) الذي هو النفس والمال (لا بحالة) ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه (وهو الجنة) ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يفتق زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فممن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة) أي ليقال فلان شجاع لا يطلق (فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة) أي رتبة الشهادة (كما دلت عليه الاخبار) قال العراقي في المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليري مكانه فن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمته الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حبة ويقا تل رياء وفي رواية يقاتل غضباً اه قاتل ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن (وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك) الظاهرة (ومن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهلك) وطاقتك (فان ذلك أيضاً يؤثر في قلبك) تأثيراً يحول بينك وبين ذكر الله (ويصرف اليه فكرك وخواطرك) فيشغلك عن الله (واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً أما الموت فجأة فلا نهام بماتتق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكره أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلا نهام عبارة عن قبض الروح في حاله لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يجمع على صف القتال موطناً نفسه على الموت الاحبالة وطلباً مرضاته بائناً دنياهما سخرته وراضياً بالبيع الذي يباعه الله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع الذي هو النفس والمال لا بحالة ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يفتق زهوق

الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فممن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من الخاتمة هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهلك فان ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

الخاتمة) عند زهوق الروح (فان كل نفس من أنفاسك) هي (خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيها روحك) بغتة (هذامادمت في يقظتك وأما اذا غمت فاياك ان تنام الاعلى طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الابعد غلبة ذكر الله على قلبك اما نفيًا واثباتًا واما اقتصارًا على لفظة الله مع كمال المراقبة (است أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرد هاضعة الاثر) بل ولا تأثير لها في تجلية القلب أصلاً (واعلم قطعاً انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان غالباً عليه قبل النوم ولا تبعث عن نومك الاعلى ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث يشبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الاعلى ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الاعلى ما كان عليه في نومه فكذلك لا يغيب المرء الاعلى ما عاش عليه ولا يحشر الاعلى ما مات عليه) وقد وردت بذلك الاخبار وتقدم ذكرها (وتحقق يقيننا وقطعنا ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهما ذأ صديقاً باعتقاد القلب ان لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك) كلها ان تمر في غير ذكر الله (واياك ان تغفل عن الله لحظة عين) وفي نسخة طرفة عين (فانك اذا فعلت ذلك كله) أى من الايمان القلبي ومراقبة الانفاس واللحظات (كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا الخالصون والخالصون على خطر عظيم) هذا من قول أبى محمد سهل التستري رحمه الله تعالى وقد تقدم مراراً (واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك) فقط (وضرورتك) انما هي (مطعم وملبس ومسكن) والمشراب داخل في المطعم (والباقي كله فضول) ولكل من الثلاثة حد محدود (والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك) في طاعة الله (وبسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك) لما تأكله (تناول مضطر كارمله ولا تكون رغبة منك فيه أكثر من رغبته في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن واخراجه فها مضرو ريان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطناك فحمتك ما يخرج من بطناك) هكذا اقرره الحكماء (واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله) وطاعته (كقصدك من قضاء حاجتك فعلاية ذلك تظهر في ثلاثة أمور من ما كولاك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فاقله ان يكتفى في اليوم والليله) وهما أربع وعشرون ساعة (بمرة واحدة) ويكون ذلك وقت غروب الشمس (فيواظب على الصوم وأما قدره فبان لا يز يد على ثلث البطن) كما ورد ذلك في الخبر (وأما جنسه فان لا يطلب اللذائذ من الاطعمة بل يقنع بما يتفق) ويتيسر (فان قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات والمحرمات) وأمكنك ان لاتأكل الا من حله فان الحلال يعز) أى يقل (وجدانه و) اذا وجد فانه (لا يني بجميع الشهوات) واللذات (وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وسر العورة

الاعلى ما عاش عليه ولا يحشر
 الاعلى مامات عليه وتحقق
 قطعاً وبقيناً ان الموت
 والبعث اثنان من أحوالك
 كإان النوم واليقظة اثنان
 من أحوالك وآمن بهـ هذا
 تصديقاً بعبادة القلب ان لم
 تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين
 اليقين ونور البصيرة وراقب
 أنفاسك ولحظاتك وإياك
 ان تغفل عن الله طرفة
 عين فانك اذا فعلت ذلك
 كما كنت مع ذلك في خطر
 عظيم فكيف اذا لم تفعل
 والناس كلهم هلكى الا
 العالمون والعاملون كلهم
 هلكى الا العاملون والعاملون
 كلهم هلكى الا الخاصون
 والخاصون على خطر عظيم
 واعلم ان ذلك لا يتيسر لك
 ما لم تقنع من الدنيا بقدر
 ضرورتك وضرورتك مطعم
 وملبس ومسكن والباقي
 كله فضول والضرورة من
 المطعم ما يقيم صلبك ويسد
 رمقك فنبغى أن يكون
 تناولك تناول مضطر كارهه
 ولا تكون رغمك فسه

أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذا لفرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهاضر ورنان في الجبهة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها فأقبل فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمته ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصده من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصده من قضاء حاجتك فعلا من ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك وفي وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم واليلة مرة واحدة فيو اطلب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقع بما يتفق فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنه مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على تركه الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فإن الحلال بعز ولا ينبغي بجميع الشهوات وأما ملابسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة

فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطامع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكلف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كمثلك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه أكثر عرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تبسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا (٢٤٤) بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للمطار فأخذت ترفع الحيطان وترين

السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقبك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقد ردت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حدا الضرورة الى أودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي واد أهلك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والترؤد والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته لوما ييوم في تسويك أو غفلت عنك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فاناسورد عليك من أحوال الخائفين ما ترجون ان يزيل بعض القساوة عن جوان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون

فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق) فقد حصل المقصود وحيثئذ (فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطامع أخرى) سواء كان من الحلال أو (من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكلف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلأ بطنه الا التراب) وفي الخبر ولا يعلأ جوف ابن آدم الا التراب (وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كمثلك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد) فانها ما وى المساكين (فان طلبت مسكنا خاصا) لا يشارك فيه أحد (طال عليك) أمره (وانصرف اليه أكثر عرك) في تحصيله واحضاره (وعمرك هو بضاعتك) التي يترجى في معاملاتك (ثم ان تبسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار) أي من الاجنبى (ومن السقف سوى) كونه (دافعا للمطار فأخذت ترفع الحيطان وترين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقبك) أي مسعودك (منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقد ردت على التزود والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حدا الضرورة الى أودية الاماني) والامال الكاذبة (تشعبت همومك) أي كثرت واختلفت (ولم يبال الله في أي واد أهلكك) وقد روى ابن ماجه والحكيم والشانسي والبيهقي من حديث أبي مسعود من جعل الهموم همازا احدا هم العباد كفاه الله سائرهم ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والترؤد والاحتياط هو هذا العمر القصير فاذا دفعته لوما ييوم في تسويك واعلاك وغفلت عنك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك) حيث لا ينفعك ذلك (فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فاناسورد عليك من أحوال الخائفين ما ترجو ان يزيل بعض القساوة من قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء عليهم السلام) والاولياء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك) أي ضعفها (وعش عين قلبك في) جملة من (أخوالهم) وسيرهم (ثم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يذهب وبعضهم يمشي وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يجر متالي الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة) في شدتها وصلابتها (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يمحيط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبياء عليهم السلام في الخوف)

(وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله) قال العراقي متفق عليه من

عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حديثها حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يذهب وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يجر متالي الارض ولا غرو أن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يمحيط من خشية الله والله بغافل عما تعملون *(بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)* روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله

وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصنع وقال تعالى ونوحى موسى معقورا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام
بالأبطح فصنع وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع أصداؤه أزيكا زير (٢٤٥) الرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني

جبريل قط الا وهو يرد
فرقا من الجبار وقيل لما
ظهر على ابليس ما ظهر طفق
جبريل وميكائيل عليهما
السلام يبكيان فاوحى الله
اليهما مالكما تبكيان كل
هذا البكاء فقالا يارب
مانأمن مكرك فقال الله
تعالى هكذا كونالا تأمنا
مكرى وعن محمد بن المنكدر
قال لما خلقت النار طارت
أفئدة الملائكة من أماكنها
فلما خلق بنو آدم عادت
وعن أنس أنه عليه السلام
سأل جبريل مالى لأرى
ميكائيل يضحك فقال
جبريل ما ضحك ميكائيل
منذ خلقت النار يقال
ان الله تعالى ملائكة لم
يضحك أحد منهم منذ
خلقت النار مخافة أن يغضب
الله عليهم فبعذبهم بها وقال
ابن عمر رضى الله عنهما
خرجت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى دخل
بعض حيطان الانصار فجعل
يلتقط من التمر يأكل فقال
يا ابن عمر مالك لاتأكل
فقلت يا رسول الله لاأشتهيه
فقال لكنىأشتهيه وهذا
صبح رابعة لم أذق طعاما ولم
أجد ولو سألت ربي لأعطاني
ملك قيصر وكسرى

حديثها (وقرأ صلى الله عليه وسلم) آية (في سورة الواقعة فصنع) رواه جزء الزيات عن جرثان بن أعين
كذا في القوت قال العراقي المعروف فيما روى من هذه القصة انه قرئ عليه ان لدينا أنكالا وجيما
وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فصنع كمل رواه ابن عدى والبيهقي في الشعب مرسلًا وهكذا ذكره المصنف
على الصواب في كتاب السماع وقد تقدم (وقال الله عز وجل نوحى موسى معقورا رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصنع) قال العراقي روى البزار من حديث ابن عباس
بسند جيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته فقال أدع ربك فدعاه فطلع عليه
من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير فلما رآه صنع ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلًا بافظ فغشى عليه
وفي الصحيحين من حديث عائشة رأت جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له ستمائة
جنح (وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة يسمع أصداؤه أزيكا زير كازير الرجل) رواه
أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشيخ وقد تقدم في كتاب السماع
(وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرد فرقا من الجبار) وفي بعض النسخ الا وهو يرد
فرائصه من الجبار قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس
قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترد فرائصه فرقا من عذاب
الله الحديث وفيه زميل بن سمالك الحنفى يحتاج الى معرفة اه قلت بخط الشمس الداودى لعله أبو زميل
بن الوائد الراوى عن ابن عباس عند مسلم وغيره (وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق
جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب مانأمن
مكرك فقال الله عز وجل هكذا كونالا تأمنا مكرى) وتقدم قريبا ان النبي صلى الله عليه وسلم
وجبريل عليه السلام بكا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن
يأمن مكرك وقد تقدم انه من حديث عمر عند الطبراني في الاوسط (وعن) أبي بكر (محمد بن المنكدر)
ابن الهدير التميمى التابعى قال (لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم
عادت) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة طاوس من كلامه باللفظ فلما خلق آدم عليه السلام سكنت
(وعن أنس) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام مالى لأرى ميكائيل
يضحك فقال جبريل) عليه السلام (ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار) قال العراقي رواه أحمد وابن
أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث
ثابت مرسلًا وورد ذلك أيضا في حق اسرافيل وراه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا
في كتاب الخائفين (ويقال ان الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب
الله عليهم فبعذبهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال ابن عمر رضى الله عنهما خرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار) جمع حائط وهو حش الخلل (فجعل يلتقط
من التمر يأكل فقال يا ابن عمر مالك لاتأكل كل فقلت لاأشتهيه فقال) صلى الله عليه وسلم (لكنىأشتهيه
وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر
اذا بقيت في قوم يخمرون رزق سنهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا) من مكاننا (ولا تقنا
حتى نزلت) هذه الآية (وكأن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثر المال ولا بتباع الشهوات من كثر ذنابى يريد بها حياة

فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخمرون رزق سنهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا تقنا حتى نزلت وكأن من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثر المال ولا بتباع الشهوات
من كثر ذنابى يريد بها حياة

فأثمة فان الحياة بيد الله الاواني لا أكثر دينار ولا درهم اولا أخبار زقاعند قال العراقي رواد بن مردويه
 في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا اسناد مجهول والجراح
 ابن منهل ضعيف اه قات ورواه كذلك عبيد بن جسد وابن أبي حاتم في تفسيرهم ما وابن عساكر في
 التاريخ كلهم من هذا الطريق (وقال أبو البرداء) رضى الله عنه (كان يسمع أن زقاع ابراهيم خليل الرحمن
 عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه) رواد بن أبي الديناني كتاب الخائفين (وقال
 مجاهد) رحمه الله تعالى (بني داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من
 دموعه وحتى غطى رأسه فنودي يا داود اجتمع أنت فتطمع أم ظلمات فتسقى أم عار فتكسى فتخب نجبة
 أي صرخ صرخة (هاج) أي ييس منها (العود فاحترق من خوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة
 فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا
 لشراب الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاء ماء فاذا تناول له أبصر خطيئته فبايضعه على شفته حتى
 يفيض القدح من دموعه) رواد بن أبي شيبة وعبيد بن جسد وابن المنذر بلفظ لما أصاب داود الخطيئة
 خر لله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته في يده ينظر اليها لكيلا يغفل حتى نبت البقل
 حوله من دموعه ما غطى رأسه فنودي اجتمع أنت فتطمع أم عرياء فتكسى أم مظلوم فتعصر قال فخب
 نجبة أهاج ما يليه من البقل حين لم يذكرك ذنبه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد
 الزهد وابن جرير بلفظ لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينية من
 البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب فرح الجبين وجدت الاعين وداود لم يرجع اليه في طيبته شي فنودي
 اجتمع فتطمع أو مريض فتسقى أو مظلوم فيتعصر لك فخب نجبا هاج كل شيء نبت فعند ذلك غفر له وكان
 يؤتى بالاء فيشرب فيذكر خطيئته فينخب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فبايشرب بعض الاناء
 حتى يملأ من دموعه وروى أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال سجد داود أربعين ليلة ويوما
 لا يرفع رأسه الا الى صلاة فريضة حتى ييس وفرحت جهنم وكفاه وركبناه وروى الحاكم وابن جرير
 عن السدي قال مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكي لا يرفع رأسه الا الحاجة ثم يقع ساجدا يبكي حتى
 نبت العشب من دموع عينية فاوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك وروى
 أحمد وعبيد بن جسد عن يونس بن خباب ان داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم
 قال فرح الجبين ورقا الدمع خطيئتي على كاهي فنودي ان يا داود اجتمع أنت ظلمات فتسقى أم مظلوم
 فيتعصر لك فخب نجبة هاج ما هنالك من الخسرة فغفر له عند ذلك وروى ابن أبي شيبة وعبيد بن جسد عن
 عبيد الله بن عبد الله بن داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فاوحى الله اليه ان يا داود اتر يدان
 أزيدك في مالك وعمرك فقال يارب أهذا تريد علي أريد ان تغفر لي وروى عبد بن جسد عن كعب قال سجد
 داود نبي الله أربعين يوما وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى زقاع معه ويس فكان من آخر دعائه وهو ساجد
 ان قال يارب رقتني العافية فسألتك علما فلما ابتليتني لم أصبر فان تعذبتني فانا أهل ذلك وان تغفر لي فانت
 أهل ذلك وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال سجد داود أربعين ليلة
 حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجود يرب زل داود زلة
 أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلو من
 بعدى الحديث وروى أحمد والحكيم وابن جرير عن عطية الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته
 مئة وثمانين مرة (و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (الى السماء حتى مات حياء
 من الله عز وجل) رواد بن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبيد بن جسد عن طريق عطية السائب عن أبي
 عبد الله الجسدي وروى ابن جرير والحاكم عن السدي انه ما استطاع بعد الخطيئة ان يعل عينية من

فأثمة فان الحياة بيد الله
 ألا واني لا أكثر دينار ولا
 درهما ولا أنجبار زقاعند
 * وقال أبو البرداء كان
 يسمع أن زقاع ابراهيم
 خليل الرحمن صلى الله عليه
 وسلم اذا قام في الصلاة من
 مسيرة ميل خوفا من ربه
 وقال مجاهد بكى داود عليه
 السلام أربعين يوما ساجدا
 لا يرفع رأسه حتى نبت
 المرعى من دموعه وحتى
 غطى رأسه فنودي يا داود
 اجتمع أنت فتطمع أم
 ظلمات فتسقى أم عار
 فتكسى فتخب نجبة هاج
 العود فاحترق من خوفه
 ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة
 والمغفرة فقال يارب اجعل
 خطيئتي في كفي فصارت
 خطيئته في كفه مكتوبة
 فكان لا يبسط كفه لطعام
 ولا لشراب ولا غيره الا
 رآها فابكته قال وكان يؤتى
 بالقدح ثلثاء ماء فاذا تناول
 أبصر خطيئته فبايضعه على
 شفته حتى يفيض القدح
 من دموعه وروى عنه عليه
 السلام انه ما رفع رأسه الى
 السماء حتى مات حياء من
 الله عز وجل

وكان يقول في مناجاته الهى اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض ورجها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روجي سبحانك الهى أثبت أطباء
عبادك ليدادوا خطيئتي فكلمهم عليك يدني قبوسا للقائطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب
صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم أنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستعاني الا
بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فلياصنع يداود الخطاة وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الخشب وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاط شداد لا يعصون الله ما أمرهم (٢٤٧) ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمر

لما أصاب داود الخطيئة
نقص صوته فقال الهى
يج صوتي في صفاء أصوات
الصديقين وروى انه عليه
السلام لما طال بكاءه ولم
ينفعه ذلك ضاق ذرعه
واشد غمه فقال يارب أما
ترحم بكائي فأوحى الله تعالى
اليه يا داود نسيت ذنبك
وذكرت بكاءك فقال الهى
وسيدى كيف أنسي ذنبي
وكنت اذا تلوت الزبور كف
الماء الجاري عن حربه
وسكن هبوب الريح
وأطاني الطير على رأسي
وأنست الوحوش الى
محرابي الهى وسيدى فما
هذه الوحشة التي بيى
وبينك فأوحى الله تعالى
اليه يا داود ذلك أنس
الطاعة وهذه وحشة المعصية
يا داود آدم خلق من خاقي
خلقه بيدي ونفخت فيه
من روجي وأسجدت له
ملائكتي وألبسته ثوب
كرامتي وتوجته بتاج
وقاري وشكالي الوحدة
فزوجته حواء أمي
وأسكنته جنتي عصاني

السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض (وكان) عليه السلام (يقول في مناجاته) سبحانك (الهى
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض ورجها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روجي سبحانك الهى
أثبت أطباء عبادك ليدادوا خطيئتي فكلمهم عليك يدني قبوسا للقائطين من رحمتك) رواه أحمد في الزهد
عن عثمان بن أبي العالبة قال كان من دعه داود عليه السلام فذكره (وقال الفضيل) بن عباس رحمه
الله تعالى (بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق
بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم أنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستعاني الا
بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فلياصنع يداود الخطاة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وكان)
عليه السلام (يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الخشب وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاط شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)
رواه أحمد في الزهد فقال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر
ان داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فذكره الأنا قال واشتعال اللحي بدل الخشب ورواه
أبراهيم في الحلية من طريقه (وقال عبد العزيز بن عمر) بن عبد العزيز بن مروان الاموي أبو محمد المدني
نزى الكوفة صدوق مات في حدود الحسین روى له الجماعة (لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال
الهى يج صوتي عن صفاء أصوات الصديقين وروى انه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه
واشد غمه قال يارب أما ترحم بكائي فأوحى الله اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى
وسيدى كيف أنسي ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن حربه وسكن هبوب الريح
وأطاني الطير على رأسي وأنست الوحوش الى محرابي الهى وسيدى فما هذه الوحشة التي بيى
وبينك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خاقي خلقته
بيدي ونفخت فيه من روجي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكالي
الى الوحدة فزوجته حواء أمي وأسكنته جنتي عصاني فطردته عن جوارى عرايا نازلا يا داود اسمع مني
الحق أقول أطعنا فاعطنا وعصينا فامهلنا وان عدت الينا على ما كان منك قبلنا (رواه ابن أبي
الدنيا في كتاب الخائفين) (وقال يحيى بن أبي كثير) الطائي مولا هم أبو نصر البهامي ثقة ثبت كثير
الارسل مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة (بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح
مكث قبل ذلك سبعة ايام كل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج
له المنبر) وهو الكرسي الذي يقعد عليه (الى البرية) أي الصحراء (فامر سليمان ان ينادي بصوت
يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبسج فينادي فيها ألا
من أراد ان يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش من البراري والآكام وتأتى
السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

فطردته عن جوارى عرايا نازلا يا داود اسمع مني والحق أقول أطعنا فاعطنا وعصينا فامهلنا وان عدت الينا على
ما كان منك قبلنا * وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعة ايام كل الطعام ولا يشرب
الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر الى البرية فامر سليمان أن ينادي بصوت يستقرى البلاد وما حولها من
الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبسج فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش
من البراري والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصرخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النباحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مضت المسمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فينأهوا كذلك اذا ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخرد داود مغشياً عليه فاذا نظر سليمان الى ما أصابه أتى بسر بر فغمله عليه ثم أمر منادياً ينادى

(٢٤٨)

الامن كان له مع داود جيم أو قريب فلبث بسر بر فليجمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسر بر وتحمل قريبتها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق باباً ويقول يا الله داود أغضبان أنت على داود ولا تزال ينادي ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أبتاه تقوهم هذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس بعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع الا عشرة آلاف له جاريثان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدنا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت

ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصرخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة) وشداها (وعلى النباحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مضت المسمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء) لنفسه (فبينما هو كذلك اذا ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخرد داود مغشياً عليه فاذا نظر سليمان الى ذلك أتى بسر بر فغمله عليه ثم أمر منادياً ينادى الامن كان له مع داود جيم أو قريب فلبث بسر بر فليجمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسر بر وتحمل قريبتها) عليه (وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق باباً ويقول يا الله داود أغضبان أنت على داود ولا تزال ينادي ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أبتاه تقوهم هذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم) أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وروى ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد عن صفوان بن يحيى قال كان لداود عليه السلام يوم يتأوه فيه فيقول أوهم من عذاب الله أوهم من عذاب الله أوهم من عذاب الله (وقال) أبو عمرو (يزيد) بن ابان (الرقاشي) بالتحفيف البصري القاص بالتشديد زاهد ضعيف روى له البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه (خرج داود) عليه السلام (ذات يوم بالناس بعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع الا عشرة آلاف رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (قال) يزيد (وكان له) عليه السلام (جاريثان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدنا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت) وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد بن طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلصت أوصاله لا يشدها الا الله فاذا ذكر رجته تراجعت (وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف) وهي الجلب منها ضيقة السكمين (ونظر الى مجتهدهم قد خرقوا التراقي) جمع ترقوة وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك) لانه لم يكن رأى قبل ذلك مثله (فرجع الى أبويه فربصيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا للعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فساءلهم ان يدعوا الشعر ففعلوا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا ويصحب فيه ليلاً) أي يسرج السرج (حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج) هاغماً (ولزم أطواد الارض) أي جبالها (وغيران الشعاب) جمع غور وهي المنخفضة من الاراضي والشعاب الثنايا بين

الجليلين

وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى أبويه فربصيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا للعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فساءلهم ان يدعوا الشعر ففعلوا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا ويصحب فيه ليلاً حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران

الشعاب نخرج أبواه في طلبه فادر كاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أدق باردا الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه ان يقطر على قرص كان معهما من (٢٤٩) شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن

عنه فذبح بالبر يعني في قوله تعالى وبرا بوالديه أي كان لا يعصهما (فرداه أبواه الى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويكزي كريا عليه السلام لكانه حتى بغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خربت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أذنت لي ان اتخذ شيئا تورى به أضراسك عن الناظرين فأذنت لها فعمدت الى قطعت لبود فالصقتهم على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القاطعتين أتت اليه أمه فعمصته ما فاذار أي دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما أنا سألت ربي ان يهيك لي لتقر عيناك فقال يحيى يأت ان جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مغارة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فابك) روى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحرائطي وابن عساكر عن معمر بن راشد قال بلغني ان الصبيان قالوا يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب قال مالا لعب فهو قوله وآتيناه الحكم صبيا وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طريق معمر عن قتادة قال جاء الغلمان الى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال مالا لعب خافت قال فانزل الله وآتيناه الحكم صبيا وروى الحاكم في التاريخ عن طريق بن بديل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس رفعه قال الغلمان يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى مالا لعب خافوا اذهبوا نصلي وروى اسحق بن بشر في المبتدأ وابن عساكر عن ابن عباس قال مر يحيى بن زكريا على صبية أترب له يلعبون على شاطئ نهر بطين وبماء فقالوا يا يحيى تعال حتى نلعب فقال سبحان الله أولعب خلقنا وروى ابن أبي حاتم عن طريق عبد الرحمن بن القاسم قال قال مالك بلغني انه لم يكن يحيى عيشة الاعشب الارض وان كان ليبي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لاذابه ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي ادريس الخولاني قال كان يحيى بن زكريا با كل العشب وان كان ليبي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه (وقال المسج عليه السلام معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس بورنان الصبر على المشقة وبياعدان عن الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عتبة حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس بياعدان من زهرة الدنيا وبورنان الصبر على المشقة حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا جعفر بن جعفر حدثنا مالك قال قال عيسى عليه السلام (بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع السكالب في طلب الفردوس قليل) ولفظ الحلية لقليل في طلب الفردوس وأخرجه ابن عساكر في ترجمة مالك بألفاظ كل الشعير مع الزماد والنوم على المزابل مع السكالب لقليل في طلب الفردوس (وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه اذا ذكر خطيئته بغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل عليه السلام) (ف يقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خالفا لا يخاف خالفا له فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خاتي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين فهذه أقول لكم ان أكل الشعير

الجبلي (نخرج أبواه في طلبه فادر كاه على بحيرة الاردن) وهي على أميال من بيت المقدس (وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أدق باردا الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه ان يقطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن عنه فذبح بالبر) يعني في قوله تعالى وبرا بوالديه أي كان لا يعصهما (فرداه أبواه الى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويكزي كريا عليه السلام لكانه حتى بغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خربت دموعه لحم خديه) أي شقته (وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أذنت لي ان اتخذ شيئا تورى أضراسك فاذنت لها فعمدت الى قطعت لبود فالصقتهم على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت من دموعه في القاطعتين أتت اليه أمه فعمصته ما فاذار أي دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما أنا سألت ربي ان يهيك لي لتقر عيناك فقال يحيى يأت ان جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مغارة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فابك) روى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحرائطي وابن عساكر عن معمر بن راشد قال بلغني ان الصبيان قالوا يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب قال مالا لعب فهو قوله وآتيناه الحكم صبيا وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طريق معمر عن قتادة قال جاء الغلمان الى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال مالا لعب خافت قال فانزل الله وآتيناه الحكم صبيا وروى الحاكم في التاريخ عن طريق بن بديل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس رفعه قال الغلمان يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى مالا لعب خافوا اذهبوا نصلي وروى اسحق بن بشر في المبتدأ وابن عساكر عن ابن عباس قال مر يحيى بن زكريا على صبية أترب له يلعبون على شاطئ نهر بطين وبماء فقالوا يا يحيى تعال حتى نلعب فقال سبحان الله أولعب خلقنا وروى ابن أبي حاتم عن طريق عبد الرحمن بن القاسم قال قال مالك بلغني انه لم يكن يحيى عيشة الاعشب الارض وان كان ليبي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لاذابه ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي ادريس الخولاني قال كان يحيى بن زكريا با كل العشب وان كان ليبي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه (وقال المسج عليه السلام معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس بورنان الصبر على المشقة وبياعدان عن الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عتبة حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس بياعدان من زهرة الدنيا وبورنان الصبر على المشقة حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا جعفر بن جعفر حدثنا مالك قال قال عيسى عليه السلام (بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع السكالب في طلب الفردوس قليل) ولفظ الحلية لقليل في طلب الفردوس وأخرجه ابن عساكر في ترجمة مالك بألفاظ كل الشعير مع الزماد والنوم على المزابل مع السكالب لقليل في طلب الفردوس (وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه اذا ذكر خطيئته بغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل عليه السلام) (ف يقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خالفا لا يخاف خالفا له فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خاتي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين فهذه أقول لكم ان أكل الشعير

(٣٢) - (التحاف السادة المتقين) - (تاسع) والنعيم على المزابل مع السكالب في طلب الفردوس قليل * وقبل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا ذكر خطيئته بغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خالفا لا يخاف خالفا له فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خاتي فهذه

أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك (٢٥٠) والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل

عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل*) (بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف) * روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال طائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال طهمة وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مات لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيما منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيما منسيا يا ليتني لم تلدني أمي وكان في وجهه عرر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عرر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خرم غشا عليه ومروما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذابا بلكل واقع ماله من دافع نزول عن جاره واستند إلى حائط ومكث زمانا

أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفي وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل

*) (بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف) *

روى أن أبا بكر (الصديق رضي الله عنه قال) يوما (لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا) نقله صاحب القوت (وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد) كذا في القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر قال والله لو تعلمون ما أعلم ما نسبتم إلى نساءكم ولا تقارنتم على فرسكم والله لو ددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها (وكذا قال طهمة) بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة ولفظ القوت وقول طهمة وددت أني لم أخلق (وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مات لم أبعث) كذا في القوت وروى ذلك عن ابن مسعود قال صاحب الحلية بسنده عن مسروق قال رجل عند عبد الله ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إلى قال فقال عبد الله لكن ههنا رجلا ودانه إذا مات لم يبعث يعني نفسه وفي الزهد لأحمد من طريق عبد الله بن الردي قال بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لأخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير وفي الحلية من طريق السري بن يحيى عن الحسن قال قال ابن مسعود لو وقفت بين الجنة والنار فقبل لي اخترت نخيرا من أيهما ما تكون أحب إليك أم تكون رمادا لأحببت أن أكون رمادا (وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيما منسيا) (وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما) رواه هشام عن الحسن بلفظ أن عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويعاد ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عفان عن جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال كان عمر يمر بالآية في ورده فتخذه العبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بينه حتى يعاد بحسبونه مريضا (وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيما منسيا يا ليتني لم تلدني أمي) (رواه شعبه عن عاصم بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة بلفظ أخذ عر تبنة فقال ليتني كنت هذه ليتني لم أخلق ليتني لم أكن شيئا وفي لفظ رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني ليتني كنت نسيما منسيا) (وكان في وجهه عرر رضي الله عنه خطان أسودان من آثار الدموع) رواه صاحب الحلية من طريق عبد الله بن عيسى قال كان في وجهه عرر خطان أسودان من البكاء (وقال عرر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون) رواه صاحب الحلية عن محمد بن علي بن حميش حدثنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا أبو نصر التمار حدثنا بقية عن إبراهيم بن أدهم عن أبي عبد الله قال قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ومن طريق أحمد بن علي الأبار حدثنا عبد بن هشام الجيلي حدثنا بقية فقال في حديثه عن أبي عبد الله الخراساني وفيه من اتقى الله لم يقل كلما علم قلت وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه وقد تقدم (ولما قرأ عمر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خرم غشا عليه ومروما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذابا بلكل واقع ماله من دافع نزول عن جاره واستند إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزله فرض شهرا بعوده

الناس ولا يدرون ممرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه (٢٥١) كآبة وهو يقاب يده لقد رأيت أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم فلم
أر اليوم شيئاً يشبههم لقد
كانوا يصحون شعنا صفرا
غبارين أعينهم أمثال ركب
المغزى قد باتوا لله سجدا
وقد ياميتلون كتاب الله
براحون بين جباههم
وأقدامهم فاذا أصبحوا
ذكروا الله تعادوا كما يمد
الشجر في يوم الريح وهملت
أعينهم بالدموع حتى تبل
ثيابهم والله فكأن بالقوم
باتوا غافلين ثم قام فزاروى
بعد ذلك ضاحكا حتى
ضربه ابن لمجم وقال عمران
ابن حصين وددت ان
أكون رمادا تنسفني
الرياح في يوم عاصف وقال
أبو عبيدة بن الجراح رضى
الله عنه وددت أنى كبش
فيذبحنى أهلى فبأكلون
لحى ويحسون مرقي وكان
على بن الحسين رضى الله
عنه اذا توضأ اصفر لونه
فيقول له أهله ما هذا الذى
يعتادك عند الوضوء فيقول
أندرون بين يدي من أريد
ان أقوم وقال موسى بن
مسعود كما اذا جلسنا الى
الثورى كأن النار قد
أحاطت بنا لما ترى من
خوفه وخزعه وقر أمضر
القارى يوما هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق الآية
فبكى عبد الواحد بن زيد
حتى غشى عليه فلما أفاق
قال وعسرتك لأعصيتك
جهدى أبدا فاعنى بتوفيقك على طاعتك

الناس ولا يدرون ممرضه) ومثل هذا من أحوال عر رضى الله عنه معروف روى ابن جريح عن
ابن أبي مليكة أخبرني علقمة بن وقاص قال كان عري يقرأ في العشاء الآخرة سورة يوسف وأنا في مؤخر
الصف حتى اذا ذكر يوسف سمعت تشيخه وعن عبد الله بن شداد قال سمعت عري يقرأ في الصبح بسورة
يوسف فسمعت تشيخه وانى لنى آخر الصفوف وهو يقرأ انما أشكو بنى وخزنى الى الله وعن ابن عمر
قال سمعت حنين بن عروة وراء ثلاث صفوف (وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد
علاه كآبة) أى تنفيلون من غم (وهو يقاب يده) ظهر البطن (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصحون شعنا صفرا غبارين أعينهم أمثال ركب المغزى)
أى من أثر السجود (قد باتوا لله سجدا وقبأ ما يتلون كتاب الله براحون بين جباههم وأقدامهم فاذا
أصبحوا ذكروا الله تعادوا) أى اهتزوا (كتميد الشجرة في يوم الريح) أى تهتز عينا وشمالا (وهملت
أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كفى بالقوم باتوا غافلين) أى عن ذكر الله تعالى (ثم قام) من
موضعه (فزاروى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن لمجم) عبد الرحمن المرادى رواه أبو نعيم في
الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قال حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد أبو
هاتم حدثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدى عن أبي اراكة قال صلى
على الغداة ثم لبث في سجاسه حتى ارتفعت الشمس فبدرج كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت أثرا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله ان كانوا ليصحون شعنا صفرا بين
أعينهم مثل ركب المغزى قد باتوا يتلون كتاب الله براحون بين أقدامهم وجباههم اذا ذكر الله
مادوا كتميد الشجرة في يوم ريج فانهم ملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين
(وقال عمران بن الحصين) رضى الله عنه (وددت انى أكون رمادا تنسفنى الرياح في يوم عاصف) وقد
روى مثل ذلك عن ابن مسعود قال لبتنى انى أكون رمادا وفى رواية عنه لبتنى كنت بكرة لبتنى لم ألك
شيئا وقد تقدم قريبا (وقال أبو عبيدة) عامر (بن الجراح) رضى الله عنه (وددت انى كبش فيذبحنى
أهلى فبأكلون لحى ويحسون مرقي) هذا قد روى عن عمر رضى الله عنه رواه هنادى الزهد من طريق
الضحاك قال قال عمر لبتنى كنت كبش أهلى سمنونى ما بداهم حتى اذا كنت أسمن ما أكون زارهم
بعض من يحبون فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى فاخرجونى عذرة ولم ألك بشرا (وكان)
زين العابدين (على) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله
ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء أفيقول أندرون بين يدي من أريد ان أقوم) رواه أبو نعيم في الحلية
فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا ناغلابي حدثنا العتي حدثنا أبي قال كان علي بن
الحسين اذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة فقبل له في ذلك فقال ويحكم
أندرون الى من أقوم ومن أريد أن أباي وقد روى مثل ذلك عن عطاء السلمي أخرجه أبو نعيم في الحلية
(وقال موسى بن مسعود) أبو حذيفة النهدي البصري قال العجلي ثقة صدوق وقال ابن أبي حاتم سألت
أبي عنه فقال صدوق معروف بالثورى وقيل ان الثورى تزوج أمه لما قدم البصر فمات سنة
عشرين ومائتين وله اثنتان وتسعون سنة روى عنه البخارى وروى له أبو داود والترمذى وابن ماجه
(كنا اذا جلسنا الى) سفيان (الثورى كان النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وخزعه) أخرجه أبو
نعيم في الحلية (وقرأ مضر القارى يوما) قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعسرتك لأعصيتك جهدى أبدا
فاعنى بتوفيقك على عبادتك) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا علي بن سعيد
حدثنا محمد بن ادريس حدثنا عبد الله بن عبيد عن مضر القارى قال سمعت عبد الواحد بن زيد يقول

وكان المشور بن مخزوم لا يقوى ان يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه واذا كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فيأبى عقل أيا ما حنى أتى عليه رجل من خشم فقرأ عليه يوم (٢٥٢) نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين واست من

و عزتك ما أعلم لمحبك فرجادون لقائك والاستقاء من النار الى جلال وجهك في دار كرامتك فيأمن أهل الصادقين محل الكرامة وأورث البطالين منزل الندامة اجعلني ومن حضرتي من أفضل أوليائك زلفا وأعظمهم منزلة وقربة تفضلا منك على وعلى اخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمها (وكان المشور بن مخزوم) بن نوفل القرشي أبو عبد الرحمن الزهري له ولأبيه صبيحة وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين ومات بمكة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وسبعين وهو يومئذ ابن ثلاث وستين روى له الجماعة (لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فيأبى عقل أيا ما حنى أتى عليه رجل من خشم) بن اغمار (فقرأ عليه) قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد على القول أيها القارئ فعاد عليه فشوق شهوة فلق بالآخرة) هكذا ذكره المصنف في سبب موته والذي ثبت من قول عمرو ابن علي الفلاس انه أصابه المخنيق في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الجرف فكث خمسة أيام ثم مات ففعل هذه القصة ان سحبت كانت في أثناء هذه الايام الخمسة أو حصل التصفيف من النساخ في صاحب القصة (وقرى عند يحيى البكاء) هو يحيى بن مسلم أو ابن سليم مصغرا وهو ابن أبي خلية البصري المعروف بالبكاء لكثرة بكائه الحداني مولاهم ضعيف مات سنة ثلاثين ومائت روى له الترمذي وابن ماجه وله ذكر في الخلية في ترجمة محمد بن واسع أخرجه من طريق حماد بن زيد قال دخلنا على محمد بن واسع نعوذ في مرضه فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمة على الباب قال من أبو سلمة قالوا يحيى قال من يحيى قالوا يحيى البكاء قال حماد وقد علم انه يحيى البكاء فقال ان شئنا يأمكم يوم نسيتم الى البكاء (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) الآية (فصاح صيحة ومكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بيننا ما نأنا أطوف بالبيت اذا ناجو ربنا) أي صبية (متعبدة وهي متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول شككت مالكا أمه) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وروى ابن الفضيل) بن عباس رضي الله عنه (روى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه ان غفرت ثم انقلب مع الناس) أخرجه أبو نعيم في الخلية فقال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا الفضل بن محمد الجندی حدثنا اسحق بن ابراهيم قال وقفت مع الفضيل بن عباس بعرفات فلم أسمع من دعائه شيئا الا انه واضع يده اليمنى على خده وواضع رأسه يبكي بكاء خفيا فلم يزل كذلك حتى أفاض الامام فرفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه والله منك ان عفوت ثلاث مرات (وسئل ابن عباس رضي الله عن الخائفين) أي عن وصفهم (فقال) هم الذين (قلوبهم بالخوف فرحة وأعينهم) منه (باكية يقولون كيف نفرخ والموت من ورائنا والقبر والقيامة موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقنا) وهذا منه رضي الله عنه بيان عن الخائفين من صفاته (ومر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (بشباب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدرى الى الجنة تصير أم الى النار قال لا

المتقين أعد على القول أيها القارئ فاعادها عليه فشوق شهوة فلق بالآخرة وقرى عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بيننا ما نأنا أطوف بالبيت اذا ناجو ربنا بعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول شككت مالكا أمه وروى أن الفضيل روى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه ان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال فلو بهم بالخوف فرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدا

قال فهاذا الضحك قال فما روى ذلك الفتي بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبدربه اذا جلس (٢٥٣) جلس مستوفزا على قدميه فيقال له

قال فهاذا الضحك قال فما روى ذلك الفتي بعدها ضاحكا) نقله صاحب القوت (وكان حماد بن عبدربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطعنا انت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن اذا عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد درجة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لقد هممت اذا أمانت أمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربى كيلا ينطلق بالعبد الا بقى الى سيده) ولفظ الحلية لقد هممت ان أمر اذا مت فاعل وأدفع الربى يغولوا كيلا يدفع العبد الا بقى الى مولاه رواء عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد حدثني عبد الله بن عمر القوارى حدثنا جعفر بن سليمان قال قال مالك بن دينار فساقه (وقال حاتم) بن علوان (الاصم) رحمه الله تعالى (لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مالم يأت) أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب الخالفة (ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تبعده) حتى كان يلعب بطاوس الملائكة (لحق مالم) من اللعن والطرده بسبب الكبر (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) بن باعوراء من علماء بني اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم) هذا هو المشهور وقال بعضهم بل كان أوفى النشوة (فانظر ماذا لقي) من الانسلاخ عن الآيات فكان علمه سبب هلاكه كما قال تعالى آتينا آياتنا فانسلخ منها (ولا تغتر بروية الصالحين فلا شخص أ كبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم) مع ذلك (لم ينتفع بلقاءه أقاربه وأعداؤه) مع كمال قربهم اليه نقله القشيري في الرسالة (وقال السري) بن المفلس السقطي رحمه الله تعالى (انني لا أنظر الى أنفي كل يوم مرأت مخافة ان يكون قد اسود وجهي) نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة هكذا أو رده في باب الخوف وذكر في ترجمته من أول الكتاب بلفظ مخافة ان يكون قد اسود خوفا من الله ان يسود صورتي لما اتعاطاه وانما خص الانف لان الشخص لا يرى من وجهه غير أنفه (وقال أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابوري من كبار الأئمة ترجم له القشيري في الرسالة وقال مات سنة ثمان وستين ومائتين (منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظير السخط) والمقت (وأعجالي تدل على ذلك) أي لكثرة الغفلات واسوء الادب في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق نقله القشيري في الرسالة (وخرج) عبدالله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوم اعلی أصحابه فقال لهم اني قد اجترأت البارحة) على الله حيث (سألته الجنة) وأنا خفي في نفسي ولا تصلح أحوالي لسؤالها وكان حتى استعبد من النار نقله القشيري في الرسالة (وقالت أم محمد بن كعب) ابن سليم بن عمرو بن اباس بن حبان بن قرطبة (القرطبي) المدني من حلفاء الاوس وكان أبوه من بني قريظة سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة فسكنها قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورع مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (لأنها) المذكور (يا بني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت حدثا موبقا) أي اذنبت ذنبا مهلكا (لما أراك تصنع في ليلك ونهارك) أي من الاجتهاد في العبادة واللبس بكم الخوف (نقال) محمد (يا أمه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فقتني وقال وعزني لا غفرت لك رواء أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال قالت أم محمد بن كعب لمحمد يا بني لولا اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت انك اذنبت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أمه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل اطلع على وأنا في بعض ذنوبي فقتني وقال اذهب لا أغفر لك مع ان عجائب القرآن تردني على أمور حتى انه لينقض الليل ولم أفرغ من حاجتي (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (انني لا أعبط نيامي سلا ولا ملكا مقررا ولا عبدا

لواط ما ننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن اذا عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد درجة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى) وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا أمانت أمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربى كيلا ينطلق بالعبد الا بقى الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مالم يأت أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب الخالفة ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تبعده حتى كان يلعب بطاوس الملائكة (لحق مالم) من اللعن والطرده بسبب الكبر (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) بن باعوراء من علماء بني اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم) هذا هو المشهور وقال بعضهم بل كان أوفى النشوة (فانظر ماذا لقي) من الانسلاخ عن الآيات فكان علمه سبب هلاكه كما قال تعالى آتينا آياتنا فانسلخ منها (ولا تغتر بروية الصالحين فلا شخص أ كبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم) لم ينتفع بلقاءه أقاربه وأعداؤه وقال السري بن المفلس السقطي رحمه الله تعالى (انني لا أنظر الى أنفي كل يوم مرأت مخافة ان يكون قد اسود وجهي) نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة هكذا أو رده في باب الخوف وذكر في ترجمته من أول الكتاب بلفظ مخافة ان يكون قد اسود خوفا من الله ان يسود صورتي لما اتعاطاه وانما خص الانف لان الشخص لا يرى من وجهه غير أنفه (وقال أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابوري من كبار الأئمة ترجم له القشيري في الرسالة وقال مات سنة ثمان وستين ومائتين (منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظير السخط) والمقت (وأعجالي تدل على ذلك) أي لكثرة الغفلات واسوء الادب في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق نقله القشيري في الرسالة (وخرج) عبدالله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوم اعلی أصحابه فقال لهم اني قد اجترأت البارحة) على الله حيث (سألته الجنة) وأنا خفي في نفسي ولا تصلح أحوالي لسؤالها وكان حتى استعبد من النار نقله القشيري في الرسالة (وقالت أم محمد بن كعب) ابن سليم بن عمرو بن اباس بن حبان بن قرطبة (القرطبي) المدني من حلفاء الاوس وكان أبوه من بني قريظة سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة فسكنها قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورع مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (لأنها) المذكور (يا بني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت حدثا موبقا) أي اذنبت ذنبا مهلكا (لما أراك تصنع في ليلك ونهارك) أي من الاجتهاد في العبادة واللبس بكم الخوف (نقال) محمد (يا أمه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فقتني وقال وعزني لا غفرت لك رواء أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال قالت أم محمد بن كعب لمحمد يا بني لولا اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت انك اذنبت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أمه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل اطلع على وأنا في بعض ذنوبي فقتني وقال اذهب لا أغفر لك مع ان عجائب القرآن تردني على أمور حتى انه لينقض الليل ولم أفرغ من حاجتي (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (انني لا أعبط نيامي سلا ولا ملكا مقررا ولا عبدا

يا بني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا أمه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فقتني وقال وعزني لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا أعبط نيامي سلا ولا ملكا مقررا ولا عبدا

صالحا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة (٢٥٤) القيامة انما أعظم من لم يخلق وروى ان فتى من الانصار دخلت مخشبة النار فكان يبكي حتى

حبسه ذلك في البيت فخاف النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتقه ففر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهنم واصحابكم فان الفرق من النار فتت كبده وروى عن ابن أبي ميسرة انه كان اذا أوى الى فراشه يقول يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك هداية الى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا اننا وارد النار ولم يبين لنا اننا واردون عنها وقيل لفرقة السجى أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه الاتشهت شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه مازع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فزعر فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان اذا أصابته سم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا

صالحا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة) أي بشاهدون أهوالها (انما أعظم من لم يخلق) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثني محمد بن عيسى عن فضيل بن عياض قال ما أعظم ملكا مقربا ولا نبيا مرسلين القيامه وأهوالها ما أعظم الامن لم يكن شيئا (وروى ان فتى من الانصار دخلت مخشبة النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت) أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فخاف النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتقه) فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالى فلم يحتمله (ففر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهنم واصحابكم فان الفرق من النار) أي الخوف منها (فتت كبده) قال العراقي روى ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر (وروى عن) ميسرة (بن أبي ميسرة) عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي (انه كان اذا أوى الى فراشه يقول يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه) حين سمعت منه ذلك مرارا (يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك) حيث (هداك للاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا اننا وارد النار) وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (ولم يبين لنا اننا واردون عنها) أي فهذا سبب خوفي منها (وقيل لفرقة) بن يعقوب (السجى) بفتح المهملة والموحدة ونخاء مجة بصرى صدوق في حديثه لين مات سنة احدى وثلاثين روى له الترمذي وابن ماجه (أخبرنا) يا أبا يعقوب (بأعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل قال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح) يتعبدن الله عز وجل (فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد) أي غلب عليهن الخوف فتت كبدهن فتن وهكذا شأن الخوف اذا أفاض من القلب الى الكبد (وكان عطاء السلي) بفتح المهملة وكسر اللام نسبة الى سليمة بن مالك ابن فهم بطن من الازد زاهد مشهور ويقال له العبدى أيضا (من الخائفين) المشهورين بالخوف حتى يقال انه نسي القرآن من الخوف وكان اذا رأى تنورا يسبح بسقط مغشيا عليه من الخوف واذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكى شديدا وكان له موعه حوله أثر البلال كأنه أثر الوضوء (ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل العفو) روى صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول كان عطاء السلي قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله أبدا الجنة فاذا ذكرت عنده قال نسأل الله العفو (وقيل له في مرضه) ألا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة) نقله صاحب القوت وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المري قال قلت لعطاء السلي انك قد ضعفت فلو صنعتنا لك سويقا قال فصنعنا له سويقا وتكافأناه فقال يا أبا بشر اني اذا ذكرت النار لم أتبعه وفي رواية اذا أردت ان أشربه ذكرت هذه الآية يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتبه الموت من كل مكان وفي رواية قال له صالح يا شيخ قد خدعك البليس قال فقال لي وبجلك يا صالح اني والله اذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب قال قلت أنت والله في واد لا عاتبك في هذا أبدا (ويقال انه مازع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق) روى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة وكانت متعبدة قد ذهب بصرها من البكاء تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة فسقط فتق فتق في بطنه (وكان يس رفع رأسه يوما فزعر فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ) روى أحمد بن حنبل في مسند (وكان اذا أصابته سم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا

وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفيما كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء (٢٥٥) قد تورمت أقدامهم من طول القيام

وغارت أعينهم في رؤسهم
جلاودهم على عظامهم
وبقيت العروق كأنها
الانوار يصحون كأن
جلاودهم قشور البطيخ
وكانهم قد خرجوا من
القبور يخبرون كيف
أكرم الله المايعين
وكيف أهان العاصين
فبينما هم يمشون اذ مر
أحددهم بمكان فخر مغشيا
عليه فحاس أصحابه حوله
يبكون في يوم شديد البرد
وجبينه يرشح عرقا خاوا
بماء فمسحوا وجهه فأفاق
وسأله عن أمره فقال اني
ذكرت اني كنت عيت
الله في ذلك المكان وقال
صالح المري قرأت على رجل
من المتعبدين يوم تقاب
وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسول أفصعق ثم أفاق فقال
زدني يا صالح فاني أدرغما
فقرأت كلما أرادوا ان
يخرجوا منها أعيدوا فيها
فخر ميتا وروى ان زارة بن
أبي أوفى صلى بالناس الغداة
فلما قرأ فاذا نقر في الناقور
خر مغشيا عليه فحمل ميتا
* ودخل يزيد الرقاشي على
عمر بن عبد العزيز فقال
عطشي يا يزيد فقال يا أمير
المؤمنين اعلم انك لست أول
خليقة موت فبكى ثم قال زدني
قال يا أمير المؤمنين ليس

الناس قال وكننا ندخل على عطاء فاذا قلنا له زاد الطعام قال هذا من أجلى يصيبكم لومت أنا لاستراح
الناس ورواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن اسحق الحضرمي حدثنا ابراهيم بن يعقوب قال كان
عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ يبطنه كأنه امرأ مناخض ويقول قد كنت أرجوان
أموت قبل أن يجيء الشتاء (وقال عطاء السلمي خرجنا مع عتبة) بن أبان (الغلام) نسير (وفيما
كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم
في رؤسهم واصقت جلاودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الانوار يصحون كأن جلاودهم قشور
البطيخ وكانهم قد أخرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المايعين وكيف أهان العاصين فبينما هم
يمشون اذ مر) عتبة (بمكان) هناك (فخر مغشيا عليه فحاس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد
وجبينه يرشح عرقا خفي بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسأله عن أمره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت
الله عز وجل (في ذلك المكان) ورواه أبو نعيم في الحلية أنحصر منه قال حدثنا أحمد بن بندار حدثنا
جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله الجبلي حدثني محمد بن الحسين حدثنا غيبة الله بن محمد بن حفص
التميمي حدثني أبو حسن بن اليسع قال لقي عبد الواحد بن زيد عتبة الغلام في رجة العاصين في يوم شات
شديد البرد فاذا هو يرفض عرقا فقال له عبد الواحد عتبة قال نعم قال فما شأنك مالك تعرف في مثل
هذا اليوم قال لا خير قال خير قال فقال للانيس الذي بيني وبينك والاخاء الاما أخبرني قال
اني والله ذكرت ذنبا أصبته في هذا المكان فهذا الذي رأيت من أجل ذلك (وقال) أبو بشر (صالح)
ابن بشر (المري) رحمه الله تعالى (قرأت على رجل من المتعبدين) يوما قوله تعالى (يوم تقاب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) الى آخره (فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد
غما فقرأت) عليه قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) الآية (فخر ميتا) وهذا
من شدة الخوف الذي غلب على القلب فاض منه الى المارة فانشقت ومات (وروى ان) أبا حاجب
(زارة بن أوفى) العامري الحرشي البصري قاضيا نقمة عابد روى له الجماعة (صلى بالناس الغداة
فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا) روى المزي في التهذيب من طريق أبي حبيب
الغصاب قال صلى بنا زارة الفجر فلما بلغ فاذا نقر في الناقور شهق شهقة ومات ومن طريق بهزأنا زارة
في مسجد بني قشير فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال فكنت فحين جملة
وقد تقدم في تلاوة القرآن (ودخل يزيد) بن أبان (الرقاشي) القاص (على عمر بن عبد العزيز) رحمه
الله تعالى (فقال) له (عطشي يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليقة يموت فبكى ثم قال زدني قال
يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الاميت فبكى ثم قال زدني يا أمير المؤمنين ليس بينك
وبين الجنة والنار منزل ألا فاعلم فخر مغشيا عليه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ميمون بن مهران) الجزري
كاتب عمر بن عبد العزيز (لما نزلت هذه الآية وان جهنم لم يعد لهم أجعين صاحب سلمان الفارسي) رضى
الله عنه (ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه) قال العراقي لم أقفله على أصل
قلت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن ميمون قال خرجت بابي أقوده في بعض سكك البصرة
الحديث وفيه ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرق الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت من هذا
فقلت هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز فقلت له انتم فقالت
يا شقي ما بقاؤك الى هذا الزمان السوء قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج اليه فاعتنقا فدخلنا
فقال ميمون يا أبا سعيد اني قد انتست من قلى غلظت فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم أفرأيت ان
منعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون قال فسقط الشيخ فرائته فمحص

بينك وبين آدم أب الاميت فبكى ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران
لما نزلت هذه الآية وان جهنم لم يعد لهم أجعين صاحب سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه

ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبيكي أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يابني ليست النائحة الا كل كالتائحة المستأجرة
وحكى ان قوما وقفوا بعباد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال فرحته يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء
بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف (٢٥٧) جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال

صالح المري قدم علينا ابن
السمك مرة فقال ارني شيئا
من بعض عجائب عبادكم
فذهبت به الى رجل في
بعض الاحياء في حص له
فاستأذنا عليه فاذا رجل
يعمل خوصا فقرأت عليه
اذ الاغلال في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في
الجيم ثم في النار يسجرون
فشهق الرجل شهقة وخر
مغشيا عليه نحر جنان
عنده وتركاه على حاله
وذهبنا الى آخر فدخلنا
عليه فقرأت هذه الآية
فشهق شهقة وخر مغشيا
عليه فذهبنا واستأذنا على
ثالث فقال ادخلوا ان لم
تسفلوا ناعن ربنا فقرأت
ذلك لمن خاف مقامى وخاف
وعبد فشهق شهقة فبدا
الدم من مخربه وجعل
يتشظى في دمه حتى يس
فتركاه على حاله وخرجنا
فادرته على ستة أنفس كل
نخرج من عنده ونتركه
مغشيا عليه ثم أتيت به الى
السابع فاستأذنا فاذا
امراة من داخل الحص
تقول ادخلوا فدخلنا فاذا
شيخ فان جالس في مصلاه
فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا

مصيبتي فيه عليه فابكى من حضر ثم قال شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولى وهو يقول انطلقا وتركتك
ولو انما ما نهضنا لك ولكن نستودعك ارحم الراحمين مات عمر سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له البخارى
وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه في كتاب التفسير له والدة ذرب عبد الله يبنى أباجرثة من
أقران الخنعي وسعيد بن جبير روى له الجماعة ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبيكي أحد فاذا تكلمت أنت
سمعت البكاء من كل جانب فقال يابني ليست النائحة الا كل كالتائحة المستأجرة روى أبو نعيم في الحلية فقال
حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد قال أخبرني عن ابن السمك قال قال ذرلابه ما بال قد كره
(وحكى ان قوما وقفوا بعباد) في صومعته (وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها
الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وكان)
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يبكي ويقول في مناجاته الهى قد كبرت) سنا (ضعف
جسمي عن خدمتك فاعتقني) فهذا منه يدل على شدة خوفه عن التقصير في الطاعات (وقال) أبو بشر
(صالح) بن بشر (المري) رحمه الله تعالى (قدم علينا) البصرة (ابن السمك) محمد بن صبيح البغدادي
القاص (مرة فقال) لى (ارنى شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء)
وهو (في حص له) وهو بيت من قصب (فاستأذنا عليه) فأذن لنا (فاذا) هو (رجل يعمل خوصا) له
(فقرأت) عليه قوله تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجيم ثم في النار يسجرون
فشهق الرجل شهقة) فاذا هو قديس (وخر مغشيا عليه نحر جنان عنده وتركاه على حاله وذهبنا الى
آخر) فاستأذنا عليه فأذن لنا (فقرأت) عليه (هذه الآية) يعنى المذكورة آنفا (فشهق شهقة وخر
مغشيا عليه) نحر جنان عنده وتركاه على حاله (واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تسفلوا ناعن ربنا)
فدخلنا فاذا رجل جالس في مصلى له (فقرأت) عليه هذه الآية (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعبد فشهق
شهقة بدر الدم من مخربه وجعل يتشظى في دمه حتى يس فتركاه على حاله نحر جنان) من عنده
(فادرته على ستة أنفس كل) واحد منهم (نخرج من عنده ونتركه) على حاله (مغشيا عليه) ثم أتيت به
الى السابع فاستأذنا فاذا امراة (من داخل الحص) أى من ورائه كما هو نص الحلية (تقول) لنا
(ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا) ولفظ الحلية فلم يعقل
سلامنا (فقلت بصوت عال ان للخلق غدا) مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقى مبهوتا فالتحفاه
شاخصا بصره الى السماء (يصبح بصوت له ضعيف أو أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته
اخرجوا) عنه (فانكم لاتنفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة) منهم (قد
أفاقوا) من غشيتهم فيما بعد (وثلاثة) منهم (قد لحقوا بالله عز وجل وأما الشيخ) وهو السابع (فانه
مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متخيرا لا يردى فرضا فلما كان بعد ثلاث) واظف الحلية بعد ثلاثة
(عقل) أى رجع الى عقله روى صاحب الحلية عن محمد بن أحمد بن عمر حدثنا أبى حدثنا عبد الله
ابن محمد بن عبيد حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الديلمي عن عثمان بن عثمان عن صالح المري قال قدم علينا
ابن السمك مرة فقال فساقه سواء (وكان يزيد بن الاسود) هكذا في النسخ والصواب الاسود بن يزيد وهو
ابن قيس الخنعي الكوفي خال ابراهيم الخنعي وابن أخى علقمة بن قيس الذى روى عن ابن مسعود

(٣٣ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) فقلت بصوت عال الان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من
ويحك ثم بقى مبهوتا فالتحفاه شاخصا بصره يصح بصوت له ضعيف أو أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لاتنفعون به
الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا
متخيرا لا يردى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود

يرى انه من الابد والوكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا أبدا فصار يرى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحاج السعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجههم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل الحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت (٢٥٨) قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك بناس ركبوا

وكان أسن من علقمة (يرى انه من الابدال) قال أجد ويحيى ثقة زاد أجد من أهل الخير وقال ابن سعد ثقة وله أحاديث صالحة وقال ميمون أبو حمزة سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبع مائة ركعة وكانوا يقولون انه أقل أهل بيته اجتهادا قال وكانوا يسمون آل الأسود من أهل الجنة (وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا أبدا فصار يرى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمينا حتى مات رحمه الله تعالى) بالسكوفة سنة خمس وسبعين روى له الجماعة (وقال الحاج) بن يوسف الثقفى (السعيد بن جبير) بن هشام الاسدي الوالي مولاهم السكونى النابى الشهير حين أتى به اليه فسأله عن اسمه فقال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كسير قال بل أى كانت اعلم باسمى منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يلمه غيرك فى قصة طويلة فى آخرها قال الحاج يا غلام السيف والنطع فلما ولى ضحك فقال الحاج أليس قد بلغني انك لم تضحك قط قال كيف اضحك وجههم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت قال فما اضحكك عند القتل قال من جراءك على الله تعالى ومن حلم الله عنك رواه المزي فى التهذيب من طريق عون بن أبي شداد العبدى قال بلغني ان الحاج لما ذكر له سعيد فساق القصة مطولة (وقال رجل الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك بناس ركبوا السفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت) بهم) سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال يكون قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم) نقله صاحب القوت (و) يروى انه (دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز) الاموى (على عمر رحمه الله تعالى فسالت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصالت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت فى منامها) أى انتهت باكىة مذكورة فسلت عن ذلك (فقال يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذلك قالت رأيت النار وهى تفر على أهلها) أى تلهب وتضوت (ثم جىء بالصراط فوضع على متنها) أى ظهرها (فقال هبة) بالسكسر كلمة استراة (فالت فى ع بعد الملك بن مروان فعمل عليه فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم) أى سقط فيها (فقال) عمر (هبة) أى زىدى (فالت ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فعمل عليه فى مضى الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هبة قالت ثم جىء بسلام بن عبد الملك فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هبة قالت ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خرو منها) مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت انى رأيتك والله حتى نجوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويحكى ان أويسا) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القرنى رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص) فيسعه (فيكى من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أو يس) من شدة خوفه (ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون) ومابه جنون وانما هو الخوف من النار وقد تقدم هذا وما يتعلق باويس رحمه الله تعالى معاولا (وقال معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان المؤمن لا تسكن روحه حتى يترك جسدهم وراءه) نقله صاحب القوت (وكان طاوس) بن كيسان البجلي النابى (يفرش له الفراش فيضطجع ويتقل كما تتقل الحبة فى القلى)

سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسالت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت فى منامها ثم انتهت ففالت يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذلك قال رأيت النار وهى تفر على أهلها ثم جىء بالصراط فوضع على متنها فقال هبة قالت فى ع بعد الملك بن مروان فعمل عليه فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم هبة قالت ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فعمل عليه فى مضى الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هبة قالت ثم جىء بسلام بن عبد الملك فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هبة قالت ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خرو منها) مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت انى رأيتك والله حتى نجوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويحكى ان أويسا) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القرنى رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص) فيسعه (فيكى من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أو يس) من شدة خوفه (ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون) ومابه جنون وانما هو الخوف من النار وقد تقدم هذا وما يتعلق باويس رحمه الله تعالى معاولا (وقال معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان المؤمن لا تسكن روحه حتى يترك جسدهم وراءه) نقله صاحب القوت (وكان طاوس) بن كيسان البجلي النابى (يفرش له الفراش فيضطجع ويتقل كما تتقل الحبة فى القلى)

عليه صيحة خرو مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت انى رأيتك والله حتى نجوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله ويحكى ان أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيكى من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أو يس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المؤمن لا يسكن روحه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقل كما تتقل الحبة فى القلى

ثم يشب فيه درجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طيرد كرجه نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من النور جل بعد ألف عام باليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الخاتمة وروى انه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت اذا رأيت قاعدا كأنه أسير قد قدم لضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعابن الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكنت كأن النار تسعير بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال لا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في علي بعض ما يكره فقتني فقال (٢٥٩) اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل في غير

معمل وعن ابن السماك

قال وعظت يوما في مجلس

فقام شاب من القوم فقال

يا أبا العباس لقد وعظت

اليوم بكامتنا كأننا بالي أن

لا نسمع غيرها قلت وما هي

رحمك الله قال فوالك لقد

قطع قلوب الخائفين طول

الخلودين امافي الجنة أو في

النار ثم غاب عني ففقدته في

المجلس الاخر فلم أراه

فسألت عنه فما خبرت انه

مريض يعاد فأتيت أعوده

فقلت يا أخي ما الذي أرى

بك فقال يا أبا العباس ذلك

من قولك لقد قطع قلوب

الخائفين طول الخلودين

امافي الجنة أو في النار قال

ثم مات رحمه الله فرأيت في

المنام فقلت يا أخي ما فعل

الله بك قال غفرت لي ورحمتي

وأدخلني الجنة فأتيت بماذا

قال بالسكامة فهذه مخاوف

الانبياء والاولياء والعلماء

والصالحين ونحن أجدر

بالمخوف منهم لكن ليس

المخوف بكثرة الذنوب بل

بصفاء القلوب وكال المعرفة

والافليس أمنا القلة ذنوبنا

وكثرة طاعتنا بل قادتنا

شهوتنا وغلبت علينا

كنايه عن كثرة القلب والاضطراب (ثم يشب) عنه قائما (في درجه) أي بطوبه (ويستقبل القبلة) راكعا ساجدا تاليا (حتى الصباح ويقول طيرد كرجه نوم الخائفين) عن أعينهم (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يخرج من النار رجل بعد ألف عام وياليتني كنت ذلك الرجل) يقول هذا وهو امام العلماء (وانما قال ذلك لخوفه) الشديد (من الخلود) في الآبدية (وسوء الخاتمة) قال فبعد ان أخرج منها بوقت لا بألي كذا في القوت (و) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى (روى انه ما ضحك أربعين سنة قال) الرازي (وكنت اذا رأيت قاعدا كأنه أسير قد قدم لضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعابن الآخرة) أي يشاهدها رأي العين (فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكنت كأن النار تسعير بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل في غير معمل) كذا في القوت (وعن) أبي العباس محمد بن ضبيح (ابن السماك) البغدادي الواعظ (قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكامة ما كنا نبالى ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال فوالك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافي الجنة أو في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس فلم أراه فسألت عنه فما خبرت انه مريض يعاد فأتيت أعوده فقلت له يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافي الجنة أو في النار ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك قال غفرت لي ورحمتي وأدخلني الجنة قلت بماذا قال بالسكامة) أي التي ذكرت وقد بشر العلماء بزيادة العدوى بالجنة وكان من العباد ففاق عليه بابه سبعا ولم يذق طعاما وجعل يبيكو ويقول أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه وقال يا أخي من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أقاتل نفسك فباطلك برجل يعذله الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من عالية الصحابة يمتنون انهم لم يخافوا بشرا وكانوا قد بشروا بالجنة يعيننا في غير خبر كما تقدم قريبا من أقوالهم الدالة على ذلك (فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء) والصالحين (ونحن أجدر بالمخوف منهم) و(لكن ليس بالمخوف) يكون (بكثرة الذنوب) ولو كان كذلك لكانت أكثر خوفا منهم (بل) انما يكون (بصفاء القلوب وكال المعرفة) وشدة التعظيم لله عز وجل (والافليس أمنا القلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا) فعميت بصائرنا (فلا قرب الرحيل بينهم ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة ترغنا) ولا وعظ الواعظين يؤثر فينا (فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضل وجوده أحوالنا) مما فرطنا فيه (فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد) والتزود للمعاد (ينفعنا ومن العجايب انا اذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري) والعقار (وطايرنا) بانفسنا وأموالنا (وان أردنا رتبة العلم نطعمها ونعينا في حفظه وتكراره وسهرنا) في تحصيله (ونجتهد في طلب أرواقنا) بكل ممكن (ولانثق بضممان الله لنا) بشير الى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقوله تعالى لانسا لك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى (ولا تجلس في بيوتنا فنقول اللهم

شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل بينهم ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة ترغنا فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضل وجوده أحوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب انا اذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري ووطايرنا وان أردنا طلبة العلم نطعمها ونعينا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب أرواقنا ولا نثق بضممان الله لنا) بشير الى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقوله تعالى لانسا لك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى (ولا تجلس في بيوتنا فنقول اللهم

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقسم فقمنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحنا والذي اليه رجأونا وبه اعترازا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الاماسي ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وما نديناف هذه الاحنة هائله ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرأترقلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حفظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت (٢٦٠) العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للعدلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى ان يمن علينا

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقسم (الذي لا يحول ولا يزول) فقمنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحنا والذي اليه رجأونا وبه اعترازا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الاماسي) وان سمع به سوف يرى (ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينهنا) عن غفلتنا (ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا) الكاذبة (فهذه الاحنة هائله) مخوفة (ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح) أي خالصة (يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا) توبة نصوحا (بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرأترقلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حفظنا فنكون ممن يقول) بلسانه (ولا يعمل) بجوارحه ويسمع بذنه (ولا يقبل) بقلبه (اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للعدلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد) والهداية (علينا بمنه وفضله) وكرمه وجوده (ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القابل من هذا يصادف القلب القابل) لما يليق اليه (فيكني) ويعني (والكثير منه وان افيض منه على القلب الغافل فلا يعني) (ولقد صدق الراهب) أي العابد من الرهبانيين (الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني) منسوب الى خولان بالفتح واسمه انكل قبيلة من قضاة ثلث الشام (وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا) على قدميه (كهيشة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقد معه من كثرة البكاء فقال عيسى لمأريته) على الوصف المذكور (هالتي منظره) أي افرغني (فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام) أي تناولته من كل طرف (فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتغترسه السباع ويسهو فتنهش الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان آمن الغيترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم لي) ذاهبا (وتركني فقلت له) (لو زدني شيئا) من هذا الجنس (عسى ينفعني فقال الظلمات تجزيه من الماء شربة) ولو قليلة (وقد صدق الراهب فيما قاله) (فان القلب الصافي) الواعي لما يليق اليه (يحركه أدنى مخافة) ويكفيمه (والقلب الجامد) البكدر (ينبوعه كل المواعظ) فلا يقبلها (وما ذكره من تقدره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدر بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت مشحونا باصناف السباع وأنواع الهوام) المختلفة الاوصاف والاشكال (مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تغترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها) فلا تدركها (فاذا انكشف الغطاء) وارتفع الحجاب (ووضعت في قبرك عاينتها وقد غفلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لما فيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أهدقت بك) أي أحاطت (في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان أردت ان تقتلها وتغورها

بالتوفيق والرشد بمنه وفضله
ولنقتصر من حكاية أحوال
الخائفين على ما أوردناه
فان القابل من هذا يصادف
القلب القابل فيه
والكثير منه وان افيض
على القلب الغافل فلا يعني
ولقد صدق الراهب الذي
حكى عنه عيسى بن مالك
الخولاني وكان من خيار
العباد انه رآه على بيت
المقدس واقفا كهيشة
المحزون من شدة الوله ما
يكاد يرقد معه من كثرة
البكاء فقال عيسى لمأريته
هالتي منظره فقلت أيها
الراهب أوصني بوصية
أحفظها عنك فقال يا أخي
بماذا أوصيك ان استطعت
ان تكون بمنزلة رجل قد
احتوشته السباع والهوام
فهو خائف حذر يخاف ان
يغفل فتغترسه السباع أو
يسهو فتنهش الهوام فهو
مذعور القلب وجل فهو
في المخافة ليله وان آمن
المغتترون وفي الحزن نهاره
وان فرح البطالون ثم لي

وتركني فقلت لو زدني شيئا عسى ينفعني فقال الظلمات تجزيه من الماء يسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبوعه كل المواعظ وما ذكره من تقدره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن انه تقدر بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت مشحونا باصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تغترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد غفلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لما فيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أهدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان أردت أن تقتلها وتغورها

وأنت قادر عليها) في الدنيا (قبل الموت فافعل والافوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم قلبك) أي باطنه
 (فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام) وبه تم كتاب الرجاء والخوف ولنذكر بعض ما يتعلق بمقام
 الخوف مما ذكره أبو طالب المكي في القوت قال الخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم لوجود
 الايمان وهو سبب اجتناب كل نهى ومهلح كل أمر وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها الا
 مقام الخوف وقد قال ذو النون المصري لا يسقى المحب كأس المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه
 وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة
 وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قرب به وشكا واعطى الى بعض الحكماء ألا ترى الى هؤلاء
 أعظمهم واذا ذكر فلا يرقون فقال كيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله مخافة وقد قال الله تعالى
 في تصديق ذلك سيدك من يخشى ويتجنبها الا شق أي يتجنب التذكرة الشقية فجعل من عدم الخوف
 شقيا وحرمة التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل وخوف خصوصهم وهم
 الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين
 عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة وقد جاء في الخبر ان العبد اذا أدخل في قبره لم يبق شيء كان يخافه
 دون الله تعالى الا مثل له يفزعوه ويرعبه الى يوم القيامة قال خوف اليقين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة
 للرب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال
 بغير فقه فيها ثم سجن اللسان وخزن الكلام ان لا يدخل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه
 أو يذكره الرسول في سنته اولم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في
 الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفا من المساءلة
 عنه ولا يدخل فيه لدقيق هو يبدخل عليه ولا لعظيم حظا دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله لانها أولى
 الخلق ثم ينصح الخلق في الله وثمره الخوف العلم بالله والحياء من الله وهو أعلى مثوبات أهل المريد
 وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاثة طوائف أهل البدع والزيغ في الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول
 آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطبع عقله عند معاينتها فيذهب ايمانه ولا يثبت لشهادتهما
 كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح الطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لأن آيات الله وكراماته لا ولياته
 في الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين بحمل القدرة وعده الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد
 اليقين والطبقة الثالثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين
 في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة منهم المدعى
 المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاقد المعان والمقر المدين متصل بهم المعاصي الى آخر
 العمر ويدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رآوا الآيات تابوا الى الله بقلوبهم وقد انقطعت أعمال
 الجوارح فليس يتأثم منهم فلا تقبل ثوبتهم ولا تنقل عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وقد كان عبد الواحد بن زيد
 يقول ما صدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أنه يدخل النار الا خاف ان لا يخرج منها أبدا وكان
 سهيل يقول خوف التعظيم من ميراث خوف السابقة وقال زهير بن نعيم البائي ما أكثر همى ذنوبي انما
 أخاف ما هو أعظم على من الذنوب ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن ابن
 لهيعة عن بكر بن سودة قال كان رجل يعتزل الناس انما هو وحده فجاءه أبو الدرداء فقال أنشدك الله
 ما يحملك على ان تعتزل الناس قال اني أخشى ان يسلب ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحى مائة تخافون
 ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن
 السهت هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سفيان الثوري يلتفت الى حادين سلمة فيقول
 يا أبا سلمة ترجو مثل العفو او يغفر لتي فيقول له حادني أرجوه وكان بعض السلف يقول لو اني أعلم

وأنت قادر عليها قبل الموت
 فافعل والافوطن نفسك
 على لدغها ونهشها الصميم
 قلبك فضلا عن ظاهر
 بشرتك والسلام

انه يختم له بالسعادة كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس في حياتي اجعله في سبيل الله وقال بعض العارفين ان الله تعالى اذا أعطى عبدا معرفة ثم يشكره عليها ولم يحسن معاملته بها لم يسلبه اياها بل أبقاها عليه لحسابه على قدرها ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد فمثل عيش هذا في الدنيا كمثل الخيل الغنى يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء كذلك العالم البطال يحيا حياة الجهال ويحاسب حساب العلماء ومن أعلى المخاوف خوف سلب الايمان الذي هو عنده وديعة وفي خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويديه ويعدده الى الغيب متى شاء ويخفيه ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة السر ولطف الساتر لا تدرى أهبة وهبه لك فيبقى عليك بكرمه وفضله أم وديعة وعارية أو دعة اياه وأعارك فيأخذها اذا لامحالة بحكمته وعدله وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وكان يحكي يقول ينبغي ان يشعلك خوف قوت تأكله لا تدرى احلال هوام حرام عن تمنى الفضول وينبغي ان يشعلك خوف ذهاب الايمان عن تمنى درجات الابدال فاذا لم تعطها استقلت ما قد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شيء في خزانة الله الايمان به ولعمري ان الخوف على فقد الايمان علامة الغبطة بوجوده وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول وقال آخروا خطراه ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع تيقنة المعرفة المبتدأة تكون مستدرجاها ممنوعا من المزيد وقد لا يكون بها مدراجا الا ان توقف المزيد عنه هو لعله واقفة من الهوى فيه وقد يقسى قلبه ويجرى عنه وذلك من النقضات الذي يعرفه أهل النمام لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت لا آخره فيمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يضره به ويقتن عنده الخلق كمن أعطى الصف المأكول وقال مجاهد ان الرجل لتبكي عيناه وقلبه أقسى من الجراد وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينه فيسبك كإساءة وسئل أبو محمد سهل هل يعطى الله أحدا من المؤمنين من الخوف زنة مثقال فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن جبل أحد قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون قال نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم قيل له فإين الخوف قال يحمله حجاب القدرة بلطف الحكمة ويستتر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل الرسائل وقال أيضا الخوف مباينة للنهي والخشية الورع والاشفاق هو الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل بدعوه الى العلم ودخوله على العالم بدعوه الى الزهد ودخوله على العامل بدعوه الى الاخلاص فقد صار الخوف يصلح للكافة اذ دخوله على العام بخبره عن الحرام ودخوله على الخاص بدخوله في الورع والزهد وقال أيضا الاخلاص فريضة لا تنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد وقال انه لا يصح علم الرجا الا للعاثف يعني المتعبد لشهادته بتقدم الخوف فيكون شهادته قائما واخلاص قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجا بخبره الى الامن والاغترار وكان يقول الخوف ذكر والمحبسة أننى ألا ترى ان أكثر الناس يدعون المحبة يريد بها ان يفضل الخوف على الرجا كفضل الذر على الانثى وهو كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء وصف العمال ففضله عليه كفضل العلم على العمل وكان الحسن يقول ما عبد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف وقال بعض السلف حسبك من الخوف اجتناب المعاصي وكان الثوري يقول ما أحب انى عرفت الامر حق معرفته اذ الطاش عقلى ومما يدل على ان الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى ان فى إحدى القراءتين من قراءة أبى أو عبد الله فى معنى قوله تعالى تخشيتان يرهبهما طغيانا تخاف ربك قال الفراء معناه تعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم ومن معنى هذا أيضا سمى الحياة بمعنى الخشية وهى من الخوف فجعل الحياة اسم الخشية ومن ذلك فسر قوله تعالى وتخشى الناس اى تستحييهم ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار فى كل حال والخوف من يسير الاعمال ومن نقل عنه المخافة من حقير الامر الذى لعله والله أعلم زنة ذرة من الشر أكثر من أن يحصى كما روى ان رجلا قال اعطاء السليمى ما هذا

الخوف كانه قال لعظيم فقلت وما هو قال اصطدت حماما لجاري منذ أربعين سنة فانا أبكى منذ ذلك أما اني قد تصدقت بثمنه مرات وقال ضيغم الراسي ذنب أذنبته أنا أبكى عليه منذ أربعين سنة وذلك انه زارني أخى فاشترى بيته كما بداني فاراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده وقال آخر تكلمت بكامة أنا أبكى عليها منذ كذا قيل وما هي قال رأيت درهما في يد رجل فقلت هذا الدرهم جرياني ولعله لم يضر ب بحر جان وقال بعضهم وصفت لنا امرأة من العوابد فأتينا منزلها فاذا هي قد غلقت بابها لا يدخل عليها أحد فسالنا عنها فقيل لنا هي تبكي في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لا ندري ما شأنها قال فسالناها بعد وقت فقالت قتلت غلة هذا لانه قيل ان الارار لا يؤذون الذرولا يقتلون النمل وبكى نصر بن جرير على معصية ثلاثين سنة والى هنا انتهى بنا الكلام على مقام الخوف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال مؤلفه نجزم من نحر بذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاحد سابع عشر شهر رمضان من شهر سنة ١٢٠٠ هـ وهي ليلة القدر على يد العبد لله أبي الفتيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وسرعه يومه عنه وكرمه أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

*(كتاب الفقر والزهد هو

الكتاب الرابع من ربيع

المخبات من كتب احياء

علوم الدين)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له

الرمال وتسجد له الظلال

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ما حير عقل العيون من عجائب قدرته * وردعت عظامته العقول فلم تجد مسامحا الى بلوغ غايه ملكوته ومدى سلطنته * هو الله الحق المبين * أحق وأبين مما ترى العيون * لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها * ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا أحده على ما وفق من الطاعة وزاد عنه من المعصية * وأسأله لمنته غامما وبحيله اعتصاما واشهد ان لا اله الا هو وأن محمد عبده الذي أرسله داعيا الى الحق شاهد على الخلق * فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مة صر * وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر * امام من اتقى * وبصر من اهتدى * اختاره من كرماء الانبياء * ومشيكا الضياء وذوابة العلياء * وسرة المطع * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب الفقر والزهد)

وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمخبات من كتب الامام حجة الاسلام قطب الاثمة الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تغمده الله بغفرانه وأسكنه بمحوجة جفانه * سلك فيه طريق الايضاح لحل ألغازه الانيقة الرائقة * وفك معانيها البديعة الشائقة * بحيث تسفر مطالبه * وتعذب مشاربه * وتورق أغصان آماله وتطالع كواكب اقباله * وتظهر منه خبايا الاسرار * وتبدو حفايا حقائقه من وراء الاستار * شافي بيانه تلين به جلامد القلوب للقاسية * وصادق برهانه تتصدع به أفئدة النفوس القاسية * وعلى الله الكريم جل شأنه مساعفة الآمال * وحسن التسديد في الاقوال والافعال قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تسبح له الرمال) جمع الرمل معروف والسبح تنزيه الله تعالى وأصله المرالسريع في العبادة وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الابعاد في الشر فقيل أبعده الله وجعل التسبيح علما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية وقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم كقوله والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واليه أشار المصنف بقوله (وتسجد له الظلال) جمع الظل هو النور وقيل أعم من النور ويجمع أيضا على اطلال وظلال وأظلة والاخير جمع الجمع وهذا يقتضي ان يكون تسبيحا على الحقيقة وسجودا له على وجهه لانفقهه بدلالة قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ودلالة قوله ومن فيهن بعد ذكر السموات والارض ولا يصح ان يكون تقديره يسبح له من في السموات ويسجد له من في السموات لان هذا

بما تفقهه ولانه بحال ان يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ومن فيهن والاشياء تسبح وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار ولا خلاف في ان السموات والارض والدواب مسجيات بالتسخير من حيث ان احوالها تدل على حكمه الله تعالى وانما الخلاف في الارض هل تسبح باختيار والاشياء تقتضى ذلك وقوله تعالى يتقربون لظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم دائرون أى انشاؤه يدل على وحدانية الله وينبئ عن حكمته وقال الحسن في قوله تعالى وظلالهم بالغدوق والآصال أما ظلال فيسجد وأما أنت فتكفر به (وتد كذلك من هيئته الجبال) أى تدق وتهدم حتى تصير بمنزلة الارض اللينة واليه الاشارة بقوله تعالى وان منها لما يهيىء من خشية الله (خلق الانسان) أى آدم عليه السلام وبنوه (من الطين اللزب) أى اللاصق تقول منه لزب لزوبا وهو كما قال الله تعالى انا خلقناهم من طين لازب (والصلصال) وهو الطين الحرن لطا بالرمل فصار يتصلصل اذا جف فاذا طبع بالنار فهو الفخار وقيل هو الطين المنتمى من قولهم صل الاعم اذا تغيرت رائحته والى كل منهما الاشارة بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقيل صلصال أصله صلال فقلبت احدى اللامين صاد (وزين صورته) وهى ما تنتقش به الاعيان وتميز به عن غيرها وذلك ضرر بان أحدهما محسوس تذركه الخاصة فقط كالصورة التى اختص بها الانسان من العقل والفهم والرؤية والمعاني التى خص بها وكانت صاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى العالم (باحسن تقويم وأتم اعتدال) واليه الاشارة بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وتنقيف الشئ تنقيفه والاعتدال توسط حال بين حالين فى كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل (وعصم قلبه بنور الهداية) أى حفظه به (عن وورطات الضلال) أى من الوقوع فيها كما قال تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور نوره والورطات محركة جمع الورطة بسكون الراء اسم لما ضاق وشق وقد يعبر بها عن الهلاك والاصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد الى الخلاص والضلال العدول عن الطريق المستقيم عمدا أو سهوا قليلا أو كثيرا (وأذن له فى قرع باب الخدمة بالغدو والآصال) وهو ايتاء الصلوات الخمس فانه طاعة المولى عز وجل وخدمته ومن سهل له فيه فقد أذن فى قرع باب خدمته (ثم كل بصيرة المخلص فى خدمته) بان لم يشرك فيها أحدا سواه (بنور العبرة) اسم من الاعتبار (حتى لاحظ بضائنه حضرة الجلال) فالخلق تعالى بذاته نور لا يدرك ويدرك به ومن حيث أسماؤه نور يدرك فاذا تجلى للقلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنيرة للاغيار بنوره فان الانوار الاسماءية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواه (فلاح له من البهجة) أى حسن اللون وظهور السرور (والبهاء) أى الجلال وحسن الهيئة (والكمال) أى الانتهاء الى غاية ليس وراءها مزيد (ما استعجب ذون مبادئ اشراقه) أى فيما يشرق من أنواره فى أوائله (كل حسن وجمال) صار مشاهدا له فى الظاهر (واستنقل كل ماصرفه) أى منعه وحجبه (عن مشاهدته وملازمته غاية الاستئصال) أى عده تقيلا الى الغاية كجهوشان كل صارف عن الشهود (وتمثل له ظاهرا الدنيا) فيما يراه بعين البصر (فى صورة امرأة جميلة) حسناء (تمس) فى بردها (وتختال) أى تعجب بنفسها مرحا (وانكشفت له باطنها) بعين البصيرة (عن عجوز شواء) فبيحة الخلقة هتاء (عجنت من طينة الخزى) أى الذل والانكسار والهوان (وضربت فى قالب النكال) أى طبعت عليه والقالب بفتح اللام ومنهم من يكسرها والنكال العقوبة الغليظة (وهى متلفعة بجلبابها) يقال تلفعت المرأة بمرطها مثل تلحف زينة ومعنى والتفت كذلك (لتخفى قبايح أسرارها بلطائف السحر) أى الخداع والتخيلات التى لاحقية لها (والاحتيال) افتعال من الخيلة وهى ما يتوصل به الى حالة تمان خفية وكثرا استعمله فيما فى تعاطيه حيث (وقد نصبت جبالها) جمع حبيلة وهى الاحبولة التى ينصبها الصائد (فى مدارج الرجال) أى فى مسالكهم

وتد كذلك من هيئته الجبال
خلق الانسان من الطين
اللازب والآصال وزين
صورته باحسن تقويم
وأتم اعتدال وعصم قلبه
بنور الهداية عن وورطات
الضلال وأذن له فى قرع
باب الخدمة بالغدو
والآصال ثم كل بصيرة
المخلص فى خدمته بنور
العبرة حتى لاحظ بضائنه
حضرة الجلال فلاح له من
البهجة والبهاء والكمال
ما استعجب ذون مبادئ
اشراقه كل حسن وجمال
واستنقل كل ماصرفه عن
مشاهدته وملازمته غاية
الاستئصال وتمثل له ظاهرا
الدنيا فى صورة امرأة جميلة
تمس وتختال وانكشفت
له باطنها عن عجوز شواء
عجنت من طينة الخزى
وضربت فى قالب النكال
وهى متلفعة بجلبابها
لتخفى قبايح أسرارها
بلطائف السحر والاحتيال
وقد نصبت جبالها فى مدارج
الرجال

فناه ولا زوال والصلاة على
سيدنا محمد سيد الانبياء
وعلى آله خير آل * (أما
بعد) * فان الدنيا بعد وفاته
عز وجل بغرورها ضل من
ضل وبمكرها زل من زل
فهارأس الخطايا والسمات
وبعضها الأمطاعات وأس
القربات وقدر استقصينا
ما يتعلق بوصفها وذم الحب
لها في كتاب ذم الدنيا من
ربيع الممالك ونحن
الآن نذكر فضل البغض
لها والزهد فيها فانه رأس
المخيمات فلا مطمع في
النجاة الا بالانقطاع عن
الدنيا والبعد منها لكن
مقاطعتها اما ان تكون
بازواثمها عن العبد ويسمى
ذلك فقرا واما بازواء
العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولكل واحد منهما
درجة في نيل السعادات
وحظ في الاعانة على الفوز
والنجاة ونحن الآن نذكر
حقيقة الفقر والزهد
ودرجاتهم وأقسامهما
وشروطهما وأحكامهما
ونذكر الفقر في شطر من
الكتاب والزهد في شطر آخر
منه ونبدأ بذكر الفقر
(الشرط الاول من الكتاب

*** (السطر الاول من الكتاب في الفقر) ***

(في الفقر) وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان

(٣٤ - (انخاف السادة المتقين) - تاسع)

فضيلة الفقير مطلقا وبيان خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغني وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغني المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بطلعه وكرمه

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ) * اعلم ان الفقر عبارة عن فقدها هو محتاج اليه أما فقدها لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا (٢٦٦) عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذ فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ) *

(اعلم) أغناك الله تعالى (ان الفقر عبارة عن فقدها هو محتاج اليه) مالا أو غيره (أما فقدها لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا) فالفقير هو الفاقِد المحتاج والفقير هو الفقير والاحتياج قال أهل اللغة هو فعل بمعنى فاعل وفسره بقليل المال قال ابن السراج ولم يقولوا فقر أي بالضم لانهم استغنوا عنه باقتنر وقال في المأثث فقيرة وجعلهم فقراء ومثله سفيه وسفهاء ولا ثالث لهما ويتعدى بالهمزة فيقال أفقرته فاقتقر وقال بعضهم الفقر هو عدم الشيء بعد وجوده فهو أنقص من العدم لان العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد ذكره الراغب (واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالى فان كان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الواحد فليس في الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله العنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا واسكا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقير من المال على الخصوص والا فقير العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يخصر لان حاجاته لا تحصر لها ومن جلة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي يزيد الانسان بيانه فقط فنقول كل فاقِد للمال فاناسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن غيرها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها الحالة الاولى وهي العليا) المبعوض للمال السكاره (بحيث ان يكون لو أناه المال لكرهه وتأذى به) وتركه (وهرب من أخذه مبغضاله) ومستثقلا ومستحقرا (ومحتررا من شره وشغله) عما هو الاهم وهو القرب من الله تعالى (و) هذا (هو الزهد) بالضم (واسم صاحبه الزاهد) يقال زهد فيه وعنه زهدا وزهاده بمعنى تركه وأعرض عنه وجع الزاهد زهادا يقال للمبالغة زهد بكسر الزاى وتشديد الهاء وزهد بزهد بفتحين لغة فيه الحالة (الثانية ان يكون ذلك المفقود) بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يبغضه ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويتركه (فيه) أي يتركه (لو أناه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا) الحالة (الثالثة ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه ولكنه لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه) أي يسرع ويحرك (بل ان أناه

فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس في الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله العنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا واسكا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقير من المال على الخصوص والا فقير العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يخصر لان حاجاته لا تحصر لها ومن جلة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي يزيد الانسان بيانه فقط فنقول كل فاقِد للمال فاناسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن غيرها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها (الحالة الاولى) * وهي العليا ان يكون بحيث

صفوا

لو أناه المال لكرهه هو تأذى به وهرب من أخذه مبغضاله ومحتررا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه

زاهد * (الثانية) * أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويتركه (فيه) أي يتركه (لو أناه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا) (الثالثة) * ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه ولكنه لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان أناه

صفوا عفووا) أى من غير تعب (أخذوه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة تسميه قانعا اذا قنع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة) (الرابعة) * ان يكون تركه الطلب المجزء والافه ورغب غير رغبة (٢٦٧) لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب

وصاحب هذه الحالة تسميه بالخرىص * (الخامسة) * ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للغزوالعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي ان يستوى عنده وجود المال وفقده فان وجد لم يفرح به ولم يتأذ ان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها اذا أتتها مائة ألف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لود كرتينى لفعلت فن هذه حاله لو كانت الدنيا يحذاقها أى بنماها (في يده وخزائنه لم يضرها اذ هو يرى الاموال في خزائنه الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تسكون في يده أو في يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) (لا الغنى) (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده هو غنى عن دخول المال في يده

صفوا عفووا) أى من غير تعب (أخذوه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة تسميه قانعا اذا قنع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة) (الرابعة) * ان يكون تركه الطلب المجزء والافه ورغب غير رغبة (٢٦٧) لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة تسميه بالخرىص * (الخامسة) * ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للغزوالعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي ان يستوى عنده وجود المال وفقده فان وجد لم يفرح به ولم يتأذ ان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها اذا أتتها مائة ألف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لود كرتينى لفعلت فن هذه حاله لو كانت الدنيا يحذاقها أى بنماها (في يده وخزائنه لم يضرها اذ هو يرى الاموال في خزائنه الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تسكون في يده أو في يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) (لا الغنى) (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده هو غنى عن دخول المال في يده

تسكون في يده أو في يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غنى عن دخول المال في يده

لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجهه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليجتاح الى اخراجه وليس يفرح به ليجتاح الى بقائه وليس فاقداله ليجتاح الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولا كالا نسبي صاحب هذه الحالة

غنيا بل مستغنيا ليقبى الغنى اسماء لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواء لم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقبى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أعنته من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهم يابن أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا السكال الاجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الاوار وصاحب هذه الحالة من المقر بين فلا حرم صار الزهد في حقه نقصا اذا حسنات الاوار سببت المقر بين وهذا لان انكاره للدينام مشغول بالدينام كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه تعالى (أقرب اليك من جبل الوريد) كما هو نص القرآن (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك (فانه أقرب اليك منك فلا حجاب بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله

لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجهه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليجتاح الى اخراجه وليس يفرح به ليجتاح الى بقائه وليس فاقداله ليجتاح الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولا كالا نسبي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليقبى الغنى اسماء لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواء لم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقبى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أعنته من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهم يابن أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا السكال الاجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الاوار وصاحب هذه الحالة من المقر بين فلا حرم صار الزهد في حقه نقصا اذا حسنات الاوار سببت المقر بين وهذا لان انكاره للدينام مشغول بالدينام كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه تعالى (أقرب اليك من جبل الوريد) كما هو نص القرآن (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك (فانه أقرب اليك منك فلا حجاب بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله

حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه ولا حجاب بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى

بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستغفاله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصر وف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما أن النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص (٢٦٩) فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن

أحدهما أخف من الآخر بل السكال في أن لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحباً فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة فالشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتبديل بالشهود فالسكال له مرتقب لان بغض الدنيا مادية توصل الى الله تعالى فالحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستديرها فها هما

تعالى ومن قال ان الغنى أفضل من الفقر فان أراد هذا فهو الصواب وان أراد الغنى بلا عراض الدنيا وية كان زيفاً فليس ذلك من وصف الله تعالى بل الرب تعالى اذا أراد أن يحب العبد عن معرفته وطاعته خوله بذلك حتى يشغله بأخص جزء من الدنيا قال الامام أبو العباس الاقلشبي رحمه الله تعالى فمن افتقر الى الله تعالى الافتقار الحقيقي وسأله الغنى الباقي لا العرضي أغنى نفسه الفقيرة بعلومه الميزة فاستفاد وفاد وانفق من مال لا يخاف عليه النفاق فهذا هو الغنى في الدنيا والآخرة والباقي غناه أبدالاً باد ومن حرم هذا الغنى ولولنا جيع ملك الدنيا فهو فقير ولذلك قيل من جهل الله فهو فقير ولقد أجاد القائل حيث يقول ومن ينفق الأيام في جمع ماله * مخافة فقر الذي فعل الفقر انتهى وهذا القدر كاف في معرفة حقائق التبتل والغنى الذي الفقر مطلوب لهما وأما التجريد الذي هو أحد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل ثم زاد المصنف في بيان حال كل من المشغولين بالحب وبالبغض وأكدته مثال فقال (بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب) وهو المراقب لحال العاشق المنتظر لتبعية حركاته وسكناته ويعبر عنه بالعادل (الحاضر في مجلس) من مجالس السرور والهوى (جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى حب الرقيب والى بغضه واستغفاله وكرهه حضوره) في ذلك المجلس (فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصر وف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه) لشغله به (ولو استغرقه العشق) بأن ملكه ظاهراً وباطناً (اغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه) كما هو شأن الاستغراق (فكذلك النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر) لان المبغض مقبل والراغب مدبر (بل السكال في أن لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحباً فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة فالشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتبديل بالشهود) وارتفاع الحجاب من البين (فالسكال له مرتقب) أي منتظر (لان بغض الدنيا مادية توصل الى الله تعالى) كما كان حبها مادية توصل الى البعد عن الحضرة الالهية (فالحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها) وخدمتها (ولكن أحدهما مستقبل الكعبة) بأن وجهه وجهه اليها (والآخر مستدير لها فها هما سيان) أي مستويان (بالإضافة الى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة الى المستدير اذ يرجى له الوصول اليها وليس محموداً بالإضافة الى المعتكف في الكعبة الملازم لها) ليدلها (الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالادابة) بالعلف والتسيير (في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن) في نفسك (ان بغض الدنيا مقصود في عينه) أي لذاته (بل بغض الدنيا عائق عن الله) شاغل عن الوصول اليه (ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من زهد في الدنيا واقتصر عليه) أي صار مشغولاً به (فقد استجمل الراحة) لنفسه (بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة) نقله صاحب القوت (فبين) رحمه الله تعالى (ان سلوك طريق الآخرة وراء الهدى كان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالادابة في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استجمل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الهدى كان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

عن الحج فإذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وأن أريده الرغبة في عدمها فهو كمال
بالإضافة إلى درجة الرضا والقانع والحرص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء
وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان (٢٧٠) تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن

الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفراغ عن جوار الماء الكثير ولا يفيض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقى منه عبدا لله بقدر الحاجة ولا أنجل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الحبز والماء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت أن الله تعالى وثقت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الحبز يأتيك لا سيما ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى قال أحد ابن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك (قال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (للمغبرة اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي) كنت (أهديتهالي فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها) هكذا هو في القوت ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد إلا أنه قال الذي أهدى له الركوة هو الحرث بن نهان الجرمي لا المغبرة وهذا لفظه قال حدثني علي بن مسلم حدثنا سيار حدثنا الحرث بن نهان الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركوة فقال وكانت عنده قال فثمت يوما فخلست في مجلسه فقال يا حرث بن نهان تعال فخذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي إلى إذا دخلت المسجد جاع في الشيطان فقال لي يا مالك إن الركوة قد سرقت فقد شغلت علي قلبي ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (قال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (هذا من ضعف قلوب الصوفية) هو (قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات الهاسية الضعف والنقصان) في المقام إذ كماله أن لا يبالي من أخذ متاع الدنيا ولفظ القوت فاراد أبو سليمان من حقيقة الرضا بحريان الأحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وسأني في كتاب التوكل له فريد بن (فان قلت فما بال الأنبياء) عليهم السلام (والأولياء هم بوا من المال) كل الهرب (ونفروا منه كل النفار) وقد استوى عندهم وجوده وعدمه (فاقول قد هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا) منه (أكثر من حاجتهم) إليه في دفع العطش (فنفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب) والرواية (يدبرونه مع أنفسهم) أو على ظهورهم (بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري المحتاجين إليه) على معنى (أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه فقد جلت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآخذوها ووضعوها في مواضعها وماهر بوا منها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحرير) قال العراقي وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة عن البخاري تعليقه مجزوما من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعلم من بحال من البحرين وكان أكثر مال أتى به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحد إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمر بن عوف قدم أبو عبيدة بحال من

عن الحج فإذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وأن أريده الرغبة في عدمها فهو كمال
بالإضافة إلى درجة الرضا والقانع والحرص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء
وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان (٢٧٠) تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن

البحرين

البهاسية الضعف والنقصان فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هم بوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم فنفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والزوايا يدبرونه مع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري المحتاجين إليه لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه فقد جلت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآخذوها ووضعوها في مواضعها وماهر بوا منها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحرير

وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عن خوف أن لو أخذته ان يخذع المال ويخدع قلبه فيدعو الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم
البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء (٢٧١) والاولياء واما ان ينقل عن قولي

بلغ السكال ولكن أظهر
الفرار والنفاق تزولا الى
درجة الضعفاء ليقندوا به
في الترك اذ لو اقتدوا به في
الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل
المعزم بين يدي أولاده من
الحية لا لضعفه عن
أخذها ولكن لعلمه انه لو
أخذها أخذها أولاده اذا
رأوها فهم لم يكونوا سير
بسير الضعفاء ضرورة
الانبياء والاولياء والعلماء
فقد عرفوا ان المراتب
ست وأعلها رتبة المستغني
ثم الزاهد ثم الراضي ثم
القانع ثم الحريص وأما
المضطر فيصوّر في حقه أيضا
الزهد والرضا والقناعة
وذر جنسه تخلف بحسب
اختلاف هذه الاحوال
واسم الفقير يطلق على هذه
الخسة أما تسمية المستغني
فقير فلا وجه لها بهذا
المعنى بل ان سمى فقيرا
فبمعنى آخر وهو معرفته
بكونه محتاجا الى الله تعالى
في جميع أمور عامته وفي
بقاء استغنائه عن المال
خاصة فيكون اسم الفقير
له كاسم العبد ان عرف
نفسه بالعبودية وأقربها
فانه أحق باسم العبد من
الغافلين وان كان اسم
العبد عاما للخلق فكذلك
اسم الفقير عام ومن عرف

الجبر من فسمعت الانصار قدومه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاء مال البحر بن أعطيتك هكذا ثلاثا
فلم يقدم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فامر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله
عليه وسلم عدة أودين فلبا تنافقت ان النبي صلى الله عليه وسلم وعدني فثالثا ثلاثا انتهى قلت وأما سيرة
عمر رضي الله عنه فقد روى سليمان بن المغيرة حدثنا جريد بن هلال حدثنا زهير بن حبان قال قال ابن
عباس دعاني عمر فأتيت فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور فقال هلم فاقسم هذا بين قومك والله أعلم
حيث روى هذا عن نبيه وعن أبي بكر فاعطيته خير أم لشر قال فأكببت عليه أقسم وأزيل قال فسمعت
بكاء واذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه كلا والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه وعن أبي بكر ارادة الشر
لهما وأعطاه عمر ارادة الخير له وقال سعيد بن عامر الضبي قال محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة
قال قدمت من البحر من فلقيت عمر فسألني عن الناس فاخبرته ثم قال ثم جئت قلت جئت بخمسمائة ألف
قال ويحك هل تدري ما تقول قلت نعم قال ارجع فتم فانك ناعس قال فاصبحت فأتيت فقال ماذا جئت به
قلت خمسمائة ألف فصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد جاء مال كثير فان شئتم ان نسكيلكم كيلا وان
شئتم ان نعددا (وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عن خوف ان لو أخذته ان يخذع المال) وزياله
عن مقامه (ويقيد قلبه فيدعو الى الشهوات) النسبية (وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال
والهرب منه في حقه كمال وهذا حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفاء الا الانبياء) عليهم السلام (والاولياء)
من بعدهم (واما ان ينقل عن قولي بلغ) رتبة (السكال ولكن أظهر الفرار والنفاق تزولا) منه (الى
درجة الضعفاء ليقندوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا) وهذا (كما يفر الرجل بين يدي أولاده
من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده اذا رآوها فهلكوا والسير بسير
الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء) اذ هم القدوة (فقد عرفوا ان المراتب اذا ست وان أعلها
رتبة المستغني) بالمعنى الذي ذكره المصنف اصطلاحا منه (ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص
وأما المضطر فيصوّر في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة وذر جنسه تخلف بحسب اختلاف هذه
الاحوال) كما سبق التلويح اليه واسم الفقير يطلق على هذه الخسة (أما تسمية
المستغني فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع أمور عامته وفي بقاء استغنائه
عن المال خاصة) وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولها وعزل النفس عن
مراعاة الربوبية واليه يشير كلام المشايخ كإثباتي بيانه فالفقر الحقيقي دوام الافتقار الى الله تعالى في كل
حال وان يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقته الى الله تعالى من كل وجه
فالفقر ذاتي للعبد وانما يتجدد له شهوده حالا والا فهو حقيقة كما قال بعضهم الفقرى وصف ذات لازم
أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي واليه أشار المصنف بقوله (فيكون اسم الفقر له كاسم العبد ان عرف
نفسه بالعبودية وأقربها فانه أحق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم
الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى) في كل حاله (فهو أحق باسم الفقير) من غيره (فاسم
الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انى أعوذ بك من الفقر) وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات رواه الطبراني من حديث
عثمان بن أبي العاص وقد تقدم في الاذكار والدعوات وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري
اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل ويعتدلان قال نعم وقد سمعته ابن حبان وروى أبو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والقلّة وروى الطبراني

نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من الفقر

عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعا اللهم اني أعبدك من الكفر والضلالة والفقر الذي يصيب بني آدم (وقوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا) رواه الكشي وابن السكن وصاحب الحاشية والبيهقي في الشعب وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقائبي عن أنس مرفوعا وقد تقدم في ذم الغضب (لا يناقض قوله) صلى الله عليه وسلم (اللهم احبني مسكينا وامتنني مسكينا) واحشرن في زمرة المساكين رواه عبد بن جيد وابن ماجه من حديث أبي سعيد والسيرازي في اللقب من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب ونعمان والطبراني وابن عساكر والضياع من حديث عباد بن الصامت ورواه الترمذي وحسنه والبيهقي من حديث أنس بزيادة يوم القيامة ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فاحطوا واهل الحاكم من حديث أبي سعيد بزيادة وان أشقى الاشقياء من اجتماع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وعند ابن عدي والبيهقي بلفظ اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرن في زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء الخ (اذ فقر المضطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من اهل الارض والسماء) والى هذا المعنى يشير كلام الشافعي كما سيأتي ذلك مفردا في سياق المصنف وهذا الذي يشير ون اليه لا تنافيه الجدة ولا الاملاك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبياءه عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم وملكهم كإبراهيم عليه السلام كان يكنى أبا الضيقان وكانت له الاموال والمواشي وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى ووجدك عائلا فأغني وكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم ثم اعلم ان الفقر الذي هو خلوص اليد من المال وسيلة التبتل والانقطاع وهما الوسيلة الى الغنى بالله تعالى وهو تعلق القلب به والغنى بالله وسيلة الى تجريده عما سوى الحق من اعراض وأغراض بل نفس وحال فالتجريد على ثلاث درجات الاولى تجريد عين الكشف عن نسب اليقين وذلك ان اليقين مكسوب في البداية وموهوب في النهاية فالتجريد ارتقاء العبد من المكسوب الى الموهوب الثانية تجريد الجمع عن ذلك العلم لان العالم بالسكر ليس بسكران فهذا حذر من أن يكون عنده علم الحال لاغيبه الثالثة تجريد الاخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يجب من ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث ويستحب علمه وما ذكرناه من قربته ومعرفة مستعان بالنظر الى صفات السلب مثل قل هو الله أحد وليس كمثل شئ وما كنت متخذ المضامين عضدا وما أشبه هذا والله أعلم

(بيان فضيلة الفقر مطالعا)

من الآيات والاعخبار والآثار (أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) أي حبسوا ومنعوا (لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار) أي الصدقات لهؤلاء وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفا على كاسرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اهل الصفة هذا أحد الاقوال في احصارهم في سبيل الله وقيل هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد وقيل لما عادوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب في الارض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضربا في الارض والصحيح انه الفقراء وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضربا في الارض ولكمال عفتهم وصيانتهم يحبسهم من لم يعرف حالهم أغنياء (وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر) ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقوله تعالى رب اني لما أنزلت الي من

وقوله عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا لا يناقض قوله أحبني مسكينا وأمتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من اهل الارض والسماء *(بيان فضيلة الفقر مطالعا)* أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر

(وأما الاخبار) في مدح الفقرفاكثر من أن تحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله (٢٧٣) عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا صاحب له أى الناس خير
فقالوا وموسى من المال يعطى
حق الله في نفسه وماله فقال
نعم الرجل هذا وليس به قالوا
فمن خير الناس يا رسول الله
قال فقير يعطى جهده وقال
صلى الله عليه وسلم لبلال
القي الله فقيرا ولا تلقه غنيا
وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله يحب الفقير المتعفف
أبا العيال وفي الخبر المشهور
يدخل فقراء أمي الجنة قبل
أغنيائهم بخمسة مائة عام
وفي حديث آخر باربعين
خريفا أى أربعين سنة
فيكون المراد به تقدير تقدم
الفقير الحر يص على الغنى
الحر يص والتقدير
بخمسة مائة عام تقدير تقدم
الفقير الزاهد على الغنى
الراغب وما ذكرناه من
اختلاف درجات الفقير
يعرفك بالضرورة تفاوتنا
بين الفقراء في درجاتهم
وكان الفقير الحر يص على
درجتين من خمس وعشرين
درجة من الفقير الزاهد اذ
هذه نسبة الاربعين الى
خمس مائة ولا تظن ان تقدير
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجري على لسانه جزافا
وبالاتفاق بل لا يستنطق
صلى الله عليه وسلم الا
بحقيقة الحق فانه لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحى وهذا
يوحى وهذا كونه صلى الله
عليه وسلم الرؤيا الصالحة

خير فقير والمراد في الآية الاولى والثانية خواص الفقراء وفي قوله انما الصدقات الآية فقراء المسلمين
خاصتهم وعامتهم وفي قوله يا أيها الناس الآية الفقراء عام لاهل الارض كلهم غنيهم وفقيرهم مؤمنهم
وكافرهم وفي الآية الاخيرة الفقر الى الله المشار اليه بقوله اللهم اغنى بالافتقار اليك وجهذا ألم الشاعر
بقوله ويجبني فقري اليك ولم يكن * ليجبني لولا محبتك الفقرا
والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة ومن ليس محصرا في سبيل الله ومن لا يكتف
فقره ضعفا يقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني والصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة ويدخل فيهم
المتضعف وغيره والمحصر وغيره والصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغنى وكل ما سواه فقير اليه
ومراد المشايخ بالفقر شئ أنقص من هذا كله وهو الافتقار الى الله في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن
يسمى فقرا بل هو حقيقة العمودية ولها وعزل النفس عن مزاجية الروبية كما تقدمت الإشارة اليه
(وأما الاخبار في مدح الفقرفاكثر من أن تحصى) منها (ما روى عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي
الله عنهما) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صاحب له أى الناس خير قالوا رجل (موسى) أى
صاحب مال (يعطى حق الله في نفسه) أى بادهاء ما اقترض الله عليه من الطاعات (وماله) أى بانخراج
ما اقترض عليه من الزكاة (قال) صلى الله عليه وسلم (نعم الرجل هذا وليس به) أى ليس بالذى أريده
(قالوا) فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى جهده أى طاقته قال صاحب القوت رويناه عن
اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس
بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له انتهى قلت هكذا رواه أبو نعيم
في الحلية ومن طريقه الديلمي ولقاهما مؤمن فقير يعطى جهده (وقال صلى الله عليه وسلم لبلال) رضى
الله عنه (القي الله فقيرا ولا تلقه غنيا) قال العراقي رواه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث
بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلطف متفقاً ولا تمت غنيا اه قلت ظاهره انه عند الطبراني من
حديث أبي سعيد الخدري وليس كذلك بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال هكذا رواه الطبراني
والحاكم جميعا وعندهما زيادة قال وكيف لي يا رسول الله بذلك قال اذ رزقت فلا تجب لغدوا واسئلت فلا
تمنع قال وكيف لي بذلك قال هو ذلك والا فالنار وصححه الحاكم وتعقب وروى الخطيب من حديث
عائشة يا بلال وددت السائل وهذا التمر عندك ان أردت أن تلقى الله عز وجل وهو عنك راض فلا تجب شيئا
رزقه ولا تمنع شيئا سئلته (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال) رواه ابن
ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم
بخمسة مائة عام) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (وفي حديث آخر باربعين خريفا أى
أربعين سنة) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر والآن قال فقراء المهاجرين ورواه الترمذي من حديث
جابر وأنس وقد تقدم في ذم الدنيا (فيكون المراد به) أى باربعين خريفا (تقدير تقدم الفقير الحر يص
على الغنى الحر يص و) يكون (التقدير بخمسة مائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب وما
ذكرناه) (من اختلاف درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتنا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير
الحر يص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمس مائة ولا
تظن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا) أى مجانا (وبالاتفاق) من غير قصد
نكتة أو فائدة (بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم بالاجقيقة الحق فانه) صلى الله عليه وسلم (لا ينطق عن
الهوى ان هو الا وحى وهذا) بعينه (كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة
وأربعين جزءا من النبوة) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث
أبي هريرة وعبد بن الصامت وأنس بلقفا رؤيا المؤمن جزا الحديث وقد تقدم اه قلت قوله جزء من

فانه تقدير تحقيق لاحتماله ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الابطحمن فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي
ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من (٢٧٤) الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالثبوت واهله والملائكة والدار الآخرة

لا كما يعلمه غيره بل مخالفا
له بكثرة المعلومات وزيادة
اليقين والتحقيق والكشف
والثاني أن له في نفسه صفة
بها تتم له الافعال الخارقة
للعادات كما أن لنا صفة بها
تتم الحركات المقرونة بأرادتنا
وباختيارنا وهي القدرة
وان كانت القدرة والمقدور
جميعا من فعل الله تعالى
والثالث أن له صفة بها
يبصر الملائكة ويشاهد
كما أن البصير صفة بها يطارق
الاعمى حتى يدرك بها
المبصرات والرابع أن له
صفة بها يدرك ما سيكون في
الغيب امانى البقطة أو في
المنام اذ بها يطالع الالوح
المحفوظ فيرى ما فيه من
الغيب فهذه كالات وصفات
يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم
انقسام كل واحد منها الى
اقسام وربما يمكننا أن
نقسمها الى أربعين والى
خسين والى ستين ويمكننا
أيضا أن نتكاف تقسيمها
الى ستة وأربعين بحيث تقع
الرؤيا الصحيحة جزأ واحدا
من جملتها ولكن نجيب
طريق واحد من طرق
التقسيمات الممكنة لا يمكن
الابطن وتخمين فلا ندري
تحقيقا أنه الذي أراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أم لا

سته وأربعين جزأ هي الرواية المشهورة كما قاله النووي وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضا من
خسة وأربعين ورواه ابن ماجه بلفظ سبعين وفي حديث ابن عمر جزء من سبعين جزأ وهو في صحيح مسلم
وغيره وقال ابن عبد البر لا يختلف في صحته قال وروى عن ابن عباس مرفوعا مثله وذكر ابن عبد البر أيضا
من حديث ابن عمر ومن تسعة وأربعين جزأ وروى من حديث عبادة من أربعة وأربعين وروى
عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعا من خمسين جزأ وروى ابن عبد البر من حديث أنس من ستة
وعشرين ومن حديث أبي رزين العقيلي من أربعين جزأ فهذه ثمان روايات أقلها ستة وعشرين
وأكثرها سبعين وأصحها وأشهرها ستة وأربعين وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل الى أخذ أحدها
وطرح الباقي (فانه تقدير تحقيق لاحتماله ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الابطحمن) وظن
(فاما بالتحقيق فلا) اذ ليس في وسعه ذلك (اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره)
فلا يشكر كفيه (وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله تعالى
(وصفاته) وأفعاله (والملائكة والدار الآخرة) لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين
والتحقيق والكشف والثاني انه له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم
الحركات المقرونة بأرادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى
والثالث أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهد عيانا في صورهم (كما أن البصير صفة بها يطارق الاعمى
حيث يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما يكون في الغيب امانى البقطة أو في المنام) أو
فيما بينهما (اذ بها يطالع الالوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء
ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام كثيرة) وربما يمكننا أن نقسمها الى أربعين والى خمسين والى
ستين ويمكننا أيضا أن نتكاف تقسيمها الى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة (وفي نسخة الصادقة
(واحدة من جملتها) بل وأكثر من الستة والاربعين وذلك لان المراد من هذا الحديث ان المنام الصادق
خصلة من خصال النبوة كما في الحديث الآخر النبوة والاقتصاد وحسن السمات جزء من ستة وعشرين
جزأ من النبوة أي النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة وعشرون هذه الثلاثة الاشياء جزء واحد
منها وعلى مقتضى هذه العجزة كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أجزاء في نفسه فاذا ضربنا ثلاثة
في ستة وعشرين صبح لنا ان عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون ويصح ان يسمى كل
اثنين من الثمانية والسبعين جزءا خلة فيكون جميعها هذا الاعتبار تسعة وثلاثين جزءا ويصح ان يسمى
كل أربعة منها جزءا فيكون مجموع أجزائها هذا الاعتبار تسعة عشر جزءا ونصف جزءا فختلف أسماء
العدد الجزأ بحسب اختلاف اعتبار الاجزاء وعلى هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزء النبوة في
أحاديث الرؤيا المذكورة اضطرابا وانما هو اختلاف مقادير تلك الاجزاء المذكورة (ولكن لتعيين
طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الابطن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي أراد
صلى الله عليه وسلم أم لا وانما العلوم) في الجملة (بمجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك
لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق) قريبا (فالمالم كان هذا
الفقير الحر يص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من أربعين سنة
الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمس مائة عام فليس في قوة أحد غير الانبياء عليهم السلام (الوقوف
على ذلك) بحقيقته (الابنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض) كلمن سياق هذا الكلام (التنبه على

وانما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء
لهم درجات كما سبق فالمالم كان هذا الفقير الحر يص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من أربعين سنة الى
الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمس مائة عام فليس في قوة البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الابنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض التنبه على

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا
منصب النبوة عن ذلك ولترجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعبا في الجنة ضعفائها
وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني (٢٧٥) أبغضني الفقر والجهاذ وروى ابن جبريل

عليه السلام نزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد ان الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول أنت أحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا
وتكون معك أينما كنت
فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعة ثم قال
يا جبريل ان الدنيا دار من
لادار له ومال من لامال له
ولها يجتمع من لا عقل له
فقال له جبريل يا محمد ثبتك
الله بالقول الثابت وروى
ان المسيح صلى الله عليه وسلم
مر في سياحته برجل نائم
ملثم في عبادة فأيقظه وقال
يا نائم قم فاذا كرا لله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد
تركت الدنيا لاهلها فقال
له قم اذا يا حبيبي ومر موسى
صلى الله عليه وسلم برجل
نائم على التراب وتحت
رأسه لبنق ووجهه ملحمته
في التراب وهو متر بعامة
فقال يارب عبدك هذا في
الدنيا ضائع فأوحى الله
تعالى اليه يا موسى أما علمت
اني اذا انطرت الى عبد
بوجهي كله زويت عنه
الدنيا كلها وعن أبي رافع
أنه قال ورد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضيف

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور (الواردة في صحاح الاخبار) فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك
يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا لمنصب النبوة من ذلك) بل كلامه كله
حكم وفوائد وتلويحات عرفها من عرف وجهها من جهل (ولترجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله
عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعبا) أي اضطجاعا (في الجنة ضعفائها) كذا في
القوت قال العراقي لم أجده أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني
ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاذ) قال العراقي لم أجده أصلا (وروى ابن جبريل عليه السلام
نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول أنت أحب أن أجعل هذه
الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان
الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجتمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول
الثابت) قال العراقي هذا ملق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي امامة عرض على ربي ليجعل
لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولا حدم حديث
عائشة الدنيا دار من لادار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا أه قلت وتعام حديث أبي امامة عند
الترمذي فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقدر واه كذلك أجد وابن
سعد والطبراني والبيهقي وحديث عائشة الدنيا دار من لادار له رواه كذلك الشيرازي في الاقارب والبيهقي
ورواه البيهقي أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه (روى ان المسيح عليه السلام مر في) أثناء (سياحته) في
الارض (برجل نائم ملثم في عبادة) له وهي كساء من صوف (فايقظه وقال له يا نائم قم فاذا كرا لله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له قم اذا يا حبيبي) نقله صاحب القوت (ومر موسى
عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنق ووجهه ملحمته في التراب وهو متر بعامة) له
(فقال موسى يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع) نظر الى ظاهر حاله (فأوحى الله اليه يا موسى أما علمت اني
اذا انطرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها) أي صرفتها عنه وضيقها عليه نقله صاحب
القوت (وعن أبي رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه) أي من قراه (فارسلني الى رجل من اليهود) وهو أبو السمك (وقال قل
له يقول لك محمد) صلى الله عليه وسلم اسلفني أو قال (بغني دقيقا الى هلال رجب فقال) أبو رافع (فأنتبه)
وقلت له ذلك (فقال) اليهودي (لا والله) لا أسلفني (الابرهني) وثيق فرجعت (فاخبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني
لأديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه) عنده (فلما خرجت) من عنده (تركت هذه الآلة ولاعدن
عينك الى ما متعنا به أرواجهم زهرة الحياة الآلية وهذه الآلة تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدنيا) قال العراقي رواه الطبراني بسند ضعيف أه قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة وابن راهو به
والبرار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحرثي في مكارم الاخلاق وأبو
نعيم في المعرفة وفيه اذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآلة كانه يعز به عن الدنيا
وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله ولاعدن عينك الآلة قال تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بغني دقيقا الى هلال رجب قال فأنتبه فقال لا والله لا
برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لأديت اليه
أذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآلة ولاعدن عينك الى ما متعنا به أرواجهم زهرة الحياة الدنيا الآلية وهذه الآلة
تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا

وقال صلى الله عليه وسلم الفقير (٢٧٦) أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أضحك منكم معافي

في جسمه آمناني سر به عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لم يسي عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا العبدى عن منزلتيه فما لم أرى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضى يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقبل جسمهم الجدد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهم فقيل شغلن الاجران الذهب والزعفران وقال الله

(وقال صلى الله عليه وسلم الفقير أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس) قال العراقي رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى في الكامل هكذا اه قلت ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث سعد بن مسعود باللفظ للفقير أزين للمؤمن من العذار الجيد على خد الفرس (وقال صلى الله عليه وسلم) (من أصبح منكم معافي في جسمه آمناني سر به عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) رواه البخارى في الادب والترمذى وحسنه وابن ماجه والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محسن الخطمى عن أبيه رفعه بلفظ من أصبح منكم آمناني سر به معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم (وقال كعب الاحبار) (رحم الله تعالى) (قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين) واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عقلت رواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب غير مرفوع باسناد ضعيف وقد تقدم (وقال عطاء الخراساني) وهو أبو عثمان عطاء بن أبي سليم واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله صدوق مات سنة خمس وثلاثين روى له مسلم والاربعة ولم يصح ان البخارى أخرجه (مر نبي من الانبياء بساحل) أى ساحل البحر (فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة) فى الماء (فلم يخرج منها) حوت واحد (ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى الشبكة) فى الماء (فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقايس من كثرتها) كذا فى النسخ ولفظ القوت حتى جعل الرجل يتقاعس من كثرتها (فقال) ذلك (النبي عليه السلام يارب ما هذا وقد علمت ان كل هذا بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا العبدى عن منزلتيهما) عندي فكشفوا له عنهما (فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضى يارب) نقله صاحب القوت (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وفي لفظ فقلت أين الاغنياء فقبل جسمهم الجدد) قال العراقي رواه أحد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيدت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجدد محبسون اه قلت وتعمام حديث اسامة الا أصحاب النار فقد أمرهم الى النار وقت على باب النار فاذا عامة من يدخلها النساء وهكذا رواه أيضا أحد والنسائي والحرث وأبو عوانة وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة (وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء) روى ذلك من حديث اسامة وابن عباس وعمران بن الحصين والاضبط السلي وابن عمر وأما حديث اسامة فرواه الشيخان وقد ذكر قبل هذا وحديث ابن عباس رواه الطيالسي وأحمد وهناد ومسلم والترمذى وللفظهم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ورواه الطبراني وزاد المساكين وحديث عمران رواه أحمد والبخارى والترمذى باللفظ المذكور ورواه الطبراني وزاد والضعفاء وحديث الاضطبط رواه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن حارثة بن الاضطبط عن جده باللفظ المذكور وحديث ابن عمر ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء (فقلت ما شأنهم فقال شغلن الاجران الذهب والزعفران) والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح (وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقير) قال العراقي رواه محمد بن حنفية الشيرازي في شرف الفقراء والديلى في مسند الفردوس من حديث معاذ ابن جبل بسند لا بأس به ورواه الديلمى أيضا من حديث ابن عمر بسند ضعيف (وفي الخبر آخر الانبياء دخولوا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لما كان ملكه وآخر أصحابي دخولوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه) تقدم وقال العراقي هو فى الاوسط للطبراني باسناد فرد وفيه نكارة (وفي حديث آخر

عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقير وفي الخبر آخر الانبياء دخولوا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لما كان ملكه واخر أصحابي دخولوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر

رأيت به دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قبل وما اقتناه قال لم (٢٧٧) يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت

الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحبواك من خلقتك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فممكن ان يكون الثاني للتوكيد ويمكن ان يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه اني لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامى اليه صلوات الله عليه ان يقال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا يجيئون ونجى اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي براحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاستد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمعهم وياهم مجلس واحد فقل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء

رأيت به (يعني عبد الرحمن بن عوف) (دخل الجنة زحفا) رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بلفظ حبوا بدل زحفا ورواه أبو نعيم عن الطبراني وقد تقدم ورواه الفريابي من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا الحديث وقد تقدم ورواه أحمد من طريقه (وقال المسيح عليه السلام) وقد قال له رجل احبني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا أستطيع فقال عليه السلام (بشدة يدخل الغني الجنة) أو قال يحب كذا في القوت (وفي خبر عن آل البيت عليهم السلام انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قبل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي عبيدة الخولاني اه قلت لفظ الطبراني في الكبير وفي الاوسط لا يترك له مالا ولا ولدا ورواه أبو نعيم في الحلية والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود اذا أحب الله عبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوج ولا ولد ورواه المصنف مشعرا به من رواية جعفر بن محمد ابن علي عن أبيه عن جده عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا هو في نهج البلاغة للشيخ الموسوي (وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى فذكره زيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الاحبار غير من فروع باسناد ضعيف اه قلت قول كعب قد تقدم للمصنف قريبا وأما المرفوع من حديث أبي الدرداء فقد رواه الديلمي بلفظ أوحى الله الى موسى بن عمران يا موسى ارض بكسرة خبز تسديها جوعتك وخوقة نواري بها عورتك واصبر على المحييات واذا رأيت الدنيا مقبلة فقل ان الله وانا اليه راجعون واذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين وقد تقدم أيضا (وقال موسى عليه السلام يا رب من أحبواك من خلقتك حتى أحبهم لاجلك قال كل فقير فقير) نقله صاحب القوت (فممكن ان يكون الثاني للتوكيد ويمكن ان يراد به الشديد الضر) فان الفقير في اللغة من يشكو فقرا ظهره وروى الدارقطني في الافراد وابن عساكر من حديث عمر قال موسى يا رب وددت اني أعلم من يحب من عبادك فأحبه قال اذا رأيت عبيدي يكثر ذكرى فانا أذنبت له في ذلك واذا رأيت عبيدي لا يذكرني فانا نجيت من ذلك وأنا أبغضه (وقال المسيح عليه السلام اني لأحب المسكنة وأبغض النعماء) ولفظ القوت الغنى وان في المسألة كبرا قبل (وكان أحب الاسامى اليه ان يقال له يا مسكين) نقله صاحب القوت (ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا يجيئون ونجى اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء) من الصحابة (مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي براحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاستد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمعهم وياهم مجلس واحد فقل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء

التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمعهم وياهم مجلس واحد فقل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية) قال العراقي تقدم من حديث حبيب وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وتلوح ويحتمل إذا عرفوا وهذه الزيادة من حديث سلمان اه قلت أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال جاءت المولفة فلوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والقرع بن حابس وذوهم فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنها هؤلاء وأزواج حجابهم يعنون أباذر وسلمان وفقراء المسلمين وكان عليهم حجاب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فانزل الله وائل ما أوحى اليك من كتاب ربك إلى قوله أحاط بهم سرادقها يتهددهم بالنار فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أممي معكم المحبا ومعكم الممات وأما حديث حبيب فرواه أبو بكر بن أبي شيبة ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الكنود عن حبيب قال جاء القرع بن حابس التميمي وحينئذ بن حصن الفراري فوجد النبي صلى الله عليه وسلم قاعا مع بلال وعمار وصهيب وحبيب في أناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حقرهم فغلبوا به فقالوا اتأخرب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فقلنا فان وفود العرب تأتيناك فنستحي أن نرانا العرب فعودا مع هؤلاء الأعداء فاذن نحن حينئذ فاقهم عنا فاذن نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا قد عابا بالصيغة ليكتب لهم ودعا علينا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية أذن جبريل عليه السلام فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة إلى قوله من الظالمين ثم ذكر القرع وصاحبه فقال وكذلك فتنابعضهم ببعض إلى الشاكرين ثم قال وإذا جاءك الذين يؤمنون الآية فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصيغة ودعا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته الحديث وقد رواه كذلك ابن ماجه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل (واستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعشى رضي الله عنه (على النبي صلى الله عليه وسلم) يوما (وعندهم رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عيسى ونولي أن جاءه الاعشى وما يدريك لعله تركي أو يذكرك فتنهه الذي كرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عيسى إلى هذه الصفوف فنأطعمك في أو كسالك في يريد بذلك وجهي فخبذه فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيمغثال الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه يدمو يدخله الجنة) قال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحبائي فتقول الملائكة ومن أحبائك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول أما أني لم أرز الدنيا عنكم لهوان كان بكم على ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا على ما شتمت اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسأني في الحديث الذي بعده اه قلت وتعام

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عيسى ونولي أن جاءه الاعشى وما يدريك لعله تركي أو يذكرك فتنهه الذي كرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عيسى إلى هذه الصفوف فنأطعمك في أو كسالك في يريد بذلك وجهي فخبذه فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيمغثال الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه يدمو يدخله الجنة

حديث أنس عند أبي الشيخ فيؤمر بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً (وقال صلى الله عليه وسلم أكثر وأمعرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم أفيضوا به إلى الجنة) قال العراقي رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا إلى الفقراء فيعتذر اليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا اه وفي المقاصد للحافظ السخاوي رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية كما عزا الديلمي ثم العراقي في تخريج الاحياء عن الحسين بن علي ولم أره في النسخة التي عندي وقال شيخنا انه لا أصل له نعم في الحلية من حديث ابراهيم بن فارس عن وهب من قوله اتخذوا اليد عند المساكين فان لهم يوم القيامة دولة وفي قضاء الخواجه لابي النرسي بسند فيه مجاهيل عن أبي عبد الرحمن السلمي التابعي رفعه مراسلاً اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قبل يا رسول الله وما دولتهم قال ينادى مناد يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا في صفوف أهل القيامة فمن صنع اليكم معروفاً وردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك في صدقه فيقول له لا آخر ألم أكسك في صدقه فيقول له لا آخر يا فلان ألم أكلمك قال ولا يزالون يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم بما صنعوا اليه حتى يذهب بهم جميعاً فيدخلهم الجنة فيقول قوم لم تكونوا يصنعون المعروف باليتيم كأن تصنع المعروف حتى تدخل الجنة وبسند واه عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه ان للمساكين دولة قبل يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوباً أو سقاكم شربة فادخلوه الجنة اه قلت حديث ابن عباس هذان رواه ابن عدي في الكامل وقال منكر وابن عساكر في التاريخ من طريق ميمون بن مهران وروى ابن أبي الدنيا في قضاء الخواجه والخطيب من حديث أنس اذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة وأهل النار صفوفًا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول يا فلان أمتا تذكر يوم اصطنعت اليك في الدنيا معروفاً فخذ بيدك فيقول اللهم هذا اصطنعت الي في الدنيا معروفاً فيقال له خذ بيده فادخله الجنة رحمة الله (وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امي فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فتيان من الاغنياء والنساء قليل قلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فاضرمهن الاحمر ان الذهب والحرير) وفي لفظ الزعفران بدل الحر (وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك يبكي فقلت ما خلفك عني قال يا رسول الله أما والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيئة) أي الأهل والى تشيب من شدتها (وظننت اني لأراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالي) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر اه قلت لفظ الطبراني دخلت الجنة فسمعت خشية بين يدي قلت ما هذه الخشعة فقيل هذا بلال عشي امامك ورواه كذلك ابن عدي وابن عساكر وفي رواية لابن عساكر دخلت الجنة فرأيت خشعة امي فقلت من هذا قال أما بلال قلت هم سمعني إلى الجنة قال ما أحدثت الا توضأت وما توضأت الا رأيت ان الله علي ركعتين وقد روى ذلك كذلك من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد ما حديث جابر فلفظه دخلت الجنة فسمعت خشعة بين يدي قلت ما هذه الخشعة فقيل هذا بلال فقلت طوبى لبلال طوبى لبلال رواه الطيالسي وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وأما حديث ابن عباس فلفظه دخلت الجنة لبلال أسرى بي فسمعت في جانبها وخشيت فقلت يا جابر بل ما هذا قال هذا بلال المؤذن رواه أحمد وأبو يعلى وابن عساكر وأما حديث سهل بن سعد فلفظه دخلت الجنة فاذا حس فظننت فاذا هو بلال رواه أحمد

فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل (٢٨٠) ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن

الطبراني وابن عساكر وروى صاحب الخليفة من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف ما أبطأك عنى فقال ما زلت بعدك أحاسب وانما ذلك لكثرة مالى فقال هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهى صدقة على أرامل أهل المدينة (فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صاحب السابقة العظيمة) فانه هاجر المهاجرين وشهد بدر واحد والمجاهدين كلها (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة) رواه أصحاب السنن الاربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح ولفظهم أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطه فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة وقدر واه كذلك ابن أبي شيبة وأحمد وابن منيع وابن أبي عاصم وأبو نعيم فى الخليفة والضياء ورواه أيضاً أحمد والترمذى وأبو نعيم فى المعرفة وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن جندب بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده (وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا) متفق عليه من حديث أبي ذر عن أنس حديث تقدم (ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم) قال العراقى لم أجده (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره) قال العراقى متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً ولم يقل لاملوك وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث (وقال عمران بن الحصين) رضى الله عنه (كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عبادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمى فقام وقت مع حتى وقف بباب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت ادخل يا بني أنت وأمى يا رسول الله قال أنا ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الاعباء قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قدواريت فكيف برأى قالى البهامة لا لكنت عليه حكمة فقال شدى ا بهاء على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمعة وزادنى وجمعا على ما بنى فى لست أؤدر على طعام آكله فقد أضربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لا كرم على الله منك ولو سألت ربي لا طعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فابن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وآنية سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا ضج ولا نصب ثم قال لها اقننى يا بن عمك فوالله لقد زوجتك سيداتى الدنيا سيداتى الآخرة) تقدم هذا بعينه فى آخر كتاب ذم البخل وحب المال وذكر العراقى هناك انه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يروه من حديث عمران بن

حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عبادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمى فقام وقت مع حتى وقف بباب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الاعباء قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قدواريت فكيف برأى قالى البهامة لا لكنت عليه حكمة فقال شدى ا بهاء على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمعة وزادنى وجمعا على ما بنى فى لست أؤدر على طعام آكله فقد أضربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله

حصين

ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لا كرم على الله منك ولو سألت ربي لا طعمنى ولكن آثرت الآخرة على

الدنيا ثم ضرب بيده على منكها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فابن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وآنية سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا ضج ولا نصب ثم قال لها اقننى يا بن عمك فوالله لقد زوجتك سيداتى الدنيا سيداتى الآخرة

حصين) وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهر واعمار الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وما هم الله باربعة خصال بالقعط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولاية الاحكام والشوكة من الاعداء) قال العراقي رواه الديلمي باسناد فيه جهالة وهو منكر اه قلت ورواه ايضا الحاكم وصححه وتعقب بلفظ اذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتألبوا على جمع الدراهم الحديث وفيه والصولة من العدو (وأما الآخر) فقد قال أبو الدرداء) رضى الله عنه كذا في النسخ والصواب أبوذر (ذوالدرهمين أشد حسبا أو) قال (أشد حسبا من ذي الدرهم) الواحد رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن سعيد حدثني سليمان بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذوالدرهمين أشد حسبا من ذي درهم (وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر) بن خديم الجمحي رضى الله عنه (بالف دينار) وفي رواية باربع مائة دينار (لجاء خزيينا فقلت امرأته) ما شأنك ما أنت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) في الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفزع الدنيا على وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفزع على وخلفت في أيام عمر الا وأشد أباي أيام عمر (ثم) حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بد لك (قال) أنساعدني على ما أريد قالت نعم قال (أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهلها منها دينارا فقالت له امرأته لو حسبت منها ما تستعين به فقال لها اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ان امرأته من أهل الجنة أثمرت الى الارض الحديث وفيه والله ما كنت لاحترارك عليهن فسمعت ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقي روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبراني دون القصة الا انه قال بسبعين عاما وفي اسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له باربعين سنة وأما دخولهم قباهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جهم يقال له سعيد ابن عامر بن خديم فقال له اني مستعملك على أرض كذا وكذا فساق الحديث وفيه وما أنا بخائف عن العنق الاول بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للعقاب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كآزف الحسام فيقال له -م فقروا عند الحساب فيقولون ما عندنا حساب ولا أتيهونا شيأ فيقول ربه هم صدق عبادي فيفزع لهم باب الجنة فيدخلونهم قبل الناس بسبعين عاما ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبي زياد ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخل في بيته فارسل اليه عمر بمال فآخذه فصره صررا فصدق به يميننا وشمالا الحديث ورواه أبو نعيم أيضا من طريق خالد بن معدان قال استعمل علينا عمر بن الخطاب بحدص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بالف دينار وقال استن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك في خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون بها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذببية فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهر واعمار الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وما هم الله باربعة خصال بالقعط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولاية الاحكام والشوكة من الاعداء (وأما الآخر) فقد قال أبو الدرداء) رضى الله عنه كذا في النسخ والصواب أبوذر (ذوالدرهمين أشد حسبا أو) قال (أشد حسبا من ذي الدرهم) الواحد رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن سعيد حدثني سليمان بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذوالدرهمين أشد حسبا من ذي درهم (وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر) بن خديم الجمحي رضى الله عنه (بالف دينار) وفي رواية باربع مائة دينار (لجاء خزيينا فقلت امرأته) ما شأنك ما أنت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) في الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفزع الدنيا على وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفزع على وخلفت في أيام عمر الا وأشد أباي أيام عمر (ثم) حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بد لك (قال) أنساعدني على ما أريد قالت نعم قال (أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهلها منها دينارا فقالت له امرأته لو حسبت منها ما تستعين به فقال لها اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ان امرأته من أهل الجنة أثمرت الى الارض الحديث وفيه والله ما كنت لاحترارك عليهن فسمعت ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقي روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبراني دون القصة الا انه قال بسبعين عاما وفي اسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له باربعين سنة وأما دخولهم قباهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جهم يقال له سعيد ابن عامر بن خديم فقال له اني مستعملك على أرض كذا وكذا فساق الحديث وفيه وما أنا بخائف عن العنق الاول بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للعقاب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كآزف الحسام فيقال له -م فقروا عند الحساب فيقولون ما عندنا حساب ولا أتيهونا شيأ فيقول ربه هم صدق عبادي فيفزع لهم باب الجنة فيدخلونهم قبل الناس بسبعين عاما ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبي زياد ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخل في بيته فارسل اليه عمر بمال فآخذه فصره صررا فصدق به يميننا وشمالا الحديث ورواه أبو نعيم أيضا من طريق خالد بن معدان قال استعمل علينا عمر بن الخطاب بحدص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بالف دينار وقال استن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك في خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون بها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذببية فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربت بك وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وعرضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين (٢٨٢) ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجسها جميعا ولورغب في الجنة كما

يرغب في الغنى لنفاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لاسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ما عون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحد الخلق ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بجالسهم من علامة الصالحين وفرارك من محبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فسقط عن عيني فاصب عليك لذيئاصبا ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما من دروعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد أوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد) وهذا قد رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد وفيه رجل غسل ثيابه فزججه خلفه ورجل لم ينصب على مستوقد قدران ورجل دعا بشرا فلم يقل له أيها تريد (وقيل جاء فقير إلى مجلس) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (فقال له) الثوري (تخط لو كنت غنيا لما قربت بك) رواه أبو نعيم في الحلية (وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وعرضه عن الاغنياء) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال المؤمل) بن اسمعيل البصري أبو عبد الرحمن زيل مكة (ما رأيت الغنى أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجسها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في الغنى لنفاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لاسعد في الدارين جميعا) نقله صاحب القوت وقد تقدم نحوه في كتاب الخوف (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعناه يابني لا تحقرن أحد الخلق ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ (الرازي رحمه الله تعالى) (حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بجالسهم من علامة الصالحين وفرارك من محبتهم من علامة المنافقين) نقله صاحب القوت (وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فسقط من عيني فاصب عليك لذيئاصبا) نقله صاحب القوت (ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية) بن أبي لهيان (وابن عامر) عبد الله (وغيرهما من دروعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت) تقدم وان الذي أرسل إليها مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير وان الجارية هي مولاتها أم درة (وكان قد أوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللعوق بي فعليك بهيش الفقراء وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى درعك حتى ترقعه) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها اه قلت لفظ الحاكم ان أردت اللعوق بي فليكنك من الدنيا كزاد اراك وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى حتى ترقعه وقد رواه البيهقي كذلك (وجاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى) (بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا) رواه القشيري في الرسالة بلفظ ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى ان يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل والله الموفق

(بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصابرين)

وفي نسخة والصادقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عبثه كفافا وقنع به) رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي وقال صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة ابن عبيد وقد تقدم وروى البيهقي من حديث أبي الحويرث والدليل من حديث عبد الله بن حنطب

ان أردت اللعوق بي فعليك بهيش الفقراء وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى درعك حتى ترقعه و جاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ان يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه *(بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عبثه كفافا وقنع به

وقال صلى الله عليه وسلم لم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بشواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضى وبكاد يشهر هذا بفهمه وان الحر يص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على (٢٨٣) أنه ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد

بعدم الرضا هو الكراهة لفعول الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل ثنى مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة قال العرقى روى الدارقطنى في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدى في الكائن وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وأورده القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا زابر بن أحمد بن محمد بن رجاء البراز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن معبد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ثنى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث (وروى عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الذقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه أن الله يحب الفقير المتعفف اه قات وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدرى الراضى بكتابى القانع برزقى التارك لشهوته من أجل هو عندي كبعض ملائكتي (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ رزق بدل قوت قال العرقى واهم سلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بافظ قوتا اه قلت لفظ مسلم اللهم ارزق آل محمد كفافا لفظ المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والنسائي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (مامن أحد غنى ولا فقير الا وديوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا) رواه ابن جهم من حديث أنس وقد تقدم (ووحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون) وتقدم لاه صنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام الهى أين أبغيتك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلى (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العرقى رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (فهذا) ماورد (في القانع والراضى) وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع فان القناعة هي الاجزاء باليسير من الاعراض المحتاج اليها والطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة (وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

ابن الحرث طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه (وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بشواب فقركم والا فلا) قال العرقى رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جدا وأحمد بن الحسن بن أبان المضرى منهم بالكذب ووضع الحديث اه قات وهو بضم الميم وفتح الضاد المعجمة ويصرف بالابلى وقد روى عن أبي عاصم قال الدارقطنى كذاب (فالاول القانع وهذا) وفي نسخة والثانى (الراضى وبكاد يشهر هذا بفهمه وان الحر يص) الذى هو أحد أقسام الفقير (لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أنه ثوابا كما سيأتى تحقيقه) قريبا (فلهل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعول الله تعالى في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل ثنى مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة) قال العرقى روى الدارقطنى في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدى في الكائن وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وأورده القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا زابر بن أحمد بن محمد بن رجاء البراز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن معبد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ثنى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث (وروى عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الذقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه أن الله يحب الفقير المتعفف اه قات وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدرى الراضى بكتابى القانع برزقى التارك لشهوته من أجل هو عندي كبعض ملائكتي (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ رزق بدل قوت قال العرقى واهم سلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بافظ قوتا اه قلت لفظ مسلم اللهم ارزق آل محمد كفافا لفظ المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والنسائي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (مامن أحد غنى ولا فقير الا وديوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا) رواه ابن جهم من حديث أنس وقد تقدم (ووحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون) وتقدم لاه صنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام الهى أين أبغيتك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلى (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العرقى رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (فهذا) ماورد (في القانع والراضى) وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع فان القناعة هي الاجزاء باليسير من الاعراض المحتاج اليها والطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة (وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضى وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مامن يوم الاوملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خبير من كثير يطعك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مامن أحد الا وفي عقله (٢٨٤) نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار ثابتان في

عدم عزمه ثم لا يحزنه ذلك
ويج اس آدم ما ينفع مال
يزيد وعمر ينقص وقيل
لبعض الحكماء ما الغنى قال
قله غنيك ورضاك بما يكفيك
وقيل كان ابراهيم بن أدهم
من أهل النعم بخراسان
فبينما هو يشرف من قصر
له ذات يوم اذ نظر الى رجل
في فناء القصر وفي يده رغيف
ياكله فلما أكل كل نام فقال
لبعض غلامانه اذا قام فخفي
به فلما قام جاء به اليه فقال
ابراهيم أيها الرجل أكلت
الرغيف وأنت جوع قال نعم
قال فشبع قال نعم قال ثم
نمت طيباً قال نعم فقال
ابراهيم في نفسه فما صنع
أنا بالدنيا والنفس فتنعس
بهذا القدر ومروا بمرجل
ابن عبد القيس وهو يأكل
ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد
الله أرضيت من الدنيا بما
ذا فقال أذلك على من رضي
بشر من هذا قال بلى قال من
رضى بالدنيا عوضاً عن
الآخرة وكان محمد بن واسع
رحمة الله عليه يخرج خبزاً
يا بسا فيه له بالماء ويأكله
بالماء ويقول من رضي من
الدنيا بما لم يحتاج الى أحد
وقال الحسن رحمه الله لعن
الله أقواماً قسم لهم الله

عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر في شاعية تعلمون ان الطمع فقر وان الياس غنى وان الرجل اذا ليس من شيء استغنى عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه يضا عن أبيه حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب عن الثوري عن هشام عن أبيه عن زيد بن الصلت عن عمر مثله (وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضي الله عنه (ما من يوم الاوملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خبير من كثير يطعك) روى أبو داود والطحاوي من حديث أبي الدرداء ما طاعت شمس الا ويحبسها ملكان يناديان بسمعان الخلاق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ما قبل وكفى خبير بما كنتم والهي تفرد به فتادة عن خبيد البصري عن أبي الدرداء (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما من أحد الا وفي عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار ثابتان في عدم عزمه ثم لا يحزنه ذلك ويج ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قل غنيك ورضاك بما يكفيك) أي عدم تعلق النفس بالمال والرضا بما يسر له في الحال وهذا أحسن ما عرف به الغنى (وقيل كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من أهل النعم بخراسان) اذ كان والده من أمراء بلخ (فبينما هو) يشرف من قصر ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال) ابراهيم (لبعض غلامانه اذا قام) هذا الرجل من نومه (فخفي به) فانتظره (فلما قام جاء به اليه فقال) له (ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبع قال نعم قال ثم نمت طيباً قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما صنع أنا بالدنيا والنفس فتنعس بهذا القدر) وهذا أحد أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه (ومر رجل بعاصم بن عبد قيس) وكان من الصديقين (وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد الله) وفي نسخة يا أبا عبد الله (أرضيت من الدنيا بما ذا فقال) أذلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عرضاً عن الآخرة) والحظ القوت وكان عاصم بن عبد قيس اذا عوتب في تعلقه من الدنيا يقول بل أنتم والله رضيتم بالقليل وكان غيره يقول اذا قيل له أزهذ الناس فقال أنتم أزهذتمني لاني زهدت في قليل يغني وانتم زهدتم في كثير يبقى (وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله) تعالى (يخرج خبزاً يا بسا فيه له بالماء ويأكله بالماء ويقول من رضي من الدنيا بما لم يحتاج الى أحد) قال أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن رجل قال قال محمد بن واسع ابنه ليس كل ساعة تبقى لانا قال فدعا خبزاً وملحاً ثم جعل يأكل فقال ترائي أقنع بهذا أو أرضى به أعينهم وادخل معهم أو ألى لهم وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني سليمان بن وكيع قال سمعت أبي يقول بلغني ان محمد بن واسع أريد على القضاء فابني فعاتبته امرأته قالت لك عيال وأنت محتاج قال مادمت تريثي أصبر على النحل والبقول ولا تطمعين في هذا مني (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (لعن الله أقواماً قسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ) هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء والارض انه لحق الآية) وكان أبو الدرداء رضي الله عنه وفي بعض النسخ أبوذر (جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء وابنه مافي البيت هفة ولاسفة) أي ما يهين ويسف (فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل يخف فرجعت وهي راضية) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن هلال بن يساف عن أم الدرداء قالت قلت لأبي الدرداء مالك لا تطيب لاضيانك كما يطيب غيرك لاضيافهم فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها الاقلون فانا أحب ان أتخفف لتلك العقبة تفرد به موسى الصغير عن هلال وروى الحرث بن أبي أسامة

تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ في السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبوذر رضي الله عنه يوماً جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله مافي البيت هفة ولاسفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل يخف فرجعت وهي راضية

وقال ذوالنون رحمه الله أقرب الناس إلى الكفر ذوقاً لاصبر له وقيل لبعض الحكماء ممالك فقال التَّجَمُّلُ في الظاهر والفضد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المتزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجهات حسابها على غيرك فأنما يحسن اليك وقد قيل في القناعة (٢٨٥) اضرع إلى الله لا تضرع إلى

الناس
واقنع بياس فان العز في
الياس
واستغن عن كل ذي قربي
وذي رحم
ان الغنى من استغنى عن
الناس
وقد قيل في هذا المعنى
أيضاً
يا جامعاً مانعاً والدرير مرمقه
مقدراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتبه منيته
أغادياً أم هم يأسري فتطرقه
جعت ما لا فضل لي هل
جعلته
يا جامع المال أيا ما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
ان الذي قسم الارزاق
برزقه
فالعرض منه مصون ما
يدسه
والوجه منه جدي ليس يخلفه
ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في ظلهما ما يورقه
*(بيان فضيلة الفقر على
الغنى)*
اعلم ان الناس قد اختلفوا
في هذا فذهب الجنييد
والخواص والاكثر
إلى تفضيل الفقر وقال ابن
عطاء لغنى الشاكر القائم

في مسنده من طريق أبي أسامة الرحى أنه دخل على أبي ذر وهو بالبدوة عنده امرأة سوداء شعثاء ليس عليها أثر المجامد والخلوق قال فقال الاتظرون إلى ما أنا مرمي به هذه السوداء تأمر في أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا على بنيهم وأن خلبلي عهد إلى أن دون جسر جهنم طريقتاً إذا دحض وضله وأنا أن نأني عليه وفي أحد لنا اقتدار أخرى أن نخبر من أن نأني عليه ونحن مواقير (وقال ذوالنون) المصري رحمه الله تعالى (أقرب الناس إلى الكفر ذوقاً لاصبر له) وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفراً (وقيل لبعض الحكماء ممالك قال التَّجَمُّلُ في الظاهر والغنى في الباطن واليأس مما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المتزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجهات حسابها على غيرك فأنما يحسن اليك وقد قيل في القناعة اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس * واقنع بياس فان العز في اليأس واستغن عن كل ذي قربي وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس وقد قيل في هذا المعنى أيضاً

(يا جامعاً مانعاً والدرير مرمقه * مقدراً أي باب منه يغلقه مفكراً كيف تأتبه منيته * أغادياً أم هم يأسري فبطرقه) أي يأتبه ليلاً (جعت ما لا فضل لي هل جعلته * يا جامع المال أيا ما تفرقه) (المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه) (أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * ان الذي قسم الارزاق برزقه) (فالعرض منه مصون ما يدسه * والوجه منه جدي ليس يخلفه) (ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلهما ما يورقه) أي يحزنه ويقلقه *(بيان فضيلة الفقر على الغنى)*

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا في هذه فذهب) أبو القاسم (الجنييد) ابراهيم بن أحمد (الخواص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والاكثر) من المشايخ (إلى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذي لا يحيد عنه (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الأدي المتوفى سنة ٣٠٩ (الغنى) الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنييد رحمه الله تعالى (دعا على ابن عطاء) وبأهله في هذه المسئلة (لخالفته إياه في هذا) وانكاره له أشد الانكار (فاصابته بحنة) واستجيب فيه دعاء الجنييد وكان الجنييد يقول الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وانساو باقي المقام بحكم حاله لان الغنى التي يمنع نفسه ونعم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته السلام والمساورة فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعذل بالقرشياً وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عنه فقلت له يحتاج إلى علم فقال ويحك أصكت صبره على الفقر وتماسانه للضرخ من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا (وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل) أما الفقير والغنى إذا أخذ مطلقاً (أي لم يشك من قرأ) وفي نسخة رأى (الاخبار) طالع (الآثار في تفضيل الفقر) مطلقاً ومنها ما يخص الراضين بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنييد دعا على ابن عطاء لخالفته إياه في هذا فاصابته بحنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقير والغنى إذا أخذ مطلقاً يستريح من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر

ولابد فيه من تفصيل فنقول انما يشور (٢٨٦) الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع بأدراص

بالفقر والناعين من الفقراء والبصيرة تعضد ذلك لما فيه من عدم المشغلات والعجز عن قضاء الاوطار
المذمومة وتخفف الحساب في القيامة وهذا يصح ان يكون مسلكا في تفضيله على الغني (و) لكن
(لا بد فيه من تفصيل) يرفع عنه نقاب الخفاء فنقول انما يتصور الشك في مقامين أحدهما (في فقير
صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع راض بالاضافة الى غنى منفق ماله في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال والثاني) في (فقير حريص) على الطلب (مع غنى حريص) على امساك المال (اذ لا يخفى
ان الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك) على المال (وان الغني المنفق ماله في الخيرات فضل
من الفقير الحريص) فهذه أربع مقامات وانما الشك في المقامين الاولين (أما الاول فربما يظن ان
الغني أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى) زائد عليه فانه (متقرب
بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه) لفقد المال (وهذا هو الذي ظنه) أبو العباس (بن عطاء)
فما ذهب اليه (فما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح) شرعى (فلا يتصور ان يفضل
على التقير القانع وقد يشهد له) أي لابن عطاء (ماروى في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وكرلهم انهم
ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكأنوا يقولونه فمادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه اه قات
لفظهما الا احذنكم بحديث ان اخذتم به أدركتم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين
ظهرانيه الامن عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين وفي لفظ البخاري
قال الفقراء ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم انقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من
فضول أموالهم ولبست لنا أموال فقال ألا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء
بعدكم ولم يأت بمثل ما جئتم به الامن جاء بمثل تسبحون في بر كل صلاة عشر وتسبحون عشر وتسبحون
ورواه مسلم نحوه وهو بهذا اللفظ عند الطيالسي من حديث أبي الدرداء وروى ابن ماجه من حديث
أبي ذر ألا أخبركم بأمر اذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وفيتم من بعدكم تحمدون الله في بر كل صلاة وتسبحونه
وتكبرونه ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين وأربعا وثلاثين وروى ابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة (وقد
استشهد ابن عطاء أيضا ما سئل عن ذلك) سأله بعض الشيوخ عن الوصفين أيهما أفضل (فقال الغنى
أفضل لانه وصف الحق أمادليه الاول) وهو التمسك بحديث أبي هريرة (ففيه نظران الخبر) المذكور
(قد روى مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان
فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء) وبيانه ان هذا عند أولى الابواب في تدبر الخطاب يعني به
الفقراء لانه قبل لهم في أول الكلام ان فعلتم ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم
ثبت هذا القول من الرسول وضح فاجابه بعده يكون مجولا عليه ومفسرا له ولم يحجز ان ينقلب الخطاب لانه
أخبار عن شيء فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبر عن أمر يقول آخرفلما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء
من الذكر وقف الفقراء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنظروهم الى مزيد الاغنياء عليهم بفضل
القول فرجعوا اليه يستفتون منه الخبر ويستثبتون عنه ما به أخبر فقال لا تنجبوا فان الذي قلت كما قلت
هو فضل الله يؤتيه من يشاء فاتم عن يشاء ان يؤتيه فضله فثبتهم في القول الاول ولم يرجع هو عن قوله
الى نقيضه فصح هذا التأويل عن ما له الذي يؤل اليه باستنباط باطن العلم عنه وبطل حل ان عطاء
ومن وافقه الخبر على ظاهره ولما يأتهم تأويله بل كذبوا عما يحيطوا بعلمه اذ لم يعطوا حقيقة خبره وهو
حيثه اذ تأويل الحق الذي هو ما له وحقيقته عند الله تعليم من الله ليس على ظاهر الخطاب يستنبطه

بالاضافة الى غنى منفق ماله
في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال والثاني
فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى أن الفقير القانع
أفضل من الغنى الحريص
الممسك وأن الغنى المنفق
ماله في الخيرات أفضل من
الفقير الحريص أما الاول
فربما يظن أن الغنى أفضل
من الفقير لانهما تساويا
في ضعف الحرص على المال
والغنى متقرب بالصدقات
والخيرات والفقير عاجز عنه
وهذا هو الذي ظنه ابن
عطاء فمما نحسبه فاما الغنى
المتمتع بالمال وان كان في
مباح فلا يتصور أن يفضل
على الفقير القانع وقد
يشهد له ماروى في الخبر ان
الفقراء شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق
الاغنياء بالخيرات والصدقات
والحج والجهاد فعلمهم كلمات
في التسبيح وذكرلهم انهم
ينالون بها فوق ما ناله
الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك
فكأنوا يقولونه فمادوا الفقراء
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروه فقال عليه
السلام ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقد استشهد ابن
عطاء أيضا ما سئل عن ذلك
فقال الغنى أفضل منه وصف
الحق أمادليه الاول وفيه
نظر لان الخبر قد ورد مفصلا
تفصيلا يدل على خلاف
ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء

فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء (٢٨٧) ذهبوا بالخبر يحجون ولا تقدر عليه ويعتبرون ولا تقدر عليه

وأذا مرضوا به وثاب فضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن ابن صبر واحسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلته واحدة فإن في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها إلا من شئ من فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام الثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم بهذا الجواب (فقالوا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى فقرا المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به عليهم أغنيائهم فقال يا معشر الفقراء ألا بشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واستاده ضعيف (فهذا يدل على ان قوله) في الخبر الاول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغني وصفا الحق فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذى سألته عن الوصفين أيهما أفضل (فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع) ابن عطاء (ولم ينطق) بحرف اذ كان ذلك تسجيلا عليه وهذا كما قاله الشيخ لان الحق سبحانه غنى بوصفه فالفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفرادهم بها والفضل والى الحق أقرب فالغنى فانه منشئت مجتمع بالاسباب فهو مفضل لا لارتباب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر والفقير صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها (وأجاب آخرون فقالوا) هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فان (التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع) لذى هو من صفات العبد وكذلك الجود والعز لان ذلك كله صفة الحق فلما أجعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه (ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر) وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينافر فيها ولا يشارك بل ينبغي ان يسلم صفات الحق للحق فبطل قول ابن عطاء (ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبرياء رداى والعظمة ازارى فن نازعنى واحدا منهما قصمته) تقدم في ذم التكبر وفي العلم (وقال أبو محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى تخالفناه وموافقا لما ذهب اليه الجنييد (حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت قال سهل من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة فاذا ثبت

اولو الالباب وقد قال فقهاء في الدين وعلمه التأويل شهد لبطان تأويلهم قول الرسول في أول الكلام لا يسبقكم من قبلكم ولا يلحقكم من بعدكم فكان قوله الثاني موافقا لقوله الاول اذ لم يناقض الاول بالآخر فهذان من بحر البيان في قوله ان من البيان لبحرا (فقد) جاء دليل ما قلناه مفسرا مكشوفاً في الخبر الذى (روى زيد بن أسلم) العدوى التبعي مولى عمر مات سنة ست وثلاثين (عن أنس بن مالك) رضى الله عنه (قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة) أى بالدرجات فيها (يحجون ولا تقدر عليهم يعتبرون ولا تقدر عليه) وإذا مرضوا به وثاب فضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن ابن صبر واحسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلته واحدة فإن في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها إلا من شئ من فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام الثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم) بهذا الجواب (فقالوا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى فقرا المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به عليهم أغنيائهم فقال يا معشر الفقراء ألا بشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واستاده ضعيف (فهذا يدل على ان قوله) في الخبر الاول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغني وصفا الحق فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذى سألته عن الوصفين أيهما أفضل (فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع) ابن عطاء (ولم ينطق) بحرف اذ كان ذلك تسجيلا عليه وهذا كما قاله الشيخ لان الحق سبحانه غنى بوصفه فالفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفرادهم بها والفضل والى الحق أقرب فالغنى فانه منشئت مجتمع بالاسباب فهو مفضل لا لارتباب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر والفقير صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها (وأجاب آخرون فقالوا) هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فان (التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع) لذى هو من صفات العبد وكذلك الجود والعز لان ذلك كله صفة الحق فلما أجعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه (ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر) وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينافر فيها ولا يشارك بل ينبغي ان يسلم صفات الحق للحق فبطل قول ابن عطاء (ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبرياء رداى والعظمة ازارى فن نازعنى واحدا منهما قصمته) تقدم في ذم التكبر وفي العلم (وقال أبو محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى تخالفناه وموافقا لما ذهب اليه الجنييد (حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت قال سهل من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة فاذا ثبت

من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينافر فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبر يا عردائى والعظمة ازارى فن نازعنى واحدا منهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى

فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى (٢٨٨) والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تتبع مناقضتها

ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية والخلق العبودية هي اخلاق الايمان وهي التي احبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها واصناف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن يقول لما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لا بغض خلقه اليه وهو وابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدار فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى انما يراد بالبقاء (فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى) على الفقر (بانه صفة الحق بالتكبر) ولعز والبقاء (فكذلك يناقض قول من ذم الغنى) وفضل الفقر (بانه وصف العبد بالعلم) والعرفة (والقدرة) فانه وصف الرب تعالى والجهل (والغفلة) والحجز وصف العبد وليس لاحد ان يفضّل الغفلة والحجز على العلم والقدرة فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله) وابطاح ذلك انه تقدم ان الفقر مطلق ومقيد والطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك فالغنى الميراد لذاته والفقر الميراد لذاته سيأتي في أصل المقام لان من افتقر الى الله استغنى به ومن استغنى بالله افتقر الى الله فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله فليبق الا المقيد من كل واحد وقد قلنا ان المقيد ماله تعلق الوجود بالسال وفقدته فلنذكر آفات السال وفوائده فمن تخلى من آفاته وتخلّى بفوائده فهو الافضل والا فالعكس واحال فوائده ثلاث * الاولى ان ينفقه على نفسه اما في عبادة أوفى الاستعانة على عبادة والقلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين والفقر محروم من فضل ذلك * الثانية ما بقي به العرض ويحصل به المروءة وحسن الخلق وما يتبقى به اضاءة الاوقات كالخدام فان الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه اذا تولاهما غيره استفاد عمرا جديدا يصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم بحجة الله والانسان به * الثالثة وهو ما يتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطارق وغير ذلك مما هو مستحب لادعية الصالحين وللمال ايضا آفات ثلاث * الاولى انه يجري الى المعصية ومن العصية ان لا يجد والصبر مع القدرة شديد * الثانية انه يجري الى التمتع بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والنقيض بمعزل عن ذلك * الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ما شغل عن الله تعالى فهو وخسران فلا فضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات ومن لم يكن كذلك والافنى الفقر السلامة الكبرى وهذا حاصل ما يذكره المصنف فلنشرع فيه قال (والدنيا ليست بمحذورة لعينها) أي لذاتها (ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في الاحوال (والدنيا معشوقة الغافلين) والفتن (المحروم عنها مشغول بطاها) باى وجه

اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد أن يفضّل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست بمحذورة لعينها ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في

وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطاها اتفاق

والقادرو عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فإذا انقضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا
كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت الامر باعتبار
الا كبر فالفقير عن الخبز أبعد أذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان (٢٨٩) لا يقدر ولا قال الصحابة رضي الله عنهم

بليبا بفتنة الضراء فصبرنا
وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر
وهذه خلقة الادميين كلهم
الا ان الشاذ الذي لا يوجد
في الامصار الكثرة الانادر
ولما كان خطاب الشرع
مع الكل لامع ذلك النادر
والضراء أصح للكل دون
ذلك النادر جزر الشرع عن
الغنى وذمه وفضل الفقر
ومدحه حتى قال المسيح
عليه السلام لا تنظروا الى
أموال أهل الدنيا فان برقي
أموالهم يذهب بنور إيمانكم
وقال بعض العلماء تغليب
الاموال على حلاوة
الايمن وفي الخبر كل أمة
عجلا وعجل هذه الأمة الدينار
والدرهم وكان أصل عجل
قوم موسى من حلية الذهب
والفضة أيضا واعتواء
المال والماء والذهب والخمر
انما يتصور للانبياء عليهم
السلام والاولياء ثم يتبعهم
ذلك بعد غسل الله تعالى
بطول المجاهدة اذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا الدنيا اليسك عنى اذ
كانت تمتثل له بزيتها
وكان على كرم الله وجهه
يقول يا صفراء غري غبرى
ويا بيضاء غرى غبرى

افق (واقادر انما مشغول بحفظها) ورعايتها وتمتعها (وبالتمتع بها فاذا انقضت فارغين عن حب
المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة
الضرورية (ووجه قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت
الامر باعتبار الا كبر فالفقير عن الخبز أبعد أذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر
القدرة شريد (اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر) وهو من قول علي رضي الله
عنه كما تقدم (ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بليبا بفتنة الضراء فصبرنا وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر)
روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كفى الحلية وقد تقدم (وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ
الذى لا يوجد في الامصار الكثرة الانادر) والنادر كالمعدوم (ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لامع ذلك النادر والضراء أصح للكل دون ذلك النادر جزر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه
حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان برقي أموالهم يذهب بنور إيمانكم) نقله
صاحب القوت (وقال بعض العلماء تغليب الاموال على حلاوة الايمان) نقله صاحب القوت (وفي
الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم) قال صاحب القوت ويناه من طريق وقال
العرفاء روى الديلمي في مسند الفروس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة باسناد فيه
جهالة اه قلت لفظ الديلمي لكل أمة عمل يعبدونه وعن أبي الدراهم والدنانير وروى أيضا من حديث
أبي هريرة لكل نبي آفة تفسد وأعظم الآفات تفسد أمتي حبيبهم الدنيا وحبيبهم الدينار والدرهم
وفي القوت وفي الاثر لكل أمة فتنة وان فتنة أمتي هذا المال (وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام
(من حلية الذهب والفضة أيضا) كما هو بنص القرآن (فاستواء المال والماء والذهب والخمر انما يتصور
للانبياء والاولياء) روى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال ضرب عيسى عليه السلام
بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدرة قال لا صحابة أئمة ما أحلى في
قلوبكم قالوا الذهب قال فانه ما عدى سواء (ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى) عليهم (بطول المجاهدة اذ
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا الدنيا اليسك عنى اذ كانت تمتثل له بزيتها) روى الحاكم مع
اختلاف وقد تقدم في ذم الدنيا (وكان على رضي الله عنه يقول يا صفراء غرى غبرى ويا بيضاء غرى غبرى)
رواه أحمد في الزهد حدثنا وهب بن عيسى عن حميد بن حسان عن قيس بن عمار بن ربيعة الوالي عن علي بن أبي
طالب قال جاء ابن النباغ حتى قام على بيت مال المسلمين فقال هذا خبائي وخياره فيه اذ كل جان يده الى نفسه
يا ابن النباغ على يا سباع الكونة قال فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء
ويا بيضاء غرى غبرى ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنفخه وصلى فيه ركعتين (وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار به والولان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله
عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد
تقدم (واذا كان ذلك بعد الاصل لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات)
ووجوه البر (لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة

(٣٧ - (انحاف السادة المتقين) - ناسع) وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار به والولان رأى
برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيسد فاذا
الاصح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
واستشعار راحة

في بذلها لكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفتين صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدينيا وزهرتها والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجهتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدينيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطامع نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدينيا وأنسه بها فاذا

في بذلها) وصرنها (وكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدينيا وزهرتها) أي تباعد (والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ) عن شغل (وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجهتان متقابلتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد من الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدينيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطامع نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدينيا وأنسه بها فاذا افضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجاتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليحرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق انه اذا كان مغروراً وان العشق كان مستكناً في قلب (الزناد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء) فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور (وان كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته) بها (يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته فان حركات اللسان) بالاذكار (ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالمد كور ولا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ عن غير المذ كور كما نيره في قلب مشغول) وهذا هو المراد من الخبر ان توت واسانك وطب بذكر الله (ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدينيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء) وكان يحجب بن معاذ يقول اذا كان التعبد والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعني من حكمة ولا معرفة (و) قال آخر مثل من زهد في الدينيا مع التمتع فيها (مثل من يغسل يده من الغمر بالسمك) كذا في القوت (وعن النخاع) بن مزاحم الهلالي المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعه مات بعد المائة (قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر واحتسب كان خير له من ألف دينار ينفقها كلها كان خير له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث وجه الله

فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجاتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليحرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق اذا أنه كان مغروراً وأن العشق مستكناً في الفؤاد استكان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء والا ولياء واذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته

للكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالمد كور ولا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ من غير المذ كور كما نيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدينيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام وعن النخاع قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر واحتسب كان خير له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث وجه الله

أدع الله لي فقد أضرب العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أنزل من دعائي وكان يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جيد الحسنة وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال (٢٩١) أصح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ

تعالى (ادع الله لي فقد أضرب العيال فقال) بشر (إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي) كذا في القوت (وكان) بشر (يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جيد الحسنة) كذا في القوت (وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء) لانهم ليسوا أهلا لان يؤخذ عنهم ذلك (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي) النصف بحركة اسم من الانتصاف (والزهد فيما جاوز الكفاف) نقله صاحب القوت (وإذا كان مثل الصديق) رضي الله عنه (في حال كماله) ومع شدته وقوته (يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصح من وجوده) أو يتردد فيه (هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالا وينفق طيبا مع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب) كذا في الخبر وتقدم (ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية الطبراني من حديث أبي امامة وقد تقدم قريبا (ولهذا قال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واربح كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق به في سبيل الله قبل وما تذكره قال سوء الحساب) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن عبد الله حدثنا عمر بن زرارة حدثنا الحماري عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين دينارا أو أتصدق بها كلها في سبيل الله قبل له يا أبا الدرداء وما تذكره من ذلك قال شدة الحساب ورواه محمد بن جندب التماري عن الحماري فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه (ولذلك قال شقيق بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى) (اختار الفقراء ثلاثة أشياء) (اختار) (الاغنياء ثلاثة أشياء) (اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب) فان الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم وتفرغت قلوبهم لله تعالى وسخف حسابهم غدا بخلاف الاغنياء الواجدى المال فانهم اتعبوا أنفسهم في حفظه وتبته وشغلوا قلوبهم بحبه وسيشدد حسابهم غدا (وما ذكره ابن عطاء) رحمه الله تعالى في جواب السائل لما سأله أي الوصفين أفضل (من ان الغني وصف الحق) تعالى (فهو بذلك أفضل) لان أوصاف الحق كلها مفضلة (صحح) ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فيكون كالماء فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه في الله تعالى (لان الله تعالى) (غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق) أو يفرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر (وما ذكر في الرد عليه) أي على ابن عطاء (بان الله ليس غنيا بالاسباب والاعراض) هو أيضا (صحح) لكن (في ذم غني يريد بقاء المال) (اما ما ذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد) فهذا (غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى) كمال (العبد) وسعادته (ان يتخلق باخلاق الله تعالى) وان يتخلق بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه ومن لم يكن له منها حظ الابان يسمع لفظا ويفهم في اللغة تفسيره ووصفه ويعتقد

حلالا وينفق طيبا مع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واربح كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق بها في سبيل الله تعالى قبل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وخفة الحساب وتعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود

المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه في الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله ليس غنيا بالاسباب والاعراض في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى يتخلق باخلاق الله تعالى

وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يرفع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أى يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شئ وأنه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بانه يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجدار والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به هذه الصفة رؤى بحقيقة لاشك فيها لسمات صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة في حقه الا أنه لا سبيل له

بالقلب وجود معناه الله تعالى فهو مضمون الحظ نازل الى وجهه ليس بحسن ان يتجسس بماله فقدر روى الطيالىسى والحكيم وأبو يعلى من حديث عثمان باسناد ضعيف ان لله مائة خلق وبعثة عشر خلقه فن أنى الله بخاق واحد منها دخل الجنة وحظوظ المقرين من معاني اسماء الله تعالى ثلاثة الاول ان ينكشف لهم اتصاف الله تعالى به انكشفوا بحجى البقى الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التى يدركها بمشاهدة باطنة الثانى استغناءهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات لينتقروا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان الثالث السعى فى اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخاق بها والتخلي عما منها وبه يصير العبد ريانا برفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة (وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أى يكون له من كل واحد نصيب) ولفظ المصنف فى خاتمة المقصد الاسنى ولقد سمعت الشيخ أباعلى الفارمدى يحكى عن شيخه أبي القاسم الكركنى قدس الله روحهما انه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد فى الدلوك غير واصل ثم قال وهذا الذى ذكره ان أراد به شيئا يناسب ما أوردناه فى التنبيهات يعنى فى أول المقصد الاسنى فهو صحيح ولا يظن به الا ذلك ويكون فى اللفظ نوع من التوسع والاستعارة والافان معانى الاسماء هى صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة غيره ولكن معناه من يجعل ما يناسب تلك الاوصاف ومن أراد غير ذلك فهو باطل لان قول القائل ان اسماء الله تعالى صارت أوصافا لا يخلو اما ان عني به عين تلك الصفات أو مثلها فان عني به مثلها فاما ان عني به مثلها مطلقا من كل وجه واما ان عني به مثلها من حيث الاسم والمشاركة فى عموم الصفات دون خواص المعاني وهذان قسمان وان عني به عينها فاما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب الى العبد أولا بالانتقال فان لم يكن بالانتقال فاما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفة صفاته واما أن يكون بطريق الدلوك وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال والاتحاد والدلوك وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد وهو ان ثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجلة وتشاركها فى الاسم ولكن لا تماثلها مائة تامة وبقيت الاقسام كلها محال وباطل وحيث يناق الاتحاد يقول هو ولا يكون الا بطريق التوسم اللائق بعادة الصوفية وعليه ينبغي ان يحمل قول الشيخ أبي زيد حيث قال انسلخت نفسى عن نفسى كقوله الخية عن جلدتها فظرت فاذا أنا هو ويكون معناه ان يتشأن من شهرات نفسه وهواها وهما فليبقى فيه متسع غير الله ولا يكون همه سوى الله واذا لم يجد فى الباب الاجلال لله وجهه حتى صار مستغرقا به يصير كانه هو لانه هو حقيقة وافرقت بين قولنا هو وبين قولنا كانه هو وهذه منزلة تقدمان من ليس له قدم راسخ فى المعنويات بل بالميراث أحدهما عن الآخر وهذا جاصل ما ذكره المصنف فى خاتمة المقصد الاسنى (وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى بل اللائق منه فى صفات الله تعالى رؤى الكل حذرا بالاضافة الى ذاته ولا يتصور ذلك على الاطلاق الا الله تعالى (وأما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والتبذير) والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شئ وأنه يعلم انه كذلك) ولا يرى العظمة والكبرياء النفسه فيمنظر الى غيره تنزل الدلوك الى العبد (والعبد مأمور بان يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجدار والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به هذه الصفة رؤى بحقيقة لاشك فيها لسمات صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة فى حقه الا أنه لا سبيل له

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجعله بذلك وجب أن لا يفتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يحتمل لا كافر بالايمن وتديختم له بالكفر فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا ضرر منها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي (٢٩٣) بوجه من لوجوه الغنى الذي يوصف به

الله سبحانه وهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهو هذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر * المقام الثاني في بيان نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص * ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وله لوجود فإى حائمه أتقلى فيقول ننظر فان كان مطعونه مالا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لان الفقر يشغله بالطالب وطالب الفقر لا يقدر على الفكر ولذلك القدرة مدخوله بشغل والكفى هو القدر وله لأن قال صلى الله عليه وسلم اللهم جعل قوت آل محمد كقافوا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا وان كان المدخل فوق الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح في حقه لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأكله في قلبه ويطعمني الى الدنيا والفقر لا يطعمني بطريقه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا أي ميلا اليها فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجعله بذلك وجب أن لا يفتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر (اذ ربما يحتمل لا كافر بالايمن) فينجو (وتديختم له بالكفر) فهناك (فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة) وقال المصنف في المقصد الاسنى حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتزعم بما يشغل سره عن الحق ويتكبر على كل شيء سوى الحق تعالى يمكن مستحق الدنيا والآخرة وترفعه عن كل ما يغله عن الحق تعالى (ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا ضرر منها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة) وغاية التكمل (وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي بوجه من لوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة) وكما (أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر) وبه تم بيان المقام الاول

* (المقام الثاني في) * بيان (نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص) ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود فإى حاله أفضل فنقول ننظر فان كان مدلوله مالا بد منه في المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين لمج وجهاد وصلة وقربان (ويستعين به عليه) كلام وما ليس ومسكن ونحو ذلك (فحال الوجود أفضل) في حقه (لان الفقر يشغله بالطالب) والطلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين (وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر القدرة مدخوله بشغل والمسكن هو القادر) وليس هذا من حظوظ الدنيا فان أخذ الكفاية من الدنيا على نية القوى على سبيل سبيل الدين كان ذلك كفاية وهذا احدى فوائد المال المشار اليها في الاجاب (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا) تقدم قريبا (وقال) صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر أن يكون كفرا) تقدم مرارا (أي الفتر مع الاضطرار فيما لا بد منه) فهذا هو الذي يكاد أن يكون كفرا (وان كان المدخل فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة) ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح في حقه لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأكله في قلبه ويطعمني الى الدنيا والفقر لا يطعمني بطريقه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا أي ميلا اليها فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأكله في قلبه ويطعمني الى الدنيا والفقر لا يطعمني بطريقه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

ما أكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب من أحبب فانك مفارقة وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقد رآه وأمس الواحد بالدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها فاذا انكشف به هذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة انطلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل (٢٩٤) غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مريدا

له اذ يستغني به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غنى في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقدته كنفجحه الفقير بفقره فهذا في محل النظر والظاهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقدته والعلم عند الله تعالى فيه

تأكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس (أي جبريل عليه السلام) نفث في روعي (أي التي فيه) (أحب ما أحببت فانك مفارقة) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وراه الشيرازي في الاقارب من حديث سهل بن سعد نحوه ورواه الطبراني في الاوسط من حديث علي وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم (وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك) أبدا (وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك) ولو بعد حين (وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه) له (وقدر أنسه به) والفقه (معهم وأنس الواحد للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها) ولنفقنا التحصيلها (فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة) رضي الله عنها (يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود) مع هذا الحال (مريدا له) في حاله (اذ يستغني به) حينئذ (أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم) وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة (والثاني الفقر عن مقدار الضرورة) المسألة (فان ذلك يكاد أن يكون كفرا) كما ورد به الخبر (فلا خير فيه) أي في الكفر أو في هذا الفقر (بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر) أو ما يغضى اليه (و) على (المعاصي) أو ما يغضى اليها (ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غنى هو دورته في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقدته) بمسرفة أو تفريق أو غير ذلك (كنفجحه الفقير بفقدته فهذا في محل النظر) والتأمل (والاظهر) من القولين (ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما) من الله تعالى (بقدر ضعف تفجعهما بفقدته والعلم عند الله تعالى فيه) والله الموفق

(بيان آداب الفقير في فقره)

(اعلم) ونقل الله تعالى (ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته) مع الناس (وأفعاله ينبغي ان يراعيها) ويحافظ عليها (فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم له حتمه (أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر) فان قلت الطباع تنفر من المؤلم فاقول الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية وهذا (كالنجس يكون كراهة للحجامة لتألمها بها ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة) فالنفرة من حديدية الحجام طبيعية لا خلاص منها الا بالاستغراق في ذلك مقام الصديقين (بل ربما يتقلد منه منة) ويعطيه أجرة وهذه أفعال اختيارية فهكذا ينبغي ان تفهم هذه المسألة (وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني في فقره)*

اعلم أن لفقر آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر كالحجامة ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني

قوله

قوله كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر كالحجامة ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني

قوله عليه السلام يا مفسر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وارفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقير بل يكون راضيًا به وارفع منه أن يكون طالبًا له وفرحًا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلًا في باطنه على الله (٢٩٥) تعالى وإيقابه في قدر ضرورته

قوله صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضامن قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا) رواه
الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً (وأرفع من هذا ان لا يكون كراهة النذر بل يكون راضياً به
وأرفع منه أن يكون طالباً له وقرحاً به) وبحاله (اعلمه بقوائل الغنى) ونهاؤه (ويكون متوكلاً في باطنه
على الله وانقباه في قدر ضرورته انه يأتى به لا محالة) على كل حال (ويكون كراهة الزيادة على الكفاف
وقد قال على رضى الله عنه ان الله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة
أن يحسن عليه خلقه وبطبع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة اذا كان
عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء) قوله صاحب القوت (وهذا
يدل على ان كل فقر ليس محموداً) بل بعض النقر مذموم وهذا منه (بل الذي لا يتسخط ورضى) بما
قضاؤه مولاه (أو يفرح بالفقر ورضى لعله بثمرته) فهذا هو المحمود (اذ قبل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا
الا قبل له خذه على ثلاثة أثلاث) ثالث (شغل) به (و) ثلث (هم) ملازم وهذا في الدنيا (و) ثلث (طول
حساب) وهذا في الآخرة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود من أشرب قلبه حب الدنيا التا ط منها
بثلاث شقاء لا ينفد عنه وحرص لا يباغ غناه وأمل لا يباغ منتاه (وأما أدب طاهره) وفي نسخة وأما أدبه
في طاهره (فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لاحد (بل يستتر فقره) أعلى من
ذلك ان (يستتره بستره في الحديث ان الله تعالى يحب) عبده المؤمن (الفقر المتعفف أبا العيال)
رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي والبيهقي من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وقال) تعالى
(يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (أفضل الاعمال التجمل عند
المحنة) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر) وروى أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وروى الطبراني وابن عساكر من حديث
أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة (وأما في أعماله فادبه) وفي
بعض النسخ وأما أدبه في أعماله (ان لا يتواضع لغنى لاجل غناه) فقد روى الديلمي من حديث أبي ذر
لعن الله فقيراً تواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه وروى البيهقي في الشعب
من حديث ابن مسعود من دخل على غنى فتضعفه ذهب ثلثا دينه والطبراني في الصغير من حديث أنس
من تضعف لغنى لينال مما في يديه أسخط الله عز وجل (بل يتكبر عليه) الله تعالى ان كان ذلك الغنى ممن
يفخر بغناه فان التكبر عليه حينئذ بما يكون بمنزلة الصدقة اذا كان الفقير واثق بالله عز وجل والمدي
فيما لله أعلم أن ينظر الى زيمهم وهياتهم بنظر الحقارة والاعراض ليصغر في عيونهم بذلك ما عظم في
نفوسهم من أمر الدنيا فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو التناول والتفاخر والتظاهر فهو
من أكشف حجب القلب وأقوى صفات النفس (قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة
في ثواب الله وأحسن منه تبه الفقير على الغنى ثقة بالله تعالى) وقد رأى بعض الصوفية علياً رضى الله عنه
في المنام وطلب أن يسمع منه شيئاً فقال له ذلك وقد تقدم (فهذه تبة وأقل منها أن لا يخالط الاغنياء ولا
يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ الطامع) والطابع تسمق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بعض
الفقر ومحبة الدنيا (قال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مرء
واذا خالط السلطان فاعلم انه لص) رواه أبو نعيم في الحلية وروى الديلمي من حديث أبي هريرة اذا رأيت
العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لس وقد تقدم في الامر بالمعروف (وقال بعض العارفين اذا مال
الفقير الى الاغنياء انحلت عروته) أي عروته فقره اذ جعله اليهم يبعث الفقر ويحب الدنيا (فاذا طمع

بل يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تبه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل
فهذه رتبة واقل منها ان لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ الطمع قال الثوري رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم
انه مرء واذا خالط السلاطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء فاحمل غره وت فاذا طمع

ففيهم انقطعت عصمتهم فاذا سكن اليهم نزل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء وما اديبه في افعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل منه فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦١) درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال

اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهم مائة من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بنفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة ألف وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احداها أن لا يدخر الا ليومه واليسته وهي درجة الصديقين والثاني أن يدخر لربعين يوماً فان ما زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من معاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل الحية وربعين يوماً وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم

فيهم انقطعت عصمتهم) أي عصمة بقوله بل تنكسر زجاجة زهد (فاذا سكن اليهم نزل) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحب وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول ياتي الله في قلب الفقير لرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج اليهم ويأتي في قلوبهم المذم له والجناء عليهم يؤبه بذلك الا يستعليه ويمتاده فيرده بذلك اليه بعد ان منعهم ثم يفتح له من عنده رزاقاً من حيث لا يحتسب الغنى) ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء) وهذا واجب روى البهقي في الشعب من قول ابن مسعود من خضع لغنى وضع له نفسه اعظاماً وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا عمره وشطر دينه) وأما أدبه في افعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة الله عز وجل أي لا يمنع عنها لان الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل) وهو افضل الصدقات كما في الخبر (وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم) العبد روى مولاها الم تابعي المدني مرسل (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها واخرج رجل درهمين من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بنفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة ألف) قال العراقي روى النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعة متصلة تقدم في الزكاة والاصل له من رواية زيد بن اسلم مرسل (قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي ذر) انظرهم جميعاً سبق درهم مائة ألف رجل له درهمان أخذ أحدهما فصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها (وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ) منه (قدر الحاجة ويخرج الباقي) في سبيل الله تعالى (وفي الادخار ثلاث درجات احداها أن يدخر ليومه واليسته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لربعين يوماً) ولا يزيد (فان ما زاد عليه داخل في طول الامل) وهو مذموم (وقد فهم العلماء ذلك) الحد (من معاد الله تعالى لموسى عليه السلام) اذ كان ميقانه أربعين ليلة (ففهم منه الرخصة في امل الحية أربعين يوماً) ويأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يورده (وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب) والدرجات في الرخصة (وهي رتبة الصالحين) من خواص المؤمنين (ومن زاد في الادخار على هذا) القدر (فوق واقع في غمار العموم) من المؤمنين (خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه) وقد قيل (في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة) وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاقسام فبعضهم كان يعطها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضه قوت أربعين يوماً وبعضه يوماً وليلة منهم عائشة وحفصة والله الموفق *

(بيان آداب التقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه (ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه) من غير سؤال (ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ) أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً طيباً (خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها) وليجتنبه الا أنهم أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطى ان كان ولداً أو قريباً أو صديقاً وان كان حراماً فلا يأخذها لحاجته ولا لطيب قلب المعطى (وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب) فلينظر هناك (وأما غرض

نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهم كان يات بها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضه قوت أربعين يوماً وبعضه يوماً المعطى وليلة وهو قسم عائشة وحفصة) (بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال) * ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ) أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً طيباً خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض

المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة أو الزكاة أو الباء والسمعة أما على التجرد واما ماز وجابية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها (٢٩٧) سنقرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة

فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبس فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا أتب الامن قرشي أو ثقيف أو انصاري أو دومي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خسون درهم فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من اتم رزق من غير مسألة فرده فانما رده على الله ثم فزع الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل اليه رجل كبس ووزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول له انظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

المعطي فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو (كان غرضه) (الثواب) (المجرد) (وهو الصدقة أو الزكاة أو) (كان غرضه) (الذ كر والباء والسمعة اما على التجرد واما ماز وجابية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقد تقدم (ولكن ينبغي ان لا تكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى) (للخاصين من الصادقين) (تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) (وذلك ممن يرى المنة لا تأخذ) (فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) (من رجل أو امرأة) (سمن وأقط وكبس فقبل السمن والاقط ورد الكبش) قال العراقي رواه أحمد في أثناء حديث يعلى بن مرة فاهدت اليه كبشين وشيأ من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ السمن والاقط وأحد الكبشين ورد عليهما الا سخر واسناده جيد وقال وكبش مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى قلت هو يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي له ولأبيه محبة وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقطع اعناب ثقيف والده ذكره البغوي وغيره في الصحابة في ابن ماجه حديث اختلف في اسناده على الاعمش (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقي روى أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا أقبل بعد يوي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجرا الحديث وفيه محمد بن اسحق ورواه بالنعنة (وقال) (صلى الله عليه وسلم) (لقد هممت أن لا أتب) (أى لا أقبل الهبة) (الامن قرشي أو ثقيف أو انصاري أو دومي) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات انتهى قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي ولفظهم لقد هممت أن لا أقبل هدية وأما لفظ المصنف فرواه أحمد والطبراني والبراز من حديث ابن عباس لقد هممت أن لا أتب هبة الامن أنصاري أو قرشي أو ثقيف ورجال أحمد رجال الصحيح (وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبولوا من البعض وردوا على البعض (و) (يحكى أنه) (جاءت الى فتح) (بن شخرف) (الموصلي) (رحمه الله تعالى) (من أحد أصدقائه) (صرة فيها خسون درهم) (فقال حدثنا عطاء) (ان كان هو ابن أبي رباح فان فتعال يدركه) (عن النبي صلى الله عليه وسلم) (مرسلا) (من أنه رزق من غير مسألة فرده فانما رده على الله) عز وجل قال العراقي لم أجده مرسلا هكذا وسيأتي بعد هذا الحديث ما يوضح معناه (ثم فزع الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرهما) أي باقياها يحتمل انه أخذ درهما قدر حاجته وود ما لم يتخج اليه ويحتمل انه أخذ الدرهم لم تطيب قلب صديقه (وكان الحسن) (البصري) (رحمه الله تعالى) (يروي هذا الحديث أيضا) (عن جماعة من الصحابة) (ولكن) (روى أنه) (حمل اليه رجل كبس) (فيه دراهم) (وزومة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك) (كاه) (وقال) (يا هذا) (من جلس مجلسي هذا) (أى فى التعليم والتدبير) (وقبل من الناس مثل هذا) (الذى أهدى اليه) (لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق) (أى حظ ونصيب من الثواب) (وهذا) (بظا هره) (يدل على أن أمر العالم) (الذى انتصب لقيادة الناس) (والواعظ) (الذى انتصب للتدبير) (أشد في قبول العطاء) (من غيرهما) (وقد كان الحسن) (رحمه الله تعالى) (مع ذلك) (يقبل من أصحابه) (تطيب القلوبهم) (وكان ابراهيم) (بن يزيد) (اليمى) (مع ورعه) (يسأل أصحابه الدرهم والدرهم من ونحوه) (ويأخذ منهم) (وكانوا يعرفون له المنة والفضل في قبوله منهم) (ويعرض عليه غيرهم المئين) (من الدراهم من غير سؤال) (فلا يأخذ) (منهم) (وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول) (له) (انظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

(٣٨) - (تحاف السادة المتقين) - (تاسع) الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم اليمى يسأل من أصحابه الدرهم والدرهم من ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول انظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

القبول فاتخبرني حتى آخذوه والافلا وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جهمته فآخذ مباح ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين وقال بشر ما سألت أحمدا قطيا لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء (٢٩٨) من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد

رحمه الله بحال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل بل في الخلاوات والطيمات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الامن مثلك * الثاني أن يكون للشواب المجرود وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فليمنظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته ولم يكن فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه * الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التفتت ذكرناها في المعطى

القبول فاتخبرني حتى آخذوا الافلا) آخذوا اختبأوا صداقته (وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده) عليه (ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه) والفضل (في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جهمته فآخذ مباح) ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين (فان صدقهم في فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة) وقال بشر (من الحرب رحمه الله تعالى) ما سألت أحمدا قطيا لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده (ويرى للاخذ منة) ويتبرم (ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب) نقله صاحب القوت (وجاء رجل خراساني الى الجنيد) رحمه الله تعالى (بمال) هدية (وسأله أن يأكله) أي بصرفه على ما يأكله (فقال) أقبلوه (أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا) انما أريد أن تصرفه على أكله (قال) الجنيد هذا مال كثير (ومتى أعيش حتى آكل) وفي نسخة الى أن آكل (هذا قال) الرجل (ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل) وما أشبه ذلك (بل) تنفقه (في الخلاوات والطيمات) من لذا نذا لا طعمة (فقبل ذلك منه) تطييبا لحاظه وعرف منه صدق ارادته (فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك) أي أكثر منة منك على * حيث قبلته مني (فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الامن مثلك) وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للاخذ منة ولو كان زائدا على قدر حاجته (الثاني أن يكون للشواب المجرود ذلك صدقة أو زكاة) فان كان (زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة) أم لا فان كان مستحقا أخذ والافلا وهذا واجب (فان اشتبه عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أي شبهة صفة الاستحقاق وهي آفة وأيضافه تضيق على الفقراء فهي آفة ثانية فلا يترجأ أخذها على الصدقة ولكن في قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الاخذ بالدين والاخذ للحاجة وأبعد من التكبر وفي الصدقة عكس ذلك (وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة) فليطلب من هناك (وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أي يغان فيه الصلاح (فان كان مقارفا لمعصية في السر) ولم يتب منها أو كان مصرا على معصية وهو (يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته) أي لا يحل له القبول (كلوا أعطاه لظنه انه عالم أو علوي) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه) وفي قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذي يعطى بسببه فائدة عظيمة اذا كان المصدق لا يسمع بتلك الصدقة الا ان يدعيه فقيلوا لعائله على البر وتوسع على الفقراء ومن أخذته انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين واهمالها يبلغ درجة الغافلين (الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده) ولا يعان فيه (ولا يقبله) منه (اذا يكون) في قبوله منه (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى) رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراه (بين الناس) لا أخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك) بين الناس (ويحبون أن يعلم بهم) ليدكروا به (فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التفتت ذكرناها في المعطى) ومن استشراف النفس

فالا فضل

على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون

ذلك افتخاراه لا أخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم * وأما غرضه في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والا فان التفتت ذكرناها في المعطى

فالأفضل له الأخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأتاه هورزق ساقه الله إليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من أعطى

(٢٩٩)

ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى يوصل الى أحد بن حنبل رجة الله عليهما شيئاً فرد مرة فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال أحد أعد على ماقلت فاعاده فقال أحد ما رددت عليك إلا لان عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنزه الى وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره فاما اذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو اما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والانفاق عليهم لما فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم ان جوزنا له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدها أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر) بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهد فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

(فالأفضل له الأخذ) فان رد ذلك عوقب باستشراف نفس او طمع او أخذ شبهة (قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وقد تقدم فى كتاب الزكاة وفى لفظ ما الذى يعطى من سعة باعظم أجرامن الذى يقبل من حاجة رواه صاحب الحلية من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فأتاه هورزق ساقه الله اليه وفى لفظ آخر فلا يرده) قال العراقى روى أحد وأبو يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا اشرف نفس فليقبله ولا يرده فأتاه هورزق ساقه الله عز وجل اليه ولا جد وأبي داود الطيالسى من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله الحديث وفى الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ الحديث انتهى قلت حديث خالد بن عدى الجهنى رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والبخارى والبيهقى والحاكم وأبو يعلى والبيهقى والفضلاء بلفظ ما جاءه عن أخيه معروف والباقي سواء قال البخارى لأعلمه غيره ويرى من حديث يزيد بن خالد الجهنى نحوه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فليقبله فأتاه هورزق ساقه الله وتتمام حديث عمر نفسه وتوأمه ومالاتا تتبعه نفسك وقد رواه كذلك النسائى ورواه أحد والطبرانى من حديث أبي الدرداء نحوه ثم أشار المصنف الى آفات الرد وعقوباته فقال (وقال بعض العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى) رحمه الله تعالى (يوصل الى) الامام (أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (شيئاً) من باب الهدية (فردة مرة) ولم يأخذ (فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال له أحد أعد على ماقلت فاعاده) ما قال (فقال أحد ما رددت عليك إلا) أنه (عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنزه الى وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره) من العقوبات (فاما اذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء) والقيام بمهماتهم (والانفاق عليهم لما) جبل (فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه لامساكه) عنده (ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى) وانما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى (وكل عمل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى) وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم ان جوزنا له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدها أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر) بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهد فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة والثانى أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية

وقد ذكرنا هل الأفضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا (٣٠٠) والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال

مع الله غير الله لان كل ما سوى الله من الله وبالله والله والى الله فلا غير حيث دلان الغير هو المضاى الظاهر ولو كان فيها آلهة الا الله لفسد ناو من شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال وهذا لا يخفى في الاخذ والعطاء فتوقا على نفسه لا لاجل المعطى والاخذ لان من المتصدقين من يقصد اظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لان ستر حال المؤمن واجب وأما الاخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين اذا سلم من آفاته ومن آفاته خوف الجاه واسقاط المنزلة من القلوب والنظر اليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطى بعين الاحسان وأما الاخذ في السر والاخراج في العلانية فان سلم من الآفات التي ذكرت في الاخفاء ومن آفة الرياء في الاخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة وأما من يأخذ سرا ولا يخرج سرا ولا علانية فهذا الذي ياكل الدنيا بالدين نسأل الله أن يعبدنا من شره فانه اذا مات فضح أهل الطريق (وقد ذكرنا هل الأفضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله تعالى فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالى (والورع) من شأنه (يكون حذرا من مظان الاخطار) وفي نسخة الآفات فيتجنب عنها (اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه) ومن يكون في الورع مثل أحد رجه الله تعالى (وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت مرة (فقيرا قد فرغ من طوافه) وصلاته وتعلق باستار الكعبة (وهو يقول بصوت خفي) يارب اني (جائع كاتري) يارب اني (عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى) قبل أنه كان من فقراء الحجاج ودعابا الجمجمة وهذه ترجمته (فنظرت فاذا عليه خلقان) أي ثياب رثة (لان كاد تواريه) لقصرها ونقطعها (فقلت في نفسي لا أحد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فردته) الى (قال فرأيت الدليلة الثانية يطوف وعليه متران جديان فهجس في نفسي شيء) أي ساء طئي فيه (فالتفت الى فاختذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش) أي يتحرك مع صوت (تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال) لي (هذا كله قد أعطانيه) ربي (فرددت فيه وأخذ من أيدي الخلق لان هذه ائصال وقتنة) وامتحان (وذلك) أي الاخذ من أيدي الخلق (للعباد فيه رجة ونعمة) أوردته صاحب القوت في كتاب التوكل وفيه ثم قال له نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الارض ولكن لا نأخذ منه شيأ وهذا فيه ولان له أنقالا فكره أفضل وأخذ أرفاقنا من أيدي الناس وبالسباب لانه أحب الى الله لمنافع العباد ولان الحكمة والاحكام في هذا أكثر (والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء واختبارا) وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك) من حيث كان (رفقائك) وشقة عليك (فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم) أي نتجربهم (أيهم أحسن عملا) أيهم أرشد في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه) من الحر والبرد (فما زاد فهو حساب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان الا انه قال

بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كاتري عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لان كاد تواريه فقلت في نفسي لا أحد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فردته قال فرأيت الدليلة الثانية وعليه متران جديان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الى فاختذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فرددت فيه وأخذ من أيدي الخلق لانه هذه ائصال وقتنة وذلك للعباد فيه رجة ونعمة والمقصود من هذا ان

الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة تأتيك رفقاك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه فما زاد هو حساب

فان أخذته ومصرفه الى محتاج

فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بمحقوق الفقراء وتعهدهم جماعة من الصالحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادره الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنه واختبار فربما يحلوفى قلبك فتمسكه فيكون فتنه عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع فى المال والتشم فى المطعم والمشرى وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال فضاء وان مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن

الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليهم رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليسع احد ثوبيه وقيل معناه فليس تقترض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم ان الله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائهم والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فامسى بماله ثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى واما الاشقياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى واما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاذا هموا حدث هذه الشروط

وهو مضطر اليه بماسلط عليه من الدواهي والارادات والاعتقادات * وقد حكى ان بعض الناس دعا شقيقا في خسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قد قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الاشباة منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذه الليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أراقتهم على أيدي البطالين من عبادي لبو جروافهم فلا ينبغي ان يرى المعطى الا من حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما رضاء * (بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه) * اعلم انه قد وردت منه كسيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسان حق ولو جاء على فرس قال العرافي رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي في الاول بعلي بن أبي يحيى جهله أبو حاتم وروقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليهما أبو داود انتهت قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردى وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والفضلاء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد وهو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقيل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عندنا حتى بن راهويه وعلى كل حال في الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعين زبد بن أسلم رفعه عن سلا بلقظ اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ورواه ابن عدي من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المداثني عن عطاء عن أبي هريرة وعمره ضعيف أيضا ولدا رافعي في الأفراد من طريق الحسين بن علي الهاتمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنع أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلبه من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العرافي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهت قلت وجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

فيه وفي المال وفي المعطى فليأخذ (ويشفي أن يرى ما يأخذ من الله) تعالى (لأن المعطى انما المعطى) في الظاهر (واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بماسلط عليه من الدواهي) والبواعث (والارادات والاعتقادات) والمعطى الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيد الكامل وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (وقد حكى أن بعض الناس) من المعتقدين (دعا شقيقا) بن ابراهيم البلخي رحمه الله تعالى (في خسين من أصحابه) فأتى بهم الى منزله (فوضع الرجل مائدة حسنة فلما نعد) شقيق (قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول) يعني صاحب المائدة (من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم) ولم يأكلوا (وخرجوا) من المنزل وكانوا ممن ينظرون الى الحقائق (الاشباة كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم) هل كمل توحيدهم أم لا فان كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود فاعلا الله ولا ينكر الواسط فانهم مسخرون بأذن الله تعالى ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد كل من الطعام ولم يقيم فان مقامه يعطى ان الذي صنع الطعام وقدمه اليه هو صاحب المنزل ولا يعدو علمه ذلك (وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذه الليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أراقتهم على أيدي البطالين) وفي لفظ العاصم (من عبادي لبو جروافهم) نقله صاحب القوت وقال فعلم هذا المحتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع في المعرفة واليقين فهو حال المعطى الموصل وطريق لا تأخذ المتوكل (فلا ينبغي أن يرى المعطى الا من حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى) لانه المعطى حقيقة والله الموفق

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر اليه)

(اعلم) أغناك الله تعالى (انه قد وردت منه في السؤال وتشديدات) عظيمة تدل على تحريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات بل هو معونة وخرج من ذلك أيضا ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الاقارب والاصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لان الاصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد واليه يشترطونه (وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس) قال العرافي رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي في الاول بعلي بن أبي يحيى جهله أبو حاتم وروقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليهما أبو داود انتهت قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردى وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والفضلاء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد وهو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقيل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عندنا حتى بن راهويه وعلى كل حال في الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعين زبد بن أسلم رفعه عن سلا بلقظ اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ورواه ابن عدي من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المداثني عن عطاء عن أبي هريرة وعمره ضعيف أيضا ولدا رافعي في الأفراد من طريق الحسين بن علي الهاتمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنع أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلبه من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العرافي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهت قلت وجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة (٢٠٣) المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة

فالكاشف للغطاء فيه أن
السؤال حرام في الأصل
وانما يباح بضرورة أو حاجة
مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها بد فهو حرام
وانما قلنا أن الأصل فيه
التحريم لانه لا ينفك عن
ثلاثة أمور محرمة * الاول
اظهار الشكوى من الله
تعالى اذ السؤال اظهار
لل فقر وذ كر لقصور نعمة
الله تعالى عنه وهو عين
الشكوى وكما أن العبد
المملوك لو سأل لكان
سؤاله تشديعا على سيده
فكذلك سؤال العباد
تشجيع على الله تعالى وهذا
ينبغي أن يحرم ولا يحل الا
لضرورة كما تحل الميتة
* الثاني أن فيه اذلال
السائل نفسه لغير الله تعالى
وليس للمؤمن أن يذل
نفسه لغير الله بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه
فاما سائر الخلق فانهم عباد
أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم
الا لضرورة وفي السؤال ذل
للسائل بالاضافة الى المسؤول
* الثالث أنه لا ينفك عن
ايداء المسؤول غالبا لانه ربما
لا تسمع نفسه بالبذل عن
طيب قلب منسه فان يذل
حياه من السائل أو يراه
فهو حرام على الآخذ
وان منع ربما استجبا وتاذى
في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه
في صورة البخل في البذل

مانعه و رد ذلك عن أحمد بمجرد روايته له في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح وقد
أخرجه في مسنده ومن كتب العلل لعبد الله بن أحمد والاشرم والحلال علم صحة هذا انتهى وبخط الحافظ
أيضا الصحيح عن أحمد انه أنكر حديث لوصدق السائل ما أفصح من رده كذا نقل عنه مهنا وكذا قال ابن
المديني ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم منها لوصدق السائل (وفي الحديث ردوا السائل
ولو بظلف محرق) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم
بيجد وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى قلت رواه بهذا اللفظ أيضا مالك وأحمد والبخاري في التاريخ وابن
ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن بجيد الانصاري عن جدته ورواه ابن سعد والطبراني من
رواية عمرو بن معاذ الانصاري عن جدته حواء هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي وقال الحافظ في
الاصابة حواء أم بجيد موحدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد
الانصاري عن جدته عن النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعته يقول ردوا السائل ولو بظلف محرق هكذا
أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عباد عن مالك وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب
الموطأ فيه عن مالك عن زيد بن بلال عن أنس المومنان لا تحقرن أحدا كن لجارتها ولو كراعا محرقا ورواه مالك
أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن جارة
لجارتها ولو فرسن شاة وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الانصاري عن جدته مثله
وقال الليث حدثني سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وكانت ممن يابح رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسكين ليقيم على بابي فلا أجده شيئا أعطيه فقال لها ان
لم تجدى له شيئا تعطيه اياه الا لظلم محرقا فادفعه اليه في يده هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث
وقال في القسم الثالث فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الانصارية وبين حواء أم بجيد وهما واحدة
(ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه) عن
وجه الصواب (أن السؤال حرام في الأصل) وانما يباح بضرورة داعية له (أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها) أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال (بد فهو حرام) والحاجة الخفيفة فيها
تردد (وانما قلنا أن الأصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة) هي في الحقيقة آفات مهيمنة
(اما الاول اظهار الشكوى من الله تعالى) لقصور النعمة (اذ السؤال اظهار للفقر وذ كر لقصور نعمة الله
تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك) لرجل (لو سأل) الناس (لكان سؤاله تشديعا على
سيده فكذلك سؤال العباد تشجيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم) لما في ضمنه من الشكاية من الله
تعالى (ولا يحل الا لضرورة) ماسة (كما تحل الميتة) عند الضرورة (والثاني أن فيه اذلال السائل نفسه
لغير الله تعالى) وقد قبل ثلاث من الذل الذين ولدوا ولودرهما والبنات ولومريم والسؤال ولو أن الطريق (وليس
للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد في الخبر أي الا في عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم في كتاب العلم (بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه) بل هو عين العبودية (فاما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل
لهم الا لضرورة) دعيته لذلك (وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول) ومن دعاء الامام أحمد اللهم
كما صنت وجهي عن عبوديتك فصن وجهي عن مسئلة غيرك (الثالث أنه لا ينفك عن ايداء المسؤول
غالبا) لتردده بين العطاء والمنع (لانه ربما لا تسمع نفسه بالبذل عن طيب قلب منه) وانما يستحي أو يرائي
(فان يذل حياه من السائل أو يراه فهو حرام على الآخذ) بلا خلاف بين الامتعة على هذا قولهم ما أخذ بسيف
الحماية فهو حرام (وان منع ربما استجبا وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه) حينئذ (في صورة البخل في
البذل) على الوجه المذكور (نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان) أحدهما في الظاهر
والثاني في الباطن (والسائل هو السبب في الايداء) المذكور (والايداء حرام الا لضرورة) فلا جمل هذه

نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايداء والايداء حرام الا لضرورة

المغاسد كان السؤال حراما في الاصل فلا يباح الاضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل) أي ما أباح (من الفواحش غيرها) قال العراقي لم أجده أصلا (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى (ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها) أي غير الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع ليس له لحم) قال العراقي رواه أبو داود وابن جرير وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة وسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثر أفاغنيا يسأل جرا الحديث وللبرار والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يتخاق وجهه وفي اسناده لين ولشيوخين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه ضرة لحم انتهى قلت لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان من سأل وعنده ما يغنيه فأنما يستكبر من جرحهم ورواه كذلك أحمد وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي من سأل مسألة عن ظهر غنى استكبر به من رضى جهنم وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياع من حديث عمر من سأل ليتري ماله فأنما هو رضى من النار بلقمة من شاء فليقل ومن شاء فليكثر ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من سأل الناس أموالهم تكثر أفاغنيا يسأل جرحهم فليستقل منه أو ليستكبر وقدرناه كذلك أحمد وابن ماجه وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياع من حديث حبشي بن جنداء من سأل من غير فقر فأنما ياكل الجرو في رواية لابن جرير والطبراني من سأل الناس ليتري به ماله كان خوشافي وجهه ورضف من جهنم ياكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي رواية أخرى للطبراني من سأل الناس في غير مصيبة جاحنة فكانت ما يلهم الرضفة وقول المصنف ومن سأل وله ما يغنيه الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه ضرة لحم (وفي لفظ آخر) من سأل وله ما يغنيه (كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى قلت رواه أحمد بلفظ من سأل مسئلة وهو عنها غني جاء يوم القيامة كدوحا في وجهه وفي رواية له من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وم مسئلة في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي وحديث ابن عمر عند الشيخين ما زال الرجل يسأل الحديث رواه أيضا النسائي كلهم من طريق جرير بن عبد الله بن عمر عن أبيه (وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبإيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة فولاتسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثير بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبإيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة فولاتسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثير بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشته فنظر عمر فإذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير أما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف (٣٠٤) استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في

الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله وهيهات فإن ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شأ فأنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ما سكه بأخذه مع التلبس وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعسر ف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كالأعلى (بقره انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه) وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ إنما يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطراب أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين امامهم أو خفيف (أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى إلى الموت (وسؤال العارى وبده مكشوف ليس معه ما يوارى به وهو

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى) قال العراقى رواه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس استغفوا عن الناس ولو بشوص السؤال واستناده صحيح وله فى حديث لعدى الجذامى قفعفوا ولو بجزم الخطب وفيه من لم يسم ولىس فيه وما قل من السؤال الخ انتهى قلت حديث ابن عباس رواه أيضا ابن جرير فى تهذيبه والعسكرى فى الامثال والبيهقى ولا بن عدى من حديث أبي هريرة استغفوا بغير الله (وسمع عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه سائلا يسأل) الناس (بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل) فأخذه (فعشاه ثم سمعه ثانية فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر إليه عمر فإذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد) الر صنيعة هذا (ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة) ولما أنكر عليه فعله ونهاه عنه (ولعل الفقيه الضعيف المنة) بضم الميم أى القوة (الضيق الحوصلة) بتشديد اللام (يستبعد هذا من فعل عمر) رضى الله عنه (ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير) فهو لا بأس به (فأما أخذه ماله) وهو كسر الخبر لالتى كانت فى المخللة (فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور فى الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو) أنه (علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه) من ذلك (أو) أنه (أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله) صلى الله عليه وسلم (وهيهات فإن ذلك أيضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شأ فأنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ما سكه بأخذه مع التلبس) وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كالأعلى (بقره انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه) وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ إنما يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطراب أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين امامهم أو خفيف (أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى إلى الموت (وسؤال العارى وبده مكشوف ليس معه ما يوارى به وهو

(٣٩) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ إنما يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبده مكشوف ليس معه ما يوارى به وهو

مباح مهم ما وجدت بقية الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان وأما المحتاج حاجته مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه ويكن له جبة لا تقيص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيلا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا (٣٠٦) يسمى سؤله مكرها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني

أي هذا السؤال (مباح مهم ما وجد بقية الشروط في المسؤل) أي الطعام أو الثوب (بكونه مباحا) في (المسؤل منه بكونه راضيا في الباطن) غير مستحي في اعطائه ولا مرء (وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق في طلب العلم) أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب (وكل من له خطا) يقرأ (فهو قادر على الكسب بالوراقة) أي النسخة (وأما المستغني وهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان) وهما الاضطرار والاستغناء فالاضطرار مبيح والاستغناء محرم (وأما المحتاج حاجته مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه ويكن له جبة لا تقيص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيلا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤله مكرها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني أذى طبعه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليس تراخى روق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة (من الشكوى أو الذلل أو ايداء المسؤل فهو حرام) لاشتماله على الامور المحرمة (لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحذورات فان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة) ولذلك قلنا ان الحاجة الخفيفة فيها تردد (فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات) الثلاث (فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله تعالى بلسانه والاستغناء عن الخلق) بان لا يلتفت لما في أيديهم (ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا) بحمد الله تعالى (مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه) في النسب (أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله) ولا يحتقره وهو سبيل العارفين (أو) يسأل (الرجل السخى الذي قد أعدمه لثله هذه المكارم فيفرح بوجوده) له ويتقدمه بقبوله (منه ذلك) فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق (أي منظور اليه) (لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها) (لا عن رضا قلبه) (خوفا من الملامة

اذى طبعه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليس تراخى روق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة (من الشكوى أو الذلل أو ايداء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع

بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخى الذي قد أعدمه لثله هذه المكارم فيفرح بوجوده) له ويتقدمه بقبوله فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق (أي منظور اليه) (لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها خوفا من الملامة

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة واما اذا كان يسأل شخصاً معيناً فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضاً يليق له سميلاً الى التغافل ان أراد فاذالم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كإن الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا أخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام من خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذا لفرق بين أن يضرب باطنه بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط (٣٠٧) الحياء وخوف الملام وضرب الباطن

أشد نكايته في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدر ضربه وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذا لم يكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاصطروا الى الحكم

بظاهر القول باللسان مع انه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أقولك وأقولك فان المفتي مع علم للقاضي والسلطان بالحكم في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن مفتي الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما أخذ مع الكراهة لا يمكنه بينه وبين الله تعالى ويحب عليه مردا الى

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح باسمه (بل يعرض له تعريضاً يليق له سميلاً الى التغافل ان أراد) ذلك (فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل من السائل يؤذي كإن الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا أخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين) في المجلس (ولولاه لما أعطاه) وفي نسخة لما ابتدأ به (فهو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام من خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذا لفرق بين أن يضرب باطنه بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكايته في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قبل

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

(ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قدر ضربه وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) قال العراقي لم أجده أصلاً وكذا قال المزي لماسئل عنه (فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذا لم يكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاصطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك) ولا تستفت الامته (وان أقولك وأقولك) كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره (فان المفتي مع علم للقاضي والسلطان) ومن في معناهم من الحكم (احكموا) بنتواه (في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة ويطوهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما أن مفتي الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما أخذ مع الكراهة لا يمكنه بينه وبين الله تعالى ويحب عليه مرده الى صاحبه) ان أمكنه (فان كان يستحي من أن يسترده) فلم يسترده (فعليه أن يشبهه على ذلك) أي يجازيه (بما يساوي قيمته) في الوقت (في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى) أي يتخلص (عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته) بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الاحوال (فان تلف في يده) قبل الاسترداد (فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه) تصرف الملاك فانما (وبالسؤال الذي حصل به الاذى) أولاً (فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضاً فاقول لهذا) السر (ترك المتقون السؤال رأياً سافها كانوا يأخذون من أحد شيئاً) أصلاً (فكان بشر) الخافي رجه الله تعالى (لا يأخذ الامن السري) السقطي رجه الله تعالى (وقال) لماسئل عن ذلك (لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعيننه على ما يحب) وقد تقدم قريبا وأين مثل السري حتى يؤخذ منه (وانما عظم النكير في السؤال واشتد الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحصل) أي يصير مباحاً (بضرورة وهو أن يكون شرفاً على

صاحبه فان كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فعليه ان يشبهه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضياً فاقول لهذا ترك المتقون السؤال رأياً سافها كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً الامن السري رجه الله عليهم ما وقال لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعيننه على ما يحب وانما عظم النكير في السؤال وتأكداً كذا الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحصل بضرورته وهو ان يكون السائل مشرفاً على

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والافط وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتزون من ذلك فاما السؤال (٣٠٨) فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في

موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب في إعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك من الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع (طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش) حيث رده (والافط) والسمن حيث أخذهما (وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتزون من ذلك وأما السؤال فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام) اما سؤال سليمان فقد تقدم بيانه في كتاب الصبر وأما قصة موسى والخضر فذكر في القرآن (ولا شك انهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان) كما تقدم في آداب الصعبة والاخوة (لان أرباب القلوب) قد علموا (أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك من الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزار القلب) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحل كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (فانه الاثم) كما في الخبر والاثم ما حلك في الصدر (وليدع ما يريه الى ما لا يريه) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم (وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان أطيع ما كل الرجل من كسبه) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وعقابه وان ولده من كسبه فكلوا من أموالهم وروى ابن أبي شيبة والبزار في التاريخ بلفظ ان أطيع ما كلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم وقد تقدم في آداب الطعام (وقد أوتي صلى الله عليه وسلم (جوامع الحكم) واختصر له الكلام اختصارا رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم (لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه

الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها

وليترك حزار القلب فانه الاثم وليدع ما يريه الى ما لا يريه وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيع ما كل الرجل من كسبه وقد أوتي جوامع الحكم لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى بسؤال فابن من (٣٠٩) يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأبى من

يقصر في السؤال على حد الضرورة فاذا قنشت أحوال ما يأكل من أيدي الناس علت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلال أنت أو مورثك فاذا بعبد أن يجتمع الورع مع الاكل من أيدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه) يشهد الى الدعاء المأثور اللهم اغنينا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك (بمذكور موجوده) زاد في بعض النسخ انه على ما يشاء قد ير

اعلم) أغناك الله تعالى (أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فأنما يسال جرا فليستقل منه أو ليستكثر) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكر قريبا وفي كتاب الزكاة وألفظه ما من سأل شيئا وعنده ما يغنيه فأنما يستكتر من جرحهم وأما قوله فليستقل منه أو ليستكثر في حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني وفي حديث عمر عند ابن حبان كذا كر كل ذلك قريبا (صريح في التحريم) أي تحريم السؤال (ولكن حدد الغنى مشكلا وتقديره عسير وليس النيا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف) من الشرع (وقد ورد في الحديث) الآخر (استغنوا بغني الله تعالى عن غيره) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن غيره وقد تقدم قريبا (قالوا وما هو) أي غنى الله تعالى (قال غدا يوم وعشاء ليلة) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي كما يرشد اليه كلام العراقي وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير للسيوطي هو ما ذكرنا ودعي المناوي ان السيوطي ترك تلك الزيادة سهوا وليس كما ظن بل هذا التقدير وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا وما يغنيه يا رسول الله قال قدر ما يغنيه أو يعيشه رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم وفي حديث علي قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة رواه عبد الله بن أحمد وسنده حسن وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (وفي حديث آخر من سأل وله خسون درهمان أو عدلهما من الذهب فقد سأل الحافا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسلته في وجهه خجوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خسون درهمان أو قهقهة من الذهب وفي رواية لا جد ولا تحمل الصدقة لمن له خسون درهمان أو عرضهما من الذهب رواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال وروى عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال قال العراقي هناك رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كذا كره المصنف لان الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقدم الكلام عليه هناك وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وورد في لفظ آخر أربعون درهما) رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سأل وله أربعون درهما فهو ألحف (ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بوردها على أحوال مختلفة) جماعين الاخبار كيلا تنضاد (فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا) كما هو مذهب الأصوليين (والتقدير بمنع غاية الممكن فيه تتريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب) رواه الترمذي من حديث عثمان

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى بسؤال فابن من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأبى من يقصر في السؤال على حد الضرورة فاذا قنشت أحوال ما يأكل من أيدي الناس علت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلال أنت أو مورثك فاذا بعبد أن يجتمع الورع مع الاكل من أيدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه) يشهد الى الدعاء المأثور اللهم اغنينا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك (بمذكور موجوده) زاد في بعض النسخ انه على ما يشاء قد ير

اعلم) أغناك الله تعالى (أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فأنما يسال جرا فليستقل منه أو ليستكثر) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكر قريبا وفي كتاب الزكاة وألفظه ما من سأل شيئا وعنده ما يغنيه فأنما يستكتر من جرحهم وأما قوله فليستقل منه أو ليستكثر في حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني وفي حديث عمر عند ابن حبان كذا كر كل ذلك قريبا (صريح في التحريم) أي تحريم السؤال (ولكن حدد الغنى مشكلا وتقديره عسير وليس النيا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف) من الشرع (وقد ورد في الحديث) الآخر (استغنوا بغني الله تعالى عن غيره) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن غيره وقد تقدم قريبا (قالوا وما هو) أي غنى الله تعالى (قال غدا يوم وعشاء ليلة) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي كما يرشد اليه كلام العراقي وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير للسيوطي هو ما ذكرنا ودعي المناوي ان السيوطي ترك تلك الزيادة سهوا وليس كما ظن بل هذا التقدير وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا وما يغنيه يا رسول الله قال قدر ما يغنيه أو يعيشه رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم وفي حديث علي قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة رواه عبد الله بن أحمد وسنده حسن وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (وفي حديث آخر من سأل وله خسون درهمان أو عدلهما من الذهب فقد سأل الحافا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسلته في وجهه خجوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خسون درهمان أو قهقهة من الذهب وفي رواية لا جد ولا تحمل الصدقة لمن له خسون درهمان أو عرضهما من الذهب رواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال وروى عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال قال العراقي هناك رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كذا كره المصنف لان الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقدم الكلام عليه هناك وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وورد في لفظ آخر أربعون درهما) رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سأل وله أربعون درهما فهو ألحف (ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بوردها على أحوال مختلفة) جماعين الاخبار كيلا تنضاد (فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا) كما هو مذهب الأصوليين (والتقدير بمنع غاية الممكن فيه تتريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب) رواه الترمذي من حديث عثمان

الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير بمنع غاية الممكن فيه تتريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاحناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالديابة أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد وقبص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر (٣١٠) من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة

ابن عفان نحوه وقد ذكر قريبا (فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من) يكون (تحت كفالته كالديابة أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين) والمرآت (وهو ثوب واحد قبص) يوارى جسده (ومنديل يربط) به رأسه (وسراويل) أو أزار (ومداس) في رجليه فهو لاء كاهن منزلة ثوب واحد لا يستغنى عنها فان فرضنا ثوبا واحدا عريضا طويلا فالتخف به من رأسه الى قدمه فهو كذلك الا أنه ليس من ثياب ذوى الدين في الاعصار المتأخرة (وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه) أى براعى فيه ما يكفي فيه (ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب) ورفعها (وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على نوع واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد) بالضم (وهو ما قدره الشرع) وهما حفتان بالكفين هما قوت الحافق غدا وعشاء كفا لا اقترارا ولا اسرافا (ونوعه ما يقتات) من طعام بلده (ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيه له) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار متراحة (أما الماعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنفلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف فباح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيه له) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار متراحة (أما الماعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنفلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف فباح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف فباح له السؤال لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

فيما يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان
سالك طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعتة بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى
فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياالك الامن ضعف اليقين (٣١١) والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد

قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال
من الفحشاء التي أبيضت بالضرورة وحال من يسأل
لحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة
مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما
مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب
الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه
الحصول من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)
كان بشر رحمه الله يقول
الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل
وان أعطى لا يأخذ فهذا
مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسأل وان أعطى
أخذ فهذا مع المقربين في
جنات الفردوس وفقير
يسأل عند الحاجة فهذا
مع الصادقين من أصحاب
اليمين فاذا اتفق كلهم
على ذم السؤال وعلى انه
مع الفاقة يحط المرتبة

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى
فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان سالك السبيل الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في
المستقبل أتم وقناعتة بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى وهو داخل في حد قولهم الصوفي ابن وقته
أى يقنع بما يتسرله من كل شئ في وقته سواء كان قوتا ظاهريا أو معنويا ولا يعلق قلبه بما سياتى (فلا يكون
خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياالك الامن ضعف اليقين) بالله تعالى (والاصغاء الى
تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى موقنين ففسر عن اليقين هنا
بالإيمان لان اليقين الإيمان كنه (وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والسؤال من) جلة (الفحشاء الذى أبيض بالضرورة) واليه يشير خبر مسألة الناس من
الفواحش ان ثبت وروده كما تقدم (وحال من يسأل الحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة)
نظر الى ظاهر الحال (ولا يكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بالله تعالى وهذه
الحصول من أمهات المهلكات) (من أمهات المهلكات) وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)
كان بشر رحمه الله تعالى يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى
لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين) لكمال تجرده عن العلائق (وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ) على قدر
حاجته ورد الباقي (فهذا من المقربين في جنات الفردوس) وهو أقرب درجة من الأول (وفقير يسأل عند
الحاجة) وفي نسخة عند فاقته (فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين) وهو أقرب درجة من الذى قبله وهذا
القول رواه القشيري في الرسالة في باب التوكل فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن
المخزومي يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح حدثنا محمد بن عبدون حدثنا الحسن الحياطي قال كنت عند بشر
الحافى فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم ثم ساق القصة وفي آخرها ثم قال بشر أحسن الفقراء ثلاثة فقير
لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذلك من جلة الروحانيين وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذلك توضع له موافق
حظائر القدس وفقير يسأل وان أعطى قبل قدر الكفاية فكفارة بصدقه (فاذا اتفق كلهم على ذم
السؤال) مطابقا (وعلى انه مع الحاجة يحط المرتبة والدرجة) ثم هذا الذى يسأل لا يتخلو من أن يسأل لنفسه
أو لغيره فان سأل لغيره فهو معونة وان سأل لنفسه فلا يتخلو من أن يسأل الاقارب والاصدقاء وأساتر الناس
الأول طريق القوم والثاني حرام وقد تقدم تفصيل ذلك (قال شقيق) بن ابراهيم (البطحى) رحمه الله تعالى
(لأبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال
تركهم ان أعطوا وشكروا وان منعوا) من الاعطاء (صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال فقد أنفى
عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا) ان أعطوا أو كادوا وشكروا وان منعوا صبروا
(فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا وشكروا) وعلموا ان المنع
منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه (وان أعطوا آثروا) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من
العطاء (فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ) هكذا سباق هذه القصة في النسخة وهو من الاصل والصواب
ان السائل هو ابراهيم والمسؤل هو شقيق وقوله فقال شقيق صوابه فقال ابراهيم وقوله فقال له ابراهيم صوابه

والدرجة قال شقيق البطحى لأبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركهم ان أعطوا وشكروا
وان منعوا صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال قد أنفى عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له ابراهيم فكيف
الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا وشكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ

فأذا درجات أرباب الاحوال في الرضا (٣١٢) والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها

واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيتها الى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى علمين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم ردى الى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى علمين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الرقي قطعاً وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه لا يقدر عليه موأرباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم واسكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحق النورى رحمه الله عديده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستعجبته له فابتدأ الجنيد رحمه الله فاجابته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم وانما سألهم ليشيهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا ينصرون وكأني أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للعالم لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوز مائة درهم ثم قبض قبضة فآلقها على المائة ثم قال اجملها اليه فقلت في نفسى انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولاً وهو رجل حكيم واستحييت أن

فقال له شقيق بدليل قوله يا أبا اسحق فانه كنية ابراهيم وأما كنية شقيق فابو علي وقدر واه أبو نعيم في الحلية على الصواب حيث قال سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخزومي البغدادي الصوفي يقول حدثني أحمد بن محمد الخزازي عن حذيفة المرعشي قال دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم فاذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة فاجتمعنا في شق الطواف فقال ابراهيم لشقيق على أي شئ أصليتم فقال أصلنا أصلنا على اننا اذا رزقنا أكلنا واذا منعنا صبرنا فقال ابراهيم هكذا تفعل كلاب بلخ فقال له شقيق فعلم أصليتم قال أصلنا على اننا اذا رزقنا آثرنا واذا منعنا شكرنا ووجدنا فقام شقيق فجلس بين يدي ابراهيم فقال يا أستاذ أنت أستاذنا ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم فاذا فيها على الصواب كما أشرت اليه وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقتها وفيه فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق وذكر القسيري في باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال وقيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال ان أعطينا شكريا وان منعنا صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم قال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا وفي بعض النسخ فقال شقيق الله أعلم حيث يجعل رسالته (فأذا درجات أرباب الاحوال) من السالكين (في الرضا والصبر والشكر والسؤال) والايثار والفتوة (كثيرة) مختلفة (فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ودو جاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيتها الى يقاعها) أي ذرونها (ومن أسفل السافلين الى أعلى علمين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم) بنص القرآن (ثم ردى الى أسفل السافلين) بنص القرآن أيضاً (ثم أمر أن يترقى الى أعلى علمين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الترقى مطلقاً وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه) فالترقى تابع للمعرفة والتمييز (وأرباب الاحوال) في أثناء سلوكهم (قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم) في بعض الاحيان وبعض المواطنين (فان مثل هذه الاعمال) لا يطلع عليها وهي مربوطه (بالنيات) ففي الخبر انما الاعمال بالنيات (وذلك كما روى ان بعضهم رأى أبا الحسن) أحمد بن محمد (النورى) رحمه الله تعالى بغدادى المولد المنشأ بغوى الاصل وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشأن مات سنة خمس وتسعين ومائتين (عديده ويسأل الناس في بعض المواطن قال) الراى (فاستعظمت ذلك واستعجبته) أي عددته فبحسب مثله (فايت الجنيد) رحمه الله تعالى (فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك) ولا تتعجب منه (فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم) لا لياخذ منهم فانه في غنى عن ذلك (انما سألهم ليشيهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا ينصرون) قال المصنف (وكأني أشار) بذلك (الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه فأت وروى الطيالسي والنسائي والبغوي وابن قانع والباوردى والطبراني والبيهقي والضياء من حديث ثعلبة ابن زهدم الحنظلي يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث أبي رزمة ورواه النسائي أيضاً وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاري ورواه أحمد أيضاً من حديث رجل من بني يربوع (فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للعالم لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه) وظاهر هذا انما قاله ما رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج يد المعطى العليا ويد الآخذ السفلى الى يوم القيامة وما رواه مالك والشيخان والنسائي من حديث ابن عمر واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة الا أن يقال ان المراد بالمعطى الآخذ اذا كان من غير سؤال والآخذ بالسؤال هو الذى اقضى كون يده سفلى وهو وجيه الا أنه لا يطابق واقع حال النورى فتأمل (ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالى (هات الميزان فوز مائة درهم ثم قبض قبضة) من الدراهم (فالقاها على المائة) جزافاً (ثم قال اجملها اليه) أي الى النورى (فقلت في نفسى انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولاً وهو رجل حكيم واستحييت أن

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال
فزاد تجبى فسأله فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه فوزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل
فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى (٣١٣) وقال أخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان

فانظر الآن كيف صفت
قلوبهم وأحوالهم وكيف
خلصت الله أعمالهم حتى
كان يشاهد كل واحد منهم
قلب صاحبه من غير منطقة
باللسان، ولكن بتشاهد
القلوب وتناجى الاسرار
وذلك نفحة كل الحلال
وخلو القلب عن حب
الدنيا والاقبال على الله
تعالى بكنه الهمة في أنكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل كمن يشكر مثلا كون
الدواء مسهلًا قبل شربه
ومن أنكره بعد أن طال
اجتهاده حتى بذل كنهه
مجهوده ولم يصل فانكر ذلك
لغيره كان كمن شرب المسهل
فلم يؤثر في حقه خاصة لعله
في باطنه فأخذ يشكر كون
الدواء مسهلًا وهذا وان كان
في الجهل دون الاول ولكنه
ليس خاليًا عن حفاظ
من الجهل بل البصير أحد
رجلين أمار جل سلك
الطريق فظهر له مثل ما
ظهر لهم فهو صاحب الذوق
والعرفة وقد وصل الى عين
اليقين ومار جل لم يسلك
الطريق أو سلك ولم يصل
ولكنه آمن بذلك وصدق به
فهو صاحب علم اليقين وان
لم يكن واصلا الى عين اليقين

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى) فاستشرف (على) باطن (الامر) فقال هات الميزان فوزن مائة درهم
وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال) الرجل (فزاد تجبى فسأله) يعنى
النورى (فقال) أبو القاسم (الجنيد) جل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه وزن المائة لنفسه طلبا
لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه
قال فرددتها) أى الصرة المذكورة (الى الجنيد) رحمه الله تعالى (فبكى وقال أخذ ما له ورد ما لنا والله
المستعان) أى فن كان بهذه المثابة من المعرفة والاستشراق على الخواطر كيف لا يكون السؤال مرديا في
دوجاته (فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت الله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار وذلك نفحة كل الحلال وخلو
القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله بكنه الهمة) أى خالصها (فن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل) وهو (كمن يشكر مثلا كون الدواء مسهلًا) للبعان (قبل شربه) واستعماله (ومن أنكره بعد أن
طال اجتهاده حتى بذل كنهه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة
لعله في باطنه) كالليس البالغ وتجوهر المعدة (وأخذ يشكر كون الدواء مسهلًا وهذا وان كان في الجهل دون
الاول ولكنه ليس خاليًا عن حفظ وافر من الجهل) بل ضرره أشد (بل البصير السالك أحد رجلين أمار جل
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى) مرتبة (عين اليقين) وهو
مقام المشاهدة والكشف (وامار جل لم يسلك الطريق) رأسا فهدى الا كلام فيه (أو سلك ولم يصل) لقصوره
في جهده (ولكن آمن بذلك وصدق به) وسلم لاهله (فهذا صاحب علم اليقين) تصديقه اعطاه الدليل
بتصور الامر على ما هو عليه (وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أضرار تبة) بالاضافة الى ما قبله
(وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشرون يوم
القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل العقول الضعيفة وتابع الشياطين فنسأل الله تعالى
أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عنده بنا وما يذكر الاولو الالباب) ولندكر ما يتعلق
بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلا للباب وتكميلا للفوائد قال
القشيري في الرسالة الفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقاء
والانبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسرار بين خلقه بهم بصون الخلق وبركاتهم يسطر
الرزق قال معاذ النسي ما أهلك الله قوما وان عملوا ما عولوا حتى أهلكوا الفقراء وأذلواهم وقبل لولم تكن للفقر
فضيلة غير ارادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغنى يحتاج الى بيعها
وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا تستغنى الا
بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرضا اذا تحقق العبد فيه وقدم على
الاستاذ أبى على الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من رزق وعليه مسح وقلنسوة مسح
فقال له بعض أصحابنا بكم اشترى بهذا المسح على وجه المطايبة فقال اشترى به بالدنيا فطلب بالآخرة فلم
أبعه سمعت الاستاذ أبى على يقول قام فقير في مجلس يطلب شيئا وقال انى جئت منذ ثلاث وكان هناك بعض
الشايع فصاح عليه قال كذبت ان الفقر سر وهو لا يوضع سره عند من يحمله الى من يذيعه وقال جردون
القصار اذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفر حواشي كفرهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمنًا ورجل

(٤٠ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) ولعلم اليقين أضرار تبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين
اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشرون يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وتابع الشياطين
فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عنده بنا وما يذكر الاولو الالباب

يموت على الكفر ورجل قلبه فيه خوف الفقر وقال الجنيد يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكلمون
 بالله فانظروا كيف تكفون مع الله اذا خلوت به وسئل محمد بن عبد الله الفرغاني عن الافتقار الى الله اتم أم
 الاستغناء بالله فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله فقد كمل الغنى
 به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لانهما حالتان لا يتم احدهما الا بالآخرى وسئل رويم عن ذمت
 الفقير فقال ارسل النفس في أحكام الله وقبلت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة
 فرجه وقبل للخرال لم تخرج عن الفقراء وفق الاغنياء فقال لثلاث خصال لان ما في أيديهم غير طيب ولانهم
 غير موفقين ولان الفقراء مرادون للبلاء وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء
 فساثلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شيء علمك تحت التراب وروى عن أبي الدرداء قال لان
 أقع من فوق قصر فاحتطام أحب الى من مجالسة الغنى لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم
 ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء وقبل للربيع بن خيثم قد غلا السمر فقال نحن أهون على الله
 من أن يجيعنا اغنياء يجمع أوليائه وقال ابراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى
 فاستقبلهم الفقر وقبل ليجي بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الامن بالله وقال ابن الكرنبي
 ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى ليحترز من الفقر حذرا
 ان يدخل عليه فيفسد غناه عليه وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وماذا للفقير ان يقدم به
 على ربه سوى فقره وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات
 الخلق اجمع قال نعم قال عد المرص وكن لثياب الفقراء فاليافعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر
 سبعة أيام يطوف على الفقراء يقلى ثيابهم ويعود المرضى وقال سهل خمسة أشياء من جوهر النفس فقير
 يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر النرح ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة
 ورجل بصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى
 العبر وقال ذو النون علامة سخط الله على العبد خوفا من الفقر وقال الشبلي أدنى علامات الفقر ان
 لو كانت الدنيا باسرها لا حداثتها في يوم ثم خطر بباله ان لو أمسك منها قوت يوم ماضى في فقره سمعت
 الاستاذ أبا علي يقول تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى ان الأفضل ان يعطى الرجل
 كفايته ثم يسان فيه وسئل ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يبق عليه بقية منه فقيل كيف
 ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له فأت وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي
 يشير اليه القوم وهو أن يصير كماله لا يتبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه فلو بقي عليه شيء في أحكام
 نفسه ففقره مدخول فيه اه ثم قال القشيري وقيل صحة الفقر ان لا يستغنى الفقير في فقره بشئ الا ان
 اليه فقره وقال ابن المبارك اظهر الغنى في الفقر أحسن من الفقر وقال بنان المصري كنت بمكة فاعدا
 وبين يدي شاب فجاءه انسان وجلس اليه كبسا فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال لاجل الحاجة لي فيه فقال
 فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئا فقلت لو تركت لنفسك شيئا مما كان
 معك فقال لم أعلم اني أعيش الى هذا الوقت وقال أبو حفص أحسن ما يتواصل به العبد الى مولاه دوام
 الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة في جميع الاعمال وطلب القوت من وجهه حلال وقال
 المرتضى ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته وقال أبو علي الروذباري كان أربعة في زمانهم واحد
 كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها
 شيئا وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو اسحق الفزارى
 فكان ما يأخذ من الاخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان
 يخرج في أهله طرسوس والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك

يأخذ من الاخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن
 الحسين كان يقول السلطان لا يمن والاخوان يمنون سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر من تواضع لغني
 لاجل غناه ذهب ثلثا دينه انما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه
 فلوا اعتقد فخله بقلبه كما تواضع بلسانه ونفسه ذهب دينه كما وقيل أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء
 علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنس وقيل من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا
 ومن أراد الفقر لثلايشغل عن الله تعالى مات غنيا وقال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والايثار
 عند الوجود وسئل الشبل عن حقيقة الفقير فقال أن لا يستغني بشئ دون الله وقال الجنيد اذا قيمت الفقير
 فالحق بالرفق ولا تلغى بالعلم فان الرفق يؤنس والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم اذا
 كان الفقير صادقا في فقره فطارحت عليه علمك ذاب كذوب الرصاص في النار وقال مظفر القرمي سبني الفقير
 هو الذي لا تكون له الى الله حاجة وكأنه يشير الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجري الحق
 وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر
 حتى يكون العطاء أحب اليه من الاحتذول ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم وانما السخاء أن يعطى
 المعدم الواجد وقال ابن الجلاء لو اشرف التواضع اكان حكم الفقير اذا مشى أن يتجتر وقال يوسف بن
 أسباط منذ أربعين سنة ماملكت قصين وقال بعضهم رأيت كان القيامة قامت فيقال ادخلوا مالكم بن
 دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي
 انه كان له قيس واحد ومالك بن دينار قيسان وقال محمد السوحي الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة
 الى شئ من الاسباب وسئل سهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه وتذاكروا
 عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال لا يوزن عند الفقر ولا الغنى وانما يوزن الصبر والشكر وقيل
 أوحى الله الى بعض الانبياء اذا أردت أن تعرف رضا عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال الزقاق
 من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص وقال أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة
 فان كان ولا بد فلتاج وزرغبته كفايته وسئل أبو بكر المصري عن الفقير الصابر فقال الذي لا يملك ولا يملك
 وقال ذو النون دوام الفقر الى الله مع التخليط أحب الى من دوام الصفاء مع العجب ومكث أبو جعفر الخذاء
 عشرين سنة يعمل كل يوم دينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيصدق من
 الابواب وقال محمد بن علي الكاظمي كان عندنا بركة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يدناخلنا ولا يجالسنا فوقع
 محبة في قلبي ففتح لي بمائة درهم من وجهه لئلا يملها اليه ووضعها على طرف سجاده وقلت انه فجع لي
 ذلك من وجهه لئلا تصرفه في بعض أمورك فنظر الى شئرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة مع الله على
 الفراع بسبعين ألف دينار غير الضباع والمستغلات تريد أن تحذني عنها هذه وقام وددها وقع حدث
 النقط فلأرأيت كغزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألثقتها وقال ابن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر
 أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل
 مقدار كفايته ابش يقال فيه فقال مكدي كادوا واكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفصمكم كلكم وسئل
 الدقي عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال انحطاطهم من الحقيقة الى العلم وقال خير النساء
 دخلت بعض المساجد واذا فيه فقير فلأرأيتي تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت
 وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هي قد دفع عليه بشئ من الدنيا وقال أبو بكر الوراني
 طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب الى
 هنا كلام القشيري وقال السهروردي في العوارف قال ابن الجلاء الفقير ان لا يكون لك واذا كان لك
 لا يكون لك حتى تؤثروا وقال بعضهم نعت الفقير السكون عند العدم والاضطراب عند الوجود وتقدم مثله

في قول النوري الا انه قال والبذل بذل الاضطراب وقال الدراح فثبت كفن أستاذي أريد مكحلة فوجدت
 فيها قطعة فتحييت فلما جاء قلت اني وجدت في كفك قطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها فاشتر بها
 شيئا فقلت ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله تعالى من الدنيا لا صفرها ولا يبيض
 غيرها فأردت أن أوصي أن تشد في كفي فأردها الى الله تعالى وقال ابراهيم الخواص الفقرر رداء
 الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا
 يحبس وقال أبو علي الروذباري سألتني الزقاق فقال يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة قال
 قلت لانهم مستغنون بالمعطي عن إعطائهم قال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات فافدني قال لانهم قوم
 لا ينفعهم الوجود اذاله فاقتمهم ولا تضرهم الفاقة اذاله وجودهم وقال بعضهم الفقرو قوف الحاجة على
 القلب ونحوها عن أسوي الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغنيه المحن وقال أبو بكر
 الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجيني أحد بجواب
 يقنعني حتى سألت نصر بن الحناني فقال لي لانه أول منازل التوحيد ففقت بذلك وقال فارس قلت
 لبعض الفقراء مرة رأيت عليه أثر الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال أخاف أن أسألهم فيمنعوني
 فلا يفكحون اهـ وقال صاحب البصائر الفقير له بداية ونهاية وظاهر وباطن فبدايته الذل ونهايته العز
 وظاهره العدم وباطنه الغنى كما قال رجل لا آخر فقر وذو ل لا بل فقر وعز فقال فقر وثري فقال لا بل
 فقر وعز وكلاهما مصيب وأما مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر وترجيح أحدهما على الآخر فعند
 المحققين ان التفضيل لا يرجع الى ذات الفقر والغنى وإنما يرجع الى الاعمال والاحوال والحقائق
 فالمسألة فاسدة من أصلها وان التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الايمان لا بفقر وغنى قال تعالى ان
 أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أفقركم أو أغناكم ثم اعلم ان الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس
 كل من أعطاه ووسع عليه قدأ كرمه ولا كل من ضيق عليه قدأ أهانه والالزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته
 ومعرفة موافقته ان اذ اسلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى وقال بعضهم هذه المسئلة محال
 أيضا من وجه آخر وهو ان كلام من الغنى والفقر لا بدله من صبر وشكر فان الايمان نقصان نصف صبر
 ونصف شكر بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لانه يصبر عن فدية فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز
 ويكون شكر الفقير أتم لان الشكر هو استفرغ الوسع في طاعته والفقر أعظم فراغا بالشكر من الغنى
 وكلاهما لا تقوم قائمة ايمانه الاعلى ساق الصبر والشكر نعم الذي رجع الناس اليه في المسئلة انهم ذكروا
 نوعان الشكر ونوعان الصبر وأخذوا في الترجيح فجردوا غنيا منقفا متصدقا بأذلاله في وجوه القرب
 شاكر الله عليه وفقير استفرغ الطاعة لله تعالى ولا وراد العبادات صابرا على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى
 أم بالعكس فالصواب في مثل هذا ان أكلهما طوعهما فإن تساوت طاعتهما تساوت درجاتهما والله أعلم
 اهـ وقال صاحب القوت قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر وقد سمي الله الفقراء الصابرين
 محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى ما على المحسنين من سبيل ثم أوقع الحجة والمطالبة على
 الاغنياء وسماهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من الخلفين فقال من المغنيين في الآيتين انما
 السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالب يعني النساء لان هذا جمع
 التأنيث وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيبون في الارض بغير الحق يعني يطالب العلوق فيها
 ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذكرهم تجعلها للذين لا يريدون علوا في الاوض وقد يتحجج متوهم
 لفضل الاغنياء المسكين لفضول الغنى على الفقراء عنده بقوله تعالى تحسب ان الفقراء تولوا أعيانهم
 تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر لاقرآن من يدلفقراء التمام
 حالهم لما كانوا محسنين كما قال تماما على الذي أحسن وقال ستر يد المحسنين فكان مريدهم الحزن

والاشتقاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى بشرهم الله بأنهم محسنون لما قال ما على المحسنين من سبيل لانه أضافهم اليه في الوصف وعطف بهم عليه في المعنى وأيضاً فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى عدوهم بصبرهم عن الدنيا ويزم الدنيا اليهم لكن لما كان خزنهم على طلب المزيد من الفقر ايجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا ومنه فيزدادوا فقراً من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الانفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان خزنهم فهذا افضل ثاب للفقر لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذي فضل به الفقراء من هذه الآلية عند أهل الاستنباط والدراية هو مشاركتهم الرسول في حاله ووصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم من قوله تعالى قلت لا أجد ما أحل لكم عليه ثم نعمهم بمثله لانهم هم الامثل فالمثل به فقال تعالى أن لا يجحدوا ما ينفقون فمن كان برؤس الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو الافضل وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الايمان أو عبر عن ذروة الايمان فقال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحمل بذروته ولا يحمل بذروته حتى يكون الفقراً أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وأما وهب بن منبه فانه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول ما من نبي الا وهو مطروح في الخزانة الا الفقر مع المعرفة فانه مخزون مخنوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهادة وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى

(الشرط الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد في الزهد)
 وذلك في فصول خمسة مرتبة

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين) وهو السادس من مقامات اليقين على مراتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها وانما ذكره في ضمن مقام الزهد ونحن قلناه في سنيافه واما السهروردي وشيخ الاسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جهة مقامات الدين وهي مائة مقام في سياق منازل السائر (وينظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات) المذكورة والآلية (لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل) فالحق يرجع الى القلب والقول يرجع الى اللسان والعمل يرجع الى الجوارح (وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو) الآلة التي لا يستغنى عنها عابد ولا عارف لان الدنيا عدوة محبوبة اما كونها عدوة فلانها قاطعة شاغلة واما كونها محبوبة فلان أصل الحياة وكما لها لا يتأتى الا بها وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة وكما الحياة بالتعميم هو القاطع ان كان محظورا او الشاغل ان كان مباحا واما الزهد فلا يتعلق بالترك المباح وترك المباح منوط بثلاثة آفات الآفة الاولى أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظورات ولا يدرك على فعل الواجبات وترك المحظورات والابترك فضول الشهوات المباحات والآفة الثانية اعتماد النفس والفهايه فيشق عليها مفارقتها والمفارقة للدنيا ضرورة الآفة الثالثة الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خلقت الا لاجلها والقلب لا يتسع لحالين اما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى فاذا عرفت هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك فاما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وقال ما عندكم ينفذ وما عند الله باق

(الشرط الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد في الزهد)
 اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو)

عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فالتماثل عدل عن طرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فخاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وجبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من (٣١٨) المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن

فقد عرفك طريق الفكر في الآيات الاولى وهو ان تنظر الى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنهم لم تكن وفي بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنهم لم تزل مع ما شملت عليه الدينان من الحساسة والقذارة والمكابدة ومحاصرة الشركاء وكذلك ما شملت عليه الآخرة من النفاسة والهباء وعدم الآفات والامان بهاتين المعرفتين واجب لانهما من عقود الايمان بالله فاذا أضفت المعرفة بالآخرة الى المعرفة بالدنيا وكانت ارادتك مائلة الى الدنيا انصرفت ارادتك من الدنيا الى الآخرة فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق ان كنت مصدقا بها برهانا أو تقليدا لحقيقة الزهد انصراف الارادة عن الدنيا حقارة لاستعظام ما عين من نفاسة الآخرة واليه أشار المصنف بقوله وهو (عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فالتماثل عدل لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فخاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وجبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه) فهذا شرط المرغوب فيه (وشرط المرغوب عنه أن يكون هو ايضا مرغوبا فيه) ولو (بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا) هو (في نفسه لا يسمى زهدا) في الحقيقة (اذ تارك الحجر والتراب والحشرات) وما أشبه ذلك من المحقرات (لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان) الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها و (الحجر والتراب ليسا في مظنة الرغبة) اليهما (وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة) وانما قال عنده لانه اذا كان في نفس الامر خيرا منه الا انه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبته فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لاجل غلبته رغبته (فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وجبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع) فيقولون شريت بمعنى بعت كما يقولون ابتعت بمعنى اشتريت وهم امن الاضرار (ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلوهم وجه أبيهم) منه (وكان ذلك عندهم أحب من يوسف فباعوه طمعا في العوض) فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين (فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة) هذا ما تقتضيه اللغة (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهدين بزهد في الدنيا كما خص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو الليل في وضع اللسان) العربي وكذا تخصيص اسم الخفيف بمن يعمل الى الحق وان كان في أصل اللسان بمعنى الميل أيضا (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال) وهذا يفارق الفقرفان حقيقة الفقر الفقد والاحتياج (والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم الاسمار (ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب (والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان الترابط والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وجبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا أن يخلوهم وجه أبيهم وكان ذلك عندهم أحب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما

خصص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو الليل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة (٢١٩) عن ترك المحظورات والزهد عبارة

عن ترك المباهات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباهات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباهات فإذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى وهو الدرجة العليا في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فإن ترك ما لا يقدر عليه محال) فإن قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التمتع بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظم عظمه فلماذا العارفون في الدنيا للذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذائقو الذم معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغفرهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحققوا عند اللذة بهذه المعرفة جميع الذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الإنساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فأنكر على القائل (فقال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق أن يسمى زاهدا (أجابه الدنيا رغبة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم إذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول إذا قيل له إنك زاهد قال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فإما أنا في أي شيء زهدت أه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة إلى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق لم يتحقق هذا العلم لا يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وإن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة إلى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على أن أهل الغنى لا يزهدون فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة إلى الآخرة الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لأنه أهل البقاء نخس بها أهلها اذ منحها البقاء والايمن بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل للذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) واللا تلي (خير من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللا تلي فهكذا أمثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة (فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباهات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباهات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم) أي الزهد (بترك المباهات فإذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) واعراضه عنها (عدولا إلى الآخرة أو) عن رغبته (عن غير الله تعالى عدولا إلى الله وهي الدرجة العليا) في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فإن ترك ما لا يقدر عليه محال) فإن قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التمتع بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظم عظمه فلماذا العارفون في الدنيا للذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذائقو الذم معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغفرهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحققوا عند اللذة بهذه المعرفة جميع الذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الإنساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فأنكر على القائل (فقال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق أن يسمى زاهدا (أجابه الدنيا رغبة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم إذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول إذا قيل له إنك زاهد قال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فإما أنا في أي شيء زهدت أه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة إلى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق لم يتحقق هذا العلم لا يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وإن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة إلى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على أن أهل الغنى لا يزهدون فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة إلى الآخرة الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لأنه أهل البقاء نخس بها أهلها اذ منحها البقاء والايمن بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل للذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) واللا تلي (خير من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللا تلي فهكذا أمثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

خير وأبقى من الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللا تلي فهكذا أمثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى

الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما اشترى الله تعالى باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاة فهو من الزاهدين وهذا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فاذا كان العوض واحدا والجنة ذكرفى المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه اعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد فى الدنيا اذ ليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لانه نهاية الخير فصار نهيا لها عن الهوى الذى هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا سوء كله فن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرهابا بالسوء واذالم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعا واذالم يبعها لم تكن مشتراة (ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فن باع حياة نفسه وفرق بمجموع ماله فاشترى المولى الكريم منه فعوضه داره واسكنه عنده فى جواره فقد ربح بصفقته واهتدى بسبيله فابحان الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التى هي الهوى ولدخول اليقين على ايمان التصديق (فليس يحتاج من العلم فى الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى) وصفها بالخيرية لبعائهم فى المال ونسخها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال والله خير وأبقى فاذا شهد العبد بيمين قلبه ويقين ايمانه ما صدق به ما علمه بفهم سمعه وادراك خبره ان ما يفتنى آخوه كانه لم يكن وما يبق آخوه كانه لم يزل كان من المتفكرين فى مثل هذه الآسى المشاهدين لها كما قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة (وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة فى الحال عليه وكونه مقهورا فى يد الشيطان واما لاغتراره بجوارع الشيطان فى التسوية يوما بعد يوم الى حين (الى أن يختطفه الموت ولا يبقى الا الحسرة بعد الفوت) ومن دامت غفلته عظمت فى الآخرة حسرته ونحسارته ألم تسمع الى قوله تعالى أولئك هم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون مع قوله وأنبذهم يوم الحسرة اذ قضى الامر بهم فى غفلة فهذه صفات الجاهلين وأحلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجود عدم اليقين ومعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم فن دخل فى بعض مدارخلهم ووقع به التهديد والوعيد والخوف الشديد لهم فى قوله مخبر عنهم من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآيات وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بالذين هم عن آياتنا غافلون فما أعظم حسرة الفوت على من خسرها ربحه الزاهدون بعد الموت (والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى والمراب الدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى تخبر عنهم وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقتننا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فأنكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فعند هاريج الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون (والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل) اذ وصف فارون فخرج على قومه الى قوله (وقال الذين أوتوا العلم) فجعل أهل الزهد علماء (ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون (فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة فى محبوب عن أحب منه قال رجل فى دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أرىها) (ولكن قل) اللهم (أرني الدنيا كما أرىها الصالحين من عبادك) ولفظ

حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما اشترى الله تعالى باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاة فهو من الزاهدين وهذا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فاذا كان العوض واحدا والجنة ذكرفى المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه اعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد فى الدنيا اذ ليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لانه نهاية الخير فصار نهيا لها عن الهوى الذى هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا سوء كله فن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرهابا بالسوء واذالم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعا واذالم يبعها لم تكن مشتراة (ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فن باع حياة نفسه وفرق بمجموع ماله فاشترى المولى الكريم منه فعوضه داره واسكنه عنده فى جواره فقد ربح بصفقته واهتدى بسبيله فابحان الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التى هي الهوى ولدخول اليقين على ايمان التصديق (فليس يحتاج من العلم فى الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى) وصفها بالخيرية لبعائهم فى المال ونسخها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال والله خير وأبقى فاذا شهد العبد بيمين قلبه ويقين ايمانه ما صدق به ما علمه بفهم سمعه وادراك خبره ان ما يفتنى آخوه كانه لم يكن وما يبق آخوه كانه لم يزل كان من المتفكرين فى مثل هذه الآسى المشاهدين لها كما قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة (وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة فى الحال عليه وكونه مقهورا فى يد الشيطان واما لاغتراره بجوارع الشيطان فى التسوية يوما بعد يوم الى حين (الى أن يختطفه الموت ولا يبقى الا الحسرة بعد الفوت) ومن دامت غفلته عظمت فى الآخرة حسرته ونحسارته ألم تسمع الى قوله تعالى أولئك هم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون مع قوله وأنبذهم يوم الحسرة اذ قضى الامر بهم فى غفلة فهذه صفات الجاهلين وأحلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجود عدم اليقين ومعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم فن دخل فى بعض مدارخلهم ووقع به التهديد والوعيد والخوف الشديد لهم فى قوله مخبر عنهم من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآيات وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بالذين هم عن آياتنا غافلون فما أعظم حسرة الفوت على من خسرها ربحه الزاهدون بعد الموت (والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى والمراب الدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى تخبر عنهم وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقتننا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فأنكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فعند هاريج الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون (والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل) اذ وصف فارون فخرج على قومه الى قوله (وقال الذين أوتوا العلم) فجعل أهل الزهد علماء (ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون (فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة فى محبوب عن أحب منه قال رجل فى دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أرىها) (ولكن قل) اللهم (أرني الدنيا كما أرىها الصالحين من عبادك) ولفظ

وهـ لان الله تعالى براها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة حقير والعبد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السك في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة (٢٢١) و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره والزاهد

هـ والذى يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره * وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهى الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين فى الاخذ والترك فليس يتشرب بيعه الذى يبيع به فان الذى يابعه بهذا البيع وفى باعه دفن سلم حاضراً فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه وبالعهود ومادام ممكن كاللدينا ليصبح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف

القوت كما براها الصالح من عباده وقال العراق ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبداً ولم يخرج له ولده (وهذا لان الله تعالى براها حقيرة كما هي) ولذلك لم ينفار اليها منذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا (وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة) وكبريائه وعظمته (حقير والعبد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السك في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره) وفي نسخة و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره (والزاهد هو الذى يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره) وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال واطهار سر المكون معصية اذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه فسيحان من خص الشاهدين الذين عنده في طلبه بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيلة بشئ من علمه فأحاط علمهم بما شاء وأحاط لهم ما شاء ولذلك قال صاحب السر الذى عنده حقيقة الخبر لرجل الذى قال اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال لا تقل ثم ساق الحديث ثم قال فهذا على نحو ما أمر الآخر به اذ قال له أوصني قال استحي من الله كما تستحي من رجل صالح فهذا الذى يمكنه معرفته اذ كان حقيقة الحق ممنوعة وكنه صفاته الموجهة للعباد وغيره مخفية فرده الى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اه هذا ما يتعلق بأحد طرفي الحال وهو العلم ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذى هو العمل فقال (وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو أدنى) هو تذكير الدين من الدناءة وهى الخساسة (فكأن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهى الدنيا بأسرها) أى بنماها (مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين فى الاخذ والترك فليس يتشرب بيعه الذى يبيع به فان الذى يابعه بهذا البيع وفى باعه دفن سلم حاضراً فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه وبالعهود ومادام ممكن كاللدينا ليصبح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله أخوة يوسف (عليه السلام) بالزهد في بنيامين) وهو أخو يوسف لانه قد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضاً لخل لهم وجه أبيهم منهم ما لم يسمع الى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابغاده كما عزموا على يوسف) فقد جاء في الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أحاهم معه في الحب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهودا تشفع فيه ورجه ومنعه وكان شديداً بينهم منيعاً مهيأ فيهم وقد قيل في السير ان أحاهم الا كبير روييل هو واستوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه ساق وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه ايها ما معافوه وبهواه ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيه مامن الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه) من الحب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

(٤١ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) ليصبح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابغاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج

فان أخرجت عن اليد بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر (٣٢٢) على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك أن الدنيا وان لم تاتك

الشيء موجودا عندك وأنت تمسكه لنفسك ثم قوهمت انك زاهد فيه لخواطر الارادة أو لارادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك اياها زاهدا (فان أخرجت عن يدك بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد) فان زهدك فيما لا تملك غير جائز وكذا الزهد في معدوم باطل وكان التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه (لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه) ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يوهم ويشبه والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة (وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجعل غروره دون أن تستوثق أو تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها) لان للنفس بدوات لما أطبعت عليه من الشهوات والمال والتقلبات وحب المتعة بالموجود وادخار المحصول فلا تجعل ظنا معدوما كيقين موجود (فكم من طان بنفسه كراهة المعاصي وبغضها عند تعذرها) أو تعذر أسبابها (فاذا تبسرت له أسبابها من غير) مانع (مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذ كان هذا غرور النفس في المحظورات) التي الترتك عنها عبارة عن التوبة (فاياك أن تثق بوعدها في المباحات) الذي الترتك عنها عبارة عن الزهد ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهو ان لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقدته وتكون معتبطا بعدمك مسرورا بفقدك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله راض به عن الله بما لك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا فكان لك باحده هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر (والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف) أي الموانع (والاعذار ظاهرا وباطنا) وتلك الاعذار تختلف باختلاف الاشخاص والازمان (فلا بأس ان تثق بها وثوقا تاما) أي أدنى وثوق (ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع) فانها أطبعت على الشهوات والمال والتقلبات (وبالجمله فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سني الحفظ جد امان سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (ابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تلميذا ومسلما وأبو داود والنسائي وابن ماجه (الآثرى الى هذا ابن الحائك لا نفقي في مسألة الارد عليا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهر بـ منها) كأنه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما ما تولى قضاء الكوفة واماها الامام وضرب وامتنح لذلك واقعد انصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائمًا يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سماح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سر ومقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا ولو علمنا في أي شيء يحببناه لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو اننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود

فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجعل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من طان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تبسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذ كان هذا غرور النفس في المحظورات فإياك أن تثق بوعدها في المباحات والموانع الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا وثوقا تاما ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجمله فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (ابن شبرمة) لا نفقي في مسألة الارد عليا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهر بـ منها

منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا ولو علمنا في أي شيء يحببناه لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو اننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله

رضي الله عنه (قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل) قال العراقي لم أقفله على أصل
 اه قات سياق هذه العبارة في القوت قال وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنوناً بهم
 حب الباقي الاعلى حتى نزلت ألم ترالى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
 عليهم القتال اذ افرق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا
 تنفعون كانوا قالوا انما نخبر بنا ولو علمنا في أي شيء نحبته لنعلمناه فلذلك قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا
 تنفعون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكذلك قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين نزلت ولولا ان كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
 ابن مسعود قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فأنت منهم أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اه ففي
 سياق المصنف سقط ظاهر بيينه سياق القوت ولذلك قال العراقي لم أقفله على أصل أي لأصل لهذه القصة
 في نزول قوله تعالى ولولا ان كتبنا عليهم الآية وسياق صاحب القوت صحيح فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم
 وابن مردويه عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله دلنا على
 أحب الاعمال ففعل به فاحبر الله نبيه ان أحب الاعمال ايمان بالله لا سلك فيه وجهاد أهل معصيته الذين
 خالفوا الايمان ولم يقر به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط
 قال كان عبد الله بن ربيعة واحدة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالى فيفسحوا الذكر واشتاقوا فقالوا لو تعلم الذي
 هو أحب اليك فعلناه فأنزل الله تعالى هذه الآية الى قوله مرصوص فلما كان يوم مؤتة وكان ابن ربيعة أحد
 الامراء نادى في القوم يا أهل الجاهل المجلس الذين وعدتم بكم قولكم لو تعلم الذي هو أحب اليك فعلنا ثم تقدم
 فقاتل حتى قتل وروى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية عند قولهم والله لو
 تعلم أحب الاعمال لفعلناه فدلهم على أحب الاعمال اليه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا لو كان تعلم
 أحب الاعمال الى الله فنزلت هذه الآية وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال نزلت في نفر من
 الانصار منهم عبد الله بن ربيعة واحدة قالوا في مجلس لهم لو تعلم أي عمل أحب الى الله لفعلناه حتى غوت فقال ابن
 ربيعة لا أبرح حبساً حتى أموت فقتل شهيداً ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه وروى ابن أبي
 حاتم عن مقاتل قال قال المؤمنون لو تعلم أحب الاعمال الى الله لفعلناه فدلهم على أحب الاعمال فقال ان
 الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً فيهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين
 فأنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (وقال ابن مسعود أيضاً) ما عرفت ان
 فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة (ولفظ القوت
 ما أحسب ان فينا أحداً يريد الدنيا حتى نزلت وقال العراقي واه البهق في الدلائل باسناد حسن) واعلم
 انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والجود والفتوة (وعلى سبيل استمالة القلوب ولا
 على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وانما الزهد ان تترك
 الدنيا لعلك بحقايرها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهداً (والثناء والطيب
 (وميل القلوب) اليه بالمحبة (من حظوظ العاجلة) أي الدنيا (وهي ألدواهن من المال وكان ترك المال
 على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة
 والسخاء) والبذل (واستئقالاته) لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلطين
 والاغنياء ليس من الزهد أصلاً بل هو استعجال حظ آخر لنفسه في الدنيا ولفظ القوت من جاد بما له الله
 كان زهداً فيه لوجه الله ووقع أجره على الله ومن جاد بما له لاجل الناس كان أيضاً زهداً في ذلك وصوفاً

قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل
 قال وما عرفت أن فينا من
 يحب الدنيا حتى نزل قوله
 تعالى منكم من يريد الدنيا
 ومنكم من يريد الآخرة
 واعلم انه ليس من الزهد
 ترك المال وبذله على سبيل
 السخاء والفتوة وعلى سبيل
 استمالة القلوب وعلى سبيل
 الطمع فذلك كله من
 محاسن العادات ولكن
 لا مدخل لشيء منه في
 العبادات وانما الزهد ان
 تترك الدنيا لعلك بحقايرها
 بالاضافة الى نفاسة الآخرة
 فاما كل نوع من الترك فانه
 يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة
 وفتوة وسخاء وحسن خلق
 ولكن لا يكون زهداً اذ
 حسن الذكر وميل القلوب
 من حظوظ العاجلة وهي
 ألدواهن من المال وكان
 ترك المال على سبيل السلم
 طمعاً في العوض ليس من
 الزهد فكذلك تركه طمعاً
 في الذكر والثناء والاشتهار
 بالفتوة والسخاء والحاجة الى
 التذلل للسلطين والاغنياء
 ليس من الزهد أصلاً بل هو
 استعجال حظ آخر لنفسه

بل الزاهد من أتته الدنيا
راغبة صفوا عفا وهو قادر
على التمتع بهم من غير نزع
جاء وقبح اسم ولا فوات حظ
لأنفس فتركها خوفا من
أن يأنس بها فيكون آتسا
بغير الله وبحب الماسوي الله
ويكون مشركا في حب الله
تعالى غيره أو تركها طمعا
في ثواب الله في الآخرة فترك
التمتع بأثر به الدنيا طمعا
في أشربة الجنة وترك التمتع
بالسراري والنسوان طمعا
في الحور والعين وترك
التفرج في البساتين طمعا
في بساتين الجنة وأشجارها
 وترك التزين والتجمل بزينة
الدنيا طمعا في زينة الجنة
 وترك المطاعم اللذيذة طمعا
في فواكه الجنة وخوفا من
أن يقال له أذهبتم طبيعتكم
في حياتكم الدنيا فأتى
جميع ذلك ما وعد به في الجنة
على ما تبسر له في الدنيا عفا
صفوا العلم بان ما في الآخرة
خير وأبقى وأنما سوى هذا
فمسايلات دنيوية لا
جدوى لها في الآخرة أصلا
* (بيان فضيلة الزهد) *

بالسكنا والمكن ذلك لنفسه ولاجل هواه فهو موصوف بظاهر المروعة وبمعنى الفتوة ولا أجله اذ لم يكن من
عمال الله فبطل أجره لانه عمل لاجل نفسه لا لوجه ربه وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضا له من حرث
الآخرة لان هذا حرث الدنيا فلم يكن له في الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الراجح الذي أرى في أموال
الناس لانه عمل لاجل الناس ففنى نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة اذ لم يحتسبه لفناء الدنيا
وأهلها لانه عمل لاجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم والباقيات الصالحات ما يراد به الباقي
يبقى ببقائه لصالحى أوليائه وكان ابن مالك يقول ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقا الا في شيء وأنه ما حظرت
القراءة شيئا الا فحشته الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجه الناس
ومدحهم وقد كان أستاذنا سفيان الثوري يقول من لم يحسن يتقنى لم يحسن يتقنى أى من لم يعرف أحكام
التقنى فيقوم به ويصبر عليه ويراعى حسن الادب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقوى ولم
يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارئ (بل الزاهد من أتته الدنيا راغبة صفوا عفا وهو قادر على
التمتع بهم من غير) مانع من (نقصان جاء وقبح اسم) بسببها (ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان
يأنس بها) ويحبها (فيكون آتسا بغير الله وبحب الماسوي الله ويكون مشركا في حب الله غيره أو تركها
طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأثر به الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري
والنسوان طمعا في الحور والعين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين
والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له
أذهبتم طبيعتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فأتى جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تبسر له في الدنيا
عفا صفوا) من غير تعب (العلم بان ما في الآخرة خير وأبقى) وما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى آخره
كانه لم يزل (وانما سوى هذا فمسايلات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا) والله الموفق * (تنبيه) *

اعلم ان الزهد على قسمين مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو
من عقود الايمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة وكلما ازدادت تركا
للدنيا ازدادت بالله معرفة والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يبحث على الفراغ لارقات الواجبات وهو
لعمري سبب لا قامة الاخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات فلا يقدر على ترك جملة من الشرور والظواهر
والباطنة الا بترك الدنيا الا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لاجل نفسه والمباحات منهى عنها لادائها
الى ما ذكرنا في الغالب ومن أهل التمكن من يعطى قوة تدبر بها العلمين ولا يشغله شيء عن الله ففهم من وصل
الى هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد وهو المسمى مریدا ومنهم من وصل اليه بنفسه نفع الرحمة
في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الامر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مرادا
وكل منهما مراد الا أن هذا مراد بوسائل كثيرة وهذا مراد بغير واسطة وقد أخبر الله عن كلا الحالين
فقال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وينبغي ان يجري بينهما الخلاف الجارى في التفاضل
بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقى هذا اذا اتحدت المعرفتان فان اختلفتا كانت
الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم

(قال الله تعالى) اذ وصف قارون (خرج على قومه في زينته) من خيول وبغال وعلمان عليهما ربة حسنة من
أصفر وأحمر وأخضر (الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا
ولا يلقاها الا الصابرون (فنسب الزهد الى العلماء) أى سماهم كذلك لخصوصهم وشرط له الصبر (ووصف
أهله بالعلم) اذ جاء في التفسير ان المراد بهم الزاهدون في الدنيا (وهو غاية الثناء) ونهاية المدح وهذه الآية
كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين (وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وجاهدوا في التفسير)
صبروا (على الزهد في الدنيا) وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم بما صبرتم قبل

قال عز وجل اناجعلنا ما على

الارض زينة لها لنبلوهم
أهم أحسن علقا قلى معناه
أهم أزهدهم أوصف الزهد
بانه من أحسن الاعمال
وقال تعالى من كان يريد
حرا الآخرة نزله في حراثة
ومن كان يريد حرا الدنيا
نوته منها وما له في الآخرة
من نصيب وقال تعالى ولا
تعدن عينك الى ما متعناه
أزواجهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وأبقى وقال تعالى الذين
يستحبون الحياة الدنيا على
الآخرة فوصف الكفار
بذلك ففهموه أن المؤمن
هو الذي يتصف بنقيضه
وهو أن يستحب الآخرة
على الحياة الدنيا * (وأما
الاخبار) * فصار دمرها
في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا
بعضها في كتاب ذم الدنيا
من ربيع المهلكات اذبح
الدنيا من المهلكات ونحن
الاثن نقصر على فضيلة
بعض الدنيا فانه من المنجيات
وهو المعنى بالزهد وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه الدنيا شئت
الله عليه أمره وفرق عليه
ضعفته وجعل فقره بين عينيه
ولم ياته من الدنيا الا ما كتب
له ومن أصبح وهمه الآخرة
جمع الله له همه وحفظ عليه
ضعفته وجعل غناه في قلبه
وأنته الدنيا وهي راحة
وقال صلى الله عليه وسلم اذا

على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال
الذين أوثوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أي عن
زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها قال في مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم
مرتين بمصابروا فقد حصل للزاهد أمران بصره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على
الغنى لو جود فقره وعدم زهده فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين بفضل الأخرى على
مقام الرجا اذا الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك قال عيسى عليه
السلام خشية الله وحجب الفردوس بيباعدان عن زهرة الدنيا بورثان الصبر على المشقة فجعل الخشية لله
تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا بورثانه وبسهلان الصبر على شداها يشار المحبة لله على محبة
نفوسهم فيها وخيفة من الله ان يحاسبهم على التكاثر منها (وقال عز وجل اناجعلنا ما على الارض) من
المعادن والجواهر والنبات (زينة لها لنبلوهم أهم أحسن علقا قلى معناه أهم أزهدهم فيها) رواه ابن أبي
حاتم عن سفيان الثوري ورواه عن الحسن فقال أهم أشد تركا للدنيا (فوصف الزهد بانه من أحسن
الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرا الآخرة نزله في حراثة ومن كان يريد حرا الدنيا نوته منها وما له
في الآخرة من نصيب) معنى نزله في حراثة أي لانحاسبه بما نعطيه منها بعد ان لا يدها وان لا يكون
من همه فساد دخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة فهذا مجاز الدنيا لان الرزق لا يزداد ذرة
على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له مجازا على زهده فيها وحري بحري المكافاة لخروج همه منها
(وقال تعالى ولا تعدن عينك الى ما متعناه أزواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
وأبقى) فأمره بان لا يمد عينه الى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد ووصف رزق الآخرة بما وصف به
نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء وقال تعالى الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة قد (وصف الكفار بذلك ففهموه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان
يستحب الآخرة على الحياة الدنيا) فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بنطوقها ومفهومها (وأما الاخبار
فصار دمرها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربيع المهلكات اذبح الدنيا من
المهلكات) اذ هو أس الخطايا (ونحن الاثن نقصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من المنجيات) فناسب
إبراده هنا (وهو المعنى بالزهد) أي وهو المراد به اذا أطلقوا اللفظة (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضعفته) أي عياله وما يخاف عليه من الضياع (وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه
ضعفته وجعل غناه في قلبه وأنته الدنيا وهي راحة) وان لم يرها قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث زيد بن
نايث بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اه قلت حديثه رواه أيضا ابن النجار
ولفظه من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضعفته فيصبح غنيا وعسى
غنيا ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها فاشا الله ضعفته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيرا وعسى فقيرا (وقال صلى
الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة) قال العراقي
رواه ابن ماجه من حديث أبي خلد بسند فيه ضعف اه قلت لفظ ابن ماجه اذا رأيتم الرجل قد أعطى
زهدا في الدنيا وقله منطق فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية
والبيهقي وابن عساكر ورواه أيضا الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة وقال القشيري في الرسالة
أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني حدثنا أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد
حدثنا جعفر بن مشاجع حدثنا زيد بن اسمعيل حدثنا كثير بن هشام حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى
ابن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلد وكانت له محبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد

رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة

أوتى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فاقتر بؤامسه فانه يلقي الحكمة انتهى أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام بن يحيى بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد وأخرجه ابن منده من طريق هشام بن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له حجة وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان أبو فروة لا يعرف وايس هو الجزري قال الحافظ قد ذكر البخاري ان أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري ورجح البخاري ان الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه وكانت له حجة ولم يذكر تسميته ووقع في رواية لابن أبي عامر عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فهذا الخبر الكثير هو ظاهر عطاء الزاهد من قوله فكيف يباطن عطاياهم ونهايته (ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا (أي يبغضها) (ويحب الآخرة) قال العراقي رواه ابن ماجه بأسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن قنبر قال قيل لرسول الله فن على أثره وقد تقدم رواه هذه الزيادة بالاسناد المذكور الخرائطي في مكارم الاخلاق اه قات لفظ الخرائطي خير الناس ذوالقلب الخمووم واللسان الصادق قيل قد عرفنا اللسان الصادق في القلب الخمووم قال هو النقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا حسد قيل فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وهكذا رواه الحكم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسل وقد تقدم في ذم الدنيا وأورده صاحب القوت ثم قال والشئ يعرف بضده كما يعرف بمثله فضعف الشئ المحبة وضده الزهد الرغبة (ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا) وان الراغب فيها هو المحب لها كيف (و) قد قال صلى الله عليه وسلم ان أردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بن مسعود ضعيف نحوه وقد تقدم قلت كانه يشير الى حديث سهل بن سعد ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس هذا الذي رواه ابن ماجه ورواه أيضا الطبراني والحاكم ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم (فجعل الزهد سبيلا للمحبة) أي محبة الله التي لا مثل لها (فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا هكذا في النسخ وقد قال العراقي لم أجده أصلا قلت والحديث منزل من أصله وصوابه الإيمان والحياة يجولان في القلوب كل ليلة فاذا صادقا قلبا فيه الزهد والورع أقاما فيه والارتحلا وهكذا أورده صاحب القوت غير انه قال بطوفان بدل يجولان ثم قال وكأنه أراد به هذا محض الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعينة والحياة الذي هو نظر المشاهدة ان وجود ذلك على حقيقته في مكان

وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبيلا للمحبة فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا

شرطاً للاسلام وهو التجاني وهو الزهد جعله (شرطاً للاسلام) أي لحقيقته (وهو التجاني عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفر يابن وابن أبي شيبة وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور ومن ولد جعفر بن أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشر له قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال نعم قال نعم الأمانة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضل بن رجاس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال إذا أراد الله بعبد خيراً أقذف في قلبه النور فانه يفتح لذلك صدره فقال يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجاني عن دار الغرور والأمانة إلى دار الخلود وحسن الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكرك الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي عمير وابن السكيت وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتابي الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا أناستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تآكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بأسناد ضعيف اهـ قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها إنما قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الاستحيون قالوا مم ذلك يا رسول الله قال تجمعون مالا تآكلون وتبنون مالا تعمرن وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منبته رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا) أنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرضا والرضا بواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تآكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنكم ترحلون فجعل الزهد تكملة لإيمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلاه إلا الله لا يخلط به غيره وجبت له الجنة فقال على كرم الله وجهه فقال نأبي أنت وأمي يا رسول الله مالا يخلط به غيره صفة لنا فسر لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلاه إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة

هو الزهد جعله (شرطاً للاسلام) أي لحقيقته (وهو التجاني عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفر يابن وابن أبي شيبة وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور ومن ولد جعفر بن أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشر له قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال نعم قال نعم الأمانة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضل بن رجاس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال إذا أراد الله بعبد خيراً أقذف في قلبه النور فانه يفتح لذلك صدره فقال يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجاني عن دار الغرور والأمانة إلى دار الخلود وحسن الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكرك الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي عمير وابن السكيت وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتابي الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا أناستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تآكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بأسناد ضعيف اهـ قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها إنما قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الاستحيون قالوا مم ذلك يا رسول الله قال تجمعون مالا تآكلون وتبنون مالا تعمرن وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منبته رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا) أنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرضا والرضا بواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تآكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنكم ترحلون فجعل الزهد تكملة لإيمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلاه إلا الله لا يخلط به غيره وجبت له الجنة فقال على كرم الله وجهه فقال نأبي أنت وأمي يا رسول الله مالا يخلط به غيره صفة لنا فسر لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلاه إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة

فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبتها حالها فاستبدل بها الرغبة في الآخرة فسارع اليها بقصد هربه من الدنيا ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقق بإرادة الآخرة وسعى لها سعيها المار كبطريقها وصار ابن سبيلها فوجب حقه على الراغبين في الدنيا كما وجب حق ابن السبيل الذي ركب الطريق فتدبر (وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والنجل من الشك ولا يدخل الجنة من شك) قال صاحب القوت ورواه في خبره مقطوع وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولده في مسنده وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل مخنى أحب إلى الله من عبد النجيل رواه الترمذي وقال غريب الدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي والخراطي في مكارم الأخلاق والخطيب في كتاب ذم الجلاء من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطني له طرق ولا ثبت منها شيء قال السيوطي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم النجل قال صاحب القوت الخبر الأول منسرا للخبر الجميل الثاني بآي معنى كان السخى قريبا من الله لأن السخاء من اليقين والسخى موقن فصار من المقربين وبآي معنى كان النجل بعيدا من الله بعيدا من الناس قريبا من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من المبعدين فالسخاء أيضا وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخي لأنه لما زهد في الدنيا سخط نفسه بها وطابت عنها إلا استبدالها بالتواضع عنها (والنجل غرة الرغبة في الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحرير ص لا نجلا ولا يكون النجل زاهدا (و) قد يكون (السخاء) سبيلا للزهد إذا سخط نفسه عن الشيء زهدت فيه كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره فصار السخاء (غرة الزهد) فنفس الزهد سخاء وعين النجل رغبة (والثناء على الثمرة ثناء على الثمر لا بحاله وروى) (عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام) وألفظ القوت وبصره داءها ودواءها فبنوا الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معارف الداء فبرئ ولا ترى ذلك قبل نور الحكمة وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى إذ لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديته وزاد في موضع آخر ومن حرص عليها توهه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها هلكه وقال العراقي لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسل وابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أحرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكروا رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصر من حديث أبي أيوب من أخلص لله الحديث وكلها ضيقة انتهى قلت حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريبا ما حديث أبي أيوب من أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب ورواه هنادي الزهد وأبو نعيم أيضا عن مكحول مرسل وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هموا واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي) (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشت الناقة مشددا فهي عشراء أتى على حلالها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولانالت لهما وأما الحفل فهي جرح حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضا وأصله في الشاة وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم) وأنها داء أكرمها عليهم (لأنها تجمع الظاهر

وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والنجل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل مخنى أحب إلى الله من عبد النجل رواه الترمذي وقال غريب الدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي والخراطي في مكارم الأخلاق والخطيب في كتاب ذم الجلاء من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطني له طرق ولا ثبت منها شيء قال السيوطي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم النجل قال صاحب القوت الخبر الأول منسرا للخبر الجميل الثاني بآي معنى كان السخى قريبا من الله لأن السخاء من اليقين والسخى موقن فصار من المقربين وبآي معنى كان النجل بعيدا من الله بعيدا من الناس قريبا من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من المبعدين فالسخاء أيضا وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخي لأنه لما زهد في الدنيا سخط نفسه بها وطابت عنها إلا استبدالها بالتواضع عنها (والنجل غرة الرغبة في الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحرير ص لا نجلا ولا يكون النجل زاهدا (و) قد يكون (السخاء) سبيلا للزهد إذا سخط نفسه عن الشيء زهدت فيه كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره فصار السخاء (غرة الزهد) فنفس الزهد سخاء وعين النجل رغبة (والثناء على الثمرة ثناء على الثمر لا بحاله وروى) (عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام) وألفظ القوت وبصره داءها ودواءها فبنوا الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معارف الداء فبرئ ولا ترى ذلك قبل نور الحكمة وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى إذ لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديته وزاد في موضع آخر ومن حرص عليها توهه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها هلكه وقال العراقي لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسل وابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أحرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكروا رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصر من حديث أبي أيوب من أخلص لله الحديث وكلها ضيقة انتهى قلت حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريبا ما حديث أبي أيوب من أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب ورواه هنادي الزهد وأبو نعيم أيضا عن مكحول مرسل وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هموا واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي) (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشت الناقة مشددا فهي عشراء أتى على حلالها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولانالت لهما وأما الحفل فهي جرح حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضا وأصله في الشاة وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم) وأنها داء أكرمها عليهم (لأنها تجمع الظاهر

واللحم واللبن والوبر ولعظمهم اني قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقبيل له
بارسول الله هذه انفس اموالنا لم لاتنظر (٣٣٠) البها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به

للكروب عليها (والحم) لا كلهم (والبن) لشر بهم (والوبر) للبسمم وكثهم والولد فهي خمسة وهي الراحلة من الابل التي ضرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة فان التي تجمع هذه الخمس من الابل الجولة قليل فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع (ولعظمها في قلوبهم - قال الله تعالى) في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها اذا الشمس كورت (واذا العشار عطلت) علمت نفس ما حضرت يعني يومئذ تشهد ما قدمت من مثاقيل النرمن الخير والشر (قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أعني عن العشار الحوامل (وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفاس أموالنا) وكرائمها عرضت عنها (لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتنعابه الآية) وتعامها أرواها منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق بلخير وأبقي هكذا أورده صاحب القوت بعد ان قال وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره الى أبناء الدنيا مما تاملوا لهم وأخبر ان ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم وأعلمه إن الزهد والقناعة خير وأبقى تنظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتنعابه الآية وفي خبر أنه صلى الله عليه وسلم فساقه وقال العراقي لم أجده أصلا قلت وروي عبد بن حديد وابن أبي حاتم عن قتادة قال واذا العشار عطلت أي سبها أهلها أنا هم ما مشغلهم عنها فلم تصرو ولم تجلب ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها وروي ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة انه كان اذا دخل على اهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع الى أهله فدخل الدار قرأ ولا تمدن عينيك الى قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة وحكم الله وقال صاحب القوت بعد ان آورد قصة العشار وبمعناه روي في الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر في الحوار بين علي شجرة خضرة نصرته تحتها غدر فنظروا اليها فاعرض هو فلم ينظر فلما جاوزها قال بحق أقول لكم لقد نقض من عقولكم بمقدار نظركم الى الدنيا (وروى عن مسروق) بن الاجدع الهمداني التابعي الكوفي (عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله في طعامك قالت وبكى لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت رب أن يجري معي جبال الدنيا ذهبالا حرا حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقير الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تتبعني لمحمد ولا لأل محمد يا عائشة ان الله لم ير ضلولا في العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته وانى والله لا صبرن كما صبروا ويجهدى ولا قوة الا بالله) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا ان الله لم ير ضلولا في العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومجالد مختلف في الاحتجاج به (وروى عن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها) بأبت (البس لين الثياب اذا وفدتك عليك الوفود من الآفاق ومن بصنعة طعام تطعمهم) أي تأكله (وتطعم من حضر) منهم (قال عمر يا حفصة ألست تعلمين ان أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الاجاعوا عشية ولا شبعا وعشية الاجاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله

الآية ورؤى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجرى معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تتبعي لحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكافئني ما كافهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا ويحجى ولا قوة إلا بالله وروى عن عمر رضي الله عنه أنه حين فزع عليه الفتوحات قال لله ابنته حفصة رضي الله عنها البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة أأستعملين أن أعلم الناس بحال الرجل

اهل بيته فقالت بلى قال فاشد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع عليه هو ولا اهل بيته غيرة الا جاعوا عشيبة ولا شبعوا عشيبة الا جاعوا غيرة وما شد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فزع الله عليه خيبر وما شد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع عليه

عليه وسلم قرئتم اليه
 يوما طعاما على مائدة فرغت
 ارتفاع فشق ذلك عليه
 حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة
 فرفعت ووضع الطعام
 على دون ذلك ووضع على
 الارض وناشدت الله هل
 تعلمين ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان ينام على
 عبادة مثنية فنبت له ليلة
 أربع طاقات فنام عليها
 فلما استيقظ قال منعموني
 قيام الليلة بهذه العبادة
 انتموها باثنتين كما كنتم
 تنتمونها وناشدت الله هل
 تعلمين ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان يضع ثيابه
 لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه
 بالصلاة فلم يجد ثوبا يخرج
 به الى الصلاة حتى تجف
 ثيابه فيخرج به الى الصلاة
 وناشدت الله هل تعلمين أن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم صنعت له امرأته
 بني تفسر كساء من ازارا
 ورداعو بعثت اليه باحدهما
 قبل أن يبلغ الاخر فخرج
 الى الصلاة وهو مشتمل به
 ليس عليه غيره قد عقد
 طرفيه الى عنقه فصلى كذلك
 فما زال يقول حتى أبكاه
 وبكى عمر رضي الله عنه
 وانتخب حتى ظننا أن نفسه
 ستخرج وفي بعض الروايات
 زيادة من قول عمر وهو أنه
 قال كان لي صاحبان سلكا
 طريقا فان سلكت غير
 طريقهما سلك بي طريق غير
 طريقهما واني والله سأصبر
 على عيشهما الشديد لعل
 أدركتهما معهما العيش الرغد

عليه وسلم قرئتم اليه طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرغت
 ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان ينام على عبادة مثنية فنبت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام
 الليلة بهذه العبادة انتموها باثنتين كما كنتم تنتمونها وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يضع قميصه فيغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف
 ثيابه فيخرج به الى الصلاة وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني
 تفسر (قيل من الانصار) كساء من ازارا ورداعو بعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى الصلاة
 وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك فما زال (يقول) له من هذا الجنس
 (حتى أبكاه) وبكى عمر رضي الله عنه وانتخب حتى ظننا ان نفسه ستخرج قال العراقي لم أجده هكذا مجموعا
 في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البراز من حديث ابن عمر بن حصين قال ما شبع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأهله غدا وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه وفيه عمر بن عبد العزري متروك الحديث
 وللمزمذى من حديث عائشة ما شبع من طعام في أشاء ان أبكي الا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي
 فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الدنيا والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن
 والشيخين من حديثهما ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخاري من
 حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الاكل وللمزمذى في الشمائل من حديث
 حفصة انهم اسلمت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم قالت مسح ثنيته بثنيته فينام عليه الحديث ولا بن
 سعد في الطبقات من حديث عائشة انهم كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عبادة باثنتين الحديث وتقدم
 في آداب المعيشة وللبراز من حديث أبي البرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل له الدقيق ولم يكن
 له الا قيص واحد وفيه سعيد بن مسيرة كذبه القطن وضعفه البخاري ولا بن ماجه من حديث عبادة بن
 الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد الغطار يقي في جزئه المشهور ففقدناه في عنقه ما عليه غيرها واسناده
 ضعيف وتقدم في آداب المعيشة (وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر) رضي الله عنه (وهو انه قال
 كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله سأصبر
 على عيشهما الشديد لعل أدركتهما معهما العيش الرغد) أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن
 سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سليمان بن خالد أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا زكريا بن محمد
 أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر الراعي أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنا عبد الوهاب بن علي
 السبكي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا جماعة قالوا أخبرنا ابن أبي عمير أخبرنا أبو الوفاء أنبأنا أبو الحسن
 المظفر أنبأنا ابن أعين أنبأنا إبراهيم بن خريم حدثنا عبد بن حمزة حدثنا محمد بن بشر عن اسمعيل بن أبي
 خالد عن أخيه عن مصعب بن سعد قال قالت حفصة لا يها قد أوسع الله الرزق فلوانك أكلت طعاما ألين
 من طعامك ولبست ثوبا ألين من ثوبك فقال سأخاصمك الى نفسك فجعل يذكرها ما كان فيه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وما كانت فيه من الجهد حتى أبكاه فقال قد قلت لك انه كان لي صاحبان سلكا طريقا
 واني ان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله لا شاركنهما في مثل عيشهما العلى ان أدرك
 معهما عيشهما الرخي وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن اسمعيل ورواه يزيد بن هرون عن
 اسمعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال قالت حفصة لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من
 ثوبك وأكلت طعاما هو ألين من طعامك فقد أوسع الله الرزق وأكثر من الخير فقال اني سأخاصمك الى
 نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يليق من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاه
 فقال لها أما والله ان قلت ذلك لك اني والله ان استطعت لا شاركنهما بمثل عيشهما الشديد لعل أدرك

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى (٣٣٢) الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة

وان كان أحدهم ليتبلى
بالقمل حتى يقتله القمل
وكان ذلك أحب اليهم من
العتاء اليكم وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما ورد موسى عليه
السلام ما مدين كانت
خضرة البقل ترى في بطنه
من الهزال فهذا ما كان قد
اختاره أنبياء الله ورسله
وهم أعرف خلق الله بالله
وبطريق الفوز في الآخرة
وفي حديث عمر رضي الله
عنه انه قال لما نزل قوله تعالى
والذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله قال صلى الله عليه
وسلم تبالي الدنيا تبالي دينار
والدرهم فقلنا يا رسول الله
نهما ما الله عن كثر الذهب
والفضة فأى شيء نذخر فقال
صلى الله عليه وسلم ليتخذ
أحدكم لسانا إذا كرا قلبا
شاكرا وزوجته الحقة تعينه
على أمر آخرته وفي حديث
حذيفة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آثر الدنيا على الآخرة
ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق
قلبه أبدا وفقر لا يستغنى
أبدا وحس لا يشبع أبدا
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يستكمل العبد
الايمن حتى يكون أن
لا يعرف أحب اليه من أن
يعرف وحتى يكون قلة
الشيء أحب اليه من كثرته

معهما عيشهما الرخي هكذا رواه أحمد في الزهد عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه معمر
عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد ان حفصة وابن مطيع وابن عمر كلوا عسرا فقالوا لو كانت طعاما طيبا
كان أقوى لك على الحق قال أكاسكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت انه ليس منكم الا ناصح ولكن
تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهم لم أدر كهما في المنزل قال وأصاب الناس سنة فمأكل كل
عام ثمنه ما ولا يميننا (وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة وان كان أحدهم ليتبلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان
أحب اليهم من العطاء اليكم) قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يوعظ الحديث دون قوله وان كان أحدهم ليتبلى بالقمل اه قلت وروى أحد
باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجي دما يوارى به عورته الا العباة يدريها (وعن
ابن عباس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ما مدين كانت
خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال) أي كان غالب طعامه من بقول الارض زهدا في الدنيا حتى ترى
خضرتها في جادة بطنه (فهذا ما كان اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز
في الآخرة) فيقتضي ان ما اختاره هو أعلى الدرجات وأفضل المقامات (وفي حديث عمر رضي الله عنه
انه لما نزل قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبالي
للدنيا تبالي للدينار والدرهم فقلنا ما الله عن كثر الذهب والفضة فأى شيء نذخر فقال صلى الله عليه وسلم
ليتخذ أحدكم لسانا إذا كرا قلبا شاكرا وزوجته صالحة تعينه على أمر آخرته (رواه الترمذي وابن ماجه
دون قوله تبالي للدينار والدرهم وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا قال العراقي وهو من حديث ثوبان وانما
قال المصنف انه حديث عمر لان عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال نتخذ كما في رواية ابن
ماجه وكرا والبراز من حديث ابن عباس (وفي حديث حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم) قال (من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقر لا يستغنى
به أبدا وحس لا يشبع أبدا) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده من حديث حذيفة ولا طبراني من
حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرب قلبه حب الدنيا التناط منها بثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحس
لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة انتهى قلت وتلك الزيادة الدنيا طالبة ومطالوبة فمن طلب
الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها زوقه ورواه
كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه ابن عساکر عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام
والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التناط قلبه منها بثلاث شغل لا ينقل عنه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا يبلغ
منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة (وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف
أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته) قال صاحب القوت وبناء من سلا
عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه قال العراقي لم أجده
استاذ اود كره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة من سلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون
قلة الشيء أحب اليه من كثرته وحتى يكون ان يعرف في ذات الله أحب اليه من أن يعرف في غير ذات الله
ولم يخرج له ولده في مسنده وعلي بن أبي طلحة أخرجه مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله
والحديث اذا مضى (وقال المسبح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تصمروها) هذا قد رواه
صاحب الفردوس من حديث ابن عمر الا انه قال قنطرة الآخرة ولم يذكر له سندا وأما قول عيسى عليه
السلام فآخريه أبو نعيم في الحلية في ترجمته هيب قال ابغى أن عيسى عليه السلام قال قبل أن يرفع يده
الحواريين اني قد كتبت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدى فإنه لا خير في دار قد عصى الله فيها ولا خير في دار

وقبل له يا بني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عز وجل عرض على ان (٣٣٣) يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب

ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاجدك وأنتي عابك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كنف سويق ولا سنفدقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فظففته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم ازمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرجع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره فأوحى اليه جبريل أن تواضع لله فقال بل نبيما عبدا لانا قد تقدم في ذم الكبير نخشعنا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعبد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعبوديه ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم ازهدي في الدنيا يحبك الله واهدي في ما في أيدي الناس يحبك الناس) ورواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ازهدي في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

لا تدرك الآخرة الا بتركها فاعبروها ولا تعمروها وأخرجه ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى عليه السلام يقول أعبروا الدنيا ولا تعمروها وهو في القوت بلفظ الدنيا فنظرة يعبر عليها الى الآخرة والباقي سواء (وقيل له يا بني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا وكيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا) قال صاحب القوت وروينا عنه في آخر قالوا اننا نريد أن نبني بيتا نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعا نبني فيه فقال تعالى واشوامعه فوقك على فنظرة فقال ابنوا ههنا فقالوا نبني على فنظرة وهي مدرجة للناس لا يدعوننا فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى وروى أحمد في الزهد عن سفیان الثوري قبيلى لعيسى عليه السلام الاتي بيتا قال ابني على طريق السبيل (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاجدك وأنتي عابك) رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفي القوت والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجري له الاودية مالا ويجعل له ذهب وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئا فاختار بحسن توفيق الله وعهده له الاحبال الى الله والاخير عند الله اذ قد ضمن له ان اعطاه لا ينقصه فلم يبق الا محبة الله فكانت آتو عنده من تركه نقضه فقال لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوما وأشبع يوما أجدك اذا شبع وأتضرع اليك اذا جعت (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كنف سويق ولا سنفدقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فظففته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم ازمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرجع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره فأوحى اليه جبريل أن تواضع لله فقال بل نبيما عبدا لانا قد تقدم في ذم الكبير نخشعنا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعبد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعبوديه ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم ازهدي في الدنيا يحبك الله واهدي في ما في أيدي الناس يحبك الناس) ورواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ازهدي في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

عليه وسلم لرجل ازهدي في الدنيا يحبك الله واهدي في ما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه من أراد ان يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا

كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال الرجل لسفيان اشتهى (٣٣٥) أن أرى عالماً زاهداً فقال ويحك تلك

ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان الجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهد من في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في ماسكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوأ خير لكم من ان تدبحوا فضيلاً) رواه ابو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن اجد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابو عمر الجرمي النخوي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شيء فأنظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وانه أعطاهما الجوائز ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه قالوا لي ان سألني وناقشني قال انما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم اعل عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقت ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً يوماً أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة ورزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشيء قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيئاً قط الا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

ابن نعيم الاشعري أو الكندي أبو عمر وأبو زرعة الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام روى له البخاري في كتاب الادب وأبو داود في كتاب القدر والنسائي (كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف قال والاخر يقول كفى من الذنوب التي لا نعتز منها ولا نتوب حبنا الدنيا ولا بناتها (وقال رجل لسفيان) الثوري (اشتهى ان أرى عالماً زاهداً) في الدنيا (فقال ويحك تلك ضالة لا توجد) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (للجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون) أي الملائكة الموكلون بالأبواب (يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل) الناس كلهم (الا الزاهد من في الدنيا والعاشقين في الجنة) أي المحبين لها (وقال يوسف بن اسباط) السبياني رحمه الله تعالى (أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في ماسكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطى ذلك كله) ترجم له أبو نعيم في الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشي (وروى ان بعض الخلفاء) من بني العباس (أرسل إلى الفقهاء بجوائز) أي عطايا (فقبلوها وأرسل إلى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه) يا ابتاه (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) أي من الخصاصة (فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت) أي اسنت وبجرت عن العمل (قيل لا تنتفعون بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوأ خير لكم من ان تدبحوا فضيلاً) رواه ابو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن اجد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابو عمر الجرمي النخوي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شيء فأنظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وانه أعطاهما الجوائز ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه قالوا لي ان سألني وناقشني قال انما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم اعل عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقت ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً يوماً أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة ورزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشيء قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيئاً قط الا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

كلمة ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار وقيل للحسن لم لا تغسل

ثيابه قال الامر اعجل من ذلك) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (قد حجت
 قلوبنا بثلاثة أعطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحب) الاول (الفرح بالموجود) الثاني
 (الحزن على المفقود) الثالث (السرو بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص) والحريص
 محروم (واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والمعجب
 يحبط العمل) نقله صاحب القوت وقال ابو نعيم في الحلية حدثنا ابو عمر وعثمان بن محمد العثماني حدثنا
 العباس بن احمد الرملي عن بعض اسيانه قال قال ابراهيم بن ادهم على القلب ثلاثة أعطية الفرح والحزن
 والسرو فاذا فرحت بالموجود فانت حريص والحريص محروم وساقه الى آخره كسابق صاحب
 القوت ثم قال ودليل ذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ثم قال صاحب
 القوت وهذان الوصفان هما أتم حال من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى
 على ما فاتته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما آتاه منها هو الذي لا يحزن
 على ما فاتته منها اذ هو نحوه والاسى على المفقود بعد الفرح بالموجود وهذان الوصفان هما غرة اليقين بما
 أمر به من ستر النصب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفية للنصيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى أولئك
 ينالهم نصيبهم من الكتاب ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى وانما لموفوهم نصيبهم غير منقوص كذلك كان
 أول الخبر عن فقد الاسى على القوت وترك الوجد بالفرح على ما لا يفوت فأول الكلام قوله ما أصابكم من
 مصيبة في الارض فهذا المنفصل عن النفس ولا في أنفسكم وهذا المتصل بالجسم الا في كتاب من قبل أن نبرأها
 نخلق النفس والمصيبة معاً ثم عقبه بقوله لكيلا تأسوا على القوت فيقطعكم الحزن عن الغيب ولا تفرح
 بما آتاكم بما قد كتب في الكتاب فيضلك السبب عن ولي الاسباب وهذا وصف عبد غير متمالك وسمي عبد
 قائم بحكم رب ونعت عبد موقن بحب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لخدمة الدنيا وقد فرغته معاينة
 الغيب عن الاشتغال بما يغني والله أعلم (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (ركعتان من زاهد قلبه خير
 وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمداً) رواه مسروق عنه كفاي القوت
 قلت وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط رواه
 أبو نعيم وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة
 من غير عالم وروى الشيرازي في الالقباب من طريق مالك بن دينار عن الحسن بن أنس عن علي رفعه
 ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله (وقال بعض السلف نعم الله علينا فيما صرف
 عنا) من الدنيا (أكثر من نعمته) علينا (فما صرف الدنيا) نقله صاحب القوت (وكأنه التفت الى معنى
 قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمونه من يضكم الطعام والشراب
 يخافون عليه فاذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدى الى الصفة أكبر منها في الاعطاء المؤدى الى السقم
 وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برحاء ولم
 يحزن على شفاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعب حتى لا يفرح من أربعة
 أشياء الجوع والعري والفقر والذل) نقله صاحب القوت ولفظه لا يصح التعب لا حد
 ولا

ذلك وقال ابراهيم بن ادهم
 قد حجت قلوبنا بثلاثة أعطية
 فلن يكشف للعبد اليقين
 حتى ترتفع هذه الحب الفرح
 بالموجود والحزن على
 المفقود والسرو بالمدح
 فاذا فرحت بالموجود
 فانت حريص واذا حزنت
 على المفقود فانت ساخط
 والساخط معذب واذا
 سررت بالمدح فانت معجب
 والعجب يحبط العمل وقال
 ابن مسعود رضي الله عنه
 ركعتان من زاهد قلبه خير
 له وأحب الى الله من عبادة
 المتعبدين المجتهدين الى
 آخر الدهر أبدا سرمداً وقال
 بعض السلف نعم الله
 علينا فيما صرف عنا أكثر
 من نعمته فيما صرف الدنيا
 وكأنه التفت الى معنى قوله
 صلى الله عليه وسلم ان الله
 يحمي عبده المؤمن الدنيا
 وهو يحبه كما تحمونه
 من يضكم الطعام والشراب
 يخافون عليه فاذا فهم هذا
 علم ان النعمة في المنع
 المؤدى الى الصفة أكبر منها
 في الاعطاء المؤدى الى السقم
 وكان الثوري يقول الدنيا
 دار التواء لا دار استواء
 ودار ترح لا دار فرح من
 عرفها لم يفرح برحاء ولم
 يحزن على شفاء وقال سهل
 لا يخلص العمل للمتعب
 حتى لا يفرح من أربعة
 أشياء الجوع والعري
 والفقر والذل

وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بين يمين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفتشون وجوههم تجرى (٢٣٧) دموعهم على خدودهم ينادون ربهم في

فكذلك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه * (بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه) *

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل (وهذا يسمى المتردد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت أن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحها وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة أن من أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعا من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه وليكرهه النفس واكرهها اه (والمتردد) غير الزاهد فان المتردد (يذيق أولاً نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) بإخراج المرغوب منه (والزاهد أولاً يذيق كسبه) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيق نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمتردد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمتردد على خطر) لا يأن من على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وجعله طاعة مع القدرة (لا استحقاقه) أيها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده و يلتفت إليه) لانه ترك شيئا عظيما يرى البائع المبيع و يلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده و يظن انه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم

ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء والباقي سواء (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا) إذا (أقبل) عليهم (لا يأسفون على شئ منها) إذا (أدبر) عنهم (ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب) فضلا عن أن تكون مساوية له (كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة) أو أقل أو أكثر (لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بين يمين الأرض شيئا) ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط) وانما يأكل كل ما وجد ويسر (فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم) في العبادة (يفتشون وجوههم) تذلا (تجري دموعهم على خدودهم) تخوفا (يناجون ربهم في فكذلك رقابهم) من النار (كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها) حيث أنعم الله عليهم بها (وسألوا الله أن يقبلها) منهم (وإذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك) الحال والدؤب (ووالله ما سلموا) مع ذلك (من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة) رحمة الله عليهم ورضوانه والله الموفق *

(بيان درجات الزهد وأقسامه) * وذلك (بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه اعلم) وفق الله تعالى (أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة) وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل (وهذا يسمى المتردد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت أن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحها وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة أن من أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعا من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه وليكرهه النفس واكرهها اه (والمتردد) غير الزاهد فان المتردد (يذيق أولاً نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) بإخراج المرغوب منه (والزاهد أولاً يذيق كسبه) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيق نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمتردد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمتردد على خطر) لا يأن من على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وجعله طاعة مع القدرة (لا استحقاقه) أيها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده و يلتفت إليه) لانه ترك شيئا عظيما يرى البائع المبيع و يلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده و يظن انه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم

فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده و يلتفت إليه كما يرى البائع المبيع و يلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده و يظن انه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا أن زهد طوعا وزهد فلا يرى زهده ألا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره (٣٣٨) فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا منها (أن زهد طوعا) أي اختيارا (و زهد في زهده فلا يرى زهده ألا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء) في الحقيقة كما ورد في الخبر أن الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة أسكتي بالاشئ (فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين لم يبق على من الدنيا الامص النوى فهذا يرى هذا بعيدا عن الرغبة فقال يا هذا انظر لك الى مص النوى لزهدهم هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهده على ترك النظر الى وصفه لما يستغرقه في الجريان عليه فلا يبقى همهم بغير مجريه ويكون بحكم المجري فيه فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح (والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة) وانما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة (ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع) وفي القوت وقال أبو سعيد بن الاعرابي عن أشياخه انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذهي لاشئ وهذا العمري هو الزهد في الزهد لانه زهد لم ينظر الى زهده فزهده اذ لم يره شيئا لانه زهد في لاشئ وهذا يشبه ما يقال ان حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لانه قد زهد في الدنيا لنفسه طالبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد لها الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهو يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لان العبد ربح ما زهد في الغنى ولم يزد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى اذ كان الغنى يراد للبقاء واذا لم تنع به البقاء بغير غنى (قال أبو زيد) البسطاى وهو من أعلى الطوائف اشارة وأغلقهم عبارة (لابي موسى) هرون بن سليمان الكوفي مولى عمرو بن حريث المخزومي روى له أبو داود والترمذي والنسائي (عبد الرحيم) بن يحيى الاسود الارموي الدمشقي (في أي شئ يتسكلم قال) فقلت (في الزهد قال) أبو زيد (في أي شئ قال) فقلت (في الدنيا فنفض يده) وأعرض (وقال) ظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيها) أوردته صاحب القوت ولفظه ثم قال يتسكلم بالزهد في لاشئ وأي شئ الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها ثم قال وكانت رابعة رجعها الله تعالى من قبله اذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول نوهتم بالدنيا اذ تذكر ونها أي قدر لها حتى نقطع الوقت بذكرها ولكن من أحب شيئا أكثر من ذكره (ومثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالتقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفقرى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز فزلقها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمة أخبرنا أكلت فلذتها في حال المضغ وتة ضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنهى الى الثقل

أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال أبو زيد رحمه الله تعالى لابي موسى عبد الرحيم في أي شئ يتسكلم قال في الزهد قال في أي شئ قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيها او مثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالتقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفقرى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز فزلقها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمة أخبرنا أكلت فلذتها في حال المضغ وتة ضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنهى الى الثقل

والقدر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمره مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهى الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتماهى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد) بوجه من الوجوه (فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من

هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده) ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابين الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرج واذا علم مراد الله في الادخال ادخل ان بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزانة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتسبت بعدك محتسبا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عنه رواء وفيه دو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتسبت حتى خفت عليك فقال أي أخي اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليحجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم همما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبحوا كبرهمه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده) ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابين الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرج واذا علم مراد الله في الادخال ادخل ان بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزانة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتسبت بعدك محتسبا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عنه رواء وفيه دو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتسبت حتى خفت عليك فقال أي أخي اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليحجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم همما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبحوا كبرهمه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين

وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الامن عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة (٣٤٠) الى لذة نعيم أهل الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة

الى لذة الاستيلاء على عصفور واللاعب والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرف لا تحاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فاني لا بدليس أن يطامع في هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلو لا القدر لرفعه اليه من حبه له (وهم العارفون) المتمكنون الداخلون مع الخلق بالاجسام الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع الوجود بهمة ناظر الى مولاه بنظره اليه بما قواه فتوحده بوصفه من حيث انجمله واحده بوجهه وتخلق له خلقه لما ألبسه من نوره فيحسبه به عن خلقه فهو ظاهر باطني نبوي رباني ينظر بعين التعبد بل ظاهره حكمة وباطنه قدرة فهذا مقام رائد على حال الزهد وهي صفات فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا فهي ثمرة حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصله فرفته بمقت الله لها (لانه لا يحب الله خاصة الامن عرفه) اذ المحبة ثمرة المعرفة (وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار) لعزته (فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار) وجريان الانهماك من تحتها (غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر) الى وجهه الكريم (ولا يؤثر غيره) عليها (ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى الاستيلاء على عصفور) واللاعب (والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرف لا تحاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

الزهد

كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيره اذ في الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية (٣٤١) أخرى الى خمسة فقال عز وجل اعلموا

انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف لبعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى فالخاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقميتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا) فوصف حب الشهوات بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله ذلك فذا إشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتأكيد والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جلة الدنيا المرغوب عنها وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من أصول هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جلة الدنيا بما فيها الحب ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورتها ليست بدنياً فاذا لم تكن الحاجة دنياً دل انها لا تسمى شهوة (ثم رده) أي مجموع هذه الاوصاف السبعة (في آية أخرى الى خمسة) معان (فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (ثم رده) أي مجموع تلك الخمسة (في موضع آخر) من كتابه العزيز (الى) معنيين (اثنين) هما جامعان للسبعة (فقال تعالى) انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل (الى) وصف (واحد في موضع آخر) من كتابه العزيز وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه الاذان هما الهوى واللعب هو الهوى وانه رجعت السبعة فيه (فقال) تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا) اذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الاشارة في نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي بان لم ينه نفسه عن الهوى بايثارة الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثارة في كل شيء (فينبغي أن يكون الزهد عنه) أي يكون الزهد عبارة عن مخالفة الهوى من كل شيء (واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى) وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنياً أيضاً وهو حب البقاء لمتعة النفس فقد أشار اليه المصنف بقوله (فالخاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها) واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقميتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله

كانهم بنيان مرموص وانظروا احدي الحسينين

وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفج بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقاتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ماله يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من عملي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا مترس والسما تهيلني تنتظر الى صبح حتى اغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الايمان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة الاعلى الابقي اذناعوه (فما بحث تجارهم) فن اشترى ثلاثين سنة أو أر بعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارته (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى ما يبقا أبداً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجارين وفرقان ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فن زهد في الحياة الفانية لامتعة في ما له المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصبهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

مننى الحسنى تانيث الاحسن كما قال تعالى تتر بصون بنا الا احدي الحسينين (وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفج بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقاتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ماله يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من عملي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا مترس والسما تهيلني تنتظر الى صبح حتى اغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الايمان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة الاعلى الابقي اذناعوه (فما بحث تجارهم) فن اشترى ثلاثين سنة أو أر بعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارته (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى ما يبقا أبداً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجارين وفرقان ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فن زهد في الحياة الفانية لامتعة في ما له المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصبهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

واذا فهمت هذا علمت أن

هذا ما ذكره المتكلمون في حسد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يحاط به فقال بشر رحمة الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الدنيا خاصة الى الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد وهذا إشارة الى الزهد في الشهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء في طول امله ومن قصر امله فحاشاه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد به هذا الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد وقال أويس أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو إشارة الى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة

الدنيا فصارت أقصر الناس أملاً للبقاء أرزدهم في الدنيا وصار أرب الناس في الدنيا أطولهم أملاً (واذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون) من الصوفية (في حسد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه) اذ كان مقامه أقيم فيه أحواله (أو على من كان يحاط به) فحاط به على قدر حاله أو مقامه (فقال بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس) وفي ملاقاتهم اذ الرغبة هي فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت وقال في موضع آخر وكان بشر يقول الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لانه كان يقول سب لقاء الناس هو من الدنيا لانه الموعوب فيه عندهم ويتسبب اليه بهم فلذلك صار الزهد فيهم ولذلك قال بعض الحكماء اطلب الزاهد الناس فاهرب منهم واذا هرب من الناس فاطلبه وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه (وهذا إشارة الى الزهد في الجاه خاصة) ومثله قول السري ما رست كل شئ من أمر الزهد فقلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطقه رواه القشيري عن أبي عبد الله الصوفي سمعت أبا الطيب السامري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول فذكره (وقال قاسم) بن عثمان (الجوعى) الدهش منسوب الى ربيعة الجوع وقيل كان يجوع كثيراً وقد سبق ذكره (الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد) فكان الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت (وهذا إشارة الى الزهد في شهوة واحدة) وهي شهوة البعان (ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الزهد هو القناعة) وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشره والضراعة وفي لفظه القناعة هي الزهد (وهذا إشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثوري رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامل) وانتظار الموت فصارت الدنيا عنده طول الامل ونسيان قرب الاجل كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أحمد بن اسمعيل الأزدي حدثنا عمران بن موسى الاسفنجي حدثنا الدورقي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء اه وهو (جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء في طول امله ومن قصر امله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا فكأنه رغب عن الشهوات كلها) وقدر وي مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن نونس وغيرهما قال القشيري وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والاسباب الباعثة والمعاني الموجبة له (وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول رجل سأله عن الزهد (اذا خرجت تطلب) أي الرزق (ذهب الزهد) ولفظ القوت اذا خرج العبد يطلب ذهب الزهد وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد في أي شئ خرجت فقال أطلب المعاش فقال له فان الزهد يعني ان الزهد عنده أن يقطع العبد يدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً بما يرد عليه من المطالب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب فهذا غاية الزهد هو طريق طائفة من الابدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت (وما قصد به هذا الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو إشارة الى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم قال هرم بن حيان اقيمت على شاطئ الفرات يغسل كسراً وخرقا قد التقطها من المنبذ وكان ذلك أكله وليس له قال فسألت عن الزهد أي شئ هو فقال في أي شئ خرجت قلت أطلب المعاش قال اذا وقع الطلب ذهب الزهد (وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كلهم ويناعن سفيان قالوا الزهد أي ما الزهد قال لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع

الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اهـ (وهذا أن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة) بل يكون وبالافها وسببها الهلاكه (وقد طولوها) أى تلك العلوم (حتى ينقضى عمر الانسان في الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده) والالم يخص له الزهد وقال صاحب القوت ومن الزهد عند الزاهد من ترك فضول العلوم التي معلوماتها أول إلى الدنيا وتدعو إلى الجاه والمنزلة عند أنبياءهم وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قرب به عنده الله وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدى الله تعالى ويقسى القلب ويحجب عن التفكير في آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علماء جعلها البطالون شغلا انقطعوا به عن الله وحجبا به عن مشاهدة علم الحقيقة لا يستطيع ذكره لكثرة أهاليها الآن يسأل عن شئ أعلم هو أم كلام أوحى أو تشبيه أو صدق وحكمة أو زخرف وغرور أسنة هو أم بدعة أعتيق أم محدث وتشديق خيئت بخبر بصواب ذلك (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني) قال صاحب القوت (فذهب إلى أن الزهد هو النواضع) وقد قال يوسف بن اسباط غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحدا إلا رأيت أنه خير منك رواه أبو نعيم في الحلية (وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد انما هو (طلب الحلال) وانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا الاختلاط الاشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل ابراهيم بن أدهم وسليمان والخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وأبي اسحق الفزاري وشعيب بن حرب والداراني وهيب بن الورد وقضيل بن عياض وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وقد الورعين) وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس) رحمه الله تعالى وذكر قريبا (ولاشك في أنه) أى أويسا (أراد به) ترك (طلب الحلال) ولكل من القولين وجه (وقد كان يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى (يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد) نقله صاحب القوت (وفي الزهد أقاويل) كثيرة (وراء ما نقلناه فلم نرفى نقاه فائدة) مع ان بعضها عند التأمل يرجع إلى بعض ما ذكر في ذلك قول بعضهم الزهد أن لا تفرح بوجود من الدنيا ولا تتأسف على مفقود منها تزع بذلك إلى قوله تعالى لكيلا تسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها وقال أبو علي الدقاق الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطا ولا أعمر مسجدا وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال الجنيد الزهد خلوا القلب مما خلت منه اليد وقال ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر وبه قال شقيق البخلي ويوسف بن اسباط قال القشيري وهذا أيضا من أمارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله وقال عبد الله بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وسأل روم الجنيد عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ويرى عنه أيضا الزهد خلوا اليد من المال وخلوا القلب من التبع وقال الشبلي الزهد أن تزهّد فيما سوى الله تعالى وقال ذوالنون الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها وقال بعضهم الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها هذه ثلاثة عشر قولنا نقلها القشيري في الرسالة وفي القوت وقالت طائفة الزهد هو بغض المحمّدة وأن لا تحب أن تحمد على شئ من أعمالك وقال آخرون الدنيا هي الاكل واللباس والمساكن والزهد هو ترك فضول هذه الاشياء وقال آخرون حقيقة الدنيا هو حب

وهذا أن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضى عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وطلب الحلال وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نرفى نقلا فائدة

الشرف والعز والرياسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الجول والذلة وطلب الخضوع والضعفة وقال آخرون الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الاخلاص فادخل فيه التوكل وجه له أوله لانه لا يزهد حتى يتق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه وجعل الصبر حالاً منه أراد لثبات لايميل أو يخرج فيرجع الى الرغبة وجعل ثانياً له الاخلاص وهذا الاخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعاً الى عوض ولا تطالباً بالسبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أجند بن حنبل الاخلاص هو الزهد ففسره به لانه اذا باع حقيقة الاخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقاً بمعنى تقار بأفقه أما أحدهما ففسر الزهد بالاخلاص جعله نهاية وهو حاتم وأجند - برعن الاخلاص بالزهد لانه حقيقة وأما ثوب السخيتاني فانه سئل عن الزهد ما هو فقال هو أن تعبد في بيتك فان كان تعبدك لله رضا والاخرجت تنفق درهمك فان كان رضا والا أمسكت تمسك مالك فان كان رضا والا أخرجه تهكت فان كان سكوتك لله رضا والاتكاهمت تتكلم فان كان كلامك لله رضا والاسكت هذا هو الزهد - والا فلا تلعبووا وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراقب للوقت فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء اذ جعل الزهد فيها هو اتباع مرضاته في الاشياء وقال بجاهد الزهد الاثرة لله على ماسواه اذا أتاه شيء من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدي الى كل ذي حق حقه وكان ابن عيينة يقول حد الزهد أن يكون شاكر عند الرخاء صابراً عند البلاء فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهداً وجعل له الزهد باجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيى بن معاذ ينبغي يكون الرجل زاهداً اذا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهداً وقال الداراني الزهد التخلي من الدنيا والاشتغال بالعبادة فاما من تركها وتبدل فالتما طلب الراحة لنفسه وقال سهل أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال أيضاً لا يزهد العبد زهداً حقيقياً لاربعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة وقال بعضهم الزهد هو اخفاء الزهد وقال سهل لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فعل الزهد - مقام في الخوف رفعة عليه وفي الخبر انما الزهد أن تكون بما في يدك الله تعالى أو وثق منك بما في يدك فهذا مقام التوكل وقال قوم الزهد هو ترك الادخار فكانت الدنيا عندهم الجمع وقال بعضهم الدنيا ما شغل القلب واهتم به فعملوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصرف الاحكام وهذا هو التقوى والرضا وقال الداراني التورع أول الزهد وقال أبو هشام المغازلي الزهد قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وقال ابن السمعاني الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فانه لا ينبغي على عسر أصبح أم يسر وقال طيفور البسطامي الزهد أن لا يملك ولا يملك وقال علماء الظاهر الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام باحكام الشرع وأخذاً بشيء من وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو جهل كله وهو يقدحوا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه وباطنه ذلك مباهجهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالاعتلال وقال الجنيد الزهد معنيان ظاهر وباطن فالظاهر تنقض ما في الابدى من الاملاك وترك طلب المنة وود الباطن زوال الرغبة عن القلب وجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فهذه الاقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولاً وانما المصنف في نقلها فائدة (فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر وقصره وبصرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصروا في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكامات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار لاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر وقصوره وبصرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصروا في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكامات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار لاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف (على الصحيح من مذهب الأصوليين) وإنما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله (قارئ أهل الشام الامام (أبو سليمان) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل) ولفظ القشيري قال الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى ولفظ القوت وكان الداراني أبو سليمان يقول الدنيا كل ما يشغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الاقبال عليه اه وقال شارح الرسالة أراد بترك ما يشغل عن الله اي بقلبة ولا فهو من غرات الزهد فقد ترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهد بل لشغله بما هو أشرف منه اه هذا على سبيل الاجمال (وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا) ولفظ القوت من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا (فجعل جميع ذلك ضد الزهد) ويقرب من قول الداراني قول داود الطائي كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك مشوم (وقرأ أبو سليمان) الداراني (قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله) فهذا زهد الصديقين وإنما تكون هذه الثلاث دنيا لان أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها فاما من أراد بها الآخرة فهي طرقات الى الآخرة (وقال) مرة (انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها والآخرة) فاذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذكرت كن له قربات الى المذكر وقد كان رحمه الله تعالى ذاعبالي ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام كذا في القوت (فهذا بيان أقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات) فكأنه جعل الورع زهدا وهو التوسط بين الزهدين زهدا ومبدأه وزهدا وخصوص نهاية (وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام) وقال سلام بن أبي مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن يخص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق ولثاني ترك ما لا يصلح القلب والدين والثالث الحلال أن يزهد في فضله وهذا تطوع وقال القشيري اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله تعالى فاذا أنعم الله على عبد بحال من حلال وتعبه بالشكر عليه فتركه باختياره وبحق لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلل المال والعبد صابر في حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا ومنهم من قال اذا أنفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهيه الشرع عنه في حال التيسر حينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام ومنهم من قال ينبغي أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضل فيه المحتاج اليه ويراعى القسمة فان رزقه الله مالا من حلال شكره وان وقفه الله على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضل المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال وقال صاحب القوت وكان الشاميون من العلماء يقولون ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن ان يكون ذامك وما دخلك سوء وتكون حالك في المصيبة وحالك اذ لم تصب بها سوء وتكون بما في يداك الله أو ثق منك بما في يد غيره فهذا مقام التوكل وحال الرضا (وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى) فاصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك وقال أبو حفص التقوى في الحلال المحض لا غير وقال الداراني الورع أول الزهد كان القناعة طرف الرضا وقال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهاه بحافظة الحدود وباطنه بالنية والاخلاص وكان سهل يقول أرهد الناس في الدنيا أصنافا مطعما وقال أيضا أقصى مقام من الورع أو في مقام من الزهد وتحقيق ذلك ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها والآخرة فهو ذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى

وأما بالاضافة الى خفايا ما

يتركه فلا نهاية للزهد فيه
اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس
في الخطرات والخطرات
وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه
الاسماسة العلماء بل
الاموال الظاهرة أيضا
درجات الزهد فيها لا تتناهي
فن أقصى درجاته زهد
عيسى عليه السلام اذ
توسد حجرا في نومه فقال له
الشيطان أما كنت تركت
الدنيا فما الذي بدالك قال
وما الذي تجدد قال توسد
الحجر وأي تنعمت برفع رأسك
عن الارض في النوم فرمى
الحجر وقال خذه مع ما تركته
لك وروى عن يحيى بن
زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب
جلده ثم كاللتنم بلين
اللباس واستراحة حس
اللمس فسأله أمه أن
يلبس مكان المسح جبة من
صوف ففعل فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على
الدنيا فبكى وثرع الصوف
وعاد الى ما كان عليه وقال
أحد رجه الله الزهد زهد
أو بس بلغ من العرى أن
جلس في قوصرة وجلس
عيسى عليه السلام في ظل
حائط انسان فأقامه صاحب
الحائط فقال ما أقتنى أنت
انما أقامني الذي لم يرض
لي أن أتنعم بظل الحائط
فاذا درجات الزهد ظاهرا

وباطنا لا يحصر لها

وما دنا من قلبه من الشهوات فن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذه احوال الزهد المفترض ومن
زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذه احوال الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ
جوارحه التي هي أبواب الديناميته وطرقها اليه فالزهد في محرمانه زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد
في شبهاتهم زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالهم من فضائل حاجات النفس زهد الزاهدين به يصفو
يقينهم وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا زبير اجهد نفسك عند نزول
الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب (وأما بالاضافة الى خفايا
ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات والخطرات وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه الاسماسة العلماء) أي نقادهم وجهابذتهم وفي القوت ومن أفضل الزهد
الزهد في الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم والزهد في حب الثناء والمراح منهم لان هذه المعاني هي
أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري يقول الزهد في الرياسة
ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قديمان لان في طلب ذلك وكان يقول
هذا باب غامض لا يتبصر به الاسماسة العلماء وقال الفضيل نقل الصخور من الجبال أبسر من ازالة الرياسة
قد ثبتت في قلب جاهل قلت وقال أحد بن أبي الحواري حدثنا اسحق بن خلف قال الورع في المنطق أشد منه
في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لانك تبدلهمافي طلب الرياسة وقد روى
عن يوسف بن اسباط نحوه كما في الخلية (بل الامور الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهي فن أقصى
درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذي
بدالك قال وما الذي تجدد قال توسد الحجر وأي تنعمت برفع رأسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه
فيما تركته لك) ولغز القوت ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه قد يقع عن نهاية معارفهم
بدقائق أبواب الدنيا وخفايا الواجبات الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتترفع عن كل شيء
لنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كماروى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكانه لما ارتفع
رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك زهدت في الدنيا قال نعم قال
فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو قال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت اه قلت
أنخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال ان عيسى عليه السلام مر به ابليس يوما وهو متوسد حجرا وقد
وجد لذة النوم فقال له يا عيسى تزعم انك لا تريد شيئا من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام عيسى
عليه السلام فاخذ الحجر فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا (و) مثله (روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب جلده) أي أثريه لحشونته وكان عليه السلام قد طلب من أمه ذلك حين مر
ببيت المقدس ورأى الرهبان لا يلبس كذلك (ترك كاللتنم بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسأله أمه
أن يلبس مكان المسح جبة من صوف) لانه ألين من الشعر (ففعّل) طاعة لانه كان بارا بها (فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى وثرع الصوف وعاد الى ما كان عليه) وليس مدرعته من الشعر نقله
صاحب القوت (وقال أحد) بن حنبل رجه الله تعالى (الزهد زهد أو يس) القرني رجه الله تعالى (بلغ من
العرى الى أن جلس في قوصرة) نقله صاحب القوت والقوصرة بالتخفيف والتثقيب وعاء الثمر يتخذ من قصب
(وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقتنى أنت انما أقامني الذي لم
يرض لي أن أتنعم بظل الحائط) رواه ابن عساكر عن أبي سليمان الداراني قال بينما عيسى عليه السلام عشي
في يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعماس فجلس في ظل خيمة فخرج اليه صاحب الخيمة فقال يا عبد الله
قم من ظلمنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال ليس أنت الذي أقتنى انما أقامني الذي لم يرد أن أصيب من
الدنيا شيئا (فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا يحصر لها) اذ لا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب

وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحذور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصريح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاتقبال بكل القلب عليه ذكره او فكره ولا يتصور (٣٤٨) ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فهما اقتصرتا من الدنيا على دفع

الدينيا وخفايا الواغ الهوى (وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومخافور) وهو زهد الورعين به يكمل إيمانهم كما سبق قريبا (وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدين إلا يتصور الزهد الآن) روى ذلك عن جماعة منهم يوسف بن أسباط قال صاحب الحلية حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن أسباط عن الزهد ما هو قال أن ترهق فيما أحل الله فاما ما حرم الله فان ارتكبه عبدك الله وحدثنا أبو محمد بن حبان - حدثنا محمد بن يحيى - حدثنا الحسين بن منصور - حدثنا علي بن محمد الطنافسي - حدثنا سهل أبو الحسن سمعت يوسف بن أسباط يقول لو أن رجلا في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلناه زاهدا لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم (فإن قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى) العزوف (الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا) والتوجه بكنه الهمة إليه (ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس) مما تحتاج إليه اضطرارا (فهما اقتصر من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان) قصدا (و غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشغول بغير الله الناقص بسقيها) ورعايتها في خدمتها (في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقك بالذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك (تسير بك إلى مقصدك فكذا ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش والمهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد والمهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ) والتنعم (بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد) لأنه به حصوله (وان قلت فلا بد وان أتلتذبا كل ذلك عند الجوع فاعلم أن ذلك لا ضرر إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منهرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور) الناعية (ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فإصابه من ذلك بغير قصد ولا يضره واقد كان في الخائفين) من الزاهدين (من طلب لنفسه) موضعا لإصابه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدين والنقصان) في الأنس بالله (بقدر وقوع الأنس بغير الله) و يروى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن برخ يعني الأسود الذي كان موسى استسقى لبني إسرائيل نعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال وما هو قال يعجبه نسيم الصحر فيسكن إليه ومن أحبني لم يعجبه شيء أؤلم يسكن إلى الشيء فعابه باستراحة النفس إلى روح القضاء ونقصه عن التمام يسكن قلبه إلى نسيم السحر (ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (له حب مكسور) وهو بضم الحاء المهملة الخاسية للماء جمع حباب بالكسر وجمبة

المهلكات عن البدن وكان
غرضك الاستعانة بالبدن
على العبادة لم تكن مستغلا
بغير الله فان ما لا يتوصل الى
الشيء الا به فهو منه فاشتغل
بغاف النافقة وبسقيها في
طريق الحج ليس معرضا عن
الحج وليكن ينبغي أن يكون
بدنك في طريق الله مثل
ناقلتك في طريق الحج ولا
غرض لك في تنعم ناقلتك
بالذات بل غرضك مقصور
على دفع المهلكات عنها
حتى تسير بك الى مقصدك
فكذلك ينبغي أن تكون
في صيانة بدنك عن الجوع
والعطش المهلك بالاكل
والشرب وعن الحر والبرد
المهلك باللباس والمسكن
فتقتصر على قدر الضرورة
ولا تقصد التلذذ بل التقوى
على طاعة الله تعالى فذلك
لا يناقض الزهد بل هو شرط
الزهد وان قلت فلا بد وأن
أتلذذ بالاكل عند الجوع
فاعلم أن ذلك لا يضر اذا لم
يكن قصدا للتلذذ فان
شارب الماء البارد قد يستلذ
الشرب ويرجع حاصله الى
زوال ألم العطش ومن يقضى
حاجته قد يستريح بذلك

ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالاقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسيم مثل
الاسحار وصوت الاطيار واكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فاصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب
موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة وانس القلب معه فيكون فيه انس بالدينيا ونعمان في الانس بالله بقدر وقوع الانس
بغير الله وانك كان داود العاني له حب مكشوف

فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فلهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين (٣٤٩) رضى الله تعالى عنهم أجمعين * (بيان

تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة) *

اعلم أن ما للناس منهم مكرن فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذا غالب الناس

انما يقتنيها للترفيه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولستنا نغفل على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر

وانما ينحصر المهم الضروري والمهم أيضا ينقسم الى فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والسكن وانائه والمنكح

والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جللتها وقدرنا معنى الجاه وسبب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الربا من ربيع

المهلكات ونحن الآن نقصر على بيان هذه المهمات الستة (الاول

المطعم) ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه (ويقويه على العبادة) ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالإضافة الى جلته (وفي نسخة جميع العمر) فان من يملك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصارع على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه) ولا من عشائه

مثل غيبة (فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا إسحق بن أحمد حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول كان داود الطائي له دنانير ثمانمائة ودينار للخبز فلما دنا الماء فكان قد جعله في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد وروى من طريق حفص بن عمر الجعفي قال دخل رجل على داود الطائي فقال يا أبا سليمان أتعطشان قال أخرج واشرب ففعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع اليه فقال يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة فقال اللهم غفر لي هذا ما قال فخرج يلتمس فاذا دن من هذا الاصيل الذي يفعل فيه الطين وقد دعت خرفة أسفل كوز فاحذ تلك الخرفة يغرف بها فاذا ماء حار كانه يغلي لم يقدر أن يسقيه فرجع اليه فقال يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسحقون ودين مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت حبرة وقلة فقال داود حب حبري وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية حسنة واناث وناض وفضول لو اردت هذا الذي يشغل القلب لم أتعن نفسي ههنا انما أطلقت نفسي عن هذه الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا الى روح الآخرة وروى من طريق سهل بن سليمان النبلي حدثنا عبد الله الاعرج أو غيره قال أتيت داود فعلمت معه المغرب ثم تبعته الى داره فذكر الحديث وفيه ثم قام داود الى شن في الدار في يوم صائف فاخذ يشرب منه فقلت يا أبا سليمان لو أمرت أن يبرد لك هذا الماء فقال أما علمت ان الذي يبرده الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله (فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم (والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين) والله الموفق

*(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان ما للناس منهم مكرن فيه ينقسم الى فضول) وهو ما زاد على الحاجة (والى مهم) ضروري (والفضول كالخيل المسومة) اي المعلقة او المرعية كقوى الصحاح وقال الازهرى هي الرسالة وعليها ركبانها (اذ غالب الناس انما يقتنيها) ويتخذها للترفيه بركوبها وهو قادر على رجليه (أو على خيل أقل منها) والمهم كالاكل والشرب ولستنا ندور على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر (لكثرةها) وانما ينحصر المهم الضروري (الذي لا بد منه) والمهم (الضروري) أيضا تنقسم الى فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور (الاول المطعم) والمشرع تابع له (و الثاني (الملبس) الثالث (السكن) الرابع (انائه) الخامس (المنكح) السادس (المال) و اما (الجاه) فانه (يطلب لاغراض وهذه الستة من جللتها) أي الاغراض (وقدرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الربا من ربيع المهلكات) فلا نعيده (ونحن الآن نقصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم) فنقول (ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه) ويقويه على العبادة (ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالإضافة الى جلته (وفي نسخة جميع العمر) فان من يملك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصارع على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه) ولا من عشائه

فبالإضافة الى جلته العمر فان من يملك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصارع على قدر دفع الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه

وهذه هي الدرجة العليا (الدرجة الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) الدرجة الثالثة أن يدخر سنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد الا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا الاضداد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه (٣٥٠) فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد

واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو الخبز من الخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البرغيم مخول فاذا ميز من الخالة وصار حوارى فقد دخل في التمتع وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائماً أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائماً وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي

لغداً (وهذه هي الدرجة العليا) كما سبق في الادخار (الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) وهي الدرجة الوسطى (الثالثة) أن يدخر سنة فقط وهي اثنا عشر شهراً وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد الا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود (الطائي) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها لنفسه (وأنفقها في عشرين سنة) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم حدثنا عثمان بن زفر أخبرني ابن عم لداود قال ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فاكلها في عشرين سنة كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق (فهذا الاضداد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد) وسماي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا (وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد) وهو رطل وثلاث بالبغدادى عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أربال وثلاث والمد رطلان عند أهل العراق (وهو ما قدره الله في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو) كان (الخبز) المتخذ (من الخالة) وأوسطه خبز الشعير والذرة والدخن (وأعلاه خبز البر) من دقيق (غير مخول فاذا ميزت الخالة وصار حوارى فقد دخل في التمتع وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح) الجريش (أو البقل) من نبات الارض (والخل) منفرداً وبمجموعاً (وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائماً) في كل يوم (أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة واحدة (وهو أن يكون صائماً) فيفطر عليه (وأوسطه ان يصوم ويشرب ليلة) عند الافطار (ولا يأكل ولا يشرب) عند الافطار (ولا يشرب وأعلاه ان ينتهي إلى ان يطوي ثلاثة أيام) تباعاً (وأُسبوعاً) تباعاً (وما زاد عليه) فلا حله (وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع المهلكات فلانعبده ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة) رضوان الله عليهم (في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء) ولفظ القوت قد جاءت الاخبار في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وحال أهل بيته وأزواجه ان كان يأتي عليهم سم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه نار ولا يرى دخان لخبز ولا طبخ قال عروة فقلت لعائشة يا أمه فما كان تعيشنكم قالت الاسودان النمر والماء وكان لنا جيران من الانصار برباين البنات اللين في الحين بعد الحين اه قال العراقي روى ابن ماجه من حديث عائشة يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية ثلاثة أهلة (وهذا) أي تعيشهم بالاسودين (ترك اللحم والمرقة والادم

وقال

إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه

في ربيع المهلكات ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم

وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول
انما أنا عبد كل كيانا كل العبيد وأجلس كل العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طاب الفردوس نخبنا الشعيرة
والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ (٣٥١) قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعيرة وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطم والمشرّب في ربيع المهلكات فلانه دولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء نوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى وأني عسر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وقد قال يحيى ابن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد كل كيانا كل العبيد وأجلس كل العبيد) قال العراقي تقدم دون قوله انما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن انما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ قلت وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب كان يركب الجمار ويخفف النعل ويرفع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويحب دعوة المملوك على خبز الشعيرة وروى ابن ماجه من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويحب دعوة المملوك ويترك الجمار وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن آكل كيانا كل العبد وأجلس كل العبد وأجلس كل العبد وعند ابن عدى انما أنا عبد آكل كيانا كل العبد وأشرب كل العبد (وقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس نخبنا الشعيرة والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بل فقط قال عيسى عليه السلام أكل الشعيرة مع الرماد والنوم على المزابيل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر) وأفظ القوت في الخبر ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من خبز بر ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في اخلاق النبوة (وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعيرة وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا بشكره) كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الاحبار نحوه (وقد ذكرنا سيرة الانبياء عليهم السلام والسلف) الصالح (في المطم في ربيع المهلكات فلا نعيده) ثانيا (ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره وفي آخره فانه من نواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بنى افرقه الله وقد تقدم (وأتى عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف) فذاقها فاذا ماء وعسل (فقال اعزلوا عنى حسابها) اعزلوا عنى مؤثرها رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك) أي حيث يدركه الليل يأوي (الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى) فقد ادرج فيه جملة من المقامات الاعتبار والحزن والحياة والصبر والتوكل والتقوى وقال ذو النون المصري الزاهد قوته ما وجدوثه ما ستره وبينه ما آواه وماله وقته (المهم الثاني) الملبس وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلىه أن يكون منديل) لربما الرأس (وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت) حتى يحف (فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

ان شاء الله تعالى) (المهم الثاني الملبس) وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلىه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث (٣٥٢) المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة (وهي ثياب تنسج من الشعر) وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ) وهو الكرياس (وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد) لما سبق أن الزهد عبارة عن قصر الأمل (الأذا كان المطلوب خشونته) وفي نسخة جشونته أي غليظه (ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا) ومجبة الدنيا بخالف صفة الزهد (ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء عليهم السلام) والصحاب (رضوان الله عليهم) (كيف تركوا الملابس) وأعرضوا عنها (قال أبو بردة) هاني بن نيار رضي الله عنه (أخرج لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبد أزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين) رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة (وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس) قال العراقي لم أجده أصلا اه قلت وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظه إن الله عز وجل يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي باللبس اه قلت ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه (وقال عمرو بن الأسود العنسي) بالنون ويقال الهمداني ويقال له غير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد الحكيم بن غير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن سكن داريا من دمشق وسكن حصن أيضا له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وقال ابن حبان عمير بن الأسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبره وقال ابن عبد البر أجمعوا على أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات وأنه مات في خلافة معاوية وكان يقول (لا لبس مشهورا أبدا) أي ثوب شهرة (ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا) أي ليناسه لا يقال وثور الشئ ونارة لان وسهل فهو وثور وفراش وثير تخين لين ووثير مركبه بالشد يد وطأ ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع موثر وميثار على الأصل ولفظ المفرد (ولأما لجوفي من طعام أبدا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا مسلم بن سعيد حدثنا جاشع بن عمرو بن حسان حدثنا عيسى بن لويس حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي قال قال عمرو بن الأسود لا لبس مشهورا أبدا ولا أملا لجوفي من طعام بالنهار أبدا حتى القاه (فقال عمر) رضي الله عنه (من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيى بن جابر الطائي بالسند المذكور قال وكان عمرو بن الخطاب يقول فذكره وقال العراقي رواه أحمد بإسناد جيد عن عمر لكن في الإضافة لتلميذه بسند لين قال وأورده ابن أبي عاصم في الوجدان به - هذا الأمر وليس في ذلك ما يقتضي أن له محبة ولكن يقتضي أن له ادراكا وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر أن عمرو بن الأسود قدم المدينة فرآه عبد الله بن عمر يصلي فقال من سره أن ينظر إلى أشبه الناس صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هذا (وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر - إسناد جيد قوله وإن كان عنده حبيبا اه قلت وفي رواية لابن ماجه من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه وقد رواه كذلك أيضا في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد من لبس ثوبا مشهورا من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة ورواه هو وعمام وابن عساكر من حديث أم سلمة بإسناد لين من لبس ثوبا يبالي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتى ينزعه وروى الحارث والطبراني من حديث أنس من لبس رداء شهرة أو ركب ذاهرة أعرض الله عنه وإن كان له ولينا (واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربع مئذراهم) كذا في القوت وقال العراقي

وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا و لينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحاب كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبد أزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا ولا أملا لجوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا واشترى رسول

روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى
 البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (وكان قيمة ثوبيه) صلى الله عليه وسلم
 (عشرة) إلى دينار كذا في القوت وقال العراقي لم أجده (وكان ازاره) صلى الله عليه وسلم (أربعة أذرع
 ونصف) ولفظ القوت وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف وفي خبر سبعة أشبار وقال العراقي روى أبو الشيخ
 في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلًا كان رداء النبي صلى الله عليه
 وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن أبي عمير وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة
 وكان له ازار من نسج عمار طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي (واشترى
 سراويل بثلاثة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي
 يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس لأنه لم يذكر فيه مقداره ثم قال
 الترمذي صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم وكان قميصه إلى أطراف أصابعه وقيل
 مرة إلى الرسغ فاذا تشيخ وقاص صار إلى أنصاف ٧ سابقه وكذلك الازار إلى عضلة الساق (وكان) صلى الله عليه
 وسلم (يلبس شملتين بيضاوين من صوف) ومرة سوداوين من شعر (وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من
 جنس واحد) يشير إلى قول أهل اللغة قالوا الحلة بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد قال المروزي
 وكانوا يأترون ببرود يرتدون بأشعر ويسميان حلة والجسم حلال مثل غرفة وغرفة (وربما كان) صلى الله
 عليه وسلم يلبس (بردين يمانين أو سحولين من هذه الغلاظ) من قرية باليمن تسمى سحول وفيهما كفن
 مع الثالث مثلها موربما كانت البردة مخططة بتلوين الاصابع كبرود أهل اليمن اليوم وربما كانتا
 خضراوين كلهما من خيط واحد وربما كانت شملت بيضاء لاشية فيها غير صب عليها الأبيض كل ذلك
 في القوت وقال العراقي قد دم في آداب المعيشة وأخلاق النبوة لبسه للشهامة والبردة والحبرة وأما لبسه
 للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة جرهم ولابي داود من حديث ابن عباس حين خرج
 إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون
 من حلل اليمن وقال رأيت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من
 حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب
 المعيشة ولابي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود
 واستغربه الترمذي والبرازين حديث قدامة الكلبي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف
 قاله الذهبي (وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات) قال العراقي رواه الترمذي
 في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحته كان ثوبه ثوب زيات
 (و) قد (لبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا فواسيرا) بكسر السين وفتح التخمينة ممدودا ضرب من
 البرود فيه خطوط صفر (من سندس) ففعل من سندس اسم لما روى من الديباج (قيمة ما ثلث دراهم) فلبسه
 وخطب فيه (فكان أحبابه يلبسونه) بأيديهم (ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبا)
 من لونه ولينه (وكان قد أهده له المقوقس) جريح بن ميناء (ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه)
 ويرى رسله قبل هديته (ثم نزعها) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحر بر أهده إليه النجاشي ملك الحبشة
 فخطب فيه مرة ثم نزعها حين نزل من المنبر (وأرسل به إلى رجل من المشركين وصلبه ثم حرم لباس الحرير
 والديباج) بعد ذلك (وكان اتخا لبسه أولا) ولفظ القوت فقد يكون لبسه أياه (تأكيدا للتحريم كالبس
 خاتم من ذهب يوما) واحدا (ثم نزعها) ورحى به كافي الصحيحين وتقدم (فحرم لبسه على الرجال) ولفظ القوت
 وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور (وكما قال لعائشة) رضى الله عنها (في شأن بريدة) مولاة لقوم
 من الانصار وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها (اشترطى لاهلها الولاء) وذلك حين أرادت أن تشتريها

وكانت قيمة ثوبيه عشرة
 وكان ازاره أربعة أذرع
 ونصف واشترى سراويل
 بثلاثة دراهم وكان يلبس
 شملتين بيضاوين من
 صوف وكانت تسمى حلة
 لانها ثوبان من جنس
 واحد وربما كان يلبس
 بردين يمانين أو سحولين
 من هذه الغلاظ وفي الخبر
 كان قميص رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كأنه قميص
 زيات ولبس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوما واحدا
 فواسيرا من سندس قيمته
 ما ثلث دراهم فكان أحبابه
 يلبسونه ويقولون يا رسول
 الله أنزل عليك هذا من الجنة
 تعجبا وكان قد أهده إليه
 المقوقس ملك الاسكندرية
 فأراد أن يكرمه بلبسه ثم
 نزعها وأرسل به إلى رجل
 من المشركين وصلبه ثم
 حرم لبس الحرير والديباج
 وكانه اتخا لبسه أولا تأكيدا
 للتحريم كالبس خاتم من
 ذهب يوما ثم نزعها فحرم
 لبسه على الرجال وكما قال
 لعائشة في شأن بريدة
 اشترطى لاهلها الولاء

منهم وطلبوا منها ان يكون الولاة لهم فأقرها صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط أولاً (فلما اشترطته) بعد ان اشترتها وأعتقتها (صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فخرمه) وقال انما الولاة لمن أعتق لينوه بذلك فهذه حكمة من الحكمين ونعيم من العليم وقصة بررة في الصحيحين وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رساله فزادت على ثلاثمائة وخمسها الحافظ في فتح الباري (وكما أباح المتعة) أي متعة النساء (ثلاثاً) وذلك في غزوة اوطاس (ثم حرمها ثانياً كيد أمر النكاح) وحديث اباحه المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع قال صاحب القوت وقد يحتج بمثل هذا علماء الدينوا بمارقوا به لانفسهم ويدعون الناس منه اليهم سراوا بظهورون الدعوة الى الله علانية تاو لا بمشابه الحديث كما تأول أهل الزبيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلباً للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومنشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فعدل علماء الدينوا أهل الاهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه ونبذوا المحكم وراهم ظهرياً (وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة) وهي كساء اسود مربع (لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي رضي الله عنه من مسلة النخع وكان من معمرى قرشي ومن مشيختهم (واتنوني بانيجانيته يعني كساءه) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خيصة لها أعلام فقال اذهبوا بجميصة هذه الى أبي جهنم واتنوني بانيجانية أبي جهنم فانها ألهتني أتفاعن صلاتي وقد تقدم في كتاب الصلاة وذكر الزبير بن بكار من وجه آخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بخميصتين سوداوين فلبس احداهما وبعث الاخرى الى أبي جهنم فصلى في تلك الخيصة وبعث اليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهنم بعد ان لبسها أبو جهنم لبسات (فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم) كذا في القوت قال وفي هذا حجة على من كان اذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه وفيه شاهد وحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالانحراج ولا تنفعا الغيرة وفيه حجة على من ادعى الزهد لبس الناعم وان ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرج عن حقيقة الزهد وفيه ابطال لمن ادعى ان النظر الى الزينة لا يشغله وان الروق والفتنة لا تدخل عليه اذ لا يقدر ان يقول انه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تخويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول (وكان شركاً نعلله) صلى الله عليه وسلم (قد خلق قابيل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم) من الصلاة (قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة) تقدم في كتاب الصلاة (ولبس) صلى الله عليه وسلم مرة (خاتماً ونظر اليه) وهو (على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم) قال فلا يدري من أخذه رواه الشيخان وقد تقدم قال صاحب القوت وقد يحتج بهذا احتجاج لما كرهناه من اتلاف المال المنظور اليه وليس فيه حجة لانه صلى الله عليه وسلم لم يتلفه اذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضية ولا أفسده وانما نزعه ورمى به بين المسلمين ووجهه لمن اخذه فجاء ذلك عن وجد الوقت وحده (وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه) وأمر علياً فاحتذى له نعلين سبتيين قال فرأيناه وقد لبسهما يعني جرداوين وقد تقدم في كتاب الصلاة قال صاحب القوت وهذا مثل الحديث الاخر في اخراج الخيصة زهداً فيها واخراج النعل ولم يقطعها فيكون فساداً اذ هو صلى الله عليه وسلم ينهى عن اضاءة المال الا أن فيه شاهداً لمن اذا استحسن شيئاً خاف المقت عليه الا أنه لا يبلغ فيه اتلافه فيكون افساداً وفيه دليل على دخول التغيير والرد الى الصفة بالمناطرة الجسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك وفيه شاهد آخر لن تطرق بالحسن من الاشياء الى الله تعالى وشهدا الحسن الاعلى بها وكان المحاسن طريقاً الى الحسن الجليل لانه صلى الله عليه وسلم لما قال أعجبتني حسنهما فخرساجدا فكان ذلك اقتراباً له من القريب وتقرباً منه ونظراً

فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فخرمه وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها ثانياً كيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم واتنوني بانيجانيته يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شركاً نعلله قد خلق قابيل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتماً من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه

حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار وجعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخلة الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنم الأبدا فآزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى قال العرقي رواء أبو داود بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكفون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربهم ويكفون سرمان خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤن القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبورهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) رواء أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرقني فليستن بسنتي وفي رواية بزيادة وإن من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي رواء أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

الى الحبيب وقد قال الله تعالى واستجدوا تقريب (وعن سنان بن سعد) هكذا في سائر النسخ والصواب سهل ابن سعد كإني عليه العرقي وليس في الصحابة من اسمه سنان بن سعد (قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار جعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة) قال العرقي رواء أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد قوله وأمر أن تحال له واحدة أخرى فهي عند الطبراني فقط وفيه رمة بن صالح ضعيف (وعن جابر) رضي الله عنه (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخلة الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنم الأبدا فآزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال العرقي رواء أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكفون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربهم ويكفون سرمان خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤن القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبورهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) رواء أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرقني فليستن بسنتي وفي رواية بزيادة وإن من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي رواء أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترضيه وعد على قبص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة ببعضها من آدم واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوباً بثلاثين دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان الفقير ليربي وأنا أصلي فادعه بجوز وعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فامقته ولا أدعه بجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سيفيان ونعاليه بدرهم وأربع دنانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جهور العلماء من

مثل ما تأمله اليوم من الدنيا فلذلك كان أئودريه يقول لأصحابه أما أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربكم منه غذا مجلساً قالوا كيف ذلك قال لأنني اليوم على مثل ما فارقت عليه وكلكم قد غيرتم هذا الزهد وكان مالك بن دينار في التابعين بدلاء عن أبي ذر في الزهد لأنه زاد على أصحابه في التزهد والتعشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال ولم يكن يغلق بابه إنما كان يشده بشرط وقال لولا الكلاب لما شدته بشرط وأما الحسن البصري فان مالك بن دينار كان يقول أيم الناس معلمي والله الحسن به نادب ومنه تعلم ولم يفارقه حتى مات فهو يدل عنه والحسن كان بدلاء عن صاحب السر حذيفة بن اليمان وكان الامام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله فكان بدلاء عنهم وخلفاء منهم ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولا قوة الا به (وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة إذا أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء (ان لا تنزعي ثوباً حتى ترضيه) رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (وعد على قبص عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضهم آدم) رواه جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة وروى عفان عن مهدي بن ميمون حدثنا الجري عن أبي عثمان قال رأيت عمر يطوف عليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة احداها من آدم أحمر وروى أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عطية سمعت مالك بن دينار حدثني نافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يري الجرة عليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم (واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الأزدي وكان اماماً من أئمة الزيد قال رأيت علياً أتى السوق وقال من عنده قبص صالح بثلاثين دراهم فقال رجل عندي فجاءه فاعجبه فقال له خير من ذلك قال لا ذلك ثم قال رأيت علياً يقرض رباط الدرهم من ثوبه فاعطاه فلبسه واذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فامر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه (وقال) سفيان (الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال) نقله صاحب القوت (وكان) الثوري رحمه الله تعالى (يقول ان الفقير ليربي وأنا أصلي فادعه) أي أتركه (يجوز) أي يمر (ويعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فامقته ولا أدعه بجوز) نقله صاحب القوت وتقدم للمصنف عن المؤمل قال ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري وقال آخر كما إذا جلسنا عند سفيان تمنينا اننا فقراء لما تری من اقباله عليهم واعظامه لهم رواه أبو نعيم في الحلية وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنياً يقوم الغني من عنده فقيراً ولا يستحي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه (وقال بعضهم قومت ثوبي سيفيان ونعاليه بدرهم وأربعة دنانق) نقله صاحب القوت قال فهكذا كان علماء الاسرة الزاهدون في الدنيا فخلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الاذني الآية (وقال) عبدالله (بن شبرمة) الكوفي قاضيا (خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك) وبعضهم يقول شر الثياب ما يرفع الناس رؤوسهم فينظرون الى صاحبها وكانوا يقولون كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة) وتؤدى فيه الفريضة (وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه) ونقاؤه (وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه) وهو شرها ثم قال وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت (وقال بعضهم من رق ثوبه فقد رق دينه) فان الثوب الرقيق يحوجه الى احضار غن كثير والحلال ضيق فيحتاج ان يعيده الى الشهات بل الى الحرام المحض وهذا هو رقة الدين وقد كان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز رقة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعد سرفاً فيما جازرها (وكان جهور العلماء) و(من) خيار

(التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني
 عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت
 كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه
 فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير ففها بعشرة وقد مت عشرة لغد ليوم
 فتركه وفاقتك قال وقد كنت اشتريته بثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه
 الله تعالى أحد زها دعصره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي
 ذيل قميصه على رأسه) أو يحمله من وسطه فيغطي به رأسه أى فكذلك يستحب للفقيه وهو وحسد اللباس من
 الحاجة نقله صاحب القوت (وقال بعض الساف أول النسك الزى) حتى يشبه القلب القلب أى اذا
 رأيت اثنين زيهما واحد وشمالهما واحد في اللبسة والاداب فاعلم ان قلب أحدهما على قلب الآخر في
 المحاسبة أو يقاربه في الحال والهمة وان كان أحدهما ظاهرا والآخر باطنا فلا تفرق بينهما بل باطن أهل
 أهل الآخر وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب كذا في القوت (وفي الخبر البذاق من الايمان) رواه أحمد
 وابن ماجه والطبراني والحاكم في السكتى وفي المستدرل والبيهقي وأبو نعيم والضياع من حديث عبد الله بن أبي
 امامة ثعلبة الحارثي عن أبيه مرفوعا وقد سئل الامام أحمد عن البذاق فقال هي التقارب في اللباس ويقرب
 منه الابتدال وهو التقارب والدنو في كل من المستعمل والمبتذل كاللبوس منه يقال فلان متبذل اذا لم يبال
 باللباس أو استعمل ما فيه ضعة ودنو (وفي الخبر من ترك ثوب جلاله ويقد رعايه تواضع الله تعالى) خبره
 الله من حال الايمان أيها شاء وفي لفظ آخر من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضع الله (وابتغوا وجهه كان
 حقا على الله ان يدخله من عبقرى الجنة في تخت الباقوت) الحديث رواه الترمذي وحسنه والطبراني وأبو
 نعيم والحاكم والبيهقي والضياع من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا والحديث الثاني
 رواه أبو علي الذهلي في فوائده وابن النجار من حديث ابن عباس ورواه أبو سعد الساليني في مسند الصوفية
 وأبو نعيم في الحلية بلفظ من ترك زينة الدنيا لله وهذا قد تقدم في ذم الدنيا (وأوحى الله تعالى الى بعض
 أنبيائه قل لا يلبسوا ملابس أعدائى ولا يركبوا مراكب أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى
 فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى) ورد ذلك في الخبر كافي القوت (ونظر رافع بن خديج) بن رافع بن عدي
 الحارثي الاوسي الانصاري أول مشاهده احدثم الخندق مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين وقيل قبل
 ذلك روى له الجماعة (الى بشر بن مروان) بن الحكم بن العاص أخى عبد الملك (على منبر الكوفة) اذ كان
 والبايعا من طرف أخيه (وهو يعظ) الناس في خطبته (فقال) رافع (انظروا الى أميركم يعظ الناس
 وعليه ثياب الفساق) قبل (و) ما (كان عليه) قال (ثياب رفاق) نقله صاحب القوت (وجاء عبد الله بن
 عامر بن ربيعة) القرشي له روية وقد روى عن الصحابة (الى أبي ذر) رضى الله عنه (في برته فجعل يتكلم
 في الزهد فوضع أبو ذر) رضى الله عنه (راخته على فيه وجعل يضرب به) كالسهم (فغضب ابن عامر
 فشكاه الى عمر) رضى الله عنه كذا في النسج ولفظ القوت فأتى ابن عمر فشكاه اليه وقال ألم تر ما قلت من
 أبي ذر قال وما ذلك قال جعلت أقول في الزهد فاخذ بهزأى (فقال) ابن عمر (أنت صنعت بنفسك تتكلم في
 الزهد بين يديه بهذه البرة) ولفظ القوت تاتي أبازر في هذه البرة وتتكلم في الزهد (وقال على رضى الله
 عنه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغنى ولا يزرى
 بالفقير فقره) نقله صاحب القوت (ولما عوتب رضى الله عنه في خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع
 وأجدر ان يقتدى به المسلم) ولفظ القوت وعوتب رضى الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرايس
 قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل من أطراف أصابعه فقال هذا الذى أدنى الى التواضع
 وأجدر ان يقتدى به المسلم وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن أحمد

التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني
 عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت
 كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه
 فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير ففها بعشرة وقد مت عشرة لغد ليوم
 فتركه وفاقتك قال وقد كنت اشتريته بثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه
 الله تعالى أحد زها دعصره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي
 ذيل قميصه على رأسه) أو يحمله من وسطه فيغطي به رأسه أى فكذلك يستحب للفقيه وهو وحسد اللباس من
 الحاجة نقله صاحب القوت (وقال بعض الساف أول النسك الزى) حتى يشبه القلب القلب أى اذا
 رأيت اثنين زيهما واحد وشمالهما واحد في اللبسة والاداب فاعلم ان قلب أحدهما على قلب الآخر في
 المحاسبة أو يقاربه في الحال والهمة وان كان أحدهما ظاهرا والآخر باطنا فلا تفرق بينهما بل باطن أهل
 أهل الآخر وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب كذا في القوت (وفي الخبر البذاق من الايمان) رواه أحمد
 وابن ماجه والطبراني والحاكم في السكتى وفي المستدرل والبيهقي وأبو نعيم والضياع من حديث عبد الله بن أبي
 امامة ثعلبة الحارثي عن أبيه مرفوعا وقد سئل الامام أحمد عن البذاق فقال هي التقارب في اللباس ويقرب
 منه الابتدال وهو التقارب والدنو في كل من المستعمل والمبتذل كاللبوس منه يقال فلان متبذل اذا لم يبال
 باللباس أو استعمل ما فيه ضعة ودنو (وفي الخبر من ترك ثوب جلاله ويقد رعايه تواضع الله تعالى) خبره
 الله من حال الايمان أيها شاء وفي لفظ آخر من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضع الله (وابتغوا وجهه كان
 حقا على الله ان يدخله من عبقرى الجنة في تخت الباقوت) الحديث رواه الترمذي وحسنه والطبراني وأبو
 نعيم والحاكم والبيهقي والضياع من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا والحديث الثاني
 رواه أبو علي الذهلي في فوائده وابن النجار من حديث ابن عباس ورواه أبو سعد الساليني في مسند الصوفية
 وأبو نعيم في الحلية بلفظ من ترك زينة الدنيا لله وهذا قد تقدم في ذم الدنيا (وأوحى الله تعالى الى بعض
 أنبيائه قل لا يلبسوا ملابس أعدائى ولا يركبوا مراكب أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى
 فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى) ورد ذلك في الخبر كافي القوت (ونظر رافع بن خديج) بن رافع بن عدي
 الحارثي الاوسي الانصاري أول مشاهده احدثم الخندق مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين وقيل قبل
 ذلك روى له الجماعة (الى بشر بن مروان) بن الحكم بن العاص أخى عبد الملك (على منبر الكوفة) اذ كان
 والبايعا من طرف أخيه (وهو يعظ) الناس في خطبته (فقال) رافع (انظروا الى أميركم يعظ الناس
 وعليه ثياب الفساق) قبل (و) ما (كان عليه) قال (ثياب رفاق) نقله صاحب القوت (وجاء عبد الله بن
 عامر بن ربيعة) القرشي له روية وقد روى عن الصحابة (الى أبي ذر) رضى الله عنه (في برته فجعل يتكلم
 في الزهد فوضع أبو ذر) رضى الله عنه (راخته على فيه وجعل يضرب به) كالسهم (فغضب ابن عامر
 فشكاه الى عمر) رضى الله عنه كذا في النسج ولفظ القوت فأتى ابن عمر فشكاه اليه وقال ألم تر ما قلت من
 أبي ذر قال وما ذلك قال جعلت أقول في الزهد فاخذ بهزأى (فقال) ابن عمر (أنت صنعت بنفسك تتكلم في
 الزهد بين يديه بهذه البرة) ولفظ القوت تاتي أبازر في هذه البرة وتتكلم في الزهد (وقال على رضى الله
 عنه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغنى ولا يزرى
 بالفقير فقره) نقله صاحب القوت (ولما عوتب رضى الله عنه في خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع
 وأجدر ان يقتدى به المسلم) ولفظ القوت وعوتب رضى الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرايس
 قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل من أطراف أصابعه فقال هذا الذى أدنى الى التواضع
 وأجدر ان يقتدى به المسلم وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن أحمد

ابن حنيفة حدثنا علي بن حكيم ح وحدثنا محمد بن علي حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد قال
حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرع عن زيد بن وهب قال قدم علي بن علي رضي الله عنه وقد من أهل البصرة
فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن بجة فعاتب عليا في لبوسه فقال مالك وللبوسي ان لبوسي
أبعد من الكبر وأجدوان يقتدي بي المسلم (ونهي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الا ان عباد الله ليسوا
بالمتنعمين) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بن عمار قال والتنعم فان الله عبادا ليسوا بالمتنعمين وقد تقدم
(وروى فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي أول مشاهده أحد وشهد فقم مصر ثم نزل دمشق
وولي قضاءها ومات سنة ثمان وخسين زوى له مسلم والاربعة (وهو والى مصر اشعث) اخبر (حافيا فقيلا له أنت
الامير وتفعل هذا فقال نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه) أي التنعم (وأمرنا ان نخشى احيانا)
وروى نخفي رواه أبو داود باسناد جيد والاحتفاء البذاذة والتبذل (وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبك فارتع القميص ونكس الأزار واخصف النعل وكل دون الشبع) نقله صاحب
القوت (وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر) ولطف القوت وكان عمر
يقول اخلوا لقوا واخشوشنوا وتمددوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر واقطعوا الركب وانزوا على
الخليل نزوا وعليكم بالمعدية الاولى سنة أبيكم اسمعيل انتهى رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان
قال أنا نا كلب عمر ونحن بأذربيجان يا عتبة بن فرقد اياكم والتنعم وزى أهل الشرك وللبوس الحر برقان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اناعنه الا هكذا ورفع رسول الله أصبعيه وقدرناه أحد في مسنده حدثنا
حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان فذكره وبه قال حدثنا زيد أنبأنا عاصم
عن أبي عثمان ان عمر قال انزروا واربدوا وانتعوا والقوا الخفاف والسراريات والقوا الركب وانزوا
نزوا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التنعم وزى العجم واياكم والحرير وقال أبو نعيم في الغريب
حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم عن أبي العديس الاسدي عن عمر انه قال اخشوشنوا وتمددوا واجعلوا
الرأس رأسين ومعنى تمددوا اتبعوا معدن عدنان في الفصاحة وقيل تشبهوا بعبثه من الغلظ والتعسف
فكونوا مثله ودعوا التنعم وزى الاعاجم وقال الرامهرمزي في الامثال المعنى اقتدوا بمعدن عدنان
والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن الافراط في الترفه والتنعم
وقد روى الرامهرمزي في الامثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الادرع له
خبيبة رفعه تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة وروي تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة
رواه الحاكم في الكنى والبغوي والطبراني وابن منذه من حديث ابن أبي حدرد قال ابن عساكر اعتقد
البغوي ان ابن أبي حدرد هو عبد الله فاخرجه في ترجمته وانما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد وكذلك
رواه صفوان بن عيسى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري فيكون الحديث مرسل
لان القعقاع لا صحبة له وعبد الله بن سعيد ضعيف بمره هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير
وقال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أبو الشيخ في السبق وان شاهين في الصحابة والطبراني في الكبير
وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري
عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه تمعددوا واخشوشنوا واخولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة وهو
عند أبي الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن أبي
حدرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان لكن جعله عن
القعقاع كالأول ورواه أيضا من طريق اسمعيل بن زكريا عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن القعقاع بن
أبي حدرد وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع لكنه لم يسمه اذ ساقه بل قال عن ابن
أبي حدرد وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث اسمعيل أيضا ولم يسمه كذلك رواه الطبراني في الكبير

ونهي صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال
ان الله تعالى عبادا ليسوا
بالمتنعمين وروى فضالة بن
عبيد وهو والى مصر اشعث
حافيا فقيلا له أنت الامير
وتفعل هذا فقال نعم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
الارفاه وأمرنا ان نخشى
أحيانا وقال علي لعمر رضي
الله عنهما ان أردت ان تلحق
بصاحبك فارتع القميص
ونكس الأزار واخصف
النعل وكل دون الشبع
وقال عمر اخشوشنوا واياكم
وزى العجم كسرى وقبصر

من طريق منده بن علي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبي حذروا أبو الشيخ أيضا من طريق
سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه هو عبد الله عن جده عن أبي هريرة رفعه مثله ورواه
الراهرمزي في الامثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن سعيد عن أبيه
عن رجل من أسلم يقال له ابن الادبر ع رفعه ثم مددوا الحديث فهذا ما فيه من الاختلاف ومداره على عبد الله
ابن سعيد وهو ضعيف (وقال علي رضي الله عنه من تزيارني قوم فهو منهم) وقدر روى نحوه مرفوعا من
حديث ابن عمر من تشبه بقوم فهو منهم واه أجدوا أبو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرجسي غنسه
وفي السند ضعف ورواه البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث
أنس وهو عند القاضي من حديث طاوس مرسل وله شاهد جيد من قول الحسن البصري قلما تشبه رجل
بقوم الا كان منهم ورواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن جند الطويل قال كان الحسن يقول
فذكره ومن قول عمر بن عامر الجلي من تشبه بقوم لحق بهم ورواه العسكري أيضا من طريق رافعه
(وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
ويتشددون بالكلام) قال العراقي ورواه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي امامة سيكون رجال من
أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شر أمتي وقد تقدم قلت ونعمامة ويشربون ألوان
الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون في الكلام فاولئك شر أمتي وقدر واه أبو نعيم في الحليمة
كذلك وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها رفعته شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام
ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون في الكلام وقدر واه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك وتقدم وروى
الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر شر أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذبوا به يأكلون ألوان الطعام ألوانا
ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشددون في الكلام وقد صححه الحاكم وتعقب
وتقدم (وقال صلى الله عليه وسلم أزره المؤمن الى انصاف ساقية ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما
أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من حرازه بطرا) قال العراقي ورواه مالك وأبو داود
والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة قال مجاهد بن يحيى
الذهلي كلا الحديثين محفوظ انتهى قلت لفظ مالك في الموطأ أزره المؤمن الى نصف الساق ولا جناح عليه
فما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من حرازه بطرا لم ينظر الله اليه وكذلك
رواه الطيالسي وأجدوا ابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياع من حديث أبي سعيد ورواه
الطبراني من حديث ابن عمر وفي رواية أزره المؤمن الى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل وفي رواية أزره
المؤمن الى عضلة ساقه ثم الى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار واه كذلك أحمد من حديث أبي
هريرة واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الاولى فقط وكذلك النسائي والبيهقي من
حديث أبي سعيد وكذلك ابن أبي عاصم وسمويه والضياع من حديث أنس وروى الطيالسي ومسلم من
حديث ابن عمر من حرازه يريد بذلك الخلاء فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة وروى أحمد والسنن من
حديثه من حرجه به خيالا لم ينظر الله اليه يوم القيامة وروى أحمد من حديث أبي سعيد من حرجه به من
الخلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الحديث (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من أمتي الامراء أو أحمق) قال العراقي لم أجده اسنادا (وقال) أبو عمرو
(الاوراعي) رحمه الله تعالى (لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة) كذا في القوت (ودخل محمد بن
واسع) أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى (علي قتيبة بن مسلم) الباهلي صاحب خراسان وكان أمير

وقال علي كرم الله وجهه
من تزيارني قوم فهو منهم
وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من شر أمتي الذين
غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان
الطعام وألوان الثياب
ويتشددون في الكلام
وقال صلى الله عليه وسلم أزره
المؤمن الى انصاف ساقية
ولا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك
ففي النار ولا ينظر الله يوم
القيامة الى من حرازه بطرا
وقال أبو سليمان الداراني
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يلبس الشعر من
أمتي الامراء أو أحمق وقال
الاوراعي لباس الصوف في
السفر سنة وفي الحضر بدعة
ودخل محمد بن واسع علي
قتيبة بن مسلم

الجيش وكان محمد بن واسع قد خرج معه (وعليه جبة صوف فقال له قتيبة) بأبا يحيى (مادعاك الى مدرعة
 الصوف) وكان استحقها (فسكت) محمد بن واسع ولم يجب (فقال) قتيبة (أكلت ولا تجبني فقال) أكره
 ان أقول (لبستها زهدا) وتقصفا (فازكى نفسى أو) لبستها (فقرا) وقلة (فاشكور بى وقال أبو سليمان)
 الدار الخرجه الله تعالى (لما اتخذ الله إبراهيم خليلا أوحي اليه ان وارع ورتك من الارض وكان) عليه
 السلام (لا يتخذ من كل شئ) من الثياب (الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل
 أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتى اليه حال الاوعورته مستورة وقيل سلمان الفارسي) رضى الله عنه (مالك
 لا تلبس الجيدين من الثياب فقال ما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق) أى من ريق النوار (فله والله ثياب لا تبلى أبدا)
 وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا
 من المسلمين وكان يخطب الناس في عبادة يفترش بعضها ويلبس بعضها واذا خرج عطاؤه أمضاها ياكل من
 سطيغ يده (و يروى عن عمر بن عبد العزيز) رجه الله تعالى (انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من
 الليل اذا قام يصلى) تقشفا وزهدا رواه أبو نعيم في الحلية (وقال الحسن) البصري (لفرقد) بن يعقوب
 (السجى) بقبح المهمل والموحدة وبجاء محبة أبي يعقوب البصري العابد صدوق ابن الحديث مات سنة
 احدى وثلاثين روى له الترمذى وابن ماجه (فحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغنى ان أكثر أصحاب
 النار أصحاب الاكسية تنافا) أى يلبسونها باطنهم يخالف لظاهرهم فالحسن رجه الله تعالى خاطب فرقد
 ينبهه أن لا يغره لبس الصوف (وقال يحيى بن معين) بن عوف الغطفاني مولا لهم أبو زكريا البغدادي ثقة
 حافظ مشهور امام الجرح والتعديل مات سنة ثلاث وثلاثين عن بضع وسبعين سنة روى له الجماعة (رأيت أبا
 معاوية) يمان (الاسود) رجه الله تعالى ترجمه له أبو نعيم في الحلية وروى من طريق بشر بن الحرث سمعت
 المعافى بن عمران يقول كان عشرة من مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يدخلون بطونهم
 الا ما يعرفون من الحلال والاستفوا التراب ثم عد بشر منهم أبا معاوية الاسود (وهو يلتقط الخرق من
 المزابل ويغسلها ويلفها ويلبسها فقلت) له (انك تكسى خيرا من هذا فقال ما أضرمهم ما أصابهم في الدنيا
 جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويكى) رواه أبو نعيم في الحلية من غير هذا
 الوجه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد حدثنا أحمد بن مهدي حدثنا أبو موسى الفارقي قال كنت أسمع
 أبا معاوية الاسود اذا قام من الليل يستقي الماء يقول ماضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم
 كل مصيبة بالجنة حدثنا محمد بن عمرو بن مسلم املاء حدثنا عبد الله بن بشر بن صالح حدثنا يوسف بن معبد حدثنا
 ابراهيم بن مهدي سمعت أبا معاوية بن الاسود يقول ماضرهم ما أصابهم في دنياهم جبر الله لهم كل مصيبة
 بالجنة حدثنا محمد بن أحمد بن شاهين سمعت عبد الله بن أبي داود سمعت أبا حمزة نصر بن الفرج وكان خادما
 أبي معاوية الاسود فقيل له أى شئ يتكلم به أبو معاوية ويتمثل فقال كان يحيى عويذهو يقول ماضرهم
 ما نالههم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال
 كتب الى أبو موسى بن المثنى حدثني عمرو بن أسلم حدثنا أبو معاوية الاسود قال شمر وا طلابا وشمر وا هرايا لم
 يضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة * (المهم الثالث) المسكن وللزهد أيضا فيه ثلاث
 درجات أعلاها ان لا يطلب موضعاً خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد) فيأوى اليها ان كان متجردا عن العيال
 وذلك (كأصحاب الصفة) رضوان الله عليهم وهم أناس من فقراء الصحابة ليس لهم مسكن يأوون اليه كانوا
 يسكنون في صفة المسجود كان عددهم يختلف بحسب اختلاف الاوقات والاحوال فرما تفرق عنها وانفض
 قادموها من الغرباء فيقل عددهم وربما يجتمع فيها واردها من الوفود فينضم اليهم فيكثر والمشهور
 من أخبارهم غلبة الفقر عليهم واثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الاطعمة
 لوان وقال أبو هريرة رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب ففهم من يبلغ ركبته ومنهم من هو أسفل

وأوسطها أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف أو خوص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتخصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالسكينة حد الزهد في المسكن (٢٦١) فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالآخر واختلاف قدره

بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ولزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدرة الضرورة من الدنيا آلة الدين وسيلته) بها يصل إليه بل لا بعد من الدنيا (وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و (دفع العين) لئلا تطالع إليه (والأبدى) لئلا تصل إليه (وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد (أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشديد يعني بالتدريز كقدر وزا الشياطين فأنها كانت تشل شلاً والشلالة هي الخبطة الخفيفة والتدريز هي الكفاية وهي إعادة الخبطة على الشلالة (والتشديد هو البنين بالجص والآخر) يقال تشديد بناءه إذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ولا يتم ذلك إلا بالآخر (وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد) وأعلامه الطين والرصوص كذا في القوت قال العراقي أما مثل الشياطين من غير كف فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من السكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهم من حديث أبي سعيد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يوشون) أي يزينون (ثيابهم) كذا في النسخ وفي بعضها يبنونهم (كأنوشي البرود البمانية) فأنما تخطط بالالوان المختلفة من الحرير أو رده صاحب القوت وأغفل العراقي (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه) بكسر العين واللام والياء المشدتين هي الغرفة المشرفة وجعلها علالي (كان قد عابها) أي رفع بناءها قال العراقي واه الطبراني من رواية أبي العباس أن العباس بن عرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أهدمها الحديث وهو منقطع (ومر صلى الله عليه وسلم) يوماً (بجنيذة معلاة) أي قبة مرتفعة (فقال لمن هذه قالوا الفلان) وسموا رجلاً من أصحابه (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره) بالسبب (فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر) أو رده صاحب القوت وقال العراقي واه أبو داود من حديث أنس بأسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنيذة القبة انتهى قلت ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببنيّة قبة لرجل من الأنصار فقال ما هذا قالوا قبة

من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته واه أجد في الزهد) وأوسطها أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف (النخل وجريده) وهو بالضم بيت من قصب فارسي والجمع أخصاص (أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية) طين ولبن (إما بشراء أو إجارة) أو استعارة (فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتخصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالسكينة حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالآخر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ولزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدرة الضرورة من الدنيا آلة الدين وسيلته) بها يصل إليه بل لا بعد من الدنيا (وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و (دفع العين) لئلا تطالع إليه (والأبدى) لئلا تصل إليه (وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد (أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التشديد يعني بالتدريز كقدر وزا الشياطين فأنها كانت تشل شلاً والشلالة هي الخبطة الخفيفة والتدريز هي الكفاية وهي إعادة الخبطة على الشلالة (والتشديد هو البنين بالجص والآخر) يقال تشديد بناءه إذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ولا يتم ذلك إلا بالآخر (وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد) وأعلامه الطين والرصوص كذا في القوت قال العراقي أما مثل الشياطين من غير كف فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من السكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهم من حديث أبي سعيد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يوشون) أي يزينون (ثيابهم) كذا في النسخ وفي بعضها يبنونهم (كأنوشي البرود البمانية) فأنما تخطط بالالوان المختلفة من الحرير أو رده صاحب القوت وأغفل العراقي (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه) بكسر العين واللام والياء المشدتين هي الغرفة المشرفة وجعلها علالي (كان قد عابها) أي رفع بناءها قال العراقي واه الطبراني من رواية أبي العباس أن العباس بن عرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أهدمها الحديث وهو منقطع (ومر صلى الله عليه وسلم) يوماً (بجنيذة معلاة) أي قبة مرتفعة (فقال لمن هذه قالوا الفلان) وسموا رجلاً من أصحابه (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره) بالسبب (فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر) أو رده صاحب القوت وقال العراقي واه أبو داود من حديث أنس بأسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنيذة القبة انتهى قلت ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببنيّة قبة لرجل من الأنصار فقال ما هذا قالوا قبة

(٤٦ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) كأتوشي البرود البمانية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد عابها وسموا رجلاً من أصحابه عن تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر)

وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً قال ما هذا قلنا خص لنا قدهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له لو بنيت فقل هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كاف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً إنهم الرياسة والتطاؤل في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناع وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حروبر وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك البصيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة

فقال كل بناء وأشار بيده على رأسه أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة وروى في الكبير حديث وثلة كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا وأشار بكفه الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة) قال العراقي رواه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلوا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلان نظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث واسناده ضعيف انتهى قات وتماه ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشر إليه اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية (وقال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللين حتى يبني انتهى قلت ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني قال الهيثمي لم أجده من ضعفه وله في الأوسط عن أبي بشير الأنصاري إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في البنيان وفي لفظ له زيادة الماء والطين وهكذا رواه به هذه الزيادة الحسن بن سفيان وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي كلهم عن محمد بن بشير الأنصاري قال البغوي وماله غيره ورواه أيضاً ابن عدي من حديث أنس (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً فقال ما هذا قلنا خص لنا قدهي قال أرى الأمر أعجل من ذلك) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى قلت ورواه أحمد كذلك وأظنه قال الأمر أسرع من ذلك (واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب) بأن ربط بعضه على بعض (فقيل له لو بنيت) بالطين (فقال هذا كثير لمن يموت) ومن هنا قولهم المشهور بيت العنكبوت كثير لمن يموت (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (دخلنا على صفوان بن يحيى) هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع قال ابن حبان في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال وكان من العباد اتخذ لنفسه سريراً بيكي فيه وقال الواقدي توفي في ولاية بشر بن مروان روى له الجماعة غير أبي داود (وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له) أي قال له أحد أصحاب الحسن (لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد فيه لين وانقطاع اهـ قلت لكن بلفظ كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر (وفي الخبر كل نفقة) ينفقها (العبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الارت باسناد جيد بلفظ الآتي التراب أو قال في البناء انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها إلا البنيان (وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) قيل هو حب الكثرة وطلب (الرياسة والتطاؤل في البنيان) كذلك (قال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حروبر) وفي لفظ الامسجد من بيوت الله قال العراقي رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد إلا ما لا مالا يعني مالا بمنه انتهى قلت سبق ذكره قريبات حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير قال صاحب اللقوت ولذلك جعل التطاؤل في البنيان من اشراط الساعة وقرب توقع وقوعها في خبر الجساسة ان الدجال سأل هل تطاؤل الناس في البنيان قالوا نعم قال الا تنذروا جي في اشياء عددها (وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك اليه ضيق منزله اتسع في السماء) قال المصنف (أي في الجنة) قال العراقي رواه أبو داود في المراسيل من رواية البصيص بن المغيرة قال شككنا الذين لا يريدون فذكره وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد الا أنه قال ارفع الى السماء واسأل الله السعة وفي اسناده لين انتهى ولفظ القوت وشكا

ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى مصر قد بني بحص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من بين بني هاشم
لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا هاشم علي الطين يعني به الأجر ويقال ان فرعون هو أول من بنى له بالحص والأجر وأول من عمله هاشم
ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت
مبنياً من رهص ثم رأيت الآت مبنياً باللبن فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص (٣٦٣) وكان أصحاب الرهص خيراً من أصحاب

اللبن وكان في السلف من
يبني داره مراراً في مدة عمره
لضعف بنائه وقصر أمله
وزهد في أحكام البنين
وكان منهم من اذا حج أو غزا
تزع بيتته أو وهبه لجيرانه
فاذا رجع أعاده وكانت
يسوءهم من الحشيش
والخلود وهي عادة العرب
الآن يسلاد اليمن وكان
ارتفاع بناء السقف قامة
وبسطة قال الحسن كنت
اذا دخلت بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربت
بيدي السقف وقال عمرو
ابن دينار اذا علي العبد
البناء فوق ستة أذرع ناداه
ملك الى أين يا أفسق
الفاسق وقد نسي سفيان
عن النظر الى بناء مشيد
وقال لولا نظر الناس لما
شيدوا فالنظر اليه معين
عليه وقال الفضيل اني
لا أعجب ممن بنى وترك ولكن
أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر
وقال ابن مسعود رضي الله
عنه يأتي قوم يرفعون الطين
ويضعون الدين ويستعملون
البراذين يصلون الى قلوبكم
ويعنون على غير دينكم
(المهم الرابع أنات

العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيق منزله فقال يا عم اتسع في السماء يعني في طلب الآخرة ولا
تطلب سعة الارض بالدنيا (ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام) حين توجه اليه (الى مصر) قال
(قد بني بحص وأجر فكبر) أي قال الله أكبر (وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من بين بني هاشم
هاشم لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا هاشم علي الطين يعني به الأجر ويقال ان فرعون هو أول من بنى
له بالحص والأجر وأول من عمله هاشم ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف) كل ذلك في القوت الا أنه
قال وهذا من الزخرف (ورأى بعض السلف) مسجداً (جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد
مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت) بعد سنين (مبنياً من رهص ثم رأيت الآت مبنياً باللبن) والأجر
(فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيراً من أصحاب اللبن) نقله صاحب
القوت (وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهد في أحكام
البنين) واتقاه (وكان منهم من اذا حج أو غزا زرع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده) (والعذر في ذلك أنه
(كانت يبيعونهم من الحشيش) والتمام (والخلود) وهي عادة العرب الى (الآن يسلاد اليمن) كل ذلك في
القوت (وكان ارتفاع بناء السقف) ولفظ القوت وكان سمك بناء الصحابة (قامة وبسطة قال الحسن)
البصري رحمه الله تعالى (كنت اذا دخلت بيوت) أصحاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى
السقف) كذا في القوت (وقال عمرو بن دينار) المسكي ابو محمد الأثرم الجهمي مولا هم ثقة ثبت مات سنة ست
وعشرين ومائة توفي له الجماعة (اذا أعلی العبد البنين فوق ستة أذرع ناداه ملك) الهواء (الى أين يا أفسق
الفاسق) كذا في القوت (وقد نسي سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا
نظر الناس لما شيدوه فالنظر اليه معين عليه) ولفظ القوت وقال بعضهم كنت أمشي مع سفيان في طريق
فنظرت الى باب مشيد بالحص فقال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تذكره من النظر اليه فقال اذا نظرت
اليه كنت عوناً له على بنائه لانه انما بناء لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه ما عمله (وقال
الفضيل) بن عباس رحمه الله تعالى (اني لا أعجب ممن بنى وترك ولكني أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر) رواه
أبو نعيم في الحلية (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون
البراذين) وهي خيل الروم (يصلون الى قلوبكم ويعنون على غير دينكم) وهذا من جملة الاخبار بما سبق
المهم * (الرابع أنات البيت) أي متاعه (ولله هديه) أي ضار جات أعلاها حال عيسى المسيح عليه السلام
اذ كان لا يعصبه) منه (الامشط وكوز) فالمشط للعبته والكوز لشربه وبينه هو عيسى (فرأى انساناً)
قد غسل وجهه وهو (يمشط لحيته باصبعه) يخالها به (فرمى بالمشط) اذ رأى الاصابع كافية (ورأى آخر
يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز) اذ رأى كفيه كافية وصحبراهدمسوا كافرأى رجلاً يمشي
باصابعه فرمى بالمسوا (وهذا حكم كل أنات فانه انما اراد المقصود فاذا استغنى عنه فانه وبال في الدنيا
والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف) في الآلات
الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها (ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به)
وذلك في الزهد ولا يتشاهم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فانه من الجهل بالسنة

البيت) * (ولله هديه) أي ضار جات أعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفي اذ كان لا يعصبه الامشط وكوز فرأى
انساناً يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أنات فانه انما اراد المقصود فاذا استغنى
عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف ولا يبالي بان يكون
مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به

وأوسطها أن يكون له آتأ بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذى معه قسعة يأكل فيهاو يشرب فيها
وبحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون (٣٦٤) استعمال آله واحدة في أشياء للتخفيف وأعلمها أن يكون له بعد ذلك حاجة آله من

الجنس النازل الخسيس
فان زاد في العدد أو في نفاة
الجنس خرج عن جميع
أبواب الزهد وركن الى طلب
الفضول ولينظر الى سيرة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين فقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان
ضجاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه
وسادة من آدم حشوها ليف
وقال الفضيل ما كان من
فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا عبادة مثنية
وسادة من آدم حشوها
ليف وروى أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نائم على سرير
مرمره ول بشرط جفلس
فرأى أثر الشرط في جنبه
عليه السلام فدمعت عيناه
عمر فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما الذي أبكاك
يا ابن الخطاب قال ذكرت
كسرى وقيصروما هما فيه
من الملك وذكرك وأنت
حبيب الله وصفيه ورسوله
نائم على سرير مرمره بشرط
فقال صلى الله عليه وسلم أما
ترضى يا عمر أن تكون لهما
الدنيا ولنا الآخرة قال بلى
يا رسول الله قال فذلك
كذلك ودخل رجل علم أبي

(وأوسطها أن يكون له أناث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده كالذي معه قصعة يا كل فيها) الطعام (و يشرب فيها) الماء (ويحفظ المتاع فيها) فهذه ثلاثة مقاصد في آلة واحدة (وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلامه أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحسيس فان زاد في العدد) بان اتخذ حخين أو ابريقين أو قصعتين أو قدرين (أو زاد) (في نفاسة الجنس) بان اتخذ من خرف الصين الساج أو المموه بالنفوش فقد (خرج عن جميع أبواب الزهد) آخرها وأولها (وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم) أي جلد مذبوغ (حشوها ليف) التخل قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى قلت ولفظهم كانت وسادته التي ينام عليها من ادم حشوها ليف وكذلك رواه أحمد (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبادة مثنية وسادة من ادم حشوها ليف) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (وروى ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير) من جريد (مرمول) أي منسوج (بشرط مجلس) ولفظ القوت (فقد فرؤى أثر) حبال (الشريط في جنبه) عليه السلام (قدمت عينا عمر) ولفظ القوت فادرت عيني في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارايت الاصابع من شعير مصبوب في زاوية البيت ٧ واهب في ناحية منه غير مدبوعة قال فلم أملك عيني فبكيت (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب) ولفظ القوت قال في بيك بك يا ابن الخطاب (قال) فقلت (ذ كرت كسرى وقصر وماهما فيه من الملك) ونعيم الدنيا (وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله) ولفظ القوت وأنت رسول الله وخبرته من خلقه على ما أرى (نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم) أفى شك أنت يا عمر (ما ترضى أن تكون لهم) وفي نسخة لهما (الدنيا ولنا الآخرة قال) قلت (بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك) وفي لفظ فقلت رضيت وفي لفظ آخر أولك قد عملت لهم طبائهم في الدنيا فدل قوله صلى الله عليه وسلم أفى شك أنت على ان القلة والزهد من اليقين لانه ضد الشك في شك في ذلك أو رغب فهو غير موثق قال العراقي وهو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم (ودخل رجل على أبي ذر) رضي الله عنه (فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاناث فقال ان لنا بيتا فوجه اليه صالح متاعا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه) وقدرى صاحب الخلية في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة عن خالد بن حدير الاسلمى أنه دخل على أبي الدرداء فرأى تحته فراشا من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبينة صوف وهو وجع وقد عرق فقال لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين قال ان لنا دارا وانا لنظمتن اليها ولها تعمل ومن طريق الاوزاعي عن حسان بن عطية ان أصحابا لابي الدرداء تصفوه فضيفهم ففهم من بات على لبدته ومنهم من بات على ثيابه كما هو فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال ان لنا دارا فلها تجمع واليهاتر جمع (ولما قدم غير ابن سعد) بن عبد بن النعمان بن قيس بن عمر بن عوف الانصاري الاوسى هكذا نسبة الواقدي وتبعه ابن عبد البر وكان يقال له نسج وحده قيل كان عمر يسميه بذلك لانجابه به صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على شخص الى ان مات وكان من الزهاد روى عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمر قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في

خلافة

ذرفعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأنث فقال ان لنا بيتا فوجه اليه

صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عيسى بن سعيد

خلافه ماويه وكان (أمير حصن) استعمله عمر (على عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما) أي عن عمر
وعن عمر (قال له مامعك من الدنيا فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حبة ان لقيتها ومعى جراي أجل
فيها طعما ومعى قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعى مطهرتي أجل فيها شرابي ووضوئي للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت (رحمك الله) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا
سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن المرزبان الادمي حدثنا محمد بن حكيم الرازي حدثنا عبد الملك بن هرون بن
عذرة حدثني أبي عن جدي عن عمر بن سعد الانصاري قال بعثه عمر بن الخطاب عاملا على حصن فكث
حول الايات به خبره فقال عمر لكاتبه اكتب الى عمر فوالله ما اراه الا قد خاننا اذا جاءك كتابي هذا فاقبل واقل
بما جيت من في المسلمين حين تنظر في كتابي هذا قال فاخذ عمر جرايه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق اداونه
وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حصن حتى دخل المدينة قال فقدم وقد شرب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته
فدخل على عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال عمر ما شئت فقال عمر ما ترى من شأني
ألست ترى في صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أحرها بقرنها قال ومامعك فظن عمر انه قد جاء به مال فقال معي
جراي أبعلي فيه زادي وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وادواني أجل فيها وضوئي وشرابي
وعزتي أتوكأ عليها وأجاهد به أعداء ان عرضني فوالله ما الدنيا الا تبع لما معي قال عمر فحنت عشي قال نعم قال
ما كان لك أحد يتبع لك بدابة تركها قال ما فعلوا وما سألهم ذلك فقال عمر بنس المسلمين خرجت من عندهم
فقال عمر اتق الله يا عمر قد نك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة قال عمر فان بعثتك وأي شيء
صنعت قال وما سألك يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله فقال عمر ألو لا اني أخشى ان أعظمك ما أخبرتك
بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليبتهم جباية فيشهم حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ولو
نالك منه شيء لا يتك به قال فما جئتنا بشي قال لا قال جددوا لعمر عهدا قال ان ذلك لشيء لا عملت لا ولا احد
بعدك ثم ساق الحديث بطوله وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته وقوله وددت لو ان لي رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين به في أعمال المسلمين وروي الواقدي هذا القول عن عمر ولفظه وددت لو أن لي رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين (وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله
عنها) وكانت من أول من يدخل عليها من أهله اذا قدم من سفر (فراى على باب منزلها ستراف وفي يدها قلبي
من فضة) مثنى قلب بضم فسكون وهو السوار (فرجع) ولم يدخل (فدخل عليها أبو رافع) مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت لا مزارع فجمع فقال
أنا أسأله ماردة (فسأله أبو رافع فقال من أجل السترو السوارين) فاخبرها بذلك فهتكت السترو وترعت
السوارين (فارسلت بها بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى
فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع) بلال (القلبي بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل
عليها صلى الله عليه وسلم) وضمها اليه (فقال بابي أنت وأمي قد أحسنت) أنت مني كذا في القوت وقال في
موضع آخر ونظر صلى الله عليه وسلم الى فاطمة رضي الله عنها في عنقها عقد من خرز فيه شيء من ذهب وعلى
بها ستر فرجع ولم يدخل فقال مالي وللدنيا فترعت ذلك وأرسلت به الى بعض الفقراء ورأى صلى الله
عليه وسلم في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما قلبي من فضة فخرز بينهما ما فاطمة رضي الله عنها
فترعهما وأمر بلالا ان يتصدق بهما على أهل الصفة وقال العراقي لم أره مجموعا ولا يداودا بن ماجه
من حديث سفينة باسناد جيد انه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام
قد ضربت في ناحية البيت فرجع فقال فاطمة لعل انظر ما أرجعه الحديث وللناس من حديث ٧ باسناد
صحيح قال جاءت ابنة هبيرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها افتح من ذهب الحديث وفيه انه وجد في يد
فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وانه خرج ولم يقعد فامرت

أمير حصن على عمر رضي
الله عنهما قال له مامعك
من الدنيا فقال معي عصاي
أتوكأ عليها وأقتل
بها حبة ان لقيتها ومعى
جراي أجل فيه طعما
ومعى قصعتي آكل فيها
وأغسل فيها رأسي وثوبي
ومعى مطهرتي أجل فيها
شرابي وطهوري للصلاة فما
كان بعد هذا من الدنيا فهو
تبع لما معي فقال عمر صدقت
رحمك الله وقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سفر
فدخل على فاطمة رضي
الله عنها فرأى على باب
منزلها ستراف وفي يدها قلبي
من فضة فرجع فدخل
عليها أبو رافع وهي تبكي
فاخبرته برجوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله
أبو رافع فقال من أجل
السترو السوارين فارسلت
بهما بلالا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت
قد صدقت بهما فضعهما
حيث ترى فقال اذهب
فبعه وادفعه الى أهل
الصفة فباع القلبي بدرهمين
ونصف وتصدق بهما عليهم
فدخل عليها صلى الله عليه
وسلم فقال بابي أنت قد
أحسنت

آل فلان وفرشته عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لهما عبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتت دنائير خمسة أوسمة ليلافيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن أدركت سبعين من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشراً الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه * (المهم الخامس المنسكج) * وقد قال قائلون لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة على ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة و بضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك شؤم والمرأة قد تكون شاغلة عن الله

بالسلسلة فبعت فاشترت بثمنها عبداً فاعقته فلما سمع ذلك قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار انتهى قلت وروى أبو نعيم في الخلية من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال لما ولدت فاطمة حسناً قالت يا رسول الله الا أعق عن ابني قال لا ولكن احلني رأسه وتصدي بوزن شعره ورقاً وقضة على الاوافض والمساكين يعني بالوافض أهل الصفة (ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة) رضي الله عنها (سترافهتكم وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان) وفي القوت سترافيه صورة وفيه ما في اذاريته ذكرت الدنيا وقال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (وفرشته عائشة) رضي الله عنها (ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة) كذا هو في القوت وفي موضع آخر منه وأهدت لعائشة امرأة فراشاً ففرشته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر ليلته ونوطته ووطاه فسأها فآخبرته فقال ردى العباءة ونحى هذا انتهى وقال العراقي روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعت الى بفراش حشوه صوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه انه أمرها بده ثلاث مرات فردته وفيه مجالدين سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشرائع (وكذلك أتت دنائير ستة أوسمة ليلافيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة) رضي الله عنها (فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده) كذا في القوت قال وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يبيت عنده ما ولا يقبله ان جاءه ليلاً أو عشاء لم يبيت به وان جاءه غدوة لم ينتظر به القابلة قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة باسناد حسن انه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت الذهب فاعت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد بالحديث وفيه رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يا بني الله مالك ساهم الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي أتتني أمس أمسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية أم مسينا ولم تنفقا (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت سبعين) رجلاً (من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشراً الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه) نقله صاحب القوت (المهم الخامس المنسكج وقد قال قائلون) من الصوفية (لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب) ابو محمد (سهل بن عبد الله) التستري رحمه الله تعالى (وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين) صلى الله عليه وسلم (النساء) فكيف زهد فيها ولا معنى لمحبتهم الا النكاح كانه يشير الى الخبر المشهور ورجب الى من دنيا كم الطيب والنساء جعلت قرعة عني في الصلاة ولغظ سهل لا يصح الزهد في النساء لانه قد حبيب الى سيد الزاهدين (ووافقه) في ذلك الامام أبو محمد سفيان (بن عيينة) الهلالي مولا هم المكي رحمه الله تعالى (وقال) ليس في كثرة النساء دنيا (كان أزهد الصحابة) وأعلاهم شأناً فيه (على ابن أبي طالب) رضي الله عنه (كان له أربع نسوة) بالصدق (وبضع عشرة سرية) مات عنهن (والصحيح) في ذلك (ما قاله أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤم) هكذا نقله القشيري وروى أيضاً من قول داود الطائي كما تقدم قريباً ونقل القشيري أيضاً عن الداراني قال الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقال أحمد بن حنبل زهد العارفين ترك العبد ما يشغل عن الله تعالى (والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تعالى) فيكون الزهد تركها

وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن (٣٦٧) عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك

النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة لها (والمواقعة) بها (فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير (سواد) أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان) لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف وهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله) نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذنبت هذا فن كان (حاله) حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عاين) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده) فهين حذر من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة) منهم أوجال المرأة فليترك واحدة (وليقتصر عليها أو ليسكن) (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان وبالجملة الاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصالح فهذه زوجة أخرى لست من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يدنس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشكهم في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اها في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل) للسالك (في بعض الاحوال كما سبق) بيانه (في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة) عن سبق كشيق الحمار لا يعوى ولا ينتهي الا بالسفاد (فهو واجب) حينئذ (فكيف يكون تركه من الزهد وان لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد) اذ الانس بغير الله من الدنيا (وان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر) اليها (والمضاجعة) لها (والمواقعة) بها (فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير (سواد) أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان) لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف وهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله) نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذنبت هذا فن كان (حاله) حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عاين) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده) فهين حذر من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة) منهم أوجال المرأة فليترك واحدة (وليقتصر عليها أو ليسكن) (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان وبالجملة الاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصالح فهذه زوجة أخرى لست من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يدنس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشكهم في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اها في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة) منهم أوجال المرأة فليترك واحدة غير جميلة ورايع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء ان أو البتيمة على المرأة الجميلة والشريفة

وقال الجنيد رحمه الله أحب العبد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزويج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا * (المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه) * (٣٦٨) أما الجاه فنعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض

والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا أول قريب ولكن يتمادي به إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه وانما يحتاج إلى المحل في القلوب اما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده المستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدان لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا (فإن اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراقبة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذمن طلب الجاه باطلا (أذمن طلب الجاه أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا ولا يسير منه دواعي الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره * وأما المال فهو ضروري

كيد في ماله في إخراجها والثالثة يقول أن أردت الخروج إلى حج أو زيارة أو غزاة ولزمت الرضا وكنت عوناً في انفساها والرابعة أن تزوجت عليك ثلاثاً لم تعرضي وجهك ولم تتغيري والخامسة خفة الصداق والسادسة خذوها والسابعة سرعة البناء فان وافق منها هذه الخصال فليست تقدم ولا يتوقف ٧ وكانت امرأته زاهدة وكان يحكي عنها زهد النساء قال قالت لي أهلي ما زهد النساء قالت ترك الزينة والرياء قالت أعلى من هذا قلت ما هو قالت تطيب نفسها لزوجها بان يتزوج عليها من النساء فان الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال فقلت لها هي بضاعتكم أنتم بها أعرف قال وقلت لها قد أذن الله في تزويج أربعة من النساء فقالت ليس يفرض عليك أن تزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين اثنين (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (أحب للعبد المبتدئ) في إرادته وسلوكه (أن لا يشغل قلبه بثلاث) خصال (ولا تغير حاله) ونقص من يده من سلوكه (التكسب وطلب الحديث والتزويج) نقله صاحب القوت أي فان في هذه الخصال ركوباً إلى الدنيا وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريبان تزويج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا (وقال) الجنيد أيضاً (أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه) نقله صاحب القوت أي فان الاشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه وبغير حاله (فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا * المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة) من المهمات المذكورة (وهو المال والجاه أما الجاه فنعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه) ليتوصل به إلى قضاء حاجاته (لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه) كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه (وهذا أول قريب ولكن يتمادي) أي ينجر (إلى هاوية لا عمق لها) أي لا آخر (ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه) كما في الخبر (و) هذا إن طلبه بالعبادة حرم قليله وكثيره وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه (فانما يحتاج إلى المحل في القلوب) لأحدى ثلاث (أما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم أما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده المستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدان لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا (فإن اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراقبة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذمن طلب الجاه باطلا (أذمن طلب الجاه أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا ولا يسير منه دواعي الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره * وأما المال فهو ضروري

القلوب أصلاً فان اشتغاله بالدين والعبادة بعهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذمن طلب الجاه أيضاً لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ولا يسير منه دواعي الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليجتر زمن قليله وكثيره * وأما المال فهو ضروري

في المعيشة أعنى القليل منه فان كان كسواً فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين ورفع سبطه وقام هذا شرط الزهاد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقربا بهم جميعاً وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته وان يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو اليسر القرني (٢٦٩) رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد

وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الآخرة من المقامات المحموده لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل * وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التصديق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عماله نعم لا ينبغي أن يجيهم أيضاً فيما يخرج عن حد الاعتدال من حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب سر وقلبين لان ذلك من الزينة لان الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاءه وما ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما مدرجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن مما قاتل فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافع لكنه قليل الضرر وسم محذور وشربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فاعلم احتياط لنفسه ومن تساهل فاعلم تساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وهو ردت نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم والفرقة الناجية لا محالة وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم ما أتا عليه وأصحابي (والمقتصر

في المعيشة أعنى القليل منه فان كان كسواً فاذا اكتسب حاجة يومه) مما يكفي به (فينبغي أن يترك الكسب) في ذلك اليوم (كان بعضهم) أي من المتكسبين الزاهدين (اذا اكتسب حبتين رفع سبطه وقام) والسبط محرك وعاء المتاع (هذا شرط الزاهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقربا بهم جميعاً وان كانت له ضيعة) مثل أرض يستعملها (ولم تكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه) وهو ما يفيض من غلال الضيعة (لسنة واحدة فلا يخرج به هذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد) لامن أقربا بهم (فان شرط التوكل في الزهد) بان لا يكمل الاب (كما شرطه أبو اليسر القرني) رحمه الله تعالى فيمافهم من كلامه السابق ذكره (فلا يكون هذا من الزهاد) لفقد وصف التوكل فيه (وقولنا انه خرج عن حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الآخرة من المقامات المحموده لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة) فاطلاق الزهد عليه بهذا الاعتبار فقط وعلى الجملة فالزهد ثواب مخصوص موعود عند الله في ما نال منه شيئاً أخذ من ذلك الثواب بقسطه (وأمر) الاعزب (المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل) أي ذى العيال كما قيل

مال المعالي والمعيل وانما * يسعى اليهن الفريد القادر

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لا ينبغي ان يرق الرجل أهله) أي يكافهم (الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التصديق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عماله) هذا ما فهم من كلامه (نعم لا ينبغي أن يجيهم أيضاً فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب سر) كانت علقته في ناحية البيت (وقلبين) في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريباً (لان ذلك من الزينة لان الحاجة) وكذلك لما تزيت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعت قناعي عن اذني رجاء ان ينظر الى زينتي قالت فاعرض ولم يلتفت فقلت يا رسول الله انما تزيت لك فقال عن زينتك اعرض ما ضررك لو جعلت من فضة ثم لطختها بالزعفران فكان كانه ذهب فامرها بفعل من لا يجب الدنيا لعينها وانما يدخل فيها الظاهر مرافقها لان الفضة والزعفران وان أشبهت الذهب في اللون فانما هو متاع في الوقت لان لها قيمة الذهب وقدره لا وجود حالوته في قنيتها فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها فيستعمل الدنيا فيما يقرب ودناو يبدل دقيقتها بما ذا قيمة يسير دونه (فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاءه وما ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما مدرجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن مما قاتل فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافع لكنه قليل الضرر والسم محذور وشربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فاعلم احتياط لنفسه ومن تساهل فاعلم تساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وهو ردت نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم والفرقة الناجية لا محالة وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم ما أتا عليه وأصحابي (والمقتصر

(٤٧ - اتخاف السادة المتقين) - تاسع)

الزيادة وان لم يكن مما قاتل فهو مضر وما

يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافع لكنه قليل الضرر وسم محذور وشربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فاعلم احتياط لنفسه ومن تساهل فاعلم تساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وهو ردت نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم والفرقة الناجية لا محالة والمقتصر

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً فآوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال (٣٧٠) في الآخرة وهو في الدين أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

على قدر الضرورة) على (المهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك) ولفظ القوت لو بخيلك أنزلت حاجتك لقضاءها لك يعني نفسه تعالى (فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً) فتمقتني (فآوحى الله إليه) أما علمت أنه (ليس الحاجة من الدنيا) وفي لفظ القوت ليس هو من الدنيا نقله صاحب القوت وقدر روى مرفوعاً نحوه من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح يموتاً في ملكوت السماء ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناءه منها مدحه على الصبر عليه بعد ذمها وفي خبر آخر لا يعذب الله مؤمناً جعل رزقه في الدنيا قوتاً (فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال ووجعه وحفظه واحتماله الذل فيه) في معاملاته (وغاية سعادته به أن يسلم لورثته) إذا مات (فياً كونه وهم أعداؤه) إذا كانوا يمتنون موته وينظرونه (وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها) أذوهم ما أطغاهم فهو جوع مالاً ذريته يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة ويخيبهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلاكته في عاقبته فصار نعيمهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلاك هو به (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره متعمداً ومات هو فيه (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تتفاوت (فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الأعداء ومراعاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه (ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة) فن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه وقذيل بعداؤه حقاً لتقيل الدنيا لا يقادله منها فان قوى حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن محبهه والاهل واطراحه لاحكام مولاه (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره (فهى) أى تلك السلاسل (تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى عليمين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب) ولذا قالوا

في كسب المال ووجعه وحفظه واحتماله الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فياً كونه ورعاً يكون أعداءه وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل لا يزال ينسج على نفسه حباً ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الأعداء ومراعاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا

أشد

وخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى عليمين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب

أشد العذاب الحجاب (قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى عن رؤيته ولقائه (ثم انهم لصوالحيم) فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيف العلاوة اليه) فيكون أشد فاشد (فتسأل الله أن يقذف) وفي نسخة يقرر (في أسماعنا ما نفتقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة) رواه الطيالسي والشيخان والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحبب من أحببت فانك مفارقة واعمل ما شئت فانك ملاقيه وقد تقدم (وفي معنى ما ذكرنا من المثال قال الشاعر)

والسكود وفعول من السكد وهو التعب (ولما انكشف لاولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله
واتباعه هو ي نفسه اهلاك دود القز نفسه) ينسجه على نفسه (رفضوا الدنيا بالسلابة) حلالها وحرمانها
ولم يتعاقوا باعراضها (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (رأيت سبعين بدرية) أى من شهد بدرامع
رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانوا) والله (فيما أحل الله لهم أزيد منكم فيما حرم عليكم) كذا في القوت
مع انهم من قد اطاع الله عليهم فغفر لهم (وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء) والسدة تصيبهم (أشد فخرامنكم
بالخصب والرخاء لو رأيتهم وهم قاتم مجانين)

(ولورأواخباركم لقالوا مالهؤلاء من خلاق) أي من نصيب (ولورأواشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء ببيوم الحساب) كذا في القوت وتقدم ذكره أيضا في كتاب عجائب القلب قال (وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول) لا حاجة لي به (أخاف أن يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو للاحتمال يخاف من فساده) ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده (والذين آمنات حب الدنيا قالوهم) فهم يتقلبون في ظلمات الهوى فرمما انقلبوا على وجوههم فهم من خسر الدنيا والآخرة أو يكتونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم ممن رضي بلاشيء (فقد أخبر الله تعالى عنهم) في كتابه العزيز (اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها واذنهم عن آياتنا فافلون وقال تعالى ولا تاع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أي تجاوز الماسمى عنه مقصرا عما أمر به وقيل مقصدا إلى الهلاك فهو لاء يستحقون الاعراض من الحبيب ويستوجبون المقت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم (و) ترك القبول منهم اذ (قال تعالى وأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلى عنهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجنني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عليه السلام بمحب يدخل الغنى الجنة أو قال بشدة) نقله صاحب القوت وتقدم قوله بمحب يدخل الغنى الجنة قريبا (وقال بعضهم ما من يوم ذرشارقه) أي طلعت شمس (الاورأربعة أملاك ينادون في الآفاق باربعة أصوات ملكان بالشرق وملكان بالغرب يقول أحدهم بالشرق يا باغي الخير) أي طالبه (هلم) أي أقبل (ويا باغي الشر) أي طالبه (اقصرو يقول الآخر اللهم اعط منفقاً خلفاً) أي عوضا (واعط ممسكا) أي بخيلا (تلقا) أي هلاكا (ويقول الذان

والعلم بذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجلني ممك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام
يجب يدخل الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم خسرناه الا أوربعة أملاك يتنادون في الافاق بأربعة أصوات مملكان بالشرق
وملكان بالمغرب يقول أحدهما بالشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصرو يقول الآخر اللهم أعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً ويقول
الذنان

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب * (بيان علامة الزهد) * اعلم انه

قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم من الرهابيين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولا زموا ديرا لا بابله وانما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا ويعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولوا بالحقائق والجوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب) هكذا عزا المصنف لبعضهم تبعا لصاحب القوت وقدرى ذلك مرسل من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس رواه البيهقي في الشعب ولفظه ما من يوم طلعت شمس الا يقول من استطاع أن يعمل في خيرا فليعمله فاني غير مكر عليكم أبدا وما من يوم الا ينادى مناديان من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا ورواه الديلمي عن عثمان بن محمد المذكور عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعا وزاد بعد قوله أبدا وكذلك يقول الليل وروى الحاكم في المستدرک من حديث أبي سعيد ما من صباح الا وملكان يناديان يقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا وملكان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان وملكان يناديان يا باغي الخير هلم ويقول الآخر يا باغي الشر أقصر وملكان يناديان يقول أحدهما ويل للرجال من النساء ويقول الآخر ويل للنساء من الرجال وقد صححه الحاكم وتعبق وروى البيهقي من حديث الزبير ما من صباح يصحبه العباد الا وصارخ بصرخ يأبها الناس لدوا للتراب واجعوا للفتنة وابنوا للخراب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة ان الله تعالى ملكا يباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازعدا وملك آخر يباب آخر ينادى اللهم اعط منفقًا خلفا وعمل لمسكًا خلفا

(بيان علامات الزهد)

(اعلم) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثير الصادقون ولا يدل لكل مؤثر من أثر يدل عليه فكذلك لا يدل لكل مقام من علامة تدل على صحته واليه أشار المصنف بقوله (انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة في العيش (سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم في الرهابيين) جمع رهبان جمع رهاب (من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولا زموا ديرا لا بابله) ولا منفذ للهواء فيه (وانما مسرة أحدهم) وفي نسخة مشرب أحدهم (معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له) بترك الدنيا والزهد فيها (فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى هو من أقران الجنيد والنوري مات بالري سنة ٢٩١ (في وصف المدعين) في الزهد اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا ويعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولوا بالحقائق والجوا الى المضايق (وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص) أو وده في كتاب شرف الفقراء ونقله صاحب القوت وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قبض ومئزر تحته ورجل يعطف ذيل قميصه على رأسه او يحمله من وسطه فيغطي به رأسه وقد كان يحيى بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد ومعناه في تنف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا على مقام الزاهدين من المؤمنين وكان يقول في وصفهم الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر زهد الرجل وفي قصته أمثال التصاوير النساء لو نظر الزاهد الفقير الى وصيفة منهن غشي عليه وقال اذا زهد في الدنيا حجبته عن العامة واذا عرف حجب عن الزاهد وقال اذا حجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة يدعى الى طعام فيجب فيظفرون به بذلك وكذلك اصطيد أبو آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل من تحمله صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص رحمه الله

فإذا معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يقول في باطنه (٣٧٢) على ثلاث علامات* (العلامة الاولى)

أن لا يفسر بوجود ولا يحزن على مفقود كما قاله تعالى لكلماتها على ما فاتكم ولا تفسر حوائجا آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوى عنده دأمة ومادحة فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة والأجلحالة المحبة بالله

الأرض لا يعرفه إلا الله ولا يصبر على معاشرته إلا شكاه هذا كله كانه كلام يحكي من معاذ وسأني باقي كلامه بعد (فإذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يقول في باطنه على ثلاث علامات الاولى أن لا يفسر بوجود ولا يحزن على مفقود كما قاله تعالى لكلماتها على ما فاتكم ولا تفسر حوائجا آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوى عنده دأمة ومادحة فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة والأجلحالة المحبة بالله

مقام العاملين ومن شغل بر به شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا يدوان

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه (٣٧٤) الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم ولا

يستدل بامساكه قليلا من المال على قدر زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لابي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ بحقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيبا وان قل فان أمثالنا لا تستجري على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجا عن فضل الله غيره أذن فهو اذا احطنا بما تبني الله تعالى علينا علما أن الله تعالى لا يتعاطمه شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والذم والمدح والثناء والذم والمدح والذم وذلك لغاية الانس بالله ويتفرع

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم) وهذا مقام المشاهدة لا آخره ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الايمان ثم تستوى الاشياء عنده ويستوى عدمها ووجودها وعنده يكون استواء المرح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة وقد روي من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوى عندك المدح والذم فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة (ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا) وقد روي عن السفيانيين أنهم ما سئلوا يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان ممن اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبي الحواري فقلت لابن عيينة يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحس النعمة كيف يكون زاهدا فصر بني بيده وقال أسكت من لم تمنع النعماء من الشكر ولا البلى من الصبر فذلك الزهد ووافقهما الزهري كذلك وقد فصل أبو سليمان ذلك (قال) أبو الحسن أحمد (ابن أبي الحواري) الدمشقي صحب أبا سليمان الداراني وغيره وكان يسميه الجندري بحياة الشامات سنة ٢٣٠ (قلت لابي سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (أكان داود) بن نصير (الطائي) أبو سليمان (زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير) رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عمه داود وقد تقدم وروي أبو نعيم في الحليسة عن أبي محمد بن حيان حدثنا اسحق بن حسان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان الداراني ورث داود الطائي من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية) ينتهي السالك اليها (لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها) والحب للجميل والانس بالعافيه هما غاية الطالبين فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسر ان الغيب المكشوف في مقام الحب والحلة اليقينية وغيابات السر العز به الجبروتية في حال الانس (فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه) وهذا قوله وله درجات (وآخره أن يترك كل ما سوى الله) تعالى (حتى لا يتوسد حجرا) أي لا يضع رأسه على شيء مرتفع ولو حجرا فانه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه (كما فعله المسيح) عيسى (عليه السلام) وتقدم ذكره قريبا وبين هذين مقامات وتلك المقامات درجات وقد عين بعضهم للزهد أربع عشرة من مقامات ونوعهم منهم من أوصل الى ثلاثة وسبعين مقاما (فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه) أي الزهد (نصيبا) وان قل فان أمثالنا لا يستجري على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجا عن فضل الله تعالى (غير ما ذون فيه واذا احطنا بما تبني نعم الله تعالى علينا) ظاهرة وباطنة (علما ان الله تعالى لا يتعاطمه شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود) الالهى (المجاوز لكل كمال) فلا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وباله لا يفوته طله (فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم لقلبة الانس بالله) المتوحد بالافعال وقال يحيى بن معاذ لا يكمل الزاهد زهده الا باستواء الحال في هذه الخصال الموجودة والمقصود والسفر والحضر والعز والذل والمدح والذم والغنى والفقر (وتتفرع عن هذه العلامات علامات آخر لا يحاطة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها) أي لا يكثر نقله القشيري عن أبي عثمان المغربي وجعله حدا للزهد وهو من علاماته (وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي) وليس من علاماته خلوايل من المال لانه قد عساه ان يغرض ديني وقيل لا يستحب ذلك (فلا يقول أبني) بها (رباطا وأمر) بها (مسجدا) أو تحوه مما تراج النفس اليه من حب الثناء عليها به نقله القشيري قال سمعت أبا علي الدقاق يقول ذلك وقد جعله حدا للزهد وهو من علاماته وبالجملة فشرط الزهد ان لا يكون بقلبه التفات للدنيا اذا

اعرض

عن هذه العلامات علامات آخر لا يحاطة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها وقبل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطا وأمر مسجدا

اعرض عنها وقال محمد بن اسحق الصوفي والصحيح عندي اذا وجد في نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا الى
 الاحوج والاولى فان لم يوجد ذلك وعلم وجود الافضل والمحتاج في ثاني الحسب فلا يضره ابقاء المال في يده
 حتى يجد موضعه وايالك أن تغتر بهذا قبل وجدان العلامات فهلكك سم المال قبل أن تنتفع بدرايقه نعم
 الآن يكون متبوعا يخاف من اقتداء الغيرة فيتركها في الوقت تاسيا بالانبياء عليهم السلام فانهم ذلك
 (وقال) أبو زكريا (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة الزهد السخاء بالموجود) وقال مرة
 الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيري فالزاهد لا يكلف عليه في بذل
 الموجود وان جمل والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشأن بين المقامين (وقال) أبو عبد الله محمد (بن
 خفيف) الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية (علامة الزهد وجود الراحة
 في الحر وج من الملك) نقله القشيري وله به بما لحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن
 خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس) أي انصرافها (عن
 الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه مائلا بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتردد فانه يتكاف
 للاعراض عنها فقوله بلا تكلف إشارة الى الفرق بين الزاهد والمتردد ثم ان هذا القول الذي عزاه المصنف
 لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره وهذا لفظه بعد ان ذكر قوله الأول وقال أيضا الزهد سلو القلب عن
 الاسباب ونقض الايدي من الاملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل في سياق المصنف
 سقطا فتأمل (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الصوف) أي لبسه (علم من اعلام الزهد فلا ينبغي)
 الزاهد (أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم) نقله القشيري أي رغبة لبس صوف
 بخمسة دراهم أشار بذلك الى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغلظ ولا باكل الخشن وان كان ذلك علامة
 له لان الزهد ضد الرغبة وهو من أعمال القلوب وفي القوت قال أحد بن أبي الحواري لبست عباءة
 فنظر الى وقال هذا يكون آخر الزهد جعلته موه أوله أما يستحي أحدهم بلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه
 بهوة بخمسة دراهم وقال لوستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب الي (وقال أحد بن حنبل وسفيان)
 الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم (علامة الزهد انما هو قصر الامل) قال القشيري وهذا الذي قاله يحمل
 على أنه من اشارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفا فان العبد متى أقصر
 أمه واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا قلت رغبته فيها وقررت همته عن تحصيلها وقد جاء في الخبر كفي
 بذكر الموت فزهدا وتقدم في أول الباب ان هذا أحد للزهد والصحيح انه من العلامات (وقال السري)
 السقفي رحمه الله تعالى (لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) أي بغيرها من الشهوات لان شغله
 بنفسه انما هو باعراضها عن محبوها الدنيا بية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها
 عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد في شيء من الدنيا بقي عليه شيء لم يكمل زهده ولذلك لما سئل
 الجنيد عن لم يبق عليه من الدنيا الا التمتع بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أشار به الى ان
 من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن موله
 لان شغله انما هو بموله عن سواه نقله القشيري (وقال) القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت (النصر اباذي يقول) وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته صاحب الشبلي وأبا
 علي الروذباري والمرعشي وكان اماما محمدا صوفيا مات بمكة سنة ٣٦٧ (الزاهد غريب في الدنيا
 والعارف) بالله (غريب في الآخرة) أي لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب أو رجاء
 للثواب بخلاف العارف فانه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك
 العمل أصلا وهذا غريب قليل في ابناء الآخرة (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة
 الزهد ثلاث) احداها (عمل بلا علاقة) أي خالصا لله تعالى لالعة من علل الدنيا ولا خوف العقاب

وقال يحيى بن معاذ علامة
 الزهد السخاء بالموجود
 وقال ابن خفيف علامته
 وجود الراحة في الخروج
 من الملك وقال أيضا الزهد
 هو عزوف النفس عن الدنيا
 بلا تكلف وقال أبو سليمان
 الصوف علم من اعلام الزهد
 فلا ينبغي أن يلبس صوفا
 بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة
 خمسة دراهم وقال أحد بن
 حنبل وسفيان رحمه الله
 علامة الزهد قصر الامل
 وقال سري لا يطيب عيش
 الزاهد اذا اشتغل عن نفسه
 ولا يطيب عيش العارف اذا
 اشتغل بنفسه وقال
 النصر اباذي الزاهد غريب
 في الدنيا والعارف غريب
 في الآخرة وقال يحيى بن
 معاذ علامة الزهد ثلاث
 عمل بلا علاقة

وقول بلا طمع وعز بلا
رياسة وقال أيضا الزاهد
لله يسعك الخلق والخرذل
والعارف يشمك المسك
والعنبر وقال له رجل
متى أدخل حانوت التوكل
وألبس رداء الزهد وأقعد
مع الزاهدين فقال اذا صرت
من ربابتك لنفسك في
السراي حد لو قطع الله
عنك الرزق ثلاثة أيام لم
تضعف في نفسك فاما ما لم
تبلغ هذه الدرجة فلو سلك
على بساط الزاهدين جهل
ثم لا آمن عليك أن تفتضح
وقال أيضا الدنيا كالعروس
ومن يطلبها ما شطنها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويحرق ثوبها
والعارف يشتغل بالله تعالى
ولا يلتفت اليها وقال السري
مارست كل شيء من أمر
الزهد فقلت منه ما أريد
الا الزهد في الناس فاني لم
أبلغه ولم أطقه وقال الفضيل
وجه الله جعل الله الشر كله
في بيت وجعل مفتاحه حب
الدنيا وجعل الخير كله في
بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا فهذا ما أردنا أن
نذكره من حقيقة الزهد
وأحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلتشرع
في بيانه ان شاء الله تعالى

ورجاء الثواب في الآخرة فكل زهد في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله وجهه به خاصة
دون غيره (و) الثانية (قول بلا طمع) أي عاجل ولا أجل فيخلص في أقواله صكها يخلص في أعماله
(و) الثالثة (عز بلا رياسة) بان يكون عزير زاعن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الامور الخسيسة
التي تزرى بقدره فلا يكون عزه الا بولا ورجاء اغناؤه بفضل من سواه وهذا القول نقله القشيري ولفظه
وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها ولا يخفى ان المراد
بحقيقة هي غلبة أحواله على القلب فلا يكون حداثا مع الزهد ولذلك عبر المصنف عنها بالعلامة (وقال أيضا
الزاهد لله) لكون قلبه امتلاء بهم وان الدنيا عند الله وكثرة آفاتهما بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان
نقاها كأنه (يسعك) يا طالبا (الخل والخرذل) من حيث انه يؤمك بكلامه وينكد عليك ما أنت فيه
ويصغر قدرك (والعارف) بالله لكون قلبه قد امتلاء بمعرفته وبجماله وبحلله وتوالي انعامه وادخاله على
خلقه بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك في نيل
المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تسلك بمغالب عليه
من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا ولفظ القوت ينشر عليك المسك والعنبر (وقال له) أي يحيى
ابن معاذ (رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين) وفي بعض نسخ الرسالة
وسئل أيضا متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (فقال اذا صرت) أي وصلت (من ربابتك لنفسك
في السراي حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فلو سلك في بساط
الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح) بينهم نقله القشيري في الرسالة وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد
أن يقطع الاسباب ويتجرد عنها حتى يحد من نفسه قوة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام ولا يحد منها
الضعف عن عبادته والا كان مغرورا ومعرضا لنفسه الى سؤال الخلق ولا يخفى ان هذا من علامات الزهد لانه
من حقيقته (وقال أيضا الدنيا كالعروس) المجلوة تراها الا بدار وتحبها القلوب وتعددها اللسان من حيث
ان الله تعالى خلقها وجعلها بالمال والبنين وغيرها (ومن يطلبها) ويعمرها (ما شطنها) من حيث انه
يدبرها حسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم) أي يسود (وجهها وينتف شعرها) الذي هو من جملة
الزينية (ويحرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطاعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهد الخلق
فيها وتبقيح محاسنها (والعارف) بالله (يشغل بالله) تعالى لا يلتفت اليها لكمال شغله بالله بمعرفته وجماله
وجلاله ومناجاته غنى ذمها فضلا عن مدحها وهذا القول نقله القشيري أيضا ويحيى بن معاذ تنف كلام في
مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب (وقال السري)
السعة على وجهه الله تعالى (مارست كل شيء من أمر الزهد) فقلت منه ما أريد كالزهد في المطعم والملبس
والمنام وفصول الكلام (الا الزهد في الناس) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم
أبلغه ولم أطقه) أي لمزته نقله القشيري وهذا أيضا من علامات الزهد وقد جعله بعض حذاه كما تقدم
(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) ولذلك
جعل أساس كل خطيئة وقال بعضهم أصول الشر ثلاثة الحرص والحسد وحب الدنيا وفروعه ستة طلب
الرياسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم (وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا) فاذا أعرض العبد عنها تبسرت له الخيرات كلها وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال
سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول
فذكره وعزاه صاحب القوت الى سفيان الثوري والفضيل أي ان هذا القول قد روى عن كل منهما (فهذا
ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه) ونمراته (واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل) لكونه شرطاً فيه
(فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى) وانتهى هذا الباب بفصول فيها بيان لأهم منه المصنف وتفصيل لما أجله
ومزى لما أشار اليه تارة وتارة أخرى فنقول

* (فصل) * الورع لا يوصل اليه الا بعد الزهد في الدنيا لانه اذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يرجع عنه فاذا أعطى الزهد فيه وعوّض من الرغبة بدلا منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهدا في الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفته من المطالبة به وحبا لما افقته بحجة الله بتركه ألم تسمع الى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين اذ يقول ما زاولت شيئا أيسر من الورع على قيسل وكيف ونحن نطن أنه من أشد الاعمال فقال اذا رابني أمر تركته فلما وهب له الزهد فيه وعوّض عنه بحجة الله به ان عليه الورع

* (فصل) * قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقير أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء فهذا هو تفسير حقيقة الزهد في النفس وهو يستوعب كاية الزهد في الدنيا والثلاث الاخر التي قرنها بالفقير من انجاب الفقه اذا كان صادقا زاهدا كان ذليلا في نفسه متواضعا بنفسه لا يكثر ثمر مدح ولا ذم لاسيما وط نفسه عنده واطراح الخلق عنده فهذا علم وجود اليقين الذي عنده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال يكون الفقير أحب اليه من الغنى والذل أحب اليه من العز والتواضع أحب اليه من الشرف فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بعرفة الآخرة لاعتقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين واضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الايمان وذروته ولعمري ان كمال الايمان واعلاءه هو كمال العقل ونهاه فالعقل مكان الايمان مثله كالقبة مكان المصباح فاذا حقق الايمان وكلز يذيق تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته

* (فصل) * قال سعيد بن جبيرة رحمه الله تعالى انما فضل الله الانبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا في الدنيا مع القيام والصبر عليه فجعل العلم بالله معيارا على النبوة به تفاضل الانبياء وهو علم اليقين المكاشف لعين اليقين المتجلي به وصف الوحدة وجعل سبب ذلك الزهد فالزهد مقتضى اليقين لانه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين

* (فصل) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها الرغب فيها الوأنها أبقيت للكره والتمزى وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في الزهد كذلك ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي برداء وروى الديلمي من حديث ابن عباس الزهد في زمانى هذا في الدنيا والدرهم وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنيا والدرهم وروى أيضا من حديث أبي هريرة الزهد ان تحب ما يحب خالقك وان تبغض ما يبغض خالقك وان تخرج من حلال الدنيا كما تخرج من حرامها فان حلالها حساب وحرامها عذاب وان ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وان تخرج عن الكلام فيما لا يعينك كما تخرج من الحرام وان تخرج من كثرة الاكل كما تخرج من المية التي قد اشتد تنهاوان تخرج من خطام الدنيا وزينتها كما تخرج من النار وان تقصر امالك من الدنيا فهذا هو الزهد في الدنيا فهذه الاخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد

* (فصل) * قال سهل التستري رحمه الله تعالى الصديقون في بدايتهم طلبوا الدين من الله فزعمهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها فالحال الاول موضع العصمة ان منعهم منها الضعفاء لئلا يهلكوا بقبولها فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردها عليهم لانهم قد صلحوا لاخذ آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين فلما اذا قوا حلالة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن ولا في قلوبهم قدر فاعرضوا عنها فاعرضها عليهم بحسن اقبالهم عليه

(فصل) كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال ان من كان قبلكم كانوا انما يجعلون الدنيا هم ما فضل عن آخرتهم وانكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم أى لرحمان كلفة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنهم فيبدون بان ينقلوا من دار عنها يرتحلون الى دار فيها يقيمون أحسن ما يدخرون ويقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون اذا دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لانهم خلة واللاخرة للالدنيا والبقاء للآخرة ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لانه متاع في الحال وبلاغ الى وقت وحين وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذي صار الزهاد به زاهدين لايقين الايمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد

(فصل) أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فأثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولولاه أرضى وقدم ما يقنى وينة قطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن لان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تسمع الى وصية تعالى ابراهيم عليه السلام في قوله لا أحب الاقلين بعد قوله ليكون من الموقنين فالموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم وليس بشهد الوعد والوعيد بنور العقل انما يشهد بنور اليقين

(فصل) الزهد يكون بمعنيين ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقينه للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن الشيء موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح الامع وجود الابتلاء في قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو وقطع سبب فذلك زهد فيه فاما أن يريد أن يزهد فيه أو يتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهدا فيه بل نيات واردة من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشيء طوعا ونفسه تنبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فذلك تأميل وتغنيدخل في باب نيات الخير لاني المسارعة الى الخيرات ولا المسابقة بالقربات بالسعي لها والمنافسة فيها ولا مقام في المنافسة لم يتبع الارادة بالسعي والمعاملة ولا مقام في الزهد لمن لم يردف الارادة باخراج الزهد وفيه لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة فالامساك للشيء المتوهم للزهد بانظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما أن لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفي شهوة النفس ولطيف تمنها من معدن حسن ظنها بوصفها هذا ان لم يحو على الراغبين ولم يكذب على وجهه لاجل خفي الرغبة فيهم والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والممسك للشيء المغتبط بامساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيئا وادخله لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرج من يده وقلبه استصغار اله وتعوضانه

(فصل) قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يملكه ويسكن اليه بل كان موقفا في خزائنه الله تعالى التي هي يده منتظر الحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله أن ينفذه ويكون كانه اغيروه من اخوانه أو سبيل من سبيل الله وقد يصح الزهد مع الوجود ان دون العارف من المريدين اذا أمسك الشيء لاوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع به طبعه عن الشره والضرع ويكون سببا لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكاف وقد يكون هذا المقام للغة وص من العلماء بهذه النيات زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهدي خرج محمد بن يوسف الاصبهاني الى مكة ومعهم مائة دينار وليس معه الاكساء أدبت وما رأيت مثله وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري ولما

قدم عبد الجليل الزاهد الى واسط اجتمع اليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال اصبر واحتسب أبيع دقاق
 ثم جلسته من البصرة وأفرغ لكم للمسائل وكان يتجر فيجعل ثلثا لاهله وعباله وثلثا لخواهه الفقراء وثلثا
 يرده في تجارته وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيدا في
 حالهم وطريقا لهم الى مقامهم من الزهد وهو وصف الاقوياء من الزهاد

* (فصل) * خالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم
 الوجود على الاستغفاره والاحتقار والتقال في هذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا
 في زهده لرغبته في زهده وهذا يكمل الزهد وهذا به وحقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو
 الزهد في النفس لا النفس لاجل الزهد ولا الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين
 عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه
 وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد كان الزهد من الايمان والقناعة باب من الزهد والرضا بالسير من
 الاشياء حال من الزهد والتقليل في الاشياء مفتاح الزهد

(فصل) * قال بعض السلف ابي أهل العلم بالله أن يسموا بالحكمة والوعظ الامن الزاهدين في الدنيا
 وقالوا ليس أهل الدنيا بذلك أهلا ولا يليق بهم وفعله رجاء بن حيوة عالم الشام بانعائه كان يجلس الى رجل
 زاهد بيت المقدس فيستمع اليه فجاء يوما الى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراهم وهو يحسبانه
 فيهم فلما أبطأ تكلم شيخ في المجلس وهو مؤذن ببيت المقدس لا بأس به فأنكر رجاء صوته فقال من هذا
 المتكلم فقال الشيخ انار حنك الله فقال اسكت عافاك الله قائما ثمينا أن نسمع الزهد الامن أهله وقال نحوه
 سلمان لعمر بن الخطاب وذلك انه جل اليه اراد فكسا الصحابة بردا بردا فلما كان في يوم الجمعة خرج في
 بردين فخطب فلما قال في وعظه الاسمعو افقام سلمان فقال والله لا نسمع قال ولم قال لانك كسوتنا بردا بردا
 وخرجت علينا في حلة فقال رجل ان الله اني غسلت ثوبي ولم يكن لي غيره فاستعرت هذا وهو برد عبد الله بن عمر
 فقال قل الآن حتى نسمع وهذا أبو عبد الله أحد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو قال
 هو الاخلاص قال فما الاخلاص قال هو الزهد فقبيل يا أبا عبد الله وأي شيء الزهد فسكت فقال سلوا الزهاد
 سلوا بشرا وقال أبو طالب الوراق دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب
 الزهد الذي جمعه لأقرأ لهم عليه ففرش لنا في الدار حصير جديد ونزل البنامن غرفة له فلما قعدوا أخذ
 الاصل بيده أظفقه ثم قال يا أبا طالب الزهد لا يقرأ الا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا
 على التراب

* (فصل) * بروي ان عمر رضى الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام
 شاب في المجلس فقال يا أمير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال ما هما رجل الله قال تذييل بين البردين وتجمع بين
 الادمين قال فما ذال بين البردين ولا جمع بين الادمين حتى لقي الله عز وجل هكذا بروي تذييل بالذال المجعولة
 معنيين أشهرهما أي تجمع بين ذيل ثوبك فتتفق ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد الاسفل لطوله واغرب
 الوجهين ان معنى تذييل تضع ثوبين معا أي تتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالذال المهملة والمعنى
 تبدل بردا ببرد دولة هذا ودولة هذا وأراد أن يكون له واحد لا يذيله بالآخر

* (فصل) * تقدم قول الاحنف بن قيس ما كذبت كذبة الامرة وله قصة وهي انه وقدم مع قومه من
 البصرة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فلما قاروا ودخل المدينة فرعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس
 كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين قال وفعات مثل ذلك فلما دخلنا أطراف المدينة فرئد
 الدخول الى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بابصارهم ويعرضون وجعواوا يلحظوننا وتنبوا ابصارهم عنا
 فنهيمهم يقولون أبناء دنيا قال فعلمت ان القوم ليسوا أمثالنا وانهم هم أهل الآخرة فغطت رأس راحلتي

وزعت ثوبى ووردته الى العيبة ثم اخرجت ما كنت خلعتة من ثياب سفرى وبذلتى فلبسته ثم دخلنا على عمر قال فجعل الناس تنبوا عينهم عن اصحابى وينظرون الى من بينهم كأنهم يغبطونى قال فلما نظر اليهم عمر وكان أول يوم رأيته فاذا رجل عليه خلق من قوع وعلى كفه درة فلما اقبلنا من بعيد أخذ كفان من حصى فحصبنا به قال ثم لحطاني بعينه فقال هذان هم فادناى وقربنى من بينهم وقال من أنت لله درك أو قال أبوك فقلت أنا الاحنف بن قيس التميمى فقال أنت سيد قومك قال واعجبته هيتى فقام واتكأ على يدي فجعل يسألني عن الطريق وعن الركاب وكيف كان سيرهم الى أن وافى رحلنا وموضع مناخنا فرمى عيني فرأى طرف الثوب خارجا فلسه وذ كر أول الخبر انذى تقدم ذكره

*(فصل) * روينافى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام وصف الزهد لبني اسرائيل فقال اليه رجل منهم فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام اليه آخر فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال فذلك ما تتبع قال نعم قال اجلس فلست منهم فقال اليه آخر فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال فذلك ما تتبع قال لا قال فذلك من يقرضك قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال له مثل ذلك الى أن قال فذلك من يقرضك قال لا ولا أملك من الدنيا الا هذه الشملة من الصوف ولقد آذاني فيها الدواب وأنا استحي من ربى عز وجل ان أترعها فافلقها واتعري بين يديه قال اجلس أنت منهم فهذا الذى أراده موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقته وهو زهد أولى العزم من الزهاد وهذا الحال من عزائم الامور وتفصيل مقاماته ان الزهد فى حال الفقر مقامات * فالماقام الاول هو أن لا يجد الفقير معلوما غير ما جل فى جوفه وعلى ظهره وهذا هو حال الفقير الاول الذى قاله موسى است منهم يعنى من أولى العزم من الزهاد اذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لاجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام العلوم من النقود والمقام الثانى من الفقر فى الزهد هو فقد العوض الذى هو عوض عن الناض وهذا حال الثانى * والمقام الثالث هو أن بعدم الاعراض والاعراض وليس هو حقيقة الفقر لاجل بقاء الاسباب التى تقوم مقام الاعراض وهو الجاه الذى يستقرض به فيقرض وهو أيضا سببه يعرف لاجل معرفته اقترض فهذا يتحججه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هي دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذى وصف الله به أوليائه فى الغاية من قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت فهذا مثل فقد العلوم الذى تقوم به الاشياء وهو بمعنى حال الاول ثم قال وضافت عليهم أنفسهم فلم يبق له عوض يقوم مقام العلوم الذى له قيمة شئ فيبيعه وهذا يعنى حال الثانى ثم قال وطنوا ان لا لجأ من الله الا اليه فهذا سقوط الاعراض بعد فقد الاعراض وعدم الجاه الذى هو سبب الاستعراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفته من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ففارق به اليه ولم يبق بينه وبين الله الى الله ماوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا لجأ يستند اليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية ثم ناب عليهم ليتوبوا أى عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر اليهم لينظر واليه وهذا وصف الثالث الذى قاله موسى عليه السلام أنت منهم اذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الامر فلم يجد دون الله سبيبا منفصلا من مال ولا معنى متعلما من حال وهو الجاه والمثله الذى يقوم مقام الاعراض ويتسبب به الى الاسباب فهذا وصف فقير فقير ونعت غريب غريب الدار فى وطنه غريب الوجد من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب فى غربته غريب فى فقره غريب فى غربة لا يعرف ما بناء جنسه متوحدا بانيته عن أنفسه قد طمست نفسه فى رسمه وشغل بيومه عن غده وأمه فهو هذا من وحش الملل فى داره وأتسله زواره قد قرت عينه بقراره وفر من ايلافه وفراره وصلى روجه من اقداره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيب بلادته وروح عباده ومن خالص وداده قد زهد فى زهده وعدم وجوده بوجوده وفنيت نفسه عن جهله وبقيت روحه بوجده وكذلك

روينا ان داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوق اليها فأوحى الله اليه أنت لا بد لك من سبيل
وابدومن عرفني لم يسكن الى سبيل ولبد والله الموفق

(فصل) * قال صاحب القوت حدثني عبد الكريم بن أحمد حدثني جعفر بن محمد حدثنا الطواص
عبد الله بن الحسين حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المسكي عن المغيرة بن قيس عن شهر بن
حوشب عن أبي امامة قال أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسود مولاهم
ميت بالامس ليس له ثوب يكفونوه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع به لا يدرون كيف يأتون
فهم منا عليهم من الغد ظهر اودق أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجوارحه فكان أول من نزل
منار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى حتى دخل عليه فجاء القوم يعتذرون اليه من تركهم اياه فانطلق
النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على نهر لهم عادية فقتل فيها فاستحالت عذابا فاسقين وأمر عليا وأبا امامة
فغسلاه وكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بردقه ما زاد عليه ثم صلى عليه وولى ادخاله في قبره على وأبو
امامة فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا
خصلته كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا ما هي يا رسول الله قال انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر
حله الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حله الشتاء من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن أعطى منهم ما لم يبالي ما فاته من قيام الليل وصيام النهار الحديث وقد تقدم مرارا اختصر ا على
قوله من أقل ما أوتيتم اليقين الخ وسبق قول العراقي انه لم يحده فتنبه لذلك

(فصل) * الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل الى المسجون وكلما كان
المسجون أضيق عليه وأشد كان الوصول الى الزهد أبعد وأشق ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس
لا يصل اليهم كل انسان الا من توصل أو توصل على قدر تضاييق المسجون

(فصل) * في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه ونذكر الآن ما وعدناه
به قال حبل الدنيا حب بلاء وحبل الآخرة حب بلوى ومن رغبني باختيار الله دام فرجه لان العارف من
أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لا يلهيه شيء وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فانه
لم يصل بعد وقد علمه مرة رجل من الزهاد فجعل يحذر نه الزاهد با حديث في فضل القلة والفقر ويحجي ينظر
الى وجهه كالمتجيب فلما قام قال لولم يعلو المساكين بمثل هذه الاحاديث لتفقت مرارتهم من النعم وكانوا
لا يصبرون على الفقر هيئات لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولا غنى ولكن بالعلم والمعرفة قيل له وما عبادة
العارف قال الدنيا دار سيرا الى الله تعالى فان لم يسر باعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو
القلب ألف فرسخ وقال أيضا التماسك العطر في حوائط الصبادة جهل انما هو الشغل بالله عن الدنيا
والآخرة معا وقال طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد ألج من يرى ثبت على ترك الشيء أربعين سنة
ولكنه كلما كان ألج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هو انه في الاخذ فلا سبيل له اليه الا بالترك حتى يترك
اخلاق العبيد ويتخلق معه باخلاق الاحرار ولا يوجد صدق العبودية الا في منازل المحبة والمعرفة وقال في
تفسير قول عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا انتم عبيد اتقياء يعني الزهاد ولا احرار اقوياء يعني العارفين
وقال خض بحار المعرفة اليه تستهين جهل الزهد والعبادة في جنب ما تدفع اليه مما لا قوام للعقل عليه فان
البهاء مع العبادة والكفاية مع الزهد والبصيرة مع العلم والجواهر السنية مع المعرفة وحتى مرة فقال النبي
أجد من حرب وابن خضرويه وأبو حامد فقالوا لاجدين حرب ان جعلت لك الدنيا فأنات صانع بها قال
كنت أرضى بها خصمائي لثلاث لحقني تبعة يوم القيامة قالوا لابن خضرويه فما كنت صانعها أنت قال
كنت اجعلها كلها القمة واضعها في فم مؤمن فاستريح منها قالوا لابي حامد فما كنت تصنع بها أنت قال
كنت اجعلها الطلاب الآخرة فاحوزوا ب ذلك قال يحيى اما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودوحته

درجة التواضع وأما ابن خضرويه فأنطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين وأما أبو حامد فأنطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين قبل يحيى بعد ذلك ما كنت صانعاً لهم أقال وما حكم العبد في مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير وكان يقول الزاهد عيشه إلى يوم واحد والعارف أسقط الأمل أصلاً لأن حياته بيد غيره وقال من صدق في الترك عذري الأخذ يعني الدنيا وقال الصوف لباس العجم ماراً يتم على أحد استبرع عقله وقال نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين وكان يقول الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة فكم مقدار ما تركت منها ينبغي لك أن تضعها على طبق وتقول ما صنعت شيئاً لأنه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يترك الزهد وقال ترى الزاهد إذا دخل في الزهد جوع نفسه وباع شيئاً كله من الخوف من الدنيا لا بشك حتى إذا قوى يقينه ورأى الأمر كائناً وجوده بغير الأسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان يبيع من كتب ومتاع وقال الزاهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة وقال إنما يتركون ويحزنون ليفرحوا يأخذون ويفرحون ليفرحوا فاعلمهم تركوا وأخذوا وخزنوا وفرحوا إذا كان فرحه موجوداً لهم في الحالين فقيل له هو يفرح قال نعم أليس في الخبر لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعبده الحديث وقال يا زاهدان كنت تعجب من ترك الجنة في جنب دنياه فالعارف أشد تعجباً حين شغلته الجنة عن خالقها وكل حالة تظهر بها في سيرك إليه إلا كسر هاهنا الوصول ليكون غرك به لا بغيره قال صاحب القوت وجلة الأمر أن يحيى بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين لأنه لم يكن من علماء الطريق وقد هلك بمنزل هذا فريق فهو ما مقام المعرفة وتظنون أحوال العارف حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا أحوال العارفين وأولى الأشياء بالعقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفة بقدر حاله وأعمال نفسه في سرائره وقال في موضع آخر وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا فإن من لم يملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر إلى نفسه فيه كما لا يشهده له بل يحبه في خزائنه التي هي يده وعليه ويكون موقفاً فيها إلى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه وإخراجها في أوقاته إلى أهله فهذا مستودع يؤدي الأمانة فيه ووكيل مستخلف بطبيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزبد على مقامات الزاهدين وهذا وصف الصحابة الأعلين وكان يقول لا تأمن مكره ولا تغترن انظر أن لا تكون قد تركت الزهد والعبادة طنائمك بأنك قد وصلت إلى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عارياً منها كلها لا في منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت هذا مع قوله إذا صبح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن فإذا أقيم مقام المعرفة ترددوا عليه وقال مرة إذا زهد ترك الشهوات فإذا عرف عاودها ويكون وجده أفضل من تركه وقال إذا صبح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهيه فإذا لحظه قالوا أخذه فيجعلونه عليه لأن قلبه قد وقع عليه قال وكذلك إذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيئاً بقلبه فأن وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول إذا صبح تركه للدنيا والآخرة لأجل الله فإنه يردهما عليه إذا الله تعالى لا يعاينهما شيئاً وكان يقول الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحسب الله يشغل عن الدارين جميعاً وقال ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بما ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها في جنبها وقبل له ما غايه الزهد فقال إن لا يعجب من الدنيا ما يلزمه حفظه

*** (فصل) * الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزق الزاهد من الآخرة على هذه الصفتين حرمان نصيبه من الدنيا وجبايته عن التوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنفعة من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختبار من الله تعالى بوحيلة نظروا عمل بطلا لا عبا يحتج لتوسعه بهواه فيقول إن الزهد في الدنيا لم ينقص من رزقي شيئاً قد فقم لي مقام مع التوسع والاستكثار لأنني إنما آكل رزقي وأخذ قسيمي فلي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يترخف على من لا يعرف الزهد ويغتر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين ولعله عن يأكل الدنيا**

بالدين فسمى الاحتجاج لنفسه به واما الاعتزاز عند الجاهلين زهدا خيفة لوهم اياه فكان ذلك معه احتجازا
عن الزهد لزهده في الزهد وقوته رغبت في الرغبته ولا يعلم الغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا
ويأخذ قسمه من العطاء فيحكم البعد والبغض ويوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل
رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق
الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار للاولياء فقد حرم المدي
لذلك رزقه من الزهد بخس نصيبه الاوفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الاسخرة اذ كانت الدنيا
ضدها وجعل ما صرف فيهم وما صرف اليه سببا لنقصان مرتبته من طريق الزاهد بن وانه قد اختبر بالدنيا
وعما فتح عليه من السراء لظهر صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يظن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه
عن وجوده بحجابه عن علوم العارفين فاستدرج بعلمه هذا وعدله اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين
الزاهدين هذا اذا كان صادقا في مشاهدته تلك وان كان كاذبا في دعواه فهو من اولياء الشيطان ومن
المحرورين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين وقد قال بعض العارفين من كتم ما يحبه من آفات
نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها نعوذ بالله من الاعتزاز بعلم الاظهار ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق
* (فصل) * الزهد في الدنيا على ثلاثة احوال رجل قد غلبها موجودة ومفقودة ورجل قد غلبته موجودة
ومفقودة ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة تفسيره ان من الناس من قهره هواه وملكت نفسه وشهوته
وهو قادر عليها وهي موجودة فذلك احدى ان يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين
والثاني قد غلبته نفسه وهواها الهوى وأمالته الشهوات موجودة اذا قدر عليها ومفقودة بالاهتمام بها
والفكر والخواطر فيها والارادة لها فهذا ساقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين
والثالث قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة فاذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم
وملكها عند الفقد وهذا حال المجاهدين وطريق السائر بن ونعت المريد بن وقد قيل لبحي بن معاذ اياصل
العبد الى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد الى درجة يستغنى فيها عن الدنيا فقال هذا لا يكون لا يستغنى
عن الدنيا احدى وانما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير فازهدهم فيها اقلهم حظا منها كما لا يسلم من
الذنب احدى ولكن افضلهم اقلهم ذنبا وكان رحمه الله يقول في العدل قولا فضلا قال ان زهادكم يامر ونكرهم
بان يكون الدرهم اول شئ تتركونه من الدنيا واما امركم ان يكون الدرهم آخر شئ تتركونه منها قيل له
لم ذلك قال لان الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس فترك الدرهم من قبل ازالة
الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء حتى اذا زالت بحسن
السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة اذ كانت علة حبك له
الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم امر هذه السياسة فلماذا قلت اجعل الدرهم آخر شئ تتركه بعد
الفرار من النفس واعلم أن امساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به
وكان يقول راحة الابدان في زهد القلوب ومشقة الابدان في حرص القلوب وقال طلبت الدنيا فلم أسترخ
وطلبت العلو فلم أسترخ وطلبت العبادة والعلم فلم أسترخ ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترخت
وكان يقول مادامت شهوة النفس معلقة فأنت معيبة الدنيا وتساق المطيعة حيث يريد صاحبها لا حيث
تريد هي واذا ذهبت الشهوة فالدينامطية يسوقها حيث يريد وقال بعض أهل المعرفة ان الله لا يرضى ممن
عرفه أن يعلق بشئ دونه فان فعل ذلك غمبه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع اليه ويقال ان من صرع زهده في
الدنيا حتى يستوى عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء وفيه قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في * وصلى مشيت بلا شك على الماء

وقال لبحي بن معاذ اولياء الاسخرة ثلاثة قانع وزاهد وصديق فالقانع المحترف الطالب للحلال المنطق على

السبيل والسنة النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حطام الدنيا والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته فان أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وان منع صبر ورضى والصديق هو واجبة النعيم لا يريد له لزيالة الشهوة اياه وقال أيضا ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو الى فعله وقد قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الخوارى اذ قال قلت لبعض أصحابنا استقنى ماء فناولني شربة فقال لي أبو سليمان رأيت من زهد في الدنيا يستخدم ويقول استقنى ماء وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يتم بعضه الا ببعض فقال الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب سده الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلحم الثوب بغير هذه الثلاث كذا لا يلحم أمر الآخرة الا بثلاث او كان يحيى بن معاذ يقول اذ وصل فرح فاذا اتصل استأنس فقبل له نراك تفرق بين الوصول والاتصال تجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال اضرب لكم مثلاً رجل سار طريقاً وقد صدمه كركباً ثم وصل اليه حتى اذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمخادمة المالك شيئاً بعد شيء يتقرب به اليه ويقرب منه حتى يدنيه المالك ويؤنسه فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح في الوصول والانس في الاتصال والاتصال كان مقام أبي يزيد والوصول كان مقام يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما

(فصل) قال أبو يزيد البسطامي حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار السكون فيزهد في ذلك حب الله تعالى أن يعمل عمله ويتركه حب الله تعالى أن يقوم مقام القدرة وكشف هذا المقام يخرج الى علم غير يبلا يعرفه سر عجب لا يوصف وفننا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل منه بفضل ورحمة هو هذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نجز ذلك على يد مسودة أبي الفيص محمد بن نضري الحسيني تاب الله عليه بمجته في ضوئه ثم اراد ان يبعثه لتسع بقين من شوال سنة ١٢٠٠ حامداً لله مصلياً مسليماً مستغفراً

(كتاب التوحيد والتوكل)
وهو الكتاب الخامس من
ربيع النجيات من كتب
احياء علوم الدين *

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)
الحمد الذي من توكل عليه كفاه ما نابه * ومن عمل صالحاً هداه لتوحيد واثابه * ومن لجأ اليه بفقره وزهده نفى عنه ما أراه * أحده على عظيم احسانه * وتوالت فضله وامتنانه * جدا يكون موجبا لحسن المزيدي * ومقر با الى الثواب العتيد * وأومن به ايمان من رجاه موقنا * وخضع له مدعنا * وأخلص له موحدا * ولاذبه راغباً مجتهدا * وأشهد أن لا اله الا الله الها ألهم الصواب * وأجزل للمتوكل عليه الثواب * وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله * وصفيه وخليله * الذي بعثه بالحق * وأرسله رحمة للخلق * واختصه بعقائل كراماته * واصطفاه لكارم رسالته * وأوضح به اشراط الهدى * وجلا به غريب العمي * صلى الله عليه وعلى آله الابرار * معادن العلوم والاسرار * وعلى أصحابه الامثال الاخيار * وعلى كل انسان من المتابعين لهم باحسان * ما افتروا وض بسم * ولاح وجهه وسيم * وسلم تسليماً كثيراً كثير او بعد فهذا شرح *(كتاب التوحيد والتوكل)*

وهو الخامس من النجيات والخامس والثلاثون من كتب الاحياء للامام الزباني * والعتوث انصمداني * بحجة الاسلام أبي حامد المستوجب للمعاهد محمد بن محمد بن محمد النزالى روى الله بالرحمة تراه * وأجزل من المغفرة قراه * يلعب بالباب أولى النهى * ويشوق الاحباب الى بلوغ درجته المنتهى * اذ قد بين ما أهم منه من الفوائد الرجحية * لنوى الافهام الصحيحة * ورفع نقاب كتاباته الفصيحة * وأرى في تلطيف الطباع ما أورده على سبيل النصيحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصارا * واقصرت على ما سأورده اختصارا * ايثارا في التخفيف * لارغبة في التطبيق * على ان صنوت المصنف جليل * وفضله بين العلماء شهير * فكتم له من اشارات تلقى وحكم تثبت ولا تنفى * وباقيات تقرب الى الله زلنى * والله تعالى أسأله الاعانة والامداد * والهداية الى سبيل

(بسم الله الرحمن الرحيم). الحمد لله مدبر الملك والمالكون المنفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عمد المقدر فيها أرزاق الغباد الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط (٣٨٥) والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع

همهم عن الالتفات الى ماعده والاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه علمانية الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد أمثالهم لا يتغنى عندهم الرزق وانه مامن ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيلا توكلوا عليه فقوالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قاطع الابطال الهادي الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات التقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبسيري ووجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة) ولا يقوى على كشف هذا الغطاء أي رفع هذا الحجاب (مع شدة الخفاء الاسماء العلية) أي الجهاذة النقاد (الذين اکتھلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

السادس انه ولي كل احسان * والملي بكل امتنان * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) معين كل موحد متوكل ذي قلب سليم (الحمد لله المدبر للملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (والمالكون) وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (المنفرد بالعزة) وهي الغلبة الاتية على كلية الظاهر والباطن (والجبروت) وهو عالم الاسماء والصفات الالهية (الرافع للسماء بغير عمد) تعمد عليه (المقدر فيها أرزاق العباد) وأقواتهم الحسية والمعنوية يشير بذلك الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب) المشاهدين بانوار الغيوب بحقائق الامور (عن ملاحظة الوسائط والاسباب) الجلية والخفية (الى مسبب الاسباب) وأصل السبب ما يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل شئ يتوصل به الى أمر من الامور فقبل هذا سبب هذا وهذا سبب على هذا (ورفع همهم عن الالتفات الى ماعده و) عن (الاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه) كل ذلك لئلا يكتفوا بحدسهم ومن يدنو توكلهم كما ينبغي المصنف بقوله (علما) منهم يقينيا (بانه) تعالى (الواحد) فلا يصح عليه التجزى ولا التكثر ولا ينسب بين غيره نسبة توجع (الفرد) فلا يتخطاه غيره (الصمد) الذي يصمد اليه في الامور ويعتمد عليه (الاله) جل وتقدس عن الاشياء (وتحققا) منهم (بان) جميع (اصناف الخلق) أحرها وأسودها (عباد أمثالهم لا يتغنى) أي لا يتطلب (عندهم الرزق) كما أخبر به سبحانه في كتابه وهو الحق في آيتين الاولى قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والثانية قوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه (وانه مامن ذرة) من ذرات الوجود (لا الى الله خلقها) أي ابداءها وتقدر بها كما قال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها (فلما تحققوا لانه لرزق عباده ضامن) أي ما تنزيم باعطائه اياهم (وبه كفيلا) يحيط بجميع جهاته (توكلوا عليه) في سائر الامور ولم يخشوا أحدا سواه كما قال تعالى في شأنهم فزادهم إيماناً (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء (والصلاة على) سيدنا (محمد قاطع) خبيثات (الابطال) بسيف الحق والابطال جمع باطل وهو كل ما يضاد الحق (الهادي) أي المرشد (الى سواء السبيل) وهو سبيل التوحيد والتوكل (وعلى آله) وصحبه (وسلم تسليما كثيرا) وفي بعض النسخ وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليما كثيرا وفي الجمل المذكورة من أول الخطبة الى آخرها براعة الاستهلال مما لا يخفى على الممارس المتأمل لما تضمنه هذا الكتاب (أما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام شريف من مقامات الموقنين) وهو السابح من مقامات اليقين على النسق الذي أورده صاحب القوت (بل هو من معالي درجات المقربين) ولفظ القوت من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين (وهو في نفسه غامض من حيث العلم) ولغموضه اختلفت أقوال المشايخ في حده (ثم هو شاق من حيث العمل) به (ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها) بعد ملاحظتها (شرك في التوحيد) عند أهله (والتثاقل) وفي نسخة التبعاعد (عنها) أي عن الاسباب (بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع) فان غالب المأمورات الشرعية مبناها على الاسباب (والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبغير في وجه العقل) فان العاقل كيف يعتمد على شئ وهو لا يرى به (وانغماس في غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة) ولا يقوى على كشف هذا الغطاء أي رفع هذا الحجاب (مع شدة الخفاء الاسماء العلية) أي الجهاذة النقاد (الذين اکتھلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الآن
نبتدأ بذكر فضيلة
التوكل على سبيل المقدمة
ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر
حال التوكل وعمله في الشطر
الثاني

(بيان فضيلة التوكل)
(أما من الآيات) فقد قال
تعالى وعلى الله فتوكوا وان
كنتم مؤمنين وقال عز وجل
وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال
سبحانه وتعالى ان الله يحب
المتوكلين وأعظم مقام
موسوم بمحبة الله تعالى
صاحبه ومضمون بكفاية
الله تعالى ملابسه فمن الله
تعالى حسبه وكافيه ومحببه
ومراعية فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقال
تعالى أليس الله بكاف عبده
فطالب الكفاية من غيره
هو التارك للتوكل وهو
المكذب لهذه الآية فانه
سؤال في معرض استنطاق
بالحق كقوله تعالى هل
أتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيأ مذكورا
وقال عز وجل ومن يتوكل
على الله فان الله عز يزككهم
أى عز يزلا يذلل من استجار
به ولا يضيع من لا ينجبانه

الاطهار والافصاح (عما شاهدوه) بيصيرتهم (من حيث استنطقوا) أى طلبوا البيانه (ونحن الآن
نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل المقدمة) والتوطئة (ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب
ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه
(بيان فضيلة التوكل)

ولواحقه التفويض والتسليم والثقة والرضا (أما من الآيات) القرآنية (فقد قال الله تعالى وعلى الله
فتوكوا ان كنتم مؤمنين) فمع شرفه قد أوجب على سائر المؤمنين لان الايمان يوجب على المؤمن مدلوله
ومدلولات الايمان هي الناشئة عن نفس الايمان بحسب الملاحظات فمن لاحظ عن زيدانه قائم بالامر عقول
عليه واعتمد على كفايته وان لاحظ مع كونه قائما بالامر انه حكيم في علمه وأفعاله فيما يقدم ويؤخر وفيما
يرفع ويخفض سلم الامر اليه واستسلم لحكمه لان التفويض معناه ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله
والاستسلام هو انقياد العبد واذعائه لما اختاره الله وبما حكم به عليه من الامر والنهي وملازمة الحدود التي
حددها وان لاحظ مع ذلك كمال صدقه وفاء وعده وثيق به لان الثقة نتيجة التصديق ومعناه الرباط على
القلب وعدم الانفصام على ما حواه من التصديقات فالثقة اذا على هذا مكملة لجميع المقامات والاحوال
ولهذا قال أبو اسمعيل الهروى الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويدها قلب التسليم وان
لاحظ بعد ذلك الوهية مال اليه بوجهه وانصرف اليه بكيته وان لاحظ المعنى الجامع لصفات الوهية هو المعبر
عنه بقول الله حصل الدهش والتحير فهكذا ينبغي أن يفهم ملاحظة مدلولات الايمان وقال صاحب العقوت
وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالايمان ليدل بذلك انه ما شيا ان اذا التوكل على الوكيل هو من الايمان بالمؤمن
لانه عن حقيقة الايمان وهو اليقين وبمشاهدة الوكيل وهو الحسب الحسب ونعم الوكيل فامر بالتوكل
قولا وفعلا بعد الاخبار عن محبته للمتوكل عليه فقال تعالى قل هو الرحمن آمناء وعليه توكلنا مع اشترط
التوكل للايمان بعد الامر به في قوله تعالى وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين وفي قوله ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل كالم يخرج خصوص المؤمنين
من شرط وجود الاسلام وكما كل مؤمن حقا مسلما لا بدعلا كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا
فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم
الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود
والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر
الآيات (وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فرفع المتوكلين اليه وجعل مريدهم منه (وقال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه عن سواه (وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين) فجعل
المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته (فاعظم مقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه
فمن كان (الله حسبه وكافيه ومحببه ومراعية) فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه (فقد) تناهى من كان
بهذا الوصف في حسن المراعاة (فاز الفوز العظيم) الابدى المقيم (فان المحبوب) المرامي (لا يعذب) بنار
الفرار (ولا يبعد) عن حضرة الوصال (ولا يحجب) عن المشاهدة (و) هذا الذي (كفاية في هذه الار
المهمات ووقاه بنفويض أمره اليه السيئات كقوله تعالى أليس الله بكاف عبده) مع قوله وأقوض
أمرى الى الله فوفاه الله سيئات ما مكروا (وطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه
الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيأ مذكورا) قال أبو يعقوب السوسى أول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عز يزككهم يعطى لعزته ويمنع
بحكمته فيصير العبد لعزه ويرضى بحكمه ويستسلم لحكمته كذلك أخبر عن نفسه وتبته المتوكلين عليه اذ
(قال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عز يزككهم أى عز يزلا يذلل من استجار به ولا يضيع من لا ينجبانه

تركهم لا يقصر عن تدبير
 من توكل على تدبيره وقال
 تعالى ان الذين تدعون
 من دون الله عباداً مما لکم
 بین أن کل ما وى الله تعالى
 عبداً مستخراً حجة مثل
 حاجتکم فکیف یتوکل
 علیه وقال تعالى ان الذين
 تعبـدون من دون الله
 لا یملکون لکم رزقاً فاعبـدوا
 عند الله الرزق واعبـدوه
 وقال عز وجل ولله خزائن
 السموات والارض ولکن
 المتفاعین لا یذقـهون وقال
 عز وجل یدبر الامر ما من
 شفیع الا من بعد اذنه وکل
 ما ذکر فی القرآن من
 التوحید فهو تنبیہ علی قطع
 الملاحظة عن الایثار
 والتوکل علی الواحد القهار
 * (وأما الاخبار) * فقد
 قال صلی الله علیه وسلم فیما
 رواه ابن مسعود رأیت الامم
 فی الموسم قرأت أمتی قد
 ملؤا السهل والجبل فاعجبـتی
 کثرتهم وهیأتهم فقیل لی
 أریضت قلت نعم قبل ومع
 هو لا یمسـون ألفاً یدخلون
 الجنة بغير حساب قبل من
 هم یارسل الله قال الذين
 لا ینکثون ولا یتطیرون ولا
 یسترقون وعلی ربهم یتوکلون
 فقام عکاشة وقال یارسل
 الله أدع الله أن یجعل منی
 منهم فقال رسول الله صلی الله
 علیه وسلم اللهم اجعله منهم
 فقام آخر فقال یارسل الله
 به وسلم سبقتهم عکاشة

والتجالي ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره) وفي القوت عز يز بعز عن الذل لعباده حكيم يعلم من حكمته فيغنيه عن التعلم من خلقه (و) لما أيقن المتوكل أن بيد الوكيل ملكوت كل شيء وأنه يملك السمع والبصر ويقلب القلوب والأبصار بتقلب الليل والنهار فلتأسر من الوثاق فترك دعاء مثله من العباد واعتزلهم وذهب إلى ربه فهداه ورضاه (و) أغناه إذ سمع ما (قال تعالى) أن الذين يدعون من دون الله عبادة أمثالكم (وقال تعالى) أني ذاهب إلى ربي سيهدين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له (بين أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى) أن الذين يعبدون من دون الله لا يعلمون أن الله لا يهديهم لشيء فأتوا الله بعبادته فكان المعبود هو الرزاق (و) إذا شهد العبد ربه قائما بالقسط والتدبير وما بالتهريف والمقادير عنده خزائن كل شيء غابت الرسوم في نور شهادة الواحد القويم ثم شهد الوكيل قابضا على نواصي المماليك والموكلين بالأسباب ورأى عنده خزائن السموات والأرض ارتقى في الأسباب إلى العز والوهاب كما (قال تعالى) والله خزائن السموات والأرض) فغابت خزائن الأرض من الأيدي والقلوب والأسباب في خزائن السماء من الأقدار والأحكام والأبواب وغابت الخزائن السماويات في ملكوت القبضة وعزة القدرة فمن خزائن السموات ما حكمه من الأقسام والأرزاق ومن خزائن الأرض ما رسمه من الأعلام والأرقام ثم قال تعالى (ولكن المنافقين لا يفقهون) وذلك لقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا شهدها إن أخلق ينفقون ذنوبهم من الإعطاء فرد الحق شهادتهم وأضاف الخزائن والعطاء إليه ووصفهم معطين النفقة عنه (وقال تعالى) ثم استوى على العرش (يدبر الأمر) من شفيع الأمن بعد أذنه) وغير ذلك من الآيات وهي كثيرة (وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار) وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن مسعود (رضي الله عنه) وهو فيما رواه المصنف عن امام الحرمين عن أبيه عن أبي القاسم القشيري قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورل حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر الأصماني حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن موهلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل فاجعبتني كثرتهم وهيتهم فقيل لي رضى قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قبل من هم يارسل الله قال الذين لا يكتفون ولا يتطهرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه (وقال يارسل الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقكم عكاشة) هكذا رواه القشيري في الرسالة وقال العراقي رواه ابن منيع بإسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس أنه قال رواه الشيخان من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس بلفظ عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فظنرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك وهذه سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قبل من هم يارسل الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطهرون ولا يكتفون وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكر قول عكاشة وقوله صلى الله عليه وسلم أنت منهم إلى آخره ورواه كذلك أحمد وأما لفظ حديث ابن مسعود عرضت على الأنبياء بأجمعها فجعل النبي عمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة والنبي ومعه النفر والنبي وليس معه أحد حتى عرض على موسى معه كبكة من بني إسرائيل فأجبتني فقلت من هؤلاء فقيل هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل قلت فإني أمتي قيل انظر عن يمينك فظنرت فإذا سواد بوجوه الرجال ثم قيل لي انظر عن يسارك فظنرت فإذا سواد بوجوه

أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ

الرجال فقيل لي أَرْضَيْتِ فَقَاتِ رَضَيْتِ يَارَبِّ رَضَيْتِ يَارَبِّ فَقِيلَ إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
بِغَيْرِ حِسَابٍ فَدَيُّ لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي أَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَاذْهَبُوا فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا
مِنْ أَهْلِ الطَّارِبِ فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفْقِ فَإِنْ قَدْ رَأَيْتِ نَاسًا يَتَهَارَشُونَ كَثِيرًا إِلَى أَرْجُو
أَنْ يَكُونَ مِنْ يَتَبَعِي رُبْعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَامَ عَكَاشَةٌ فَقَالَ ادْعِ اللَّهَ
لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَني مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَدَعَا لَهُ فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ ادْعِ اللَّهَ لِي أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فَقَالَ قَدْ
سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ فَقِيلَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَبَّرُونَ
وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ رَوَاهُ هَكَذَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَحْمَدُ وَالتَّيْمِيُّ وَالحَاكِمُ وَعَنْ عَبْدِ الطَّيْرِ بْنِ وَعْرٍ مِنْ شِبْهَةِ مَنْ
طَرِيقُ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي شَجَاعٍ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ ابْنَةِ مَحْمُودٍ قَالَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي حَتَّى
أَتَيْنَا الْبَقِيعَ فَقَالَ يَا أُمُّ قَيْسٍ يَبْعَثُ مِنْ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ
أَنَا مِنْهُمْ قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ فَقَالَ سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ وَأُمُّ قَيْسٍ هَذِهِ أُخْتُ عَكَاشَةَ صَحَابِيَّةٌ طَالَ
عَمْرُهَا وَالتَّيْمِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَخْتَصِرًا يَا أُمُّ قَيْسٍ أَتَرَيْنَ هَذِهِ الْمَقْبَرَةَ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَعْنِي الْبَقِيعَ وَقَدْ رَوَى الدَّيْلَمِيُّ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ
مَخْتَصِرًا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبَقِيعَةِ وَمِنْ هَذَا الْحَرَمِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَجَوْهَهُمُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَانَكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ)
بِأَنْ تَعْمَلُوا بِقِيَانِ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ كُلُّ مَوْجِدٍ مِنْ خَلْقِ وَرَزَقٍ وَعَطَاءٍ مَنَعَ مِنْ اللَّهِ ثُمَّ تَسْعَوْنَ فِي الطَّلَبِ
عَلَى الْوَجْهِ الْجَلِيلِ (لِرِزْقِكُمْ كَمَا تَرْزُقُ الطَّيْرُ) بَضْمُ الْمُنْشَأَةِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى صِبْغَةِ الْمَجْهُولِ زَادَ فِي رَوَايَةِ فِي جَوَائِزِ السَّمَاءِ
(تَعْدُو وَخَاصًا) جَمْعُ خَيْصٍ أَيْ ضَامِرَةُ الْبَطُونِ مِنَ الْجُوعِ (وَتَرْجِعُ) (بَطَانًا) جَمْعُ بَاطِنٍ
أَيْ عَمَلَاتُ الْبَطُونِ وَانْمِثْلُ بِالطَّيْرِ لِأَنَّ أَرْكَانَ الْمُجْتَمَعَةِ فِي الْإِبْدَانِ طَوَائِرُ تَطِيرُ إِلَى أَوْكَارِهَا وَمَرَاكِزِهَا فَخَبِرَ
بِأَنَّ الرِّزْقَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ لَا بِالْحِيلِ وَالْعَلَاجِ قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَمُسْنَدُ مَنْ حَدِيثُ عُمَرَ
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالتَّيْمِيُّ وَأَحْمَدُ وَالتَّنَسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ حَبَّانَ
وَالْبَيْهَقِيُّ وَالضَّيَاءُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ وَأَقْرَبُ الذَّهَبِيِّ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ
انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) بِأَنْ كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ (كَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ مَوْثِقَةٍ) أَيْ مَشَقَّةٍ
(وَرَزَقَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَإِنْ
أَبَى الدُّنْيَا وَمِنْ طَرِيقَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ مِنْ رَوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطِّينِ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْأَشْعَثِ تَكْلَامُ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ فِي النُّوَادِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْخَطِيبُ
وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ خَادِمُ الْفَضِيلِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ كُنَّا نَنْظُرُ بِهِ الْخَبِيرَ فَقَدْ جَاءَ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَغْنَى النَّاسَ فَلْيَكُنْ بِمَعْنَى اللَّهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ
الْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ أَهْلُ قُلْتِ لَفْظُ الْحَاكِمِ وَالبَيْهَقِيُّ مَنْ سَرَهُ أَنْ
يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ عَبْدُ بَنِي جَدٍ وَاسْتَحَقَّ مِنْ رَأْيِهِ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّوَكُّلِ
وَأَبُو يَعْلَى وَالتَّيْمِيُّ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ كَاهُمْ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ أَيْ الْمَقْدَامِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُرْطُبِيِّ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ تَكَلَّمَوا فِي هِشَامٍ بِسَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ) كَانَ (إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ) أَيْ فَقْرٌ وَحَاجَةٌ (قَالَ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ) (كَانَ) يَقُولُ بِهَذَا أَمْرٌ فِي رَبِّي
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٌ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ
جَزْءٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَلَّى بِأَهْلِهِ الضَّيْفَ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ
الْآيَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَزْءٍ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا ذَكَرُوا رِوَايَتَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فَيُعَدُّ سَمَاعَهُ مِنْ
أَبِي جَدِّهِ أَهْلُ قُلْتِ وَبِهِذَا اللَّفْظِ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَصْنُوفِ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ

وقال صلى الله عليه وسلم
لو أنكم تتوكلون على الله
حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا
يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو وَخَاصًا
وَتَرْجِعُ بَطَانًا وَقَالَ صَلَّى
الله عليه وسلم مَنْ انْقَطَعَ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ
اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَوْثِقَةٍ وَرَزَقَهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ
انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَّمَ
اللَّهُ إِلَهَا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ
أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَعْنَى اللَّهِ
أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ
وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ قَالَ
قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَيَقُولُ
بِهِذَا أَمْرٌ فِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٌ أَهْلُكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا
لِلآيَةِ

وقال صلى الله عليه

وسلم لم يتوكل من استترقى
واكتوى وروى انه لما قال
جبريل لاراهيم عليه
السلام وقد رى الى النار
بالتجنيق ألك حاجة قال أما
اليك فلا وفاء بقوله حسبي
الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك
حين أخذ لبري فانزل الله
تعالى و ابراهيم الذي وفى
وأوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام يا داود
ما من عبد يعتمى بي دون
خلقى فتكبد السهوات
والارض الاجعت له مخرجا
(وأما الاسرار) فقد
قال سعيد بن جبير لذغثي
عقرب فاقسمت على أمي
لتستترق فتناولت الراقي
يدى التي لم تلدغ وقرأ
الخواص قوله تعالى وتوكل
على الحى الذى لا يموت الى
آخرها فقال ما ينبغي للعبد
بعده هذه الآية أن يلجأ الى
أحد غير الله تعالى وقيل
لبعض العلماء فى منامه من
وثق بالله تعالى فقد أحرز
قوته وقال بعض العلماء
لا يشغلك المضمون لك من
الرزق عن المفروض عليك
من العمل فتضيع أمر
آخرتك ولا تنال من الدنيا
الاما قد كتب الله لك وقال
يجي بن معاذ فى وجود العبد
الرزق من غير طلب دلالة
على أن الرزق مأمور بطلب
العبد وقال ابراهيم بن
أدهم سألت بعض الرهبان

والبيهقي فى الشعب وقد صحح البيهقي اسناده وكأنه أثبت سماعة من أبي جده وأنه سقط فى سياق الطبراني
عن أبيه وأما لفظ المصنف فرواه أحمد فى الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي فى الشعب عن ثابت قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة صلوا صلوا قال ثابت كانت الانبياء اذا نزل بهم
أمر فزعوا الى الصلاة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل على أهله بعض الضيق فى الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهله
بالصلاة الآية (وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل على الله من استترقى واكتوى) قال العراقي رواه الترمذى
وحسنه والنسائى فى الكبرى وابن ماجه والطبراني واللفظ له الا أنه قال أو اكتوى من حديث المغيرة بن شعبه
وقال الترمذى من استترقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل وقال النسائى ما توكل من اكتوى أو استترقى
اه قلت وبلغنا الترمذى رواه أحمد والحاكم والبيهقي ولفظ المصنف رواه الطيالسى والبيهقي الا انه بلفظ
أو (وروى انه لما قال جبريل لاراهيم عليه السلام وقد رى الى النار بالتجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا
وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ لبري) روى عبد بن حميد عن سليمان بن صرد وكان
قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذهب ابراهيم ليطرح فى النار قال انى ذاهب الى ربى - سعيد بن
فلما طرح فى النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وروى ابن جرير
عن معمر بن سليمان عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوق ليلى فى النار قال يا ابراهيم
ألك حاجة قال أما اليك فلا ورواه أحمد من وجه آخر فزاد قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين
الى أحبهما اليه (وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتمى بي دون خلقى فتكبد
السموات والارض الاجعت له مخرجا) رواه تمام وابن عساكر والديلى عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك عن أبيه رفعه بلفظ وعزى يا داود ما من عبد يعتمى بي دون خلقى أعرف ذلك من ينسب فتكبد
السموات بمن فيها والارض بمن فيها الاجعت له من بين ذلك مخرجا ما من عبد يعتمى بخلقى دونى أعرف ذلك
من ينسب الا فاضت أسباب السماء بين يديه وارضفت الهوى من تحت قدميه وما من عبد يطغى الا وانا معطيه
قبل ان يسألنى ومستجيب له قبل ان يدعوى وغافله قبل أن يستغفرنى وفيه يوسف بن الغرمرزك يكذب
وقال البيهقي هو فى عداد من يضع الحديث ورواه صاحب القوت فقال وفى أخبار وهب وكعب من الكتب
السالفة يقول الله تعالى أقسم بعزى فذكر نحو ما ذكرناه (وأما الاسرار فقد قال سعيد بن جبير) التابعى رجه
الله تعالى (لذغثى عقرب) مرة (فاقسمت على أى لتستترقين) وكان بارابامة (فتناولت الراقي يدى التي لم
تلدغ) ولم تناول يدى التي لذغثى فرأى من الاسترقاع ورواى بقسم أمي (وقرأ) ابراهيم بن أحمد (الخواص)
رجه الله تعالى (قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية)
ان فهم معناها (ان يلجأ الى أحد غير الله تعالى) نقله صاحب القوت (وقيل لبعض العلماء فى منامه من وثق
بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من
العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك) نقله صاحب القوت وهذا هو توكل
العموم (وقال يحيى بن معاذ) الرازى الزاهد رجه الله تعالى (وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على
أن الرزق مأمور بطلب العبد) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رجه الله تعالى (سألت بعض
الرهبان من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى) رواه أبو نعيم فى الحلية
(وقال هرم بن حبان) العبدى قال ابن عبد البر وهو من صغار الصحابة وفى الزهد لا جدانه كان يصعب حمة
الدوسى وحمة مات فى خلافة عثمان وفيه عن الحسن انه لما مات دفن فى يوم صائف فصاحت بحبابة فرشت
قبيره وماحوله وعده ابن أبي حاتم فى الزهاد الثمانية من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان على
عبد القيس فى الفتوح وأورده أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (لاويس) بن عامر (القرنى) رجه الله تعالى
من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم بن حبان لاويس القرنى

أين تأمرني أن أكون فأوما إلى الشام قال هزم كيف المعبشة قال أوديس أف هذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكذا وجدت إلى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الأدب * (بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل) * اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب (٣٩٠) الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو

(أين تأمروني أن أكون فأوماً إلى الشام قال هزم كيف المعيشة قال أو يس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة) ولفظ القوت وقال أبو السليل قال رجل لا ويس أصحبك استأنس بك فقال سبحان الله ما ظننت أن أحدا يعرف الله يستوحش معه فقال له الرجل ما المعيشة فقال أو يس أف خالط القلوب الشك فما تنتفع بموعظة (وقال بعض - هم متى رضيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا) والوكيل هو الموكل إليه الأمور كلها

(اعلم أن التوكل من أبواب الايمان) وهو عماد المؤمنين وموطن المقربين وسبيله المحبين لا يستغنى عنه عابد في عبادته ولا ذو عادة في عاداته لتعلقه بسائر الاحوال عبادة أو عادة وجعله ما يحتاج اليه من أمر الدنيا والآخرة ولذلك أوجب الله تعالى على سائر المؤمنين أن حقيقة اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع أو حفظها ودفع المضار أو قطعها كما سيأتي (وجميع أبواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل) كما سبق ذلك في شرح كتاب التوبة (والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل) الذي يتبني عليه حاله (وعمل هو الثمرة وحال) هو ثمر العمل (هو المراد باسم التوكل) ويحتاج شرح كل من ذلك على انفراده (فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل) الذي يتبني عليه حال التوكل (وهو المسمى ايمانا في أصل اللسان) وله مراتب وبعضها أشرف من بعض (إذا الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وذا أقوى) نوره في القلب (سمى يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة) وقد ذكر بعضها وبعضها سيذكر (ونحن انما نحتاج منها إلى ما يتبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له) قائم بنفسه (والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك) وهذا الايمان من لازم التوحيد فان من علم انه قائم بنفسه علم انه مقيم لغيره (والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك له الحمد) وهو من لازم الايمان بالقدرة فان من علم انه مقيم لغيره علم انه متولى أمورهم وكافهم وحسبهم وإذا علم ذلك علم سعة جوده وحكمته وبكل قدرته وينتج ذلك ان الوجود كله في قبضته وملكوته وتحت قهره وأمره وانه المنفرد بإيجاد المتوحد بخلق حركات العالم وسكاته (فن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ثم له أصل الايمان الذي هو أصل التوكل أعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالباً عليه (وفيه قد وردت آثار فن قالها عشرة) كان يكن أعتق رقبة من ولد اسمعيل وراه الشيطان والنساء من حديث أبي هريرة وروى الترمذي من حديث أبي أيوب بلطف كانت له عدل أربع رقاب من ولد اسمعيل ورواه البيهقي بلطف كان له عدل نسمة ورواه الطبراني بلطف كان له عدل عشر رقاب (فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال) فان الاحوال هي التي تثمر الاعمال وهي مواجيد القلوب (ولا يتم علم المعاملة الا بها) أي بالاعمال التي هي نتيجة عن الاحوال (فاذا انتعرض الالقدر الذي يتعلق بالمعاملة) فقط (والا فالنوحيد هو البحر الخضم) أي العميق الواسع (الذي لا ساحل له) فينتهي اليه (فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم إلى لب ولب اللب وقشر وقشر القشر ولتمثل ذلك تفرقاً إلى الانهال الضعيفة بالجوز في قشره العليا فان له قشرتين وله لب ولب اللب وهو الدهن وهو لب اللب قال تبة الاولى من النوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه) أي عن معناه المقصود (أو منكره كنوحيد المنافقين) فانهم كانوا كذلك كانوا يظهرن خلاف ما يبطنون اما غفلة أو انكار أو منهم من كان يجمع بينهما (والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

الثمرة وحال هو المراد باسم
التوكل * فلنبدأ ببيان العلم
الذي هو الأصل وهو المسمى
إيماناً في أصل اللسان إذ
الإيمان هو التصديق وكل
تصديق بالقلب فهو علم وإذا
قوى سمى يقيناً ولكن
أبواب اليقين كثيرة ونحن
إنما نحتاج منها إلى ما نبني
عليه التوكل وهو التوحيد
الذي يترجمه قولك لا إله
إلا الله وحده لا شريك
لله والإيمان بالقدره التي يترجم
عنها قولك لا الملك والإيمان
بالبجود والحكمة الذي يدل
عليه قولك وله الحمد فن قال
لا إله إلا الله وحده لا شريك
له لا الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير ثم له الإيمان
الذي هو أصل التوكل أعني
أن يصبر معنى هذا القول
وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه
فأما التوحيد فهو الأصل
والقول فيه بطول وهو من
علم المكاشفة ولكن بعض
علوم المكاشفات عاق
فالأعمال واطاعة الاحوال
ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذا
لا تتعرض إلا للقدر الذي
يتعلق بالمعاملة والا
فالتوحيد هو البحر الخضم
الذي لا ساحل له فنقول
البحر جسد أو بع مراتب

وهو يفتهم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ويمثل ذلك تقريرا الى الافهام الضعيفة بالجور في قلبه
شربه العليا فان له قشرتين وله لب ولبيدهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقابله غافل عنه
ومسكله كتوحيد المنافقين والثانية أن يصديق بمعنى اللفظ

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد الوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدا هو مشاهدة الصديقين وتسميته الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك (٣٩١) صاحبه في الدين عن السيف والسنان

والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحصى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا وليس له واحد اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف (بواسطة) فيضان (نور الحق) في قلبه (وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة) مختلفة الانواع والاجناس (ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود) في سائر مراتبه (الا واحدا هو مشاهدة الصديقين وتسميته) طائفة (الصوفية) قدس الله أسرارهم (الفناء في التوحيد) وهو مقام شريف عال وهو الفناء عن النفس وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم (لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا في التوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق) واذا فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا بهم ولا احساس ولا خبر غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وبها وقد نرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الانذار عن شيء (فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك صاحبه في الدين عن السيف والسنان) فلا يهرق دمه واليه الاشارة في الخبر فاذا قالوا هاعصم وامني دماءهم وأموالهم (والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه) وقابله خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه (أي في القلب) (انشراح و) لا (انفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه) ولم يتحل بينه وبين ذلك الاعتقاد شيء (ولم تضعف بالمعاصي عقده) فان المعاصي تضعف عقدة الايمان وتحللها شيئا (ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة) وهي أعظم حالا من المعاصي لكون صاحب البدعة لا يعتقد هامعصية فلا يتوب منها الذلوعلم ان المعصية لتاب عنها (وله حيل يقصدها دفع حيل التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بهما) بهذين القصدين (يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع) فلا يكون المتكلم مبتدعا كما لا يكون المبتدع متكاما وما وقع في سياق بعضهم وبه قال جمهور متكلمي المعتزلة وما أشبه ذلك فنظر الى ظاهر اللفظ أو ان هذا الذي ذكره المصنف اصطلاح له فلا معارضة (ومقصده) أي المتكلم (دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحصى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليها الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد) اذ هما سوا عقده (بل في صناعة تلقين الكلام الذي به تدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة) وقد تقدم الكلام في المراد بالعوام من هم في شرح قواعد العقائد (والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد) فتضعف الكثرة في جنب الوحدة (وهذه الغاية القصوى في التوحيد) وليس بعده مقام للسالك ينتهي اليه (فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى) منه (والثالث كالب) الذي داخل القشرتين (والرابع كالدهن المستخرج من الب) وهو خلاصة الخلاصة

كله عليه الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صناعة تلقين الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من الب

وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر وإن اتخذ حطباً أطفأ النار وأكسرت
 للسان وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الآن يترك مدة على الجوز للصون ثم رمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق
 بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مضموم (٣٩٢) الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة

السفلى هي القلب والبدن

وتوحيد المناق يصون بدنه
 عن سيف الغزاة فانهم لم
 يؤثروا بشق القلوب
 والسيف إنما يصيب جسم
 البدن وهو القشرة وإنما
 يتجرد عنه بالموت فلا يبقى
 لتوحيد فائدة بعده وكما أن
 القشرة السفلى ظاهرة
 النفع بالاضافة إلى القشرة
 العليا فانها تصون القلب
 وتحرسه عن الفساد عند
 الأذخار وإذا فصلت أمكن
 أن ينتفع بها حطباً لكنها
 نازلة القدر بالاضافة إلى
 القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف كثير النفع
 بالاضافة إلى مجرد نطق
 اللسان ناقص القدر
 بالاضافة إلى الكشف
 والمجاهدة التي تحصل
 بانسراح الصدر وانفساحه
 واشراق نور الحق فيه إذ
 ذلك الشرح هو المراد بقوله
 تعالى فمن ير الله أن يهديه
 يشرح صدره للإسلام
 وبقوله عز وجل أفمن
 شرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه وكأن
 القلب نفيس في نفسه
 بالاضافة إلى القشرة وكله
 المقصود ولكنه لا يخلو عن
 شوب عصارة بالاضافة إلى
 الدهن المستخرج منه

(وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر
 وإن اتخذ حطباً أطفأ النار) (وأكثر النحان) وسود الألوان (وإن ترك في البيت ضيق المكان
 فلا يصلح) (لشيء) (الآن يترك مدة على الجوز للصون) أي الحفظ على باطنه من طرق الالتفات (ثم رمى به
 عنه فكذلك التوحيد) (الحاصل) (بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى) (أي الفائدة) (كثير
 الضرر مضموم الظاهر) (لمرارته) (والباطن) (لبشاعته) (لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت
 الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المناق يصون بدنه عن سيف الغزاة) (والحكماء) (فانهم
 لم يؤثروا بشق القلوب) (كأن خبر أسامة هلا شقت قلبه) (والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة
 وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيد فائدة بعده) (أي بعد الموت) (وكأن القشرة السفلى ظاهرة
 بالاضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتحرسه عن الفساد عند الأذخار وإذا فصلت أمكن أن ينتفع
 بها حطباً) (للويد) (لكنها نازلة القدر) (وفي نسخة نافذة القدر) (بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف) (بواسطة نور) (الحق كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى
 الكشف والمجاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد
 بقوله تعالى فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
 على نور من ربه) (وقد تقدم الكلام على الآيتين مراراً) (وكأن القلب نفيس في نفسه بالاضافة إلى القشرة
 وكأنه المقصود) (من القشرتين) (ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك
 توحيد العنق مقصد عال للسالكين) (يتبعون حتى يحصلونه) (لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات
 إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق) (ومثال شرف بعض هذه المراتب على البعض
 مثال دار لها علو وسفل وكلما ارتفعت من أسفلها إلى أعلاها زددت علماً بالدار وكلما زددت علماً زددت
 لباهاً وما لكها محبة والمحبة موجبة لمجاورة المحبوب وملازمته وموافقته) (فان قلت كيف يتصور أن
 لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون
 الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب) (فيطلع عليه
 من ليس بأهل لمرادها فيقع في وحلة لا يكاد يتخلص منها) (فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر) (وقد
 نسب هذا القول لسهل التتري وقيل لابي يزيد البسطامي وهي من جملة الاسئلة التي سئل عنها المصنف
 وأجاب عنها في كتاب سماء الاملاء على مشكلات الاحياء قال فيه في تقرير السؤال وما معنى قول من تقدم
 من أهل هذا الشأن افشاء سر الربوبية كفر وأين أصل ما قالوه في الشرع اذا الايمان والكفر والهداية
 والضلال والتعريب والتبعية والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات الخالفة إنما هي مأخذ شرعية
 وأحكام نبوية فقال في الجواب عنه انه يخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفراً دون كفر
 ويسمى ذلك تغليظاً لما أتى به الغشبي وتغليظاً لما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يسمى هذا كفراً لانه
 ضد الكفر اذا الكافر الذي يسمى هذا على معناه سائر وهذا الغشبي لا سائر وأين التشرع من السر والاطهار
 من التغلطة والاعلان من الكتم واندفاع هذا بان يقال ليس الكفر الشرعي تابعاً للاشتقاق وإنما هو حكم
 بمخالفة الامر واتكباب النهي فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين احدهما
 لجهة الاشتقاق ويكون اذ ذلك اسماً يبنى على وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذلك حكماً واجب

فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر

ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادكم يمكن وهو أن الشيء قد يكون (٣٩٣) كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون

واحد بنوع آخر من
المشاهدة والاعتبار وهذا
كأن الإنسان كثيران
التفت إلى روحه وجسده
وأطرافه وعروقه وعظامه
وأحشائه وهو باعتبار آخر
ومشاهدة أخرى واحد إذ
نقول إنه إنسان واحد فهو
بالإضافة إلى الإنسانية
واحد وكم من شخص
يشاهد إنسانا ولا يحظر
بباليه كثرة أمعائه وعروقه
وأطرافه وتفصيل روحه
وجسده وأعضائه والفرق
بينهما أنه في حالة الاستغراق
والاستهتار به مستغرق
بواحد ليس فيه تفرق
وكأنه في عين الجمع
والملتفت إلى الكثرة في
تفرقة فكذلك كل مافي
الوجود من الخالق والمخلوق
اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة فهو باعتبار
واحد من الاعتبارات
واحد باعتبار آخر
سواء كثير وبعضها أشد
كثرة من بعض ومثاله
الإنسان وإن كان لا يطاق
الغرض ولكنه ينبه في
الجملة على كيفية مصير
الكثرة في حكم المشاهدة
واحد ويستبين بهذا
السلام ترك الانكار
والجود لمقام تبلغه وتؤمن
به إيمان تصديق فيكون
للمؤمن حيث أن المؤمنين

عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم لا تذهب مع اللفاظ ولا تسترق العبارات ولا تتجمل التسميات
وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها فاذا من أظهر ما أمر بكتمه كان كتم ما أمر بنشره وفي مخالفة
الأمر فيها حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تتحدوا
الناس بمالم تصله عقولهم وفي ارتكاب النهي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور وكفرانا والوجه
الثاني أن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا للحديث المذكور
لا تتحدوا الناس بمالم تصله عقولهم أثر يدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدكم بمالم يصله عقله ربما
سارع إلى التكذيب وهو لا أكثر ومن كذب بقدره الله تعالى وبما أوجدهم بافقد كفر ولو لم يقصد الكفر
فإن أكثر الميوذ والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر إلا بظنهابا نفسها وهي كفار بلاريب وهذا وجه
واضح قريب ولا يلتفت إلى مالم إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكم ولا
الراغبين في العلم إذ ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والأسلام يتعلق بخبره ويلحق
قائله وهذا لا يخرج الأعلى مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنن لا يرضون بذلك
وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله تعالى بالقول الذي يبرمه والعمل الذي يقصده المتعبد
لوجهه والكفر الذي يستزيده إيمانا والمعرفة له سبحانه ثم يكفره الله تعالى ذلك بفوائد المزيد وينه ما شرف
من المخ وبريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنده وأطراحه
وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل عقارنته وليس في إفشاء الولي شيء مما يناقض الإيمان اللهم الآن
يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عابس مفرود ليس بولي ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله
فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
ثم أنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجده من العداوة والبغضاء قبل له أتم وأخطأت من غير تكفير وإن
كان الخافعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع انتهى نص الأملاء
(ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادكم يمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع
مشاهدة واعتبار ويكون واحد بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كأن الإنسان كثيران التفت
الروح وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ تقول
إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يحظر بباليه كثرة أمعائه
وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والمملتفت إلى الكثرة في تفرقة) قال القشيري من أثبت
نفسه وأثبت الخلق ولكن شهدا لكل قائما بالحق فهذا هو الجمع وإذا كان محتفيا فاعن شهود الخلق
مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستوى من سلطان الحقيقة فذلك
جمع الجمع فالفرقة شهود الأغيار بالله والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء
الاحساس بما سوى الله عند غلبان الحقيقة انتهى (فكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق له
اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد باعتبار آخر سواها كثير
بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الإنسان في الكثرة والوحدة) وإن كان لا يطاق الغرض الذي هو
إثبات الغناء في التوحيد ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحد وتستفيد
بهذا الكلام ترك الانكار والجود لمقام تبلغه (لقصورك) وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من
حيث أنك مؤمن بهذا التوحيد الذي هو الغاية القصوى (نصيب) وحظ (وإن لم يكن ما أمنت به
صفتك) ومقامك (كما أنك إذا أمنت بالنبوة) وهو أعلى مقامات السالكين (وإن لم تكن نبيا) متحققة بهذا

بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما أمنت به
صفتك كما أنك إذا أمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا

المقام (كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك) به وتصديقك له وعدم إنكارك عليه (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق) وهو مقام الفناء بشهود الفناء بالاستهلاك في وجود الحق (تارة تدوم) في سائر الأحوال (وتارة تظهر كالسبرق الخاطف) ثم تغيب (وهو الأكثر) في أحوال السالكين (والدوام نادر عزيز) لكنها إذا غابت بقيت آثارها فصاحبها بعد سكون غلباته يعيش في بركات ضيائها إلى أن تلوح ثانية بزجي وقته على انتظار عودها ويعيش بما وجد في حين كونه (والى هذا أشار) أبو المغيث (الحسين) بن منصور (الحلاج) رحمه الله تعالى (حيث رأى) إبراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في الاسفار) وقد ذكر صاحب القوت له الجواب مما وقع له في أسفاره (فقال) له (فيما إذا أنت فقال أدور في الاسفار لا صحح حالتي في التوكل وقد كان من) نبلاء (الموكلين) وله كتاب في تحقيق مقامات التوكل (فقال) الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك أي في مشاهدة الخلق فأعيا بالحق (فأين) أنت من (الفناء في التوحيد) رواه القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور ولا إبراهيم الخواص ماذا صنعت في هذه الاسفار وقطع هذه المفارز قال بقيت في التوكل لا صحح نفسي عليه فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد اه (فكان الخواص) رحمه الله تعالى (كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه) الحلاج (بالمقام الرابع) الذي هو آخر المقامات فيه وكانه شتم من الخواص التفاتاً لما أقيم فيه فنهى على أن المقصود وراء ذلك (فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال) وقد اعترض على المصنف في تقسيمه لهذه المقامات وأجاب عنه وهذا اللفظ في الاملاء ذكر مرتزق ذكره وجعلك تعقل به بيته وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربع مراتب والمظة التوحيد تنافي التقسيم المشهور وكما ينافي التكرير بالتعدد وان صرح انقسامه على وجه لا يدفع فهل نصح تلك القسمة فيما يوجد وفيما يقدّر وغبت في مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها وان كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز والقشور واللُب ولم كان الاول لا ينفع والاخر الذي هو الرابع لا يحل اقتضاؤه ثم ساق الاسئلة بنماها ثم قال في الجواب عا لفظه جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيهاً بالجوز لموافقة الغرض في التمثيل به وذكر بان المعترض وسوس بالخواطر بان لفظ التوحيد ينافي التقسيم اذ لا يخالو ان يتعلق بلفظ الواحد الذي ليس برائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالحس ولا بالعقل ولا بغير ذلك وما ان يتعلق بوصف المكافين الذي يوجب لهم حكمهم اذا وجد فيهم فذلك لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقد وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا تصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطنين أحدهما شرك والاخر تلاش وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بنماثل ايمان جميع المؤمنين من الملائكة والنبين والرسلين وسائر عموم المسلمين وانما تختلف طرق ايمانهم التي هي علومهم ومذهبهم في ذلك معروف ونحن لانسلم في هذه الاجابة بشئ من انحاء الجدال ومقابلة الاقوال بالاقوال بل نقصد ازالة عين الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال فاعلم ان التقسيم في الاطلاق يستعمل انحاء لا يتوجه ههنا بشئ مما قد جرح به المعترض وهجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحاء ما يميز به بعض الأشخاص بما اخص به من الاحوال وكل حالة منها يسمى توحيداً على جهة يتفرد بها بالإشارة كما فيها غيرها فمن وجد بلسانه سمى لاجله موحداً مادام الظن به ان كان قلبه موافقاً للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع من الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يعصبه فيه ولا برهان يبرمه به سمى أيضاً موحداً على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيًا والحنبلي حنبليًا ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وتنقي من أجله شكوكه العارضة فيسمى موحداً من جهة انه عارف به كما يقال جدلياً ونحوياً وفيها ومعناه أي

كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تظهر كالسبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما إذا أنت فقال أدور في الاسفار لا صحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال

يعرف الجدل والنحو والفقه وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جلته حتى لا يوجد فيه فضل
لغيره الا على طريق التبعية ويكون شهود التوحيد اسكل ماعده سابقا له مع الذكر والتذكير صاحباً من
غير ان يعتز به ذهول عنه ولا نسيان له لاجل اشتغاله بغيره كالعاده في سائر العلوم فهذا يسمى موحد او يكون
القصد بما يسمى به من ذلك المبالغة فيه فهذه أربع مراتب يصح اطلاق اسم التوحيد عليها * فأما الصنف
الاول وهم ارباب النطق المجرد فلا يضر بون في التوحيد بسهم ولا يفرزون ومنه بنصيب ولا يكون لهم شئ
من احكام أهله الا في الحياة الاولى اذ الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما تعبد القول عليه بعد
هذا ان شاء الله عز وجل * وأما الصنف الثاني وهم ارباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنى عنه فقبلوا
ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم
الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم * وأما الصنف الثالث والاربع فهم ارباب البصائر السليمة
الذين نظر وابها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فزادوا على كل نوع منها خطأ منطبقاً فيها
ليس يعرف ولا سراني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءته من لم يستجهم عليه وتعلمه
منهم من استجهم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبق فيه من مفرد ومركب
وصفة وموصوف وحجر وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذي يسمى نارة بعلامة
ونارة بسمة ونارة بأثر القدرة ونارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب

فوا عبا كيف يعصى الاله * أم كيف يحمد جاحد

وفي ككل شئ له آية * تدل على انه واحد

فلما قرأ ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث المكتوب ونمرجه أبدية تماكبه والتصريف له بالقدرة على
حكم الارادة بما ثبت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص فتركوا الكتابة والمكتوب ونزلوا منها الى معرفة
الكتاب الذي أحدث الاشياء وكونها لم يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته
طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا افتقرت الى الحرية عن رقب استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله
شئ وهو السميع البصير فصلت التفرقة لهم والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيداً خالقها بذاته
واتحاده عن غيره وعقلت انها عقلت توحيداً سبحانه من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها ان تذكره
الابه وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم ان عرف نفسه موحد الرب في عالم يرز وهم
المقربون والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم ان عرف به موحداً بنفسه في عالم يرز وهم الصديقون
وبينهما تفاوت كبير وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لا يتخلو كل واحد منهم ان
يوجد فيه أثر التوحيد باحد الانحاء المذكورة عنده أو لا يوجد فأمّا من عدم عنده فهو كافرين كان في
زمن الدعوة أو على أقرب يمكن وصول علمها اليه أو في فترة لا يتوجه عليه فيها التكليف وهذا منصف بعد
عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد فيه فلا يتخلو ان يكون مقلداً في عقده أو عالماً به فالمقلدون هم العوام
وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يتخلو كل واحد منهم ان يكون بلغ الغاية
التي أعدت لصفته دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون
وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا
تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دأثر بين النبي والاثبات ومحصور بين المبادئ والغايات ولم يدخل أهل المرتبة
الاولى في شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هو من أهله الا بالنسب كاذب ودعوى غير صادقة ثم لا بد من
الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث وشرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله تعالى حقيقة كل مرتبة
ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجزى به الواحد الحق على القلب واللسان * (بيان)

أهل النطق المجرد وتخيير قرفهم) * اعلم ان أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا صوابه اذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه ما بعدهم منهم وقلة اكثر انهم واما لنفورهم عن البحث وخوفهم انهم ان تكافوا البحث عما نطقوا به ان يبدولهم ما يلزمهم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموا فارقوا راحة أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فيكون عيشهم منغصا ولا ذمهم مكدر من خوف عقاب ترك ما علموا الزومه فاذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا الى النطق به شيء الا مساعدة الجاهل وانغراطنا باظهار القول في الجمل الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف او التكبير ولا شك ان هذا الصنف الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله مساءه المالكين أحدهم في القبر اذ يقولون له من ربك ومن زبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقولون له لا دريت ولا تليت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والمراتب الصنف الثاني نطقوا كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا رضي الله عنه هو الاله وبلغ أمرهم على ارضى الله عنه وكانوا في زمنه ففرق منهم جماعتوا مثال من نطق بالشهادتين كثيرا ثم سحب نطقه مثل هذا التكبير ويسمون الزنادقة وهم في النار كما في الخبر الصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم أسروا والتكذيب واعتقدوا الرد واستبطنوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا الى أهل الاتحاد اعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهو لا المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه بقوله واذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلو الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل أحدنا اليهم خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقراء به مما قالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق وأمر وان يظهر والرضا بالقول ثم يتفهموا بمجهله فسكنوا الى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون وان احترم أحد منهم من حينه من قبل ان يتأق منه استغفاهم أو تصور يمكن ان يكون له معتقد اهذاب رجى ان لا تضيق عنه سمعته تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله تعالى ورجى ما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البسالة ان يدعو الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة ثم يدعو الى تفهم المعنى من كل وجه فلا يتأق منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما يخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا حكم على مثله بخلود في النار ولا يبعد ان يكون مع هذا الصنف بأسرة أعنى المحترم قبل تحصيل العقيد مع هذا البليد البعيد بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة وتكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله والحديث فيه طول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثاني والثالث أجمعين أعنى أهل النطق المذكورين قبل في التوحيد ان لا تجب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين ووجه الهالكين فان عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها بسيف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صارتون الى جهنم خالدين فيها تلقى وجوههم النار وهم فيها كالخون

* (فصل) * ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاته من السيف ان يراق دمها واليدان تساط على ماله اذ لم يعلم خفي حاله حسن ان يشبهه بقشر الجوز الاعلى فهو لا يحمل في الاكلم ولا يرفع الى البيوت ولا يحضري مجالس الطعام

ولا تشبيه النفوس الامداد منطوية على مطعمه صوانا على لبه فاذا اثير ليل عنه بكسر أو علم منه انه منطوي على فراغ أو سوس أو طعم فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الانخفاء لصحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غرض الي فهم الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع وليس من شرط المثال ان يكون مطابقا للممثل به من كل الوجوه فكان يكون هو هو ولكنه من شرطه ان يكون مطابقا للوجه المراد منه * (فصل) * وأما الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالادلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروا في أنفسهم وانكسروا عن غير عارفين باستدلال على ما اعتقدوه وذلك لقرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتباس طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين ثم لم يلبث ان انه اعترض أحد اسلافهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمروق عنه ولا كفوا مع قصورهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الادلة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحاج بل تركوا على ما هم عليه وهو لا عندى معذورون ببعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من اقرارهم وعقدتهم والله تعالى قد عذرهم مع غيرهم بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية بحال وسببى طريقا من الاعتقاد تعرف صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله تعالى الصنف الثاني اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدوا الى ذلك أنواعا من الخيال قام في نفوسهم انها أدلة وظنوها براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار اليه فضلا من دونهم فان وقع الى هذا الصنف من نزاع عليهم تلك الخيال بالقدح وببطلانها عليهم بالمعارضة والاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى ما يأتي به ويرفعوا أن يجابوا به لما يحملون عليه من سوء الفهم أو ردا على الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك الخيال في باب الاستدلال أرسخ من شواخ الخيال فمنهم من يعتد دليله مذهب شيخه الرقيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبر أحد ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية توحيد صحيح ولعمري انه لينبغي اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال ان يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يغبطوا بذلك ويسلم لهم لتلايكونوا اذا تبسح الحال معهم ربما تلقفوا شبهة ورسخ في نفوسهم بدعة تعمس انحلالها أو يقع في تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير وهو لا أثبت إيماننا من الصنف الأول وأوثق رباطنا منهم وأحسن حالا الصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عمووا العلم أيضا ولكن لعدم سواكهم سبيله من القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ والنظر والعلم والاولو استدلووا بالتحقق ولو طلبوا الادراكوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستنقوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالعود في حضيض الجهل فهو لا فهمهم اشكال عند كثير من الناس في البدية وتردد وفي حالهم نظر وهل يسمون عصاة وغير ذلك مما يحتاج الى تغيير آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام من غير تفريق بين بليد بعيد ومتيقظ فطن فمنهم من لم يراهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم اطلاق اسم الكفر عليهم ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبارة وجوب العبارة في الشرع ساقط على هذا النحو وهو لا يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة في صحة الايمان وانما الفرع والاعن الشناعة الظاهرة فتستر واعن الجمهور بهذا الاحتمال ومنهم من أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وانما غرضنا تقييد ما أشاعه في الاحياء أهل الغلو والاعلاء فلا نفخ مثل هذا الباب وقد أبدينا وجه ذلك في مراقب الزيف ما ينبغي فيها باذن الله تعالى

(فصل) * بقي في أصناف أهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى وهو من تمة ما مضى فلتعلم ان ما منهم صنف الاول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم عن أحدها بحكم الاحتمال الضرورى فاحد الحالات لهم ان يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التقليد كما سبق الحالة الثانية ان لا يعتقد البعض الأركان مما فيه خلاف اذا انفرد ولم ينصف اليه في اعتقاده سواء هل يكون به مؤمنا أو مسلما مثل ان يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد انه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويخالف عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقولا بلاطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن القدر الذي اعتقده من الأركان موافق للحق غير مشوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا أو الوجود والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع ان أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلكت خلاص ووصف ايمان واسلام وسواء في ذلك الصنف الاول والثاني من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية فالتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان او الاسلام والمتأخرون مختلفون وكثير خاف ان يخرج من اعتقاد وجود الله عز وجل واطهار الانوار به وبنبيه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير من أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع هذا عقده بالامر يد عليه والحكم على من هو بمثل هذا بالخود في النار عسير جدا مع ثبوت الشرع بأنه من قال لا اله الا الله دخل الجنة وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد المتدعة في الصفات أو في بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل اطالة المذكورة قبل هذه واسلامهم حققنا أمره ولا فيما يعتقده اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن اتصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فبإوراء ذلك فان أمكن ردهم في دار الدنيا وزجرهم عنه ان أظهر والتمنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وان ما توافقوا لم يقصر بهم اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه والطبيع والعاصي من عباد.

(فصل) * ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بعلمته ضعيفا وتفرد عن المعرفة مريب البقي عليه شبه القسر الثاني من الجوز لان ذلك القسر يوكل مع ما هو عليه صوابا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خبير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفا فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خبير من التعطيل والكفر ببيان المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين * اعلم ان الكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها ان تتكلم في الأسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والاحوال التي تخذها لحصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف ينصور السالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في غرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويعلمون عليه بسببه ويكرمون به لاجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته فاما الحد الاول فالكلام عليه والكشف لدقائقه والصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه وبه بعث الرسل وأتت الكتب وجميعه محصور في اثنين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على اثنين الحرص الشديد والنية الخالصة وشرط في تحصيلهما اتقان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تنبيهها بالرمز تارة وتارة بالتصريح ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن اشرف بذلك اليبس الخاذق على بعض المرادو يظهر منه كثير من المقصد

وينكشف له جسر ما يشار اليه اذا كان سالما من شرك التصعب بعد اعن هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله مع علمهم به على سبيل التذكار لا على سبيل التعليم والحد الاول قد تقرره على كتب الرواية والدراية وهو غير محبوب عن طالب قدأ من الجهال به أن يتعلموه والعلماء به ان يذلولوه فلا تعبد فيه ههنا قولاً وحكم الحد الثالث الكتم فلم يكن لنا سبيل الى تعدي حدود الشرح فلننث العنان الى الكلام بالذي يليق بهذا المقام فنقول أر باب الفن الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف على الجملة وكلهم نظر والى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لا تحتمل عاينوا حالات الاقتدار الى المحدث عليهم وانفتحوا سمعوا واجمعها يدل على توحيده وتفريد مرشدة فاصحة ثم وألله عز وجل بآيات قلوبهم وشاهدوه بنبيهم وأرواحهم ولا حظوا بجلاله وجماله يخفى أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على حفظ وكلهم انما عرفوا الله عز وجل بمخلوقاته ولسبب انقسامهم في المعرفة اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والغنى والبقاء انما هو بالمقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيران المعرفة والعلم فلا يبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والبعدهم والقرب ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن احدى الحالتين عى البصيرة وانطماص القلب بخلوه عن معرفة الرب سبحانه فسمى هذا بعدا ما خوذ من البعد عن محل الراحة وموضع العماراة والانس والانقطاع في مهامه القفر وامكنه الخوف والحالة الثانية عن ايقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة السر بمشاهدة ما غاب عنه

(فصل) * المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين وهم قوم رآوا الله تعالى وحده ثم رآوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غير مولاهم على الوجود على سواء وأهل هذه المرتبة في حال حصولهم فيها صنفان مریدون ومرادون فالمریدون في الغالب لا بد لهم ان يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة والله أعلم وأما المرادون فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الاخير وهي المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها من أهل هذا المقام يكون القطب والازداد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النجباء والقباهم والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود يشترك فيه الحادث والقديم والمألوه والآله ثم المعلوم ان الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الاشياء شيا واحدا أذلك على طريق قلب الاعيان فيقول الحوادث قديمة ثم يتحد بالواحد فتراجع هي هرو في هذا من الاستحالة والروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخيل للولى لا حقيقة له فكيف يتحج به أو بعد حال لولى أو فضيلة لبشر والجواب عن ذلك ان الحادث لم ينتقل الى القديم ولم يتحد بالفاعل ولا عترى لولى تخيل فتخيل ما لا حقيقة له وانما هو لى مجتبی وصديق مرتضى خصه الله بمعرفة على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل لاحد من خلقه فبأعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين تست الخلق بمقدارك وكنتمهم بمعيارك وفضلت نفسك على الجميع اذ لا سبيل لانكارك ان صم الا انك تخيل ان يرزق أحد ما لم ترزق أو ينقص من المعرفة ما لم تنقص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه في حال من أحواله وهذا موجود في كثر اهتمامه بشئ وثبت في قلبه حاله انه اذا نام واشغل لم يفقد في شغله ونومه كماله يفقد في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى لولى الممكن في رتبة الصديق مقيمة مخلوقا حيا كان أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدره وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم ادام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهورا آثارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل ففى لولى عن غيره ومصار لم ير سواء ومعنى ذلك ان لا يتميز بالذكر في سر القلب وحين المعرفة ولا بالادراك في ظاهر الحس دون

فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث (٤٠٠) وأما الاول وهو النفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين

وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لافاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً وتوالياً له رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق

ما كان موجبا له وصار عنه فاني يبعد هذا على من أصعبه الله توفيقه وفخه منه بوجه وطريقه وعلى هذا جاء المثل في الاحياء برؤية من يرى انسانيات الانسان المرفق لاشك ذواجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك الا واحدا ولا يخاطر ببالك شيء من اجزائه من حيث ان اجزاء الانسان الظاهرة لا تحرك لها ولا سكوت ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر الا بمعنى ما كان انسانا من أجله وهو الركب للعبد المستولي على سائر الاجزاء المصدق بقدره الله تعالى للاعضاء الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى وقد يعبر عنه بالنفس فاذا رأى اليدين الانسان مثلام برهانه من حيث انها لحم وعصب وعضل وغير ذلك من مجموع اشخاص الجواهر وانما يراه من حيث ما ظهر عليهما من آثار صفاته التي هي القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف فلها لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهودا ترها في الاعضاء والجواهر فظهر صحة رؤية الرائي الانسان واحدا وهو ذواجزاء كثيرة ومثل هذا يعتزل داخلين على الملوك والمجبن مع من شغفواي بحبه من المخوفين والامثال غير هذا كثيرة من هذا المعنى وارجوا لا يحتاج اليها مع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الامنه ولا نور الامن عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم اه ما ذكره المصنف في الرد على المعترض وقد حذف منه فصولا كثيرة مما يتعلق لها بما نحن فيه ولنعد الى شرح كلام المصنف بعون الله وتوفيقه (فان قلت لا بد لهذا من شرح) وبيان (بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع) الذي هو منتهى المراتب (فلا يجوز الخوض في بيانه) لانه من جهة علوم المكاشفة (وليس التوكل) الذي نحن فيه (مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده) وشدة عقده وحراسته (بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في) الكتب المصنفة في علم (الكلام وذكري في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل) دون الثاني (اذ يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل) اذا الاعتقاد علم والاحوال انما هي ثمرات الاعمال (فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله) انك اذا علمت ان الله تعالى واحدا لا شريك له وانه قائم بنفسه مقيم لغيره وانه متولى أمورههم وكافهم وحسيبهم علمت سعة حكمته وعلمه وكمال قدرته فتستفيد من هذا (أن ينكشف لك) ان الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأمره (وان لافاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم) من كل حركات العالم وسكاته (فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل) وحده (لا شريك له فيه) وهو المتوحد بخلق ذلك كله (واذا انكشف لك هذا) رأيت النواصي بيده يقلبها كيف شاء وحينئذ (لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً وتوالياً له رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة في ملكوت السموات والارض) وحينئذ ينكشف لك تحقيق قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على اعلى الله رزقها وكذلك قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وحينئذ تتحقق ان بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت فيستد ترجع اليه ويعتمد قلبك عليه فترداد نور ابوجهل واهتمامك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيشرق في قلبك بهديته ما أشرق في قلوب أنبيائه (واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق الى الجادات الى الحيوانات والثاني) الالتفات (الى الجادات أما الالتفات الى الجادات على المطرفي خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغسيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء

السفينة وسيرها) وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مستغيثين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفت العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفت من أخذ العجز حقيقته فكذب الملك توقيعا بالاعفوع عنه وتخليته فاحذبت غل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فبري نجاته من القلم لامن (١٠١) محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواء والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيث والارض وكل حيوان وجاد مسخرات في قبضة القدرة كتنخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما اذميت اذميت واكن الله رمي) وهذا مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وابيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) وسأت من اغوائه (فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) يقول ايضا (هذا الشخص هو الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخته يقول ايضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النمل مثلالو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم

السفينة وسيرها) في البحر (وهذا) كله (شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى) في حق مثل هؤلاء (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مستغيثين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه) أي معنى قوله يشركون (انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا) فينسبون النجاة الى استواء الريح واعتد لها فهذا شركهم وقال صاحب القوت وقد روينا في تفسير هذه الآية قالوا كان الملاح فارها رملته في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بان الله الاوهم مشركون قيل قالوا لا نبايح السكب وزفاد الديك لاخذنا السرقة (ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه لا يتحرك بنفسه) وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل اذ الحركة من امارات الحدوث والباري تعالى منز عن ذلك (فالتفت العبد في النجاة) من شدة البحر (الى) استواء (الريح يضاهي التفت من أخذ العجز) أي تقاطع (رقبته) لامرنا (فكتب الملك توقيعا) في كاغدا يكتب في (بالاعفوع عنه وتخليته) عن القتل (فاخذت غل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع) المذكور (ويقول لولا القلم لما تخلصت) من القتل (فبري نجاته من القلم لامن محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو الاصل (بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع من ان يخطر بباله القلم والحبر والدواء فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيث والارض وكل حيوان وجاد مسخرات في قبضة القدرة) مقهورة تحت الاسر (كتنخير القلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء (بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك ان الملك الموقع) على الرقعة (هو كاتب التوقيع والحق) عند أهل الحق (ان الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما اذميت اذميت واكن الله رمي) وهذا مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وابيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) وسأت من اغوائه (فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) يقول ايضا (هذا الشخص هو الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخته يقول ايضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النمل مثلالو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم

(٥١ - (الحاف السادة المتقين) - ناسع) الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النمل مثلالو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله تعالى صدره للاسلام قصرته بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوق في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بلا حروف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون واستأعنى به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار شريك (٤٠٣) فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أر يده سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو

عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وقدرت وكيف شهدت على نفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أر باب القلوب مناجاة في السر وذلك لا يحد ولا ينتهي فانما كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انما تنبأجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لثوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار كفى الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجى بحفياها فنأدى بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليلا ولا بكم كثيرا) رواء أجد والداری والشيخان والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتى عن افشاء السر القدر) قال العراقي واما ابن عدى وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواء الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (ببعض الاسرار) وقد تقدم (فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أر باب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهى (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذى كافيه هو حركة القلم ومناجاة نذ كر قدر اسيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أى بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله صدره) ولم ينفسح (قصرته بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا) وفي نسخة قهارا (وراء الكل فوق في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بلا حروف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون) وهم أهل الحجاب (ولست أعنى بالسبع الظاهر الذى لا يجاوز الاصوات فان الجار) وهو أبلد الحيوانات (شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أر يده سمعا) باطنا (يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وقدرت وكيف شهدت على نفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أر باب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينتهي فانما كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذى لانهاية له) ذلك في قوله تعالى قل (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي الآية ثم انما تنبأجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لثوم) أى يدل على لوم الطبيعة (بل صدور الاحرار قبور الاسرار) كفى الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجى بحفياها فنأدى بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليلا ولا بكم كثيرا) رواء أجد والداری والشيخان والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتى عن افشاء السر القدر) قال العراقي واما ابن عدى وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواء الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (ببعض الاسرار) وقد تقدم (فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أر باب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهى (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذى كافيه هو حركة القلم ومناجاة نذ كر قدر اسيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أى بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

ولما نى عن افشاء السر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضى الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أر باب المشاهدات مانعان أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكننا في المثال الذى كافيه هو حركة القلم نحكى من مناجاة قدر اسيرا يفهم به على الاجال كيفية ابتناء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا ولكن هي ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ماسودت وجهي بنفسي
ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمه وعدوانا فقال صدقت فقال
الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا كذا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من
وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه
وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا (٤٠٣) على شط الانهار متزهبا بين خضرة الاشجار

لخاء تني اليد بسكين
فتحت عني قشري ومزقت
عن ثيابي واقتلعتني من
أصلي وفصلت بين أنابيبي
ثم برزني وشقت رأسي ثم
غمستني في سواد الخبر
ومرارتني وهي تستخدمني
وتعشني على قشر رأسي
ولقد نثرت الملح على جرحي
بسؤالك وعتابك فتخ
عني وسل من قهري فقال
صدقت ثم سألت اليد
عن ظلمها وعدوانها
على القلم واشتداهمها
فقال اليد ما أنا اللحم
وعظم ودم وهل رأيت
لحما يظلم أو جسم يتحرك
بنفسه أما مركب مسخر
ركبني فارس يقال له
القدرة والعزة فهي
التي ترددني وتجول بي في
نواحي الارض أما ترى
المدر والحجر والشجر لا
يتعدى شيء منها مكانه
ولا يتحرك بنفسه اذ لم
يركبه مثل هذا الفارس
القوي القاهر أما ترى

أبيض مشرقا) أي منبرا (والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد
ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ماسودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي
مستقره ووطنه) ومحل اقامته (فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمه وعدوانا) فهذا السواد الذي
تراهمه (فقال) الناظر للكاغد (صدقت فقال الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا
كذا عازما على ان لا أبرح عنها) أي لا أزول عنها (فاعتدى على القلم بطمعه) وفي نسخة بطمعه (الفاسد)
فاخذني (واختطفني من وطني) ومستقرى (وأجلاني عن بلادي) أي أبعدي عنها (وفرقت جعي وبددني كما
تري على ساحة بيضاء) يعني على صفحة الكاغد (فالسؤال) يتوجه (عليه لا على فقال) الناظر (صدقت ثم سألت
القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا على
شط الانهار متزهبا بين خضرة الاشجار) ممثلا لاطر باعند نسائم الاشجار (لخاء تني اليد بسكين) حاد (فتحت عني
قشري) أي ازاله (ومزقت عني ثيابي) هي تلك القشور التي عليه بمنزلة الثياب (واقتلعتني من أصلي وفصلت بين
أنابيبي) جمع انبوب بالضم وهو ما بين السكعين من القصب والقنا (ثم برزني وشقت رأسي وغمستني في سواد الخبر
ومرارتني) كانوا يدخلون في تركيبه شيئا من الثلاث تقع عليه الذباب ولا تقطعه الا رضة (وهوذا يستخدمني ويعشني
على قشر رأسي) وقلة كل شيء أعلاه (ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك) وهو كناية عن شدة الألم (فتخ
عني وسل من قهري فقال صدقت ثم) التفت (سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم) واقتطاعها اياه عن
منبتة ووضع أصله وجعه (واستخدامها) كيف نشاء (فقال اليد ما أنا اللحم وعظم ودم) ركبت بالعروق
والاعصاب (وهل رأيت لحما يظلم) أو يعتدى (أو جسم يتحرك بنفسه) من غير محرك له (وأنما أنا مركب
مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والشجر
والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه) الذي أقيم فيه (ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر
أما ترى أيدي الموتي تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث
لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة
عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها في نواحي الارض (فقال تدع عنك لومي) فان
الوم اغراء (و) دع (ومعاتبتي) فالتعب ازراء (فكم من لائم) غيره هو (ما لم) في نفسه أو المراد كم من لائم
غير ملئم (وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتهما ولقد
كنت راكبة اياها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي
اني ميتة أو معدومة) نظر الى ظاهره سكوني (لإني ما كنت أتتحرك ولا أتحرك حتى جاءني موكل أرغبني وأرهبني
الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه
الا باسمه وهو موصياله) وبطشه (اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة) أي سعة

أيدي الموتي تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث
شأنني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقال تدع عنك لومي
ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتهما ر كنت لهارا كبة قبل
التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي اني ميتة أو معدومة لاني ما كنت أتتحرك ولا أتحرك حتى
جاءني موكل أرغبني وأرهبني الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه إلا
باسمه وهو موصياله اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة

عنه لو خلا في وراعي فقال صدقت ثم سأله ارادته الذي جرك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه
 ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصفاً قالت الارادة لا تعجل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم فاني ما انتهت بنفسى ولكن أنقضت وما انبعت
 ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص
 للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باي جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري
 اني في دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر الزمت طاعته الزما بل لا يبقى لي
 معهم ما حرم حكمه طاعة على المخالفة (٤٠٤) لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه را تحب في حكمه فاناسا ساكنة لكن مع استبعاد

وانتظار لحكمه فاذا
 انجزم حكمه أزعجت
 بطبع وقهر تحت طاعته
 وأشخصت القدرة لتقوم
 بموجب حكمه فسل العلم
 عن شأني ودع عني عتابك
 فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم
 وقد قدروا
 ان لا تدارقهم فالراحلون
 هم فقال صدقت واقبل
 على العلم والعقل والقلب
 مطالباً لهم ومعاتباً ايهاهم
 على استنراض الارادة
 وتسخيرها لاشخاص
 القدرة فقال العقل أما
 أنا فسرّاج ما شئت غلت
 بنفسى وأكن أشعلت
 وقال القلب أما أنا فلوح
 ما انبسطت بنفسى ولكنى
 بسطت وقال العلم أما
 أنا فنقش نقشت في
 بياض لوح القلب لما
 أشرق سراج العقل وما
 انحططت بنفسى فكلم
 كان هذا اللوح قبل خال
 عني فسلم العلم عني لان
 الخط لا يكرن الا بالعلم

(عنه لو خلا في وراعي) و شأني (فقال صدقت ثم سأله ارادته ما الذي جرك على هذه القدرة
 الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصفاً قالت الارادة
 لا تعجل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم) وهو مضراع بيت من غير فاء من فاعل (فاني ما انتهت بنفسى ولكنى
 انتهت وما انبعت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من
 حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني اذا مسكينة مسخرة
 تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باي جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري اني كنت في دعة
 أي راحة (وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر
 وألزمت طاعته الزما بل لا يبقى لي معهم ما حرم حكمه طاعة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد على نفسه
 والتجبر في حكمه فاناسا كن لكن مع استبعاد وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت
 طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا أدارقهم فالراحلون هم)

وفي نسخة ان لا تدارقهم (فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً ايهاهم ومعاتباً ايهاهم على استنراض
 الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما أنا فسرّاج ما شئت غلت بنفسى ولكنى أشعلت وقال القلب
 أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم اما أنا كنعش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق
 سراج العقل وما انحططت بنفسى فكلم كان هذا اللوح خالياً عني فسل العلم) عني (فان الخط لا يكون الا بالعلم
 فعند هذا تتعنت السائل) أي اضطرب (ولم يقنع جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلتى ولا
 يزال يجليني من طمعت به في معرفته هذا الامر على غيري ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع
 كلاماً مقبولاً في الفؤاد وعذراً طاهر في دفع السؤال فاما قولك) أيها العلم (اني خط ونقش وانما خطاني فلم
 فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب ولا لولا الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من
 النار واني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيئاً أسمع جميعه ولا أرى
 طبعنا) وهو مثل مشهور يضرب للعجب ان يوعد ولا يوقع ولا يخيل بعد ولا ينجز ولن يكثر الكلام ولا يعمل
 والجميع صوت الرحي والطعن بالكسر اسم بمعنى المطعون (فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاءت
 من جاذ) تدفع بها الايام اقاتها (وزادك قليل ومركبك ضعيف هزيل والله لاك في الطريق الذي توجهت
 اليه كثير فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عني) واصل المثل لبس بعشك
 قادر جي (وكل ميسر لا خلق له) كافي الخبر (وان كنت راغباً في استتمام الطريق الى المقصد) العالي (فالتق)

فعند ذلك تتعنت السائل ولم يقنع جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلتى ولا يزال يجليني من طمعت به في معرفة
 هذا الامر منه على غيري ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في الفؤاد وعذراً طاهر في دفع السؤال فاما
 قولك اني خط ونقش وانما خطاني فلم فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب ولا لولا الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا
 الا من النار واني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه ذلك شيئاً أسمع جميعه ولا أرى طبعنا فقال له العلم ان
 صدقت فيما قلت فبضاءت من جاذ وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق اني توجهت اليها كثره فالصواب لك ان
 تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عني فكل ميسر لا خلق له وان كنت راغباً في استتمام الطريق الى المقصد فالتق

سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها أولاد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منازل وفيه المهامه الفج والجبال الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت (١٠٥) ولقد قطعت منها ثلاث منازل في

أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منها وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيئا يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيننا لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واستدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمعك وأنت شهيد) أي شاهد بقلبك (واعلم ان العوالم في طريقك هذه ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها) وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية والملك بالضم التصرف بالامر والنهي في الجمهور والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات وسعى عالم الشهادة بالاضافة الى الملكوت الذي هو عالم الغيب (ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت) وهو فعلوت من الملك وهو عالم الغيب المنص بارواح النفوس كما تقدم مرارا (وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منازل وفيه المهامه الفج) جمع أفجع وهو الواسع (الجبال الشاهقة) أي المرتفعة (والبحار المفرقة) لتلاطم أمواجها (ولا أدري كيف تسلم فيها) واليه الاشارة بقول القائل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قل الجبال دونهن ختوف

(والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت) وهو البرزخ المحبط بالايات الحجة هذا هو قول الاكثرين وعند أبي طالب المكي عالم الجبروت عالم العظمة أي عالم الاسماء والصفات الالهية ويقرب منه قول من قال الجبروت هو حضرة الاسماء كان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها واسطة التصرف بين الاسماء والافعال كالطيف والقهر المنوس ما بين اللطيف والملاطوف والقهار والمقهور وقال بعضهم عالم الملك هو الظاهر المحسوس وعالم الملكوت هو الباطن في القول وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما لا يحد بطرف من كل منهما ولا ذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو المدرك بالحواس وعالم الجبروت هو المدرك بالماوراء وقال بعضهم كل عالم اتفق أهله على كلفه فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم العلوي وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم وعالم الجبروت باعتبار انوار التي تهب عليهم لتقي بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بهم مقاماتهم فلكل انوار كما في فلقه جميع ما سبق من أحوالهم وقال القاشاني عالم الارض وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الارواح والروحانيات لانها وجدت بامر الحق بلا واسطة مادة ومدة (ولقد قطعت منها ثلاث منازل اذني أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت) آخذ بطرف من كل منهما (لان عالم الملك أسهل منه) أي من عالم الجبروت (طريقا) لتعلمها بظاهر المحسوس (وعالم الملكوت أوعر منه) أي من عالم الجبروت (منهاجا) أي مسلكا (وانما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء وتلاعبه) ولا هو في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي) من ملابسة كدورات الارض وهكذا شأن مياه القدرة فانها صافية أبدا (وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيئا يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيننا لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واستدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة

فَلْيَنْفِخْ بَصْرُكَ وَاجْعَ شَوْءَ عَيْنَيْكَ وَحْدَهُ نَحْوِي فَأَنْظِرْ لَكَ الْقَلَمَ الَّذِي بِهِ أَكْتُبُ فِي لَوْحِ الْقَلْبِ فَيُشَبِّهُهُ أَنْ تَكُونَ أَهْلًا لِهَذَا الطَّارِقِ
فَإِنْ كُلِّ مَنْ جَاوَزَ عَالَمَ الْجَبَرُوتِ وَقَرَعَ (٤٠٦) بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَلَكُوتِ كَوَشَفَ بِالْقَلَمِ أَمَّا زَيْدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَوَشَفَ

بالقلم اذ انزل عليه اقرأ
 وربك الاكرم الذي علم
 بالقلم علم الانسان ما لم
 يعلم فقال السالك لقد
 فتحت بصري وحدثته
 فوالله ما ارى قصبا ولا
 خشبا ولا علم قلم الا
 كذلك فقال العلم لقد
 ابعدت النجعة اما سمعت
 ان متاع البيت يشبه رب
 البيت اما علمت ان الله
 تعالى لا تشبه ذاته سائر
 الذوات فكذلك لا تشبه
 يده الايدي ولا قلمه
 الاقلام ولا كلامه سائر
 الكلام ولا خطه سائر
 الخطوط وهذه أمور
 الهية من عالم الملكوت
 فليس الله تعالى في ذاته
 يجسم ولا هو في مكان
 بخلاف غيره ولا يده لحم
 وعظام ودم بخلاف الايدي
 ولا قلمه من قصب ولا
 لوحه من خشب ولا
 كلامه بصوت وحرف ولا
 خطه رقم ورسم ولا حبره
 راج وعص فان كنت
 لا تشاهد هذا هكذا
 آراك الا تخشايين خولة
 التنزيه وأتوثة التشبيه
 مذبذبين هذا وذا الا الى
 هؤلاء ولا الى هؤلاء
 فكيف نزهت ذاته
 وصفاته تعالى عن

استدل به اعلى سلوك هذا الطريق (قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوى) أى اصرفه
 الى (فان ظهر لك القلم الذى به انك كتبت في لوح القلب فيشبهه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاو زعالم
 الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم اماترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره
 كوشف بالقلم اذ انزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وهو أول ما نزل من القرآن
 بمكة كجار واه ابن مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبي موسى والبيهقي عن عائشة وقال بجاهد أول ما نزل
 من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم كجار واه عبد بن جبر ورواه ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير مثله (فقال
 السالك قد فتحت بصري وحدثته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا علم قلم الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت
 النجعة) يقال نجح القوم واتبعوا اذا ذهبوا اطلب الكلال في موضعه ثم كثرا استعماله في كل طلب
 والاسم النجعة بالضم (اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته
 سائر الذوات وكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر
 الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يجسم ولا هو في مكان) تعالى الله عن ذلك
 (بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظام ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت
 وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره راج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا افأراك الا تخشايين) وفي نسخة
 متخيرا (بين خولة التنزيه وأتوثة التشبيه مذبذبين هذا وذا الا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته
 وصفاته عن الاجسام وصفاته ونزهت كلامه عن مباني الحروف والاصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه
 ولوحه وخطه ان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق آدم على صورته) رواه أحمد
 والشيخان من حديث أبي هريرة بلقا خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على
 أولئك النفر الحديث وفي آخره فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق
 ينقص بعد حتى الآن وهو عند البخاري وحده في كتاب الاستئذان بلقا المصنف وعند مسلم وحده اذا قاتل
 أحدكم فليجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته وعند الطبراني على صورة وجهه وعند الدارقطني فان
 وجه الانسان على صورة الرحمن وقد تقدم في قواعد العقائد (الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكيف مشها
 مطلقا) فقد أثبت له ماهوم من أوصاف الاجسام (كما يقال) في الاقوال السائرة (كن يهوديا صريفا) أى خالعا
 (والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكيف منزها صريفا ومقدسا
 خلا) فالتنزيه من أوصاف الفعولية والتشبيه من أوصاف الاثوثة وعلى هذا فالمنزّه خل والمشبه مؤنث وهذا
 الذى ساقه المصنف هو على طواهر قواعد الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان
 هو الجمع بين التنزيه والتشبيه وقد أشار الى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفصوص وقد
 طعن عليه علماء الرسوم طعنا كيا وما منشؤه عدم الفهم ونحن نسوق كلامه قال في قص فوح عليه السلام ما علم
 ان التنزيه عند أهل الحقائق في الجنب الالهى عين التعدي والتقييد فالمنزّه اما جاهل واما صاحب سوء أدب
 ولكن اذا أطلقوا وقالوا به فالقاتل بالشرايع المؤمن اذا نزهه ووقف عند التنزيه ولم يرغب ذلك فقد أساء الادب
 وأكذب الحق والرسول عليهم السلام وهو لا يشعر ويتخيل انه في الحاصل وهو في القاتل وهو كمن آمن ببعض
 وكفر ببعض ولا سيما وقد علم ان السنة الشرايع الالهية اذا انطقت في الحق بما انطقت به انما جاءت به في العموم
 على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ باى لسان كان في وضع ذلك
 اللسان فان اللعق في كل خلق ظهورا خاصا فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم الا عن فهم من

والاجسام وصفاتهم اوتزمت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يد موقله ولو حده ونحطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبهاً بمثلها كما يقال كن هوديا هرفا والافلاتا تب بالتوراوات فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصار لا بالابصار فكن منزها صر فام قد سا خلا

قال ان العالم صورته وهو بته وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن ف نسبتة لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ في حد الانسان مثلاً باطنه من ظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صورته فكذلك يحهل حد الله تعالى فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فالحق محال وكذلك من شبهه ومن تزده فقد قديمه وحده وماعرفه ومن جع في معرفته بين التنزيه والتشبيه وصفه بالوصفين فقد عرفه على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بمافي العالم من الصور فقد عرفه مجمل لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفته الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه عرف ربه ثم قال

فان قلت بالتنزيه كنت مقيداً * وان قلت بالتشبيه كنت محدداً

وان قلت بالامر بن كنت مسدداً * وكنت اماما في المعارف مسدداً

فمن قال بالاشفاق كان مشركاً * ومن قال بالافراد كان موحداً

واباك والتشبيه ان كنت ثانياً * واباك والتنزيه ان كنت مفرداً

قال الله تعالى ليس كمثله شئ فتزده وهو السميع البصير فشبهه قال الله تعالى ليس كمثله شئ فشبهه وثني وهو السميع البصير فتزده وأفرادته انتهى نصه مع اختصار وتقر بهذا الكلام من وجهين * الوجه الاول فاعلم ان الانبياء عليهم السلام تزدهم الحق تعالى وبالغوا فيه ومع هذا فقد بلغوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كلمات تدل على التشبيه فالتنزيه واراد عنهم والتشبيه أيضا صادر عنهم فوجب الجمع بينهما فان قيل ان أولنا أو توقفنا أو أحسننا لم ذلك على الله تعالى مع الجزم بانه منزّه عن شائبة الامكان ارتفع التشبيه مطلقا ولم يبق منه أثر وبقي التنزيه المجرد الذي ليس فيه رائحة من التشبيه فكيف يجب الجمع بينهما وان لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم اليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لان التنزيه ينفي التشبيه والتشبيه يرفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفي في أمر واحد من وجه واحد محال * والجواب عنه في مقامين المقام الاول لما كانت هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الانبياء عليهم السلام من غير شك وجب علينا الايمان بهم اسواء أولنا أم توقفنا ونحن نغني بالتشبيه مجرد الايمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحا مجردا فان تلك الالفاظ تدل على التشبيه بلاشك غاية ما في الباب اننا ما نؤول أو نتوقف ونكل علمها الى الله تعالى وهذا لا ينافي التشبيه بهذا المعنى المقام الثاني ان أهل السنة أثبتوا الصفات الزائدة بقياس الغائب على الشاهد فهي معان مشتركة بيننا وبين الله تعالى وهذا القدر من التشبيه واف كاف ولهذا سميت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا الواسطة قياس الغائب على الشاهد الذي هو عين التشبيه وهذا المقام أقوى وأظهر من الاول لان فيه التشبيه واضح بغير شبهة وكما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير * الوجه الثاني اعلم ان الذات كما تقر عندهم مبدؤ جميع الاحكام والاثار ولها وجه العينية بالنسبة الى الاشياء ولها أيضا وجه الغيرية بوجه العينية تشبيه وجه الغيرية بتنزيه وفي الواقع انه عين من وجه وغير من وجه لا جرم كان التنزيه فقط تحديدا وتقييدا والتشبيه فقط أيضا تحديدا وتقييدا وكلا الطرفين افراط وتفریط وكلا الاعتدال هو ان نسبة الذات من حيث هي تنزيه ومن حيث العينية تشبيه بحيث لا يكون هذا مانعا من ذلك ولا ذلك مانعا من هذا فاذا المنزه الصرف ان علم هذا المعنى أولم يعلم وجرد التنزيه عن التشبيه فهو قليل الادب والتشبيه الصرف الخالي عن التنزيه كفر وضلال فالتنزيه من حيث الذات المنزه عن الكيف والتشبيه من حيث المعية والمقارنة ومبدئية لساير الاحكام وقال قدس سره في هذا الفصل أيضا لو أن نوحا عليه السلام جع في دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جع محمد صلى الله عليه وسلم في آية ليس كمثله شئ لقبلا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانه شبه ونزه في آية بل في نصف آية على تقدير أن تكون الكافي غير زائدة فثبت ان المثل تشبيه وفي مثل المثل تنزيه فإدعاء محمد صلى الله عليه وسلم قومه ليله ونهارا بل دعاهم ليله ونهارا في ليل يعني شبيهه في تنزيه ونزه في تشبيه اهـ ويوضحه ما قاله الفخر الرازي

واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى انا ربك فلما سمع السالك (٤٠٨) من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة

في كتابه تأسيس التقدس وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثل شيء ودلالته على التنزيه ضعيفة اه وكان مراده بصف الدلالة تعظيمه به والسبب البصير مع وجود الكف لان المعنى مع وجوده ليس مثل مثله شيء وأما قول الشيخ قدس سره في قوله تعالى انى دعوت قومي ليلائهم ارا يعنى ايسل التنزيه فتم ارا التشبيه فهو من باب الاشارة لا من باب العبارة والتفسير اذا التنزيه نفي المعادلة والمساواة وهو امر سلبى عدى فلا يدرك من الذات المتزهة لا السلب وأما هي في حد ذاتها فلم تدرك كمان القلم عبارة عن الليل لان امر عدى ولا يصرف فيها شيء فهو عدم الادراك فالليل يناسب التنزيه والهاز عبارة عن النور والنور أمر وجودى وهو يدرك ويدرك بواسطة الاشياء أيضا والتشبيه اثبات صفات وجودية حقيقة مثل السمع والبصر والكلام والبدن وغيرها والصفات الوجودية لها ظهور فالنار يناسب النور وقس قوله في قوله تعالى انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسرار ان الاعلان تشبيه والأسرار تنزيه والدعوة قد تكون الى التنزيه فقط وقد تكون الى التشبيه فقط والكلام في الجمع بينهما حاول التنزيه فقط مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما قوله المجسمة وهو كفر والثاني محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات الثبوتية له وهذا التشبيه أيضا مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما وهذه المرتبة من خواص أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم ذلك بتدبر ولا تجمل بالانكار والله أعلم ولنعنى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى (واطو الطريق) الطى خلاف التنزيه يقال طوى به طيا فانطوى وطى الطريق قطع المسافة فيه بسرعة (فانك بالواد المقدس طوى) عطف بيان للوادى وهو اسم بقعة بالقرب من جبل الطور (واستمع بسر قلبك لما يوحى) أى لما يلقى اليك وحيا وأوالها ما أوحى فى الروح (فلعلك تجد على النار) المتوقدة فى شجرة خضراء (عدى) أى هاديا يبدلك على طريق سلوكك الى مولائك (ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى) عليه السلام (انى انا ربك الاعلى) وذلك من جميع جهاتك وجميع أعضائك (فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه) لم يكمل فى أحد المقامين فضلا عن الجمع بينهما (فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولولم تحسسه نار فلما انفخ فيه العلم بجودته) مسسته النار (اشتعل زيته فاصبح نور على نوره) الذى كان فيه (فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار) التى اوقدت فى شجرة قلبك (هدى فانفخ بصره وانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ما هو من خشب ولا قلب ولا رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كما هم أصناف العلوم) وأنواع المعارف والفهوم (وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له ففضى) منه المحب وقال نعم الرفيق العلم فجاءه الله عنى خبرا اذا الآن ظهر لى صدق أنبيائه عن أوصاف القلم فانى أراه قلمالا كالأقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيتها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعته الارادات

غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زينة الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولولم تحسسه نار فلما انفخ فيه العلم بجودته اشتعل زيته فاصبح نور على نوره فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى

الى أشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أودتسبت ما رأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالت على اليد قال لم أنس ذلك قال بخوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أمانه سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال غسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى تبضته وهو الذى

برددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهسي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فن عمن الملك فقال القلم
 أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى
 شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه (٤٠٩) بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر

عشر وصفه والجله فيه
 انه عمن لا كالأيمان ويد
 لا كالأيدي وأصبع لا
 كالأصابع فرأى القلم
 محركا في قبضته فظهر له
 عند القلم فسأل اليمين
 عن شأنه وتحرريك للقلم
 فقال جوابي مثل ما سمعته
 من اليمين التي بدأتني
 عالم الشهادة وهي الحوالة
 على القدرة الذليلة لا حكم
 لها في نفسها وانما تحرركها
 القدرة لا محالة فاسافر
 السالك الى عالم القدرة
 ورأى فيمن العجائب
 ما استعجز عنه ما قبله
 وسألها عن تحرريك
 اليمين فقالت انما أنا
 صفة فاسأل القادر
 العمد على الموصوفات
 لا على الصلوات وعند هذا
 كاد أن يزيغ ويطلق
 بالجرأة لسان السؤال
 فثبت بالقول الثابت
 ونودي من وراء حجاب
 سرادقات الحضرة لا يستل
 عما يفعل وهم يستلون
 فغشيت هيبته الحضرة فخر
 صغقا يضطرب في غشيت
 فلما أفاق قال سبحانك
 ما أعظم شأنك ثبت اليك
 وتوكلت عليك وآمنت

برددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق (اذا بين القلم الالهسي و) بين (قلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في
 ظاهر الصورة فقال فن عمن الملك فقال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال
 والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه
 ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر وصفه
 واذا جاز وصف شيء منها لم تحتمله العقول لتصورها عن فهمها (والجله فيه انه عمن لا كالأيمان ويد لا كالأيدي
 وأصبع لا كالأصابع) هذا هو مذهب السلف من أكابر المحدثين والفقهاء والمتكلمين قالوا ان اليمين والاستواء
 والوجه واليمين والجنب والقدم وأمثالها كلها صفات حقيقية قائمة بذات الحق جل جلاله كما يقول به سائر أهل
 السنة في الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام من انها صفات حقيقية وقائمة بذات الحق
 تعالى ومع هذا يقولون ان سمعه لا كسمعنا وبصره لا كبصرنا وكلامه لا ككلامنا وقال الامام أحدان يديه
 ليست كيدي بنا ولكن له يدان هما صفتان حقيقتان وكذا قال في الوجه وافقهم الامام أبو الحسن الاشعري في
 هذا المعنى لكنه في بعضه يهودون جميع المنشآت وقد تقدم التفصيل في ذلك في شرح قواعد العقائد (فرأى
 القلم محركا في قبضته فظهر له عند القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحرريك للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين
 التي رأيتها في عالم الشهادة) والملك (وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما تحرركها القدرة
 لا محالة فاسافر) السالك (الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استعجز عنه ما) رأى (قبله وسألها عن
 تحرريك اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العمد على الموصوفات لا على الصفات) فان الموصوفات هي
 التي قامت بها تلك الصفات (وعنده هذا كاد) السالك (أن يزيغ) أي يميل (ويطلق بالجرأة لسان السؤال)
 فادركته العناية الالهية (ثبت بالقول الثابت) في قلبه (ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة) الربانية
 (لا يستل عما يفعل وهم يستلون فغشيت هيبته الحضرة) فلم يستطع القيام معها (فخر صغقا) مندهشا
 (يضطرب في غشيت تلك مده) كما جرى ذلك لوسى عليه السلام حين - ألقى الرؤبة (فلما أفاق) من غشيت (قال
 سبحانك ما أعظم شأنك) وأجل سلطانك (ثبت اليك) أي رجعت عما كنت عازما عليه في السؤال عن مثل هذه
 الحقائق (وتوكلت عليك) فلا يتم مقام التوكل الا بعد ملاحظة عظمة شأنه وألوهيته والانصراف اليه بكلية
 (وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك
 وبرضاك من سخطك) أشار بالأول الى المقام الموسوي اذ قال عقب افاقته سبحانك ثبت اليك وبالثاني الى المقام
 المحمدي اذ قال أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك (ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين
 يديك فأقول) رب (اشرح لي صدري لأعرفك) كما ينبغي أن تعرف فالنور اذ ادخل الصدر انشرح له وانفتح
 فانكشف له أسرار المعرفة (واحلل عقدة من لساني) أي رقة تمنع عن كمال الافصاح والافهام (لا تثنى عليك)
 بما أنت أهله وهذا أيضا إشارة الى المقام الموسوي (فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء) أي في
 الوصول الى غاية (وترى يد علي سيد الانبياء) محمد صلى الله عليه وسلم (بل ارجع اليه) واقتدبه (فما آتاك
 نغذه وما نهالك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وما قاله
 فقله) فبايغ أحد مقام ما باغه هو وليس لغيره الا اتباعه كفي الخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (فانه)
 لم لاحظ المعنى الجامع لصفات الألوهية كاد أن يحصل له الدهش والتعجب فادركته المنع حتى تحقق في تحجيره ولذلك

(٥٢ - اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)
 أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فأقول اشرح لي صدري
 لأعرفك واحلل عقدة من لساني لا تثنى عليك فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء وترى يد علي سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك نغذه
 وما نهالك عنه فانتع عنه وما قاله لك فقله فانه

ما زاد في هذه الجزيرة على أن قال سبحانه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال الهى ان لم يكن للسان جراحة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فتودى اياك أن تختلج رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الا كبر فاقتدبه فان أصحاب سيد الانبياء ك النجوم باهم اقتديتم اهتديتم امامه يهتدون (١٠)

حضرتنا عاجز عن ملاحظة

(ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانه لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فهو المثنى على نفسه وهو المثنى عليه ازلوا بدأ جميع المحامد راجعة اليه (فقال) السالك (الهي ان لم تكن اللسان جراحة في الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك) أي في منتهى درجاتها (فتودى اياك أن تخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الأكبر) رضى الله عنه (فاقتديه) واسلك سبيله (فان أصحاب سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كالنجوم) المشرقة في السماء (بأبهم) أيها المسافرون في سلك طريق الحق (اقتديتم اهتديتم) الى من اليه السلك يشير الى ما رواه عبد بن حميد من حديث ابن عمر أصحابي كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم ورواه غيره من حديث أبي هريرة وأسانيده ضعيفة وقال أجد لا يصح وقال البراز منكر وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد ورويناه في حديث موصول بآساند غير قوي في حديث آخر منقطع قال والحديث الصحيح يؤدى بعض معناه وهو حديث أبي موسى المرفوع النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمي فاذا ذهبت أتى أمي ما يوعدون (أما سمعته يقول العجز عن ذلك الادراك ادراكك فيتكفيل نصيبان حضر تان تعرف انك محروم عن حضر تنا عجز عن ملاحظة جلالنا) قال المصنف في المقصد الاسنى فان قلت فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فاقول نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشفافره انما يفقد عرفه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق الاكبر حيث قال العجز عن ذلك الادراك ادراكك بل هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه ان لا أحيط بمحمد وصفات الهيئته وانما أنت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الاباحيرة والدهشة واما اتساع المعرفة فأنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته (فمنه هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتبته وقال للبين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها قبلوا عذري اني كنت غريباً حديث العهد بالدخول في هذه البلاد) في الكلام السائر (اسكل داخل دهشة) وتعامه فقلقه بمرحبا) فما كان انكاري عليكم الامن قصور وجهي) مني (والآن قد صرح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوكة والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلماذا كرك ذلك في عالم الشهادة) الذي هو أول عوالم السير (استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه السكل على الترتيب واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سائر السائر الى اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل) ومن مقام الى مقام (الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطامنين لا دراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطالبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم المسكوت) قال المصنف في المقصد الاسنى اعلم أن الاول يكون أولا بالاضافة الى شيء وان الآخر يكون آخر بالاضافة الى شيء وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه بالاضافة الى شيء واحد أولا وآخر جميعا بل اذا انفارت الى ترتيب الوجود ولا خفت سلسله الموجودات المترتبة قاله تعالى بالاضافة اليها أول اذا الموجودات كلها استفادت الوجود منه

جاءنا ورجلنا نافعند
هنا راجع السالك
واعتمد عن أسئلته
ومعاتباته وقال للشيخ
والعلم والعلم والارادة
والقدرة وما بعدها اقبلوا
عذري فاني كنت غريبا
حديث العهد بالدخول
في هذه البلاد وكل داخل
دهشة فما كان انكارى
عليكم الا عن قصور وجهل
الا ان قد عذري صرح عذركم
وانكشف لي ان المنفرد
بالمالك والملكوت والعزة
والجبروت هو الواحد
القهار فأنتم الامم مخرون
تحتهم - وقدرته
مرددون في قبضته وهو
الاول والاخر والظاهر
والباطن فلماذا ذكر ذلك
في عالم الشهادة استبعد
منه ذلك وقيل له كيف
يكون هو الاول والاخر
وهما وصفان متناقضان
وكيف يكون هو الظاهر
والباطن فالاول ليس باخر
والظاهر ليس بباطن
فقال هو الاول بالاضافة
الى الموجودات اذ صدر
منه الكل على ترتيبه واحدا
بعد واحد وهو الاخر
بالاضافة الى سائر السائر من

البه فأنهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخرى وأما
المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة الى من يطلبه
في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الماكوت

وأما هو فهو جود بذاته وما استفاد الوجود من غيره ومهم ما نظرت الى ترتيب السلوك ولا حظت مراتب السائر
اليه فهو آخر اذ هو آخر ما رتقي اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته
والمزلة الاقصى هي معرفة الله سبحانه فهو آخر بالاضافة الى السلوك اليه أول بالاضافة الى الوجود فنه المبدأ أولا
واليه المرجع والمصير آخر وأما الظاهر والباطن فهما أيضا من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه
وباطنا من وجه آخر ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجه وبالاضافة الى
ادراكه وباطنا من وجهه وبالاضافة الى ادراكه فان الظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات والله
سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا ن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان
قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر وأما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فغامض
اذ الظاهر ما لا يتبارى فيه ولا يختلف الناس في ادراكه وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون
ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما جاوز من
حدده انعكس على ضده فبسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي
لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه ولا تخبين من هذا في صفات الله تعالى فان المعنى الذي به الانسان انسان
ظاهر باطن فانه ظاهرا ن استدلل عليه بافعاله المرتبة المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما
يتعلق بظاهر بشرته وليس الانسان انسانا بالبشرة المرتبة منه بل لتبدلت تلك البشرية بل سائر اجزائه فهو هو
والاجزاء متبدلة ولعل اجزاء كل انسان بعد كبر سنه غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول
الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاعتداء وهو يته لم تبدل تلك الهوية باطنية عن الحواس ظاهرة للعقل
بطريق الاستدلال عليها بانارها وفعالها (فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من
انكشف له ان الفاعل واحد) وحيث انتهت بنا الكلام الى هنا فلنورد ما اعترض على المصنف في هذا السياق
من أوله الى هنا قال المعترض في جملة كلامه وكيف يتصور مخاطبة العقلاء للجملات والمجادات للعقلاء وبماذا
تسمع تلك المخاطبة ابحاسة الاذن أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهي وما حد عالم الملك
وعالم الجبروت وعالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي
معتقدها يكون مشبهاصرفا والصورة الباطنة التي يكون معتقدها منزها خلا وما معنى فاطو الطريق فانك
بالواد المقدس طوى ولعله يبعد ادواصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى أهل هل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع
ما يوحى من ليس بنبي اذلك على طريق التعميم أم على طريق التخصيص ومن له بالتسليق الى مثل ذلك المقام
حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست بمنجورة على أحد الامن قعد عن سلوك تلك
الطريق وما يسمع في النداء اذا سمع هل اسم موسى أو اسم نفسه وما معنى الامر للسالك بالزجوع ونبيه
أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصلهم الى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة هو توحيد المقر بين وما معنى
انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرقيب الاعلى والى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي
يمنعه من البقاء في الذي وصل اليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في
غير الاحياء ولو ضلوا ما رجعو اما وصل من رجوع وقد أجاب المصنف عن هذه الاسئلة في الاملاء بما انصه اما خطاب
العقلاء للجملات بغير مستنكر قد يعاند الناس الديار وسألوا الاطلاع واستخبروا والآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامهم كثيرا وفي الحديث اسكن حرافة فاعلم انك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم سل الارض تخبر
عن شئ أنهارها وغربحارها وفتق أهواءها ورتق أجوافها وأرسل جبالها ان لم تحبك حوار الجابتك اعتبارا
وانما الذي يتوقف على الاذهان ويتغير في قبوله السامعون ويتعجب منه كلام المجادات والحيوانات الصامتات
ففي هذا وقع الانكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذرو السمع من أهل الاعتبار واسكن لتعلم أن

فهكذا كان توحيد
السالكين لطريق
التوحيد في الفعل أعني
من انكشف له أن
الفاعل واحد

تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه في المشهور يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما يتلقى أهل
النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين في بعض الاوقات
كحنين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان بكفة حجر يسلم عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم في طريقه ومنها تلقى
الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود في خارج الحس ويعتري هذا في سائر الحواس كمثل ما يسمع
النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمرئي للنائم ليس له وجود في غير سمعه وأما ما يجده غير النائم
في اليقظة فمنها خاصة وعامة والعامة تشهد بصحة الخاصة كجاء في الحديث عن اليهود آخر الزمان الحجر ينادى
المسلم باسمي خلقني يهودي فاقته فان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا يذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر
من يتكلم عنه من يستتر عن الابصار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلامه يخلق الله تعالى في آذان
السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودي حتى يقتله وكما قال في العرض الاكبر اذا نودي فيه باسم كل واحد على
الخصوص في الخلائق مثل المنادي اسمه به كثير وقد قالت العلماء انه لا يسمع النداء في ذلك الجمع الامن نودي
فيحتمل ان ذلك النداء يخلق للمنادي في حاسة اذنه ليحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا
يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت منه مقنع ومنها تلقى الكلام في العقل وهو المستفاد
بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير عن اللفظ المسمى بالسان الحال كما قال قيس

وأجهشت للتو بادحين رأيتهم * وكبر للرجن حين رأيت

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك في عيش وخفض جنات

فقال مضوا واستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدائن

وفي أمثال العوام قال الحافظ لا وتدل تشقني فقال الوندل الحافظ سل من يدقني فلو كانت العبارة يتأني منها ما عبرت
الابحاف استعير لها وعلى هذا المعنى حل كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والارض حين قالتا أيننا
طائعين وقوله عز وجل عن السموات والارض والجبال فأبين أن يحملننا وأشفقن منها ومنها تلقى الكلام
في الخيال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى يونس بن متى عليه عباة تان قطوانيتان يلبي وتجيبة الجبال
والله يقول ليبيك يا يونس فقوله كأني يدل على انه تحلى حالة سمعت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لان يونس عليه
السلام قد مات وتلك الحالة منه قد سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود والخيال في البصر والوجود والخيال
في السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو أصواتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره
بما غاب عنه كقوله صلى الله عليه وسلم في صوت أبي موسى الأشعري وقد سمعه بترنم بالقرآن لقد أتوني من سارا من
مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وانما شبه صوته به أو كذا إذا سمع المرء بصوت من مرار وعود
لغناء على غير قصيد تغنييل من بر أبواب الجنة وتشبهها بم الجاه صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فأنت اذا
أحسن التصرف بين اثباتها ولم يعتكز غلط في بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عن نظر بمسكة نور الله
تعالى الى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له ما بال وجهك وكان أبيض مشرقا من نقا والآن قد ظهر عليه
السواد فلم سودت وجهك فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بشيء لكن سل الحبر
فانه كان مجموعا في المهبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي فلما وعدونا فقال
ما أنصفت فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعلم الفكر وحدد النظر وحل الكلام الى
أخرائه التي انتظم منها جلة ما بلغت فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب ان لم يعرف الناظر
الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما اذا صدق الناظر الكاغد ولم
صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيه ذلك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورد عليه الحس والمشكاة
استعارة نقلت من مشكاة الزجاج التي أعمرت بسراج النار الى حبر المعرفة الملقب بسر القلب تشبيهها بالانها
مسرجة الرب تعالى يشعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتغال السر بطلوع نيران

كتب المعارف المذهبة بأذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر
 لاجل التخصيص بالشرف واليكافد والخبر كناية عن أنفسهم لاعتبار غيرهما وجعلها مبداء طريقه وأول
 سلوكة اذهم ما في عالم الملك والشهادة الذي هو محل جملة الناظر في حال نظره واما سبب انه لم يعرف الكتابة ولا
 المكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وانما يروم معرفة قراءه الخط الالهي الذي هو أبين وأدل
 على ما يفهم منه وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جواد فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى
 قدر حال الناظر ان كاد مراد فينتقي الكلام في الحس بما ينبه على المطلوب من الحق وهو من الالتقاء في الروح
 فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيلتقاء بلسان الحال
 المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصدق الناظر للكاغد في عذره وحالته على الخبر لم يكن بمجرد
 قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة وهذا دليلك الى اليد وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم
 الملك وأما ما يسمعه في عالم الجبروت وذلك من القدرة المحدثه الى العقل والعلم الموجودين في الانسان فمستقره
 في القوة الوهيمية المدركة جنيح ما يستدعي وجوده جسميا ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم كما تدرك
 السخلة عداوة الذئب وعطف امها فتنبع العطف وتنفر عن العداوة وأما ما يسمعه في حد عالم الملكوت وذلك
 من العلم الالهي الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه معد ومنه فسر القاب الذي يأخذ به عن الاثمة ويسمع
 ما بعد مكانه ودق معناه وغرب عن القلوب من جهة الفكر تصويره فاما أي شيء حقائق هذه المذكورات
 وما كنه واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك من علم لا يتنفع بسماعه مع عدم الشهادة
 والله قد عرفك بأسمائهم فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة كعلمك انك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات
 الى أن يخلق الله تعالى بأولي المشاهدات ويحصل بخالص الكرامات ومن كفر فان الله غني جيد

(فصل) والفرق بين القلم المحسوس في عالم الملك وبين القلم الالهي في عالم الملكوت أن القلم المحسوس كما
 علمته مجسم باطنية الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهـلاك خلفا عن مثله في الظاهر يجمع ولا تحت قهر سلطان
 الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته مصر فاين أحوال متنافية كالعالم والجهل والظلم والعدل والشك
 والصدق وأما القلم الالهي فعباره عن خلق لله تعالى في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر
 الحسية الكائنة في عالم الملك يرى انه من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس كلها مصرف يمين الخالق بحكم ارادته
 على ما سبق به علمه في زل الأزل وانما سمي بهذا الاسم لاجل شبهة لعمل ما يشتهي به غير انه لا يكتب الاحقا
 بحق والفرق بين عيني الآدمي وعين الله عز وجل أن عيني الآدمي كما علمت مركب من عصباء تعصى بقاؤها
 وعسل تعضل ادلاؤها وعظام يعظام بلاؤها ولحم يمتد وجلد غدير ذي جلد موصولة بمثلها في الضعف والافصال
 ملقبة باليد وهي عاجزة عن كل حال وعين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هي عبارة عن قدرته وعند بعضهم
 صفة لله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق الله تعالى وهي واسطة بين
 القلم الالهي الناقل للعلوم المحدثه وغيرها وبين قدرته التي هي صفة لها مصرف اليمين الكائنة بالقلم المذكور
 بالخط الالهي المنبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الاميون اذا شرحته
 صدورهم ويستجم على القارئ اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عيني الآدمي في بعض الاسماء لاجل الشبه
 اللطيف الذي بينهما في الفعل وتقريرا الى كل ناطق الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض وصحبه التغير وحد
 عالم الملكوت ما وجد الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما أشبه أن
 يكون في الظاهر من عالم الملك غير بالقدرة الازلية تجاه من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الاحاديث والعلامة فيموجها من
 بروي الحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فراء النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله خلق آدم على

صورته وتأولو اعدوا الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضوع ويكون الايمان به الى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن دليل السبب المنقول مما يعز وبعسر فليبق السبب على حاله وليتظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير في صورته عائدا على الله سبحانه ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة الى الله سبحانه وهذا المضروب على صورة آدم فاذا هو العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله عز وجل ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الاضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتماد العلي على الله سبحانه ففيها وجهان احدهما أن يكون اضافة ملك الله تعالى كما يضاف العبد والبيت والناقة واليمن على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة تخصيص به عز وجل فن جلهما على اضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الاكبر بحملته لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزأه وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الاكبر واذا شابهت جملة أجزاء جملة أخرى فالجملتان بلا شك متشابهتان فن نظر الى تحليل صورة العالم الاكبر فقسّمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحو من منهما شيئين فان ذلك انقسم قسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك انقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأشباه ذلك وقسمة أخرى وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس والى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها وهو الانسان انقسم الى ما يشابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها والمثابه لعالم الملكوت عقل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمثابه لعالم الجبروت كالادراكات بالحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقسمة أخرى وذلك أن العالم انحل الى ما علم من أجزائه بالا استقرار فرأس الانسان يشابه سماء العالم من حيث ان كل ما علا فهو سماه وحواسه تشابه حواس الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشقة تستمد من نور الشمس فتضيء لها والحواس أجسام لطيفة تستمد من رواح قضى بذلك المدركان وروح الانسان مشابهة للشمس فيضيء العالم وهو نباته وحركته حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل في الظاهر عن أجزاء بدنه ونبات شعره وخلق حيوانه وجعلت الشمس وسط العالم تقطع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط العالم وهي تغرب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في أن لا يكون عقلها منها وبعثرى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوفه وبعثرى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهي العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل وفيها ذكرنا يحصل به لذوى العقول تنبيه فهذا آخر الكلام في أخذ وجهي الاضافة الذي في ضمير صورته والوجه الآخر هو ان من جل الاضافة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله عز وجل أنبأنا بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد مستكلم فاعل وخالق آدم عليه السلام حيا قادرا سميعا بصيرا عالميا يريد مستكما فاعلا وكانت لا آدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي الله سبحانه وتعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الاسماء تجتمع مع صفات آدم الا في الاسماء التي هي عبارة بلفظ فقط لا يفهم من ذلك في الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تبين ما بين الصورتين بابتداء وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود

فافهم هذا فانه من أدق مليق قرع سمك وبلغ قلبك ويهرع قلبك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جلت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبهامطلقا ومعناه لتتبعن انك من المشبهين لا من المنزهين فقرر على نفسك بالنسبية معتقدا ولا تنكسر كما قيل كمن هو دياوالا فلا تلعب بالثورة أى تتلبس بدنيهم وتريد أن لا تنسب اليهم وتعتكف على قراءة التوراة ولا تعمل بها وان كنت لا تعتقد الصورة فكمن منزها فلا مقصد ساخلا أى ليس تعتقد من الصورة المضافة الى الله تعالى الا الاسماء دون المعاني وتلك المعاني المسماة لا يقع اليه اسم الصورة وقد حفظ عن السجلى كلام في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قولا بل يغاخصرا حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على معنى الاسماء والصفات لا على الذات فان قلت فكذلك قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال صورة لا كالصورة فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرض به أكثر العلماء أهل التحقيق فاعلم أن الذي ارتكبه ابن قتيبة رحمه الله تعالى نحن أشد اعراضا منه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذي الممناب وأقدناك به بحول الله وقوته بل بدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم نخبرك اننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا في حالة الذات والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة رحمه الله تعالى انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أسرنا إليها وأخر جناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما أظهره شيء لم يكن له به الف تحجير وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي عند ذوى القصور وتشبيه وبين التأويل لم ينفعه فأثبت المعنى المرغوب عنه وأزال النقي ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما عترف فقال هو صورة لا كالصورة واسلك ساقطة لا قطة فتبادر الناس الى الأخذ عنه

*** (فصل) *** ومعنى فاطموا الطريق فانك بالوادي المقدس طوى أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى في الوادي وانما يقدم الوادي بما أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقام هو الا فالقصود منه ما نفي لا ما ظهر بالقول اذ الموضع لا تأثير لها وانما هي ظروف

*** (فصل) *** ومعنى فاسمع بسر قلبك لما يوحى فله لك تجدد على النار هدى ولعلك من سرادات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنار لك الاعلى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وموارث الصدق وغمار المعارف وارباح سلوك الطريق وبشارات قرب الوصول وسر القلب كما تقول اذن الرأس وسمع الاذن وما يوحى أى ما يرد من الله عز وجل بواسطة ملك أو القاء في روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله واعل حرف ترج والمعنى ان لم تردك آفة تقطعك عن سماع الوحي من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أو فتور بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسردقات المجدى بحجب الملكوت وما نودى به موسى عليه السلام هو علم التوحيد الذي وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فالننادى باسمه ازل وأبد هو اسم موسى لا اسم السالك لانه الموجود في كلام الله تعالى في ازل الازل قبل أن يخلق موسى وكلام الله صفة لا تتغير كما لا يتغير هو وقد زل قوم وعظم افتراؤهم حين جعلوا صدد هذا القول عن اعتقاد اكتساب النيرة وعباد الله من أن يحتمل هذا القول ما جلا من الذهب السوء وهم يعرفون ان كثيرا من يكون بحضرة ملك من الملوكة الدينية وهو يخاطب انسانا آخر قد ولاد ولاية كبيرة وفوض اليه عملا عظيما وجباه جباه خطيرا وهو يناديه باسمه ويأمره بما يعتدل من أمره ثم ان السامع للملك الماض غير المولى لم يشارك المولى والمخلوع عاياه والمفوض اليه في شيء مما ولى وأعلى ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من خطوة القرية وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية والمفوض اليه الامر كذلك هذا السالك المذكور اذا وصل في طريقه بذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمباشرة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتمتع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يقصده هو بذلك اذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملازمة

وكفى بهم انهم حضرة الربوبية وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة ولا استوجب التكليم وسماع
الوحي مقصودا بذلك بحاوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين
خصه بمعنى آخر ربي على ذلك المقام اضعا فاجاز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء
وموسى عليه السلام نبي مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لان هذا المقام الذي هو المرتبة
الثالثة ليس من غايات مقام الولاية بل هو أول مبادئها أقرب منه الى غاياتها فمن لم يفهم درجات المقامات
وخصائص النبوات وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها واللعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يظن
أنه مؤاخذ بكلامه ومحاسب بظنه ويقينه مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه خطاياه محصاة منه يقظاته
وغفلاته فبإلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى ونداء الله
كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبهنا ان
تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح ان يكون لغيره ممن ليس
بنبي ولا رسول فنقول اذ قيدنا التشعيب وقصدنا درة الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية
ما ورد ما قلناه ولا يكسره فمأو جنتنا ان يكلمه قصدا ولا يتجرأ بالخطاب عدا وانما قلناه يجوز ان يسمع
ما يخاطب الله عز وجل غيره ممن هو أعلى منه فليس من سمع كلام الانسان مثلاما يكلم به غير السامع يقال
انه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله الذي خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه
ثم اذا ثبت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أن يقول نفوس ورود
الخطاب الى السامعين من الله عز وجل لا يمكن الاختلاف فيه فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله الذي القديم
بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يليق في روعه وبما
ينادي به في سمعه أوسره أو أشباه ذلك مما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى
مع موسى انهم سمعوا صوتا كالناقور وهو القرن فاذا سمع ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب في موسى
عليه السلام سمع كلام الله بالحقيقة التي هي صفة بلا كيف ولا صورة فظم بحروف وأصوات والذين كانوا معه
أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام
الله عز وجل اذ هي دلالة عليه فان قلت فما ينفي على السامع اذا سمع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وحدانيته
وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه بما يلحقه العلم الضروري فما أرى فانه النبي المرسل الابان شغل
باصلاح الخلق ودونه ولو كان عوضا منسه أخرأ عنه وقام مقامه فاعلم ان هذا الذي أوجب غثورك ودوام ذلك
واعراضك عن العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالغمائل أثبت بعيد عن غور المطالب بعيد في شرك المعاطب فبعد
صوب الصواب عنيد عند صاحب الصواب ان الذي استحق به الناظر السالك الواصل الى المرتبة الثالثة سماع نداء
الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاول وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة
بالخطاب والقصد وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره هذا مع الإشارة باختلاف ورود
الخطاب اليهم مما يوجب ويقرر تبان ما بينهما فان فهمت الآن والافدعني لا تدر بحالي فان قيل ألم يقل الله
تعالى فلا ينظر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى تعني بحجاب أو بتعريف حجاب وسماع
ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحسن أن أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية
وهو أن يكون معناه الامن ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول باخلاص واستقامة أو عمل بما جاء به لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل ينفي ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال
ان يكن منكم محدثون فمروا كما قال وقال المؤمن ينظر بنور الله وفي القرآن العزير وقال الذي عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلعل ما غاب عن غيره من امكان اتيان ما وعده به وزاد أنه قد روي عليه

ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد نبأ الله سبحانه عن ذى القرنين من اخباره عن الغيب وصدق فيه حين قال فاذا جاء
وعدر بي جهله ذكاه وكان وعدى حقا وان كان وقع الاختلاف في نبوة ذى القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول
وهو خلاف المشر وط في الآية وان أراد أحد المرافعة بالاخبار لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يد الذي
عنده علم من الكتاب وأراد أن يروجه على غير لا يفرق بين السنة والحقائق فما يصنع فيما جرى للتخضر
وما نبأ الله سبحانه عنه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول الامن ارتضى من رسول فدل على أن في الآية حذف ينضاف معناه الى ما ظهر من الكلام
فكان سعد رضى الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام وهو غيب الله وأعلم أبو بكر رضى الله عنه بما في البطن
وهو من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا تجز العقول وتبهر المعاندو يحتمل أن يكون المراد من الآية
بالرسول المذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتكشف الغيوب فحق لم يرسل الله ملكا باعلام
غيب اما بخطاب مشافهة أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في بقطة أو منام لم يكن الى علم الغيب سبيلا ويكون
تقدرا الآية فلا يظهر على غيبه أحد الامن ارتضى من رسول أن يرسله الى من يشاء من عباده في بقطة أو منام
فانه يتلوع على ذلك أيضا وتكون فائدة الاخبارهم ذاتي الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكفونااته
واعلامه انه لم يصل اليها بنفسه لا بمخلوق سواء الا بالله عز وجل حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه اليه حتى
يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع الى الله سبحانه وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شئ من علم أو معرفة
أو غير ذلك الابارادته ومشيتته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون والله أعلم الامن ارتضى من رسول يريد من
سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول على يد رسول من الملائكة

(فصل) ومعنى ولا تتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصله الى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة
حال المقر بين فاعلم أنه ما وصل حيث طنت فكيف يجاوزه وانما خاصة من في مرتبة الصديقية عدم السؤال
الكثرة التحقيق بالاحوال وخاصة من هو في مرتبة القرب كثرة السؤال طمعاني بلوغ الآمال وأمثالهما فيما
أشهر اليه مثال انسانين دخلا في بستان وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار
ويعلم أسماءها وما نفعها فهو لا يسأل عن شئ يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف
بعضها ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقي وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال
عساه يتجاوز سؤال حاله ويختلف مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما في ذلك الوقت أو أبدا لا بد
وتلك العلوم لا تنال بالكسب وانما تنال بالتحقيق الى الالهية فليس له لا تتخطى رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما
لا يتخطى به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الأكبر فاقنديه في أحواله وسيرته
ففساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حال القرب وهو تلوا الصديقية هذا معناه

(فصل) ومعنى انصرف السالك الناطر بعد وصوله الى الرفق الاعلى انه لما وصل اليه بالسؤال صرف الى
مالاقيه من الاحوال ليحكم ما بقى عليه من الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه من غرائب
العلم اذهب فاحكم ما هنالك وكذلك أعلمك من غرائب العلم فاما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع
بالتذكير وفوائد المزيد ووجه آخر ان لم يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق جزء المعرفة
بالبدن وممكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن في العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت
الاورصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قدر ما سبق في علمه ولم تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبي سليمان
الداراني لو وصلوا ما رجعوا ما رجع الى حالة الانتفاص من وصل الى حالة الاخلاص والذي طمع الناطر في
الحصول فيسه بسؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذا لم يصلح لذلك ولم يصفه ولم يخلص في أعماله انتهى لفظ
الاملا ولنعند الى شرح كلام المصنف (فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد) المشار اليه (الى أنه ينبغي على
الايان بعالم الملكوت فن لا يفهم ذلك أو يحجده فباطريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال انكارك

فان قلت فقد انتهى
هذا التوحيد الى أنه
يتبنى على الايمان به الم
الملكوت فن لا يفهم ذلك
أو يحجده فباطريقه
فاقول أما الجاحد فلا
علاج له الا أن يقال
انكارك

لعالم المملوكون كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يدركون بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قالوا انهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه (٤١٨) مما داروا بالحواس الخمس كانكار السوفسطائية بالحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لانتق به فاعلمنا نراه في المنام فان قالوا انهم جلتهم فاني شاك ا ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يمجّد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم المملوكون فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتقية اشتغلوا بتقية اشتغال الكمال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والمملوكون بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

لعالم المملوكون كانكار السمنية) يضم السين المهملة وفتح الهمزة الخفيفة (لعالم الجبروت) وهم فرقة تعبد الاصنام وتقول بالتناسخ وتنكر حصول العلم بالخبر (وهو الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس وأنكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يدركون بالحواس الخمس) قبل نسبة الى سومنات بلدة من الهند على غير قياس كما في المصباح أو نسبة الى صنم كانوا يعبدونه اسمه كذلك وسميت البلدة به (ولازموا حضيض عالم الشهادة) وأنكروا وتحقيق الحقائق واتصافها بالوجود في نفس الامر (فان قالوا انهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه محجوزا للحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس) وهم طائفة من حكماء اليونان ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون انه ليس ههنا ماهيات مختلفة وحقائق متميزة فضلا عن اتصافها بالوجود واثبات بعض الى بعض على وجه شتى بل كانوا وهم لأصل لها وسوفسطائية موانية معناها طالب الحكمة (فانهم قالوا ما نراه لانتق به فاعلمنا نراه في المنام) شبه الخيالات الباطلة (فان قالوا انهم) ومن جلتهم (فاني شاك في المحسوسات ايضا فيقال هذا شخص) قد فسد مزاجه واختل نظام تركيبه (وامتنع علاجه فيترك) ولا يعالج (فما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء) وفي حكم هذين ان كان يرفض الشهادة القوية والمشهدات الجلية لشبهة فاسدة ومغلطة كأمدة فيكون من العنادية وهم أسوأ حالا من السمنية والسوفسطائية وأمثل طريقة هؤلاء الأدريه حيث توقفوا عند اشتباه الامر لديهم والتباس الحال عليهم ولكنهم لا يتخلون عن الجحود أيضا (هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يمجّد ولكن لا يفهم) لجفاء في تابعه وبلادة في فهمه (فطريق السالكين فيه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم المملوكون فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود) أو أصفر منعه عن النظر (يقبل الازالة والتقية اشتغلوا) أولا (بتقية) وازالته بتجو القدر وغيره مثل (اشتغال الكمال) الخاذق (بالابصار الظاهرة) بما دواها بالاحمال اللطيفة (فاذا استوى بصره) وقوى نوره (أرشد الى الطريق ليسلكه) بلا مانع (كفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه) أزال بنظره الباطنة فاشرفت الانوار في صدورهم وأعينهم ثم أرشدهم (فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والمملوكون بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتقية اشتغلوا بتقية اشتغال الكمال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والمملوكون بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيد اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله

عقله وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوراة فان ذلت فذل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان (٤١٩) الاعتقاد اذا قوى عمل الكشف

في اثاره الاحوال
الا أنه في الغالب
يضعف وينسارع اليه
لاضطراب والتزلزل غالبا
ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكام يحرسه
بكلامه وألى ان يتعلم
هو الكلام لبحر من به
العتيدة التي تاقظهم
استاذة أومن أوبه أو
من أهل بلده وأما الذي
شاهد الطريق وسلكه
بنفسه فلا يخاف عليه
شي من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا
وان كان يزداد وضوحا
كما ان الذي يرى انسانا في
وقت الاسفل لا يزداد يقينا
عند طلوع الشمس بأنه
انسان ولكن يزداد
وضوحا في تفصيل خلقه
وما شال المكشفين
والمعتدين الا كسحرة
فرعون مع أصحاب
السامري فان سحرة
فرعون لما كانوا مطلعين
على منتهى تأثير السحر
اطول مشاهدتهم
وتجسرتهم وأامن
موسى عليه السلام
ما جاوز حدود السحر
وانكشف لهم حقيقة
الامر فلم يكثر توبه

عقله) ولا يجدي معه الا ذلك فيصلى عقله الى ادراكه بطريق العبارة تكميلا للحمية (وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم) وذلك فيما ورد نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم -م رواه الديلمي من حديث ابن عباس (ولذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاوراة) وهذا يشير الى أن الملازمة في الآية عادية والحجة اقتناعية على ما هو الابق بالخطايات وقد سبق لهذا البحث المام بالتفصيل في شرح الكتاب الثاني عند ذكر برهان التامع (فان قلت فذل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوى) في القلب ورسخ (عمل عمل الكشف في اثاره الاحوال) من مكائدها (الا أنه في الغالب يضعف وينسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا) وقيل معتقد ثبت في اعتقاده (ولذلك يحتاج صاحبه الى متكام يحرسه بكلامه) بان يثبت بالادلة القوية وينفي عنه ما يرد عليه من الشكوك (أولى أن يتعلم هو الكلام لبحر من به العتيدة التي تاقظهم من استاذة أومن أوبه أو من أهل بلده وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك) أي من الاضطراب والتزلزل وهو الذي هداه الله بنور العقل المجرد عن الامور العادية وشرح صدره (بل لو كشف الغطاء) عن حقائق الامور (لما ازداد يقينا) فيها عما كان قد ظهر له وهذا القول قد نسب الى علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء لما زدنا يقينا وهذا المقام لا يخص به الا الاحكام من هذه الامة (ولكن يزداد وضوحا) وترقيها وهذا (كان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار) قبل طلوع الشمس (لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقه وما شال المكشفين) المشاهدين الذين انكشف لهم سر الطريق (والمعتدين الا كسحرة فرعون) الذين كان جهم لقاومة موسى عليه السلام وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا زهاء سبعين ألفا (مع أصحاب السامري) منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة والسامري هذا اسمه موسى بن طفر كان عالما منافقا من كرمات وقيل من باحري قال المسعودي السامرة فرقة من اليهود تخالفهم في أكثر الاحكام وينكرون نبوة داود عليه السلام وما بهداه من الانبياء وقالوا الانبياء بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ويقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهم صفات الكوشان والدوشان (فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر اطول مشاهدتهم) كثرة (تجسرتهم فرأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر) وتحققوا انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالتقاهم ذلك على وجوههم سجدوا لله توبة عما صنعوا واعتابوا وعظيما الساروا (فلم يكثر توبه فرعون) لانهم لما قالوا آيات هرون وموسى قال فرعون لا آمنتم به قبل أن أذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر (فلا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ولا صلبكم في جذوع النخل (بل قالوا لن نؤثر) أي لن نتخارك (على ما جاءنا) موسى به (من البينات) المعجزات الواضحات (والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض) أي ما أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما تصنع ما نهوا أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا (فان البيان والكشف يمنع التغيير) كما هو شأن عالم الملكوت (وأما أصحاب السامري) وكانوا زهاء خمسة مائة ألف (لما كان إيمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان) وهو العصا التي كانت في عنقه أمر بالقائم فاذا هي ثعبان مبين فتلفقت ما للقوام الحبال والعصى وقد دهنوها بالزيت فلما أحست بحر الشمس تحركت (فلما نظروا الى عمل السامري) الذي كان اتخذ من حلي القوم وكانوا استعاروا أحمالهم من القبط ليعيدهم فلم يردوا بخافة ان يعلمهم وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه وأوهم لهم السامري ان موسى انما أخلف معكم مبعاده لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان تحفروا حفرة وتمجروا فيها نارا

فرعون لا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم من النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عمل السامري

وسمعوأخواره تفسيرواو سمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوااله لا يرجع اليهم قولاولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى
ثعبان يكفر لا بحاله اذا نظر الى عمل لان كلهم آمن عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله
تعالى فذلك لا يتجد فيه اختلافات وأضادا أصلا فان قلت ماذا كرته من التوحيد ظاهرهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك
ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان
لم يرد أن يشاء لكان هذا امر له القدم (٤٢٠) وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه

اذ لو كانت اليه لا تقدر
الى مشيئة أخرى وتسلسل
الى غير نهاية واذ لم تكن
المشيئة اليه فمما وجدت
المشيئة التي تصرف القدرة
الى مقدورها انصرفت
القدرة لا بحاله ولم يكن
لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة متحركة
ضرورة عند انجزام
المشيئة فالمشيئة تحدث
ضرورة في القلب فهذه
ضرورات ترتب بعضها
على بعض وليس للعبد
أن يدفع وجود المشيئة
ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود
الحركة بعد بعث المشيئة
للقدره فهو مضطرب
الجميع فان قلت فهذا
جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وأنت لا تنسك
الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو
انكشف الغطاء لعرفت
انه في عين الاختيار
مجبور فهو واذ انجبور

ونعقد كل ما معناه انفعلا فخرج لهم عجل جسد من تلك الحلي المذابة (وسمعوأخواره) أي صوته وكان قد
قبض قبضة من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام فبذها في جوفه فجي وظهر له صوت (تغيروا وسمعوا قوله هذا
الهكم واله موسى) وهو من قول السامري قال ذلك أول مارآه فسمعوه واتبعوه (ونسوا انه) أي العجل
(لا يرجع اليهم قولاً) أي كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً) أي لا يقدر على انقاذهم
واضرارهم (وكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا بحاله اذا نظر الى عمل لان كلهم آمن عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا يتجد فيه اختلافات وأضادا أصلا
فان قلت ماذا كرته من التوحيد ظاهرهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر) لا مرية فيه
(الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا) فان من شأن المسخر ان
لا يكون له اختيار أصلا (فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان
هذا امر له القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ
لو كانت اليه لا تقدر الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية) والتسلسل باطل (واذا لم تكن المشيئة) اليه
(فمما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا بحاله ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في
القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدره فهو مضطرب في الجميع فان قلت فهذا جبر محض
وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى من غير أن تثبت للعبد قدرة لا مؤثرة ولا كاسية وهو مذهب جهم بن
صقوان واتباعه (والجبر يناقض الاختيار) وهو طلب ما فيه خير (وأنت لا تنسك الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبر) لانه تعالى اجبر الناس على أمور
لا انفكاك لهم منها حسب مقتضيه الحكمة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة كراههم على المرض والموت
والبعث وسخر كل منهم لحرفة يتعاطاها وطريقة من الاعمال والاخلاق يتجرأها فاما راض بصنعة لا يبغي عنها
حولا واما كاره يكادها مع كراهته كانه لا يجد عنها بدلا (فهو اذا مجبر على اختيار) أي في صورة مجبر
(فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا يليق بما نذكر
متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا بيان (علم المعاملة) ومباحث علم الكلام انما نذكر فيه على
سبيل التبعية (ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان) الذي هو التأثير من جهة مؤثر أعني أن يكون باجباره
أو بغيره و يعلم أو بغيره ويقصد أو بغيره (يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس
بالرئة والحجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد) فانه مضطرب مجبر في كل منها (ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور
فأعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه) أي وجه الماء (فلا طبعها) نسب

اذ لو كانت اليه لا تقدر
الى مشيئة أخرى وتسلسل
الى غير نهاية واذ لم تكن
المشيئة اليه فمما وجدت
المشيئة التي تصرف القدرة
الى مقدورها انصرفت
القدرة لا بحاله ولم يكن
لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة متحركة
ضرورة عند انجزام
المشيئة فالمشيئة تحدث
ضرورة في القلب فهذه
ضرورات ترتب بعضها
على بعض وليس للعبد
أن يدفع وجود المشيئة
ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود
الحركة بعد بعث المشيئة
للقدره فهو مضطرب
الجميع فان قلت فهذا
جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وأنت لا تنسك
الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو
انكشف الغطاء لعرفت
انه في عين الاختيار
مجبور فهو واذ انجبور

الى
على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا
يليق بما ذكره متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال
الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على
وجهه فعلا طبيعيا

ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لانه لا محالة فيكون انخرق بعد التغطى ضرور ياوالتنفس في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد انخرق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرازا فعل ارادى واسكنه اذا تامل صورة الالة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة لتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضرورا وأما الثالث وهو الاختباري فهو (٤٢١) مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال

فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق فلا جرم تتبع الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما

الى طبيعة الانسان وهو المزاج المركب من الاخلاط (ويسمى تنفسه في الماء فعلا اراديا) منسوب الى الارادة وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل (ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق) كل من الماء والهواء (لا محالة فيكون انخرق بعد التغطى) والوئوع (ضرور ياوالتنفس) من الرئة وان لم يكن مثله فهو (في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد انخرق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه وكذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان) عليها (اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان اضطرازا فعل ارادى ولكنه اذا تامل صورة الالة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا) فصار حكمه حكمه في ظهور الجبر فيه (وأما الثالث وهو الاختبار فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يبال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا) في بادئ الرأي (ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه) بياض (وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد) ولا تحير (أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق لك) فلا جرم تتبع الارادة بالعلم (وتنبعث القدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختبارا مستقما من الخير) افعال منه (أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير) بشير الى انه لازم ومن قال انه متعسفان معناه طلب الخير (وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف) عنه (ظهرت من غير روية وفكرة) بل على البدئية وهذا اقتصر الى الروية والفكر (فالاختبار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعت بإشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو بحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

يتوقف التمييز والعقل في نفسه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعت لتفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختبارا مستقما من الخير أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البدئية وهذا اقتصر الى الروية فالاختبار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعت بإشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو بحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه لا العدم القدرة في اليد ولا العدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها
تنبعث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا وقته نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة
لائطاق فان العقل هنا يتوقف في (٤٢٢) الحكم ويتدللانه تردد بين شر الشرين فان ترجله بعد الروية ان ترك القتل أقل شرالم يمكنه

قتل نفسه وان حكم بان
القتل أقل شرا وكان
حكمه جزا لا ميل فيه
ولا صارف منه انبعثت
الارادة والقدرة وأهلك
نفسه كالذي يتبع
بالسيف للقتل فانه يرى
بنفسه من السطح مثلا
وان كان مهلا كولا يبالى
ولا يمكنه أن لا يرى نفسه
فان كان يتبع بضرب
خفيف فان انتهى الى
طرف السطح حكم العقل
بان الضرب أهون من
الرمي فوقت أعضائه
فلا يمكنه أن يرى نفسه
ولا تتبع له داعية البتة
لان داعية الارادة مسخرة
بحكم العقل والحس
والقدرة مسخرة للداعية
والحركة مسخرة للقدرة
والكل مقدر بالضرورة
فيه من حيث لا يدري
فانما هو محل ويجرى لهذه
الامور فاما أن يكون منه
فكلا ولما فاذا معنى
كونه مجبور ان جميع
ذلك حاصل فيه من غيره
لامنه ومعنى كونه مختارا
انه محل لارادة حدثت
فيه جبر بعد حكم العقل
بكون الفعل خيرا محضا
موافقا وحدث الحكم

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه (لا لعدم القدرة في يده ولا لعدم السكين) أو بالسيف (ولكن لفقد
الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا له
(وقته نفسه ليس موافقا له) فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لائطاق
لشدتها (فان العقل هنا يتوقف في الحكم ويتدللانه متردد بين شر الشرين فان ترجله بعد الروية)
والفكر (ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزا لا ميل فيه
ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف) وقد شهره (للقتل فانه يرى نفسه
من) أعلى (السطح مثلا وان كان مهلا كولا يبالى) من ذلك (ولا يمكنه ان لا يرى نفسه فان كان يتبع بضرب
خفيف) غير هلاك كصا أو حجر أو نحوها (فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من
الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه ان يرى نفسه ولا تتبع له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل
والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر منه بالضرورة فيه من حيث لا يدري
فانما هو محل ويجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من
غيره لامنه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبر بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا موافقا وحدث
الحكم أيضا جبرا فاذا هو مجبر على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض
وفعل الانسان منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة نالته لما كان فنانا لما
نوعا آخر (واتموا) أي اقتدوا (فيه بكاتب الله تعالى فسموه كسبا) يشير الى قوله تعالى لهما ما كسبت
وعلمهما ما اكتسبت والمراد باهل الحق هنا الاشاعة فانهم الذين سموا ذلك كسبا ولذلك ضربوا به المثل فقالوا
أدق من كسب الاشعري وأما ما تريد به فانهم استمروا على اطلاقهم بلنظ الاختيار وقد تقدمت الإشارة الى
هذا في شرح قواعد العقائد (وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه) وحاصل
ما ذكره في الكسب بعد نقل أقوال تقدم ذكرها في محلها ان للقدرة بالنسبة الى المقدر تعلقين فغنى الكسب
أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقا لا يترتب عليه وجود المقدر ومن ههنا قيل لم يثبت من
معنى الكسب غير مقارنة بالقدرة بالفعل والذي يلوح بالتأمل الصادق ان الانسان اذا فعل فعلا اختاريا فلا
محالة يتصوره أولا بوجه ملام وهذا التصور ليس من قبل نفسه عند غير المعبر له على انه قد يقع ذلك في نفسه
من غير توهم اختيار منه ثم ينبعث من ذلك التصور شوق اليه فتشتاق نفسه الى حصوله وهذا الشوق أيضا من
قبل الفياض لكنه يتفاوت قوة وضء فحسب تناوت النفات النفس الى ذلك المنصور واستحسانه فربما
يعرض عنه ويتصوره بوجه غير ملام على وجه ما يضعف شوقه اليه وتقل رغبته فيه مما يعجزه ذلك الامر
زيادة إعجاب قديم ملاحظته اياه ذلك الوجه ويكسب عليها فيكمل شوقه اليه على حسب ذلك فينبعث منه
طلب الى نعله وقصد الى تحصيله ليرتب منه الفعل عليه اما تخلفه تعالى على مجرى عادته أو بتأثير قدرة العبد
ثم ان تمكن الانسان من الفعل والترك انما يتوهم من أمرين من هذه الامور الاول الاعراض عن تصور
المطلوب على الوجه الملام والالتفات الى وجه آخره وترك ذلك وينبغي لمن يقول بكون الانسان قادرا أن يقول
بذلك ان ليس فيه ما ينافي استبعاد الخالق بخاق الموجودات لكن الاظهر ان ذلك أيضا تابع للهيئات المزاجية
والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية أو غير الخلقية كما هو مذهب الحكماء وامام الحرمين وان
كان له أن يغير تلك الهيئات ويبدلها بتوفيق الله تعالى بان يتمل في أفعاله وما هو داع اليها من أحواله والثاني

الطاب أيضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض
الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة نالته لما كان فنانا لما
كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه

وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز وذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان ذلك فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بان (٤٢٣) بعض ذلك حدث عن بعض جهل

الطلب المنبعث عن الشوق المسمى بالقصد والارادة فينبغي أن لا يستند ذلك الى الانسان ولا يجعل متمكنا من تركه مثل الحياء والكسل ترتب سائر العادات على أسبابها والله أعلم (وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال) لانه أحدى الذات واحد الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد فلا يصح لديه تردد ولا مكان حكمين مختلفين بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه فالاختيار الالهى انما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس (وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز) اذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق بذاته تعالى (وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من مقدم فان قلت ذلك) واتخذته مذهبا (فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى) وذلك باطل (وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد باطل بل لا يصدر من فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته ويدل على ذلك قوله تعالى توحي أكلها كل حين باذن ربها والقول بالتولد هو قولنا ناسمه المعتزلى فانه زعم ان الافعال المتولدة لا يقدر عليها أحد الا فاعل لها عند هذا الجواب انه لو جاز ثبوت فعل لافاعله ولا قادر قدر على احداثه لم ينكر أن يكون ذلك حكم سائر الافعال فلا يكون في الفعل داليل على اثبات فاعل ولا صانع قادر كما انه لو جاز حدوث جسم لامن محدث لم ينكر حدوث جميع الاجسام لامن محدث أحدثها ولم يكن حينئذ في حدوث الاجسام دلالة على محدثها (بل حواله جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية) وهى الصفة التى لا جها لها يكون القادر قادرا (وهو الاصل الذى لم تقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه ومعناه والكافة) من غيرهم (وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا) على قياس الغائب على الشاهد (وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول) وقد سبقت مباحث القدرة في شرح الكتاب الثانى من هذه الكتب (ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة) فوجود الحياة شرط في وجود القدرة والعلم والارادة وحدث القدرة والارادة فيما ليس بحى محال وكل نوع من الادراك مختص بالحي وما لا حياة فيه لا يصح أن يكون مدركا (وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازم) فهمه من فهمه وجهله من جهله (وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا) لا فائدة فيه (بضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عبينا ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث) بقدرة القادر (على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد) وهذا أحد الوجوه فى تصحيح قول المصنف الا ترى ليس فى الامكان أبدع مما كان (فما تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حواله جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذى لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه ومعناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض المقدورات ترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازم وكذلك جميع أفعال

الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا بضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عبينا ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد فاما تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمه وتوحيده وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا لا يقرب مبادئ الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرفع وهو ملاقه فقدرة القدرة الازلية حاضرة ملاقيه للمقدورات متعلقة بهم املاقاء الماء للاعضاء ولكنه لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان (٤٢٤) الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يغسل كان الماء ملاقا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير

يكن رافعا والماء لم يتغير
بما كان فكيف حصل
منه ما لم يحصل من قبل
بل حصل ارتفاع الحدث
عن اليدين عند غسل
الوجه فاذا غسل الوجه
هو الرفع للحدث عن
اليدين وهو جهل بضاهي
ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة
بالارادة والارادة بالعلم
وكل ذلك خطأ بل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن اليد
بالماء الملاقي لها لا يغسل
الوجه والماء لم يتغير
واليد لم تتغير ولم يحدث
فيها شيء ولكن حدث
وجود الشرط فظهر أثر
العلة فهكذا ينبغي أن
تفهم صدور المقدورات
عن القدرة الازلية مع أن
القدرة قديمة والمقدورات
حادثه وهذا فرع باب
آخر لعالم آخر من عوالم
المكاشفات فلنترك جميع

مقدورا) فان كل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه وكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستعمل في العقل وجوده فالتة قادر على ايجاده واحداثه (فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة) بالغة (وتدبير) خفي (وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا لا يقرب مبادئ الحق من الافهام الضعيفة) القاصرة عن المدارك الخفية (وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرفع للحدث وهو ملاقه فقدرة القدرة الازلية حاضرة وملاقيه للمقدورات متعلقة بهم املاقاء الماء للاعضاء ولكنه لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يقول كان الماء ملاقا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جهل بضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا يغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثه وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع

ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمرفوخ بحال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان) اذ هو أربعة عشر حرفا (وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب) سواء كان المنفي معبودا أو مقصودا أو موجودا (وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراغبين فكيف عند غيرهم) عن لارسوخه في علوم الحقيقة (فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل حقيقة (الا الله) ومعنوية تفي الافعال مطلقا الغير الله تعالى لان حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين بغيره من آله ولا سبب (ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم) عند أهل المعرفة اذ ظهور

الفعل من فاعلين شركاً (فاعول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيين ويكون الاسم مجمل مردداً بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا يقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى) هو أمره بذلك (والجلاد قاتل بمعنى آخر) هو مباشرته له (فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر فمضى كون الله تعالى فاعلاً له المخترع الموجد) لتلك الافعال (ومعنى كون العبد فاعلاً له المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم) فالفاعل الثاني هو المظهر الذي فعل بيده وأجرى الفعل بواسطة هو ان ومحدث مفعول والاول القديم هو الفاعل الاصل (فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعامل بالعلة وارتبط المخترع بالخبر وعكس ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعله كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً ان القتل ارتبط بقدرة ماولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلاً له ما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولا جمل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد) لانهم وسائط ومحال قدرته ومظاهر حكمته (ونسبها) أي تلك الافعال بعينها (مرة أخرى الى نفسه) لانهم اخترعوا وخلقوا وآياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر لانه تعالى ذو قدرة وحكمة فاطهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء على معاني الحكمه فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمه صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمه جاعله نافعة ضارة فيشرى في توحيده من قبل ان الله سبحانه قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل نافع ضار لا شرى له في أسمائه ولا ظهر له في أحكامه كما قال ان الحكم الله ولا يشرى في حكمه أحد اول قوله تعالى وما لهم فهم ما من شرك وما له منهم من ظهير وكما هو الفاعل لكل شيء وحده لانه الاول كذلك هو القائم به المتهم له بعد ظهوره وحده لانه هو الآخر (فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت) الذي وكل بكم فاضاف التوفي اليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو التفصيل (ثم قال عز وجل) في التوحيد (الله يتوفى الانفس حين موتها) والتي لم تمت في منامها في الاول اظهر الاواسط اسباباً وأثبت نفسه فيها في الثاني رفعها وأظهر نفسه (وقال) تعالى (أفرأيتم ما تعرجون) فذكر الاواسط لان الحرب عمل ونحن عبيد عمل ولانه صنعنا وحكمها عائد علينا ولذلك (أضاف البنائهم قال تعالى ان اصيبنا المصيبة ثم شققنا الارض شقنا) الايات فاضاف تلك الافعال الى نفسه لانها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر (وقال ثم عز وجل) في التفصيل (فارسلنا لها) أي الى مريم (روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) أي صورة رجل أجل ما يكون (ثم قال) تعالى في التوحيد (فنفخنا فيه من روحنا وکان النافع جبريل عليه السلام) فاضاف النفخ اليه هنا (و) كذلك (قال الله تعالى) في التفصيل والامر اقتلوا المشركين وفي مثله من ذكر الواسطة لاجل الامر (قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل) ففي آية واحدة تفصيل وتوحيد ولكن بطريق التلويح في التوحيد (بل صرح) في التوحيد (وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم و) كذلك (قال) تعالى في الاولى والاخرية من فعل الخلق للتوحيد (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهراً) فالتنفي قوله وما رميت واثبات المسكن للتفصيل قوله اذ رميت (ولكن معناه) باطنا (اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد رامي ما فرميت بالمعنى الذي يكون به الرب رامي اذ هما

(٥٤ - (الحفاف السادة المتقين) - تاسع) فاتبع قراءته قبل في التفسير معناه اذ قرأ عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النقي والاثبات ظاهر اولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به رامبا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به رامبا اذهما

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي (٤٢٦) علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه

وقال أفرأيتم ما تخفون
أأنتم تخفونه أم نحن
الخالقون ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في
وصف ملك الارحام انه
يدخل الرحم فيأخذ
النفطة في يده ثم صورها
حسدا فيقول يارب
أذكر أم أنثى أسوي أم
معوج فيقول الله تعالى
ما شاء ويخلق الملك وفي
لفظ آخر بصور الملك ثم
ينفخ فيه الروح بالسعادة
أو بالشقاوة وقد قال
بعض السلف ان الملك
الذي يقال له الروح هو
الذي يولج الارواح في
الاجساد وأنه يتنفس
بوصفه فيكون كل نفس
من أنفاسه وحاليج في
جسم ولذلك سمي روحا
وما ذكره في مثل هذا الملك
وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم
فاما كون الروح عبارة
عنه فلا يمكن أن يعلم الا
بالنقل والحكم به دون
النقل تخمين مجرد وكذلك
ذكر الله تعالى في القرآن
من الأدلة والآيات في
الارض والسموات ثم
قال أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد وقال
شهادته أنه لا اله الا هو
فبين انه الدليل على نفسه
وذلك ليس متناقضا بل

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن (ومثله في اثبات
الاسباب ورفع حقيقته بقوله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم فأنبت رسمه مكانا للعلم ثم رفع حكمه اظهرا للعالم فقال
فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبسودون وما كنتم تكتمون
(وقال تعالى) (علمه البيان) وهو شرح المجمع والمهم من الكلام (وقال تعالى) (ان علينا بيانه) أي كشف
مشكله ومبهمه (وقال تعالى) (أفرأيتم ما تخفون أأنتم تخفونه أم نحن الخالقون) (أضاف الامناء لبيان انه عمل
من الاعمال وهو صفتنا وحكمه عائد علينا كما أضاف الينا الحرف في التي بعد هذا ذلك وأضاف الخلق اليه لانها
آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر كما أضاف الزرع اليه في التي بعد هذا ذلك) (ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم) في جعل الله تعالى بحكمته وعزته عن مباشرة الاشياء بنفسه للخلق والحياة واسطة وذلك (في وصف
ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النفطة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوي) أي
معتدل (أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك) (وفي لفظ وطبع الملك) (وفي لفظ آخر وصور الملك
ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة) قال العراقي رواه البزار وابن عدي من حديث عائشة ان الله تبارك
وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فامن شئ الا
وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدي انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود
انتهى قلت وتعام الحديث عند البزار بعد قوله ماذا فيقول غلام أو جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم فيقول
يارب شق أم سعيد فيقول شق أو سعيد فيقول يارب ما أجله ما خلقتك فامن شئ الا ويخلق معه في الرحم الا أن
الهيثم قال ان رجالا سبوا البزار ثقات وحديث ابن مسعود الذي أشار اليه العراقي في المتفق عليه لفظه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علة
مثل ذلك ثم يكون مضغ مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا ويؤمر بربع كلمات ويكتب عمله ورزقه وأجله
وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن جريح
في مجمعته والحاجي في فوائد بلفظ ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فيؤمر بربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله
وشق أو سعيد (وقد قال بعض السلف ان الملك الأعظم الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد
(وقيل انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه وحاليج في الجسم ولذلك سمي روحا) هكذا نقل القولين
صاحب القوت بقوله ويقال وقيل (وما ذكره) أي بعض السلف (في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل) الصريح (والحكم به دون النقل
تخمين مجرد) (ثم قال صاحب القوت) (أر العبد يظهر بين أربعة وهي حدود الحكمة ظاهران وهما الابواب
وباطنان وهما ملك الارحام وملك الارواح ثم ان الله تعالى قال في وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق
ومفهوم الحديث السابق أن المصور هو الملك فالحديث يدل على التفصيل ووصفه تعالى نفسه يدل على التوحيد
(وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الارض والسموات) في عدة آيات وهو مقام التفصيل
(ثم قال تعالى) (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وهذا مقام التوحيد (وقال) أيضا في مقام التوحيد
(شهد الله أنه لا اله الا هو بين انه الدليل على نفسه) وقال أيضا فيمباري عن الله تعالى في الاسرار بآيات الدليل
على نفسه لا دليل أدل على مني (وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله
تعالى بالنظر الى الموجودات) وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم (وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله) وهو من أهل المرتبة الرابعة من التوحيد
وهم قوم رآوا الله سبحانه وتعالى ثم رآوا الاشياء بعد ذلك فلم يروا في الدار من غيره ولا اطلعوا في الوجود على
سواه (كما قال بعضهم عرف ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي) ومقام من قبله لولا المرئيد اعرفت ربي (وهو

وكذلك لما قال الثائب
أتوب الى الله تعالى ولا
أتوب الى محمد فقال صلى
الله عليه وسلم عرف الحق
لا الهه فكل من أضاف
الكل الى الله تعالى فهو
المحقق الذي عرف الحق
والحقيقة ومن أضافه الى
غيره فهو المتجاوز والمستعبر
في كلامه وللتجاوز وجه
كأن الحق حقيقة وجهها
واسم الفاعل وضعه
واضح اللغة للمخترع
ولكن ظن أن الانسان
مخترع بقدرته فسماه
فاعلا بحركته وظن أنه
تحقيق وتوهم أن نسبته
الى الله تعالى على سبيل
المجاز مثل نسبة القتل
الى الأمير فانه مجاز
بالإضافة الى نسبته الى
الجلاد فلما انكشف الحق
لا الهه عرفوا أن الامر
بالعكس وقالوا ان الفاعل
قد وضعه أيها اللغوي
للمخترع فلا فاعل الا الله
فلا اسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز أي تجوز به عما
وضعه اللغوي له ولما
جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب
قصدا أو اتفاقا صدقه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شيء ما خلا الله
باطل

ذكر ذلك كمال البغية في قول المعطى أن يتبدأ من غير أن يسأل عند ارادة اظهار العطاء الامير أعطاني على يد
عبده فلان هذا الغلو يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك (وكذلك لما قال الثائب أتوب الى الله ولا أتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لا الهه) وهو الايسر الذي قال اللهم اني أتوب اليك رواه أحمد عن
الاسود بن سريع به مرفوعا وقد رواه كذلك الطبراني والبيهقي والحاكم والضياء وتقدم في كتاب الزكاة
قال صاحب القوت وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بهم والاحكام عائدة الى الاسماء بالثواب
والعقاب فلم يصلح أن لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الاحكام من
الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوما وهو
الجليل الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الامر وتوجهت الاوامر منه قبل المأمورات ومن هذا قوله
عز وجل ما عندكم ينفذ وما عند الله باق وجعلها عند في خزائنه الا انه أضاف الدنيا اليها ليرجع الاحكام
عنا وليزهدنا فيها أو أضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لغير غيبتها وقد قال تعالى نخبرها عن عيسى عليه
السلام واذننا من الطين ومثله قال فارزقوهم منها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماههم رازقين لما جرى
على أيديهم رزق أهلهم فهو عندي كقوله في مريم وهزي اليك بذراع الخنثى تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمت
أن الرطب لم يتساقط به زهوا ولا فعل ولا جعل له زهوا في الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه
بيدها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعث عينا أشد بياضا من الثلج
وأحلى من العسل فشرب من احدهما فغسل مافي جوفه من البلاء واغتسل من الاخرى فزال مافي جسمه من
السقم والاذى ولا فعل لرجليه في اظهار العينين ولكن الله عز وجل خلق ذلك على يده وأجراه بواسطة تكريمة
له وآية وهبها ونحو ذلك قوله تعالى لاراهيم ثم ادعهم يا تينك نعبا فغسل كيفية احياء الموتى بيده تعالى
بدعوته عليه السلام وكان ذلك جوابا لمساءلة أرني كيف يحيى الموتى ولا مكان له في الاحياء وكان الله في الدعوة
كيف شاء وكذلك الموقن العارف ينطق عن الله فيكون الله تعالى المظهر لبيانه والمجرى على لسانه كما كلم موسى
عليه السلام من الشجرة وكان هو الحكم لعبد وصارت الشجرة حجابا أو جده والله غالب على أمره وكما ينطق
الروحاني من الملائكة على السنة النبوية وينطق الجناني من الارواح على السنة المجانية والله من ورائهم محيط
(فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لا الهه ومن أضافه الى غيره فهو
المتجاوز والمستعبر في كلامه وللتجاوز وجه كإن كان للحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضح اللغة للمخترع
وهو المبتدع من غير سبب (ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم
أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الأمير فانه مجاز بالإضافة الى نسبته الى الجلاد فلما
انكشف الحق لا الهه عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا
الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لاحماله زائل

قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بل فقط قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته (٢١٩) بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة

الى الحى القيوم الذى
ليس كمثل شئ فانه قائم
بذاته وكل ما سواه قائم
بقدرته فهو الحق وما
سواه باطل ولذلك قال
سهل يمسكين كان ولم
تكن ويكون ولا تكون
فلما كنت اليوم صرت
تقول أنا أو أنا كن الآن
كلم تكن فانه اليوم كما
كان فان قلت فقد ظهر
الآن أن السكلى جبرفا
معنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف
غضبه على فعل نفسه
فاعلم أن معنى ذلك قد
أشرنا اليه فى كتاب
الشكر فلا نقول بعادته
فهذا هو القدر الذى
رأينا الرضى اليه من
التوحيد الذى يورث
حال التوكل ولا يتم هذا
الا بالاعان بالرجة
والحكمة فان التوحيد
يورث النظر الى مسبب
الاسباب والاعان بالرجة
وسعتها هو الذى يورث
الثقة بمسبب الاسباب ولا
يتم حال التوكل كما سيأتى
الا بالثقة بالوكيل
وطمأنينة القلب الى
حسن نظر الكفيل وهو
الاعان أيضا باب عظيم
من أبواب الاعان وحكاية
طريق المكاشفين فيه
تطول فلنذكر حاصله
ليعتقد الطالب لمقام

انتهى قلت لفظا الصحيحين أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لم يد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكذا أمية بن أبي
الصلت أن يسلم ورواه كذلك أجدوا بن ماجه وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لم يد
* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقدر واه الترمذى كذلك قال صاحب القوت قال الشاعر ذلك وهو يعلم ان فى
الاشياء واسطحق وأسباب صدق ثم لم يمنع ذلك ان قال هذا ايثار من لا توحيد وتوحيد للمتوحد هذا مع
قرب عهدهم بتكذيب الرسل وإبطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت
أشبهت الباطل الذى لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى والاخر الابدى فهو
الحق ولا هكذا سواه انتهى وقد زاده المصنف وضوح بقوله (أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو
باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الذى ليس كمثل
شئ فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل) وقال المصنف فى المقصد الحق فى مقابلة
الباطل والاشياء قد تستبان باضدادها وكل ما يخبر عنه فاما باطل مطلقا وأما حق مطلقا وأما حق من وجهه
باطل من وجهه فاما منع لذاته هو الباطل مطلقا والواجب لذاته هو الحق مطلقا والممكن لذاته الواجب بغيره
فهو حق من وجهه باطل من وجهه فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من جهة غيره مستفيد للوجود
فهو من هذا الوجه الذى يلى مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل فكذلك
كل شئ هالك الا وجهه وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك فى حال دون حال لان كل ما سواه أزلا وأبدا من حيث ذاته
لا يستحق الوجود وهو من جهة تعالى يستحق فهو باطل بذاته حق بغيره وعند هذا تعرف ان الحق المطلق هو
الموجود الحقيق بذاته الذى منه يوجد كل حقيقة ثم قال وحظ العبد من هذا الاسم ان يرى نفسه باطلا ولا
يرى غير الله حقما والعبد وان كان حقا فليس هو حقا لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته
بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له وقوله فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الخ الحى الكامل المطلق هو
الذى تدرج المدرجات بأسرها تحت ادراكه والموجودات جميعها تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا
عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى والقيوم هو الذى قوامه بذاته وقيام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى وما
كان محتاجا فى قوامه الى وجود غيره لا يكون قائما بنفسه والقائم بنفسه مطلقا اذا قام به كل موجود فهو القيوم
لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله سبحانه وتعالى (ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى
(يا مسكين كان) الله تعالى أزلا وأبدا (ولم تكن) أنت متصفا بالوجود (ويكون) كما كان (ولا تكون)
أنت بل تبنى (فلما كنت اليوم) بين العدمين صرت (تقول أنا أو أنا كن) فيما أنت فيه (الآن كالم تكن
فانه اليوم كما كان) فى الازل نقله صاحب القوت وهو اشارة الى مقام اسقاط التدبير كما سيأتى الكلام عليه عند
قوله التوكل ترك التدبير (فان قلت فقد ظهر الآن ان السكلى جبر) فى صورة اختيار (فامعنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر) من الركن الثالث
منه عند قوله وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغي ان يفرح العاقل بها الى آخره راجعه
هناك (فلا تطيل بعادته) نائبا (فهذا هو القدر الذى رأينا الرضى اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل)
والتسليم ويثمره اذا ثبت فى النفس ثبوت الاعتقاد يا أو كشفيا أو ذوقيا أو عرفانيا نتج عنه حال التوكل (ولا يتم هذا
الا بالاعان بالرجة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب) بأن الوجود بأسره فى قبضته
وقدرته وتحت قهره وأسره (والاعان بالرجة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب) وينكشف لك
ان الرزق لا يتعدى المرزوقين لانه مخلوق لهم (ولا يتم حال التوكل كما سيأتى) قريبا (الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الاعان أيضا باب عظيم من أبواب الاعان) أى الاعان بسعة الرجة والوجود
والحكمة (وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقد الطالب لمقام التوكل اعتقادا طاعما
لا يستريب فيه) أى لا يدخله الريب والشك فيه (وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله
التوكل اعتقادا طاعما لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله

همز وجل لخلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى
لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم (٥٣٠) علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت

وعرفهم دقائق اللطاف
وخفايا العقوبات حتى
اطلعوا به على الخير
والشر والنفع والضرر ثم
أمرهم ان يدبروا الملك
والملكوت بما أعطوا
من العلوم والحكم لما
اقتضى تدبير جميعهم مع
التعاون والتظاهر عليه
أن زاد في ما دبر الله سبحانه
الخلق في الدنيا والآخرة
جناح بعوضة ولان
ينقص منها جناح بعوضة
ولان ان يرفع منها ذرة ولا
ان يخفض منها ذرة ولا
ان يدفع مرضا أو عيب
أو نقص أو فقر أو ضرر عن
بلي به ولا أن يزال صحة
أو كمال أو غنى أو ترفع
عن أنعم به عليه بل كل
ما خلق الله تعالى من
السموات والارض ان
وجعوا فيها البصر وطولوا
فيها النظر ما رآوا فيها من
تفاوت ولا فطور وكل
ما قسم الله تعالى بين عباده
من رزق وأجل وسرور
وخزن وعجز وقدرة وإيمان
وكفر وطاعة ومعصية
فكاه عدل محض لا جور
فيه وحق صرف لا ظلم
فيه بل هو على الترتيب
الواجب الحق على ما
ينبغي وكما ينبغي وبالقدر
الذي ينبغي وليس في

عز وجل لخلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من
الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم
على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطاف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضرر ثم
أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر
عليه ان زاد في ما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولان ينقص منها جناح بعوضة
ولان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرضا أو عيب أو نقص أو فقر أو ضرر عن بلي به
ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو ترفع عن أنعم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض اذا
ارجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رآوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده
من رزق وأجل وسرور وخزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكاه عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم
فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في
ترتيب العقول وبمعاني العرف والمعتقد من الامور بالاسباب العقلية والواسط المشهورة على معيار ما طبع
العقول فيه وجيل المعقول عليه ثم غيب في ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى الماثوبات فغاب بغيرها حسن
التدبير وجيل التقدير فجعل أكثر الناس الحكم وراحموا بطواهر الرسم ونسوا سابق القسم وما يعقلها الا
الا عالمون ان في ذلك لايات للعالمين وهذه شهادة المتوكلين وهي مقامات النبيين (وليس في الامكان) هو
الامر الذي هو موضع القدرة ومحل القوة والتمكن وهو ما ليس بواجب ولا محال بمقتضى لذاته (أصلا أحسن منه
ولا أتم ولا أكمل ولو كان) كذلك (وادخر مع القدرة) عليه (ولم يفعل لكان بخلاف يناقض الجود وظلما
يناقض العدل ولو لم يكن قادر الكان عجزا يناقض الالوهية) هكذا نص هذه العبارة في سائر نسخ الكتاب لا سيما
وفي أواخر بعضها انها نقلت من نسخة موثوقة بها معتمدا على صحتها وتقرر بهذا الكلام يظهر من معرفة أمرين
أحدهما ان المجمع عليه عند أهل السنة ان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل فكل ما صرح حدوته ونفوسهم
كونه ولم يستحل في العقل وجوده قاله سبحانه قادر على ايجاده واحداثه وكل ما استحاله وجوده لم يوصف أحد
بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لان العجز انما يصح عما يصح القدرة عليه وكل ما لا يصح ان يكون مقدورا عليه فلا
يصح ان يكون معجوزا عنه ولذلك لا يوصف أحد بالعجز عن الجمع بين الضدين ولا بالعجز عن جمع العالم في قشر بيضة
ونحو ذلك لان ذلك مما لا يصح القدرة عليه فلا يصح العجز عنه ولذلك قالوا ان الانسان لا يوصف بالعجز عن خلق
الاعيان لانه لا يصح وصفه بالقدرة على خلقها وفي هذه المسألة خلاف مع جماعة من المعتزلة منهم أبو الهذيل

الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخر مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلاف يناقض الجود وظلما
يناقض العدل ولو لم يكن قادر الكان عجزا يناقض الالوهية

والشحام وثمامة ومعمر والاسواري والنظام والكرامية مجسمة خراسان مبسوط في محله والامر الثاني ان
 النفي في هذا الكلام ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجود انما هو منصب على كونه ابداع من الموجود
 فالنفي هنا كون شئ مما يمكن وجوده ابداع مما وجد مع قطعه بصلاحيته القدرة لايجادها فاذا فهمت الامرين
 سهل عليك حل الكلام وسيأتي ما يتعلق به تسليم اوردا (بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا
 وزيادة من الآخرة) قال صاحب القوت اعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع
 والفقر فيكون هذا رزقا للراشد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وجاميته عن التكاثر منها
 والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ماصرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة
 والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيلة نظار كاحد ثوانع بعض العلماء ان بقا لاجاء اليه فقال اني
 كنت ابيع في محله لابقال فيها غـ برى فكنت ابيع الكثير ثم قد فتح على يقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شئاً
 فقال لا ولكن يزيد في بطلانك عن البيع (وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص) قد نقص حظاه الاوفر منها
 (فهو نعيم بالاضافة الى غيره) اذا كانت الدنيا ضدها (اذلولا الليل لماعرف قدر النهار) ولولا الكفر لماعرف قدر
 الايمان (ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة) ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة (ولولا النار لماعرف أهل الجنة
 قدر النعمة) فهذا اقل وخط فيه من حيث الحكمة التي يجب الايمان بها فهذا بعض أسرار كونه ابداع (وكان
 فداء ارواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل بتقديم الكامل على الناقص عين العدل)
 والمراد بالكمال الانسان ووصفه بذلك بالاضافة الى البهائم فانها ناقصة ولما كان بقاء الانسان يحتاج الى غذاء
 يستملكه قوته امتن الله عليه بخلق البهائم فكانت لحومها أغذية له يشير الى ذلك قوله تعالى ومن الانعام
 حوله وفرشا (فكذلك تفخيم النعم) أي توفيرها وتكبيرها (على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل الكفران عين العدل) كما ورد في الخبر انه يقال للمسلم هذا الكافر فداؤك من النار
 (ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
 بالاضافة) فان درجات الاحياء ثلاثة درجات الملائكة ودرجات الانس ودرجات البهائم فامداد جنة البهائم فهي
 أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الإدراك الفعال وفي ادراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص وأما
 درجات الملائكة فهي أعلى الدرجات لقرهم امن حضرة القدس وأما الانسان فدرجته متوسطة بينهم ما كانه
 مركب من ما والاغلب عليه في الأول البهيمة ثم بشرق عليه في الآخر نور العقل فيأخذ بذلك شهابا من الملائكة
 والمقصود ان الكمال والنقص من الامور المتضادتين (فقتضى الجود) سعة (الحكمة خلق الكامل
 والناقص جيعا) ولولا ذلك لماعرف أحد ههنا من الآخر فهذا بعض أسرار كونه ابداع (وكان قطع اليد اذا
 تأكلت) أي أصابها مرض الاكلة ولا دواء لها الا القطع (ابقاء على الروح) أي على حياته (عدله لانه
 فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت) الواقع (الذي) هو (بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة)
 من الغنى والفقر وحسن الصورة وقبحها والصحة والمرض والتوفيق والخذلان والايمان والكفر والطاعة
 والمعصية (فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لالعب فيه) ويشهد لابدية هذا التفاوت ما أخرجه عبد الله بن
 أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم واللالكا في السنة وابن منده في
 كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبي بن كعب في قوله تعالى واذا خذركم من بنى آدم الآية قال جمعهم
 فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم وأدم ينظر اليهم فرأى الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال
 يا رب لا حوليت بين عبادك قال اني أحببت ان أشكر وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده في الرد على الجهمية من
 حديث أبي هريرة قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فخرت منه كل نعمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم عرضها
 على آدم فاذا فهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذي بيتي فقال كي
 تشكر نعمتي فهذا نص من الله تعالى على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفته الكمال والنقص حتى انه

بل كل فقر وضرر في الدنيا
 فهو نقصان في الدنيا
 وزيادة في الآخرة وكل
 نقص في الآخرة بالاضافة
 الى شخص فهو نعيم
 بالاضافة الى غيره اذ لولا
 الليل لماعرف قدر النهار
 ولولا المرض لما تنعم
 الاصحاء بالصحة ولولا النار
 لماعرف أهل الجنة قدر
 النعمة وكان فداء
 أرواح الانس بأرواح
 البهائم وتسليطهم على
 ذبحها ليس بظلم بل
 تقديم الكامل على
 الناقص عين العدل
 فكذلك تفخيم النعم على
 سكان الجنان بتعظيم
 العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل
 الكفران عين العدل
 ومالم يخلق الناقص لا
 يعرف الكامل ولولا
 خلق البهائم لما ظهر
 شرف الانس فان الكمال
 والنقص يظهر بالاضافة
 فقتضى الجود والحكمة
 خلق الكامل والناقص
 جيعا وكان قطع اليد
 اذا تأكلت ابقاء على
 الروح عدله لانه فداء
 كامل بناقص فكذلك
 الامر في التفاوت الذي
 بين الخلق في القسمة في
 الدنيا والآخرة فكل
 ذلك عدل لاجور فيه
 وحق لالعب فيه

جعل أنواع البلاء متفاوتة إرادة الشكر فلا ترى ذابلاء الا وهو يرى من هو اشد بلاء منه ولا ذالحال سى الا وهو يرى من هو اسوأ حالاً منه ولو من نوع آخر فتري مثلاً الفقير الذى لا يجد قوته ويبيت البالي طوا يا يرى من هو ذنف ملازم الوساو وهو كثير المال فيشكر الله تعالى على العافية وذلك الدنف يرى ذلك الفقير وهو يقنى القوت فلا يجده فيشكر ان رزقه الله الغنى مع سقمه ولم يجعله يتكفف الناس وثرى الملك ينظر الى ما حوله من النعيم ونفوذ الامر فيشكر الله ان جعله امر الامور وما كالا يملو كاترى آحاد الرعية ينظر الى ما يقاسيه الملك من انكاد الدينلوهم وما وخروج الخوارج عليه وانتشار المفسدين والقطاع وخوفه على نفسه مما يغتاله أو بسلب منه ملكه أو يقصد با أنواع المكاييد ثم ما يتبع ذلك من الحساب يوم القيامة على كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم بما أمر الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم وانفاذ أو امر الله فيهم وايصال حقوقهم اليهم وعلى كل ذرة من مال قبضها أو صرفها هل أخذ كما أمر الله تعالى وصرفها فيما أمر الله تعالى فيحمد الله ذلك المسكين ان لم يجعله ملكاً فينشذ لا ترى من الناس الا شاكر كل بحسب حاله فانظر الى هذه الحكمة البديعة فى جعل الخلق مع تباين أحوالهم متفاوتين فى الحال الواحد مقولين بالتشكيك لا بالتواطؤ فذوو الفقر متفاوتون ليرى كل دونه وكذا ذوو البلاء الى غير ذلك وإرادة الشكر من المقاصد المعبرة بدليل ما فى الخبر ما أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ووجه آخر فى خلق المكر وهات وما فيها من الفوائد الدينوية والاخرية وهى خمسة كما تقدم للمصنف فى كتاب الشكر وأوصلها العز بن عبد السلام الى سبعة عشر فى تأليف مخصوص وقد قال خيرة الله لعبده فيما يكره أكثر من خيرته له فيما يحب وفى الخبر عجبت للمؤمن وقضاء الله له خير ان أصابه خير أو شر وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى اذهب ان لا تنهم الله على نفسك فهذا نوع من أنواع الموجودات تبين فيه وجه الابدعية بالنسبة الى ضده فقس على ذلك سائر الأنواع وقد يكون الشئ أبدياً فى وقت وخلافه أبدياً فى وقت آخر ومن ثم يوجد الله الرخا فى وقت والغلاء فى وقت آخر وفى مكان دون مكان وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والامن والخوف والصحة والسقم وذلك لعلم الله بحكمته البالغة ان الابدع فى هذا الوقت ايجاد أحد الضدين الى وقت كذا فاذا جاء ذلك الوقت فالابدع ايجاد ضده فيوجد على حسب حكمته ومن قدح فى شئ من هذا فقد قدح فى الحكمة وعارض حكمة الحكيم برأى من عنده زعم بحججه انه أسد ما اقتضته الحكمة وشرع ذلك قصة المنسوخ من الشرائع والاحكام فان الله تعالى عالم بحكمته البالغة ان الابدع شرع هذا الحكم فى هذا الوقت فشرعه الى وقت كذا فاذا جاء الوقت فالابدع شرع خلافه فيشرعه وقد نص بعض أرباب البيان فى نقد بروجع اعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال لاشك فى ان البارئ تعالى عالم بجميع أصناف الكلام فاختر لكتابه أفصحها وجهاً فآثره عليه فلا يمكن أفصح منه وكذلك نقول فى الموجودات علم الله فى كل موجود جميع الوجوه الممكن ايجادها على أوجه كثيرة غير ذلك الا أنها ليست بابدع والابدع الوجه الذى أوجده الله عليه ونقول فى خلق الانسان انه يمكن بروجه على أوجه غير الصورة التى أبرزها الله عليها من جعل رأسه أسفله أو فى ظهره مثلاً أو كونه بعين واحدة أو كونه يديه أو عينيه خلف أو كونه فى رأسه أو بطنه أو غير ذلك من الوجوه الممكنة التى لا نشك فى صلاحية القدرة لها لكانها ليست بابدع والابدع هذه الصورة الموجودة لما فيها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وهذا نص قاطع فى ان الصورة التى خلق عليها الانسان لا ابداع منها وكذلك نقول فى سائر الحيوانات انهم موجودون على الصورة التى لا ابداع منها مع صلاحية القدرة لايجادها على صور شتى لكن ما وجدت عليه ابداع وشاهده قوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه قال ابن عباس احسن كل شئ خلقه فجعل السكاب فى خلقه حسناً واه ابن أبي حاتم وقال أيضاً خلق الله لكل شئ ما يشاكله من خالق وما يصلحهم من رزقه فخلق البعير خلقاً لا يصلح شئ من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل شئ من خلقه موخلق لدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البر وخلق لدواب البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البحر فذلك قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر رواه الطبرانى فى المعجم الكبير

(وهذا الاثنان بحر زان عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب السعتم من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين) اذ توغلو فيه ولم يكونوا اقوياء في علوم المكاشفة فاضطربت عليهم امواج القدرة فاندشت عقولهم وفغرت سماسح العزة فاهما فاصطكت افهامهم (ولم يعلموا) قبل دخولهم (ان ذلك غامض) خفي المدرك (لا يعقله الا العالمون) بالله وبافعال الله المكشفون بانوار الله (وراء هذا البحر) العظيم المتلاطم (سر القدر الذي تخبر فيه الاكثرون) واندش فيه المخلصون (ومنع افشاء سره المكشفون) روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس قال لما بعث الله موسى وانزل عليه التوراة قال اللهم انلرب عظيم ولوشئت ان تقاطع لا طعت ولوشئت ان لا تعصى لما عصيت وانت تحب ان تقاطع فكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسئل عما افعل وهم يستألون ثم سأل عزير مثل ذلك فاجابه اني لا اسئل عما افعل وهم يستألون فابت نفسه حتى سأل ثلاثا فقال الله تعالى ان تستطيع ان تصر صرة من الشمس قال لا قال ان تستطيع ان تنجي بمكالم من ربح قال لا قال ان تستطيع ان تنجي بمكالم من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على ذلك الذي سألت عنه اني لا اسئل عما افعل وهم يستألون ثم سأل عيسى فاجابه كذلك فجمع عيسى من تبعه فقال القدر سر الله فلا تكفه ورؤى اوتويعم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تنفوا الله عز وجل سره وقد تقدم ونقل المصنف في مقدمة التفات وانما منع عن ذكر سر القدر يعني وهو القدرة من شأنها ان تتعلق بالمال لانه يومهم عند العوام عجز قال فالصواب ان يلقى الهم ان الاول قادر على كل شيء ليجب ذلك تعظيما في صدورهم فلو فصل وفسر الامور الى تمكينة وغير تمكينة لظنوا ان ذلك عجز قال فهذا سر القدر على ما قيل (والحاصل ان الخير والشر) كل منهما (مقضى به) ومريض به فان الخير بالذات والشر بالعرض وكل بقدر (وقد صار ما مضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه) قال المصنف في المقصد الاسنى اذا كان معنى الحكمة ترتب الاسباب وتوجهها الى المسببات كان المتصف بها على الاطلاق حكيم ما لم يلقاها لانه مسبب كل الاسباب جللتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره اصل وضع الاسباب لتوجه الى المسببات هو حكمه واجبا للاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تتحول ولا تزول الى وقت معلوم كالارض والسموات والكواكب وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تتقدم الى ان يبلغ الكتاب أجله ووضعه اياها ونصبه لها وقضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي هو كالمع البصر والقضاء هو الوضع السكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسياتها المحدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وكذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره (بل كل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أي سطر في اللوح رواء ابن المنذر عن ابن عباس قال فتادة أي محفوظ مكتوب رواء عبد بن حميد (وحصوله بقدر معلوم مستطر وما أصابك) من الخير والشر والنفع والضرر (لم يكن ليخطئك وما أخطاك) منها (لم يكن ليصيبك) رواء أحمد والطبراني والبرازن من حديث أبي الدرداء لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه ورجال الطبراني نقات فالعلم بهذه الاشياء وطمانينة القلب بها وسكينة العقل عند دور ودها وان لا يضارب بالرائى والمعقول ولا ينزع بالتشبيه والتمثيل هو من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحده الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصا في التوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انهم الله تعالى مشيئة وحكما بمنزلة الحيط الذي ينظم عليه الحب وان التوحيد منظم فيه فاذا انقطع الحيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره وأما فضل التوكل فيكون عن مشاهدة الوكيل لانه في مقام المعرفة برؤية عين اليقين (وانتقصر على هذه المرامى) أى الاشارات (من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام

وهذا الاثنان بحر آخر
عظيم العمق واسع
الاطراف مضطرب
الامواج قريب في السعة
من بحر التوحيد فيه
غرق طوائف من
القاصرين ولم يعلموا ان
ذلك غامض ذلك لا يعقله
الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي
تخبر فيه الاكثرون
ومنع من افشاء سره
المكاشفون والحاصل
ان الخير والشر مقضى
به وقد كان ما مضى به
واجب الحصول بعد
سبق المشيئة فلا راد
لحكمه ولا معقب
لقضائه وأمره بل كل
صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم
منتظر وما أصابك لم يكن
ليخطئك وما أخطاك لم
يكن ليصيبك ولنتقصر
على هذه المرامى من
علوم المكاشفة التي هي
أصول مقام

(التوكل) وعليها بناؤه ومستقره (ولنعلم الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى) وسياق المصنف هذا من أول قوله ولا يتم هذا الا بالايان والرحمة الى هنا شوهد تبدل على صحته من أقواها وأقربها اليه قول المصنف نفسه في كتابه جواهر القرآن وهذا نصه لا يكتفي الايمان بالتوحيد في انارة حالة التوكل حتى يضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان تعتقد ختماً أو ينكشف لك بالبصرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علماً وحكمة ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخبير والشر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم أن يزبدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضرب وجه وكفر ولا أن يغيروا قسمة الله من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً لمحض الجور فيه وخفاصراً لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصاً يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعاً ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يخل على الخلق أصلاً ولم يدخر في اصلاحهم أمراً وهذا بحر زالح في المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وبحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرون في تأويله الا الراسخون هذا نصه بحروفه وقال في موضع آخر من الجواهر أيضاً قد أنكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط والجواب ان الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع يتصور من ثلاثة أوجه أحدها أن يدهشه مشاهدة المحبة وافرطها عن الاحساس بالالم والثاني أن يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمع تبرع الله الثواب على البلاء كما يرضى بالمدد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشيئا وكذلك يرضى التاجر بمسقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا شاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الآخرة الثالث ان يعتقد ان الله تعالى تحت أقداره عجوبة لطيفة من لطائفه وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجري في العالم ان تعجبه تعجب موسى عليه السلام من الخضر عن السر الذي أطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما في عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى ثم ساق قصتين احدهما للرجل الذي كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله والثانية للقارص الذي نسي صرة فيها الف دينار ولولا أنه سيأتي سياقه في كتاب الرضا لذكرتهما فن أيقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فقد رضى بما دبره الله في ملكوته وههنا جوه أربعة تشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذي هو كماله البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء فانها ترتبت على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان وادخل كان بخلا لا جوداً وعجزاً يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك سر القدر وكان من عرف ذلك لم ينطوئه سيرة الاعلى الرضا فكذلك كل ما يجري من الله تعالى وبلى هذين السياقين ما ذكره في كتابه المسمى بالاربعين في أصول الدين قال في الاصل التاسع من أصول الدين الرضا بالقضاء ان المسببات ترتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وايسر في الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان لمكان بخلا لا جوداً وعجزاً يناقض القدرة وبلى هذه السياقات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن اسحق الشافعي الصوفي في كتابه مقاصد منجيات الاحياء وهذا نصه بعد ان ذكر مراتب الايمان فقال حينئذ ترجع أيم الناظر اليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نوراً بتوجهك واعمالك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً فنشرق في قلبك بهذا ما أشرق في قلوب أنبيائه كآل الله تعالى كما كان نبيه ان ربي على صراط مستقيم أي مستقيم في أحكامه وأفضيته التي قدرها في ازاله وانها على أتم أنواع الكمال والاتقان وان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من العلم والحكمة ما تحتمله نفوسهم

التوكل ولترجع الى علم
المعاملة ان شاء الله تعالى
وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد كل واحد منهم عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف
لهم عواقب الامور وأطلعهم على سائر الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى أطلعوا به على
الخير والشر والنفع والضرر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة والعلوم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزيدوا فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح
بعوضة ولم يقدر وأعلى ذلك بل كل ما خلقه الله من السموات والأرض أن يرجع فيه البصر وطول فيه النظر ما يرى
فيه من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وقدرة وعجز وإيمان وكفر
وطاعة ومعصية فكله عدل محض وحق صرف لانه لو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولو لا خلق البهائم لما
ظهر شرف بنى آدم فقطضى الحكمة والجود خلق الكامل والناقص جميعا والقدرة صالحة واسعة لغير ذلك فلو
شاء لقطع الأسباب عن المسببات والمسببات عن الأسباب ولا وجد العالم على هيئة أخرى ولو شاء لخلق كلهم
سعداء أو كلهم أشقياء ولو شاء لخلق المعدمشقياء المشقى مسعدا إلا ان الارادة خصت هذا التخصيص والله
فعل لما يريد وانما أوجدت الخلق القدرة فعل ما خصته الارادة جرت المقادير في الازل واستمرت في الابد
وجفت الاقلام بما اقتضى على الانام فلم يتقدم احد منهم قدرا ثم لم يتأخر الا بمقدار سابقة وكتابة لاحقة ولو
تهيأت أسباب السعادة كلها لا شقياء لما سعدوا ولتهيأت أسباب الشقاوة كلها لا سعداء لما شقوا واذا أراد
الله بغيرهم سوا فلا مرد له وان عيسى الله بغيره فلا كاشفه الا هو وان ردك بخير فلا راد لفضله بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطأك وما أخطأك لم يكن ليصيبك انتهى وفيه تفصيل لما
أجله المصنف من قبل صلوحة القدر وسعته الغير ما ذكر وتأويل لقوله الذي أسقطه وهو ليس في الامكان أبدع
مما أبرزه وهو ان الارادة خصته هذا التخصيص وسيأتي لذلك مزيد في بيان وجوه التأويل ويشهد له ما قاله
الامام أبو العباس الاقليشي في كتاب الانباء في شرح الصفات والاسماء واما تأخر العالم مع تمام قدرة القادر
سبحانه فنه ما هو ضروري وليس بجعل جاعل ومنه ما هو اختياري والضروري استحالة قديم غير الله تعالى
فوجب بالضرورة أن يكون العالم متأخر الوجود عن الله تعالى واما الاختياري فوجوده في الوقت الذي وجد
وعلى الهيئة التي وجدت وكان في الامكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى إلا ان الارادة خصته
هذا التخصيص والله تعالى اختار هذا التخصيص فكان فعله واقعا بقدرة وارادته واختياره وليس لفاعل سواه
استبداد في ابراده واصداره انتهى فهذا أحد وجوه أبعثه اذا تأملت عبارته وقال المصنف في المقصد الاسنى
في شرح اسماء العدل قال معناه العادل وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للظلم والجور وان يعرف العادل من لم
يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علما بأفعال الله تعالى
من ملكوت السموات الى منتهى الترى حتى اذا لم يرفى خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فصار أى من فطور ثم
رجع مرة أخرى فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير قد بهر به جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها
لحقه تنذيع بقومهم شئ من معاني عدل الله وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملة وانقصها
وأعطى كل شئ خلقه وهو بذلك جواد ورثه في موضعه الاثنية وهو بذلك عدل فن الاجسام العظام في العالم
الارض والماء والهواء والسموات والكواكب وقد خلقها ورتبها فوضع الارض في أسفل وجعل الماء فوقها
والهواء فوق الماء والسموات فوق الهواء ولوعكس الترتيب لبطل النظام ولعل شرح وجه تحقيق هذا الترتيب
في العدل والنظام مما يصعب على أكثر الافهام فلننزل الى درجة العوام ونقول لينظر الانسان الى بدنه فانه مركب
من اعضاء مختلفة كما ان بدن العالم مركب من اجسام مختلفة فاول اختلافه أنه مركب من العظم واللحم والجلد
وجعل العظام عمادا واللحم صونا لها مكنتها لها والجلد صونا للحم ولوعكس هذا الترتيب وأظهر ما بطن لبطل
النظام وان خفي عليك وقد خلق الانسان من اعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين والانف والاذن فهو يخلق
هذه الاعضاء جوادا ويضعها مواضعها الخاصة عدل لانه وضع العين في أولى المواضع بها من البدن اذن خلقها

على القفا وعلى الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من نقصان والتعرض للآفة
وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولوعلقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل
وكذلك وضع جميع الجوارح على الرأس فانه اجواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولوضعها على الرجل
اختل نظامها قطعاً وشرح ذلك في كل عضو بطول فينبغي ان تعلم انه لم يخاف شيئا في موضعه الا انه متعين له ولويتم
عنه أو تيسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصاً أو باطلاً أو قبيحاً أو خاف جاعن التناسب كره في المناظر وكان الانف
خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقصان الى فوائده وربما يقوى فهمك على ادراك
حكيمته فاعلم ان الشمس أيضاً لم تخلق في السماء الرابعة وهي في وسط السموات السبع هزلا بل ما خلقها الا
بالحق وما وضعها الا موضعها المستحق لها لخصول مقاصدها منها الا انك ربما تعجز عن ذلك الحكمة فيها لثقل
التفكير في ملكوت السموات والارض وعجائبها ولو نظرت فيم الرايت من عجائبها ما تستحقه عجايب بدنك
كيف لا وخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولينك وفيك بعرفة عجائب نفسك فتفرغ للتأمل فيها
وفيما يكتنفها من الاجسام فتكون ممن قال الله تعالى فيهم سترهم اياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم ومن أين لك
ان تكون ممن قال فيهم وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وانما تفتح أبواب السماء لمن لم يستغفره
هم الدنيا ثم قال في بيان حظ العبد من هذا الاسم ويكون الايمان به قطع الانكار والاعتراض ظاهر او باطنا
وتحمله ان لا ينسب شيئا الى الدهر ولا ينسب شيئا من الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه بما أجرى به العادة فحرت
مستمرة بحكمته وتقديره الى حين يعاينها وينقضيها بل يعلم ان ذلك كله أسباب مسخرة وانما ترتب ووجهت
الى المسببات أحسن ترتيب وتوجهت باقصى وجه العدل وقال في اسمه تعالى اللطيف والبالغة فهو من حيث دبر
الامور حكيم ومن حيث أرجه هاجو او دمن حيث رتبها مصور ومن حيث وضع كل شئ موضعه عادل ومن حيث
لم يترك فيه افاق الرفق لطيف وان يعرف حقيقة هذه الاسماء من لم يعرف حقيقة هذه الافعال وقال في اسمه
تعالى المصور وأما اسم المصور فهو له من حيث ترتب صور الاشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من
أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقة الامن يعلم صورة العالم على الجلالة ثم على التفصيل فان العالم كله في حكم شخص
واحد مركب من أعضائه متعاون على غرض مطلوب منه وانما أعضاؤه وأجزاءه السموات والكواكب والارضون
وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتب أجزاءه ترتيباً محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام لخصص بوجهه
الفوق ما ينبغي ان يعالو وبجهة السفلى ما ينبغي أن يسفل وكان البناء بضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها
لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لارادة الاحكام ولوقلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب في أسفلها
لانهم دم البناء ولم تثبت صورته أصلاً وكذلك ينبغي ان تفهم السبب في علو الكواكب وتسفل الارض والماء
وسائر أنواع الترتيب في الاجزاء العظام من أجزاء العالم ولودهيها نصف أجزاء العالم أو تخصبها ثم ندكر الحكمة
في ترتيبها الطال والنصور موجود في كل جزء من أجزاء العالم وان صغر حتى في النملة والذرة بل في كل عضو من
أعضاء النملة بل الكلام بطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان ومن لم يعرف طبقات
العين وعددها وحيثها وشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها قلن يعرف مصورها بالبرسم الجميل

(فصل) وهذه نبذة من كلام أئمة السنة الموافقة في المعنى والملاحظة لعمدة ما تقدم تقرر به قال البيضاوي
في تفرقه تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الى قوله وهو بكل شئ عليم فيه تعليل كانه قال ولـ يكونه
عالمه بكنية الاشياء خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان كان هذا فعله على
هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما فان اتقان الافعال باحكامها وتخصيبها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الا لمن عالم حكيم رحيم وقال في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض آية اعلم أن دلالة هذه
الايات على وجود الاله ووحده من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلاً والكلام الجميل انها أمور محكمة وجد
منها وجه مخصوص من وجوه محتملة واتجاه مختلفة اذ كان من الجائز مثلاً ان لا تتحرك السموات أو بعضها

كالارض وان تحرك بعكس حركاتها وبجيت تصير دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها ورج وحضيض أصلا
 أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته
 وتقضيه مشيئته وقال في قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم إلى قوله والله يعلم وأنتم لا تعلم فيه دليل
 على ان الاحكام تتبع المصالح والراحة وان لم يعرف عنها ونقل الطيبي في هذه الآية عن الزجاجة أنه قال معنى
 كراهتهم القتال أنه من جنس غلظه عليهم ومشيئته لان المؤمن يكره فرض الله لانه تعالى لا يفعل الا ما فيه
 الحكمة والصالح وقال الطيبي في حاشية الكشف عند قوله تعالى والله لا يحب الفساد الفساد في الحقيقة اخراج
 الشيء من حاله المحمودة لا الغرض وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ومتراه من فعله افساد فهو بالاضافة البناء
 وباعتبارنا فاما بالنظر الالهى فكذلك اصلاحه - هذا قيل يا من افساده اصلاح أى مانعه نحن افساد فهو
 بالاضافة البناء باعتبارنا القصور ونظرنا وقال الفخر الاصبهاني في أول سورة آل عمران القيوم هو القائم باصلاح
 مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بجموع أمرين كونه عالما بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على
 وقها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شيء والثاني لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن أشار الى الاول بقوله ان الله
 لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والى الثاني بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال وفي
 هذا لطيفة أخرى وهى ان قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء لا يجوز اثباته بالسمع لان
 معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالما بكل شيء بل بالدلائل العقلية وهو أن يقال ان أفعاله تعالى بحكمة
 متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدلائل العقلية الدال عليه وهو انه هو الذي صورهم
 في الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب الاعضاء المختلفة في الشكل والطبع والصفة
 فبعضها عظام وبعضها أعصاب وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على
 أحسن التركيب وأكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نقطة أو على كمال علمه من
 حيث ان الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن عالم فكان قوله هو الذي يصوركم دالا على الامرين
 معا انتهى وقال البيضاوى في تفسير قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وقوله الرحمن الرحيم كالجنة على
 الوحدة انه فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفرعها وما سواه امانعة أو منعم عليه لم يستحق العبادة
 أحد غيره قال السعد فان قيل الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بتعنة ولا منعم عليها قلنا هى كلها من
 حيث القابلية والفاعلية وما يرجع الى الوجود والسببية تعنة ومرجع الشر والقبح الى العدم وقال
 السعد في حاشية الكشف عند قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا من التبعيض بمعنى انهم لا يعطون
 الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذى استوجبوه فى الدنيا نظر الى المصالح وفى الآخرة نظرا الى الاستحقاق
 اذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطى ما ليس بمسحق وقال البيضاوى في قوله تعالى والله يقبض
 ويبسط يده على من يشاء ويوسع على من يشاء حسب ما اقتضت حكمته وقال عند قوله تعالى قال ان الله اصطفاه
 عليكم لما استبعدوا تلك طالوت للفقر وسقوط نسبته رده عليهم ذلك بان العمدة فيه اصطفاه الله تعالى وقد
 اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وقال السعد عند قوله تعالى ان آناه الله الملك وقد حكى قول الكشف
 ان الله لا يوتى الكافر الملك يعنى انه قبيح قال لوسلم فامن قبيح الا يمكن ان يعتبر فيه غرض صحيح مثل الامتحان
 وقال التقي السبكي في تفسيره عند قوله تعالى حكمة بالغة أى تامة بلغت النهاية فى كل ما وصف به وقال الزجاج
 فى قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا معنى الكلام أنه قد فرض الفرائض
 على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضعون الاموال على غير حكمته ولهذا
 أتبعه بقوله ان الله كان عليهما أى عليهما يصلح خلقه حكيم فيما فرض وقال ابن عطية فى الآية هذا
 تعرض للحكم فى ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة وقال أبو جيان بين تعالى ان
 قصته هى القصة التى اختارها وشرعها وان الآباء والابناء شرع في ميراثهم ما شرع لا ندري نحن أيهم

أقرب نفعاً بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته فالذي شرعه هو الحق لا ما يخاطر بعقولنا فإذا كان علم ذلك عاراً بنا
عنا فلا نخوض فيما لا نعلمه أذهى أوضاع من الشارع لا نعلم علماً ولا ندر كها بل يجب التسليم فيها لله ورسوله
وجميع المقدورات الشرعية في كونها لا نعقل علماً مثل قسمة الموارث سواء وحكى المفسرون في معنى قوله
تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم قولين أحدهما أن هذا دليل على أن كل ما بين تحريره لنا وتخليه من
النساء في الآيات المتقدمة فقد كان الحكم كذلك أيضاً في جميع الشرائع والمثل الثاني أنه في بيان ما لكم في
المصلحة لأن الشرائع وإن كانت مختلفة في نفسها متفقة في باب المصالح ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم حكيم
أي عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الأشياء مواضعها بحسب الحكمة والاتقان انتهى وهذا الثاني مؤيد
لما تقدم تقرر به أن الشيء قد يشرع في وقت ويكون اذذاك أبدياً من خلافه لحكمة تقتضيه ثم يشرع في وقت
بعده خلافه ويكون هذا الخلاف أبدياً في هذا الوقت من المشرع لما اقتضاه من الحكمة ونقل أبو حيان
عن بعض المفسرين واستحسنه في قوله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال فهو من الحسد
وعن ثقي مفضل الله به بعض الناس على بعض من الجاهل والمال لأن ذلك التفصيل قسمة من الله صادرة عن
حكمته وعلمه بأحوال العباد بما يصلح للمقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولهذا ختم الآية بقوله إن الله
كان بكل شيء عليم أي علمه محيط بجميع الأشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل منكم
من توسيع وتقتير فأياكم والاعتراض بنعم أو غيره انتهى وذكر البيضاوي في تفسير هذه الآية نحوه وقال
الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى وعلم آدم لأسماء كل ما ههنا دلالة على فضل العلم فانه سبحانه ما أظهر كمال
حكمته في خلقه آدم الأبا أن أظهر علمه فلو كان في الامكان وجود شيء أشرف من العلم كان من الواجب أن يظهر
فضله بذلك الشيء لا بالعلم انتهى فهذا تصريح من الامام بأنه ليس في الامكان أشرف من العلم وقال الفخر إنما
سأل الملائكة أسألو في حق آدم عليه السلام طلباً للحكمة فأجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أي ان
مصلحتكم ان تعرفوا وجه الحكمة على الاجال دون التفصيل بل ربما كان التفصيل مفسدة لكم وقال في
الآية بعدها علم أن الملائكة لما سألو عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته واسكانه اياهم الارض
وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الاجال بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أراد تعالى ان يزيدهم
بيانا وان يفصل لهم المجهول فينبين لهم من فضل آدم ما لم يكن اذ ذلك معلوماً وذلك بان علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
عليهم ليطهر لهم كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيبدأ كذلك الجواب الاجالي بهذا الجواب التفصيلي
انتهى وقال المفسرون في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم من الله تعالى بانه شرع الشرائع مختلفة على حسب ما اقتضته الحكمة وقال
البيضاوي في قوله تعالى بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي هو مختار في انفاقه بوسع تارة ويضيق
أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقال الراغب فيما نقله الطبري في حاشية الكشاف وكلاهما من
أئمة السنة والحكم والحكمة من أصل واحد الا انه اذا كان في القول قيل له حكم وقد حكم واذا كان في الفعل قيل له
حكمة وحكم له حكمه فاذا قلت حكمت بكذا فمعناه قضيت فيه بما هو حكمه وان كان كما يقال حكم فلان بالباطل
بمعنى أخرى الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى مقتضى الحكمة لا بحالة فبه بقوله ان الله يحكم ما يريد على ما يريد
بجعل حكمه حلالاً للعباد على الرضا به فانه يحكم ما يريد وحكمه ماض ومن رضى بحكمه استراح في نفسه وهدى
لرشد ومن سخط تعدى حكمه واكتسب بسخطه سخط الله واهنته كما ورد من لم يرض بقضائي ولم يصبر على
بلائى فليطلب بأسواى وقال النووي في شرح المذهب في باب آداب العالم وطريقته في نفي الحسد ان يعلم ان
حكمته اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة ولم يذمه الله
احترافاً من المعاصي هذه عبارته وهو صريح في ان المعاصي وقعت على مقتضى الحكمة وانما تكره لان الله
ذمها وقال أبو حيان في قوله تعالى وان خفيتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ختم

الآية بهذين الوصفين للإشارة الى انه انما ينبغي بحسب المصلحة والحكمة وقال أبو طالب المكي في مقام الرضا من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الاحياء ومن الرضا أن لا يذم شيئا مباحا ولا يعيبه اذ كان ذلك بقضاء مولاه مشاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله ومنهم من جعله من باب الادب بين يدي الله تعالى وأعظم من ذلك انها داخله في باب قلة الحياء ويصلح أن يكون هذا أحدهم الذي جاءه قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بان يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عليه من الارفاق والالطاف اذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواء فيكون ذلك كفرا بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدله كفر الان أحدا لو اصطنع طعاما فعبته وذمته كره ذلك منك فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك وهذا داخل في معرفة معاني الصلوات وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعة وتحتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تدييره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شيء حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع متين لانك اذا عبت صنعة أحد وذمته سري ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها اذ كانت الصنعة بمجهولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها وقد كان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له وذلك ان الراضي عن الله تعالى متادب بين يديه يستحي أن يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما يشاء ويأمر في خلقه كيف يشاء والحاكم يحكم بأمره والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه قال أيضا في آخر مقام التوكل لو تمنى أهل النهى من أولى الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية الاماني فكوت أمانهم على ماتموا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تدييره ومعرفة بحسن تقديره خيرا لهم من كون أمانهم على ماتموا وأنزل من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقد قال تعالى موخا للانسان بمجهلا للتمني لقلة الايقان أم للانسان ماتموني فته الآخرة والاولى أن يحكم فبما يترك الاماني لانه قال ولواتبع الحق أهواهم ففسدت السموات والارض ومن فيهن هذا السوء علمهم بالتدبير وقوة جهلهم بعراقب المصير واختلاف أهواهم في معاني التقدير فالتوكل بحسب الله تعالى فهو به مسرور وفرح له بملكه مستسلم له في جميع أموره قال له الآخرة والاولى يحكم فبما يشاء كيف شاء انه على كل شيء قدير فعال لما يريد والعبد جاهل عاجز لا يقدر على شيء وهذا أول مقام من المحبة وأوسط حال في التوكل فقد كفي الخلاق هذا كله حسن تدبير الخلاق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والقدر الى بصيرة ويقين بالرجة والنعمة يقع بهم مافي القلوب تسكين ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس وسيطاع العموم على سر هذا من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطيفة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراء من عجائب الخب في السموات والارض وقد اطعم الله على ذلك العلماء به في الدنيا قبل الآخرة وهو محمود مشكور له الحمد في الاولى على ما اظهر له الشكر في الاخرى على ما أخفى وستر ففي كل واحد منهما انعمة سابغة ورحمة واسعة وحكمة بالغة ولكن قد خلق العلماء باخلافة فليس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف انتهى وقال الشيخ ابن عطاء الله قدس سره في لطائف المنن وناهيك به جلالة قدره أن التقى السبكي كان يفخر بحضوره في حلقة وعظمه كرفيه مانصه اعلم ان الله تعالى لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو نهي الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شيء يخرج عما أو كراهة الا والمصلحة لهم في تركه ولستنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل على سبيل التفضل فليت شعري اذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه انتهى وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقرئناه به

*(فصل) في نبذة أحاديث وآثار مناسبتا تقدم روى أبو تميم في الخليفة وابن أبي الدنيا في كتاب

الاولياء من حديث أنس يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا أغضب لاوليائي كما يغضب
 البيت الجرد الحديث وفيه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخل عجب
 فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
 لمن لا يصلح إيمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الصحة ولو أسقمته
 لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين ان لا يصلح إيمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني أدبر أمر عبادي
 بعلمي بقلوبهم اني أعلم خبير وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله تعالى ربمأسألتني وليي المؤمن
 الغني فاصرفه من الغنى الى الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره وربمأسألتني وليي المؤمن الفقير فاصرفه الى
 الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شره وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال موسى
 يارب أعطيني الدنيا أعداءك ومنعتها وأولياءك فما الحكمة في ذلك فأوحى الله اليه أعطينتها أعدائي ليمرغوا
 ومنعتها أوليائي ليتضرعوا وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كليب الجهمي قال الله لولان الذنب
 خير لعبدي المؤمن من العجب ما خلعت بين عبدي المؤمن وبين الذنب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة
 لولان المؤمن يحب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهيم به ولكن الذنب خير له من العجب وروى البخاري في
 تاريخه من حديث أنس عجا للمؤمن ان الله لم يقض له قضاء الا خيرا له وروى ابن جرير في التفسير عن ابن
 عباس قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وان كان خلاف هواك
 فانه ثبت في كتاب الله قالت يا رسول الله فاین قال وعسى أن تذكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
 شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فهذه الاحاديث كلها شاهدة لسياق المصنف وأما الآثار فمن سعيد بن جبیر
 قال قالت بنو اسرائيل يا موسى يخلق ربك خلقا لم يعذبهم فأوحى الله اليه ان ازرع فزرع ثم قال احصد فصد ثم
 قال ذره فذرا فاجتمع القشر فقال لا شيء يصلح هذا قال النار قال فكذلك لا أعذب من خلقي الا من استأهل
 النار ورواه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وسئل ابن عباس عن القدر فقال وجدت أصوب الناس فيه حديثا
 أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظرا ازداد تحيرا ورواه الطبراني وقال
 وهب بن منبه يقول الله تعالى ان من عبادي المؤمنين من يسألني الشيء من العبادة فأجيبها عنه مخافة ان
 يدخل عليه الا عجب فيفسد عليه عمله وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان
 شره وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره ورواه أحمد في الزهد عن أبي حازم
 قال ان الرجل ليدب الذنب وما عمل قط حسنة أنفع له منه ويعمل الحسنة وما عمل سيئة قط أضر عليه منها ورواه
 عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وقال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب فوجدت الله يقول يا ابن آدم ان
 أحب ما تكون الي وأقرب ما تكون مني اذا كنت راضيا بما قسمت لك وأبغض ما تكون الي وأبعد ما تكون
 مني اذا كنت سائطا لاهيا عما قسمت لك يا ابن آدم أظنني بما أمرتك ولا تعاني ما يصلحك اني عالم بخلقك ورواه
 أبو نعيم في الحلية وغير ذلك من الآثار التي في ذكرها تطويل وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد واغاطة للمستريب
 * (فصل) * وهذه المسألة التي نحن في سياقها بآراء الشواهد عليها شهيرة بين العلماء وهي في بادئ النظر
 سهلة ولكن عند التأمل عقدة تعب في حلها كثير من الشيوخ واختلفت آراؤهم وكثر نزاعهم وتشعبوا فرقا
 وسلكوا فيها طرقا فنفهم من رد على المصنف ذلك ونسبه الى رأى الفلاسفة والاعتزال ومنهم من انتصر له وحاول
 عنه النضال ومنهم من زعم انها مدسوسة عليه وقوى ذلك الاحتمال وقد سبق مني وعد في مقدمة كتاب العلم
 حين ذكرت ترجمة المصنف واستطردت فيها الى ذكر مصنفاته ومقالاته والرد على الطاعنين في مؤلفاته وكلماته
 ان اذا وفقني الله تعالى ووصلت الى كتاب التوكل الذي هذه المسئلة مرسومة فيه أتسكلم عليها بما يسر الله
 لذهمي من مجموع كلام الأئمة تسليما وردا ونقدًا وها قد من الله تعالى علي وله الحمد المستقصي حتى يرضي
 ان وصلت الى هذا المقام بعد ان فات من ميقات الوعد الى اليوم نحو عشرة أعوام وقد أعطيت بمنة الله تعالى

لعبارة المصنف استحقاقها شرحا وكشفها بما له من الأدلة والشواهد وفي أثباتها فوائد ورائد وقد عني إلى الآن أن
أجمع كلام أولئك الفرق وأحكامهم بالانصاف تاركا سبيل الاعتساف فما كان صوابا فمن الله تعالى وما
كان خطأ فمن سوء فهمي وبلادة قريحتي والمطالع يساجني ويغض عن اساءتي فاني مقر بقلة بضاعتي وقولص
نقل حصاني ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما عني من تقارفي كلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره
فيها واقتباسه منها فذلك أكد عليه أن يتعلمه ان لم يعلمه وأولى ما يلزم العمل به اذا علمه فما أتى على أكثرهم الا
انهم أتوا البيوت من ظهورها فشدوا عنها وغلفت في وجوههم وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها
للقوا بالرحب والجوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من حجب الغيب قال المصنف رحمه الله تعالى في اول
الاملاء أيها الطالب للعلوم والناس في التصانيف والمتشرف على كلام الناس ليكن نظرك فيما تنظر فيه - بالله
ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أو الى من جعلت نظرك به اذا كان غيره من فهم أو علم أو خطا
أو امام متبوع أو حجة ميزات أو ماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار عملا لغيره ونكصت على عقبيك
وخسرت في الدارين - فمقتك وعاد كل ما هو لك عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحد وان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سراها واذا نظرت في كلام
أحد من الناس من قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كن يستغنى عنه في الظاهر وله اليه كبير حاجة في الباطن ولا
يقف به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات والصدور أفتح من الكتب المؤلفات واطمع بنظر
قابل في كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك وجه قدره ويفتح لك باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه
بفساد وليكن تحسین الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك مما تتيقن من معانيه فاذا رأيت حسنة
وسيلة فانشأ الحسنة واطلب المبادئ والاسئلة ولا تكن كالذباب تنزل على أقذر ما تجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة
ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فاسلك عالم عور وله في بعض ما ياتي به احتجاب وناهيك
بما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن في الظاهر
بمحال واختلال فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل الـ لم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتي لك
فاحفظها وتذكرى اياك فلا تذهل عنه وأزيدك زيادة تقتضي التعريف باصناف العلماء لكي تعرف أهل
الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر متعة وتولي في وصفهم ابلغ غرض قال بعض علمائنا العلماء ثلاثة حجة وبحاج
ومحبوج فالحجة والحجاج عالمان بالله وبامرء وبآياته علامتهما الخشية لله والورع والزهد والابتنان لكن الحجة
محفوظ من المراء والجدال فهو خير عليهم على صراط الله المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار
البسدة فقد أخرس المتكلمين وأغهم المخترعين برهانه ساطع وبيانه قاطع وبواضح برهانه ودلائله واضح
لحق المبين فهو رباني عليهم على صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبامرء وبآياته ولكنه فقد الخشية لله
برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد وبعده من بركات علمه ومحجبه العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد
العبيد الدنيا خادم لخدمته هامة فتون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد تقربه شأنه الاحترار لنعم الله تعالى
والازراء بأوليائه ونفخه بلقاء أميره وصلة ساطعته قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بعلمه وأهلك من اتبعه واقتدى
به فويل لمن يحبه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو كل بدينه غير منصف لله في نفسه ولا ناصح له في عبادة فنه وذ
بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى فالصنفان الاولان من العلماء قد ذهبوا وان كان قد بقي
منهم فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة وذلك لما ظهر في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل اصلاح
والرشاد وأعز شي في الغالب على وجه الارض ما يقع عليه في الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور وبه وانما
الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجترأ وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدا وبالم يفعلوا
وهم أكثر من هم الارض وصير وأنفسهم أو ناد البلاد وارسان العوام وهم خلفاء ابليس وأعداء الحقائق
واخذان العوائد السوء عنهم يردعيب الحكم الشرعية وانتقاص أهمل الارادة والدين فاحذرهم قاتلهم

الله أنى يؤفكون اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم
أضل أولئك هم الغافلون هذا كله كلام المصنف في خطبة الاملاء وقد اختصرته في بعض المواضع ولما أخذنى
ذكر ما وعدنا به واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السيرة وغفران الجبرية فهو ربي ورب كل شئ واليه
المصير فاعلم ان الطائفة الاولى وهم الذين ردوا على المصنف هذه الجملة ولم يقبلوها وقابلوها على كلام أهل السنة
فوجدوها غير دائرة عليه واستشكلوا فيها أمرين الاول قوله ليس في الامكان أبدع مما أوجده الله والثاني قوله
في اقامة الدليل عليه لانه لو كان واذخره مع القدرة لكان بخلاف يناقض الجود الالهى وظلما يناقض العدل أو
لامع القدرة كان بخلاف يناقض القدرة الالهية فنقدوه بهذا الدليل انه محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ومحال
التوقف في هذا الدليل قوله وظلما يناقض العدل فان الناس قد توقعوا فيه موقالوا انما يناسب أصول المعتزلة
القائلين بوجوب الاصلح على الله والافعلى أصول أهل السنة انه لا يجب عليه فعل الاصلح ولا يكون منافضا لعدل
لان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل هذا الذى فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعة وتشعب ارجائه ولكن
الحاصل ما ذكرته فن هذه الطائفة الامام أبو بكر بن العربي شارح الترمذى وتلميذ المصنف فانه وقد عليه بالعراق
وأخذ عنه علما جاكاذ كره في العواصم والقواصم قال أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى
قال أبو بكر بن العربي قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولنا عظيم الله عليه أهل العراق وهو شهادة الله موضع
انتقاد قال ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة ولو كان في القدرة أبدع منه واذخره
لكان ذلك منافيا للجود وأخذ ابن العربي في الرد عليه الى أن قال ونحن وان كفاطرة في بحره فاننا لانرد عليه الا
بقوله ثم قال فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الحقائق ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق ومن تلاه
في الرد الامام أبو عبد الله المازرى والامام أبو الوائيد العارطونى وهما لم يخصا بالرد عليه في هذه المسئلة بل أطلقا
القول في هذه المسئلة وغيرها في مواضع من كتاب الاحياء تبين فيها الفلاسفة المازرى لما سئل عن كتاب
الاحياء ومصفه قال في الجواب هذا الرجل وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم
يحتكى لى نوعا من حاله وطريقته فأتلوج بها مذهبه وسيرته ما قام لى مقام البيان فانا أقصر على ذكر حال الرجل
وحال كتابه ثم ذكر انه اكتسبه قراءته الفلسفة خراة على المعاني وتسهيلا للمجموع على الحقائق وعرفنى بعض
أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ثم ذكر ابن سينا وانه يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من
الفلسفة وقد أجاب عنهما التاج السبكي بما مر أكثره في مقدمة كتاب العلم حاصله ان ابن سينا عنده من الهالكين
فكيف يعتمد عليه وليس في كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصفه الا بعد ما زدرى علومهم ونهى عن
النظر في كتبهم وقد أشار هو الى ذلك في مواضع من الاحياء وأما هذه الجملة التي وقع فيها النزاع والخصام
ومكابرة الاداء الطغام فلا شك انها فلسفية وأوجب للمازرى ولا مثاله اعتقاد هذه الامور الزدية والخلاص منها
الحكم بانهم ادسوسه عليه معزوة كذباً وبهنا نال اليه فيج الله واضعها وعازيها اليه وضائعها اه ومن المعترضين
عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى المالكي صنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب
الاحياء للغزالي وقال المسئلة المذكورة لا تنمى الاعلى قواعد الفلاسفة والمعتزلة ومع رده على المصنف قد أساء
القول فيه جدا اذ تنقص من مقامه وغض من رتبته وهذا لاوافقته فيه أحد فان المصنف امام الدنيا والدين
وقطب العلم والحال والمقام وامام المسلمين رافى لم أقف على كتابه المذكور وانما اطلعت على نقول منه
بالوساطة ومن نقل عنه الانكار امام عموما واما خصوصاً التتقى بن الصلاح ويوسف الدمشقي وابن الجوزي والتتقى
السبكي وابن قيم الجوزي بقا الحافظ الذهبي وقد ذكر في تاريخ الاسلام الانكار عليه عن جماعة من الائمة ومن جاء
بعده هذه الطائفة الامام بدر الدين الزركشى فقد قال في تذكرة حين ساق هذه العبارة هذه من الكلمات العقم
التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع هكذا نقله غير واحد وله في توجيه الكلام أجوبة سباني ذكرها بعد ومن
جاء بعد هذه الطائفة بكثير فتعصب عليهم وطعن البرهان ابراهيم بن عمر بن حسن البهائي الشافعي أحد تلامذة

الحافظ ابن حجر فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه أحداها المقصد العالي في ترجحة الامام الغزالي مدحه في
أوله وأطال فيه ثم تعرض للرد عليه في هذه المسئلة والثانية تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان
والثالثة دلالة البرهان على ان في الامكان أبدع مما كان وكل من الثلاثة عندي قال في الثانية وبعد فهذا
كتاب سميت تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان اردفيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة
المطلقة بهذه العبارة التي عنوانها ان الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئا أبدع من هذا الذي كان من هذا
الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما غاب عنا باعلام الرسل عليهم السلام لان ذلك على زعمهم من قبيل
المحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الارادة عنه لان من شأنها أن لا تتعلق بالمحال وهذا يشبه أن يكون قول من
يقول ان الاله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان أو انه قول من يقول بقدم
العالم بالذات حتى لا يكون شئ سوى هذا الوجود المشهود انما هو على زعمه ارحام تدفع وأرض تبلع وهو قول
أهل الطبيعة القائلين بان حوادث هذا العالم علتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض وهو باطل من الاول
أو قول من يقول بانه تعالى يجب عليه رعاية الاصلح وقد تناظر أهل السنة على رده واغتر بقولهم هذا بعض
الناس وأكدر ورههم بهذه المقالة ان أخذها الامام حجة الاسلام وأودعها بعض كتبه وهو الامام الذي
لا مطعن في دينه ولا علم ولم يقصد بها ان يثبت عنه الاخبار غير انه ليس بمعصوم وهي زلة منه وقد رد عليه صناديد
العلماء في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مرفوضة أمانق له هذه العبارة فقال في كتابه المسمى
بالجواهر والاربعين في أصول الدين وفي الاحياء ثم ساق عبارة الاخيرين ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يطلع
عليه وقد سقناه نحن آنفا وهذه العبارة في موضعين منه ثم قال وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته
فاجاب كل عزمي اليه ان صح ذلك عنه في كتاب اسمه الاملاء على الاحياء فقال مانصه فساقيه الخ كما سند كره
بعد ثم قال انتهى جميع ما وقف عليه من كلامه على هذا المعنى حسبا عزي اليه والله أعلم بحقيقة الحال هل
هو كلامه أو مدسوس عليه كمن ظننته قبل اطلاعي على هذه النقول كمدس عليه بعض المجرمين كتبها كاملة
كأنه على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك الى تشبیه فساد ما بالطين في هذا الاستاذ واما تشبیه ما في تلك
الكتب من فساد الاعتقاد هذا وما تضمنته هذه النقول هو كما ترى ظاهر جرد في نسبة الله الى العجز عن ان
يبدع عالما أكمل من هذا العالم وفي انه بعد ابداع ما هو أكمل من هذا المحال حتى يصير مما ليس من شان القدرة
أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعاً ولا يثبت كون الشئ محالاً بمجرد الدعوى بل نقول انه ممكن فهو مقدور
عليه وادخاره لا يلزم منه بخل ولا عجز كما يلزم ذلك من خلق شخص من الاشخاص الادميين على غاية البشاعة
في صورته ومعناه خلقاً وخلقاً مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق حتى يكون على صورة من هو أكمل
منه سواء بسواء لاشبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادر على أن يبدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة
مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض بوجه ولو شاء الله ما اختلفوا ولو شاء الله ما اختلفوا
ولا شك ان ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا الخلف والتدابير والتباغض والتنافر ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى ولو شاء لا عطى كل نفس هذا ولو شاء لحفظ الارض من الفساد بعد اصلاحها ثم ذكر نقولاً من كتاب
الاحياء مما توافق مقصوده في ذلك عبارته في الصبر والشكر الذي يقول فيها ان كل مصيبة ومرض فيصور
أن يكون أكثر من ما قد متدورات الله لا تنتهي الخ قال فهذا نص في ان الله تعالى لو أراد أن يخلق عالماً أعظم
من هذا أو أبدع كان عليه هيناً ولا يلزم من ذلك محال ومن ادعى لزوم محال أو عجزاً أو بخل فليبينه حال كونه
مستغنياً لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل الذي من مفهومه انه لو فعل ما ينافي ما نسميه حكمة كان له ذلك ولم
يلزم منه محال مع أن الله ادعى انه يفعل ما ينافي الحكمة فكيف اذا فعل ما هو أحكم مما فعله أو لو كان قد ادخره لما
لأنه لم يخلق من الحكيم ومنها عبارته في كتاب المحبة تعالى عن سهل الله عباده في هذه البلدة وسألوا الله أن لا يقيم الساعة
لم يقمها قال المصنف وهذه أمور ممكنة في أنفسها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وبجانب الملك والملكون

كثيرة ومقدورات الله لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له اه قال وهذا نص آخر منه على انه خلق عالم ابدع من هذا العالم يمكن فانه من جملة المقدورات التي قال وهو الحق انه لانهاية لها والفضل الذي نص على انه لا غاية له وجوز عدم قيام الساعة لانه يمكن مع انه يحيط بالحكمة ولولا هو لكان خلق هذا العالم صورته صورة العيب وقد قرر هو ان ترتيب الدنيا على الآخرة من جملة ما هو في نهاية الابداع وقد قدم في تلك الكلمات المعترضة ان المسببات رتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكمل ومن جملة المسببات التي دخلت تحت هذا النص يوم القيامة الذي رتبت على نظام الناس في الدنيا ليظهر فيه العدل وتزاجهم ليظهر الفضل وقد جوز ان لا يكون فان كان تركه أحسن من فعله وأبدع انتقض قوله على أكمل الوجوه وأحسنها وان كان تركه أقل حسنا من وجوده وهو كذلك بل لاشئ من الحسن في تركه انتقض قوله في الاملاء فليس في الامكان أن يفعل لانهاية ما تقتضيه الحكمة فكان له أن يفعل ما هو حكمة وليس هو النهاية مما تقتضيه الحكمة وهذا هو الحق وهو لا يستل عما يفعل وهو المختار في أفعاله ولا حد لحكمته كما انه لا حد له هو تعالى جده وتقديس مجده ثم ذكر انه لا ريب في ان الله تعالى قادر أن يجعل الجبال كلها ذهباً وعلى ينقل ان جبل قاسيون الذي يحب عن دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدله بأشجاراً وأنهاراً وذكر أشياء من هذا النمط مما تعرض على أدنى الطلبة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ثم قال غاية القول في هذا ان قائله ظن ان وجود الابدع محال غير داخل تحت القدرة وهو غلط في ذلك هذا حاصل ما ذكره في تهديم الاركان وقد رد عليه الحافظ السيوطي فاحسن وأجاد حاصبه ما قدمنا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجودات ما ومنصب على كونه ابدع من الموجودات في حجة الاسلام كون شئ مما يمكن وجوده ابدع مما وجد مع قطع بصلاحية القدرة لا يجاده فقوله ان في القدرة جعل الكافرين كلهم مؤمنين على الفطرة مسلم لاشك في صلاحية القدرة لذلك كيف وقد قال تعالى ولو شاعرك لآمن من في الارض كلهم جميعا لكن النفي كون ذلك لو وقع ابدع والمدعى ان ما صنعه الله من جعل الناس قسمين مؤمنين وكفاراً ابدع من حيث الحكمة وكذا انقسامهم الى طائعتين وعصاة ابدع من جعلهم طائعتين وهذا هو السر الذي ورد انتهى عن كشف سره وقد لحظ فيه من حيث الحكمة انه لولا الكفر لم يعرف مقدار الامعان ولولا المعصية لم يعرف مقدار الطاعة ولولا النار لم يعرف مقدار الجنة فهذا بعض أسرار كونه ابدع وكذا نقول انه سبحانه قادر على جعل الناس كلهم أصحاباً أغنياء وذوي حسن وجمال لكن جعلهم متفاوتين ابدع وقول المعترض في قدرة الله أن يجعل الجبال ذهبا مسلم ذلك وأكثر منه وقد عرض على نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك لكن الابدع ما صنعه ولو كانت الجبال كلها ذهباً لتعطال الوجود وترك الناس الزراعة وسائر وجوه المعيشة فيؤدي الى هلاكهم وهذا هو السرف في انقسام الناس الى زاهد وحريص ووضع الامل والرغبة في الدنيا ولو كان الناس كلهم زهادا ولا آمال لهم لم تركوا المعاش والمناجر والاسفار وجلب الامتعة من البلاد القاصية فلم ينتظم للناس أمر المعيشة فكان صنع الله ابدع وأضافوا كانت الجبال كلها ذهباً لاقتتلوا عن آخوهم كما يقع لهم حين يحسروا الفرات عن كثرة من ذهب كما في الحديث ولما كان ذلك الامر في ذلك الوقت ابدع لاقترب الساعة أوجده الله حيث نذر وقول المعترض ان في قدرة الله ازالة جبل قاسيون الخ هذا مسلم كيف وذلك كان لا محالة قرب الساعة كما قال تعالى ويوم نسير الجبال لكن اثباته الا أن ابدع من ازالته وان كان حاجبا للريح الطيب عن دمشق فاعل البارئ سبحانه علم بحكمته ان الاصح لهذه البلدة بحب الريح الطيب عنها ولا يستنكر ذلك قرب أمر حجة لا يصلح لها شم الريح الطيب وقد قال الأطباء ان الامكنة الرديئة تصح في الأزمنة الوبدية فتصح عند فساد الهواء وتفسد عند طيب الهواء فقد تكون دمشق في علم الله كذلك فلم ان الاصح لها بحب الريح الطيب عنها وقد تكون الحكمة في ذلك راجعة الى الارساء لان الجبال لما خلقت لارساء الارض حين مادت فوضع كل جبل في مستقره لحكمة فلهذا لو أزيل عن مكانه أدخل بحكمة الارساء فان الابدع وضعه هنا وان

أدى الى ضرر آخر من حبس الريح لان مراعاة الاشدد ضررا مقدما على الاخف والحسن يترك لها هو أحسن منه والضرر يرتكب لدفع ما هو أشد ضررا منه وقول المترضى ان الله تعالى لا يجب عليه الاصلح هذا مسلم ومن ادعى انه واجب وانما نقول انه تعالى فعل الابدع في مصنوعاته فضلامه ومثالا وجوبا تعالى عن ذلك كما نقطع بانه يدخل أهل طاعته الجنة فضلامه لا وجوبا عليه ولو شاء لدخلهم النار لكنه لا يفعل كرامته فالحاصل اننا نقول ان كل موجود على وجه يمكن ايجاده على عدة أوجه أخرى وان القدرة صالحة لذلك غير ان الوجه الذي أوجده الله عليه أبدعها العلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه ولا ننفي أن يوجد بعده ضده ونقول انه اذا وجد ضده في الزمن الثاني كان ذلك الضد في ذلك الزمان الثاني أبداع من الضد الاول فكل موجود أبداع في وقته من خلافه والمعتزض فهم من الكلام انه اذا حكم على موجود بانه أبداع استمر ذلك الحكم فيه الى يوم القيامة واقتضى ايجاده ضد أحسن منه بعد ذلك فالزم عليه الاشكال وهذا غلط محض بل المقصود ان كل ما أوجده الله في وقت فهو فيه أبداع من غيره وله أن يوجد غيره في وقت بعده ويكون ذلك الغير في ذلك الوقت أبداع من الامر الاول وهلم جرا فبدى في اليوم الواحد ضد كثيرة على سبيل التعاقب في كل ساعة منه ضد وكل واحد أو جد في ساعة أبداع فيها من غيره والذي أوجد في الساعة الثانية أبداع فيها من الذي أوجد في الاولى وهكذا وكل ذلك مناطه اعتبار الحكمة الله في أفعال الله وعلى هذا الاشكال البتة ولا يحتاج كلام حجة الاسلام الى تأويل ولا صرف عن ظاهره ونحن نرى أناسا أقامهم الله في أسباب وهم يظنون ان غيرها أحسن حالا منها فلا يزالون حتى ينقلوا منها الى غيرها فلا ينتظم لهم فيها أمر البتة يعودون الى شر ما كانوا عليه ويؤل أمرهم الى العود الى السبب الاول وهم اذا يعرف كل ذي بصيرة ان الابدع والاصح في حق كل أحد ما أقامه الله فيه فان قلت قد انتهت الكلام على الحكمة في أحوال العالم دون حكمة كله كاشتماله على الضدية مثلا من حيوان وجاد ومخلوق وساكن بحيث يمنع ايجاده وايجاد غيره على غيرها قلت قد تولى الله تعالى تبين حكمة ذلك في كتابه العزيز حيث قال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال المفسرون هذه اشارة الى المتضادات المتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان والهدى والضلالة والشقوة والسعادة ونحو هذا وفي ذلك دلالتان الاولى على انه تعالى فرد لا ضده ولا شبه ولا عدل ولا مثل والثانية على القدرة حيث أوجدت الضدين بخلاف ما يفعل بطبيعته واحدا كالسجين والتبريد هذه عبارة السبكي في تفسير هذه الآية نقلا عن مجاهد والطبراني هذا كله سياق الحافظ السيموطي رحمه الله تعالى وسياقي ايراد اعتراضه على كلام المصنف في الاحياء وفي الجواهر والاربعة عند ذكر سياق جواب الاملاء

(فصل) ومن المعتزضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسي المصطفي المتولد سنة ١٠٩٠ هـ فانه صنف كتابا سماه الذهب الابريز جمع فيه ما استفاده من شيخه الولي الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدي الشريف عبدالعزيز بن مسعود الحسني الادريسي الشهير بالدباغ قدس سره ونفعنا به قال فيه وسألته رضي الله عنه عما نسب لوجه الاسلام من قوله ليس في الامكان أبداع مما كان فقال رضي الله عنه القدرة الالهية لا تحصر والرب سبحانه لا يجزه شيء ثم قال قلت وهذا الكلام في غاية الاتقان والعرفان وقد استخرت الله تعالى غير مرة في أن أكتب شيئا في هذه المسئلة بحجة للخير ونصيحة للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الضروريات ولكن لما كثر فيها القميل والقال واختلقت فيها أجوبة الرجال كادت تلحق بذلك بأدق النظريات فنقول مستعينا بالله وحوله ثم ساق عدة آيات وأخبار تناسب سعة المقدورات وقد ساق تلك الآيات بعينها البقاعي في رسالته ثم قال واذا تأملت هذه الآيات والاحاديث علمت انه الحق الواضح والطريق المستقيم الراجح وقد اعتنيت بسؤال العامة عن هذه المسئلة الذين قالوا بهم ضالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فأقول لهم هل يقدر ربنا على ايجاد أحسن من هذا

العالم فيقولون ومن يتوقف في هذا ويرى بنا على كل شيء قد بر وقدرته نافذة لا يعجزها شيء من الاشياء اه قلت
 ومفهومه ان حجة الاسلام يتوقف في ذلك وينسكرك سعة القدرة وهذا من أعجب الجباب ولو سئل عنها حجة
 الاسلام ماذا كان جوابه وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة ثم قال قلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على
 ايجاد افضل من هذا العالم فقال لي ألا تسمع الى قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ولم يقيد الجديد
 بكونه دوننا فجاز أن يكون افضل منا أو مساوينا فأنعجبني والله فهمه اه قلت وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل
 فان في سعة قدرته ما يقتضي ذلك ولكنه لم يشأ باذهابنا فكأن وجودنا هو الابدع وليس في تنبأه الحجة أن
 الابدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا يخطر ببال أحد ولا الكفار ثم قال قلت لبعض الفقهاء ما قولك في
 قول أبي حامد ليس في الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه الشعرا في غيره فقلت انما سألت عما عندك
 فيه فقال وأي شيء عندي فيه فقلت ويحك انها عقيدة أرايت ان قال لك قائل هل يقدر ربنا على ايجاد افضل
 من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله تعالى لا تنهاه في قدرته على ايجاد افضل من هذا الخلق بألف
 درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت له وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان
 ينافي ذلك فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء فاذا سألتهم عن عبارة أبي حامد
 استشعر واجلالته فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعوم القدرة وعدم
 نهاية المقدورات اه قلت لو تأمل السائل والمسؤول حق التأمل لعرفا أن العبارة المذكورة ليس فيها
 تعرض لنفي القدرة أصلا كيف وقد صرح باتباعها في الدليل حيث قال ولو لم يكن قادرا كان يحجز انقاض
 الالهية فكيف يقال عليه مع ذلك انه نفي الدخول تحت القدرة وتبديل العبارة بسببها آخر غير مناسب
 خصوصاً للعامة فان التصرف في العبارات بغير المعاني وهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة في
 آخر مقام التوكل حيث العبد على الثقة بمولاه والرضا بقضاء الله حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته
 لا استراحوا من القول والقليل ثم هذه المسئلة لها طرفان فطرفها الخارج في علم الكلام الذي هو من توابع علوم
 المعاملة ان صحبت فيه النية وطرفها الداخل متصل بعلم كمال الايمان الذي هو داخل في جملة علوم المكاشفة ومن
 وراء سر القدر المنتهى عن افشائه كما أشار اليه المصنف في آخر السياق فالعلم بهام من عالم الملكوت ولا يفهمها الا
 من اطلع على هذا العالم ثم ان هذا المعارض لو تأمل ما أوردناه من الوصية المرضية لم يرجع الى نفسه بالسكوت
 وتأدب مع الله تعالى ومع أهله وخاصته ومن العجب أن مثل حجة الاسلام يحاطب بمثل هذه العبارات ويقال له انك
 تنسكرك قدرة البارئ وتنسب اليها العجز وتنسب الى البخل وتقول بوجوب الاصح عليه أو تقول انه قائل بتقديم
 الزمان وما أشبه ذلك أن تعلم أملك البضاع ودايتك الرضاع ولو سلوا لاهل التسليم سلوا ثم قال سيدي أجد بن
 مبارك وكذا وقع له مثل هذه العبارة في مقاصد الفلاسفة وقد اخذت العلماء فيها على ثلاث طوائف فطائفة
 أنكرونها وادخلوها وطائفة أولتها وطائفة كذبت النسبة اليه وذهبت مقامه عنها ثم ساق كلام ابن العربي
 شارح الترمذي الذي سقناه أولاً ثم ذكر ابن المنير واعتراضه ثم ذكر كلام ابن أبي شريف في شرح المسامرة بعد
 ان ذكر ان في مقدورات الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم مانعه ثم ان ما في بعض كتب الاحياء ككتاب
 التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهل عن ابتناؤه على طريق الفلاسفة وقد أنكروه الاثمة
 في عصره اه قلت كيف يكون هذا ذهولاً من أبي حامد وقد ذكره في عدة كتبه كما تقدم نصراً بها وتلويحاً
 ومن شأن الذاهل انه اذا نبه عليه في ذهوله يتنبه ويرجع الى الحق من غير تلعثم اذا كان منصفاً قوياً بالحق كما
 وقع له في مسئلة الدور فانه لما طهره الحق رجوع وصنف رسالة في الرد على نفسه وأنصف وهذه المسئلة قد
 أجاب عنها بنفسه وصمم عليها والمسئلة كما ذكرنا من علم سر القدر ومن علوم المكاشفة ولا يمنع توافيق بعض
 عبارات الفلاسفة معها فينبغي التسليم فيها فانه أعرف بهم ممن أتى بعده وكل من تكلم فيها فأنها هو من جهله
 بحقائق عالم الملكوت فان تطابق ما بين العالمين في الحقائق والقواعد صعب وهو قد أشار الى ذلك بأنه قد غرق

فيه طوائف من القاصرين وكل متوغل في عالم الملك غير مطلع على أسرار ما بعده فهو من القاصرين فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه ولا يغرق مع الغارقين وله الويل ان لم يكن من الناجين

(فصل) * والطائفة الثانية قالت ان هذه المسئلة قد درست في كتبه قال البهائي في الرسالة الاولى قد ألحقها في كتابه من لم يراقب الله تعالى والدليل على ذلك انها مناقضة لكلامه في جبر عقائده المشهورة وانه نقلها عن الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة وردّها في كتابه تهافت الفلاسفة وأخذها أهل البدع منهم ونقلوها عنهم وأجمع الامّة على انها لا تعلق على الله تعالى لاجتماعهم على أن ما يوهّم نقصا لا يقال عليه وهذه ان لم تكن تفهمه فهي اقوهمه ومن صرح بها بالخصوص البدر الزركشي كما تقدم النقل عنه ثم ساق النقول وقال في الرسالة الثالثة واذا تأمل حق التأمل مع تحكيم الشرع والخلو عن حظ النفس علم ان ما افعله الغزالي مما عزي اليه وهو شديد الشبه بكلام المعتزلة والفلاسفة كذب عليه لاتصع نسبته على هذا الوجه اليه لانه ان لم يكن عين ما نقل عن المعتزلة فهو شديد القرب منه عبارة ومعنى وانظر الى عبارة الاحياء والاملاء وعرضهما على كلامه في غيرهما تراها تنازعة الى ما يوهّم نقصا في حق الله البتة فان رأيتهما أو كثيرا من جلهاء عين كلام المعتزلة الاخذين له عن الفلاسفة أو قريبة اليه جدا فانفها عن الغزالي لبعدها عما مضى من كلامه فان ذلك ممكن لان الحساد كثير ولهم مكر كبير وكيد تكاد منه الجبال تسير وقد كذبوا على غيره ليشوا باطلهم المقعد بحسن سيره وذلك أقعد في تزويه عنها وتبريته منها وان رأيت أن تثبتنا على وجهها وسياقتها من غير أن تجوز فيها تحريفا أو دسا لوجب زيفا أو لبسا ثم تؤول وترتكب وعراضا بحزنا وتعاسيفا خشنا عليها تقول فافعل ان استطعت ذلك الى ان قال ولا تستوحش من قولي ان ذلك مدسوس عليه لاجل كثرة الكلام وطوله مع أن الاحياء شهر النسبة اليه فاني لم أعن بذلك الجميع بل هو دون خسين كلمة وهي قوله في الجواهر ليس ليكون الكلام اثباتا لامكان الابدع وقوله ولو كان الى القدرة وقوله الواجب وقوله وليس في الامكان الى قوله الالهية اذا حذف هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شيء الا صيغة الفعل وقد جرت العادة بالاثبات بها في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح واردة معنى من والذي دلنا على ارادته المبالغة مع استلزام الحقيقة المحال وهو تنهاى القدرات قوله عقب ذلك في الدلالة عليه وأشار الى وجه اثباتهما أى العلم والقدرة بانه قادر على ابدائهم وابداء ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فهذا هو العذر عن الاحياء وعن الجواهر وأما الاملاء فليس مشهورا عنه فالظاهر ان الذي دس في الجواهر والاحياء اتقن دسه بما ذكره في الاملاء اه

ومن جوار الدس عليه واعتمده التقي السبكي واستحسنه مولاه التاج كما تقدم عنه في الكلام مع المازري وقال سيدي أحمد بن مبارك وأما الذين كذبوا نسبة هذه المسئلة اليه فستندهم انهم عرضوها على كلامي في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيضين فضلا عن أبي حامد فلذلك حكمتنا بطلان نسبتها اليه ثم ساق عن المستصفي والاقتصاد ثم قال وأنت اذا تأملت ما وقع للامام أبي حامد في الاقتصاد وفي مواضع من الاحياء أيقنت ان تناقض ما نسب اليه في المسئلة المتكلم فيها فانه قضى فيها بان ادخار الابدع مع القدرة عليه ظلم ويحل وقضى هنا بان صب العذاب والالام والاصاب على الخلاق عدل لا ظلم فيه والتناقض بينهما اظهر لا يخفى فان ادخار الابدع اذا كان ظاهرا يناقض العدل كان صب العذاب والالام والاصاب ظاهرا يناقض العدل بالاولى والآخرى وقد حكم عليه هنا بانه عدل لا ظلم فيه وقد صرح في المسئلة بانه ظلم يناقض العدل فيهما فتاقت الكلامان وهذا المكان في الوضوح لا يخفى فان قلت كيف تكون المسئلة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولا سيما في الاملاء فان ذلك يقتضى انه وقف على اشكالها واشتغل بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه لبادر الى انكارها وتبرأ من قبحها وعوارها قلت لا مانع من أن يقع الكذب عليه مرتين مرة في نسبة المسئلة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار ما معناه ان وجود مسئلة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة الى امام لا يدل على انه قالها حتى تنقل عنه نقل متواترا

ليستوى فيه الطرفان والواسطة وذلك مفقود في مسئلتنا قطعاً فلذلك قطعنا بانه لم يقلها حيث وجدنا مخالفة لعقيدة أهل السنة والكلام الغزالي في سائر كتبه اه قلت هذا الذي ذكره بعيد ولو كان ذلك في كتاب واحد كان الامر سهلاً وما كان الغزالي من الموصوفين بالبلاغة حتى يمشي عليه الدس في كتابه ويسكت عليه ولا يتفطن له مع رسوخ قدمه في علم الكلام وسائر العلوم وهبه انه فطن له ونهوه عليه واستشكاه ما كان مقتضى ورعه وعلمه ان يتبرأ منها ويصحح بان هذا ليس من كلامي بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة في معرفة اصطلاح القوم ووصية جامعة تقدم ذكرها ومن جملتها اذا نظرت في كلام أحد من الناس فلا تقف به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات واذا عرض لك فيه اشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلاف نغمة ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عنك فهمه الى آخر ما قال وهذه المسئلة المتنازع فيها كذلك فان ظاهرها يؤدي الى اختلال وقداعة اص عنها فهم العلماء الابطال فينبغي تسليمها لاهل فهمها والاشتغال عنها بما هو أهم في الحال وادعاء الدس في سائر كتبه حتى في الاملاء أبعد من الاول وما نقله عن القاضي أبي بكر الباقلاني فيه تضيق شديد فان الشرط الذي ذكره مفقود في غالب كتب الاسلام من الفقه والحديث التي عليها عمل الناس اليوم في الاحكام فضلا عن كتب الكلام والرفائق والتصوف ولئن سلمناه فانه يجبر الى فتح باب اللطعن على كثير من مؤلفات الائمة الاعلام فتنبه لذلك

(فصل) في ذكر الطائفة الثالثة وهم المنتصرون للمصنف فأولهم على الاطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه فانه سئل عنها في حياته وأجاب وهذا نصه في الاملاء قال السائل وما معنى ان ليس في الامكان أبدع من هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة على خلقه لمكان ذلك بخلاف يناقض الجود أو عجزاً يناقض القدرة الالهية فقال في الجواب معنى ان ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة عليه كان ذلك بخلاف يناقض الجود الالهى وان لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً يناقض الالهية وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج هذا العالم من العدم الى الوجود عجزاً مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لان تأخيرهما بالعالم قبل خلقه عن أن يخرج من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فاذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفناها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم بحجاري أفعاله ومصادر أموره وليتحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وادارته وقدرته وان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاقتان ومبلغ جودة الصنيع ليجعل كمال ما خلق دليلاً قاطعاً وبرهاناً واضحاً على كماله في صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان كل ما خلق ناقصاً بالاضافة الى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه لمكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلقه ناقصاً في أشخاص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه فلنا ذلك خلق للخلق عقولاً وجعل لهم فهم ما وعرفهم ما أكن وكشف لهم عما يحب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله داهم على نفسه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بعجزه فتسأل الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضاً قد يعترض بهذا ولا نشير به الى من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الفكر الصحيح في منشأته وبخترعائه ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تفرق في عجائباتها ولا لاحظا المكسوت ببصر قلبه ولا جاوز النجوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أغني التعميم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى السكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان من المعارف والعلوم اسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرج من العدم الذي هو نقيض الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله طبقات فمن حى وميت ومغترل وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وجليل وحقيق وصغير وكبير وغني وفقير

بأمور وأمر ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر ومن ذكر وأنتى وأرض وسماء وذنبا وآخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به وهو وجود بقدرته وباق بعلمه ومنته إلى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته فسا أكل من حديثه الأقدمه ولا من تصرفه الاستبداده ولا من ملكه الاملكه فيعود الحديث قديما والمر بوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلقه كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخيل المعتوهين وزيف الزائعين علوا كبيرا هذا آخر ما نص عليه في الجواب وقد نقض البقاعى عبارة الاربعين والاحياء والاملاء فقال في الرسالة الثانية وأما التفصيل فقوله في الاربعين ان الاسباب رتب على المسببات على أكل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكل يلزم عليه أن ندع كل أحد على ما هو عليه فان الذى هو عليه مرتب على سبب من الاسباب على الوجه الذى ادعى انه لا يكون أحسن منه فيلزم من ذلك أن يجب علينا أن ندع الكافر على كفره والعاصى على عصيانه الى غير ذلك مما أمرنا الله بخلافه وقوله ليس في الامكان أحسن منها من مفهومه ان هداية الكفار لا تتم لكن لانه دون ما تنقضه نهاية الحكمة وهذا أمر يناقض صراخ آيات كثيرة وهو نقض للسريرة ولا سيما اذا قرنت هذا الكلام بما عقبه من قوله ولو كان أى غير ذلك ممكنا لكان أى إجماده لذلك الواقع مع ادخاره ذلك الاكمل بخلا لاجودا أو عجزا يناقض القدرة فان ذلك بوضع غاية الايضاح ما قلت ويفهم قوله وليس في الامكان أحسن منها ان ذلك غاية ما يمكن القدرة ان تصل اليه فيناقض حينئذ قول الحق نفسه ان المقدورات لانهاية لها وان كماله سبحانه لاحد له كما تقدم ويلزم عليه أن يكون سبحانه غير مختار في أفعاله وأن يكون مسه النصب في ايجاد كل شئ فان من بذل غاية وسعه في عمل شئ تعبد ولا يكون في العادة ولا يدخل في العقل غير ذلك وهذا يناقض قوله سبحانه وما من من لغوب وزير بهذا الذى فهمته مما ذكره في الاربعين وضوحا وقوله في الاحياء ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فسلكه عدل محض لاجور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل فهذا يدل على قطعنا على أن ذلك الذى وجد من كل شخص بكل وصف قام به غاية ما اتصل القدرة اليه وهو واجب الوجود على ما هو عليه لا يمكن شئ غيره ولا أن يكون على حالة غير حالته التى وجد عليها أو انه ان تحول من حالة كان على دونها في الحسن فيلزم عليه أن يكون كفر الكافر أحسن من إيمانه ويريد وضوحا ما بعده من قوله ولو كان أى في الامكان أحسن منه وادخره مع القدرة ولم يفعل له كان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولا شك ان هذا انما يكون كذلك من يتوجه عليه الحكم ليكون ثم من يوجب عليه أن يفعل غاية وسعه فان قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلا وجائرا وظلما وأما من تم ملكه وكل ملكه فانه لا يجب عليه شئ ولا ينسب الى ظلم وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة في وجوب رعاية الاصطلاح الذى هذا الكلام شديد النزاع اليه بل لا شك انه عين القول به وقوله ولولم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية هذا صحيح ولكننا نجعل هذا المدعى ونقول هو قادر على كل ممكن وهذا من جملة الممكنات لانه لا دليل على استحالته وقوله اذلول الابل لماعرف قدر النهار الى آخره كلام صحيح في نفسه بالنسبة الى ما أوجده سبحانه الآن وأما انه تعالى لا يقدر على التعريف بغير ذلك فلا والله بل هو تعالى قادر على ان يعزفنا جميع الاشياء المتضادة قبل كونها ثم ساق حديث أبي هريرة في نظر جبريل عليه السلام الى الجنة وكيف حفها بالثمار والى النار وكيف حفها بالشهوات ثم قال في هذا أمران أحدهما انه خلق كلالا من الجنة والنار على انقص مما هي عليه الآن فعلم بطلان قوله انه اذا فعل فليس في الامكان ان يفعل الانتهاء ما تقتضيه الحكمة وهذا كما خلق الارض دون الراسى ثم أنها هالى الحد الذى أراده وهو قادر على أعلى من ذلك ولم يكن تأخيرها لما أخر من بخل ولا عجز تعالى الله عن ذلك والثاني انه يمكن معرفة الشئ قبل ايجادها ومن ثم تعرف بطلان قوله ولولم يخلق الناقص لم يعرف الكامل وأما قوله ان ذلك عدل فلا شك فيه والفضل أوسع ولو جعل الامر على غير ذلك لكان عدلا لانه لا يشل عما يفعل وأما كونه حقا لا لعب فيه بان يجعل بدل الكفر الإيمان وبديل

المعصية الطاعة ونحو ذلك ولو جعل بدل إيمان المؤمن كفر السكان ذلك حقاً لا لعب فيه ولو جعل بدل تنعيم الطائع عذاب السكان عدلاً لا جور فيه هذا دين الإسلام الذي لا ريب فيه وإن كنا نعلم أنه لا يفعل ذلك لأنه أخبر بخلافه وهو لا يبدل القول لديه وأما قوله في الاملاء ليس في الامكان أبدع صورة الخ فقد تقدم ما فيه وقوله وكيف يقضى عليه بالعجز فيمالم يخلفه اختياراً ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار الخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيمأذ كثرناه وما الفرق بينهما معناه أن قوله لو دخره مع القدرة لزم عليه العجز يلزم عليه ذلك بعينه قبل ابداع هذا العالم فإن اعتقاد المسلمين أن العالم حادث ولا شأن أنه قبل احدثه كان مؤخر الإيجاد له مع القدرة عليه فإن قلت إن كل تأخير يلزم عليه العجز لزم وصفه بذلك في الازل قبل خلق العالم والافان نقولك وجهها فاجاب بان ذلك التأخير كان واقعا تحت الاختيار الممكن حيث أن للفاعل المختار أن يفعل وإن لا يفعل يعني وتأخيره لأحسن منه ليس داخل تحت القدرة لأنه من قسم المحال الذي ليس من شأن القدرة أن تتعلق به وذلك لا يلزم عليه عجز لأنه ليس من شأن القدرة أن تتعلق به ولا يلزم عليه بحسب لانه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه وهو ناقص لأنه لو سلم كان مخلاً بما ألزم به من الجمل وهو لازم في الازل قطعاً لو صح دعواه وليس عنه جواب فإن سلم أن هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن وكان قد ادعى أن الادخار مع القدرة محال واسقاط الشق الذي لا جواب عنه يرجع عندي أن هذا الكلام مدسوس عليه وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه لكنه غير مسلم بل خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن ولا يثبت المحال بمجرد الدعوى بل على من يدعيه البيان وقوله فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمية كلام يناقض الفعل بالاختيار فهو قطعاً قول من يقول أن الفعل ذاتي لا اختياري أو قول من يقول أن الفاعل الطبيعة لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة والاول قول القائلين منهم بعدم العالم بالزمان لا بالذات ويكفي في رده أن الله تعالى خلق الأرض أولادون الجبال فلما عادت أرساها بالجبال فسكنت فلم تخلقها أولاً على نهائية ما تقتضيه الحكمة ولقد كان تعالى عالماً بانها تضرب اذ خلقتها ولكنها أخر ذلك لحكم عظيمة منها تعلمنا أن لانهم بشئ من أمر الدنيا قبل الحاجة اليه بالفعل ومنها الرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة في أن فعله بالاختيار يخلق الناقص والكامل ولا يستل عمياً يفعل هذا أخر ما تقتضيه البقاعى على الكتب الثلاثة وقد بحثه الشرح سيدي أحمد بن مبارك حيث قال في الرد على جواب الاملاء خاصة اذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا اله الا هو فإذا كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم فيجب أن يكون هو السبب في تأخير وجود الابدع والاعراض عنه وحينئذ فقوله فليس في الامكان الانهائية ما تقتضيه الحكمة يقتضى أن الاختيار مسلوب عند الفعل وأنه تعالى يجب عليه فعل ما تقتضيه الحكمة وحينئذ فيقال لا بى حامد فإذا كان الابدع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه فيقول لا سبحانه فيقال انما عدل عنه لثبت له الاختيار فيقال له وكذا بعد الفعل انما يجب فعل الابدع لثبت له الاختيار فإن قال عند الفعل فيسبب عنه وقبله فيثبت له لزمه نفي وصف الاختيار الثابت له أولاً ما ثبت قدمه استحالة عدمه فهذه حجة واضحة على حجة الاسلام اه قالت كل منهما ندن حول الحى ولم يحط بمراد المصنف ولا حام على ما هو بصدد وقوله مأخوذ من قول الفقهاء ان الاحكام تتبع المصالح الراجعة بفعل سائر الافعال كذلك واقعة بحسب المصالح الراجعة من غير تعرض لنفي القدرة أصلاً ولان نفي الاختيار عند الفعل فكل فعل أوجده الله تعالى دل إيجاده له على ان المصلحة في إيجاده أرجح منها في عدم إيجاده مع صلاحية القدرة قطعاً لعدم إيجابه وكل ما لم يوجد دل عدم إيجاده له على ان المصلحة في عدم إيجاده أرجح منها في إيجاده مع قدرته قطعاً على إيجاده هذا معنى كلامه في الاحياء وفي الاملاء ومقصوده بذلك حث العبد على منتهى مقام التوكل الذي هذه المسئلة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى كإدلال عليه سياق صاحب القوت ومساق كلامهما يدل على ما ذكرته حتى لا بأسى على شر أصابه ولا خسر فانه ومن ذا الذي يقول في شر أصابه ان القدرة لا تصلح لعدم إيجاده أو في خبر فانه انما لا تصلح

لا يجادده هذا لا يقوله عاقل لا مسلم ولا كافر فان أهل الملل اتفقوا على اثبات القدرة لله تعالى ولولا ما وافيا ذكرناه أولا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان الوجود بل على كونه ابداع لم يتوقفوا في فهم كلامه ولا جلبوا هذه العبارات التي لا طائل تحت أكثرها فان النفي حينئذ وصف في صفات الممكن لا القدرة البتة ألا ترى انك لو قلت هذا الفعل ليس بحسن هل يكون في نفك الحسن عنه قدح في القدرة أو تعرض لها بوجه من الوجوه لا فكذلك اذا قلت هذا الممكن ليس بابداع وها أنت قد ادعيت في الوجود انه ليس بابداع مما وجد فان كان في قول المصنف تعرض للقدرة فهو في قولكم أيضا يلزمكم ما يلزمه وليس الامر كذلك لا في قولكم ولا في قوله ما ينفي القدرة أصلا وانما النفي منصب على وصف من صفات الوجود أو الممكن لا تعرض فيه للقدرة أصلا ومن المعارضين من ادعى انه ليس الكلام في افراد ما يوجد في هذا العالم بل الكلام انما هو في امكان عالم آخر غير هذا العالم وهو ممنوع بل الكلام انما هو في الاول كما هو مساق كلام المصنف نعم كلام الفلاسفة في الثاني وليس هو مراد المصنف ومن هنا جاء الغلط عليه فظنوا لاشتبهاء المقاتلين انهم كانوا ردوا على محل واحد وليس كذلك لا محلا ولا تصورا ولا حكما * وأما الجواب عن عدم ذكره في السؤال الذي تكلم عليه في الاملاء كلمة العدل واقتضاه على جملة الجود خاصة اما لكونه أبان لهم عن مراده بها حال التدريس أو عرفهم ذلك لكونهم من أهل الفطنة الزائدة والخبرة بمقاصد المصنفين والمناظرين فاستغنوا عن السؤال عنها وانما أوردوا عليه لزوم مثل ذلك من قبل ايجاد العالم فقط وطلبوا الفرق فبين لهم فرق ما بين الحالين وأما اطلاق لفظة البخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها المصنف المبالغة في تقريب الدليل الى الاذهان فكانه قال لاشك في ان البارئ تعالى جواد لا يبخل وهو منزوع عن البخل والجواد لا يخص بعبائته أحد ادون أحد الاحكام وقد قدر على أناس كمن توسع على آخرين فلو لم يكن تقتيره على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للجود والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي بصفة الجود والافضال وأنت اذا تأملت ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان النكته في العدول عن فاعل الى فعال ان أدنى الظالم لو فرض صدوره من البارئ تعالى لكان عظيما بالاضافة الى جنبه كما يقال دولة العالم كبيرة وجاء النفي بحسب ذلك وتأملت قول المتنبي يحاطب بعض الكرام * ما من اذا وهب الدنيا فقد بخل * يريد ان مدح حبه تناهى في الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا كان بالاضافة الى ما يقتضيه مقامه بخلًا انحل عندك الاشكال في اطلاق هذه اللفظة

(فصل) ومن المنتصرين الامام العارف المحقق الملقب بالشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي قدس سره أوردته في الفتوحات المكية وفي الفصوص وفي كتاب الشريعة ولفظه في الفتوحات على ما نقله الشعرا في الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية ان كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لانه ما من الا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق تعالى وحده باجتماع جميع الملل والمرتبة الثانية للخلق فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما يساويه في القدم لانه سؤال مهمول في غاية المحال اه ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبي المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني رحمه الله تعالى ما نصه قال سيدي عبد الوهاب الشعرا في الجواهر والدرر سالت شيخنا رضي الله عنه عن قول الغزالي ليس في الامكان ابداع مما كان فان بعض أئمة المغرب أفتى بكفر قائل ذلك فقال رضي الله عنه بلغنا عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول من كفر الغزالي بذلك فهو غير مصيب والجواب عن ذلك سهل وانه ما من في الوجود الامر بتبائن فالحق تعالى في مرتبة القدم والخلق كلهم في مرتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فلو ان الغزالي بنى الابدعية التحاق الحادث بمرتبة القديم وهذا غير ممكن اه وقد نقضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال وهذا ليس من الجواب في شيء ولا نسبة بينه وبين مسئلتنا بوجه ولا بحال وانما يصح أن يكون جوابا لو كان مدعى الغزالي ان ليس في الامكان ابداع من القديم ومدعى المنكرين عليه ان في الامكان

ما هو أبدي من القديم فيكون الجواب عليه ان الحديث لا يبلغ القديم أبداً اما حيث كانت دعواه في مراتب الحدود وان ما وجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدي منه ودعوى المذكر من انه يمكن أن يوجد ما هو أبدي منه والالزم تناهي المتدورات وذلك يستلزم القصور في القدرة المفضي للجزء فاني يلاحظ ذلك الجواب اه قلت جواب الشيخ الا كبر منترع من عبارة المصنف في آخر جوابه في الاملاء وهو قوله فمأكل من حدث الاقدمه الخ فالأبدية للقديم وليس في الممكن أن يخلق أبدي منه لانه محال والقدرة لا تتعلق بالايمان ولو كان ممكناً وخلق لا لتحق المرتبة الثانية بالاولى ولزم منه صيرورة الحادث قدماً هذا الذي فهمته من عبارته والفهوم يختلف وقد ذكر الشيخ في الفتوحات في السؤال التسعين عبارة أخرى تشبه سياق المصنف قال المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لانه مخلوق لغيره لانفسه فالذي خلقه ما أعطاه الا ما يصلح أن يكون له تعالى والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلو علم انه مخلوق لربه لعلم ان الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه وهذه المسئلة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة كبرهم لها وهي مما يحتاج اليها في المعرفة المبتدى والمنتهى والمتوسط فلم يبق في الامكان أبدي من هذا العالم ولا أكمل في باقي في الامكان الا مثاله الى ما لانهاية له اه وفيها أيضاً في السؤال السادس والمائة ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الامكانية والالهية وهو المظهر الاكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الامكان أبدي من هذا العالم لئلا وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة وناثباً له الاثر الكامل في جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر اه وفي حكمة الاشراق السهروردي المقتول ولا يتصور الوجود الا كاهو عليه اذ لو تصور الوجود وأمكن أن يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجب لذاته لعدم البخل قال الشارح وهو القطب الشيرازي وهذا ما ذكره الغزالي في بعض كتبه ونقله عنه الشيخ الكامل يحيى الدين في الفتوحات واستحسنه اه وقد تعلق المعتضون بهذا ان كلام المصنف مبني على كلام الفلاسفة وهو غلط فان مساق كلام المصنف غير مساق كلامهم ولا شبهة المقالتين ظن الشارح المذكور ان الغزالي اقتبس من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه به فتأمل وقال الشيخ الاكبر في الفصوص في الفصل الاثني عشر في الامكان أبدي من هذا العالم لانه على صورة الرحمن اه وقد اعترض عليه وانه منترع من كلام الفلاسفة وليس كذلك بل هو منترع من الكتاب والسنة والمراد بالعالم الانسان قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وفي الخبر المتقدم بذكره ان الله خلق آدم على صورته والآية نص قاطع في ان الصورة التي خلق عليها الانسان لا أبدي منها ما فهمنا من المحاسن والحكم

(فصل) ومن المنتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشي من كبار أئمة الشافعية قال السيوطي بلغني انه تكلم على هذه الكلمة في تذكرة فطلبته حتى وفقت عليه فقال فائدة قال الغزالي ايسر في الامكان أبدي من هذا العالم لانه لو كان ممكناً لم يفعل له كان بخلاف يناقض الجود او عجزاً يناقض القدرة وهذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع لكن الظن به انه انما أراد بها تعظيم صنعة الصانع لا بصنع أحد صنعه ولا تذكر في بواطن الابداع حكمته فقد أوجد ما لا يمكن العقل ان يجاره فليس في الامكان يمكن أبدي من الانسان لاشتماله على أحكام أنواع الوجود فهو في غاية الحكمة بالنسبة الى ادراك العقول النيرة لا بالنسبة الى عالم السر والخلية الكامل المطلق الذي لا تنتهي أحكامه ولا تنفذ عجائبه فإرادته ليس في الامكان باعتبار ما تقتضيه العقول لا باعتبار ما في غيب الله تعالى ولهذا قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون فحكم العارف على قدر ادراكه لا على قدر أحكام ربه فان الرب تعالى محيط بكل شيء وليس لاحد احاطته بنوع من أنواعه من كل

وجه فان لكل نوع أحكاما متعددة منها ما أطلع الله عليها خواص خلقه ومنها ما هو راجع له قال ومنهم من قال معنى قوله ليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده فليس غير ذلك يعني انه ليس في الامكان أبدع من وجوده فانه يمكن في نفسه وما استفاد الوجود فلا أبدع في الامكان من الوجود وقد حصل فانه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الاول الذي يقول فيه ولعله انما أراد تعظيم صنعة الصانع مانصه وذلك لان الاله الحق سبحانه ثبت له الاختيار المطلق واستحال في حقه الظلم والخل والجور فوله في دليله السابق اذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخه مع القدرة عليه لكان بخلا وطمحا لذلك فعلى هذا فاذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يقبله فذلك لسلك اختياره وتعالى في عظمته وسلطانه لما قاله هنا من ان ذلك بخل وعجز وطمع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال وفي قوله بالنسبة الى ادراك العقول النيرة الخ فيه نظار فان العقول النيرة تدرك في بداية نظارها جواز وجود ممكن ابدع ولا تحتاج في ذلك الى فكر ورؤية لان ذلك راجع الى العلم بجواز الخاترات التي قبل انهما نفس العقل وقوله لحكم العارف على قدر ادراكه أقول ان ذلك يدق ويخفى على غالب العقول وأما الظاهر المبذول الضروري فلا فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ عبد الكريم الجبلي صاحب الانسان الكامل فانه أجاب بان كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح أن يرقى عن رتبته في العلم الالهي ولا ينزل عنها فصح قول الامام ليس في الامكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوى في كتاب الاجوبة المراضية ووجدت بخط شيخنا المرحوم الشمس الحفنى رحمه الله تعالى هذا الجواب له أبسط مما هنا وذلك انه قال سئل عن هذا القول فاجاب انه قول صحيح لانما كان قد تعاقب به العلم القديم بلا شك وما تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة ابد الاذلو قبل الزيادة لقبها العلم القديم ولا قائل به فصح انه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى وهذا هو نص الشعراني في الجواهر والدرر قال وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث ان الله جليل يحب الجمال اى ان الله صانع العالم والعالم كام في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال فليس في الامكان أجل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم ولو أوجد تعالى ما أوجد الى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لان الحسن الالهي والجمال قد حازه وظهر به فانه تعالى أعطى كل شيء خلقه وهو جماله اذ لو نقص شيء منه لنزل عن دوحته كمال خلقه فكان قبيحا اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الجبلي وهو النص الاول الذي أوردته أولا فقال وهذا أيضا ليس بجواب لاننا سلم ان كل واقع في الوجود لا يرقى عن رتبته في العلم ولا ينزل عنها وذلك لا يستلزم انه لا يمكن وجود أبدع منه وانما يصح أن يكون جوابا لو كان كلام الغزالي هكذا ليس في الامكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أو ينزل عنها اه قلنا الذي فهمت من سياق عبارة الجبلي الثانية ان مراده اثبات الابدعية لهذا العالم بسبب تعلق العلم الالهي به الذي لا يتعلق الا بالاجل والابدع وهو لا يقبل الزيادة فلا أبدع منه حيث نذهب الى الاعتبار فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الشريف المحدث نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السهمودي الشافعي تزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومولده سنة ٨٤٤ هـ فانه صنف رسالة سماها ايضاخ البيان لمن أراد الحجة على ليس في الامكان أبدع مما كان ناقض بها رسالة ابن المنبر الاسكندري السابق ذكرها ولم اطلع عليها الا ان الشيخ سيدي أحمد بن مبارك قد طفر بها قال قد اطال نفسه فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة بخط مضموم وقد تصفيتها غاية وأعطيها ما تستحقه من الانصاف والتأمل فوجدتها اثره على ثلاثة أمور أحدها المصادرة عن المطالب والثاني ما وقع له من الغلط في القبح والحسن العقليين وهو أشد ما في رسالته شبهة والثالث عدم فهمه لكثير من كلام ابن المنبر على الوجه الذي ينبغي ثم ساق ايضاخ هذه الامور الثلاثة تركها طولها وكثرة الكلام عليها وقد قال في آخر كلامه وأما كونه لم يفهم مقاصد ابن المنبر فاني لا تعرض له لطول الكلام

فيه الا اني أقول قولاً مقتصرًا وهو ان غالب ما ذكره ابن المنير صحيح حق لاشك فيه وردودانه على عبارة الاحياء مستقيمة لا عوجاج فيها وأجوبة السيد عن غير تامة الاحرفا واحدا فاني أخالف فيه ابن المنير وهو تنقصه من مقام أبي حامد وغضبه من رتبته فاني لاوافق على ذلك فان أباحامد امام الدين والدينار عالم الاسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة اليه في الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه في كتبه يرددها من كل وجه

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله محمد بن عمر المغربي تزيل مصر وهو شيخ كل من الحفاظ جلال الدين السيوطي وأبي النجاشي خلف اللقوي وعبد القادر بن حسين الشاذلي في التصوف فانه قال حين سئل عن هذه المقالة ان معناه ليس في الامكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وادراكه وأبدعيته خاصة به تعالى فان ذلك أكمل وأبدع حسنامن هذا العالم الذي أظهره لنا اذ لو كان هذا العالم يدخله نقص لتعدى ذلك الى خالقه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد أجمع أهل المال كلها على انه لا يصدر عن الكمال الا كمال قال تعالى والسماء بيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلوم ان الامتداح والامتداح لا يكون الا فيما هو كمال الاوصاف والا فكيف بمن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بفضول هـ ذانص الجواب في كتاب الاجوبة المرضية للشعراني وذكره في الجواهر والدرر الا أنه قال فان ذلك أكمل وأبدع حسنامن هذا العالم بالنسبة اليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى والسماء بيناها بايد الاية في مقام الامتداح واعلم ان الامتداح لا يكون الا فيما هو غاية ونهاية لاني المفضل اهـ وقد ساقه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك كما سقناه أو لا حرفا بحرف واعترضه فقال وهذا ان سلم من التصحيف فليس بجواب أيضا اما أولاه متدافع اذا أوله يقتضي نفى امكانه مطلقا إذ لو ثبت امكان الابدع لكان هذا الموجود ناقصا بالنسبة اليه فيسرى النقص الى خالقه تعالى وحينئذ فتختار ما اقتضاه أول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره ولا نسلم لزوم النقص في الخالق سبحانه اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوته في الفاعل كما لا يخفى والا فالحادث كله ناقص لاحتياجه واقتضاه الى خالقه فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع أيضا بالنقص بالحدوث واما ما نافي الاجماع الذي عول عليه لا يعتمد في هذا الباب عليه لان المسئلة راجعة الى القدرة التي هي احدى معجمات الفعل التي لا يمكن اثباتها بالاجماع كما لا يخفى وأما ما نافي الاجماع الذي هو حجة ومعصم هو اجماع هذه الامة الشريفة بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرهما من الملل وهذه الامة أثبتت لهم الاختيار وأن يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد اهـ قلت وان تأملت هذه الردود وتوجدتها في معرض السقوط اما أولاه فان المجيب أشار بأول جوابه الى مقام المعرفة المعاني الصفات الذي هو من جملة مقامات الرضا وهو مشاهدة الصانع في جميع الصنعة والنظر الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا ينظر شيئا بعين النقص والاحتقار فانه بمنزلة الغيبة لصانعه لانه صنعه ونتاج حكمته ونفاد علمه وحكم تدبيره له في كل شيء حكمة بالغة لانك اذا عبت صنعة أحد أو ذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمته أظهرها اذ كانت الصنعة بمجبوله لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها فهذا معنى قوله لتعدى الى خالقه وهو كلام صحيح وقدم تفسيره نقلا عن أبي طالب المكي وغيره فهذا مقام المحب الراض عن الله متادب بين يديه يستحي ان يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص الى ما صنعه فانظر أين هذا المقام من قول المعارض اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوت النقص في الفاعل فالمجيب في وادو بين الوادين كباين السماء والارض وأهل مشاهدة هذا المقام انما ينظرون الى ما أعطاهم الكشف الصحيح المطابق بمعياريه اليقين وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة وحينئذ ظهر لك أن لا تدافع في كلام المجيب وقوله والا فالحادث كله ناقص الخ هذا ممنوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضائفات فقد يكون الشيء كاملا من وجه ناقصا من وجه آخر فهو بالنظر الى أنه صنعة الحكيم القادر فانه في غاية الاتقان والكمال ليس فيه نقص أبدا ويكفي في ثبوت كماله هذا القدر من هذا الوجه فبطل قوله

فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع لنقصه بالحدوث وامانا نيا نقول المعترض لان
المسئلة راجعة الى القدرة الخ قلت بل المسئلة راجعة الى اول مقام من المحبة الذي هو من مقامات الرضا وأوسط حال
في التوكل والتسليم والتفويض وكل منهما من مقامات اليقين وابواب الايمان ولاذ كرفها بالقدرة نفيوا اثباتا
فان ادعيت انها تفهم العجز في القدرة الالهية فاقدر أصدر كلام المصنف يظهر لك اثباتها فاسمن موحده تعالى
معترف برؤيته شاهد لوحدايته الا وهو معترف بكلامه تعالى في ذاته وفي صنعه مفعول الى امره مستسلم
له فهذا هو الذي اراده المجيب بقوله وقد أجمع أهل الملل على ان هذه الجلة ساقطة في سياقات الجواهر والدرر كما
قدمناه وامانا لا نقوله وهذه الامة أثبتت لهم الاختيار كأنه فهم ان قول المجيب لا يصدر من الكامل الا
كامل مما لوهم سلب الاختيار عن الفاعل المختار بل يكون بالاجاب بالذات كما نقوله الفلاسفة وليس كذلك
ومن أين يؤخذ ذلك منه فالفاعل المختار كامل في ذاته وصفاته وله الاختيار قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل
والكامل في ذاته وصفاته فاعل مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وصنعه الذي اظهره على وصف الكامل والتمام
لانقص فيه من حيث انه صنعه وهو القادر المطلق الصانع البديع المتقن لاله الا هو سبحانه وتعالى
* (فصل) * ومن المنتصرين الامام المشهور شيخ الاسلام زكريا الانصاري وهو ممن جمع الله بين الفقه
والتصوف قال لا يحمل لاحد ان ينسب الى أبي حامد القول بأنه تعالى عاجز عن ايجاد ما هو ابدع من هذا العالم فان
هذا الفهم منشؤه توهم ان المراد بالامكان في عبارته بمعنى القدرة أي ليس في القدرة ابدع مما كان وليس
كذلك بل هو بمعنى المشهور المقابل للامتناع والاجاب لكن بحذف مضاف أو يجعله بمعنى الممكن من باب
التي المصدر على اسم الفاعل ففاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب الامكان أو ليس في الممكن ابدع مما
تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على
ايجاد ابدع مما فعله بكل أحد وهو باطل عند حجة الاسلام كسائر أهل السنة لبنائه على وجوب الاصلح عليه
تعالى وهو أصل باطل الى أن قال فعلم ان حجة الاسلام لم يرد بالامكان في كلامه القدرة لانه لو أراد لرجع
كلامه حينئذ الى كلام المعتزلة الى أن قال وبذلك علم ان اللفظ المذكور لا يحتاج الى حل وانه لا ينبغي أن يقال
دس عليه أو انه زلة منه أو غير ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه
الذي قرره فليعتمد ذلك في هذا المقام فانه من مزال الاقدام اه وقد اعترضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال
ولا ينبغي ما فيه وما عول عليه في دفع المحال عن حجة الاسلام بحمل الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه
فان المحذور بحاله لان المعنى حينئذ ليس في جانب الامكان أو في الممكن ابدع مما كان فيلزم أن يكون الابدع
المفروض في جانب الامتناع أو في الممتنع وكونه في جانب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا أيضا
فاذا كان في جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيساو قول من قال لا يقدر على ايجاد الابدع المفروض لان
الابدع اذا كان في جانب الامتناع فليس في القدرة ايجاد المحال لازم على حمل الامكان على معنى القدرة أو
على معناه المشهور المقابل للايجاب والامتناع وهو ظاهر وقوله ففاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب
الامكان ابدع مما تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس المدعى
ان العدم ابدع من الوجود حيث يكون نفيه الذي هو كلام حجة الاسلام غير حق البتة وقوله ومفاد عبارة
المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على ايجاد الابدع أقول هو لازم لكلام حجة الاسلام على ما أولته
أهم المجيب فان الابدع اذا لم يكن في جانب الامكان ولزم انه في جانب الامتناع لزم قطعاً ان القدرة لا تتعلق
بالممتنع فجاء المحذور اللازم وقوله وبذلك علم الخ أقول اياك أن تغتر به هذا الكلام فان غاية ما فيه ان
الامكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور وقد عات ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب
اعتقاده على الوجه الذي قرره أقول حاش لله أن يعتقد أحد أن الابدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعل له كان
مخيراً فان هذا عين رعاية الصلاح والاصح الذي هو عين مذهب المعتزلة وانما الذي يجب اعتقاده انه تعالى فاعل

بالاختيار لا يستل عما يفعله وربك يخلق ما يشاء ويختار و يخلق ما لا تعلمون ولا يحيطون به علما اه قلت كلام المحيب منتزع من الجواب الثاني الذي قرره الزركشي وسبق بيانه وتوضيحه ان المراد بما تعاقبت به القدرة هو العالم المشهود الموجود جميع أجزائه الروحانية والجسمانية والجوهرية والعرضية اذ بظهوره ظهرت آثار صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن والانسان الكبير فكان بهم هذا المعنى أبدع ثم قال وهو حق اذ الوجود غير من العدم أي لظهور المرجح وهو تعلق العلم والارادة والقدرة به وخلاف المعلوم وقوعه محال كما هو مقرر عندهم وابداع عالم غير هذا وان كان ممكنا بالنظر اليه فليس بممكن بالنظر الى علم الله تعالى لو وقع أحد الامكانين واحدية المشيئة فيه وماتعاقبت المشيئة الالهية بكونه فلا بد من كونه وما لا بد من وقوعه لا يتصف بالامكان بالنظر الى هذه الحقيقة الحشوية وكلام صاحب الفتوحات نص في أن المرجح لا يفارق كلاما من الوجود والعدم حيث قال في الباب السابع والاربعين وثلاثمائة ان الاشياء لما كان الامكان لا يفارقها طرفه عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح منها لانه لا بد أن يتصف باحد الممكنين من وجود وعدم اه يوضحه قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز يرأى بممتنع ولا ينتفي الامتناع الا عندما كان الذهاب والاتيان بخلق جديد لكنهما لم يعقابا للواقع التراجع للوجود الى الاجل المسمى مع النص ان الامكان ما فارقته وكذلك قوله تعالى ان يشأ يذهبكم أي الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قد رافق المقدورية فرع الامكان مع ان الواقع ترجيح الابقاء فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الحافظ الكبير جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى فانه صنف كتابا في هذه المسئلة وسماه تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان رديه على البرهان البقاعي تأليفه المتقدم ذكره قال فيه وبعد فقد نقل عن الامام حجة الاسلام ولي الله تعالى أبي حامد الغزالي رضي الله عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان وقد استذكر ذلك بعض العلماء الموجودين وادعى ان ذلك امام دسوس في كتابه أو زلة صدرت من عالم وان هذا الكلام يلزم منه استنجاز القدرة الالهية واستقصاها كما يقوله الفلاسفة أو وجوب الاصلح على الله كما يقوله المعتزلة وألف في ذلك كتابا سماه تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان وذكر فيه أشياء مما تعرض على أجهل السوقة لم يشك في صلاحية القدرة فضلا عن طالب علم فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ولما رأيت هذا الكلام من المنكر صادرا عن عدم الوقوف على مقصد حجة الاسلام تعجبت من ذلك كل العجب وقد وقع الاحاح على في الكتابة بالرد عليه وأنا أرى ان الاولى السكوت ولزوم البيوت حتى شرح الله صدرى لآبانه مقصده هذا الامام بالطريق القويم رجاء الهداية الى الصراط المستقيم فرقت هذه الاحرف بسميتها تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان ثم ذكر فيه أشياء نفيسة وتحقيقات بدیعة واستدل على المطلوب بكلام الائمة وأحاديث وآثار وأحسن فيه غاية الاحسان وقد ادرجت غالب ما أورده في أثنائه ما تقدم من السياق على حسب المناسبة ومن جملة ما ذكر فيه وكنت قد توقفت فيما استشكلوه من كلامه أياما حتى من الله على بحله بعد التضرع اليه فالحمد لله والحمد لله الاسلام رضي الله عنه انما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معا لئلا يدعى عدم الامكان على المذهبين فكانه قال هو محال اجماعا من الفريقين اما على مذهب أهل السنة فلان ادخاره مناف للفضل وهو الذي عبر عنه بالجلود الالهية واما على مذهب المعتزلة فلان ادخاره عندهم ظلم ينافي العدل فأتى بكل جملة لفريق وليس مراده بالجلتين التقرير على مذهب واحد وتظير ذلك ما لو مثل الشافعي عن رجل توشأ ولم ينو ومسح القليل من رأسه فقال وضوءه باطل لانه لم ينو ولم يمسح ربع رأسه فاصدا بذلك بطلان وضوءه اجماعا ولو اقتصر على قوله لانه لم ينو لكان كافيا لكنه لا ينتهض دليلا على الإبطال الا على مذهبه فقط لا على مذهب الحنفي فضم اليه ما يقرر باطله على مذهب غيره أيضا ويؤيد ان هذا الذي فهمته هو مراد الغزالي انه لم يذكر الجلتي الا في الاحياء فقط ولم يذكر في الجواهر جملة العدل بل اقتصر على جملة الفضل والجلود التي يتم بها اللبس على مذهب أهل

السنة اما اكتفاء بذلك وعدم الالتفات الى مذاهب المبتدعة واما ارادة الاجياز واما ازالة اللام الذي توهمه عبارة الاحياء اه وقد تعرض له الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال لو عبر حجة الاسلام كذلك اقرب الحال ولكنه قال لو اذخره مع القدرة لكان بخلافه بقاؤهم في الجود وأهل السنة ينزهون ربهم عن وصفه بالخل فقد بان ان العبارة الاولى لا تأتي على مذهب أهل السنة قال ابن التلمساني في شرح المعالم بعد ذكره مذاهب البغداديين من المعتزلة في وجوب رعاية الاصلح وهو لاخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو ان الله تعالى جواد وان الواقع في الوجود هو أقصى الامكان ولو لم يقع لم يكن جوادا وقال ابن الهمام في المسامرة ان المعتزلة يقولون ان ترك مراعاة الاصلح بخل يجب تنزيه الباري عنه فكان الشق الثاني مفرع على أصول المعتزلة كذلك الشق الاول اه قلت جواب السبوطي رحمه الله تعالى في غاية التحرير والاتقان وليس فيه الا الذي أشار اليه المعترض من ذكر لفظ الخل وهو قد أجاب عنه في كتابه المذكور ولو اطلع عليه المعترض لهدرت شقشقته وذلك فيما أورده سابقا وهو قوله واما اطلاق لفظ الخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها الغزالي المبالغة في تقريب الدليل الى الأذهان فكأنه قال لاشك ان الباري تعالى جواد لا يخل وهو منزّه عن الخل والجواد لا يخص بعبادته أحد دون أحد الاحكام وقد قرع على أناس كما وسع على آخرين فلولم يكن تقديره على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للجد والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والافضل وبقية هذا الكلام أسلفناها فاطلبها فيما تقدم ثم قال والعجب كل العجب من انهم حجة الاسلام بانه في هذه المسئلة تازع الى مذاهب المعتزلة وهو قد صرح في كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال في صدر كلامه وما خلق الله من ايمان وكفر وطاعة ومعصية الخ فانظر كيف نسب خلق الكفر والمعصية الى الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة والمعتزلة لا يقولون بذلك بل يزعمون انهم ما من خلق العبد كما هو معروف عنهم

(فصل) ومن المنتصرين ولي الله العارف به سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد نقلنا عنه فيما سبق جواب الشيخ محيي الدين والشيخ عبد الكريم الجبلي ومحمد المغربي نقل ذلك في كل من كتابيه الجواهر والدرر والاجوبة المرضية وقال في الكتاب الاخير بعد نقل الاجوبة ما لفظه وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعي في هذه المسئلة مؤلفا وحاصله انه بعزل عن مراد الامام الغزالي بكل وجه كما بينته في رسالة الفتح بالاجوبة عن أهل الشطح وفي كتابنا المسمى بطلهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وهو في مجادين ضخمين اه ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أنقل منهما شيئا

(فصل) ومن المنتصرين البرهان ابراهيم بن أبي شريف المقدسي وهو أخو الكمال وأصغر منه سنا وعاش بعده زمانا طويلا قال ما نصه وليس في مقالة حجة الاسلام ايجاب شيء ولا تنجيز على القدرة ولاني لقد رته تعالى غن غير هذا العالم بل هو قادر على ابراز عالم لانهاية له اول لكن لتعلق العلم القديم ووقوع اختياره وارادته لايجاد ما اتصف بالابدي لكونه بالا على ما تقتضيه صفاته وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي ليس فيما تعلقت القدرة وسبق به العلم والارادة من الممكنات أبدع مما وجد لما قررناه اه قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك وفيه نظر من وجهين أحدهما بانه جعل سبق العلم والارادة دليلا على ان ما وجد هو الابدع وهو لا يدل على ذلك وانما يدل على ان ما وجد وجد عن علم واردة وهل هو أبدع أولا يبقى ما هو أعم ناهيها انك قد علمت ان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية له فعلي تقدير أن تتعلق الاوصاف القديمة بوجوده في دائرة الامكان ما لا يتناهي من افراده والحبيب ظن ان الابدع جزء شخص لا تعد فيه فاذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحالة غيره والا كان العلم جهلا وحيث كان الابدع كليا لانهاية لافراده لم يلزم من وجوده منها انتفاء غيره عن دائرة الامكان

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ أبو الموهب التونسي الشاذلي قال قوله ليس في الامكان أبدع مما كان قلنا ما كان الحكمة الالهية لا ما كان القدرة الربانية وهذا هو الاثنى بكلام حجة الاسلام اه قال الشيخ سيدي

أجدين مبارك لا نسلم انه لا يمكن ذلك في الحكمة الالهية فاذا كانت متعلقات القدرة لانهاية لها كانت الحكمة الالهية لانهاية لها لانها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لانهاية لها فلزم قطعان الحكمة الالهية لانهاية لها ومن الذي يجترئ على حكمة الله تعالى ويقول انها محصورة ومقتصورة

(فصل) ومن المنتصرين الامام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي فانه سئل عن هذه المقالة فأجاب بقوله ان ايجاد عالم آخر ابدع من هذا العالم مستحيل لانه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة عن الله تعالى ولو كان جازا لورد به الكتاب قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فعمل ان ذلك مستحيل ولانقص في القدرة اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك وفيه نظر من وجوه أحدها ان الكتاب والسنة قد وردا بذلك وقد سبق ذلك في صدر الكلام يعني به ما أورده من الآيات التي أوردها الباقى في رسالته وكذلك أورد جلا من الاحاديث فانها ان الكتاب والسنة انما يستدل بهما في الامور النقطية التي لا تدخل للعقل فيها وأما احكام العقل الصرفة التي قبل انما نفس العقل التي هي العمل بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فهي من الامور الضرورية التي لا يحتاج فيها الى دليل نقلي نالها انما ذكره معارض بكل علم يدعي كعلمنا بان الاربع زوج وانها نصف الثمانية وان الواحد نصف الاثنين فيقال ان هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سنة فتكون مستحيلة لان كل ما ليس في الكتاب ولا في السنة مستحيل على قاعدة جوابه

(فصل) ومن المنتصرين العارف بالله أبو العباس أجدين أجدين عيسى البرنسي الشهير بزر وق قال في شرح القواعد للامام حجة الاسلام عند قوله فيها ولا موجود سواء الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأتمها وأعدلها فقال يعني كل بارز بالقدرة وتخصص بالارادة وأتقن بالعلم الالهى لا يصح أن يكون ناقصا في وجوده لكمال الاوصاف المنسوب اليها بقصدها وتقصيدها ثم التقيع والخسبين العقلية في محله والعمادى في محله والشرعى في محله لان ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة اليسا وعلى ما ذكر هنا يخرج ما نسب اليه من قوله ان ليس في الامكان ابداع مما كان يريد ان ما كان ويكون الى الابد متى حصل في حيز فلا ابداع منه لان العلم اتقنه ولا نقص في اتقانه والارادة خصصته ولا نقص في تخصيصها والقدرة أبرزته ولا نقص في ابرازها فبروزة على ابداع الوجوه وأكملها وعلى هذا تفهم هذه الحكمة والارادة والقول بقصور القدرة ومأمعها من الاوصاف وذلك باطل لا يقوله أحق فضلا عن عاقل اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الاثر يستلزم نقص المؤثر وأوصافه لكان وجود غير الابدع مستحيلا ولكان وجود الابدع واجبا وذلك يجر الى التعليل وينتج الاختيار فالصواب ان ذلك للاروم ممنوع ووجود الابدع وغيره جائز والاختيار شامل والقدرة عامة ولا نهاية لتعللها فانها هذا ان اراد للاروم في نفس الامر وان اراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة في نظرنا وراينا فقد سد بق ما فيه من كلام الزركشى

(فصل) ومن المنتصرين عبد القادر بن مصطفى الصفوري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨١ كتب الى الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن أجدين سالم الحنبلي من مدينة نابلس سنة ١١٧٩ قال أخبرنا المحدث المعمر عبد الرحمن بن يحيى الدين بن سليمان الدمشقي أخبرنا الامام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر العلواني المحمدي الدمشقي قال قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الصفوري اعلم أن المحال على قسمين محال لذاته ومحال لغيره فان الممكن قد يصير محالا لغيره واجبا لغيره مثاله بعث الموتي من قبورهم يمكن في حد ذاته لانه اذا خلى العقل ونفسه حكم بجوازه لكن لما أخذ خبر سبحانه صار واجبا للوقوع بالنظر الى ان خبر الله لا يتخلف وعدمه صار محالا لغيره بهذا الاعتبار فاذا تقر بذلك علمت ان ما قاله الاسلام حق وابضاه انما هو بعد ان تعلم ان علم الله قديم وأنه تعلق في الازل بان الممكن الذي وجد يوجد في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي صفة وحينئذ فوقعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره لانه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلا وانه محال في حق الحكيم الخبير العالم القدير والارادة والقدرة

تعلقهما بالممكن انما يكون على وفق تعلق العلم القديم به وحينئذ تعلم ان عدم امكان ابداع مما كان ليس فيه نسبة
الجهل ولا نسبة العجز الى الملك الديان وكيف ذلك بحجة الاسلام الذي ملأ من معلوماته الدنيا بل عدم امكانه انما
هو لعدم تعلق الارادة والقدرة بما يلزم عليه من المحال فتدبر ذلك بندفع عنك خيال أو هام من لم يعلموا مواقع
الكلام ولم يذوقوا دقائق العلوم فكل مطمع انظارهم اعتراضاً كابر العلماء والطعن على ورثة الانبياء
كأنهم صاروا وهم ضد افصر في الله أذهانهم عن الوصول الى غوامض المعاني وتمسكوا بظواهر المباني ومن أجاب
بان ما موصولة لم يصادف محال لان المنقول عن الامام انه قال ليس في الامكان الخ وليس هو الا ليس اه فهذا
ما بلغني من كلام الائمة في تحقيق هذه المقالة ردوا وتسالموا لم آل جهدي في جمعها وحسن ترتيبها مع الكلام في
بعض المواضع منها والكلام فيها كثير وما غاب عني أكثر مما حضر لدي ولكن قليل بوعي خير من كثير ينسى
ولقد عرفت ان أنحو منحى الكرام وأدلى دلوى مع هؤلاء الاعلام وان كنت مزجى البضاعة سكيناً بخلاف عند
أرباب هذه الصناعة فأقول ناظراً الى سياق المصنف من أوله متنبها لسريره في خصوص هذا المقام اعلم أنه
ذهب المليون كلهم الى ان الله تعالى قادر أي يصح منه ايجاد العالم وتركه فليس شيء منهما لازماً لذاته بحيث
يستحيل انفكاكه عنه وأما الفلاسفة فاتهم قالوا ايجاد العالم على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلقه عنه
فانسكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم انه نقصان وأثبتوا له الايجاب زعمانهم انه الكمال التام وأما كونه
تعالى قادراً بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو متفق عليه بين الفريقين الا أن الحكماء ذهبوا الى أن
مشيئة الفعل الذي هو الفيض والوجود لازمة لذاته كزوم سائر الصفات الكمالية فيستحيل الانفكاك بينهما
فيقدم الشرعية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية تمتنع الصدق وكلنا الشرطيتين صادقتان في حق الباري
سبحانه وأما الصوفية قدس الله أسرارهم فيثبتون له تعالى ارادة ذاتية زائدة على الذات والعلم بالنظام الاكمل
واختيارا في ايجاد العالم لكن لاعلى النحو المذكور من اختيار الخلق الذي هو تردد واقع بين أمرين كل منهما ممكن
الوقوع عنده فيترجح عنده أحدهما بجزء فائدة أو مصلحة يتوخاها فمثل هذا يستنكر في حقه سبحانه كما تقدم
بيان ذلك في تقرير المصنف قبل هذه المقالة فانما معلوماته تعالى سواء قدر وجودها أو لم تقدر مرتسمة في عرصه
الامكان أزلاً وأبداً مرتبة ترتيباً لا اكمل منه في نفس الامر وان خفي ذلك على الاكثرين فالاولية بين أمرين
يتوهم وجود كل منهما انما هو بالنسبة الى المتوهم المتردد اما في نفس الامر فالواقع واجب وماعده مستحيل
الوجود وعلى هذا يخرج هذه المقالة فتدبر والله أعلم * (تنبيه) قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك في آخر كلامه
على هذه المقالة فالخاصل ان ما نسب اليه في المسئلة ان كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه في مواضع من
كتابه الاحياء وان كان دليله البخل فقد نفاه في كتابه الاقتصاد وان كان دليله انه يخالف الحكمة فقد أبطله
في الاحياء وفي الاقتصاد وان كان دليله الاستحسان العقلي ومراعاة الصلاح والاصح فقد أبطله فيهما وفي
القسطاس وان كان دليله الاستحسان المنفق عليه الذي عول عليه السيد السهمودي فقد أبطلناه فيما سبق وان
كان دليله ما سبق في العلم والمشيئة كما عول عليه المذكور أيضاً فقد ذكرنا انه مصادرة على المطلوب وان كان دليله
ان الناقص لا يصدر عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق اه وقد فهم من كلامه ان المسئلة باطلة بأسرها وجوهها
وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وانه محكوم عليها بالفساد وهو أمر عجيب ولو فتحت له كوة الى عالم
الملوك ل شاهد ما شاهد الصالحون ويكشف له من أسرار ما كشف للعارفين وقد فهموا قوله تعالى وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وعقلوا قول المبلغ صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم البيان كل
البيان حقيقة بيان البيان محرم عند ذوي الايقان ومقام الصالحين يقصر عن شهادة الشاهدين وقد سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم أرنا الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل
اللهم أرني الدنيا كما يراها الصالح من عباده فالصالحون في الغرف آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على
أمره لا حول ولا قوة الا بالله ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الايمان ان الامام أباحمد الغزالي من

(الشمار الثاني من الكتاب) في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعمل وبيان التوكل بترك الادخار (٤٦٠) وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته

أكثر أهل الباطن وهذه المقالة قد نسبت اليه واعتاص في فهمها أهل الظاهر فالاولى التسليم له اذ ليس أهل الظاهر رجة على أهل الباطن في شيء الا وهم عليهم رجة في مثله والايان ظاهر وباطن والعلم بحكم ومتشابه ولان أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة لهذه في الدين والاضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم وهذا لا يفتن له الغافلون ولا يشهد العموم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذارأيت الاشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد بعين واحد رأيت مالم تر قبل ذلك وسمعت مالم تسمع وفهمت مالم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجايبا فاذالم تر عجايبا رأيت العجب وقد أفدناك بحمد الله تعالى من غرائب ما عندنا والى الله يرده العلم فيما دق وجل وظهر واستتر وانما ينطق اللسان بما انطقه الله به وهو مستعمل بما استعمله الله به اذ كل ميسر لما خلقه وقد انتهت الكلام على مقالة الامام انجاز الماوعدنا به آفاقا فسأل الله تعالى أن يصرف عنا من الكدورات ويحسينا من مضلات الاهواء في مجارى المقدورات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه أولى العزم والظفر وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونسأله الصفح الجليل

* (الشمار الثاني من الكتاب) * (في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ) المراد بهم السادة الصوفية (في حد التوكل) واختلافهم فيه (وبيان التوكل في الكسب للمنفرد) بنفسه (والمعمل) أى المترزج صاحب العيال (وبيان التوكل بترك الادخار) للفقير (وبيان التوكل في دفع المضار) عن نفسه (وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره) أورده في ستة فصول

* (الفصل الاول في بيان حال التوكل) وفيه أيضا ذكر الاسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة * اعلم أنا (قد ذكرنا ان مقام التوكل) كغيره من مقامات المقيمين (ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم في الفصل الذى قبله وذ كرنا أنه ينبنى عليه حال التوكل والتسليم فاذا ثبت في النفس ثبوت الاعتقاديا أو كسفيما أو ذوقيا أو عرفانيا تيج عنه الحال فشرع في ذكر الحال وقال (فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل (وانما العلم أصله) وأساسه (والعمل غرضه) ونتيجته (وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم) فيه (وتكلم كل واحد عن مقام نفسه) الذى أقيم فيه (وأخبر عن حده) ورسمه (كأخبر عن عادة أهل التصوف به) وقد يكون ذلك لاخبارا عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم (ولافائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من لفظ (الوكالة) بفتح الواو والكسر لغة فيه (يقال وكل أمره الى فلان) من باب وعدوك بالفتح ووكولا بالضم (أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه) واكتفى به (ويسمى الموكل اليه وكيلا) فهو فاعل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل اذا كان بمعنى الحافظ ومنه قوله تعالى ونعم الوكيل وجمع الوكيل وكلاء (ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه) كلاهما بمعنى الآن الاتكال من باب الافتعال والاسم منه التوكلان بالضم والتوكل من باب التفعّل (مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا) فهذه المعاني لازمة للمفوض اليه (فالتوكل) حينئذ (عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) ووثوقه به (وانعزب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس) وزور (فوك للخصومة) عنه (من يكشف ذلك التبليس) عنه (لم يكن متوكلا عليه ولا وثق القاب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة) ثم فصل تلك الامور وقال (اما الهداية فليعرف بها مواقع التبليس) وبحال التزير (حتى لا يخفى عليه من غوامض الخيل شيء) فهذا

* (بيان حال التوكل) * قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم * فاما الحل فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل غرضه وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كأخبر عن عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس فوك للخصومة من يكشف ذلك التبليس لم يكن متوكلا عليه ولا

وأما القدرة والقوة فليست تجري على التصريح بالحق فلا يدهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تاليس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجريا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من الجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك فان كان شا كافي هذه الاربعة أو في واحدة (٤٦١) منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه

الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي مترع القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كماله كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لا جهله فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة

يستدعي هداية تامة وبصيرة نافذة في أمور الدعاوى وكلام الخصوم فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم فيكون سبباً لتلاف حق الموكل (وأما القوة والقدرة فليست تجري) أي لاجل أن يكون جريشاً (على التصريح بالحق) غير متعثر (فلا يدهن) مدهانة (ولا يخاف) في حركاته (ولا يستحي) من التسكاهم بالحق (ولا يجبن) عن الخصم (فانه ربما يطاع على وجه) من وجوه (تاليس) خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به) فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم أيضاً (وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان) ولو كان ضعيف القلب أو البدين (على الإفصاح عن كل ما استجريا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبس) من خصمه (قادر بذلاقة لسانه) أي طلاقته (على حل عقدة التلبس) فمن كان كليل اللسان غير مفهم عن وجه البيان ربما يغلبه خصمه (وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه من الجهود في حقه) لا يقصر بوجه من الوجوه (فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره) أي لا يشغله (ولا يبالي به ظفر خصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك) فالاغتناء بالامر لا بد من مراعاته (فان كان شا كافي هذه الاربعة) بمجموعها (أوفي كل واحدة منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله) ولم يثق به (بل بقي مترع القلب) فلقه (مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره) أي يخافه (من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين) على الله تعالى (في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى) مرتبة (اليقين الذي لا ضعف فيه) أصلاً (كلا كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله) ويشقي ويتعب ليكماله (فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية) وبجزومه (وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار) والشهرة المنقولة على السنة الناس (بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصور الحق بالباطل) أي على صورته (أو الباطل بالحق) أي على صورته وفيه ورد ان من البيان لسحرا (فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف) من الله تعالى بان يلهم في روعه (أو باعثة اذ جازم أن لا فاعل) في الحقيقة (الأن الله كما سبق) في التوحيد (واعقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد) بأسرهم (ثم تمام العطف والعناية والرحمة) الموسعة (بجملة العباد والاحاد تسلك لالحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه) من الوجوه (ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة) والتغير يقال حال الشيء حولا اذا تغير عن أصله (والقوة عبارة عن القدرة) في أحد الاصول الثلاثة نفسه وبدنه وقنيتيه وقد جاء تفسيره في حديث مرفوع لا حول عن

والتجربة وتواتر الاخبار بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعثة اذ جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بكنهه ورحمته لك عناية ورحمة تاكل لالحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة

فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الخصال الأربع أو إضعاف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعاً لآلوههم وطاعته عن غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة وربما نفر طبعه (٤٦٣) وتعذر عليه تناوله ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك

وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره إلا أن ولا يحيبه وان كان قادراً عليه كما انها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل بالبقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطماً نيتته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طماً نيتته معه كما قال تعالى لا تراهيم عليه السلام أولم تؤمن قال بلى ولكن لبطمئن قاي

المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله وفي القوت قيل لسهل ما التوكل قال التبري من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل يعني بهذا أن لا تنظر إلى حركتك مع المحرك اذهو الأول ولا إلى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيتته اذهو الثبات الآخر فتكون الأولية والآخرة حقيقة شهادة لك لربه أنه أول آخر بعين اليقين فيخرج نفي الشرك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة اليقين أي فعندها يصح توكل بشهادة الوكيل (فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الخصال الأربع) أو إضعافها (وإضعاف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه) أي المرض المانع لحال التوكل بعد اليقين بالتوحيد بالافعال لان الوهم يتعلق بالتقديران الاحتمالية (فان القلب قد ينزعج تبعاً لآلوههم وطاعته من غير نقصان في اليقين) وقد ينقاد لطاعة الوهم كما ينقاد لطاعة العقل فاذا زار الشيطان بغروره ووعده بالفقر وخوف منه تعلق الوهم بإبعاد الشيطان فخبث النفس وخبث طبعها شفقة على نفسها فيبقى العقل وما فيه من اليقين مستوراً تحت ضباب الوهم وشهوة النفس فان ازداد اليقين ضياء واشتعلت فيه ناراً أيد الله العقل بالملك الملهم حتى يمد به يعلم يدفع به وسوسة الشيطان وكيدته فحينئذ يشعشع شمس اليقين ضباب الوهم وخيال النفس ويتغير القلب عما كان عليه ويعتمد على الله تعالى ويطمئن إليه بعد ان كان معتمداً على الاسباب مطمحاً بتدبيره وحوله وقوته ويعرف يقيناً ان لا حول ولا قوة إلا بالله وكل يقين لا ينشأ عنه حال هذا سيبه (فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة) أي الخمر (ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله) لما قام به من الوهم (ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش) واحداً (أو يبيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره إلا أن ولا يحيبه وان كان قادراً عليه) فانه ليس بممتنع ولو كان حياً لا يدعى القوة والشجاعة عليه (كما انها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه) فان كل ذلك غير ممتنع (مع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات) وهذا كله عمل الوهم المتعلق بالظنون والاحتمالات البعيدة والنظور من الحقائق الجارية على اختلاف العادات (وهو نوع ضعف فلا يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى) هذا الضعف (فيصير مرضاً) سوداوي (حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل بالبقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطماً نيتته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طماً نيتته معه كما قال تعالى) مخاطباً لخليله عليه السلام حين سأله عن احياء الموتى (أولم تؤمن) أي أولم تصدق بقلبك (قال بلى ولكن لبطمئن قاي فالتمس أن يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به) وكان قد حصل له عليه السلام مرتبة اليقين أولاً فطلب أن يرفى إلى مقام عين اليقين المعبر عنه بالطمأنينة (ولا تطمئن) النفس (باليقين في ابتداء أمره إلى ان يبلغ بالآخرة إلى درجة جنة النفس المطمئنة) فتسكن حينئذ تحت الامور وتزاولها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات (وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر باب المال والمذهب) المبتدعة (فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني) مطمئن القلب إلى نصرانيته (ولا يقين لهم أصلاً وانما هم كما قال تعالى في أمثالهم) (يتبعون الظن ومانهوى النفس) مما تعارضهم من الشهوات (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الذي يتبصرون به (وهو

سبب
فالتمس أن يكون مشاهداً احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ في الآخرة إلى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أبواب المال والمذهب فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وانما يتبعون الظن ومانهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه فاذا الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالحصول الاربعة أحد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى (٤٦٣) وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون

من ثقته انسان مثله
وقد قال صلى الله عليه
وسلم من استعز بالعبيد
أذله الله تعالى واذا
انكشف لك معنى التوكل
وعلمت الحالة التي سميت
توكل فاعلم أن تلك
الحالة لها في القوة
والضعف ثلاث درجات
(الدرجة الاولى)
ما ذكرناه وهو أن
يكون حاله في حق الله
تعالى والثقة بكفالاته
وعنايته كحال في الثقة
بالوكيل (الثانية)
وهي أقوى أن يكون
حاله مع الله تعالى كحال
الطفل مع أمه فانه لا
يعرف غير هاولا يفرغ
الى أحد سواها ولا يعتمد
الاياها فاذا رآها تعلق
في كل حال بذيلها ولم يخلها
وان نابه أمر في غيبتها
كان أول سابق الى لسانه
يا أمه وأول خاطر يخطر
على قلبه أمه فانه مفرغه
فانه قد وثق بكفالاتها
وكفائتها وشهقتها ثقة
ليست خالية عن نوع
ادراك التمييز الذي له
ويفطن انه طبع من
حيث ان الصبي لو
طوب ب تفصيل هذه
الخصال لم يقدر على
تلقين لفظه ولا على

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه) لا يلفتون اليه أصلاً (فاذا الجبن) عن الاقدام (والجرأة) عليه (غرائز)
مركوزة في الطباع (ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل) وتعارضه (كما أن ضعف
اليقين بالحصول الاربعة) المذكورة (أحد الاسباب) المضادة له (واذا اجتمعت هذه الاسباب) في امرئ
(حصلت له) (الثقة بالله تعالى) (وصح وصفه بالتوكل) (وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من) (هو) (ثقتة)
أي الذي يثق به (انسان مثله) رواه صاحب القوت عن سديد بن داود عن يحيى بن كثير قال مكتوب في التوراة
فذكره قال سديد يقول لولا كذا المكان كذا لولا فلان لهدأكت فعمناه عندي قوله ثقتة أن يعتد مد عليه
ويستكن اليه فهو شرك في التوحيد ونقص من المريد اذا لا ينبغي الثقة والسكون الا الى الواحد القهار (وقد قال
صلى الله عليه وسلم من اعتر بالعبيد أذله الله تعالى) قال العراقي رواه العقيلي في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من
حديث عمر أوردته العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان
في الثقات وقال يخالف في روايته انتهى قلت وكذلك رواه الحكيم في النوادر والرافعي في التارخ والدبلي
وعبد الله بن عبد الله بن حجازي في الحديث روى له ابن ماجه وقال الذهبي في الديوان روى عن الحسن بن الحسن
لا يعرف وما ساقه العراقي عن العقيلي هو لفظ الذهبي في الميزان والاعتزاز بالشئ هو الامتناع به من النوائب فمن
امتنع عن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فقد دل ومن اعتر بعرض الدنيا فهو المخذول في دينه الساقط من عين الله
تعالى والخبر يحتمل الدعاء لانه طلب العز من غير العز وتعلق بالاسباب دون مسبها فاستوجب الدعاء عليه
أوهو خبر عن أن العبيد كلهم أذلاء تحت قهر العز يرفن لجأ الى أحد منهم فقد تعجل ذلاً آخر على ذله وقوله اعتر
هكذا هو في الرواية بالعين المهملة والزاي ووقع في كتاب الحكيم ضباطه بخطه بالغين المعجمة والراء من الاغترار
وقال لان الاغترار بالعبيد منهاجه من حب الغرار وطلبه له فاذا طلب ذلك من العبيد ترك العمل بالحق والقول
به ليعظموه فلذلك اغتراره بهم فعاقبة أمره الذلة اما في الدنيا عاجلاً واما خروجه منها في أذل ذلة وأعنف عنف
فمن أسلم وجهه لله وذلته نفسه نال حظاً من عزه ومن أعرض عنه واغتر بغيره حرمه غره وأخساه وصغره
(واذا انكشف لك معنى التوكل) الذي هو اعتماد القلب وسكونه أو عدم اضطرابه لتعلقه بمسبب الاسباب
ورب الارباب (وعلمت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة
الاولى ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحال في الثقة بالوكيل) أي
يكون في قوة اعتماده على الله يجري مجرى اعتماد أحدنا على أشفق الناس وأنصحهم كالوالدين مثلاً وذلك حال
هذا التعلق بهم ما في كل حاله وان تعلما معه فعلا تخالفاً لغرضه فلا يعتد غشهما بل يعتقد انهما حاربان له الخبير
فتراه يفخر بكفائتهما وكفالتهم باضلاع الجزع والشكوى الدرجة (الثانية) وهي أقوى (من الاولى) (أن)
يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه فانه لا يعرف غير هاولا يفرغ الى أحد سواها ولا يعتمد الاياها فاذا
رآها تعلق في كل حال بذيلها) وتشبه به (ولم يخلها) تذهب ولا تنجي (وان نابه أمر في غيبتها كان أول سابق على
لسانه يا أمه) يستغيث بها لما يعلم من شفقتها عليه (وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانه مفرغه فانه قد وثق
بكفالتها وكفائتها وشهقتها ثقة ليس خالية عن نوع ادراك التمييز الذي له ويفطن انه طبع) فيه (من حيث ان
الصبي لو طوب ب تفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك
وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبي بأمه فيكون
متوكلاً حقائقاً فان الطفل متوكل على أمه) والى هذه الدرجة أشار من قال المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوى اليه
ألا ترى أنه كذلك المتوكل لا يهتدى الا الى ربه عز وجل نفعه القشيري وجعل الكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة
أن يكون في قوة اعتماده كرجل له كثر لا ينفذ فلا يعرف طريق غيره فلا يسأل عن غنى هذا وقوة اعتماده قال

احضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبي بأمه
فيكون متوكلاً حقائقاً فان الطفل متوكل على أمه

والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني قبل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية (٤٦٤) وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه * (الثالثة) وهي أعلاها

وهذه أقوى من الاولى (والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار) أبو محمد (سهل) رحمه الله تعالى (حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني) على الله أي فلا يتمنى على الله شيئا نظرا الى ثقته (قال) وما (أوسطه قال ترك الاختيار) لله تعالى (وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه) ولفظ القوت قبل وما أعلاه قال لا يعرف الا أن من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذكر كلاما انتهى ولعل عدم ذكره نظرا الى حال السائل فإنه لم يكن ممن يخبر بذلك والا فقد قال سهل بنفسه أول مقام في التوكل كذا وكذا وأشار الى الدرجة (الثالثة) وهو في سياق المصنف (وهي أعلاها) أن (يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه) في حال (الا أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك الميت) (الغاسل الميت) عينا وشيئا لا (وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلا يحدث جبرافيكون باثنا عن الانتظار لما يجري عليه ويغارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها وبعد وخلفها بل هو مثل صبي علم أنه وان لم يزعق بأمه فالأم تطالبه وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله له وان لم يسألها اللبن فالأم تفتاحه وتسقيه) وجعل السكالمحمد بن اسحق هذه الدرجة الثالثة أن يكون في قوة اعتماده وعدم اضطرابه كرجل غذاؤه بين يديه وهو يتناول منه فان طمأنينته أكثر من الاول والثاني (وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداء قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق) لها وانما يثمر ذلك لانه مدحوش فرح بوجود الرزق عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط) وقد أشار الى كل من المقامين كلام الصوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجدناهم يعمدون (ولكنه عز بزنادر) الوقوع (والمقام الثاني والثالث أعزها) وأقلها (والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه) وثباته (أبعد منه) أي أكثر بندا من وجدانه (بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب) الظاهرة (طبع) مركز زفيه (وانقباضه) عنه أمر (عارض) والعارض سر ربع الزوال (كأن انبساط الدم الى جميع الاطراف) من البسطن (طبع وانقباضه عارض) يكون نارة وتارة

أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك الميت يد الغاسل الميت وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلا يحدث جبرافيكون باثنا عن الانتظار لما يجري عليه ويغارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها وبعد وخلفها بل هو مثل صبي علم أنه وان لم يزعق بأمه فالأم تطالبه وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله له وان لم يسألها اللبن فالأم تفتاحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداء قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء

والمقام الثاني والثالث أعزها والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض

والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قديم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع الى الله بالدعاء والانهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي (٤٦٥) بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك

تدبيره من جهة غير الوكيل
ولكن لا يترك التدبير
الذي أشار اليه وكيله به
أو التدبير الذي عرفه من
عادته وسنته دون صريح
اشارته فاما الذي يعرفه
بأشارته بان يقول له لست
أحكم الا في حضورك
فيشتغل بالحالة بالتدبير
للحضور ولا يكون هذا
مناقضاً لوكيله عليه اذ
ليس هو فزعاً عنه الى
حول نفسه وقوته في
اظهار الحاجة ولا الى حول
غيره بل من تمام توكله
عليه أن يفعل ما رسمه له
اذ لم يكن متوكلاً عليه
ولا معتمداً له في قوله لما
حضر بقوله وأما المعلوم
من عادته واطراد سنته
فهو ان يعلم من عادته انه
لا يحتاج الخصم الامن
السجل فتمام توكله ان
كان متوكلاً عليه أن
يكون معولاً على سنته
وعادته وواقعة تضاهيها

(والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قديم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول) والحاصل أن عزة وقوع تلك الاحوال للضرورة مادة البشرية والدرجة يجب اكتسابها بأسبابها عند هجوم النفس على الاسباب المحرقة لدواعي الحاجات ولو قام الخلق كلهم بهذا القدر من الواجب من التوكل فضلا عن المستحب للزهم الاجمال والاقتصاد في الطلب ولم يرف في الدنيا شرطي ولا مكاس ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت) مدهوشا فرحا بالرازق عن الرزق (والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع) والاتجاه (الى الله تعالى بالدعاء) والتضرع (والانهال) وهو (كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه بأشارته فانه يقول له لست أحكم الا في حضورك فيشتغل بالحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً لوكيله عليه في تلك الخصومة) اذ ليس هو فزعاً عنه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحاجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله فهذا ما يعرفه بأشارته الصريحة (وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا من السجل) وهو الدفتر المكتوب فيه أصل المعاملة أو الوثيقة التي أثبت فيها أصل ما يتخاصمون عليه (فتمام توكله ان كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته وواقعة تضاهيها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا الاستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد ان حضر وفاء بأشارته واحضار السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بأشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال) ترد عليك (في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كان كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال) قريباً (فاذا فرغ المتوكل

(٥٩ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا الاستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد أن حضر وفاء بأشارته واحضار السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بأشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال فاذا فرغ المتوكل

الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضاً بلا جدوى فاذا لا يصير مفيداً من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمداً على حاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا الاحول ولا قوة الا بالوكيل الآن هذه السكامة لا يكمل (٤٦٦) معناها في حق الوكيل لانه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهم مفيدين في انفسهم حاولوا يكونوا مفيدين

لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين اذ جعلهم - ما شرطنا - سيخلفه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لاحول ولا قوة الا بالله حقاً وصدقاً فمن شاهد هذا كما كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فحين يقول لاحول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه السكامة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بغير فهم لفظها وهيئات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه السكامة وثوابها الى كلمة لاله الا الله وثوابها كنسبة معنى احداها الى الاخرى اذ في هذه السكامة اضافة شيتين الى الله تعالى فقط وهما الاحول والقوة واما كلمة لاله الا الله فهو نسبة السكل الىه فانظر الى التفاوت بين السكل وبين شيتين

لنعرف به ثواب لاله الا الله بالاضافة الى هذا وكذا كرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبيين فكذلك لهذه السكامة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قيداً وبالقشورين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (من قال لا اله الا الله

صادقا من قلبه من اجله وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد (٢٦٧) بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث

وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص ورأه هما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم الخاضعون نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سر موضوعة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الماعوا الظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيئة (أي مطلقة) في الرأى متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد وهو الركب على الأناث (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجلة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما وأنجها ما أنشدني بعضهم في الذم رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

صادقا لمخلصا من قلبه وجبت له الجنة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم قلت حديث زيد بن أرقم عند الطبراني وفيه مخلصا دون صادق فيه دخل الجنة وفي آخره قبل وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله ورواه كذلك الحكيم وأبو نعيم في الحليسة ورواه ابن النجار من حديث أنس مثله وفيه بعد قوله الجنة قبل أفلا أبشر الناس قال اني أخاف أن يتكلموا ورواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد بدون تلك الزيادة وكذلك رواه الطبراني من حديث أبي شيبة الخدرى وقد تقدم كل ذلك في الدعوات ومعنى الاخلاص بلالة الله عند الخاصين به أن يشهدوا أن لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا الله ولا هادى ولا هادى ولا مضل الا الله كما أنه لا اله الا الله هذا عندهم في قرن واحد وبمشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل لهاديين وضلين كما جعل معطين وماتعين ولكن من بعد اذنه حقيقة ومشيئته وقدرته وحكمته (وحديث اطلق من غير الصدق والاخلاص) كما في حديث سلمة بن نعيم الاشجعي عند الطبراني في الاوسط من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق (أراد بالمطلق المقيد) بالوصفين (كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به) الايمان المقيد (بالعمل الصالح) فكذلك هنا (فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص ورأه هما) أى حركة اللسان وحديث النفس (ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون) في أعمالهم الصادقون في أقوالهم (نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى) متفاوتة (وان كان لا ينتهي الى الملك أما ترى ان الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال) والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين (على سر موضوعة) أى منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الملك والظل والفواكه والاشجار والحور) فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة (وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين) وقيل لما شبه حال السابقين في التنعم بأكل ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكل ما يفتناه أهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين حالين (ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيئة) أى مطلقة (في الرأى متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد وهو الركب على الأناث (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجلة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما وأنجها ما أنشدني بعضهم في الذم

رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شئ منجذب اليه

وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهايم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهو لاهم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل وإنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو أما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال وإذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لاله الا الله ومعنى قول (٤٦٨) لاحول ولا قوة الا بالله وأن من ليس قائلهم ما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان

قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدته نظره فهي مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذا ثبتوا

(وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهايم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهو لاهم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل) شبههم بالانعام لما في قصوى همهم الميل الى الذات الحسية التي تزول سريعاً ثم قال بل هم أضل (وأنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو) لما فيها من النقص في الادراك (وأما الانسان ففي قوته ذلك) لانه خلق بميما ملكي فهو مرتبة بين مرتبتين (والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال) لانه ترك ما هو قادر عليه وتقدم انشاد قول الشاعر

ولم أز في عيوب الناس عيباً * كنعص القادرين على التمام

(واذ كان هذا كلاما معترضا) بين كلامين سبق لادنى مناسبة (فلنرجع الى المقصود) المهم فيما نحن فيه (نقد بينا معنى قول لاله الا الله) في التوحيد (ومعنى لاحول ولا قوة الا بالله) قريبا (ومن ليس قائلهم ما عن مشاهدة) معنيهم ما (فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله تعالى وهما الاحول والقوة) فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين (في المعنى الباطن) ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليس من جهة الآدميين بل هو من خالق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وهما أهل اليونان (وطوائف كثيرة) من الطبائعين والحكماء (من يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر) بنصفين (بحدته نظره) ودقة فكره (فهى مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون) عن أسرار البتول (إذا ثبتوا لانفسهم أمرا) زاعين بذلك تنزيه الباري عما لا يليق (وهو) في الحقيقة (شرك في التوحيد) واثبات خالق سوى الله تعالى (فأى مزلة أعظم من هذه) فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا قريبا (انه ليس في التوحيد الاعقبان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيوم والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهاما وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك أعظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها (وتفسيرها وبيانها) فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الاحول والقوة والتوكل على الواحد الحق) وهكذا عبر به عنه بعض الشيوخ (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) والله الموفق بكرمه

(الفصل الثاني في بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)

(اعلم) لانفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الاعقبان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيوم والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهاما وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك أعظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الاحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى *(بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)*

ليبين أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي قلت لأبي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن عيذك ويسارك ما تحرك لذلك سرله فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة (٤٦٩) التوكل فما ذكره أبو موسى فهو خير

(اعلم) وفي نسخة ليتبين (أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي) هكذا في النسخ وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة إلى ديبيل الرملة قرية بها أو هو بفتح الدال وباء تحته ساكنة وباء موحدة مضمومة إلى الديلي مرسي من مرامي السند وقد نسب إلى كل منهما جماعة من أهل العلم ولم أجدا لأبي موسى ترجمة (قلت لأبي يزيد) يعني البسطامي قدس سره (ما التوكل فقال ما تقول فيه أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي) أي الحيات (عن عيذك ويسارك) أي وغيرهما (ما تحرك لذلك سرله) لقوة اليقين بالله والاعتماد عليه (فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك) وفي نسخة لك (تمييز عليهما) وفي نسخة بينهما أي بأن ميزت أحدهما عن الآخر يعني اخترت لنفسك شيأ (خرجت من جملة التوكل) لأن الاعتماد على الله تعالى ينافي أن تنسب لنفسك فعلا لأنك لا تعلم مصطنك في أي جهة لافي النعم ولا في العذاب فلا يليق بك تمييز ولا اختيار وذكر نعيم الجنة وعذاب النار لأنهما أشد من غيرهما والأفليس بمرادين بل المراد مطلق النعم والعذاب ولفظ القشيري في الرسالة وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله السيرواني يقول سمعت أبا موسى الديلي يقول قيل لأبي يزيد ما التوكل فقال لي ما تقول أنت فيه والباقي سواء وهذا يدل على أن السائل له على التوكل غير أبي موسى (فما ذكره أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل) وأعلاها (وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة) الإلهية (وأن ما فعله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل القول بالعدل والحكمة ووراءه سر القدر) الذي نهى عن كشف سره وهذا السياق مؤيد لما قلته التي تقدم ذكرها (وأبو يزيد) قدس سره (قلما يتكلم الامن أعلى المقامات وأقصى الدرجات) لعل حاله وتكفيه في مقامه (وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار) الذي يجبل نور (أذ سدا منافذ الحيات) بقطع من رذاته (الآن يقال فعل ذلك بيده) وفي نسخة برجله (ولم يتغير بسبب ذلك سره) أي باطنه (أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم) عزاه رزين لأنساب ورواه ابن الجوزي في الوفاء وقد تقدم الكلام عليه (لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره) وتغيره (لا مبر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال) أي لأن مقام الصديق يقتضي التبري من الحركة مطلقا الآن يقال أن ذلك كان في مبادئ سلوكه قبل أن يتصرف بمقام الصديقية (ولكن سيأتي أن أمثال ذلك وأكثرنه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري (قدس سره) عن التوكل فقال هو (خلق الارباب) وهو ما سوى الله تعالى بما عاك القاب عادة ويكون مسخره بمنزلة العبد (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى (وخلق الارباب إشارة إلى علم التوحيد) فان من اتخذ غير الله بالموحده (وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال) فقد أشار إلى العلم الذي هو أساس التوكل والعمل الذي هو غرته (وليس فيه تعرض صريح للحال) للذي من نتائج الاعمال (وإن كان اللفظ يتضمنه) فتكون دلالة عليه بالالتزام (قيل له زدنا) في البيان بعبارة

عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أعز أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار أذ سدا منافذ الحيات الآن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لا مبر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثرنه

لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلق الارباب وقطع الاسباب فخلق الارباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا

فقال القاء النفس في العبودية (٤٧٠) واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقاموا على حمدون القصار عن

أخرى ليفهم (فقال القاء النفس في) أحكام (العبودية) بان يكون دائماً مشغولاً بما أسره ونسي عنه (واخراجها) من دعوى (الربوبية) وسلبها عنها (وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط) فانه مالم يتبرأ منها لم يتصف بالعبودية المحضة وهو تفسير باللازم نظراً الى فهم المخاطب ولفظ القشيري وسمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمي يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصري وسأله رجل فقال ما التوكل فقال فساقه (وسئل) أبوصالح (حمدون) بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى (عن التوكل) ماهو (فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانيق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة) ففقد قول حمدون ان التوكل عبارة عن الاعتماد على الله وحسن الظن به وعدم اليأس عن روجه وهذا المعنى أقرب مما أشار اليه المصنف (وسئل أبو عبد الله) محمد بن أحمد (القرشي) ترجمة القوصي في الوحيد (عن التوكل) ماهو (فقال هو) (التعلق بالله تعالى في كل حال) والمراد به الاعتماد عليه (فقال السائل زدني) في البيان (فقال هو) (ترك) الاعتماد على (كل سبب) ولو لم يباشر المطلوب بل كان (يوصل الى سبب) آخر يباشر المطلوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولى لذلك) فيصرفك كيف يشاء هكذا أورد القشيري (فالاول عام في المقامات الثلاث) اذا تعلق بالله لا بد منه في كل منها (و) الجواب (الثاني اشارة الى المقام الثالث) الذي هو أعلى الثلاثة وهذا يدل على أن المشايخ غايبيون فيما يسألون على قدر مقام السائلين فانه في الاول أجاب بما نعلم الثلاث فلما استتراده وتفرس فيه القوة أجاب بما هو أخص وأعلى ويحتمل أن يقال انه أجاب أولاً بحقيقة التوكل وعبر عنه بالتعلق بالله خاصة فاستتراده بما ثبت له هذا المقام فأجاب أن ترك الاسباب تصل الى ذلك وفي ترك الاسباب كلام يأتي فيما بعد (وهو مثل توكل ابراهيم عليه السلام اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة) وهو مكتفٍ مربوط في كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى الى نار وقد تأججت (فقال اما اليك فلا) فأعرض عنه وتعلق بالله (اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له) عن السقوط في النار (فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت) مدهوش (غائب عن نفسه بالله تعالى) أي فيه (فلم ير معه غيره لفنائته فيه عنه وهو حال عز في نفسه ودوامه ان وجد) في السالك (أبعد منه وأعز) وهو منتزع من سباق القشيري قال سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبابكر البردعي يقول سمعت أبابيعقوب النهر جوري يقول التوكل على كمال الحقيقة ما وقع لابراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام اما اليك فلا لانه غاب نفسه بالله فلم ير مع الله غيره اه وقد تقدم للمصنف نحو ذلك في الفناء في التوحيد وقال صاحب القوت سئل الامام أحمد عن التوكل فقال هو قطع الاستشراق بالايامن عن الخلق قيل له فالحجة فيه قال ابراهيم عليه السلام قال له جبريل ألك حاجة قال اليك لا قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين الى أحبهما اليه هكذا ذكره أحمد فكانه جعل التوكل التغويض والرضا بغير ان الاحكام من غير مسئلة ولا اعتراض وهذا بعمرى هو حال المتوكلين (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراساني) المتوفى سنة ٢٧٧ (التوكل) هو (اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب) نقله القشيري (ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به) واعتماده

التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانيق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل) فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو

عليه (واضطرابه بلاسكون اشارة الى فزع اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيدته الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها) والذي فهمته من قول أبي سعيد انه أشار بقوله ذلك الى أن ترك الأسباب ليس من التوكل في شيء وإنما القصد عدم سكون القلب اليها بحال فهذا هو معنى قوله اضطراب بلاسكون ثم بعد مباشرته لها ان تغيرت فلا يضطر بالذلك بل يديم سكون قلبه اليه مسيهاً ويؤيده ما قال سهل فيما نقله القشيري التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب يستغنى بقى على حاله فلا يتركن سنته اهـ أى يكون السابق لقلبه سكونه الى الله تعالى بلا اضطراب في التعلق بالأسباب فأشار به الى تمام التوكل الذي هو عدم الركون الى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها فلا يقوم عبودية الأسباب الاعلى ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل الاعلى قدم العبودية فأراد بالاضطراب الاول الضرب في الارض للتكسب ان كان معيلاً أو أراد بالاضطراب الثاني وهو المنفى تعلق القلب وان شئت قلت التوكل هو اضطراب بلا اضطراب أو هو سكون بلا سكون ویراد بالسكون الاول التعلق بالسبب والثاني سكون القلب وكلام أبي سعيد من أبدعه وأحسنه وما شرحناه به أقعد مما أشار اليه المصنف والله أعلم (وقال أبو علي) الحسن بن علي (الدقاق) النيسابوري شيخ القشيري (للتوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخيرين أعلى مما قبله كما أفاده سياقه هنا (فالتوكل يسكن الى وعده تعالى بقوله وما من دابة في الارض الا على الله زفوا له اختيار) (والمسلم يكتفى بعلمه تعالى بحاله فانه يعلم ما هو فيه) (وصاحب التفويض مرضى بحكمه) تعالى أى بكل ما يجري به الله تعالى عليه ووافق غرضه أو خالفه ولا اختيار لهما لانهما مسلما وفوضا الامور اليه تعالى يفعل بما هما هو صلاح لهما نقله القشيري اهـ اعانه (وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك) وظاهر هذا تفضيل مقام التسليم على التوكل والتفويض وسأنت في التنبيه ما يؤيد بذلك ويؤيد ما شرحناه قول القشيري بعده وسعته يعنى الدقاق يقول التوكل بداية والتسليم وسائط والتفويض نهاية اهـ أى ان التوكل اعتماد والتسليم راحة والتفويض رضا يجري ان الاحكام قال وسعته أيضاً يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء والتفويض صفة الموحدين والتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خاص الخواص وقال أيضاً التوكل صفة الانبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السكالي أبو بكر محمد بن اسحق في مقاصد المنجيات والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم لان غاية جلب النفع ودفع الضرر والتفويض والتسليم ينشآن عن ملاحظة علم الله وحكمته وتقديره للاشياء في ازلها وحقيقتها ما لا يقيد والاذعان للامر والنهي وترك الاختيار في الفعل بل في جملته ما حكم الله به وقضى لان المنفعة التي يطلب المتوكل جلبها والمضرة التي يطلب دفعها قد ينكسان فتكون المضرة منفعته والمنفعة مضرة ولذلك علمنا الله ربنا وخالفنا التفويض والتسليم وترك الاختيار بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فنسب ذلك الى علمه وأثبت لنفسه وسلبه عنا بقوله وأنتم لا تعلمون (وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا تظلم به فان الكشف) عن الحقائق (أنفع من الرواية والنقل) المجرد (فهذا ما يتعلق بحال التوكل) ولا بأس أن نورد ما قاله الشيوخ ولا سيما في بعض ما قالوه حقيقة التوكل وفي بعضه اشارة الى أعلى مقاماته ومعرف ذلك مهمة فنقول قال صاحب القوت قال بعض العارفين لماسئل عن حقيقة التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لا جلاله يكفي أو يعافى أو يوفى فجعل نظره الى توكله علة في توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا ملل ولا يكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضاً الذي هو طريقه وقد عبرت طائفة من أهل المعرفة عن هذا المعنى بعبارات فقال أبو تراب الخشبي التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية وقال الزقاق التوكل ردا العيش الى يوم واحد

واضطرابه بلاسكون
اشارة الى فزع اليه
وابتهاله وتضرعه بين
يديه كاضطراب الطفل
بيدته الى أمه وسكون
قلبه الى تمام شفقتها
وقال أبو علي الدقاق
التوكل ثلاث درجات
التوكل ثم التسليم ثم
التفويض فالتوكل
يسكن الى وعده والمسلم
يكتفى بعلمه وصاحب
التفويض مرضى بحكمه
وهذا اشارة الى تفاوت
درجات نظره بالاضافة
الى المنظور اليه فان العلم
هو الاصل والوعد يتبعه
والحكم يتبع الوعد ولا
يبعد أن يكون الغالب
على قلب المتوكل ملاحظة
شيء من ذلك وللشيوخ
في التوكل أقاويل سوى
ما ذكرناه فلا تطول بهم
فان الكشف أنفع من
الرواية والنقل فهذا ما
يتعلق بحال التوكل والله
الموفق برحمته ولطفه

واسقاط هم غد وقال غيره التوكل هو الخلود تحت الموارد وكان بعض أشياخنا اذا سئل عن التوكل أجاب عنه
بعين الحقيقة فيقول هو أن تكون مع الحق كالم تكن فان الحق الآن كالم نزل وقال الجري التوكل معاينة
الاضطرار أي يكون بضاعته عند مولاه الافلاس وحاله في الاعمال الاياس وقال سهل التوكل هو التبري من الحول
والقوة وقال غيره هو عدم الاهتمام بما قد كفى كالايتيم الصحيح بالدواء اذا عوفي وكان الحسن يقول التوكل هو
الرضا وهو اشارة الى أعظم ثمراته وقيل هو تسليم الاقدار كلها لا القادر واعتقاد أن جميعها قضاءه وقدره وهو اشارة
الى القدر المأمور وضمنه وقال ابن عطاء ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى
النار وكذلك قال أبو عبد الله القرشي في التوكل انما هو اطمان الى الله سر او جهرا ورضي به كفيلا ونحوه قال
رويم انما التوكل الثقة بالله في كل ماضن في حال وقال أبو موسى الديلمي التوكل هو أن يستوى عندك البداية
وباب الطاق وقال غيره التوكل استيلاء الوجد على اشارة وحذف التشرف الى الازفاق يعني يغلب وجمده اشارة
بقول أوهمة فيشغله عن التفرغ الى غيره وقيل التوكل هو الكف عن الاغيار في السر والعلانية والسكون الى
الخلق بلا واسطة وقال سهل التوكل هو التقوى واحتج بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان المعنى اعبدهم بالتوكل
وقال مرة هو اظهار الفقر والفاقة اليه وافقه في ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطي فقال التوكل هو قصد
الفاقة والافتقار وقال النهر جوري التوكل نسيان حظوظ النفوس وقال الخواص التوكل الا كنفاء بعلم الله
فيك من تعلق القلب بسواه وقال يحيى بن معاذ من حقيقة التوكل ترك العبد محابه لمحاب الله واختياره لاختيار الله
وتدبيره لتدبير الله بالغناء عن نفسه وبالنظر الى مجاري الاحكام والقدر وهذا اشارة الى المقام الثالث وقال أيضا
التوكل على ثلاث درجات ترك الشكايه والرضا والمحبة فترك الشكايه أن لا يشكوره وبالرضا ان يرضى بما قسم له
والمحبة أن تكون محبته في قضاء الله تعالى فأولها للصالحين والثانية للاولياء والثالثة للابدال وهذا اشارة الى
درجات البداية أما توكل النبيين والصديقين فهو أن لا يركن القلب الى سبب ولا مخلوق ولا ينظر الى مادون
الله نظرة وهو من عزائم التوكل قال وأخبرني بعض الاشياخ عن أبي علي الروذباري انه قال التوكل على ثلاث
درجات الاولى منها اذا أعطى شكر واذا منع صبر والثانية المنع والعطاء عنده واحد والثالثة المنع مع الشكر أحب
اليه من اختياره وقال غيره التوكل على ثلاث درجات اولها الصبر عند البلاء وأوسطها الشكر عند شهود البلاء
وآخرها الرضا بمجاري الاقدار والاحكام هذا ما انتقته من كتاب قوت القلوب مع الاختصار وقد ذكر القشيري
في الرسالة بعض ما هو في القوت فلنذكر ما لم يذكره صاحب القوت قال جدون التوكل هو الاعتصام بالله وقد
أشار بذلك الى عموم التوكل في المقامات الثلاث وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضى
بالله وكبلا وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال أن لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقك الهول
نزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها وذكر القشيري قول أبي تراب الخشبي السابق الا انه زاد
بعد قوله بالرؤيت والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر وقال ذو النون التوكل ترك تدبير
النفس والاختلاص عن الحول والقوة وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه
وقال سهل التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد وهذا اشارة الى مقام التسليم وفيه ترك الاختيار وقال غيره
التوكل أن يستوى عندك الاكثار والتقل وهذا اشارة الى مقام من مقامات التوكل وقال ابن مسروق التوكل
الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وهذا اشارة الى مقام التقوى وفيه ترك الاختيار وهو المقام الثالث
وقال أبو عثمان الحبري التوكل الا كنفاء بالله مع الاعتماد عليه وهذا اشارة الى المقام الثاني وسئل الرزاق عن
التوكل فقال هو الا كل بلا طمع وهذا اشارة الى احسدى أماراته. وقيل التوكل نفي الشكوك والتقوى الى
ملك الملوك أراد بنى الشكوك قوة اليقين وأطلق التوكل على التقوى وهو أعلى منه لانه من ثمراته كما أن
اليقين من أصوله ففيه اشارة الى الاصل والثمره وقيل التوكل الثقة بما في يدى الله تعالى والبأس عما في أيدي
الناس وهذا اشارة الى سبب التوكل الذي هو الاعتماد على الله لا على نفسه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكير

*** (بيان أعمال المتوكلين) ***
 اعلم ان العلم بورث الحال
 والحال يثر الاعمال وقد
 يظن ان معنى التوكل ترك
 الكسب باليد وترك
 التدبير بالقلب والسقوط
 على الارض كالخرقة
 الملقاة وكالعدم على
 الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع
 والشرع قد أنى على
 المتوكلين فكيف ينال
 مقام من مقامات الدين
 بمحظورات الدين بل
 تكشف الغطاء عنه
 ونقول انما يظهر تأثير
 التوكل في حركة العبد
 وسعيه بعلمه الى مقاصده
 وسعي العبد باختياره ما
 أن يكون لاجل جاب
 نافع هو مفقود عنده
 كالكسب أو لحفظ نافع
 هو موجود عنده كالادخار
 أو لدفع ضرر لم ينزل به
 كدفع الصائل والسارق
 والسباع أو لازالة ضرر
 قد نزل به كالتداوى من
 المرض فقصود حركات
 العبد لا تعد وهذه
 الفنون الاربعة وهو
 جاب النافع أو حفظه
 أو دفع الضرر أو قطعه
 فلنذكر شروط التوكل
 ودرجاته في كل واحد
 منها مقر ونابشواهد
 الشرع

في التقاضى في طلب الرزق وهذا اشارة الى ثمره من ثمرات التوكل لان نفسه فان من توكل على الله ولم يلتفت الى
 غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان أمر بالاكتساب * (تنبيهه) * تقدم أن التوكل مع
 شرفه مخفض الرتبة عن التسليم والتفويض وهل التفويض أعلى مقاماً أو التسليم فنهى من قال التفويض
 أعلى ومنهم من قال التسليم أعلى وعلى كل حال فالواجب على العبد لجهله أن يستخير الرب تعالى لعلمه وكمال
 قدرته فما للعبد العاجز الجاهل الا الذل والاذعان وترك الاختيار اذ لو فرضنا أن الله تعالى صب على عباده بلاء
 عريان المصلحة لكان يجب على العبد التسليم والاذعان لانه أحكم الحاكمين فقد قال صاحب القوت اعلم أن
 العلماء بالله لم يتكاهموا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولا ليشترطوا عليه
 حسن القضاء بما يحبون ولا ليلبدل لهم حريان أحكامهم بما يكرهون ولا ليغير لهم سائق مشيئته الى ما يعقلون
 ولا ليحول عنهم ما مضى من سنته التي قد خات في عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار الى ما يعملون هو أجل في
 قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا الواعقد عارف بالله تعالى أحده هذه المعاني مع الله في توكله
 لكان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله عصية وكان ما فات عليه من حقيقة التوحيد أشد عليه مما
 أدرك من توهم التوكل وانما أخذوا ونسبهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه باى
 معنى جرى اه فان قال قائل ان كانت الارادة قد خصت الاشياء ووضعتها في مراتبها والقدرة توجب
 ذلك بالضرورة في الوقت المقدر اذن المحال أن تخصص الارادة شيئاً ولا توجد القدرة على وفاء
 التخصيص فافاندة التوكل وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالجواب عن هذا كالجواب في مسألة
 الدعاء فكأن الدعاء عبادة في نفسه فكذلك التوكل عبادة تعبد بالله تعالى به وهو والدعاء من جهة الاسباب
 التي رتب عليها مسبباتها ولذلك قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافر من لا مولى لهم ومعلوم
 أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافر من الا أن للمؤمنين ولاية خاصة سوى الولاية العامة بسبب توكلهم على
 مولاهم وكما أن الدعاء اذا وافق المشيئة حصل المدعو به بعينه وان لم يوافق المشيئة عوض عن المدعو المطلوب
 اضعافاً فكذلك المتوكل يتوكل على الله في جميع أموره والرب تعالى يجرى عليه أحكامه التي سبقت بها مشيئته
 فان وافقت غرض المتوكل فهو الرزق بالشهد وان خالفت غرضه عوضه الله تعالى على توكله اضعافاً ذلك ومن
 هنا قالوا ان التسليم أفضل درجات التوكل لانه يثبت على أعز أنواع العلم والحكمة وهو الذي يشير اليه سياق
 المصنف فيما مضى كما نبهنا عليه آنفاً والله أعلم

*** (الفصل الثالث في بيان أعمال المتوكلين) ***

(اعلم) وقل الله تعالى (ان العلم بورث الحال والحال يثر الاعمال) فالعلم هو الاصل والعمل ثمرة الحال والحال
 يتبع العلوم والاعتقادات وقد تحزب الناس في ذلك احراباً بين القائل بطلع الاسباب وبين القائل بالدخول فيها
 وبين المتوسط بطريق الاجمال في الطلب ولكل فريق وجه مع قصوره عن الاحاطة بقاصد الشرع في وسائل
 العبادات من مقاصدها وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر روابط المقاصد واقتقارها الى الاسباب واستغناء
 بعض المقاصد عن الدخول في الاسباب مع وجه الافضل في ذلك فقال (وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب
 باليد وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكالعدم على الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أنى على المتوكلين) ومدحهم كفى غير آية وغير حديث (فكيف ينال مقام
 من مقامات الدين بمحظورات الدين) وفي نسخة بمحظوراته (بل تكشف الغطاء عنه) بالتحقيق في ذلك (ونقول
 انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد والسعي بعلمه) وفي نسخة بعمله (الى مقاصده وسعي العبد باختياره)
 لا يخلو (اما أن يكون لاجل جاب نافع وهو مفقود عنه كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو
 لدفع ضرر ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضرر قد نزل به كالتداوى من المرض فقصود حركات
 العبد لا يعدو) أى لا يجاوز (هذه الفنون الاربعة) وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو قطعه فلنذكر
 شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقر ونابشواهد الشرع

(الغن الأول) في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك اذا انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجحف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما بطرأ عليك في الحال ما يزيد عقلك ويبطل قوة حركتك فتكون كالمهتول لا تدري كيف تفعل وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيقول بينك وبينه (أو يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعدى في مجرى سبل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضمه فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في) صحة (التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين) من السلف الصالحين (ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

(٤٧٤)

تعالى فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك

(الغن الاول) في جلب النافع (فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الاولى المقطوع به) أي بحصول السبب بعده (وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف) ولا ينفك (كأن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج) الى الاكل (ولكنك لست تمد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي) والحركة (ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه) بعد المضغ (باطباق أعالي الحنك على أسافله) لبتيمرله الابتلاع (فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك) من غير حركة منك (فقد جهات سنة الله تعالى) في عباده وكذلك الحال في الشرب بان يكون الماء بين يديك وأنت عطشان فلا تتناوله وتقول أنا متوكل وتناول اياه حركة والحركة تنافض التوكل فالدخل في هذا واجب وتركه حرام فلو ترك هذا اعتمادا على الله بان يخلق له ربا غير شرب كان جاهلا عاصيا (وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر) وحرث (أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام) من غير من بشر (فكل ذلك جنون) وجهل (وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك) فلا بد من اعتقاد ذلك (وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجحف في الحال وتفلج) وكيف تعول على قدرتك وربما بطرأ عليك في الحال ما يزيد عقلك ويبطل قوة حركتك) فتكون كالمهتول لا تدري كيف تفعل وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيقول بينك وبينه (أو يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعدى في مجرى سبل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضمه فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في) صحة (التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين) من السلف الصالحين (ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجحف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما بطرأ عليك في الحال ما يزيد عقلك ويبطل قوة حركتك

القوافل

وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو

يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل * الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزل التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز

وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يـ عليه الخواص فان قلت فهو ذاسعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهد هوا وسواها (١٧٥) على الصبر عن الطعام أسبوعا وما

يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية فبعد هذين الشرطين لا يتخلف في غالب الامر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة أوقرية أو الى حشيش يجترى به فيجابه بجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا حبل ولا دلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوءه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الدار كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالباً) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء) مما يوجد في البوادي (وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان ابراهيم الخواص مجردي التوكل بدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فرائض والفقر لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يفتقر ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل مافي معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

القوافل بغير زاد رجاء تسخير الناس له والجلوس في المساجد تفرغاً للعبادة وغلق الابواب على الامتعة وشرب الادوية المجرية للحمية في الغالب فالتلبس بهذا كله مباح في الشرع غير واجب تركه ولا فعله وأصل التوكل واجب فيبقى الدخول في الاسباب المتفاوتة على أصل الاباحة والمباح ينقلب فحسبها بالمقاصد (وهو) أي ترك استصحاب الزاد في الاسفار (من أعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت (فان قلت هذا سعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة) أي الدخول في البرية بغير تخيير ولا قافلة ولا زاد سبب للهلاك وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحا (فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه) في الحضر (وجاهد هوا وسواها) وعودها (على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى) بان لا تسقط قوته في القيام في صلاته (والثاني) قوة الحال وغلبة الانس وهو (أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية) التي لا تعدقونافي الجلة (بعد هذين الامرين لا يتخلف في غالب الامر في البوادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة) وهي منزلة العرب وفي نسخة محلة (أوقرية أو الى حشيش يزجي وقته به) ترجمة (فيحي به بجاهدا نفسه) صابرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان يقول) ابراهيم (الخواص ونظراؤه من المتوكلين) كما صرح بذلك الخواص نفسه في كتاب التوكل والمراد بنظرائه مثل يحيى بن معاذ الرازي وكان يوسع في التوكل بالاسباب ويأمرهم من غير مساكنة لها ولا وقوف معها وهو أوسع طريقا وأبسط حالا من الخواص ولكن مسلك الخواص أعلى وحاله أسنى على ضيق في طريقه وقبض في حاله وتشديد وعزيمة في مقامه من توكله ومنهم أبو تراب النخشي وذو النون المصري وحاتم الاصم وعلى الصوفي رحمهم الله تعالى وقد ذكر صاحب القوت لكل منهم ما يدل على شدة عزائمهم في التوكل (والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل) ولغز القوت وكان ابراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تغافره أربعة أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الركوة والحبل والابرة والخيط والمقراض ادخارها عند الخيط مع الابرة شيئا واحدا لان الابرة من غيرها لا تجدي نفعا (وسببه انه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض) وانما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا حبل ولا دلو في البوادي كما يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الدار كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالباً) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء) مما يوجد في البوادي (وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان ابراهيم الخواص مجردي التوكل بدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فرائض والفقر لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يفتقر ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل مافي معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتشكف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل مافي معنى هذه الاربعة أيضا يلحق بالدرجة الثانية لانه

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوعاً الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الأول ولا حشيش ولا بطارقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كجاري أن راها من الزهاد فارق الامصار وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقضني اليك فأوحى الله جل ذكره اليه وعزني لأرزقك (٤٧٦) حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصرو وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا شراب

فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي فإذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوعاً الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الأول ولا حشيش ولا بطارقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه (كجاري أن راها من الزهاد من الزهاد) في بني اسرائيل (فارق الامصار) بنية التوكل (وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقضني اليك فأوحى الله اليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصرو وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا شراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي) نقله صاحب القوت بلفظ حدثت عن رجل تفرد في فلاة من الارض وانقطع عن الخلق وقال ان كان لي رزق أتاني قال فليت أياما لم يأت به شيء حتى أضربه الضعف وقال يا رب ان كان لي في الارض رزق فأتني به والا فاقضني اليك قال فأوحى اليه وعزني وجلالي لأرزقك حتى تدخل المصرو وتقعدين ظهوري الخلق قال فعدل الى أقرب الامصار اليه ودخل مسجداً فأتاه انسان بطعام وأتاه آخر بشراب فأكل وشرب فأوحى اليه أردت ان تبطل حكمتي وتسقط حكمي بتوكلك على ان أرزق الخلق بايدي الخلق أحب الي (فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض أصل) (التوكل كما ضربناه مثلاً الوكيل بالخصومة من قبل) ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب (لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البوادي اذا لم يكن مهلكاً نفسه كما تقدم فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد) هذا (ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق) وصوله (ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام) لانه تسبب لاهلاك النفس نظر الظاهر الشرع وكان هذا العموم المتوكلين والا فقد نقل صاحب القوت عن بعضهم قال قلت لبعض السالف لو ان عبداً دخل بيتاً وطيس عليه باباً ولا يعلم به أحد كان رزقه يأتيه فقال نعم فقلت ومن أين يأتيه فقال من حيث يأتيه ملك الموت (وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة) من ذكر وقراءة ومراقبة وغيرهما من أنواعها (فالكسب والخروج) الى الناس ومعاملتهم (أولى له ولكن ليس فعله) ذلك (حراماً الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال) ان لم يمكنه الكسب (والكسب) ان كان مطيقاً له (وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البادية اذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة قال الكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً الا أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل (٤٧٧) الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو

من مقامات التوكل وهو
أن يشتغل بالله تعالى ولا
يهتم برزقه فان الرزق
يأتيه لا محالة وعند هذا
يصح ما قاله بعض العلماء
وهو أن العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كالمو
هرب من الموت لا دركه
وأنه لو سأل الله تعالى
أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصيا ولقال له
يا جاهل كيف أخلقك
ولا أرزقك ولذلك قال
ابن عباس رضي الله
عنهما اختلف الناس
في كل شيء الا في الرزق
والاجل فانهم أجعوا
على أن لا رازق ولا ميت
الا الله تعالى وقال صلى
الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا
وقال عيسى عليه السلام
أنظر والى الطير لا تزرع
ولا تحصد ولا تدخر والله
تعالى يرزقها يوم يوم
فان قلتم نحن أكبر
بطونا فانظروا الى الانعام
كيف يقبض الله تعالى لها
هذا الخلق للرزق وقال
أبو يعقوب السوسى
المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعضهم

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل الى الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى) مع كمال الحال
وغلبة الانس (واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من) جملة (مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى) بذكر
وفكر ومراقبة (ولا يهتم برزقه فان الرزق) مضمون (يأتيه لا محالة) حتى يظهر له ملك الموت فيختم به فينقطع
عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة واليه يشير كلام أكثر الشيوخ في معنى التوكل فن كانت مشاهدته
في القسم المعلوم سقفا عنه جملة من الهوم واستراح العباد من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه (وعند هذا يصح
ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كالمو هرب من الموت لا دركه) ولغذا القوت ويقال
لو هرب العبد من رزقه لا دركه في وقته كالمو هرب من الموت لا دركه هكذا هو في موضع آخر كما وينبغي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو هرب أحدكم من رزقه لا دركه رزقه كالمو هرب من الموت لا دركه أجله (وان لو سأل الله
تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان) في سؤاله ذلك (عاصيا ولقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك) نقلة
صاحب القوت ويؤيد الاول ما ورد في الخبر أن الرزق ليطالب العبد كما يطلبه أجله رواه الطبراني والبيهقي من
حديث أبي الدرداء ورجاله ثقات وصححه الحافظ ابن حجر وفي رواية لابي نعيم في الحلية عنه ان الرزق ليطالب
العبد أكثر طلبا للعبد من أجله وقال صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي أتاه فتاؤه ثمرة وقال له خذها ولولم تأتها
لا تأكل وتقدم هذا للمصنف ألا ترى انه قال لا تأته ثمرة وهي لا تسعى بنفسها ولكنها تسعى اليها بنظرها
يدفعها اليك فكذلك الرزق على تصرفين رزق طلبته فتلقاه ورزق يطلبك فيلقاك وما ليقك فقد لقيته وفي
خبر آخر لكل عبد رزق لا محالة وروي لكل عبد رزق هو آكله وأثره واطنه وحنت هو فاتله وأما القول
الثاني فروى عن سهل من قوله ولغظه لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه ما استجاب له أبدا ويقال له اسكت
يا أحمق لولم أرد أن أرزقك ما خلقتك أنا الذي خلقتك لا بد أن أرزقك كما خلقتك (ولذلك قال ابن عباس)
رضي الله عنه (اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم أجعوا على أن لا رازق ولا ميت الا الله
تعالى) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا ولزالت بدعاتكم الجبال) هكذا هو في القوت قال العراقي تقدم قرييادون هذه الزيادة
التي في آخره ورواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين لوعرفتم الله حق
معرفة لمشيتم على الجور ولزالت بدعاتكم الجبال رواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلادون
قوله لمشيتم على الجور وقال هذا منقطع انتهى قلت ورواه ابن السني من حديث معاذ أيضا كما رواه محمد بن
نصر وعند هما زيادة ولو خفتم الله حق خفتم العلم الذي ليس معه جهل ولكن لا يبلغ ذلك أحد قيل
يا رسول الله ولأنت قال ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كالمو رواه الحكيم الترمذي في النوادر
بلفظ لو خفتم الله حق خفتم العلم الذي لا جهل معه ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعاتكم الجبال (وقال
عيسى عليه السلام) في معنى الحديث السابق (انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى
يرزقها يوم ما يوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام) هي أكبر منكم بطونا (كيف يقبض الله لها
هذا الخلق للرزق) كذا في القوت ورواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى
عليه السلام اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم انظروا الى هذا الطير يغدو وروح لا تحب ولا يحصد الله تعالى
يرزقها فان قلتم نحن أعظم بطونا من الطير فانظروا الى هذه الايام من الوحش والجر تغدو وتروح لا تحب
ولا تحصد الله يرزقها اتقوا فضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله رجز (وقال أبو يعقوب السوسى) من
السوس بلدي لا هواز من أخذ عن عبد الواحد بن زيد وعنه أبو يعقوب النهرجورى (المتوكلون تجرى
أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون) ولغذا القوت المتوكلون تجرى أرزاقهم
بعلم الله واختباره على بد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون (وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة) ولفظ القوت وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بالذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار والتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب الخلق معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكده والذين يأكلون أرزاقهم يعز بغير مهنة ولا انتظار ولا ذلة فالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون قسمهم من يده بعزّة وبه تم الكلام على الدرجة الثانية فان قلت فما المقاصد التي ترجع الدخول في الاسباب المظنونة أو ترجع ترك الدخول فيها فقول يختلف ذلك باختلاف الاحوال ولربحان الدخول في الاسباب المظنونة أحوال الحالة الاولى انه لو ترك السبب يمتنع المتعلق بحاله ومقصده لا شغل عن العبادة والذكر والفكر ومقصود الشرع بالتوكل والسبب فراغ القلب لذلك فيكون الدخول في السبب فضيلة في حقه قال الله تعالى وما جعله الله الا بشئ لئلا يفتروا عليه ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فخر فناجل جلالة ان امداد الاولياء بالملائكة وسيلة لطمانينة نفوسهم عند اضطراب طبع البشرية الذي لا يدخل تحت اختيار العبد لكنه مشاغل القلب مزاحم لذلك كراهة طمئن قلوبهم بما أمدهم به حراسة لقلوبهم عن نزغات النفس والعدو وسلب النصر عن الملائكة وأضافه الى نفسه لانه الفاعل على الحقيقة فهكذا ينبغي ان تفهم مثل هذه الحالة الحالة الثانية ان يكون اماما متبوعا فيدخل في الاسباب ويحمل في سفره الزاد ويستعمل في مرضه الدواء ليعتدي به في ذلك وهو متعلق بالله تعالى في الباطن لا يلتفت الى الوسائط وهذه طريقة الانبياء والعلماء والمشايخ الحالة الثالثة رجل استوى عنده وجود الاسباب وعدمها فعدمها عنده كوجودها ووجودها عنده كعدمها فان شاء تلبس به لانه مشغول بالسبب عن السبب وان شاء تركها لعله بقيام الحق عليه كفيلا وان لاطفه بعبد أسببا خفية لا يطلع عليها العباد دون الاسباب الظاهرة ولذلك ترجع ترك الدخول في الاسباب المظنونة بعكس هذه الاحوال اذن العباد من لا يتفرغ للعبادة لا يترك الاسباب وهو الاغلب فترجع التركة في حقهم وهذه الحالة أسلم من الاولى فكم من عابد متعلق بالاسباب يظن انه منقطع القلب عنها فاذا انقطعت الاسباب أضعفت اضطرب قلبه وانزعجت نفسه وظهر نقصه لانه كان يعتقد ان حياته بالله وان كانت هذه الحالة أيضا لا تخلو من غرور وفهم من عابد تارك للاسباب يعتقد انه زاهد تقي وان عرض عليه شيء من الاسباب مالت نفسه اليه ورغبت لما كانت فيه من الزهد والتقوى وانما كان ذلك بسبب الفسق والعجز فالامتحانات هي التي تخرج ما في النفوس من المكامن الجيدة أو الرديئة ولذلك رأى العلماء كل محنة منحة لما فيها من النعمة باظهار ما في نفوسهم من مكامن العدو حتى يلقي الله بقلب سليم عن غيبه ويقياس على ما قدمناه في جلب المنافع ازالة الضرر وسيأتي الكلام على ذلك للمصنف في بيان ان ترك التدابير قد يحمد في بعض الاحوال والله أعلم (الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي) مسيبتاتها عندها موهومة لا مظنونة ولا مقطوع بها وهي التي (يتوهم) افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها) أولها أو أسطها أو غايتها (وهو الذي الناس فيه) قدامه وألفوه طريقة (أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباح) وكل ذلك يناقض التوكل وتركه من أعمال المتوكلين (فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة) أو مضية الى شبهة (فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل) أصل (التوكل) فان قلت قد زعمت ان التوكل واجب وقلت ان الاستقصاء في الاسباب الموهمة مبطل له ولا يبطل الواجب الا بفعل حرام فنزاد على بابه فقلا نانيا وثالثا كان فعله حراما وما ذهب الى هذا أحد من العلماء قلنا هات ثلاث درجات طرفان وواسطة الدرجة الاولى الدخول في الاسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش يستر عيب العين المعيبة

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة
الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباحا فاما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل

طلبنا زيادة الثمن وادخار الاقوات وما أشبهه فالاجماع قائم على ان التوكل يبطل بهذه الاسباب الدرجة الثانية
 كزيادة فضل وتدقيق حيلة وادخار قوت يزيد على سنة فقد رأى بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كإسباني
 قريبا والذي يظهر كقوله محمد بن اسحق الصوفي انه يبطل كماله لأصله وسيأتي الكلام عليه الدرجة الثالثة
 وهي المتوسطة بين الطرفين واليهما أشار المصنف بقوله (وهذا مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل
 نسبة الرقبة والطيرة والسكى بالاضافة الى ازالة الضرر) وقد ذهب الخواص في كتاب التوكل الى ذلك وتبعه
 صاحب القوت واية تبع المصنف وتنويسي الخواص وأبو طالب المكي حتى صارت المقالة منسوبة الى المصنف
 واحتج الخواص على ذلك بقوله (فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك) يشير الى حديث ابن
 مسعود الذي تقدم ذكره آنفا وفيه قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتون ولا يتطرون ولا يسترقون
 وعلى ربهم يتوكلون (ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا يأخذون من أحد شيئا ولم يصفهم
 بانهم يتعاطون هذه الاسباب) وقد فضلهم صلى الله عليه وسلم ومدحهم بما تقدم ثم سألهم عكاشة أن يجعله
 منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقا يعمورأى معه زاده وشهد فيه القوة والتحقيق فاهله لذلك ولما قال له الاستراخ
 الله ان يجعلني منهم احتذاه ولم يرد ذلك فيه ولا وجد منه يؤمله ولم يعززه اذ المقامات لا يقتدي بها ولا يغفل
 فيها كما لا تدعى لانها مواجيد قلوب بايجاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب فمن سما اليها بغير قوة بتسور
 فانه ينكص عنها قبل البلوغ فيثور لانها تنهار به لما يرد اليه من نفسه وطبعه فلما لم يشهد صلى الله عليه وسلم
 ذلك مقامه ولم يرمه قوته واعلامه أوقفه على حده وحكم عليه بوجده ورده الى ضعفه ومنعه من تصوره وعسفه
 فردودا جملأ لانه كان صلى الله عليه وسلم حبيبا كريما فقال قد سبقك بها عكاشة والذي ذهب اليه محمد بن
 اسحق الصوفي ان هذا أيضا يدل على بطلان كمال التوكل لأصله لانه الذي ورد في السبعين ألفا الذين يدخلون
 الجنة بغير حساب واذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك وذلك لان التوكل يراد ذاته ولغيره أما كونه مرادا
 لذاته فلان أصله الايمان بالله وأما كونه مرادا لغيره فلو جهن أحد ههما واجب والاخر مستحب أما
 الواجب فلنكفه عن الاسباب المحظورة والمكرهة القريبة من المحظورة وأما المستحب فلنكفه على الاجمال في
 الطلب وتفريغ القلب عن كل شاغل من الاكوان ولولم يكن فيه الاعراض الانتباه الى الله وتعلق القلب به وهو
 المقصد الاسنى من بعثة الانبياء لكفى فاذا فهمت هذا تزلت على هذين الوجهين تلك الدرجات والله أعلم (وأما
 هذه الاسباب التي يوثق بها في المسببات مما تكثر فلا يمكن احصاؤها وقال أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله
 تعالى (في) حقيقة (التوكل انه ترك التدبير) وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الامل
 وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعني انك شاركت الربوبية في حب وصف البقاء (وقال) أيضا
 (ان الله عز وجل خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما جعل يحجبهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط
 الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية) وقال صاحب القوت بعد ان نقل
 القولين ما نصه قد كثر قوله رحمه الله تعالى في ترك التدبير وينبغي ان يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك
 التصرف فيما وجه العبد فيه وقد أبج له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد وقد
 كان له أرض زرعهما فكان يدبر شأنهما رأى يبعها في آخر أمره وفرق عنها انما يعني بترك التدبير ترك الاماني
 وقول لم كان هذا اذا وقع الامر ولم لا يكون كذا اولو كان كذا فيمالم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم
 وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشقة وجريان الحكم ويعني ترك التدبير فيما بقي
 وما ياتي بعد أي لان في مثل هذا يقول لا تشتغل بالفكر فيما التدبير به بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك في
 الوقت الذي هو أزم لك وأوجب عليك حتى تكون فيما ياتي من الاحكام والتصرف في ترك التدبير والتقدير
 لها بالزيادة والنقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عسدا الى آخر بالتقديم والتأخير تكون في ذلك كما
 كنت فيما قدم مضى فالقرب ان الانسان لا يدبر ما قدم مضى قال فينبغي أن يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير له

وهذا مثل الاسباب التي
 نسبتها الى جلب النافع
 مثل نسبة الرقبة والطيرة
 والسكى بالاضافة الى
 ازالة الضرر فان النبي
 صلى الله عليه وسلم وصف
 المتوكلين بذلك ولم يصفهم
 بانهم لا يكتسبون ولا
 يسكنون الامصار ولا
 يأخذون من أحد شيئا
 بل وصفهم بانهم يتعاطون
 هذه الاسباب أو أمثال
 هذه الاسباب التي يوثق
 بها في المسببات مما يكثر
 فلا يمكن احصاؤها وقال
 سهل في التوكل انه ترك
 التدبير وقال ان الله
 خلق الخلق ولم يحجبهم
 عن نفسه وانما يحجبهم
 بتدبيرهم ولعله أراد به
 استنباط الاسباب البعيدة
 بالفكر فهي التي تحتاج
 الى التدبير دون الاسباب
 الجلية

فإذا قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بهم عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الأسباب على ثلاث مقامات * (الاول) * مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي (٤٨٠) بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده * (المقام الثاني) * أن

تارك الزاد لا قامته فيه بمعاني ما ذكرنا أكثره أيام فيما مضى فيستوى عنده الحالات لأن الله أحكم الحاكمين وإن العبد مسلم للأحكام والأفعال راض عن مولاه بالأقدار مع جهله بعواقب المسأل فترك التدبير بهذه المعاني هو من اليقين واليقين هو شهادة المعرفة بحقيقة الحق المبين فإذا جعل تعالى قلب المؤمن مكانا لذلك كمن فيه على قدر المكان ما يليق به فهذا تفسير قوله الذي كان يقوله ومقتضاه بامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت أنا وأما كن فيما أنت الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان وتقدم في التوحيد وقد كان يقول أيضا الزهر انما هو ترك التدبير وهذا يعني ترك الأسباب التي توجب التدبير أو إخراج السبب الذي يجب تدبيره لأنه لا يكون متسببا متيقنا للأسباب وهو ترك تدبيره لأن التدبير في هذا الموضع انما هو التمسك بالقيام بالأحكام ووضع الأشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الأشياء وهو عاقل متميز متعبد بالعلم مطالب بالأحكام مع امساكه وانما يقول تارك الأشياء المدبرة وازهد في الأسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير لسقوط أحكامها عنك ولا ستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل حجة قوله رحمه الله في ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين (فإذا قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي لا يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون) به (وإن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الأسباب على ثلاث مقامات (الاول مقام) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (ونظرائه) الذين تقدم ذكرهم (وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد) يحمله ويشكل عليه بل (ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر) على التوكل (أسبوعا وما فوقه) بيوم أو يومين (أو تيسير حشيش له) من حشائش الأرض (أو قوت) من يد آدمي (أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد) معه (قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن فقده) وقد أنكر عليه ابن القيم وجهه في تقريره على هذه الحالة وتقدم الجواب عنه في مقدمة كتاب العلم (المقام الثاني) أن يقعد في بيته أو مسجد (من مساجد المسلمين) ولكنه في القرى والامصار فهذا أضعف من الاول ولكنه أنما متوكل لأنه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الأسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره إلى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه إليه لآل سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم له (وتحريك دواعيهم) إلى الكرامه (المقام الثالث) أن يخرج ويكتسب كسبا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب والمعاش (وهذا السعي لا يخرج به أضعاف مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك على عرض أن يهلك) رفق نسخته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع) على الكاغذ (فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك) الموقع (انه بما يتحرك وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم) فالنظر إلى القلب دون الملك تصور

قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده * (المقام الثاني) * أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ولكنه أنما متوكل لأنه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الأسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره إلى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه إليه لآل سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم له (وتحريك دواعيهم) إلى الكرامه * (المقام الثالث) * أن يخرج ويكتسب كسبا على الوجه الذي

ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج به أضعاف مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة وجهه نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك انه بما ذاعيل وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم

ثم ان كان هذا المكتسب مكتسباً لغيره أو لغيره على المساكين فهو بيده مكتسب بقلبه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذ روعيت فيه الشروط وانضاف اليه (٤٨١) الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي

الله عنه لما يورع بالخلافة أصبح أخذ الأتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان راعها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو لان الشيطان لا سلطان له على القلب الا بواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لا اختلاف الاحوال في القوة والضعف في العباد من لا يتأقلم به التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلم به ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقاً اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم به المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وجوه (ثم ان كان هذا المكتسب مكتسباً لغيره) ان كان معيلاً (أو لغيره على المساكين) ان كان منفرداً (فهو بيده مكتسب بقلبه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته) أو في مسجد أشار اليه الخواص في كتاب التوكل وسـ ياتي قريباً بيان عبارته (والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذ روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان) النبي صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك أهلي ومالي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دولتي على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشئ من سمن واقط فلو كان الكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكله ولكنه أحب ادخال المشقة على نفسه وكره التعم واختار ايثار أخيه بما آثره برعايته لحق أخوته وأعلى منه مقاماً ما روى ان أبا بكر (الصديق رضي الله عنه لما يورع بالخلافة) وتم له الامر (أصبح وأخذ رزمة الاتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي) الامن بشترى الثوب (حتى كرهه المسلمون) ومنعه من ذلك (فقالوا كيف يفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة) فبلغه ذلك (فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له) من بيت المال (قوت أهل بيت من المسلمين) لا وكس ولا شطط (فلما رضوا بذلك) جميعاً وانفقوا عليه (رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى) من الاشتغال بالكسب الا تراه كيف آثر القيام بحكم الله عليه وكان ذلك هو علم حاله ومقتضى علمه (ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق) رضي الله عنه (في مقام التوكل فن أولى بهذا المقام منه) وهو امام الائمة وقطب الصديقين (فدل على انه كان متوكلاً) بالاعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب) وبانه انتقل من الحكم الاول الى الامر الثاني بحكم حاكمهم أوجب عليه وبتصريف الوكيل على توكله فيه (وبشروط كان راعها في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار) لغد (ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره) الى غير ذلك مما تقدم في آداب الكسب (فن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو لان الشيطان لا سلطان له على القلب الا بواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لا اختلاف الاحوال في القوة والضعف في العباد من لا يتأقلم به التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلم به ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقاً اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم به المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهم ما وكن من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دنانيراً (٤٨٢) ولا استريح منه إلى قبراً أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد

لا يتسكك في التوكل ويؤمنه وادوام استقامة أهلها وزمها لقلوبهم هي مقامات (وقال أبو جعفر) كذا في النسخ وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلم ويقال عمرو بن مسلم (الحداد) النيسابوري والمعروف أنه أبو حفص لا غير (وهو شيخ الجنيد) في التصوف (رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً) أو عشرة دراهم (ولا أبيت منه دنانيراً ولا استريح منه إلى قبراً أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل) دخول (الليل وكان الجنيد) رحمة الله تعالى يتأدب معه كثيراً وكان (لا يتسكك في التوكل بحضرته وكان يقول استحي) من الله (أن أتسكك في مقامه) أحواله (وهو حاضر عندي) كذا في القوت وبلغني أنه ترك العمل لما نظر إليه الغلام الذي كان ينفخ عليه الكبر فراه يدخل يده في الكبر وهو يتأطى فيخرج الحديد جراً ورده إلى الكبر فغشى على الغلام ثم حدث به الناس وكانوا يغتابونه وينظرون إليه فترك الصلوة قال وبلغني في سبب هذا أنه سئل بأي شيء تلت هذه المنزلة إن لا تحرق النار فقال بدعوة فاسق فقيل كيف هذا قال وجدت مع أهلي رجلاً ففرعاً مني شديداً فاختذت بأيديهما وقلت أخرجاً بسلام فقال لي الرجل جعل الله عليك النار برداً وسلاماً فهذا من أجابة دعوته بسترى على مسلم ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت أبا حفص الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل وأنا أعلم في السوق وأخذ كل يوم أجرة ولا انتفع منها بشيء ماء ولا بدخله حمام وكنت أجيء بأجرني إلى الفقراء في مسجد الشونيزية وأكون على حالي اه وهذا مقام بالغ في التوكل لأن من عرف بالكسب والاستغناء عنه بالنسبة لم يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته في شيء من الدنيا (واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية) وزوايا المساجد (مع معلوم) معين (بعيد من) وصف (التوكل فإن لم يكن) هناك (معلوم) معين (ولا) (وقف) حبس عليها (وأمر الخادم بالخروج للطلب) والسؤال (لم يصح معه التوكل الأعلى ضعف) لاستناد القلب في الجملة إلى ما يأتي به الخادم (ولكن يقوى بالحال والعلم) بعدم الركون واسقاط النظر عن الوسائط فيكون (كتوكل المكتسب) كما سبق (وان لم يسألوا) بانفسهم ولا بواسطة الخادم (بل فنعوا بما يحمل اليهم) من حيث لم يحتسبوا (فهذا أقوى في توكلهم) لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق) أي في حكمهم (ولا يكون داخل السوق متوكلاً بالشرط كثيرة) كما سبق فربما في كتاب الكسب (فان قلت فما الفضل) في حق السالك (أن يقعد في بيته أو يخرج) إلى السوق (ويكتسب فاعلم أنه ان كان) بمن يتفرغ ترك الكسب لفكروذ كر) ومراقبة (واخلاص واستغراق وقت بالعبادة) ما بين صلاة وقراءة (وكان الكسب يشوش عليه ذلك) ويفرق وقته واهمته (وهو مع هذا لا تشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل) إلى البيت (فيحمل اليه شيئاً) من الدنيا (بل يكون قوى القلب في الصبر) على شوائبه (والاتكال على الله تعالى فالقعود له) بهذه الشروط (أولى) من الخروج والكسب فهذه شروط خمسة الأولى تفرغ القلب للذكر والفكر وهذا هو الأصل والثاني كون الكسب مما يمنع من هذا التفرغ فان كان لا يمنع فالخروج أولى الثالث عدم تشوش النفس إلى ما يأتي بواسطة الناس فاذا تشوشت فالخروج أولى الرابع قوة القلب في الصبر أي حتى على الموت على هذه الحالة ان لم يأتيه رزقه فاذا لم يكن عنده الصبر على ذلك فالخروج أولى الخامس قوة القلب على الاتكال على الله تعالى فالجري ما جرى لا يتحرك قلبه في باطنه أصلاً وهذا الشرط روح الاربعة المذكرة وقد فصل المصنف ما ذكرناه فقال (وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس) بما يأتي منهم (فالكسب أولى لان) اضطراب القلب يشعر عن عدم قوة قلبه على الاتكال على مولاه (استشرف القلب إلى الناس سؤال بالقلب) وهو عندهم أشد من سؤال اللسان (وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

لا يتسكك في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتسكك في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وأمر الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الأعلى ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل فنعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً بالشرط كثيرة كما سبق فان قلت فما الفضل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم أنه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكروذ كر وذكر واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود

كلام القوم في القوت قال بعض المتوكلين من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظار الغير الله تعالى وقال بعض العلماء من طرقة فاقة سبعة أيام فتصور قلبه طمعاً في خلق أو تشرفا الى عبد فالسوق أفضل من المسجد وقال أبو سليمان الداراني لا خير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب حتى يطرُق بسبب وقال بعض علماءنا إذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه فترك الكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده بمعاده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال إذا دخل عليه الضرفي جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلاً بحاله ونظر الى قيام الله عليه وقال الخواص في كتاب التوكل لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون مطالباً قد اغتته الحال عن المكاسب وأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عزوف بحول بينه وبين التكسب فالعمل أولى به والكسب أجل له وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكسب يعني أن يكون قد كفي بالكفاية القاطعة من قلبه عن التكسب الظاهر من جوارحه وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا لا يضعف الى تطالع وتشرف بقول معلوم هذا من كسبه الذي أحل به أفضل له من طمعه في غيره الذي كره له هذا كله كلام الخواص وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور ولم يؤث المر يدون الامن جهتين من قلة الصدق واصابة الحق ومن ركوز الادلة الى الدنيا فدلوههم على علوم أنفسهم وصدق المر يد في ايثار الخول ولزوم الباب و فراغ القلب وخوف فوت الوصول والتارك للتكسب والتصرف في الاسواق اذا كان في أدنى كفاية واعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكسب اذا خاف ان لا ينال المعيشة الا بمعصية الله تعالى من دخول في شبهة أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في الاكتساب فترك مباشرة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب وقد قدم مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم تروه سقط عنه حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا الاستئثار كالإظهار ولا المعائن كالخبر والتكسب ليس بفرض وقد يفترض باحد معنيين بوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجهه من الوجوه أو بان يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع تقدم ما يقام به الفرض مما لا بد منه ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول ترك المكاسب مع الحاجة اليها كسل والتكسب مع الاستغناء عنه كافة وقال في موضع آخر من كتابه وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهو لا يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن التحرك أعلى لان ذلك معلوم ويعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو المقام ولعمري التحقيق ان الحركة في طلب المضمون للخصوص عقوبة فقد سكون القلب الى الرب كما ان ترك الحركة في أعمال البر والقربات عقوبة سكون النفس الى حظوظ الشهوات والعدول من القول في تفصيل ترك التكسب وفعله وفقد المعلوم ووجده ان العبد لا يفضل بفقد الغنى ووجد الفقر ولا يشرف بالقعود عن الحركة من غير ابعاد ولا يعلو بالتحرك الى الاسباب بغير ايجاد وانما يوصف في ذينك بالفقر والاباحة لكن يفضل بحاله من مقامه من زهد أو رضا أو صبر وتوكل أو اقتطاع الخدمة أو إقامة بشغل متصل بصدق معاملة فبهذه المعاني يقع التفضيل عند العلماء فان كان ذو المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقيناً ففضل على من لا معلوم له بمن نقصت معرفته ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أيضاً مع وجود المعلوم علة في الحال اذا ثبت المقام وصح القصد وحسن التصرف والعقد ولكن لا يكون مقاماً يرفع به ولا حالاً يفضل فيه عند طائفة من العارفين الا ان الطمع في الخلق وتشبث القلب مع وجود معلوم أو الكفاية نقصان عند الكل وقطع الطمع في الخلق وقد الشرف الى معتاد منهم أو ما ألوف بهم واجتماع القلب مع العدم وقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة فاما سكون القلب واجتماع بهم

وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فرد فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فإنه يقبل فحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذوكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الخضر ورضى بصحبي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلني فإذا اكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصده الاستكثار ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته أنه ان سرق

وفقد الاستشراف إلى الخلق مع العيال وثبوت الأحكام فهو أفضل وأشرف وهذا حال الأقوياء وطريق الأنبياء اتفقوا على ذلك وأما اضطراب القلب وتفرقة الهم مع وجود العيال فإن كان لاجلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا نقص فيه وقد يوجب عليه وأما مشتات الهم وتفرق القلب ووجد الاهتمام في حال الوحدة للمنفرد فقصيب من الرغبة موفور وصاحبه فيه غير معذور وقد يكون مأزوراً وهذه النصوص كلها شواهد لسباق المصنف ثم قال (وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم) لأن فيه طمعاً في غير مملوع ونظراً إلى غير الله تعالى واتباعاً للميت من غير أن يؤامروا وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسألة والاستشراف إلى الخلق تنزيهاً للفقراء ورداً لهم إلى الله عز وجل ولما منعوا ما منحه جعل لهم هذا العطاء بذلوا إلى قبوله عوضاً لهم عنها كما جعل للأشرف خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تشريفاً لهم وتفضيلاً وقد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (قد أمر) صاحبه (أبا بكر المروزي) نسبة إلى مرو والرو مدينة بخراسان والنسبة على الاختصار (أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه) فاعطاه (فرد) ولم يأخذه (فلما ولي) الفقير بظهوره ومشي (قال له أحمد الحق فاعطه فإنه يقبل) الآن (فلحقه فاعطاه فأخذه فسأل) المروزي (أحمد عن ذلك) أي كيف رد في الأول وأخذ في الثاني (فقال) أنه (كان قد استشرفت نفسه) لذلك (فرد وكان قد أحسن) فلما خرج منصرفاً (انقطع طمعه وأيس فأخذه) لذلك كذا في القوت والعارفين في ذلك أحوال متفاوتة فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك إذا جاءهم السبب بعد قطع الهمم ورواه منهم من كان يأخذه فيخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وتأديباً لها (وكان) إبراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً) نقله صاحب القوت قال وحدثنني شيخ عن رجل دفع إليه ديناراً بمكة وهو لا يعرفه فقبله فلما كان الغد رأى حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقبل إبراهيم الخواص فجاءه بالتسعة الأخرى وكان قد أعد العشرة له فلم يقبل وقال صوفي لا يكون بحري ف (وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره) وكان كثيراً أسفاراً في البوادي المنقطعة والطرق المجهولة فقال (رأيت الخضر ورضى بصحبي ولكني فارقته خشيته أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلني) فمكّن لقيه للخضر امتحانه من الله تعالى به في دعوى مقام التوكل فثبتت والا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوته وهذا القول أخرجه القشيري في الرسالة قال وسعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن أحمد يقول حكى لنا ابن أبي الشيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك فقال لقيني الخضر فسألني الصعبة فخشيت أن يفسد علي توكلني لسكوني إليه ففارقته (فاذا المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب) (الكسب) والمعاش (ولم يقصده الاستكثار) والادخار (ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً) قال الخواص دخول الآفات ومساكنة القصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلاً على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلاً على صحة جسمه وديمام قوته وأنه لا يرزق إلا من كده أو يكون متوكلاً على ماله بأن يتق به أو بطمان اليه ويحسب أنه ان اقتصر انقطاع رزقه أو يكون متوكلاً على جاهه ومنزلته عند الناس أو على ديانتهم وأنه معروف بالصلاح أو على أنه لا يرزق إلا من أجل تقواه ونحوه بأن يتوكل على علمه وما يعرف الناس من فضله فهذه المعاني كلها تخرج من كل التوكل وقد تخفى دقائقها وتدفق حقاياها ويقع الوهم عن وقعت به أنه من المتوكلين على الوكيل أو الناظرين إلى القريب الكفيل وإنما يقطن لذلك جهالة العلماء الراسخون وسماسة الصادقين الزاهدون المتصفون بالعلم المنورون باليقين القائمون على الدوام بالشهادة الناكبة عن مالوف النفس والعادة فنظر إلى هذه المعاني من الأسباب والأشخاص أو سكن إليها سكوت أنس فيقوى قلبه بوجودها فإنه يضطر بيوستوحش أو يضعف قلبه لفقدها وذلك كله على توكله (فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته أنه ان سرق

بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده
واحدا فان لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن (٤٨٥) اليه وكان بشري يعمل المغازل فتركها

وذلك لان البعادي كاتبه

قال بلغني انك استعنت

على رزقك بالمغازل

أرأيت ان أخذ الله

سمعك وبصرك الرزق

على من فوق ذلك في

قلبه فأخرج آله المغازل

من يده وتركها وقيل

تركها لما نوهت باسمه

وقصد لاجلها وقيل فعل

ذلك لما مات عياله كما

كان لسفيان خمسون

دينارا يتجسس فيها فلما

مات عياله فرقها فان قلت

فكيف يتصور أن يكون

له بضاعة ولا يسكن اليها

وهو يعلم ان الكسب

بغير بضاعة لا يمكن فاقول

بان يعلم ان الذين يرزقهم

الله تعالى بغير بضاعة

فيهم كثرة وان الذين

كثرت بضاعتهم فسرفت

وهلكت فيهم كثرة وان

يوطن نفسه على ان الله

لا يفعل به الا ما فيه

صلاحه فان أهلك بضاعته

فهو خير له فله لو تركه

كان سببا للفساد دينسه

وقد لطف الله تعالى به

وغايته ان يموت جوفا

فينبغي أن يعتقد ان

الموت جوفا خير له في

الآخرة مما قضى الله

تعالى عليه بذلك من غير

تقصير من جهته فاذا

بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به (و قد) كان بشري (من الحارث الحافي رحمه الله تعالى
بضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا) على السواء (فان من لم يسكن الى شيء) سكوت
أنس (لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن اليه) وأنس به واليه يشير قول الشاعر
ومن سره ان لا يجد ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخافه فقدا

أي لا يسكن الى شيء هو يفقد عنه فيضطرب قلبه لفقده (و قد) كان بشري (من الحارث الحافي رحمه الله تعالى
يتكلم في الحلال و بشدة فيه فقل له يا أبا نصر فانت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل
وهو يبكي كمن يأكل وهو بخيل وقال مرة ولكن يدأقصر من يدو القمعة أصغر من لقمة وكان رحمه الله تعالى
(يعمل المغازل) يتسبب بها (فتركه) أي العمل وفي نسخة فتركها أي المغازل (وذلك) أي كان سبب تركه
(لان البعادي) هكذا في النسخ وفي نسخة بالغين المعجمة وفي أخرى بالقاف ولم يتضح لي وجه الصواب فيه والى
أي شيء ينسب ولا عرفت هذا الرجل (كاتبه قال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل) أي بصنعها وبيعها
(أرأيت ان أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوق) وفي نسخة فوقر (ذلك في قلبه) بشاهد منه (فأخرج
آله المغازل من يده وتركها) وتركها (التكسب بها كذا في القوت) (وقيل) بل (تركها لما نوهت باسمه وقصد
لاجلها) وطلبت لاجله فقيل المغازل البشرية كذا في القوت وقيل فأي هذين كان قد أنسج له طريق سلكه
بعد الطريق الأول (وقيل) بل (فعل ذلك لما مات عياله) أي زوجته وأولاده فانه ما كان ابعج له التكسب
الا لاجلهم (كما كان لسفيان) الثوري رحمه الله تعالى (خمسون دينارا يتجسس فيها فلما مات عياله فرقها) ولغظ
القوت وقد كان لا ثوري خمسون دينارا يتجسس فيها فلما مات عياله فرقها على اخوانه وترك التكسب
ويقال انه فعل ذلك لما مات عياله وكان قد بقي بعدهم وحيدا وقال زافر بن سليمان كان لسفيان عندي ثمانية
درهم بضاعة فكنت أبضع له بها فقال ذات يوم هاتها فجعلها اصرار وقسمها انتهى وقد تقدم عن سهل أيضا انه
كان له أرض يرزقها ثم في آخر أمره باعها و فرق عنها على المساكين (فان قلت كيف يتصور أن يكون له بضاعة
وهو لا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن) والجواب عن ذلك سهل لاننا نقول السكون على
قسمين سكون بالظاهر وسكون بالباطن فالذي يخرج عن التوكل هو سكون أنس بباطن قلبه مشاهد به
مفوض له أمره معتمدا عليه فلا يخرج به عن التوكل وقد قرر المصنف فقال (فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم
الله تعالى بغير) وفي نسخة من غير (بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرفت وهلكت فيهم
كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فله لو تركه كان
سببا للفساد دينسه) فكم من شخص فسد حاله ودينه بسبب ماله وافتتانه به (وقد لطف الله به) وهذا يرجع الى
الايمان بسعة حكمه الله تعالى وهو واجب (وغايته ان يموت جوفا فينبغي أن يعتقد في قلبه (ان الموت جوفا
خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك) وقدره في الازل (من غير تقصير من جهته) وهذا يرجع الى
الايمان بالقدر خير به وشده وحلوه ومروه وهو ايضا واجب (فان اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها) فصحت قوله بناء على ما تقدم أن بعضهم قال التوكل هو استواء الامرين (ففي الخبر ان العبد ليهم من
الليل بأمر من أمور) الدنيا من (التجارة) وغيرها مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق
عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا خريفا فيظن (وفي نسخة يتطير) بجواره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي
الارحة (رحمه الله بها) هكذا هو في القوت قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند
ضعيف جدا نحوه الا انه قال ان العبد لي شرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث نحوه انتهى قلت لفظ
الحلية ان الرجل لي شرف في التجارة والامارة فيطلع الله عز وجل اليه من فوق سبع سموات فيقول اصر فوا

اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه
فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا خريفا فيظن بجواره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي الارحة رحمه الله بها

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهم ما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا جد ابن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة هذا كلامه مع علقمدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته واعلمه أراد ادراك أقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتحناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد

هذا من عبدى فاني ان قبضته له أدخلته النار فيصبح قيظان بجيرانه من سبقني هكذا رواه من حديث ابن عباس وقدرناه أيضا عن ابن مسعود موافاعليه وروى الطبراني من حديث ابن عباس ان الرجل يطلب الحساسة فيزويها الله عنه لما هو خير له فيتهم الناس طالما لهم فيقول من سبقني (ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهم ما خير لي) فهذا اشارة الى ان العبد على كل حال عاجز جاهل لا يدري بواطن أحواله والرب عالم قادر محيط بعمل العبد سره وجهه مقدر للاشياء خبير بخفايا الغيوب مطلع على حقائق الاحوال وقدرى نحو هذا القول عن عبد الله بن مسعود رواه الطبراني من طريق علي بن نديم عن قيس بن جعفر عنه قال ألا حبذا المكر وهان الموت والفقر وما بأالي باهم ما ابتليت ان كان الغنى ان فيه للعطف وان كان الفقر ان فيه للصبر وقدرناه أبو نعيم في الحلية من طريقه (ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل) وبه يعرف أن التوكل لا يختص بترك الاسباب وترك الاذخار بل يتم أبواب الايمان والعلوم والمعارف والاحوال (ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا جد ابن أبي الحواري) رحمة الله عليه ما وابن أبي الحواري تلميذه (لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة) ولفظ القشيري يا أحمد ان طرق الآخرة كثيرة وشيخان عارف بكثير منها الا هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة انتهي ولفظ الفوت وكان سهل يقول ليس في المقامات أعز من التوكل وقد ذهبت الانبياء بحقيقته وبقي منها صابغة استنفا الصديقون وبعض الشهداء فن تعلق بشئ منه فهو صديق أو شهيد وقال أبو سليمان الداراني في كل المقامات لي قدم الا هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه الا مشام الریح (هذا مع علقمدره) في مقام التوكل وغيره من المقامات (ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه) وفيه دلالة على كمال أبي سليمان واقاربه على نفسه بان التوكل أعلى المقامات وأعلاه الذي هو التوحيص أو التسليم لم يتمكن فيه بعدما حقيقة أوتأبى بالنفس بتقصيرها في نيلها أعلى المقامات واما ما تدبراً من حوله وقوته وهو اللائق بحاله وكمال معرفته (وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره) سبحانه (على العبد من فقر وغنى وموت وحياة) وقبض وبسط (فهو خير له مما يتحناه العبد لم يكمل حال التوكل فبنى التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق) في التوحيد فان قوى ايمانه قوى توكله (وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد) ولفظ الفوت وقد كان أبو حامد يقول من أنكر التكسب فقد طعن في السنة ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل فاقال للتاجر ترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب ولا انتهى السائل عن ان يسأل بل أمر أن يعطى ولكن بالايمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله انتهى وأورده القشيري في الرسالة بعبارتين الاولى قال سهل التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته والثانية سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان انتهى والمراد بحاله صلى الله عليه وسلم في القول الاول أن يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده على الله وسنته أن يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور في تحصيله مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث انه سنة الله ورسوله جرت به كاهل العادة في ربط المسببات بالاسباب مع اعتقاده ان الفاعل هو الله تعالى وأنه لا فاعل للاسباب والمراد بالحركة في القول الثاني الكسب والمراد بالطعن في السنة الانكار بما حوت بذلك كحفر الخندق ولبس الدرع والتحصن وحل الزاد في الاسفار وقد قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية والمراد بالطعن في التوكل أن يقول ان المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره وكونه طعننا

فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى (٤٨٧) الشيطان يعدكم الفقر ويامركم

بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان

الانسان بطبعه مشغوف

بسماع تخويف الشيطان

ولذلك قيل الشفيق

بسوء الظن مولع واذا

انضم اليه الجبن وضعف

القلب ومشاهدة

المتكلمين على الاسباب

الظاهرة والباعثين عليها

غلب سوء الظن وبطل

التوكل بالكلية بل رؤية

الرزق من الاسباب الخفية

أيضا تبطل التوكل فقد

حكى عن عابد أنه عكف

في مسجد ولم يكن له

معلوم فقال له الامام لو

اكتسبت لكان أفضل

لك فلم يجبه حتى أعاد

عليه ثلاثا فقال في

الرابعة يهودي في جوار

المسجد قد ضمن لي كل

يوم رغيفين فقال ان

كان صادقا في ضمانه

فكوفك في المسجد خير

لك فقال ياهذا لولم

تكن اماماتقف بين

يدي اللهوب بين العباد

مع هذا النقص في

التوحيد كان خيرا لك

اذفضلت وعد يهودي

على ضمان الله تعالى

في الايمان أو التوحيد حيث أشرك معه تعالى في الفعل غيره قال صاحب القوت وأخبرني أن موسى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول يقول رجل شيخنا ابن سالم أنحن متعبدون بالكسب والتوكل فقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنته وانما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فاباح لهم طلب المعاش بالكسب الذي هو سنته ولولا ذلك لهلكوا وما ان عطاء فانه كان يقول ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسني لا تمنعوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله سكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله (فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان بما يوسوس اليه ويلقنه (ولذلك قيل) في الركعات السائرة (الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن) يشاهد باطل (وبطل التوكل بالكلية) لنقصان التوحيد وبطلان الاعتماد والتفويض (بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل) من أصله (فقد حكى عن عابد) من العباد (انه عكف في مسجد) أي لازم جلوسه فيه فلم يخرج أصلا (ولم يكن له معلوم) من رزق يأتيه من جهة معلومة (فقال له الامام) الذي يصلي بالناس في ذلك المسجد حين رآه معتكفا (لوا اكتسبت) أي خرجت الى السوق وبشرت الكسب (لكان أفضل لك) من عكوفك هنا (فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة) هنا (يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين) فهو يأتي الى جهما (فقال ان كان صادقا في ضمانه ففكوفك في المسجد خير لك) لاجل حصول الاطمئنان (فقال) العابد للامام (يا هذا لولم تكن اماماتقف بين يدي اللهوب بين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذفضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق) كذا في القوت وأورده ابن عطاء الله في التنوير بلفظ رأيت بعضهم جالسا يلزم المسجد ولا يخرج منه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يأكل فقال له من أين تأكل فقال له ان لي صاحبا يمد يده ويأخذني كل يوم رغيفين فهو يأتيني جهما فقال أما الآن فنعم فقال له ذلك العابد يامسكين وثقت لي بوعده يهودي وما وثقت لي بوعده الحق سبحانه وهو الصادق الحق وقد قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فاستحيها ذلك الرجل وذهب (وقال امام المسجد لبعض المصلين) الذين يصلون وراءه وقد رآه في رزق غير مكتسب (من أين تأكل) يا فلان (فقال) له (يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك) كذا في القوت وسأفه ابن عطاء الله في التنوير بلفظ ان رجلا صلى خلف الامام أياما فقال له الامام يوما تعجب من ملازمته وتركه الاسباب من أين تأكل فقال فف حتى أعيد صلاتي فاني لأصلي خلف من شك في قسمه الله تعالى (وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان) تنظر الى حالة نفسك وقيام الرب تعالى بك من حالة الى حالة من وقت تكونك من نطفة الى خروجك من المشيمة واغتذائك بلبن أهلك الى تسخير الخلق لك الى حالة البلوغ فخالك بعد البلوغ كحالك في أول أمرك في الكفاية والتسخير ولا يصدقك عن ذلك الار جوع النفس الى تدبيرها وحولها وقوتها وقد كانت قبل ذلك لا تدبير لها ولا حول ولا قوة والفكر في مثل هذا بحر لا ساحل له ثم تكرر علي سماع ما ورد من الاخبار والآيات والآثار ثم (تسمع الحكايات) المنسوبة للمتوكلين والمنقطعين الى الله تعالى الدالة على كمال أحوالهم (التي فيها عجائب صنع الله تعالى) بهم وسعة بره عليهم (في وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى

بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه

وفيه عجائب قهر الله تعالى في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم
فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فقال (٤٨٨) بقيت في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى

انقطاعه إلى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم عن
حذيفة) بن قنادة (المرعشي) شيخ هبيرة البصري (وقد كان خدم ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (فقال له
ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيت) معه (في طريق مكة أياما لم نجد طعاما) ناكله (ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك) أثر (الجوع فقلت هو ما أرى الشيخ فقال علي) أي جنى
(بدواة وقرطاس فكتب به فكتب) في القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطي الاسباب وهو (بسم الله
الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى) كما قيل

وظنوني مدحتهم جميعا * وأنت بمدحهم مرادى

(وكتب شعرا) مانصه * (أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) * وهذه الثلاثة مما أمر العبد بها (أنا جائع أنا
ضائع) أي عطشان (أنا عارى) وهذه الثلاثة مما ينفع العبد في آتية الله بها * (هي ستة وأنا الضمين
لنصفها) وهي الثلاثة الأولى بالمرسك (فكن الضمين لنصفها يا باري) * أي قري يمانى والمعنى كن مستمرا على
ضميالك والافهوتعالى قد ضمن لهم ذلك أي أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل علي بما ضمنته * (مدحى لغيرك) بالله
كأنه (لهب نار) وفي نسخة وهج نار (خفتها) أي دخلتها (فأحر عبيدك من دخول النار) أي من مدح غيرك
(ثم دفع إلى الرقعة) المكتوبة (فقال أخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وأدفع الرقعة إلى أول من يلقاك) فلا
يكون لك اختيار في شخص دون آخر (قال فخرجت فأول من لقيت رجل كان على بغلة فنأولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها) وقرأها (بكي وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فرفع إلى) للشمري
(صرة فيها) ثمانية دينار (وفي نسخة درهم) (ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن ركب البغلة فقال لي) (هذا)
(وفي نسخة هو) (نصراني فكتب إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها) أي الصرة (فانه يجيء الساعة فلما
كان بعد ساعة دخل) وألفظ الرسالة (وإني) (النصراني وأكب على رأس ابراهيم) يقبله (وأسلم) على يديه
ببركة وقوفه على الرقعة التي كتبها ابراهيم وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدم ابراهيم
ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن
أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة
فكان مشى وبدوس ويصلى على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فخرجت فكتبته بم ما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى
أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عارى
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

ودفع إلى الرقعة وقال أخرج ولا يعلق سرك بغير الله واعطها أول من تلقاه فخرجت فاستقبلني رجل راكب على
بغلة فاعطته الرقعة فقرأها وبكى وقال أين صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني الخراب فخرج من
كبه صرة دينار فاعطاني فسألت عنه فقبل هو نصراني فرجعت إلى ابراهيم وأخبرته فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم فقال يا شيخ قد حسن إرشادك إلى الله فأسلم
وصار صاحب ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى (وقال أبو يعقوب) يوسف بن نافع (البصري الاقطع) ويعرف
أيضا بالتوام (جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا) يبدني من الجوع (فخذتني نفسي بالخر وج)

ابراهيم وقال يا حذيفة
أرى بك الجوع فقلت
هو ما أرى الشيخ فقال
علي بدواة وقرطاس
فكتب به فكتب بسم الله
الرحمن الرحيم أنت
المقتود واليه بكل حال
والمشار اليه بكل معنى
وكتب شعرا
أنا حامد أنا شاكر أنا
ذاكر
أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هي ستة وأنا الضمين
لنصفها
فكن الضمين لنصفها
يا باري
مدحى لغيرك لهب نار
خضتها
فأحر عبيدك من دخول
النار * ثم دفع إلى الرقعة
فقال أخرج ولا تعلق
قلبك بغير الله تعالى وأدفع
الرقعة إلى أول من يلقاك
فخرجت فأول من لقيت
كان رجلا على بغلة
فنأولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها بكى
وقال ما فعل صاحب هذه
الرقعة فقلت هو في
المسجد الفلاني فدفع
إلى صرة فيها ثمانية
دينار ثم لقيت رجلا آخر
فسألت عن ركب
البغلة فقال هذا نصراني
فكتب إلى ابراهيم
وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم
وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدم ابراهيم ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة فكان مشى وبدوس ويصلى على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فخرجت فكتبته بم ما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عارى هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

يدى ووضع فطره وقال
هذه لك فقلت كيف
خصصتني بها قال اعلم انا
كنا في البحر منذ عشرة أيام
وأشرفت السفينة على
العرق فذرت ان خلصني
الله تعالى ان أتصدق
بهذه على أول من يقع
عليه بصري من المجاورين
وأنت أول من لقيتـه
فقلت افتحها ففتحها فاذا
فيها سبعة صرى ولوز
مقشور وسكر كعاب
فقبضت قبضة من ذا
وقبضة من ذا وفاترد
الباقى الى أصحابك هدية
منى اليكم وقد قبلتها ثم
قلت في نفسي رزقك
يسبى اليك من عشرة
أيام وأنت تطلبه من
الوادى وقال بمشاد
الدينورى كأن على دين
فاستغل قاسى بسببه
فرايت في النوم كأن
قائلا يقول يا بخيل أخذت
علينا هذا المقدار من
الدين خذ عليك الاخذ
وعلمنا العطاء فما حاسبت
بعد ذلك بقا ولا قصابا
ولا غيرهما وحكى عن
بنان الجمال قال كنت
في طريق مكة أحمى عمر
مصر ومعى زاد فجاءني
امرأأوقالت لى يا بنان

(٦٢ -) (انخاف السادة المتقين) - (تاسع) أنت جمال تحمل على ظهورك الزاد وتوهم انه لا يرزقك قال فرسيت
 زادي ثم اتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلفا لاني الطريق فقلت في نفسي اجمله حتى يجي عصا حبه فرما يعطيني شيئا فارد عليه فاذا انا بك
 المراءه فقالت لي أنت تاجر تقول عسى يجي عصا حبه فاخذ منه شيئا ثم رميت لي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكنت فبعت بها الى قريب من مكة

وحكى أن بنانا احتاج الى جارية فتخدمه فان بسط الى اخوانه فخدموا له ثمها وقالوا هو ذا يحيى والنضر فنشترى ما يوافق فلما وردا النضر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما البست للبيع فالحوا عليه فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته (٤٩٠) القصة وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل

من الدراهم وهذه الحكاية أيضا أوردها القشيري في الرسالة (وحكى) أيضا (ان بنانا) المذكور رحمه الله تعالى (احتاج الى جارية فتخدمه فان بسط الى اخوانه) في تحصيلها له (فخدموا له ثمها وقالوا هو ذا) ثمها احفظه عندك وحيث (تجى النضر) الذين يبيعون الجوارى (فنشترى) لك (ما يوافق) غرضك (فلما وردا النضر) عليها (اجتمع رأيهم على واحدة) منهم (وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما امانت وليست للبيع فالحوا عليه) في مساومتها (فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأتان من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته) هذه (القصة) ففيه دلالة على ان الله تعالى لطيف بمن يتوكل عليه ويقضى حوائجه وهو لا يشعر فانه تعالى لما علم حاجة بنان الى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير امره ألقي الله في قلب تلك المرأة بسمرقند ارسال هذه الجارية اليه وهذه أيضا أوردها القشيري في الرسالة (وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت) جوعا (فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه) غيره (وان لم يأكله فلا تعطه شيئا غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقي القرص عنده) فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل وأقيم الحرص حرص العبد على الشيء حتى لا ينتفع به في نفسه فضلا عن غيره من المحتاجين اليه كما هنا وهذه الحكاية أيضا أوردها القشيري في الرسالة (فأندثنان الحق تعالى انما ضمن الكفاية للمحتاج وهذا قد أغناه بالقرص فاعتمد عليه فقد تسبب في اهلا كه نفسه بحرصه عليه وفيه تنبيه على ان المتوكل يكون وثوقه بما في يده الله أوثق عمافي يديه (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) البغدادي المتوفى سنة ٢٧٧ (دخلت البادية) مرة (بغير زاد) لاصحح توكلتي (فاصابتني) فيها (فاقة) أى جوع شديد (فرايت المرحلة) أى القرية (من بعيد فسررت بانى) قد (وصلت) أى بقرب وصولي لها (ثم فكرت في نفسي انى سكنت) أى حصل في هذا السرور وسكون (واتسكنت على غيره) تعالى في تحصيل ما أنا محتاج اليه فعزمت على مخالفة نفسي (واكبت ان لا أدخل المرحلة) أى حلفت ان لا أدخلها (الا ان أجعل عليها ففكرت لنفسي حفيرة وواريت فيها جسدى الى صدرى) ناديا للنفس وتوبخا لها (فسمعت) وفي نسخة فسمعوا (صوتا في نصف الليل عاليا) يقول (يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا جالس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجااعة فاحرقوني وجلووني الى القرية وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب زمانا (حتى اقتدعه عمر) فسأل عنه فدل عليه (فاذا هو قد اعتزل) الناس (واشغل بالعبادة فجااعة عمر فقال له انى قد) افتقدتك (حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغنائنى عن عمر وآل عمر فقال له (عمر رحلك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت) وكانت موعظته فيه (فكان عمر بعد ذلك ينسابه) أى يأتيه نوبة بعد نوبة فى الاحيان (ويجلس اليه) ويجتمع اليه فله صاحب القوت وقال فهذه علامة مراد مطلوب

الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقي القرص عنده وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي انى سكنت واتسكنت على غيره واكبت ان لا أدخل المرحلة الا ان أجعل اليها ففكرت لنفسي فى الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا جالس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجااعة فاحرقوني وجلووني الى القرية وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى اقتدعه عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فجااعة عمر فقال له انى قد اشتقت اليك فما

الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغنائنى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحلك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه

وقال أبو جزة الخراساني حجبت سنة من السنين فيينا أنا مشى في الطريق اذ وقعت في بئر فزارعتني (٤٩١) نفسي ان استغيث فقلت لا والله

لا استغيث فما استممت
هذا الخاطر حتى مر
برأس البئر وجلان
فقال أحدهما للآخر
تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه
أحد فنوبا بعب وبارية
وطموا رأس البئر
فهممت ان أصبح فقلت
في نفسي الى من أصبح
هو أقرب منهما وسكنت
فيينا بأبعد ساعة إذ
أنا بشي جاء وكشف عن
رأس البئر وادلى برجله
وكانه يقول تعلق بي في
هممة له كنت أعرف
ذلك فتعلقت به فأخرجني
فاذا هو سبع فروهتف
بي هائف بأباجزة أليس
هذا أحسن نجيتك من
التلف بالتلف فشيت
وأنا أقول
نهاني حيائي منك أن
اكشف الهوى
وأغنيتهني بالفهم منك
عن الكشف
تلطفت في أمري فأبدت
شاهدي
الى غائي والالطف يدرك
بالالطف
ترأيت لي بالغيب حتى
كانما
تبشرني بالغيب أنك في
الكف
أرأيتني من هيتي لك
وحشة
فتوتسني بالالطف منك
وبالالطف

والطالب المردود اذا تعلم ان القرآن افتقر الى الخلق وازداد طمعاً ففهم وطني في القرآن وتكبر فالقرآن حجة تكشف
المرادين والمردودين وهي غنى للموقنين وفقير للنامعين (وقال أبو جزة الخراساني) مشهور بكنيته نيسابوري عن
أقران الجنيد مات سنة ٢١٠ (حجبت سنة من السنين) على قدم التجربة والتوكل (فيينا أنا مشى في الطريق
اذ وقعت في بئر) عادية (فما زعتني نفسي ان استغيث) باحد (فقلت لا والله لا استغيث) توخي النفس (فما
استممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر وجلان فقال أحدهما للآخر) وأنا أسمع حديثهما (تعال يا فلان
حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) كذا في النسخ وكذا هو في الرسالة والاولى فاتباً ويحتمل ان
يكون معهما غيرهما كالخادم لهما (بقصب) فارسي (وبارية) أي حصير (وطموا) أي سدوا رأس البئر
(فهممت ان أصبح) من داخل البئر فيسمعهم واصوت فيخرجوني منها (فقلت في نفسي الى من أصبح هو أقرب
منهما) وفي نسخة أصبح الى من هو أقرب منهما وفي أخرى أشكو بدل أصبح (وسكنت) أي حصل لي السكون
والاطمئنان وفي نسخة سكنت (فيينا أنا بعد ساعة) وقد ذهب الرجلان (اذ أنا بشي جاء وكشف رأس البئر
وأدلى برجله) فيها (وكانه يقول تعلق بي في هممة) أي صوت خفي (له كنت أعرف ذلك منه) أي فهمت
منه انه يقول تعلق بي (فتعلقت به فأخرجني فاذا هو سبع) سخره الله لي (فر) أي جاوزني (وهتف بي عاتف)
فقال (يا أباجزة اليس هذا أحسن) من نجيتك قبل طم رأس البئر (ان نجيتك من التلف) أي من الهلاك
(بالتلف) أي المتلف (فشيت وأنا أقول)

(نهاني حيائي منك ان أكرم الهوى * وأغنيتهني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبدت شاهدي * الى غائي والالطف يدرك بالالطف)

أي أبدت حالي الحاضر لحالي الغائب عني

(ترأيت لي بالغيب حتى كانما * تبشرني بالغيب أنك في الكف

أرأيتني من هيتي لك وحشة * فتوتسني بالالطف منك وبالالطف

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة)

فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الايات ان الله تعالى يرى العبد
من عجائب قدرته ولطفه مما يغنيه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة يرى المذوكل ان الافعال كلها لله
تعالى فانه المحرك له والمسكن له وقد كان قادراً على ان يحفظ هذا من الوقعة في البئر ليطهر تحقيق توكله ولهذا لم يصح
في البئر حين سد رأسها مع انه كان ممتكاً من إزالة البارية عن رأسها بلا كافة ان تعين عليه الطلوع وهذه
الحكاية مع الايات أوردها القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أبو جزة الخراساني
حجبت سنة من السنين فساقها وقد اعترض المنكر على المصنف خاصة في نقر رفع أبي جزة الذي ذكر ثم على
الصوفية عامة وقالوا ان الذي فعله أبو جزة لا يجوز شرعاً وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الاجوبة
المرضية وقد سبق في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك وحاصله انه لا ينبغي المبادرة الى الاعتراض فان أباجزة لم
يصدر منه ذلك الا بعد ان منحه الله تعالى يقيناً كاملاً وقلبا مشاهداً وحالاً غالباً وجزاً جزاً وعاجزاً عليه ان يلتفت
الى غير مولاه أو يرى معه فاعلا سواه وسبقه الى هذا الجواب القطب عبد الله بن سعد الباقى قدس سره فقال في
جملة كلامه ولوانه كان حصل لهذا المنكر على أبي جزة نفحة من نفحاته لما أنكر عليه قال والعجب كل العجب من
ينكر ويعترض على من يراه من الاولياء فانما عساوى الحق تعالى مشاهداته لا يرى في الملك والمال كوت الامن
هو أشق عليه من أمهبل من نفسه مع انه لما وقع لابي جزة شاهد عظيم في الشرع وهو ما وقع لسيدنا ابراهيم
عليه السلام لما ألقى في النار وجاءه جبريل عليه السلام فقال أنا جبريل أنا لك حاجة قال أما إليك فلا قال فسل
ربك ينحك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام الامن كمال يقينه وفنائه عن
نفسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله (وأمثال هذه الوقائع مما يكثر) وقوعها (واذا قوى الايمان به وانضم

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوى الايمان به وانضم

اليه القدرة على الجوع ندر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بانه لم يسبق اليه رزقه في أسبوع فاموت خيره له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم التوكل به هذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم أصلاً * (بيان توكل المعجل) * اعلم أن من له عيال في حكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامر من أحدهما قدرته على الجوع أسبوعاً من غير اشتراشاق وضيق نفس والا تخرب أبواب الايمان ذكرناهما من جملتها ان يطيب نفساً بالموت ان لم ياته (٤٩٢) رزقه علماً بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة

فيري انه سبق اليه خير
الرزق له وهو رزق
الآخرة وان هذا هو
المرض الذي به يموت
ويكون راضياً بذلك وأنه
كذا قضى وقدر له فهذا
يتم التوكل للمنفرد ولا
يجوز تسكين العيال
الصبر على الجوع ولا
يمكن أي يقرر عندهم
الايمان بالتوحيد وأن
الموت على الجوع رزق
مغبوط عليه في نفسه
ان اتفق ذلك نادوا وكذا
سائر أبواب الايمان فاذا
لا يمكن في حقهم الاتوكل
المكتسب وهو المقام
الثالث كتوكل أبي بكر
الصديق رضي الله عنه
اذ خرج للكسب فاما
دخول البوادي وترك
العيال توكل في حقهم
أو القعود عن الاهتمام
بأمرهم توكل في حقهم
فهذا حرام وقد يفضى الى
هلاكهم ويكون هو
مؤاخذهم بل التحقيق
أنه لا فرق بينه وبين عياله
فانه ان ساعده العيال
على الصبر على الجوع
مدة وعلى الاعتداد بالموت

اليه القدرة على الجوع قدر أسبوعاً (أو ما يقارب من غير ضيق صدر) ولامالة نفس (وقوى الايمان بانه ان لم يسبق اليه رزقه في أسبوع فاموت خيره له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم) وصف (التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم أصلاً) والله الموفق

* (بيان توكل المعجل) *

أي صاحب العيال من زوجة وولد (اعلم) هذا الله تعالى (ان من له عيال في حكمه يفارق المنفرد) المتجرد (لان المنفرد) المتجرد (لا يصح توكله الا بامر من أحدهما قدرته على الجوع أسبوعاً من غير اشتراشاق) أي تطلع (و) من غير (ضيق نفس) منه (والا تخرب أبواب الايمان ذكرناهما من جملتها (ان يطيب نفساً بالموت) ويوطنها عليه (ان لم ياته رزقه علماً) منه (بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة) درجات (في الآخرة فيري انه سبق اليه خير الرزق) له (وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد) هذا بخلاف المعجل اذ (لا يجوز تسكين العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادراً وكذلك سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم الاتوكل المكتسب وهو المقام الثالث) من مقامات التوكل (كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب) بعد ما ولي الخلافة (فاما دخول البوادي وترك العيال) هملاً (توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهو حرام وقد يفضى الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذهم) اذ كل راع مسؤول عن رعيته (بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا بان تساعد على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتوشش عليه عبادته لم يجز له التوكل) قال ابراهيم الخواص في كتاب التوكل وليس للعبد ان يحمل حال عياله على حاله الا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم واغتيابهم بضرهم لمعرفتهم بفضل الفقر كما عرفته فإثر حينئذ ان يسير بهم سيرته ويسقط عنه الكسب لاجلهم لانهم كهول في الحال مع سقوط المطالبة عنهم له لحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من السلف (ولذلك روى ان أبا تراب) عسكر بن حصين (الخشبي) نسبة الى نخشب مدينة بجوار اراء النهر عرت فقبل لها نفس شيخ عصره عالم زاهد ورع متوكل روى عن محمد بن عبد الله بن غدير وعنه محمد بن عبد الله بن مصعب وغيره مان بالبادية سنة ٢٤٥٠ قيل نكس السباع وقال القشيري صحب حاتماً الاصم وأبا حاتم العطار البصري (نظر الى صوفي مديده الى قشر بطيخ) مرعى في الطريق (لبأكله بعد ثلاثة أيام) لم يأكل فيها شيئاً (فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق) نقله القشيري الا أنه قال أكره الزم السوق (أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام) أي ان حاله ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله وعدم صبره وشدة ميله الى الطعام ومن هذه صفته بقاءه مع سبب واتقاه شيئاً فشيئاً عن عبادته أولى من خروجه عما يبده جلة (وقال أبو علي) أحمد بن محمد (الروذباري) البغدادي تزيل مصر والمتوفى بهاسنة ٢٢٢ أخذ في التصوف عن الجنيد وشيخه في الفقه أبو العباس بن سريج وفي الادب ثعلب وفي الحديث ابراهيم الخزي (اذا قال الفقير بعد

خسة

على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل له حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده ولا يجوز

له أن يضيعها الا أن تساعد على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتوشش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روى ان أبا تراب الخشبي نظر الى صوفي مديده الى قشر بطيخ لبأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام وقال أبو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه (٤٩٣) الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى

الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا أن الناس عدلوا الى أسباب اظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم - بأساءة الظن وطول الامل ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له انكشافا عظيما ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطف حكمته وجبل قدرته (تدبير الإيجاز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب) كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه ابراره فجعله في نطفة مستودعة في الاصلاب ثم قدفها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علقه مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقاه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يرزقه الى دار يتعرف فيها بفضل وعده اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات المطاعم (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحسنته الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفترو مستهضلا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع) وأرعى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافة سابقها للعبادة في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتغل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب) نقله القشيري في الرسالة (فاذا بدنه عياله) أي بمنزلة عياله (فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد) وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله (الان وافق اختيارهم اختياره فيكونون كهو في ما سبق) (وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب) كإمانه ليس بلباسها (بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب) فقد روي القشيري بسنده الى ابراهيم الخواص قال بينما أسير في البادية فاذا بهم اتف بهتف فالتفت اليه فاذا عرابي فقال لي يا ابراهيم التوكل عندنا أي في البوادي أقم عندنا حتى يصح توكلك الاتعلم ان رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك اقطع رجاءك عن البلد ان توكل (الان الناس عدلوا الى أسباب هي أفضل منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بأساءة الظن وطول الامل) ومن هنا قال بعضهم في حقد التوكل هو احسان الظن وقصر الامل (ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطف حكمته وجبل قدرته (تدبير الإيجاز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب) كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه ابراره فجعله في نطفة مستودعة في الاصلاب ثم قدفها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علقه مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقاه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يرزقه الى دار يتعرف فيها بفضل وعده اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات المطاعم (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحسنته الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفترو مستهضلا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع) وأرعى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافة سابقها للعبادة في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتغل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض

تعالى اليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع وطواحين لاجل المضغ فاذا كبر واشتغل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض بعد البلوغ جهل محض

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً
وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على
قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم
قلبه ورق عليه وانبعث له داعية (٤٩٤) الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه (لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه) وما هي الا رأفته سبحانه (فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة) من مؤمن وكافر (حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته) وتيسير طلبته (فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا) من قبل (لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فارأوه محتاجاً لورأوه يتيماً) لأمله (لسلط الله داعية الرحمة) ومستحق الشفقة (على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب) يتيم قدماء جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل (فلم اذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ) أو يتعالم على التدبير أو ينازع المقادير (ولم يشتغل في الصبا) وقبل الصبا (وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن القانم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت) قوتها بالاضافة الى شفقة الوالدين (فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين ويترك التبع) فان عباد الله ليسوا بالمتهمين كفي حديث فضالة (والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر) وهو ابن الرومي (حيث يقول)

(جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين)

قوله بيان بالكم والتشديد التحية أي مستويان والغشاوة أي اسم الجاد الذي يكون على الجنين وهي المشيمة وقد وجد البيتان هكذا بخط النور في هامش كتابه مختصر علوم الحديث وقد كتب على بن العز الحنفى بخطه على قوله بما يكون مسلم وعلى قوله والسكون لانسلم وعلى قوله لرزق لانسلم وعلى قوله والجنين مسلم ثم عارض ذلك بآيات وهي هذه

يتال الرزق في وقت بسعي * وفي وقت بلا سعي يكون * وكسب الرزق نوع منه فرض

فلا تنجح الى كسل يشين * بمشي في مناسكها أمرنا * وفي تغدو وخاسا تستبين

جری قلم القضاء بكل هذا * وفي كل ميسر اليقين * ومن اياك نعبد خذ دليلاً

وقل اياك أيضاً نستعين * ومن قاس القوي على ضعيف * كن قاس الصديق بمن يمين

فلس من ربك التوفيق واحرص * على ما فيه نفعك مستبين

وكن متوكلاً مع فعل ما قصد * أمرت به وذاذبا ودين

(فان قلت الناس يكفلون يتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه) عن الاضطراب (وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا) وقوته كقوتنا (فليجهد لنفسه) وليكتسب (فاقول ان كان هذا القادر بطالاً)

لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجاً لورأوه يتيماً لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب يتيم قدماء جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل الشفقة التي خلقها في قلوب عباد الله فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألف نعم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين ويترك التبع والافتقار على قدر

فارغا

الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين فان قلت الناس يكفلون يتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه وأما هذا فبالغ قادر على

الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالاً

فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقهم فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على النفع غن الله تعالى فالبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو مواعظ على العلم والعبادة فالناس لا يؤمنونه في ترك الكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرحجه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه أن لا يغلq الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما روى الى الآن عالم أو عايد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فانت جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد ر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقي الله حبه في قلوب (٤٩٥) الناس ونحزله القلوب كما نحز

فارغا (فقد صدقوا فعله الكسب ولا معنى للتوكل في حقه) ولا للسؤال (فان التوكل مقام) عظيم (من جملة مقامات الدين) ومنشؤه من خالص اليقين (يستعان به على التفرغ لله تعالى في البطل والتوكل) ليس هو من رجاله (وان كان مشغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو مواطب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكافونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقر رجه في قلوب الناس) ويثبت (حتى يحملوا اليه مؤن كفايته وانما عليه ان لا يعلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس) من المشاهد (وما روى الى الآن عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فبات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد راعاه فان كان الله عز وجل كان الله عز وجل له) ومن كان همه هما واحدا كفاه الله همه (ومن اشتغل بالله عز وجل) وأحبه (ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها) وقد جاء في الخبر اذا أحب الله عبدا ألقى حبه في قلوب الناس وفي لفظ كذب حبه في قلوب الملائكة ثم يقدفه في قلوب الآدميين (فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كائنا لاهل الملك والملكوت) لقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية (فن شاهد هذا التدبير) البليغ وثق بالتدبر واشتغل به وآمن (ونظر الى تدبر الاسباب لا الى الاسباب) ولا يصح مقام من مقامات اليقين الا باسقاط التدبير مع الله وتعلقه بمقام التوكل والرضا بآبين من تعلقه بسائر المقامات فن لازم من اتقى قيادة الى الله واعتمد في كل أموره عليه الاستسلام لجريان المقادير (نعم مادبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلو والطهور والسمان والنياب الرفيعة والحبول النفيسة) المرفهة (على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشغول بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص شعيرا وحشيش يتناوله لا محالة والغالب أنه يصل اكثر منه بل ويصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الارغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة) في كل وقت (وليس ذلك من طريق الآخرة) الامن فهر نفسه وملكها وأراد بما ذكر اظهار ما من الله به عليه بشرط أن يكون وجوده وعدمه عنده سمين (وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فان الاضطراب ضعيف عندهم انفتحت بصيرته فلذلك لا يطعن الى اضطرابه بل الى تدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يحاوز عبدا من عبادهم رزقوا سكن الانادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفته هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أغرم ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدني نار) نقله صاحب القوت قال وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا قد حاز العقل فلعل يطعمهم الموت (وقال) أبو أمية (وهيب بن الورد) المسكي يقال اسمه عبد الوهاب رحمه الله تعالى (لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك) ولفظ القوت وروينان عن سفيان عن وهيب بن الورد لو ان السماء لم تطر والارض لم تنبت ثم اهتممت بشئ من رزقي لظننت اني كافر وفي رواية عن وهيب منذ أربعين سنة لو كانت السماء رصاصا والارض نحاسا لم أهتم برزقي ولو

فهمت أن التوكل مقام

مفهوم في نفسه ويمكن

الوصول اليه من قهر نفسه

وعلمت أن من أنكر أصل

التوكل وامكانه أنكره

عن جهل فإياك أن تجمع

بين الأفلاسين الأفلاس

عن وجود المقام ذوقا

والأفلاس عن الإيمان به

علما فإذا علمك بالقناعة

بالنزر القليل والرضا

بالقوت فإنه يأتيك

للمحالة وإن فررت منه

وعند ذلك على أنه أن

يبعث إليك رزقك على

يدي من لا تحسب

فإن اشتغلت بالقوى

والتوكل شاهدت

بالتجربة مصداق قوله

تعالى ومن يتق الله يجعل

له مخرجا ويرزقه من

حيث لا يحتسب الآية

إلانة لم يتكفل له أن

يرزقه لحم الطير ولذائذ

الاطعمة فتضمن الا

الرزق الذي تدوم به

حياته وهذا المضمون

مبدول لكل من اشتغل

بالضامن وأطمأن إلى

ضمانه فإن الذي أحاط

به تدبير الله من الأسباب

الخطية للرزق أعظم مما

ظهر للخلق بل مداخل

الرزق لا تحصى وبحجابه

لا يهتدي إليها وذلك لأن

ظهوره على الأرض وسببه

في السماء قال تعالى وفي

السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطالع عليها

اهتممت به لظننت أني مشرك وقال بعض أهل المعرفة قد صدق وهيب لو أن الهم داخل عليه في تصديقه كان الشك قد نقص تصديقه وكان يكون شاكلا أنه ليس من حكمة التصديق والصدق الاهتمام بالرزق لأن الرزق جزء من مائة جزء قد وقع تصديق المؤمن به في لم يصح تصديقه في هذا الجزء الواحد لم يصح في سائر الأجزاء قال والتصديق مقتضى السكون والطمانينة والنفس تدعو إلى الحركة طمعا في استجمال أخذ الأسباب فن كان محققا لتصديقه بالسكون أنصرف عن اجابة داعي النفس بالحركة إلى السكون الذي يقتضى منه التصديق وشغل قلبه بالعمل في تصحيح تصديقه (فأذا فهمت هذا فهمت أن التوكل مقام) شريف (مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه من قهر نفسه) وروضا بالتدريج على الصبر على المكارة (وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وامكانه) (أنكر عن جهل) به عنه (فإياك أن تجمع بين الأفلاسين أفلاس عن وجود المقام ذوقا وأفلاس عن الإيمان به علما) أي فإن لم تكن من الذاتية لهذا المقام فاقبل الدرجات أن تكون من المصدقين له علما ومعرفة (فإذا علمك بالقناعة بالنزر اليسير) مما هو في يدك (والرضا بالقوت) المتيسر (فإنه سيأتيك للمحالة وإن فررت منه) ولذلك قال على رضي الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق يطلبه فسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي يطلبه رزق الثمال وهو طلب فضول القوت (وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحسب فإن اشتغلت بالقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) تمامها ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود قال في قوله تعالى يجعل له مخرجا يأتي أن يعلم أنه قبل الله وأن الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعاقبه وهو يدفع عنه وقوله لا يحتسب يقول من حيث لا يدري وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب من طريق ابن مسعود مثله والآية تزلت في رجل من أتباع جمع كان قد أسر ابنه فشكا أوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل اتق الله واصبر فلم يلبث حتى جاء ابنه واستاق غنم العدو وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم أن أكتب إليه يعني ابنه ومعه بالتقوى والتوكل على الله (الأنه) تعالى (لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة) وغيرها من فضول الأقوات (فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته) وهو الرزق الطالب (وهذا المضمون مبدول لكل من اشتغل بالضامن) جل جلاله (وأطمأن إلى ضمائه) وسكن إليه قلبه (فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخطية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى وبحجابه لا يهتدي إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء) وهي من عالم الملكوت (قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطالع عليها) بتفاصيلها لأنهم من عالم الملكوت وذكر الشيخ ابن عطاء الله في كتاب التنوير لهذه الآية فوائد مالم تحصها أي ياهذا المطلاع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الأرض ليس رزقك عنده انما رزقك عندي وأنا الملك القادر ولاجل هذا المسمع بعض الاعراب هذه الآية تنحرفا فخرج فارا إلى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فانظر كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفعهم عباده اليه وأن تكون رغبتهم فيما لديه كما قال في الآية الأخرى وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم لتجاس الهمم إلى بابيه وتفتح القلوب إلى جنبه فكأن سماء يا علوا ولا تكن سفلما أرضا ولا تكن

ابعد نفوذ في علوم الحقائق * وبعد انبساط في مواهب خالقي

وفي حين اشراف على ملكوته * أرى باسطا كلها إلى غير رازقي

وكيف تقره بالربوبية يوم ألتبس بربك وتعرفه وتوحده هناك وتجهله ههنا وقد توارى عليك احسانه وعمرتك

فضلك وامتنانه كما قيل في القلب لكم منزلة علياء * لا تسكنها سعادى ولا ليلاء

في النزع فتسكنهم فهل يحمل بي * أن أنكركم وحيثي شطاء

فهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين وقد تضمنت ذكر

ولهذا دخل جماعة على

الجنيد فقال ماذا نطلبون

قالوا نطلب الرزق فقال

ان علمتم أى موضع هو

فاطلبوه قالوا نسال الله

قال ان علمتم أنه ينساكم

فذكروه فقالوا ندخل

البيت ونتوكل ونظنر ما

يكون فقال التوكل على

التجربة شك قالوا فما

الحيلة قال ترك الحيلة

وقال أحمد بن عيسى

الحرار كنت في البادية

فقال جوع شديد فقلت

نفسى أن أسأل الله تعالى

طعاما فقلت ليس هذا

من أفعال المتوكلين

فطالبتنى أن أسأل الله

صبرا فلما هممت بذلك

سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم انه من اقرب

وانا لانضيع من أمانا

ويسألنا على الاقتار جهدا

كأننا لانراه ولا يرانا

فقد فهمت أن من

انكسرت نفسه وقوى

قلبه ولم يضعف بالجبن

باطنه وقوى إيمانه

بتدبير الله تعالى كان

مطمئنا النفس أبدا

واثقا بالله عز وجل فان

أسوأ حاله أن يموت ولا

يبدأ بياته الموت كما ياتي

من ليس مطمئنا فاذا

تمام التوكل بقناعة من

جانب ووفاء بالضمون

من جانب والذي ضمن

رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع

الرزق ومجمله والتشبيه له بامر لا يخفاء فيه وفيها فوائد الاولى لما علم سبحانه كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرذ كره كما تكررت وودعوا رزقه على القلوب كما تكررت الحاجة اذا علمت ان الشبه مستمكنة في نفس الخصم ليكون ذلك أو كذا في الحجة فذكر في هذه الآية تحمل الرزق وبينه لتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع إيهام المحل كالضمان مع تبينه فهذا أبلغ في ثقة النفس به وأقوى في دفع الشك فيه الثانية يحتمل انه أراد اثبات رزقكم أى اثباته من اللوح المحفوظ ففيه اعلام اهم ان الشئ الذى منه رزقكم أثبتناه عندنا فى كتابنا وقضيناه بعشيتنا من قبل وجودكم فلا شئ تضاربون وما لكم الى ان تسكنون وبوعدي لا تنقضون ويحتمل انه أراد بالرزق الماء وقال ابن عباس هو المطر فيكون الشئ الذى منه أصل رزقكم ولا الماء في أصله رزق الثالثة يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تعجيز العباد من دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء على الارض لم تعطل كل ذى سبب فكانه يقول ليست أسبابكم هى الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وببدي تيسر أسبابكم لاني أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم الرابعة في اقتران الرزق بالامر الموعد فائدة جلية وذلك ان المؤمنين علموا ان ما وعدهم الحق لا بد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فذكائه تعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توقعون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون وكما أنكم عن استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربو بيننا ووقته الهيمتنا انتهى (ولهذا دخل جماعة على الجنيد) رحمه الله تعالى (فقال ماذا نطلبون فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم هو فى أى موضع فاطلبوه) ففيه إشارة الى أن الرزق أسبابه حيث لا يطالع عليه (قالوا فسل الله ذلك قال ان علمتم انه) تعالى (ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل ونظنر ما يكون فقال التوكل على على التجربة) بان تدخلوا البيت مجر بين الله هل يرزقكم (شك) أى في الضمان وهو كفر (قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة) واعتمادكم بقولكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به ولفظ القشيري دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا فسل الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة انتهى ومنه أخذ الشاعر فقال * انما الحيلة فى ترك الحيل * هو إشارة الى اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير وقد قال بعضهم من لم يدبر دبره وقال القطب أبو الحسن الشاذلى قدس سره ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا أى ترك التدبير هو عين التدبير كما ان ترك الحيلة هو عين الحيلة والله در القائل

امطرى لو اؤاجبال سرديب * وفيضى جبال تكرر وتبرا

أنا ان عشت لست أعدم رزقا * وأذامت لست أعدم قبراً

(وقال) أبو سعيد أحمد بن عيسى (الحرار) رحمه الله تعالى وكان من المتوكلين (كنت في البادية) على قدم التوكل (فقال جوع شديد) أى بعد مضي عشرة أيام (فقلت نفسى أن أسأل الله طعاما) يرزقنيه فأكلاه (فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين) فان مقتضى هذا المقام تغليب علمه تعالى بحال العبد وعدم المبادرة الى السؤال فانه سوء أدب (فطالبتنى أن أسأل الله صبرا) على الجوع (فلما هممت بذلك) سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم انه من اقرب * ونحن لانضيع من أمانا

ويسألنا على الاقتار جهدا * كأننا لانراه ولا يرانا

أى فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الاضطراب والقلق (فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى) اياه فى سائر أطواره وشؤنه (كان مطمئن النفس أبدا) واثقا بالله عز وجل (فى حسن وفائه وصدق ضمانه) فان أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن ياتيه الموت وان طال (كما يأتى من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالضمون من جانب) والذي ضمن الرزق (القانعين بهذه الاسباب التي دبرها) باطيف حكمته (صادق) فى وعده وضمائنه (فاقنع) ليصح توكلك

وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما وعد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكن منتظر الاسباب بل
لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا (٤٩٨) لعلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي أن

(وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما وعد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك ولا تكن في توكن منتظرا) لم تخطف في
(حسابك ولا تكن في توكن منتظرا) لاسباب بل لمسبب الاسباب) أي خالقها وميسرها (كما لا تكون منتظرا
لعلم الكاتب) الموقع (بل لقلب الكاتب فانه) أي القلب (أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد) في الوجود
(فلا ينبغي أن يكون النظر الاليه) وفيه تلويح الى مقام وحدة الوجود عند الصوفية (وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد) يحمله (و) كذا من (يقصر في الامصار وهو خامل) الذكر (وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام) المتيسر (مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ)
والانواع المختلفة (وثوب خشن) من مستعمل ثياب بلده مما (يليق باهل الدين) ولا يكون من الشطار والجندي
(فهذا يأتيه من حيث يحتسب و) من حيث (لا يحتسب على الدوام) من غير انقطاع (بل يأتيه اضعافه فتركه
التوكل واهتمامه بالرزق) المضمون (غاية الضعف والقصور فان اشتاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين) أولى الصالح المتين (وهو
بالعلماء) بالله وأحكامه (أقبح لان شرطهم القناعة) وهذا الاهتمام بضادها وبيع بذوى الاعيان أن ينزوا
حاجته - ثم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدايته وانفراد برؤيته موهم يسمعون قوله تعالى أليس الله بكاف عبده
وذلك من العلماء أقبح فرفع الهمة عن الخلق وعدم الاهتمام بالرزق هو ميزان العلماء وسبيل الرجال كما توزن
الذوات توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمذنب بحزقه (والعالم
القانع يأتيه رزقه) بل (ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه) وقد ابتلى الله بحكمته العلماء الذين ليسوا بقانعين
ولا في وصفهم صادقين باظهار ما كنتموا من الحرص والشره والرغبة وأسروا في أنفسهم من الشهوة فابتذلوا
نفسهم لآبناء الدنيا مباسطين لهم ملائحين موافقين لهم على ما ربههم مدفوعين على أبوابهم فلقدهم منهم الحق صمة
كشفهم اعوارهم أولئك هم الكاذبون على الله الصادون لاعباد عن صحبة أوليائه فهم حجب أهل التحقيق
وسحب شيوخ أهل التوفيق ضرر بوابطو لهم ونشروا اعلامهم وليسوا ردهم فاذا وقعت الحيلة ولوا على
أعقابهم ناكسين (الا اذا أراد) ذلك العالم القانع (أن لا يأخذ) رزقه (من أيدي الناس و) لا (ياكل) الا
(من كسبه) فذلك له وجه لائق بالعالم العامل (الصادق في علمه وعمله) (الذي سألوه بظاهر العلم والعمل) فقط
(ولم يكن له سير بالباطن) بالتهذيب والرياضة (فان الكسب) أي الاشتغال به (يمنع من السير بالفكر
الباطن) الا أن يكون قويا لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله (فاشتغاله بالسؤال) الباطن حينئذ (مع
الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل) وهذا هو المقصود الاعظم من
التوكل بل ومن سائر مقامات الدين (و) فيه أيضا (اعانة للمعطي على نيل الثواب) وماله تترب فائدتان
احدهما أفضل من واحدة ومن ذلك في الخبر أوحى الله الى موسى اني اجعل أرزاق أوليائي على أيدي العاصين
ليؤجروا فيهم فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع
في المعرفة واليقين فهو مال للمعطي الموصل وطريق للاخذ المتوكل كافي الخبر ما للمعطي من سعة باعظام أجرا
من الاخذ اذا كان محتاجا فسيحان مطرق الطرق وسبب الوصولات الى الآخرة بزلل القربان (ومن
نظر) بعين التأمل (الى مجاري سنة الله تعالى) التي خلت في عباده (علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب) فكلم
من ذكر محروم وكم من غني محدود (ولذلك سأل بعض الكاسرة) أي ملوك القرس (حكيم من حكماهم
عن الاحق المرزوق والعاقل المحروم) عن الرزق ما السرفيسه (فقال) الحكيم (أراد الصانع) جل جلاله

يكون النظر الاليه
وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد
ويقعد في الامصار وهو
حامل وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع
في اليوم والليلة بالطعام
مرة واحدة كيف كان
وان لم يكن من اللذائذ
وثوب خشن يليق باهل
الدين فهذا يأتيه من
حيث يحتسب ولا يحتسب
على الدوام بل يأتيه
اضعافه فتركه التوكل
واهتمامه بالرزق غاية
الضعف والقصور فان
اشتاره بسبب ظاهر
يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في
حق الخامل مع الاكتساب
فالاهتمام بالرزق قبيح
بذوى الدين وهو بالعلماء
أقبح لان شرطهم القناعة
والعالم القانع يأتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة وان
كانوا معه الا اذا أراد أن
يأخذ من أيدي الناس
وياكل من كسبه فذلك
له وجه لائق بالعالم العامل
الذي سألوه بظاهر العلم
والعمل ولم يكن له سير
الباطن فان الكسب
يمنع من السير بالفكر
الباطن فاشتغاله بالسؤال

مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطي على نيل
الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الكاسرة حكيم من حكماهم عن الاحق المرزوق
والعاقل المحروم فقال أراد الصانع

(ان يدل) بذلك (على نفسه) انه الواحد الاحد الرازق (اذلورزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن لا رازق غيره ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم) قال الشاعر
ولو كانت الارزاق تجري على الحما * هلكن اذا من جهلن الهائم
نقله صاحب القوت الا انه قال علموا أن الصانع هو الرازق والحاصل أن من كان ذامه بلوم من حرف أو معتاد من
الشيء لم يصح توكاه مع سكونه اليه وطما أثبتته لان ذلك علة في حاله وحيرة توكاه وقد يصح التوكل مع ذلك بثلاث
معان أن لا يعوض منه عوضا يقوم مقام السبب الواصل اليه وان يقطع همه عنه وعن جميع الخلق وأن
يكون منقطعاً الى الله تعالى مشغولاً بخدمته لا بباطال الامر وحال نفسه والله الموفق
(* بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال *)

يكون موكلابه الى ان
أتقدم لعقوبته في ميعاد
معلوم عندي ولكنني
أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان
وقنع برغيف واحد اتماما
من يد الغلام وهو ساكن
فاني اختصه بخلة سنية في
الميعاد المذكور لعقوبة
الآخر ومن ثبت في مكانه
ولكنه أخذ رغبين
فلا عقوبة عليه ولا خلة
له ومن أخطأ علماني
فأوصلوا اليه شيأ قببات
الليلة جاعا غير متخط
للغلمان ولا قاتلا لبته
أو وصل الى رغبة فاني
غدا أستورزه وأقوض
ملكى اليه فانقسم
لسؤال الى أربعة أقسام
نسم غلبت عليهم بطونهم
فلم يلتفتوا الى العقوبة

قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على

ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فنانفعهم ذلك اذا تبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد او جرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الدوران اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعاما فلسنا نطبق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة في الدنيا (٥٠٠) وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة

للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فانات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتبارهم وساح في البوادي ثلاثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف والله المستعان) * (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين أدبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطراب والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا) قدر ما يسعه (ان كان محتاجا لكل ذلك) (ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقوفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فانات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتبارهم وساح في البوادي ثلاثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف والله المستعان) * (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين أدبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطراب والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا) قدر ما يسعه (ان كان محتاجا لكل ذلك) (ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقوفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

بمحقق منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف * (الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار) فن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا

* الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من (٥٠١) المتوكلين أصلاً وقد قيل لا يدخر

من الحيوانات الثلاثة
الفأرة والذئبة وابن دم
الحالة الثالثة أن يدخر
لاربعين يوماً فما دونها
فهذا هل يوجب حرمانه
من المقام المحمود الموعود
في الآخرة للمتوكلين
اختلفوا فيه فذهب
سهل إلى أنه يخرج عن
حد التوكل وذهب
الخواص إلى أنه لا يخرج
باربعين يوماً ويخرج
بما يزيد على الأربعين
قال أبو طالب المكي
لا يخرج عن حد التوكل
بالزيادة على الأربعين
أيضاً وهذا الاختلاف
لا معنى له بعد تجوز
أصل الادخار نعم يجوز
أن يظن ظان أن أصل
الادخار يناقض التوكل
فاما التقدير بعد ذلك فلا
مدرك له وكل ثواب موعود
على رتبة فانه يتوزع على
تلك الرتبة وتلك الرتبة لها
بداية ونهاية ويسمى
أصحاب النهايات السابقين
وأصحاب البدايات أصحاب
اليمين ثم أصحاب اليمين
أيضاً على درجات وكذلك
السابقون وأعلى درجات
أصحاب اليمين تلاصق
أسافل درجات السابقين
فلا معنى للتقدير في مثل
هذا بل التحقيق أن التوكل
بترك الادخار لا يتم إلا
بقصر الامل وأما عدم

بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيد هاعلموا (الحالة الثانية) هي (المقابلة لهذه المخرجة له من حد التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلاً) وظاهره أن الادخار فوق السنة يبطل التوكل وقال السكال بمحمد بن اسحق والذي أراه أنه يبطل كماله لا أصله (وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الثلاثة الفأرة والذئبة وابن آدم) نقله صاحب القوت (الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوماً فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) في الآخرة (للمتوكلين اختلفوا فيه وذهب أبو محمد سهل بن عبد الله التستري) رحمه الله تعالى (إلى أنه يخرج عن حد التوكل) ولفظ القوت ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد (وذهب ابراهيم بن أحمد الخواص) رحمه الله تعالى (إلى أنه لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الأربعين) حكاه هكذا في كتاب التوكل (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في القوت (لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضاً) وهذا اللفظ في القوت وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله للعبادة اطاعة ولاة وخدمته والجهاد في سبيله وليستعقب ويستقبل ويصلح بالطاعة والعلم ما أفسد بالهوى والجهل فيفضل بذلك وهذا طريق طائفة من الراجين والمؤانسسين والمحبين وحسن الظن وإن كان أمله للعبادة لأجل متعة نفسه وأخذ حفظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فاسرى النقص إلى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل فإذا جاز للمتوكل تأميله البقاء لشهر أو شهرين جاز له الادخار لذلك إلا أن طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوماً يخرج من حد التوكل عند الخواص ولا يخرج منه من حده عندى وأكره للمتوكل الادخار أكثر من أربعين يوماً كما يكره تأميل البقاء لا أكثر من أربعين يوماً ومن ادخل صلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه إلى الناس أن كان مقامه السكون مع المعلوم فلا دخاره أفضل ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد والخواص ولا يخليه عندى من حال فيه ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخاره أفضل اه (وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من سياق عبارة القوت أن سهلاً رحمه الله تعالى يقول إن أصل الادخار يناقض التوكل فقد روى عنه انه قال علامة التوكل لا يسأل ولا رد ولا يحتكر ورأه الغشيري بسنده إلى أبي علي الرودباري قال قلت لعمر بن سنان احك لي عن سهل بن عبد الله حكايه فقال انه قال فذكره الا انه قال ولا يحبس بدله قوله لا يحتكر (و) أيضاً (كل ثواب موعود) في الآخرة (على رتبة) من رتب الايمان (فانه يتوزع) أى ينقسم (على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بدايتها ونهاية) ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين لانهم سبقوا في تلك الرتبة وبلغوا منتهى الدرجات واليهم الاشارة بقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات (وأصحاب البدايات) الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون (أصحاب اليمين) وهم المقتصدون (ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين) فنهاياتهم بدايات السابقين (فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق) الجامع لكلامهم (أن التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الامل) واليه الاشارة بقول صاحب القوت وترك الادخار انحما هو حال من مقامه قصر الامل (وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده) الامارواه صاحب الحلبة بسنده إلى ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أعجب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلى أتوب فقال ووهيب فانت قال ورب هذه البنية تلاتا ووددت أنى مت هذه الساعة (أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره) في القسلة والكثرة (وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات) فثم من إذا أصبح (لم ينتظر المساء) وإذا أمسى لم ينتظر الصباح (وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

أمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

بؤمل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة مقصد بها بيان مقدار ما رخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد (٥٠٢) أربعين يوما لمرحبه وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال عليه السلام ان

الله خسر طينة آدم بيده
أربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطينة
التخمر كان موقوفا على
مدة مبلغها ما ذكر فاذا
ما وراء السنة لا يدخله
الاجحك ضعف القلب
والركون الى ظاهر
الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق
باحاطة التدبير من
الوكيل الحق بخفايا
الاسباب فان اسباب
الدخول في الارتفاعات
والزكوات تتكرر بتكرار
السنين غالبا ومن ادخر
لاقل من سنة فله درجة
بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن
درجته كدرجته من امل
شهر او لادر جتم من امل
ثلاثة أشهر بل هو بينهما
في الرتبة ولا يمنع من
الادخار الا قصر الامل
فالا فضل ان لا يدخر أصلا
وان ضعف قلبه فكما قل
ادخاره كان فضله أكثر
وقد روى في الفقير الذي
أمر صلى الله عليه وسلم
عليه كرم الله وجهه
وأسماء أن يغسله فغسله
وكفناه ببرذته فلما دفنه
قال لأصحابه انه يبعث
يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر ولولا

بؤمل سنة) وكذا من لم يؤمل أكثر من أسبوع أقرب من بؤمل شهرا (وتقييده باربعين) أي من أربعين يوما
وقيده بهذا العدد (لاجل ميعاد موسى عليه السلام) في قوله تعالى وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة
(بعيد) والاستدلال به على مسئلة الادخار غير صحيح (فان تلك الواقعة مقصد بها بيان مقدار ما رخص الاقل فيه
ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا باربعين يوما) التي هي ثلث الثلث من السنة (لرسر) الهوى
(جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور) وتتميلها (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خسر طينة آدم
بيده أربعين صباحا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان باسناد
ضعيف جدا وهو باطل اه قلت ورواه من رواية أبي عثمان النهدي عنهما وله ظنه ان الله عز وجل خسر طينة
آدم أربعين يوما ليلة ثم أخذها بيده ثم قال هكذا قطعها بيده فخرج في يمينه كل نفس طيبة وخرج في يده الاخرى
كل نفس خبيثة ثم شبك بين أصابعه حتى خلطها فلذلك يخرج الحى من الميت والميت من الحى والمؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلطفان الله تعالى خسر طينة آدم أربعين
صباحا بليلاتها ثم ضرب بيده اليمنى وكنتا يديه يمين فقطع قطعة ثم خلطها فخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن وليس في سياق حديثهما قوله بيده وقد روى الديلمي من حديث الحرب بن نوفل خلق الله ثلاثة أشياء
بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده وعند مسلم من حديث أبي هريرة خلق الله آدم
يوم الجمعة بيده الحديث وفي الذهب الابريز لسيدى أحمد بن مبارك وسمعت بهيعنى شيخنا السيد عبد العزيز بن الدباغ
قدس سره يقول ان الله تعالى لما أراذ خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام وتركها في الماء عشرين
يوما وصوره في أربعين يوما وتركه عشرين يوما بعد التصور حتى انتقل من الطينة الى الجسم فجمعهم فجمعهم ذلك
ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله الى الجنة ونفخ فيه من روحه اه (لان استحقاق تلك
الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر) قال سيدى عبد العزيز بن المذكور خلق الله بعض الاشياء
ورتب خلقها في أيام وأجره شيئا فشيئا لانه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملائكة على لان في تنقل ذلك الحادث
من طور الى طور ومن حالة الى حالة وظهور أمره شيئا فشيئا لا يكفى من جمعهم الملائكة على الى الارتفاعات
اليه فالتعجب في أمر الله من ذلك الحادث والتفكير في شأنه وكيف يتخلقه وماذا يكون منه والى أى شئ يصير فهم
يرتقبون الحالة التي يخرجون عليها فاذا حصل لهم من التوحيد ما لا يكفى ولا يحصى وفي زمن الارتقاب يحصل
لهم من العلم بالله والاطلاع على باهر قدرته وسر بانها في المقدورات شئ عظيم فلا يظنونهم شئ من أسرارها
في ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه التفهم التام فالتدريج لهذه الحكمة والحكمة اخرى وهي انه بهذا التدريج
وانتظار خروج الحادث والشوق اليه فوجد مخلوقات آخر مثل هذا الحادث أو أعظم فله تعالى في كل شئ أسرار
وحكم (فاذا ما وراء السنة لا يدخله الاجحك ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق) سبحانه (بخفايا الاسباب فان اسباب الدخول في
الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرار السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن درجته كدرجته من امل شهرا ولادر جتم من امل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة
ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالا فضل أن لا يدخر أصلا فان ضعف قلبه واضطر بت نفسه (فكل ما قل
ادخاره كان فضله أكثر) ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصبره فترك الادخاره أفضل (وقد روى في
الفقير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا وأسماء) رضى الله عنهما (أن يغسله فغسله وكفناه ببرذته فلما
دفنه قال لأصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس
الضاحية قلنا وماهى يا رسول الله قال ان كان لقوام صوما كثيرا لذكر الله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى (٥٠٣) الوكيل الحق فان كان يستشرف في نفسه

اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمخترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المخترق بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بالادخار بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فاقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كأن صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد همهم بهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله عليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث) وتعامه ومن أعطى حظه منهما لم يبال بخالفاته من قيام الليل وصيام النهار قال العراقي لم أجده أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا اه قلت رواء صاحب القوت بسنده الى شهر بن حوشب عن أبي أمامة وقد تقدم في آخر كتاب الزهد والفقرمة فلا بد ان يكون سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء فلذلك تأخر عن درجة السابقين وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك الادخار مقتضى اليقين وحال أولى العزم من الصابرين (وليس الكوز) الذي يشرب منه (والسفرة) التي يأكل عليها (وما يحتاج اليه على الدوام) من الاوزم الضرورية (في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فاذا كان يستشرف في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التي هي المقصود من التوكل (فالادخار له أولى) لدفع الاضطراب من التفرغ (بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك) أي امسك الضبيعة (له) وفي حقه (أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله) وهذا طريفة جماعة من العارفين من المتوكلين قد اتسع قلبهم بهذه الحالة حتى قوى على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها وهو كال في الولاية (ورب شخص يشغله وجود المال) فهذا لا يتأتى له التوكل الا بالزهد فيه فهو شرط في حقه ومنهم من لا يشغله ويرتق عنه الى غيره وهو بذلك أمواجة فلا يشترط في حقه الزهد في الاموال والاسباب (ورب شخص يشغله عدمه) فيضطر بقلبه لذلك (والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها) وقد سبق بيان ذلك في كتاب ذم الدنيا (ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمخترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المخترق بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بهم بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى) وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فاقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كأن صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد همهم بهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله عليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

فدرا حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم (م وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه

وسلم لعيله قوت سنة ونهى أم أين وغيرها أن تدخله شيئا أغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلا ولا قال صلى الله عليه وسلم اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولا يكن عليه السلام ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان اقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يجب أن تؤتي رخصه كما يجب أن تؤتي عرائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيستركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فإرسول الله صلى الله عليه وسلم الا

وسلم لعيله قوت سنة) رواه الشيخان وقد سبق في كتاب الزكاة (و) قد (نهي) أم أين وغيرها أن تدخله شيئا (أغد) وقد سبق ذلك أيضا هناك وأم أين اسمها بركة وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لها يا أمه وكانت تتولى خدمته رضي الله عنها (ونهى بلالا) رضي الله عنه (عن الادخار في كسرة خبز) كان (ادخرها ليفطر عليها) قال العراقي هذا لم أره قلت المعروف فيه عن ادخار تمر كان ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلا) قال العراقي رواه البراء من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اه قلت لفظ البراء والطبراني من حديث ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخريه لك ولضياقتك فقال أما تخشى أن يفور رطلها بخار من جهنم أنفق يا بلال فذكره ورواه العسكري في الامثال من حديث عائشة ولفظه أنفق بلالا ورواه البراء عن مسروق عن بلال مثله ورواه الطبراني من هذا الوجه الا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى باللفظ ولا تخافين بدل ولا تخش وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بإسقاط ما هنا (وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب) قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو بقية حديث التقي الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقد تقدم اه (اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت ونهى بلالا عن الادخار لنفسه لتقدي به أهل المقامات وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب فهو امام المقر بين وذكري للمتوكلين (وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه) قال العراقي رواه ابن الدنيا في قصر الامل من حديث ابن عباس بسند ضعيف اه ولفظ القوت وروينان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وله بردان في الحف ينسجان وقد كان صلى الله عليه وسلم أقصر أملا من ذلك كان يقول في تيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له ان الماء منك قرب فقال وما يدري نبي لعلي لا أبلغه ولكن فعله لتلايم لك من طال أمه من أمته فجعل يفعله نجاة ورحمة فهذا يدل على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبيل ان الشرير يجمع بالرخصة والعزيموا العزائم من الدين للاقوياء الحاملين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين اه (وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان اقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر صلى الله عليه وسلم لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله) حاشاهم من ذلك (ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يجب أن تؤتي رخصه كما يجب أن تؤتي عرائمه) رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم (تطيبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس) من رتبة (اليأس) من روح الله (والقنوط) من رحمة الله (فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فإرسول الله صلى الله عليه وسلم الارحة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفي القوت وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تاويل الخبر ان الله يحب أن يؤخذ رخصه كما يجب أن يؤخذ بعرائمه قال ما كان من أمر نخذ بالوسع وما كان من نهى فنخذ بالاشد فيه قال وكان يضرب للمدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابل فيقال له خذ رغيغا فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قبل له خذ أو رغبة قال فذلك ترك الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الالزهاد العارفين لانهم على عين اليقين قد أقسموا بشهادة عين التوحيد فيظنون بنورا لا قلبية والآخرة قلوبهم عند جودات عندهم اذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاءه ينفعون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو من يدلهم لان هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به وهو لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤثرون بالتصفيق والاخلاص اذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم باقائون وأما ترك المكاسب وقاطع النسب من لا علم له من الاولياء فانهم تركوا الادخار لانه مقتضى حالهم وفيه استقامة مقامهم وصيانة

(الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأساً (٥٠٦) أما في النفس فكان النوم في الارض المسبعة أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل

مشدد عليهم فيعدون غيرهم قال وكذلك بلغني ان بنانا الحلال لم يكن يدخر شيئاً للغد ولا يبيت من النهار فحدثني بعض الاشياخ عن رآه وقد دفع اليه بمكة كيسا فيه خمسة مائة درهم قال فصره صررا وجعلها في ركوته ثم طاف بها على دور حول المسجد الحرام فجعل يلقيها الى الفقراء صرة صرة وهو يمشى حتى أنفـذها فقلت لانظرن من أين فطره هذه الليلة اذ لم يترك لنفسه شيئاً فلما كان بين العشاءين طاف في الوادى طوفة ومد يده وقال ثم شئـتـه فجعل في كفه وسعة فعدل الى باب الصفا فعددا كاه وشرب من ماء زمزم ودخل الطواف قال فسألتـه عن ذلك من الغد فقال ما حدثت نفسي أن أعيش الى الليل ولو قوى في قلبي ذلك لحبست منه القوت فهذا طريق هؤلاء ساكوه براهه بتقوى مثلهم اذ جعلت قلوبهم أوعية لمراده وحدثت عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلامهم طريقا وأسرعهم سبيقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيها فذهبت لاختطو اليهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملأئكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم ثم تمنعوني مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الاقيص واحد ومن كل شئ واحد وأنت لك قيصان ومن أشياء قال فانتهت با كحزينا فجعلت على نفسي أن لا أم لك من كل شئ الا واحدا والله أعلم

(الفن الثالث في بيان مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة) للضرر (رأساً ما في النفس فكان النوم في أرض مسبعة) أى ذات سباع (أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل الى السقوط أو) تحت (السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة) ولا يصح توكله في شئ من ذلك ولومات مات عاصيا (نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم فيها من شرط التوكل) ومن أعمال المتوكلين (وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية) والطيرة فانها أسباب مسبباتها عنها موهومة لا مقطوع بها ولا مظنونة (فان السكى والرقية قد يقدمهم على المحذور دفعا لما يتوقع) أى يتوهم من الشفاء (وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة) والدفع (ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين) فى قصة عكاشة (الابتك السكى والرقية والطيرة) فقال هم الذين لا يكتون ولا يرقون ولا يتطيرون (ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع لم يلبسوا الجبة وتلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب) فالسكى والرقى والطيرة من الدرجات المتوسطة بين المرتجتين والمتوسط بين طرفين مشكل فى كل حال وظاهر سياق المصنف دال على بطلان التوكل بذلك تبعا لصاحب القوت وقال السكالك محمد بن اسحق الصوفى الصحيح عندي انه يبطل كماله لأصله لان الحديث ورد فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (نعم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة) من الضرر (وان كانت مقطوعة بها) (وجه فاذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى) والاتصاف منه (فشرط التوكل الاحتمال والصبر) على الاذى من الفعل وتر جج جانبه على جانب الدفع (وهذا هو توكل الخصوص قال الله تعالى) لنبه صلى الله عليه وسلم (فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون) أى توكل عليه واستعمل الصبر (وقال تعالى) حكايه عن الرسول عليه السلام (ولنصبرن على ما آذيتهمنا وعلى الله فلينتوكل المتوكلون وقال عز وجل) حين أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالناسى بهم فى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال (ودع أذاهم وتوكل على

والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية فان السكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك السكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب نسيم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب

الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتهمنا وعلى الله فلينتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع أذاهم وتوكل على

الله وقال سبحانه وتعالى
 فاصبروا ولوالعزم
 من الرسل وقال تعالى
 نعم أجر العاملين الذين
 صبروا وعلى ربهم
 يتوكلون وهذا في أذى
 الناس وأما الصبر على
 أذى الحيات والسباع
 والعقارب فترك دفعها
 ليس من التوكل في شيء
 إذ لا فائدة فيه ولا يراد
 السعي ولا يترك السعي
 لعينه بل لا عاتية على
 الدين وترتب الأسباب
 ههنا كترتها في الكسب
 وجلب المنافع فلا تطول
 بالأعادة وكذلك في الأسباب
 الدافعة عن المال فلا
 ينقص التوكل باغلاق
 باب البيت عند الخروج
 ولا بأن يعقل البعير لان
 هذه أسباب عرفت بسنة
 الله تعالى اما قطعها واما
 ظنا ولذلك قال صلى الله
 عليه وسلم للاعرابي لما
 أن أهمل البعير وقال
 توكلت على الله اعقلها
 وتوكل وقال تعالى خذوا
 حذركم وقال في كيفية
 صلاة الخوف وليأخذوا
 أسلحتهم وقال سبحانه
 وأعدوا لهم ما استطعتم
 من قوة ومن رباط الخيل
 وقال تعالى اوسى عليه
 السلام فاسر بعبادى
 ليلا والمحصن بالليل
 اختفاء عن أعين
 الأعداء ونوع تسبب

الله لقوله عز وجل ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من الكذيب والاذى (وقال سبحانه وتعالى فاصبروا ولوالعزم من الرسل) وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام في التوكل حتى يستوى عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الاذى يستخرج بذلك منه رفع السكون الى الخلق والنفاذ الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطالب للمعاوضة حياة من الله تعالى واجلاله وخوفه منه وحباله (و قد وصفهم الله تعالى بذلك طاهرا وباطنا فالظاهر (قال) الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فلما علموا صبروا وعلى عملهم ثم توكلوا عليه في صبرهم فاجزل ذخرهم عنده منة وأنعم أجرهم والباطن فيما أنبر عنهم انما استطعتم لوجه الله لا تريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطاب (وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لا عاتية على الدين وترتيب الاسباب هنا كترتها في الكسب وجلب المنافع فلا تطول بالاعادة) هذا كله في الاسباب الدافعة عن النفس (وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينعص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير) بالعقل (لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعها واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما أهمل البعير) أى تركه سائبا (وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكرو رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد صحيح بلفظ قيدها اه قات ورواه الترمذي في الزهد وفي العلل وابن أبي الدنيا في التوكل والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية والقشيري وابن عساكر والضياء كلهم من طريق المغيرة بن أبي قرة السدوسي سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله اعقلها وتوكل وأطلقها وتوكل قال اعقلها وتوكل كل يعنى الناقة وقال الترمذي قال عمرو بن علي يعنى الغلاس شيخه قال يحيى بن سعيد القطان انه منكرو ثم قال الترمذي وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس الامن هذا الوجه وانما أنكره القطان من حديث أنس وقدر وى عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه يشير الى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ناقةي وأتوكل قال اعقلها وتوكل ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وجعلنا في روايتهما القائل عمر انفسه وكذا هو عند أبي القاسم بن بشر في أماليه وأخرجه البيهقي كذلك من حديث جعفر لكن مر سلا قال وقال عمرو بن أمية يا رسول الله وذكره وهو عند الطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ قيدها وتوكل وعند الخطيب في رواية مالك وابن عساكر من حديث ابن عمر قال قلت يا رسول الله فذكره مثله وفيه محمد بن عبد الرحمن بن ريسان متر ولشوفي رواية للبيهقي من حديث عمرو بن أمية قيد وتوكل وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا غيلان بن عبد الصمد حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدري حدثنا خالد بن يحيى حدثني عبي الغيرة بن أبي قرة عن أنس بن مالك قال جاء رجل على ناقته فقال يا رسول الله أدعها وتوكل فقال اعقلها وتوكل (وقال تعالى) يا أيها الذين آمنوا (خذوا حذركم) أى اسلحتكم (وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال) في جهاد الكفار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ترهبون به عدو الله وقال تعالى فاسر بأهلك بقطع من الليل (وقال تعالى اوسى عليه السلام فاسر بعبادى ليلا والمحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار) أى غار ثور عند ارادة الهجرة (اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر) العارض منهم ومثل هذا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينحصر ولو فرضنا وليا من أولياء الله اتسع قلبه بهذه الحالة حتى قوى قلبه على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها كان ذلك كمالا في ولايته لانها ترتب الانبياء عليهم السلام ومن لم ير الاسباب رأسا فقد جهل ما بين السماء والارض الا اذا كان ذاهلا عنها لا يستغراقه بمسبب الاسباب فهذه عند العلماء بالله حالة المقربين من الصديقين (وأخذ

واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر وأخذ

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك (٥٠٨) شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا سابقاً (ان المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة) من الاولياء (ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك) باطنه ولم يدخله الرعب أصلاً (فاقول وقد حكي عن جماعة منهم انهم ركبوا الاسد وسخروه) كما وقع ذلك لابراهيم بن أدهم وغيره كما في الحلية ووقع مثل ذلك لابراهيم الخواص إذ كان يقصد الفباض المسبوعة وجبل الحيات والاودية الغامضة الموحشة يبيت فيها وعالج شأن جماعة من الجن في البراري والغفار والكهوف والغيران وكلوه في قصص كثيرة كما في القوت (فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات) ومن فضائل بعض مقامات المتوكلين ومقتضى أحوال بعض الموقنين (وايس ذلك) كله (شرطاً في التوكل) ولا من فرضه وانما فرض التوكل عقد العقد والاستسلام بحسن التقوى ليس للرب ونفي عوارض الآفات الداخلة على المتوكل من السكون الى الاسباب والركون الى الخلق في المعتاد (وفيه) أي في هذا المقام (اسرار) غريبة (لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت هل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل) الى تلك المقامات (لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه) لاجل الاختبار حتى لا يقع في غرور (أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك) أي جلدك (بسمي الغضب) شبهه في كون كل منهما عقوراً (فلا يزال بعضك وبعض غيرك) ولذلك قال بعض الرهبان لما قيل له يا راهب لست براهب انما أنا ساجر كلب أخاف أن بعض الناس أراد به نفسه (فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى) أي أغرى (لم يستل الا باشارتك) أي لم يثق الا بها (وكان مسخر لك) منقاداً في طوعك فاذا اتهم لك ذلك (فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع) في البر (وكلب دارك أولى من أن يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن) الذي هو النفس الامارة بالغضب (فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر) فهذا أحد العلامات فاختر بها نفسك (فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق بابه حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً) وما فعله ظاهره يناقض التوكل (فاقول يكون متوكلاً بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع) عن بيته لم يندفع (بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه) ولولا دفع الله لم يندفع والا (فكم من باب يغلق ولا ينفذ) بل يكسر الغلق ويؤخذ ما فيه أو يتسور عليه (وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت) من عقاله (وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب) من حيث لا يدري (فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب) ومسخرها ومسئولها وهذا انما يصل اليه بقوة عمله في توحيد الباري جل جلاله (كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته) ومساعدته (وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت) من المتاع (من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني) من المتاع (هبة)

أعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال بعضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى لم يستل الا باشارتك وكان مسخراً لك فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بان يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق بابه حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً فاقول يكون متوكلاً

بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفذ وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني هبة

فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به وما أغماقت الباب تحصى من قضا تلك وتخطأه بل جري على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب فلا تفتك بالاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فبينغي أن يكون ذلك عنده نعمته جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا (٥٠٩) أو فرحا بذلك عالمائه مأخذاً به

تعالى ذلك منه الا
ليز يد رزقه في الآخرة
فقد صرح مقامه في التوكل
وظهر له صدقه وان تالم
قلبه به ووجد قوة الصبر
فقد بان له انه ما كان
صادقا في دعوى التوكل
لان التوكل مقام بعد
الزهد ولا يصح الزهد
الا من لا يتأسف على
ما فات من الدنيا ولا
يفرح بما يأتي بل يكون
على العكس منه فكيف
يصح له التوكل نعم قد
يصح له مقام الصبر ان
أخفاه ولم يظهر شكواه
ولم يكثر سعيه في الطلب
والتجسس وان لم يقدر
على ذلك حتى تاذي
بقله وأظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب
بيده فقد كانت السرقة
مزيد له في ذنبه من
حيث انه ظهر له قصوره
عن جميع المقامات
وكذب في جميع الدعاوى
فبعد هذا ينبغي أن
يجتهد حتى لا يصدق
نفسه في دعاؤه ولا
يتدلى بجمل غرورها
فانها خداعة أمارة

محضة منك (فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به) على كل حال (وما أغماقت الباب تحصى من قضا تلك وتخطأه بل جري على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب) على مسيبتاتها (فلا تفتك بالاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم) ذلك المتوكل (اذا عاد فوجد متاعه في البيت) لم يؤخذ (فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمته جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا أو فرحا بذلك عالمائه مأخذاً به ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة) وانه ما من رزق ينقص له من الدنيا الا وهو زيادة له في رزق الآخرة كما سبق (فقد صرح مقامه في التوكل وظهر له صدقه) فيه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه أعطى ثواب الشاكرين الراضين كما جاء في الخبر يارب من أولياؤك من خلقك قال الذي اذا أخذت منه المحبوب فسامني (وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد) وان لم يكن شرط فيه (ولا يصح الزهد الا من لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه) كما تقدم في كتاب الزهد (فكيف يصح له التوكل) وهو لم يكن في مقام الزهد ومقامات اليقين التسعة كلها على ترتيب ومثل هذا جناية من المؤمنين يستغفرون الله منه ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصي (نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس) فهو يعطى ثواب الصابرين المجاهدين (وان لم يقدر على ذلك حتى تاذي بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السرقة مزيد له في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات) الصبر والشكر والتقوى والزهد والتوكل والتوكل والرضا (و) ظهر أيضا (كذبه في جميع الدعاوى) فليكن على نفسه وليستأنف التوبة والدخول في الطريق (فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤه ولا يتدلى بجمل غرورها فانها خداعة) غرارة (أمارة بالسوء مدعية للخير) فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين (فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ) والمتوكل لا يأوي على مال ولا متاع (فاقول للمتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة ياكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عذوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت) كصيرة يرقد عليها ويصلي فوقها وسادة يضعها تحت رأسه (وقد يدخل في يده مال) من ارث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (وهو بمسكه) عنه بعد أن يغفل من قوته (لجيد محتاجا في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا للتوكل) بل هو مدخر لحقوت الله التي أوجها عليه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدا علوا (وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي) يحفظ (فيستزاده وانما ذلك في الماء كولد في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد) من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون (وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى مع شدة مذهبه في الادخار (ياخذ

بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول للمتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة ياكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عذوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو بمسكه ليجد محتاجا في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا للتوكل وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماء كولد في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ

في السفر الحبل والركوة والمقراض والامرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهي له حاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهي فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخير له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل أن تكون خبرته في أن يتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر (٥١٠) فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن

الله عز وجل علم أن الخير كانت لي في وجودها الى الآن والخير في الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها أسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عنانية وتلطفا وهو كالريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما فرحه الى وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقد المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أي الاسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بامر الله (قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا وفقيرا فاني لا أدري أيهما خير) وقد سبق (فكذلك ينبغي أن لا يبالى المتوكل يسرق متاعه أولا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أوفي الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان) ولولا لاهلك (وكم من غنى يتلى بواقعة لا جل غناه يقول باليتنى كنت فقيرا) فالخير لله سبحانه في سائر الاحوال

(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)

اعلم انه (للمتوكل آداب) سواء كان منفردا أو معيلا وتلك الآداب ينبغي مراعاتها وهي (في متاع بيته اذا خرج عنه) لحاجته (الاول أن يغلق الباب) فهذا أثره (ولا يجوز ان يستقصي في اسباب الحفظ كالتاسه من الجيران الحفظ مع الغلق وتجميعه اغلاقا كثيرة) فلا استقصاء في هذا بنحو ذلك مما يناقض التوكل لانه يدل على عدم الثقة بالله وقبل يبطل كاله لأصله (فقد كان) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لا يغلط بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا) كذا في القوت وأخرج أبو نعيم في

الحلية يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أي الاسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بامر الله (قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا وفقيرا فاني لا أدري أيهما خير) وقد سبق (فكذلك ينبغي أن لا يبالى المتوكل يسرق متاعه أولا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أوفي الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان) ولولا لاهلك (وكم من غنى يتلى بواقعة لا جل غناه يقول باليتنى كنت فقيرا) *(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)* (للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج عنه) (الاول) أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتاسه من الجيران الحفظ مع الغلق وتجميعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلط بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا

(الثاني) أن لا يترك في البيت متاعا يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم أو ماساكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركة قال خذها لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس إلى العدو (٥١١) أن اللص أخذها فأكاله احتزأ أن يعصى

السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فساء عليه من أخذها (الثالث) أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينزوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقيرا أحدهما أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فأنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما أن جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمسلم آخر أو هو مما ينزوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينزوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن المعاصي فإن ذلك أنصره رواه أحمد وعبد بن حيد و البخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كما هو مفهوم الحديث (وعفوه عنه اعدام الظلم ومنع له) فإذا عفا عنه فقد منع عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفو عنه مقام ربه وهما لا يدخل في إشفات الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها تسلط السارق وبغير القضاء الإزلي) الذي سبق في الكتاب الأول (ولكن ليحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم يعد للثمن وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبع مائة درهم) كأنه قد أنفق في سبيل الله بحسبه ذلك (لأنه) قد كان (نواه وقصده) وإن لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها) توكل على مكنها (إن له

الحلية من طريق يوسف بن عطية الصفار عن مالك بن دينار قال من دخل بيتي فأخذ شيئاً فهو له حلال أما أنا فلا احتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح (الثاني) أن لا يترك في البيت متاعاً يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم وأمساًكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركة) فأخذها منه ثم بعد أيام (قال) له (خذها لا حاجة لي بها) قال لم قال يوسوس إلى العدو أن اللص أخذها) قد تقدم عند أبي نعيم في الحلية أخرجه من طريق الحرث بن نهران الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركة قال فكانت عنده قال فبغت يوماً فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن نهران تعال فخذ ركة تلك فقد شغلت على قلبي الخ والمصنف تبسع صاحب القوت فانه هكذا ذكره عن المغيرة ولعلها مقصتان (فكانه) احتزأ أن يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان (الدار) فخرجه الله تعالى لتبذره أحد بن أبي الحواري حين سألته عن هذه القصة (هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فساء عليه من أخذها) قال صاحب القوت وهذا كما قال أبو سليمان لأن الزهد إذا حق دخل الرضا والتوكل فيه ولقول مالك أيضاً وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون سبباً لمعصية الله ولكن قول أبي سليمان أعلى لأجل مقام التوكل والرضا (الثالث) أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينزوي عند خروجه) منه (الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه) فإن الرضا حال التوكل (ويقول) اللهم ان جميع (ما) في منزلي ان سلطات عليه من (ياخذ السارق فهو منه في حل أو هو) صدقة (في سبيل الله تعالى فإن كان) لا أخذ (فقيراً فهو عليه صدقة) منى وفي القوت ان كان لا أخذ فقيراً حله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه وان كان غير ذلك صرفها إلى فقير وهو مأجور على الصدقة وعلى السارق والبغى إذا حلهما على ذلك الحاجة (وان لم يشترط الفقر فهو أولى) ولفظ القوت قد كان بعض السلف إذا أخذه الشيء يشترط فيقول ان كان فقيراً فهو صدقة عليه وان كان محتاجاً فهو منه في حل انتهى ووجه أولويه عدم الاشتراط لأن الله تعالى حكماً حقيقة في الغيب والظافاً ومصالح وحسن توفيق لاهل ولايته بحيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون كما يستخرج لهم رزقهم من الحرام والحلال وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والمحال وكما يعلمهم الفهوم ويظهر لهم العلوم من الجلال بحسن عنايته بهم وفضل ائتمولهم (فتكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقيراً أحدهما أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمسلم آخر أو هو مما ينزوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينزوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن المعاصي فإن ذلك أنصره رواه أحمد وعبد بن حيد و البخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كما هو مفهوم الحديث (وعفوه عنه اعدام الظلم ومنع له) فإذا عفا عنه فقد منع عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفو عنه مقام ربه وهما لا يدخل في إشفات الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها تسلط السارق وبغير القضاء الإزلي) الذي سبق في الكتاب الأول (ولكن ليحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم يعد للثمن وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبع مائة درهم) كأنه قد أنفق في سبيل الله بحسبه ذلك (لأنه) قد كان (نواه وقصده) وإن لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها) توكل على مكنها (إن له

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام الظلم ومنع له وليحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها تسلط السارق وبغير القضاء الإزلي ولكن يتحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة درهم لأنه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها) توكل على مكنها (إن له

أجر غلام ولد له في ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان لم يولد له) فقال أنت تخلقه أنت ترزقه اليك مجياه
وعماته أقرها قرارها وذاك هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلاً (لانه ليس اليه في أمر
الولد الا الوقاع فاما الخلق والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لك ان توابه على فعله وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة الرابع انه اذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن) عليه (بل يفرح ان أمكنه ويقول
لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى) لعله بان الوكيل اعلم بالصحة وفي القوت ولا ينبغي للمتوكل الموقن
أن يحزنه ما حوله من قبضته وهي خزائنه الى خزائنه الاخرى التي هي يد غيره فما لعله بهبه له فيكون رزقه
أو ينشأ به باحكامه فيه فيخرج أيضاً من يده لانه خرج من الدار شي والله حكمة وابتلاء في كل شيء فالخزن
والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جنابة من المؤمنين يتوبون الى الله تعالى منها لانه تعالى قد أمرهم
بترك الاسي على ما فات من الدنيا وقلة الفرح بما آتاه منها الا لا بد في كونها لانه قد علمه وبعد علمه قد كتبه ثم
اعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين لان جميع ذلك قد سبق في كتاب وجرى به القلم في اللوح أفلا
يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاة فبأسي على ما ليس له ويحزن على
ما استودعه لما منه استرجعه أو يفرح بما لم يكن في علم الله سبق له لانه لم يكن يعلم هل كان وهبه له فيبقى عليه
أو أعـبـه وأودعه فيرتجعه منه فلما أخذ من يده ورد الى معطيه ومودعه وكانت يده مع ذلك خزنة الوكيل
وقبضته أيقن انه لم يكن له وانما كان ودبعة عنده فاذا حزن وساء فقد شك لما يقن وجهل اذ علم ورغب
وكان ينبغي أن يكون زهد فأي شرك في الملك أظهر من هذا فهو ثمة الملك للاختيار بالتقليد ولو سمع ما علم
من قوله ولم يكن له شريك في الملك ثم ردوا الى مولاهم الحق لقال تحقيرة لاتصدق ان الله وانا اليه راجعون
فايقن ان ما في يده لمولاه اذا العبد وماله لسيده ثم أيقن انه اليه راجع وان ما خرج من يده فانه في قبضة الله لم
يخرج من خزائنه ولا نقل من ملكه ولا حول من داره لانه في الدار بعد لم يخرج وانما نقله من تمالك أدنى اليوم
الى ملك أعلى غد وذلك حسن اختيار من المختار وبلوى اختبار من الجبار فلهذه شهادة الموقنين بعين اليقين وهو
مقام الشاهدين ثم قال وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لسكل من ذهب له مال في سفر أو حضر
ولسكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقد هابط قلبه وكانت في خلده ووجده وان لم
ينطق بها أو يظهرها وهو وجد الراضين وحال المتوكلين وان لم يتسكاهوا به أو يعلم منهم فاكثرت الناس ايماناً
وأحسنهم يقيناً فلهم غما أو يسرهم أسمى على ما فات من الدنيا أو نفعهم شهادة من رأى ذلك نعمة أو جبت عليه
شكر فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على جهلها فان وجد المتوكل لرحله
بحاله أو رد عليه بعد أخذ له لم يضره ببقية شيئاً وكان له أجور بما ذكرناه من الاعمال الصالحة بالنيات التي
وصفناها ولا اعلم هذا القول واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينقصه شيئاً
ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء حكم الله تعالى ببقائه ولا يدخر تلك العقد لهذا بقية ما حكم الله بذهابه ومع ذلك
فيكون له حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات (ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبلغ
في طلبه وفي اساعة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة
فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو في ملكه في ناس) تنوى
(العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين) ولفظ القوت بعد قوله ومع ذلك فيكون له
حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات الاشياء واحداً من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع فانه
ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل الله فيه فرد الامر به اليه ثم رد عليه لم يستحب له في الورع أن يتركه ولا أن
يرجع فيه في حسن الادب لانه قد كان جعله في سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه قد صح تفويضه
الى الوكيلين في الحالين جميعاً فيكون رد ما ياء عليه لانه كان قد وهبه له وانما روعه بفقده وبمنزلة ابتداء اعطائه منه
(وقد روى ابن عمر) رضي الله عنه (سرقته ناقة فطلبها حتى أعيانها قال) هي (في سبيل الله فدخل المسجد

أجر غلام ولد له من ذلك
الجماع وعاش فقتل في
سبيل الله تعالى وان لم
يولد له لانه ليس أمر الولد
الا الوقاع فاما الخلق
والحياة والرزق والبقاء
فليس اليه فلو خلق
لك ان توابه على فعله
وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة (الرابع)
انه اذا وجد المال
مسروقاً فينبغي أن لا
يحزن بل يفرح ان أمكنه
ويقول لولا ان الخيرة
كانت فيه لما سلبه الله
تعالى ثم ان لم يكن قد
جعله في سبيل الله عز
وجل فلا يبلغ في طلبه
وفي اساعة الظن بالمسلمين
وان كان قد جعله في
سبيل الله فيترك طلبه
فانه قد قدمه ذخيرة
لنفسه الى الآخرة فان
أعيد عليه فالاولى أن
لا يقبله بعد أن كان قد
جعله في سبيل الله عز
وجل وان قبله فهو في
ملكه في ظاهر العلم لان
الملك لا يزول بمجرد تلك
النية ولكنه غير محبوب
عند المتوكلين وقد روى
ابن عمر سرق ناقة
فطلبها حتى أعيانها قال في
سبيل الله تعالى فدخل
المسجد

قال نعم انى لأزال خرينا
انى يوم القيامة قلت ولم
قال انى لما رأيت منازلى
فى الجنة رفعت لى مقامات
فى علمين ما رأيت مثلها
فما رأيت ففرحت بها
فلما هممت بدخولها
نادى مناد من فوقها
اصرفوه عنها فليست هذه
له انما هي لمن أمضى
السبيل فقلت وما مضى
السبيل فقبل لى كنت
تقول لاشئ انه فى سبيل
الله ثم ترجع فيه فلو
كنت أمضيت السبيل
لامضيتا لك وحكى عن
بعض العباد بمكة أنه كان
نائما الى جنب رجل معه
هميانه فانبته الرجل
ففقد هميانه فاتهم به
فقال له كم كان فى
هميانك فذكر له فعمله
الى البيت ووزنه من
عنده ثم بعد ذلك اعلمه
اصحابه انهم كانوا أخذوا
الهميان من جامعهم فناء
هو واصحابه معه وردوا
الذهب فايب وقال تخذه
حلالا طيبا فانا كنت
لاعود فى مال آخر جته
سبيل الله عز وجل فلم
يقبل فالحوا عليه فريعا

(٦٥ -) (انخاف الساده المتقين) - (تاسع)
 ابغاله وجعل بصره صررا ويبحث بها الى
 هكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبه في العاطيه فقير افغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيه
 فعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات * (الخامس) * وهو أقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي ظلمه بأحد
 دل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فيما أصيب به

ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزع لطلبه فجاءه قوم بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله قبل وامنعك أن تزوجه قال كنت فيها هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تنعوا (٥١٤) وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه وقبل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعوا على

ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لورد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لاني كنت قد أحلته له وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً وأكثر بعض شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى يتصف للحجاج من انتهك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم الظالم بسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم * (السادس) * أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

بالعفو عن الظالم وتفضيل العايفين عن الناس فاولم يكن هذا أفضل ما مدحوا به ولا فضلاً بفعله وهذا مذهب الأكثر وهو أحب الي وكذلك كان رأي السلف الاول قلت واليه مال المصنف (في الخبر) قال صلى الله عليه وسلم (من دعا على ظالمه فقد انتصر) رواه ابن أبي شيبة والترمذي وضعفه وابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة بلفظ على من ظلمه (وحكى ان الربيع بن خيثم) الثوري السكوني العابد تابعي ثقة (سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً) درهمهما (وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزع لطلبه فجاءه قوم) من الناس يخزنون له و (بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله) من مربوطه (قبل وامنعك أن تزوجه قال كنت فيما هو أحب الي من ذلك) يعني الصلاة قال (فجعلوا يدعون عليه) الله يفعل به كذا وكذا (فقال لا تنعوا وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه) فلولاه اعتقه وتحليله والعفو عنه لكان من المعاونين على الأثم والعدوان وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً ثم قال تدمه من الظلم فذلك نصر لك اياه فهذا الولا عفو عن ظلامته كان قد خذله وامنصره ولم يحطه أحد من السلف في هذا الفعل بل فعل ذلك على التفضل له (وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له ألا تدعوا على ظالمك قال ما أحب ان أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لوردت عليك) سرقك كنت تأخذها (قال لا آخذها ولا) كنت (انظر اليها لاني قد كنت أحللتها له) وفي نسخة أحلته لها نقله صاحب القوت (وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً) كذا في القوت قال وذبح لبعض المسلمين مال فجاءه بعزونه عليه فقال علام تعزوني على أمر الله فوالله ما خزنت على ذهابه قبيل ولم قال شغلتني الشكر عليه من الحزن (وأكثر بعضهم شتم الحجاج) بن يوسف الثقفي (عند بعض السلف في ظلمه) قيل هو الحسن البصري (فقال له لا تغرق في شتمه) أي لا تبلغ ولا تكثر (فان الله تعالى ينتصف للحجاج من انتهك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه) وفي نذر الخبر المأثور من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على ظالمها أحسب في سرقة لا يستحق عنه يقول لا توسع عليه في التوسيع عليه نقصان من ظلامة المظلوم بقدر ذلك الا أن يصير للظالم زيادة بفضل ما انتهك منه (و) بطابقه ما جاء (في الخبر) الآخر (ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم) ولفظ القوت ان العبد ليظلم بالظلمة أو يسرق له الشيء فلا يزال يدعوه عليه ويسببه حتى يستوفي بقدر ظلامته ويبيق للظالم فضل يؤخذه من المظالم وقد تقدم في كتاب آفات اللسان (السادس) أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

ان لم يكن لك غم انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضل رضى دنابر وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال ألعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف

رضي الله عنهم أجمعين * (الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواء المرض وأمثاله) * (٥١٥) اعلم أن الـ

رضي الله عنهم أجمعين) وقد كان أبو ساهمان الإداري يقول إنما البغض لاهل المعاصي عند النظر اليهم عليها
فاذا تفكرت فيما يصبرون اليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب

(الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواء المرض وأمثاله اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الاسباب المزيلة
للمرض أيضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون
كالنصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة
وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالسكي والرقية أما المقطوع) به (فليس من التوكل) أي من
شرطه (تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم المتوكلين) في الحديث السابق (وأقواها السكي وتلبه الرقية والطيرة آخر درجتها والاعتماد عليها
والاتكال عليها غاية التعمق) والتدقيق (في ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة) بين المقطوع والموهوم
(وهي المظنونة كالدواء بالاسباب الفاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه
ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الاحوال وفي بعض الاشخاص فهي على
درجة بين الدرجتين و) مما (يدل على ان التدوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وأمره أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام
يعنى الموت) قال العراقي واه أجد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله الا السام وهو عند ابن
ماجه مختصر ادون قوله عرفه الخ واسناده حسن وللمزمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك الا الهرم
وللطبراني في الاوسط والبراز من حديث أبي سعيد الخدري ومن حديث ابن عباس الا السام وسندهما
ضعيف وللبخاري من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء الا أنزل الله له شفاء ولمسلم من حديث جابر اسكل داء
دواء انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك الحكيم وابن السني وأبو نعيم في الطب والحاكم والبيهقي
ولفظه ما أنزل الله من داء الا أنزل الله معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وهو عند ابن ماجه مختصر من حديثه
ولفظه ما أنزل الله داء الا أنزل الله الدواء وفي رواية له من حديث أبي هريرة مثله الا انه قال شفاء عبد الله
ومثله في حديث ابن مسعود عند النسائي وابن حبان والحاكم وفي آخره زيادة روى الخطيب من حديث
أبي هريرة ما أنزل الله عز وجل داء الا وقد جعل له في الارض دواء علمه من علمه وجهله من جهله وبقية حديث
جابر عند مسلم فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى وأما ذكر السام ففي حديث أبي سعيد ان الله تعالى لم
ينزل داء الا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله الا السام وهو الموت هكذا رواه ابن السني وأبو نعيم في
الطب والحاكم وذكر الهرم في حديث ابن مسعود ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له شفاء الا الهرم فعليك
بالبان البقر فانهم انهم من كل شجر هكذا رواه الحاكم والبيهقي وقد جاء ذكره ما جمعا في حديث أسامة بن
شريك الاتداو وافان الله لم ينزل داء الا وقد أنزل له شفاء الا السام والهرم هكذا رواه ابن حبان (وقال) صلى الله
عليه وسلم (تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء) قال العراقي واه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ
له من حديث أسامة بن شريك انتهى قلت وفيه زيادة في آخره عند ابن حبان وقد ذكر قبل هذا رواه أبو
نعيم في الطب من حديث ابن عباس تداو وان الله عز وجل لم ينزل في الارض داء الا أنزل له شفاء وروى أجد
والطحاوى وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال
جاءت الاعراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فقالوا يا رسول الله أنتدوى قال نعم ان الله لم ينزل داء الا
أنزل له شفاء الا الموت والهرم تداو واعباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء الاداء واحدا الهرم وروى
القضاعى من طريق الاعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة تداو وان الذي أنزل الداء أنزل الدواء (وسئل)
صلى الله عليه وسلم (عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله تعالى) قال العراقي رواه

اب المزيلة للمرض أيضا
تنقسم الى مقطوع به
كالماء المزيل لضرر
العطش والخبز المزيل
لضرر الجوع والى مظنون
كالنصد والحجامة وشرب
الدواء المسهل وسائر
أبواب الطب أعني معالجة
البرودة بالحرارة والحرارة
بالبرودة وهي الاسباب
الظاهرة في الطب والى
موهوم كالسكي والرقية
أما المقطوع فليس من
التوكل تركه بل تركه
حرام عند خوف الموت
وأما الموهوم فشرط
التوكل تركه اذ به وصف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المتوكلين وأقواها
السكي ولبه الرقية والطيرة
آخر درجتها والاعتماد
عليها والاتكال الهاعية
التعمق في ملاحظة
الاسباب وأما الدرجة
المتوسطة وهي المظنونة
كالدواء بالاسباب الظاهرة
عند الاطباء ففعله ليس
مناقضا للتوكل بخلاف
الموهوم وتركه ليس
محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون أفضل من
فعله في بعض الاحوال
وفي بعض الاشخاص
فهى على درجة بين
الدرجتين ويدل على أن
التدوى غير مناقض
للتوكل فعلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت
وقال عليه السلام تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله

الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح انتهى
قلت حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرأيت رقي نرقى
بها وأدوية تتداوى بها الحديث قال ابن عبد البر ذكره يعني أبا خزيمة بعضهم في الصحابة الحديث خطأ في رواه
عن الزهري وهو تابعي وكأنه جنح إلى تعقوبه من قال عن ابن أبي خزيمة عن أبيه وقال ابن فيكون أخرج حديثه
الباوردى والطبراني أيضا من طريق عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري وقيل عن الزهري وعن ابن أبي خزيمة
عن أبيه وروى بها ابن عبد البر (وفي الخبر المشهور ما مررت) ليلة أسري بي (بملا من الملائكة الا قالوا) يا محمد
(مرأيتك بالحمامة) لانهم من بين الامم كلهم أهل يقين وإذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر
بالقلب وبالطبع وقال التوربشتي وجه المبالغة منه في أمر الحمامة سوى ما عرف منها من المنفعة العائدة على
الابدان أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد وبين الترقى إلى عالم الملكوت الاعلى والوصول
إلى الكشوفات الروحية وغلبته تزيد جفاف النفس وصلايتها فإذا ترف الدم أو رثها ذلك خضوعا وخروجا
ولينا ورقة ولذلك تنقطع الادخنة المنعشة عن النفس الامارة وتكسب مادتها فتزداد البصيرة نوراً إلى نورها
قال العراقي روى الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث ابن عباس
نحوه عليك بالحمامة وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت في سند
الترمذي أجده بن بديل الكوفي قال في الكشاف لينة ابن عدى والدارقطني ورضيه النسائي وعبد الرحمن بن
اسحق ضعفوه وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الضبي كفى الميزان وعدوا من منا كبره هذا الحديث ولذلك
قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث المعاصي انه منكر وروى الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الطب عن
عبد الجيد بن صفي بن صهيب عن أبيه عن جده رفعه عليكم بالحمامة في جوزة القحذورة فإنه دواء من اثنين
وسبعين داء وخسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس (وفي الحديث أنه أمر بها) أي
بالحمامة (وقال احتجموا) ارشاد الزاها (لسبع عشرة وتسع عشرة واحد وعشرين) من الشهر العربي
(لا يتبيخ بكم الدم) أي يشور ويغلب (فيقتلكم) أي فيكون ثورانه سببا موتكم وهذا فيه كمال شفقته على
أمته قال العراقي روى البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفع الترمذي بلفظ ان خير
ما احتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البزاران الطريق المتقدمة
أحسن من هذا الطريق ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة
الحديث انتهى قلت لفظ البزار احتجموا الخمس عشرة أو لسبع عشرة أو تسع عشرة أو إحدى وعشرين
الحديث وقد رواه كذلك الطبراني والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس ولفظ المرفوع
عند الترمذي من حديثه ان خير ما احتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشرين
وليس فيه ذكر التبيخ ولفظ ابن ماجه من حديث أنس من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة وتسعة عشرة
واحد وعشرين لا يتبيخ باحدكم الدم فيقتله وروى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة
من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحد وعشرين كان له شفاء من كل داء وقوله لا يتبيخ أي
لثلاثين في حذف حرف الجر مع ان قال ابن الاعرابي تبيخ الدم وتبرق نار وهاج (فذكر ان تبيخ الدم
سبب الموت وأنه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك وبين
اخراج العقرب من الثياب واخراج الحية من البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً) قال ابن
القيم هذا موافق لاجماع اطباء ان الحمامة نصف الشهر وما بعده من الربع الثالث من أربع الشهر أنفع
من أوله وآخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعل علة للامر بها نعم محل اختيار هذه الاوقات إذا أرادت لحفظ الصحة
فان كانت ارض فعلت وقت الحاجة انتهى وقال ابن جرير هذا اختيار من صلى الله عليه وسلم لاوتر من أيام
الشهر على الشفع لفضل الوتر عليه وانما خص امره بحالة انتفاص الهلال من تنهاى تمامه لان ثوران كل

وفي الخبر المشهور ما
مررت بملا من الملائكة
الاقالوا مرأيتك بالحمامة
وفي الحديث أنه أمر بها
وقال احتجموا السبع
عشرة وتسع عشرة
واحد وعشرين لا
يتبيخ بكم الدم فيقتلكم
فذكر أن تبيخ الدم
سبب الموت وأنه قاتل
باذن الله تعالى وبين أن
اخراج الدم خلاص منه
اذا لا فرق بين اخراج الدم
المهلك من الالهات وبين
اخراج العقرب من تحت
الثياب واخراج الحية من
البيت وليس من شرط
التوكل ترك ذلك بل هو
كصب الماء على النار
لا طفاؤه ودفع ضررها
عند وقوعه في البيت
وليس من التوكل الخروج
عن سنة الوكيل أصلاً

تأثير وتحرك كل علة انما يكون فيما يقال من حين الاستهلال الى الكمال فاذا اتناهى نحاؤه وتم تمامه سكر فامر
بالاحتجام في الوقت الذي الاغلب فيه السلامة الا ان يثور الدم وتدعو الضرورة لبعضهم في الوقت المذكور
بحيث تكون غلبة السلامة في عدم التأخير فية على حينئذ انتهى وقال صاحب القوت وفي ذكر تبليغ الدم
دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه اريد به هذه الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التي
جعلت حقوقا واسبابا للموت واحسب هذا القدر من العدد دلاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي
الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في ارض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان
يحتجموا في كل شهر مرة الى أن يجازي الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر (و) قد روى
(في خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر) العربي (كان له دواء من داء سنة) قال
العراقي رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واحد
اختلف على روايه في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف انتهى قلت حديث معقل بن يسار رواه
أيضا ابن سعد وابن عدى والبيهقي ولفظه من سياق المصنف وحديث أنس رواه البيهقي أيضا ولفظه لسبع
عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء سنة وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال وفي خبر مثله عن
الاعمش من احتجم يوم السبت نفعه قال الاعمش فجر بته فنفعتني انتهى قلت وقد روى في المرفوع ما يناقض
ذلك روى الشيرازي في الاقواب والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة من احتجم يوم الاربعاء أو يوم السبت
فراى في جسده وضحا فلا يلومن الانفسه وصححه الحاكم وتعبه الذهبي (وأما أمره) صلى الله عليه وسلم فقد
أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى بالجمية) أما الامر بالتداوى فقد تقدم في حديث أسامة بن شريك من
رواية أصحاب السنن وفيه تداؤوا بعباد الله وفي حديث ابن مسعود تداؤوا بالبان البقر رواه الطبراني والخطيب
وفي حديث زيد بن أرقم تداؤوا من ذات الجنب رواه أحمد والطبراني والحاكم وأما أمره بالجمية فسيأتى في
قصة علي وصهيب بعده قال صاحب القوت يورى أبو قلابة عن كعب الاحبار يقول الله عز وجل انى أمان الله أشجع
وأداوى فتداؤوا فالتداوى رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه
وقد قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أى ضيق وربما كان التداوى فضلا في ذلك المعنيين أحدهما
أن ينوى اتباع السنة والاخذ برخصة الله تعالى وقبول ما جاء به الخيفة السحرة والثانى أن يجب سرعة
البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعى في أوامره اذا كانت العلل قاطعة من التصرف في العمل ومشغلة بالنفس
عن الشغل بالآخر (وقطع) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن معاذ) بن النعمان الانصارى الاشهل أبى عمرو سيد
الاوس شهد بدرا (عرقا أى فصدته) كذا في القوت قال العراقي رواه مسلم من حديث جابر قال رى سعد فى أكله
فخسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث انتهى قلت رى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك
شهر حتى حكم في بنى قريظة وأجبت دعوته في ذلك ثم انتقص جرحه فمات أخرج ذلك البخارى وذلك سنة خمس
(وكوى) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن زرارة) بن عدس بن عبيد أبى امامة الانصارى الخزرجى التجارى قديم
الاسلام شهد العقبتين مات قبل وقعة بدر ووقع في القوت ما نصه ولوى أسعد بن زرارة من القوة هكذا هو باللام
وفي الهامش بارائه لوى أى عالج اه وأخاله تعجيفا والصواب كوى وقال العراقي رواه الطبراني من حديث
سهل بن حنيف دون ذكر سهل التمسى وقال الحافظ في ترجمة أسعد من الاصابة وقال عبد الرزاق عن معمر عن
الزهري عن أبي امامة بن سهل قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة
العقبة وقد أخذته الشوكة فكواه الحديث وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري هذا هو
المحفوظ ورواه عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وهى شاذة ورواه رفعة بن صالح عن
الزهري عن أبي امامة بن سهل عن أبي امامة أسعد بن زرارة الرواية وانما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن
زرارة والله أعلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعل) رضى الله عنه (وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب

وفي خبر مقطوع من
احتجم يوم الثلاثاء
لسبع عشرة من الشهر
كان له دواء من داء سنة
وأما أمره صلى الله عليه
وسلم فقد أمر غير واحد
من الصحابة بالتداوى
وبالجمية وقطع لسعد بن
معاذ عرقا أى فصدته
وكوى سعد بن زرارة
وقال لعل رضى الله تعالى
عنه وكان رمد العين
لا تأكل من هذا يعني
الرطب

وكل من هذا فانه أوفق لك يعني ساقا قد طبخ بدقيق شعير (قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر انتهى قلت ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧ يا كل منها واقام على ليا كل فقال له باعلى انك نافة حتى كف على قال وصفت له شعيرا وسقا فحنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على من هذا فاصب فانه أوفق لك لفظ أبي داود وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث فليح وتعتب بانه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحيى الاسلمى عن أبيه عن يعقوب نحوه قال الحافظ في الاصابة فليح بن سليمان اسمه وكنيته أبو يحيى وابنه محمد من رجال البخاري وابن أبي فديك من أقرانه فله جله عنه ولم يفصح باسم ابنه لصغره فقال محمد بن أبي يحيى والد ابراهيم شيخ الشافعي وليس هو به بل رجوع الخبر الى فليح كما قال الترمذي (وقال) صلى الله عليه وسلم (لصهيب) بن سنان رضی الله عنه (وقدرأه يا كل التمر وهو وجع العين تا كل تمر وأنت أرمد فقال اني آكل من الجانب الاخر فتبسم) صلى الله عليه وسلم (تقدم في كتاب آفات اللسان) (وأما فعله فقدرى في الحديث) المروى (من طريق أهل البيت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه ابن عدي من حديث عائشة وقال انه منكرو فيه سيف بن محمد كذبه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين انتهى قلت وبخط الحافظ ابن حجر لابي نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن غنم مثله وفيه الواقدي انتهى وانما خص الليل بالاكتحال لانه في النوم يتمكن التكحل في طبقات العين ويظهر تأثيره فيها وشربه صلى الله عليه وسلم الدواء كل سنة كان لغيره فان عرض له ما يوجب شربه في اثناء السنة شربه أيضا (وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقر بغيرها) ولغظ القوت وقدرت اوى في غير خبر من العقر وغيرها وقال العراقي رواه الطبراني باسناد حسن من حديث جبلة بن الازرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس الحديث وله في الاوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى تهمج كفامن شونيز وشرب عليه ماء وعسلا ولا يعل والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ما وسم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور انتهى قلت حديث جبلة بن الازرق رواه أيضا البخاري في تاريخه وابن السكن والبغوي كلهم من طريق معاوية بن صالح عن صالح بن راشد بن سعد بن جبلة بن الازرق وكانت له حجة قام صلى الله عليه وسلم الى جانب جدار كثير الاجرة لما طهرا أو عصرا فلما جلس لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس فافاق فقال ان الله شفاني وليس بريقكم قال لا أعلم له غيره وقال البغوي ابن السكن ليس له غيره (وروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا نزل عليه الوحى صدع رأسه) من شدة ما يلقاه منه (وكان يغلفه بالخناء) لتخف حرارة رأسه فان فور اليقين اذا هاج اشتعل بورود الوحى فيلطف حرارته بذلك قال العراقي رواه البراء بن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في اسناده على الاحوص بن حكيم انتهى قلت وكذلك رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب (وفي الخبر انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب قالت هي سلمى أم نافع امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها أيضا مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذي وقدر رواه من طريق فائد مولى أبي رافع عن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع عن جده وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة أو نكبة الا أمرني أن أجعل عليها الخناء (وقد جعل) صلى الله عليه وسلم (على قرحة خرجت به ترابا) قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة كان اذا اشتكى الانسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وجعل سفيان بن عبد الله الراوى سبابة بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا انتهى ولفظ القوت فروينا انه جعل على أصابعه السبابة من ريقه ثم وضعه على تراب فقال تربة أرضه بريقة

وكل من هذا فانه
أوفق لك يعني سقا
قد طبخ بدقيق شعير
وقال لصهيب وقدرأه
يا كل التمر وهو وجع
العين تا كل تمر وأنت
أرمد فقال اني آكل من
الجانب الاخر فتبسم
صلى الله عليه وسلم وأما
فعله عليه الصلاة والسلام
فقدرى في حديث من
طريق أهل البيت انه
كان يكتحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب
الدواء كل سنة قيل
السنن المسكى وتداوى صلى
الله عليه وسلم غير مرة
من العقر بغيرها
وروى أنه كان اذا نزل
اليه الوحى صدع رأسه
فكان يغلفه بالخناء وفي
خبرانه كان اذا خرجت
به قرحة جعل عليها
خناء وقد جعل على
قرحة خرجت به ترابا

وماروي في ندائه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بهلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدائوت بكذا البرث فقال لا تدأوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانما تدأوى به فثبرا فقال لا تدأوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتدأوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فدأوه فبرأوا وجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي (٥١٩) في خبر آخر ان نبيا من الانبياء عليهم

السلام شكاه لعله يجدها
فاوحى الله تعالى اليه كل
البيض وشكاني آخر
الضعف فاوحى الله تعالى
اليه كل اللحم باللبن فان
فيه ما القوة قبل هو
الضعف عن الجماع وقد
روى ان قوما شكوا الى
نبيهم قبح أولادهم فاوحى
الله تعالى اليه مرهم ان
يطعموا نساءهم الحلبى
السفرجل فانه يحسن
الولد يفعل ذلك في الشهر
الثالث والرابع اذ فيه
يصور الله تعالى الولد وقد
كانوا يطعمون الحلبى
السفرجل والنفساء
الرطب فهذا تبين ان
مسبب الاسباب أخرى
سنته بربط المسببات
بالاسباب اظهار الحكمة
والادوية أسباب مسخرة
بحكم الله تعالى كسائر
الاسباب فكما ان الخبز
دواء الجوع والماء دواء
للعطش فالسكتنجين دواء
الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لا يفارقه
الا في أحدهما أمرين

بعضنا شفا علم ايضا باذن ربنا ثم جعله على قرحة في رجليه (وماروي في تدأوى به) صلى الله عليه وسلم (وأمره بذلك) (أصحابه كثير) (خارج عن الحصر) والضبط لكثرته (وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم) وهذا كتابان مشهوران بهذا الاسم أحدهما للأحافظ أبي بكر بن السني والثاني للحافظ أبي نعيم الاصبهاني قال صاحب القوت وهو صلى الله عليه وسلم أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء المقربين فان قيل انما تدأوى لغيره وليس ذلك قلنا فلا ترغيب عن سنته ولا ترهيب في بغيته ان كان فعل ذلك لنا فلا ترد عليه لئلا يكون فعله لغوا والرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعن في الشريعة وقد كان صلى الله عليه وسلم طاهرا للخلق ليقنقوا آثاره (وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل مرة) (بهلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدائوت بكذا البرث فقال لا تدأوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له) (ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانما تدأوى به فثبرا فقال لا تدأوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتدأوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فدأوه (فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري) كذا في القوت (وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكاه) الى الله تعالى (عله يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض) كذا في القوت (وشكاني آخر) الى الله تعالى (الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيه ما القوة قبل هو) ولفظ القوت أحسنه (الضعف عن الجماع) وأضن في ذكر البيض شكاه الولد فامر به وذكروا بن مننه ان ملكا من الملوك اعتل بهلة وكان أحسن السيرة في رعيته فاوحى الله الى شعيب عليه السلام قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك (وقدر وى) أعجب من ذلك (ان قوما شكوا الى نبيهم) عليه السلام (قبح أولادهم فاوحى) الله تعالى (اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحلبى السفرجل فانه يحسن الولد) (وقيل) (يفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع) من حمل المرأة (اذ فيه يصور الله الولد) ولفظ القوت لان الولد يصور فيه ما (وقد كانوا يطعمون الحلبى السفرجل والنفساء الرطب فهذا تبين ان مسبب الاسباب) جل اسمه (أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهار الحكمة) عرفها من عرفها وجاهلها من جاهلها (والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب) لا فرق فيها (فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكتنجين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحدهما أمرين أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلبي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدركه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول) فصار عنده جلبي واضحا (و) الامر الثاني (ان الدواء يسهل) المعدة (والسكتنجين يسكن الصفراء) بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال) فلا يعمل به (وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء) كافي مرض الاستسقاء (ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلبي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدركه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكتنجين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب من الدوا والداء فقال آت الى منى قال فما يصنع الاطباء قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادى (٥٢٠) حتى يأتى شفاؤى أو قضائى فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعلم والحال كما سبق فى

قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالسكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد السكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامرو هو انه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالسكى الاول دواء يغنى عنه ليس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية مخدور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك لم يرسول الله صلى الله عليه وسلم عن

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل اشتغاله) بالاسباب مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام انه قال يارب من الدوا والداء فقال تعالى منى قال فما يصنع الاطباء) حينئذ (قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادى حتى يأتى شفاؤى أو قضائى) نقله صاحب القنون الا أنه قال أو قضى قال ويقال ان بين الدوا والداء حجاب المشيئة فلا ينفذ الدواء حتى ينكشف الحجاب (فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعلم والحال كما سبق) بيانه قريباً (فى قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالسكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع) فلم جعل فى السقم الموهوم (فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور) وسقى الحوار للمبرود فهذه هى الاسباب الظاهرة (وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد السكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب) فى البوادر فانهم يستعملونه وذلك لعدة الادوية عندهم (فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا أنه يتميز عنه بامرو هو أنه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالسكى الاول دواء يغنى عنه ايس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية مخدور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما) من الادوية (ولذلك لم يرسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى) رواه الطبرانى من حديث سعد الظفرى قال الذهبى الاصح انه سعد بن النعمان يدرى ورواه الترمذى والحاكم من حديث عمران بن الحصين قال الحافظ فى الفتح سنده قوى وهو منسب نزيه حيث أمكن الاستغناء عنه بغيره وأما قولهم آخر الطب السكى فهو كلام مشهور عنه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذلك كان أحداً يحمل عليه النهى عن السكى وجود طريق مرجو للشفاء سواء (دون الرقى) جمع رقية بالضم وهى ما يعوذ بها قال العرافى رواه البخارى من حديث ابن عباس رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة انتهى وأما ما رواه الحاكم من حديث ابن مسعود نهى عن الرقى والتعاظم والتولة فمحمول على ما اذا كانت الرقية بغير القرآن وأسماء الله وصفاته وأما ما جاز قال ابن التين الرقى بذلك هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الابرار حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عارض هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزوم من يزعم تسخير الجن تأتى مركبة من حق وباطل تجتمع الى ذكر أسماء الله وصفاته ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردنهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئاً من شوب الشرك والموطأ أن أبابكر رضى الله عنه قال لليهودية التى كانت ترقى عائشة رضى الله عنها رقية بالكاتب الله (وكل واحد منهما) من السكى والرقى (بعيد عن) صفة (التوكل وروى عن) أبى نجيد (عمران بن الحصين) بن عبيد الخزاعي رضى الله عنه أسلم فى وقعة خيبر وتحول الى البصرة فات بها (اعتل) فى بطنه فظل صريعاً ثلاثين سنة على سر من حديد قد نصب له فى أوسطه لموضع الغائط لانه كان سطوياً لا يستطيع القيام (فاشاروا عليه بالسكى فامتنع) منه (فلم يزالوا به) يلحون عليه (وعزم عليه الامير) هو عبيد بن زياد كما عند الدارمى (حتى اكنوى) فى بطنه سبع كيات (فكان) رضى الله عنه (يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنوت انقطع ذلك عني) كذا فى القنوت (و) فى رواية (كان يقول اكتبونا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن) يعنى الكيات وروى الحسن عن مطرف بن عبد الله قال تيننا عمران بن الحصين نعوذه وكان قد اكنوى فى بطنه فقال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن السكى فاكتبونا فمأفلقنا

ولا السكى دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالسكى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامر حتى اكنوى فكان يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنوت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتبونا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت

ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة وقال لطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي كان
أكرم مني الله بها قدردها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره بفقدها فإذا السكى وما يجرى (٥٢١) مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه

يحتاج في استنباطه إلى
تدبير ثم هو مذموم ويدل
ذلك على شدة ملاحظة
الاسباب وعلى التعمق
فيها والله أعلم
(بيان ان ترك التدوى
قد يحمد في بعض
الاحوال ويدل على قوة
التوكل وان ذلك لا
يناقض فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم) *
اعلم ان الذين تدواون
السلف لا يقتصرون

ولا أنجح عناور واه الحارث بن أبي اسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمران انه شكك ابنه فلبث زمانا طويلا
فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال ان أحب ذلك إلى أحبه إلى الله قال حتى اكتبوى قبل وفاته لستين وكان
يسلم عليه فلما اكتبوى فقده ثم عاد اليه وفي لفظ آخر كانت الملائكة تزوره فبأنس به حتى اكتبوى (ثم تاب من
ذلك وأتاب إلى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة) قال ابن عبد البر كان من فضلاء
الصحابه ووقعها ثم يقول عنه أهل البصرة انه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتبوى (وقال) رضى
الله عنه (لطرف بن عبد الله) بن الشخير العامري التابعي البصري (ألم تر أن الملائكة التي) كان (أكرم مني
الله بها) اقدردها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره بفقدها) روى الدارمي قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا
هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال قال عمران بن حصين اني محدثك بحديث انه كان يسلم علي وان ابن زياد
أمرني فاكتبوى فجلس عني حتى ذهب أثر السكى قال صاحب القوت فلو لان ذلك كان عنده ذنب لما ندّم
عليه ولما تاب منه ولولا انه كان نقصا ما صرفت الملائكة عنه (فاذا السكى وما يجرى مجراه هو الذي لا يليق
بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مذموم فدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها)
والله أعلم

*(بيان ان ترك التدوى قد يحمد في بعض الاحوال) *

(ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم) هذا الله تعالى (ان الذين
تدواون والسلف) كثير من (لا يقتصرون ولكن قد ترك التدوى أيضا جماعة من الاكابر فر بما يظن ان
ذلك نقصان لانه لو كان كما لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله
وقد روى عن أبي بكر رضى الله عنه انه) لما مرض (قيل له لودعونا لك طبيبا فقال الطيب نظر الى وقال اني
فعال لما أريد) روى أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال مرض أبو بكر فعاده
الناس فقالوا ألدعوك الطيب قال قد رأيت قالوا فاي شيء قال لك قال اني فعال لما أريد روى أبو نعيم في الحلية
من طريقه (وقيل لابي الدرداء) رضى الله عنه (في مرضه ما تشكى قال ذنوبي فقيل فماتت شهى قال مغفرة ربي
قالوا ألدعوك طيبا قال الطيب أمرضني) أخرجه أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن
حفص السديوسي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو هلال حدثنا معاوية بن مرة ان أبا الدرداء اشتكى فدخل
عليه أصحابه فقالوا ما تشكى يا أبا الدرداء قال أشكى ذنوبي قالوا فماتت شهى قال أشتهى الجنة قالوا ألدعوك
لك طبيبا قال هو أصح بعني قال صاحب القوت وقدر ويناه أيضا عن ابن مسعود (وقيل لابي ذر) رضى الله عنه
(وقد رمدت عيناه لوداؤيتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو
أهم علي منهما) نقه له صاحب القوت (وكان الربيع) بن خيثم الثوري السكوني العابد (أصابه فالج) وهو
مرض منشؤه البرد يمنع الاعضاء من التحرك (فقيل له لو تدأويت فقال قد هممت) على ذلك (ثم ذكرت عادا وغود
وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا) كانت فيهم الاوجاع (وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن
الرفق شيئا) نقله صاحب القوت وفي هذا المعنى ما نسب للإمام الشافعي رضى الله عنه

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع مقدور أرى
ما للطبيب عوت بالداء الذي * قد كان يبرى مثله فيما مضى
هالك المداوى والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال صاحب القوت وقد كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فعلم عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات
الصلاة ثم يرده إلى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة كانا شامط من عقال فاذا قضى صلاته رجع إليه الفالج

لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو

(٦٦ - (اتخاف السادة المتقين) - ناسع)

أهم علي منهما لو كان الربيع بن خيثم أصابه فالج فقيل له لو تدأويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا
وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرفق شيئا

وكان أحد بن حنبل يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر الطبيب به أيضاً إذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم إلا انحصار الصوارف عن التداوى فنقول (٥٢٢) إن ترك التداوى أسباباً * (السبب الأول) * أن يكون المريض من المكاشفين

كما كان قبل ذلك (وكان أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره) نقله صاحب القوت قال (وكان) تقوم (به علل فلا يخبر الطبيب أيضاً) إذا سأله (كذا في القوت) (وقيل لسهل) التسترى رحمه الله تعالى (متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه) نقله صاحب القوت (فإذا منهم من ترك التداوى وراءه) واعتقده من الصديقين والسلف الصالح (ومنهم من كرهه) (الأنه) مخصوص بخصوص وطريق الخاصة الأقوياء ولا يسلكه الشوب من العموم والضعفاء وذلك مذهب إبراهيم الخواص وطريقه كان يرى أن المتوكل إذا تداوى نقص بذلك تحقيقه (ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين (أفعالهم إلا انحصار الصوارف عن التداوى) فقد يترك بعض الأولياء التداوى لأسباب أخر ترجح بذلك أعمالهم ولا يكون تركاً لاسنة انما يتركون الفضل للأفضل (فنقول إن ترك التداوى أسباباً) ستة (الأول أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وإن التداوى لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤية صادقة) تأتي كفلق الصبح (وتارة بحس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى) فيما سبق من قوله (من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختك وما كان لها إلا أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بانثى) هذه القصة ذكرها الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في كتابه سماه المقامات العلية في الكرامات الجليلة يقول فيها بعد أن ذكر جلة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وسرت سر برته إلى أصحابه * فلهم خوارق ما ذاعها مدعى فلعسكر الصديق امداد السما * ولم تلج من بعده في مجمع ومقالة في بنت خارج واقع * حقان الصديق أحسن موقع ثم ساق بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال يا بنيبة فإن أحب الناس غنى إلى بعدى أنت وإن أعز الناس فقراً إلى بعدى أنت وإن كنت نخلتك جادعشرين وسقاً من مال فوددت والله أنك كنت خوتيه وأخذت به فانما هو أخوالك واختالك قالت قلت هذا أخو أي فبن أخنأى قال ذو بمان ابنة خارجة فإذا ظننا جارية فكان كذلك وقد تقدم ذلك للمصنف (فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله والافلاظن به إنكار التداوى) (مطلقاً كيف) (وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدواي) كما تقدم قريباً (وأمر به) كما في حديث أسامة بن شريك وتقدم (السبب الثاني أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله) أي الاشتغال بهمهم ديني أشرف من التداوى وعليه يدل كلام أبي ذر إذا قال إنى عنها مشغول (وكلام أبي الدرداء) رضي الله عنه (إذا قال إنى اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته) فإنه في شغل شاغل (أو كالحائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل) وتحقق ذلك (إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الحزن نافعاً من الجوع ولا) يكون (طعناً في أن كل ويقر من هذا اشتغال سهل)

وقد كوشف بأنه انتهى أجله وإن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤية صادقة وتارة بحس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختك وما كان لها إلا أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بانثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله والافلاظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدواي وأمر به * (السبب الثاني) * أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر

إذا قال إنى عنها مشغول وكلام أبي الدرداء إذا قال انما اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته أو كالحائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعناً في أن كل ويقر من هذا اشتغال سهل

حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم فقبل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو
الذكر قيل سألناك عن طعمه الجسد قال مالك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه امارأت الصنعة اذا
عيت ردوها الى صانعها حتى يصلحها * (السبب الثالث) * أن تكون العلة مزممة (٥٣٣) والدواء الذى يؤمر به بالاضافة

الى علته موهوم
النفع جار مجرى السكى
والرقية فيتركه المتوكل
واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم اذ قال ذكرت
عادا وغود وفيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى
أى ان الدواء غير موثوق
به وهذا قد يكون كذلك
فى نفسه ونديكون عند
المريض كذلك لقلة
ممارسته للطب وقلة
تجربته له فلا يغلب على
ظنه كونه نافعا ولا شك فى
ان الطبيب المجرب أشد
اعتقادا فى الادوية من
غيره فتكون الثقة
والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة
وأكثر من ترك التدوى
من العباد والزهاد هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء
عنده شيأ موهوما لا أصل
له وذلك صحيح فى بعض
الادوية عند من عرف
صناعة الطب غير صحيح
فى البعض ولكن غير
الطبيب قد ينظر الى
الكل نظرا واحدا فيرى
التدوى تعسفا فى
الاسباب كالسكى والرقى

السترى رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب القوت (حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم)
الذى به الحياة والقوام لكل شئ (فقبل انما سألناك عن القوام) أى ما تقوم به البنية (فقال القوام هو
العلم) فانه يقوم الاعمال (قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكرا قيل سألناك عن طعم الجسد) الذى
هو الغذاء الظاهر (قال مالك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه) فهو
أول من ينظر فيه (امارأت الصنعة اذا عيت) بفساد (ردوها الى صانعها حتى يصلحها) اذ هو يعرف فسادها
من صلاحها ويعرف كيف يصلحها وهذا هو مقام التفويض والتسليم من التوكل (السبب الثالث أن تكون
العلة مزممة) مستمرة (والدواء الذى يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم) غير متيقن ولا مظهر
(جار مجرى السكى والرقية فيتركه المتوكل) اذ فيه تضيق العمر والمال فى لاشئ (واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم) رحمه الله تعالى (اذ قال ذكرت عادا وغود) وكانت فيهم الاوجاع (و) كان (فيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى أى ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك فى نفسه وقد يكون عند
المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا) (ولا شك ان فى الطبيب
المجرب أشد اعتقادا فى الادوية من غيره) لكمال ممارسته فيها (فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة) وأكثر من ترك التدوى من العباد والزهاد) بل وبعض صلحاء العامة (هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له) وهذا مشاهد (وذلك صحيح فى بعض الادوية عند من
عرف صناعة الطب غير صحيح فى البعض) وفى بعض النسخ وذلك غير صحيح فى بعض الادوية صحيح فى البعض
(ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التدوى تعسفا فى الاسباب كالسكى والرقى فيتركه
تو كالا السبب الرابع أن يقصد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله
تعالى أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد
عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه
على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن ابى وقاص وقال
صحيح على شرط الشيخين اه قلت سياق حديث سعد بن أبى وقاص أقرب لسياق الصنف وفيه أشد الناس بلاء
لانياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة
ابتل على قدر دينه فإيبرج البلاء حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة كذا رواه الطيالسي وأحمد
وجهد بن جيد والدارى والبخارى والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويلييه سياق حديث أبى سعيد
أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف
دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة ورواه ابن حبان فى صحيحه وروى
الطبرانى من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ورواه أحمد
بإغظ أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدم ذكر بعض ذلك (وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج ذهبه كالابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم
من يخرج أسود محترقا) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده فى مسنده اه

فتركه تو كالا * (السبب الرابع) * أن يقصد العبد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى
أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم
الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج كالذهب الابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا

قلت بل أخرجه الطبراني والحاكم في المسند تدرؤكم من حديث أبي امامة ان الله عز وجل ليحرب أحدكم
 بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذهابه بالنار فمنهم من يخرج كالكذب الابري فذلك الذي جاءه الله من
 الشبهات ومنهم من يخرج كالكذب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالكذب الاسود
 فذلك الذي قد افتتن وقد صححه الحاكم ورفعه الذهبي لان في سنده عفير بن معدان ضعيف (وفي حديث من
 طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبرا اجتبه فان رضى اصطفاه) هذا لفظ القوت
 قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن عبيدة الخولاني بلفظ اذا أراد الله بعدد خيرا ابتلاه واذا ابتلاه اقتناه
 لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف اهـ قلت ولفظه في الاوسط اذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحببه الحب
 البالغ اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا ولفظه في الكبير ان الله عز وجل اذا أراد بعدد خيرا ابتلاه فاذا ابتلاه اقتناه
 قالوا يا رسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا ورواه ابن عساكر كذلك وروى ابن أبي الدنيا في كتاب
 المرض والكفارات من حديث أبي سعيد باسناد فيه لين ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره (وقال
 صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالجر الصبالة) كذا في النسخ وهو في معجم البغوي الضالة من الضلال
 (لا تعرضون ولا تسقمون) قال العراقي رواه ابن أبي عاصم في الاحاد والمثنائين وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة
 والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث ان الرجل لتكون له المنزلة عند الله الحديث وقد
 تقدم اهـ قلت قال البخاري قال ابن أبي أويس حدثني أنحى عن جاد بن أبي جید عن مسلم بن عقيل مولى الزرقين
 دخلت على عبيد الله بن أبي اياس بن أبي فاطمة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدی قال أقبل علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب أن يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا
 كالجر الصبالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاعوا أصحاب كفارات والذي نفسي بيده ان الله لينبلي المؤمن بالبلاء
 وما ينال به الا لكرامة عليه أو علة له لان له منزلة عنده ما يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه هكذا أو رده في ترجمة أبي
 عقيل وفي لفظ ان العبد لتكون له الدرجة في الجنة فما يبلغها بشئ من عمله فينبلي به الله بالبلاء ليبلغ تلك الدرجة
 وما يبلغها بشئ من عمله وقرأت في معجم الصحابة للبغوي حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا داود بن منصور
 حدثنا ابن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي عقيل الزرق عن ابن أبي فاطمة عن أبيه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يحب أن يصح ولا يسقم قالوا كلنا يحب أن يصح ولا يسقم قال أتحبون أن
 تكونوا كالجر الصبالة انما تكونوا أصحاب كفارات ان العبد لتكون له الدرجة في الجنة فلا ينالها بشئ من عمله
 (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسمًا وتجد المنافق أصح شئ جسمًا
 وأمرضه قلبًا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن
 السري حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن مسروق عن منذر قال جاء ناس من الدهاقين الى عبد الله بن مسعود
 فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم قال فقال عبد الله انكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضهم
 قلبًا وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضهم جسمًا أو أيم الله لو مرضت فلو بكم وصحت أجسامكم لكنتم
 أهون على الله من الجعلان (فلما عظم الشناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتتموه لينالوا ثواب
 الصبر عليه وكان منهم) أي من المذكورين (من له علة يخفيها) عن الناس (ولا يذكرها للطبيب) ولو سأل
 (و يقاسى العلة و يرضى بحكم الله تعالى) لان المتوكل حاله الرضا ومقتضى الرضا كتمان العلل وعدم التملل
 من اللا واء (و يعلم ان الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه) وقلبه في
 غاية من الاطمئنان والمعرفة وكان في هذا المقام أحد بن حنبل رحمه الله تعالى (وعلموا ان صلاتهم قعودا مثلاً
 مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة) قال الله تعالى وبشر الصابرين وقال
 ان الله يحب المتوكلين (ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل في حقته فانه
 في وثاقى) أي حبسى وقيدى (ان أطلقته) منه (أبدلته لجاخيرا من لجه وداخيرا من دمه) قبل لانه قد ظهر

وفي حديث من طريق
 أهل البيت ان الله تعالى
 اذا أحب عبدا ابتلاه
 فان صبرا اجتبه فان
 رضى اصطفاه وقال صلى
 الله عليه وسلم تحبون أن
 تكونوا كالجر الصبالة
 لا تعرضون ولا تسقمون
 وقال ابن مسعود رضى
 الله عنه تجد المؤمن أصح
 شئ قلبا وأمرضه جسمًا
 وتجد المنافق أصح شئ
 جسمًا وأمرضه قلبا
 فلما عظم الشناء على
 المرض والبلاء أحب
 قوم المرض واغتتموه
 لينالوا ثواب الصبر عليه
 فكان منهم من له علة
 يخفيها ولا يذكرها
 للطبيب و يقاسى العلة
 و يرضى بحكم الله تعالى
 ويعلم أن الحق أغلب
 على قلبه من أن يشغله
 المرض عنه وانما يمنع
 المرض جوارحه وعلموا
 أن صلاتهم قعودا مثلاً
 مع الصبر على قضاء الله
 تعالى أفضل من الصلاة
 قياما مع العافية والصحة
 ففي الخبر ان الله تعالى
 يقول للملائكة اكتبوا
 لعبدى صالح ما كان
 يعمل فانه في وثاقى ان
 أطلقته أبدلته لجاخيرا
 من لجه وداخيرا من دمه

وان توفيقه توفيقه الى رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب
واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن تسكرها وشيا وهو خير لكم وكل سهل يقول ترك (٥٢٥) التداءى وان ضعف عن الطاعات وقصر

عن الفرائض أفضل
من التداءى لاجل
الطاعات وكانت به علة
عظيمة فلم يكن يتدأى
منها وكان يدأى الناس
منها وكان اذا رأى العبد
يصلى من قعود ولا
يستطيع أعمال البر من
الامراض فيتدأى
للقيام الى الصلاة
والنهوض الى الطاعات
يجب من ذلك ويقول
صلاته من قعود مع
الرضا بحاله أفضل من
التدأى للقوة والصلاة
فأما وسئل عن شرب
الدواء فقال كل من دخل
فى شئ من الدواء فأنما هو
سعة من الله تعالى لاهل
الضعف ومن لم يدخل فى
شئ منه فهو أفضل لانه
ان أخذ شيئا من الدواء
ولو كان هو الماء البارد
يسئل عنه لم يأخذه ومن
لم يأخذ فلا سؤال عليه
وكان مذهبه ومذهب
البصريين تضعيف
النفوس بالجوع وكسر
الشهوات لعلمهم بان ذرة
من أعمال القلوب مثل
الصبر والرضا والتوكل
أفضل من أمثال الجبال
من أعمال الجوارح
والمرض لا يمنع من أعمال
القلوب الا اذا كان ألمه

من المعاصى وكفر به عنه الخطايا (وان توفيقه توفيقه الى رحمتي) ولا ذنب عليه فابدال صفة بحسن اختيار
الله فى الدنيا والآخرة من حسن اختياره وشهوته قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو
وقد تقدم فأت وقدرى ذلك من حديث أبي هريرة بلفظ اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظر اما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه حمد الله وفعاد ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى ان انا توفيقه ان
أدخله الجنة وان انا شفيعه ان أبدله لجاخير من لجه ودماخير من دمه وان أسكفر عنه سيئاته رواه
الدارقطنى فى الغرائب وابن حجر فى عوالى مالك وروى الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس يقول الله تعالى
اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر لم يشكنى الى عواده ثم ابرأته أبدلته لجاخير من لجه ودماخير من دمه وان
أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وان توفيقه توفيقه الى رحمتي وروى ابن عساكر عن مكحول مرسل اذا مرض
العبد يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فانى اعلم به وأنا
قيده قال صاحب القوت ومن فضل تارك التدأى ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التى كان يعملها فى
الصحة وانه يجزى له من الحسنات ما كان يجزى له أعماله فكتب الملك أعماله الصالحة خير له من أعماله لانها
قد دخلها الفساد واختيار الله له أن يستعمله بالاجوع خير من اختياره لنفسه أن يشتغل الى الله بالأعمال
الصالحة (وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس) كذا فى القوت قال العراقى تقدم
ولم أجد مرفوعا (نقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب) ولفظ القوت قيل هو ما أدخل عليها
من المصائب فى النفس والاموال فهى تسكره ذلك وهو خير لكم (واليه الاشارة بقوله وعسى أن تسكرها وشيا
وهو خير لكم) وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وقال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعنى الامراض
والعلل وهو نقصها من أوصافها وقواها وزيادة معانيها وهو خير له اذا صبر وفضل له ان يسكر ودرجات اذا رضى
وتوكل (وكان سهل) التسترى (يقول) ان (ترك التدأى وان ضعف عن الطاعات وقصر) به (عن
الفرائض أفضل من التدأى لاجل الطاعات) نقله صاحب القوت قال (وكانت به علة عظيمة فلم يكن
يتدأى منها) قد (كان يدأى الناس منها) قال (وكان) رجه الله تعالى (اذا رأى العبد يصلى من قعود
ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتدأى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يجب من ذلك
ويقول صلاته من قعود مع القصور (الرضا بحاله أفضل من التدأى للقوة والصلاة فأنما هو
قوله وقد (سئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فأنما هو سعة من الله تعالى لاجل
الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد) على سبيل الدواء
(سئل عنه لم يأخذه وان لم يأخذ فلا سؤال عليه) الاصل فيه انه (كان مذهبه) رجه الله تعالى (ومذهب
سائر المتوكلين (من البصريين تضعيف) قوة (النفوس) واسقاطها (بالجوع) والطى الكثير (وكسر
الشهوات) حتى لا يكون لها حراك لاجل الله لان عندهم ان قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وجب
لقاء الناس والاجتماع مع الخلق وفى ذلك وجود المعاصى ودخول الآفات والهوى وطول الرغبة والحرص
على الدنيا وحب البقاء يقول فاذا ادخل الله عليها الامراض من حيث لا يحتسب فلا يتعالم لضعفها عن افعال
المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة (لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا
والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح) بقوة الجسم هذا مذهبهم (والمرض لا يمنع من أعمال
القلوب الا اذا كان ألمه غالبا) عليه (مدهشا) له (و) لذلك (قال سهل) رجه الله تعالى (علل الاجسام
رجه قوعلل القلوب عقوبة) وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وأمراض القلب للمنافقين (السبب
الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) و (عاجز عن تكفيرها) واما طتها (فيرى

غالبا مدهشا وقال سهل رجه الله على الاجسام رجة وعلى القلوب عقوبة * (السبب الخامس) * أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف
منها عاجز عن تكفيرها فيرى

المرض اذا طال تكفيرا فترك التدوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال
الحى والميلة) قبل هى حرارة الحى وهجتها وقبل هى الحى التى تكون فى العظام (فى العبد حتى يمشى على الارض
كالبردة وما عليه خطيئة) قال العراقى رواه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبرانى من حديث
أبي الدرداء نحوه وقال الصداق بدل الحى والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس مثل المرض اذا صعد برأ من
مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفاتها ولونها أو أسانيد ضعيفة اه قلت وحديث أخرجه كذلك
الحكيم والبخارى والديلمى وابن عساكر وروى الشيرازى فى الالقاب والبيهقى من حديث أبي هريرة لا تزال
المؤمن يصاب فى ولده وخاصة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ورواه أحمد وهناد وابن حبان وأبو نعيم والحاكم
والبيهقى بلفظ لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة (وفى الخبر
حتى يوم كفارة سنة) قال العراقى رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال
لبلة بدل يوم اه قلت رواه من طريق الحسن بن صالح عن الحسن بن عمر وعن إبراهيم النخعى عن الأسود عن
ابن مسعود رفعه ولفظه الحى حظ كل مؤمن من النار وحي ليله تكفر خطايا سنة مجرمة وكذلك رواه الديلمى
فى مسند الفردوس وأعله ابن طاهر بالحسن بن صالح وقال تركه يحيى القطان وابن مهدي وله شاهد عن أبي
الدرداء موقوفا بلفظ حتى ليله كفارة سنة رواه ابن أبي الدنيا فى المرض والكفارات له من طريق عبد الملك بن
عمر عنه وأما لفظ المصنف فرواه تمام فى فوائده من طريق أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبيرة عن أبي
هريرة رفعه حتى يوم كفارة سنة ولكن بزيادة حتى يومين كفارة سنتين وحتى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين
وروى ابن أبي الدنيا من طريق حوشب عن الحسن بن مسعود أن الله ليكفر عن المؤمن خطايا ما كلفها بحمى
ليله وقال ابن المبارك عقب رواية له انه من جيد الحديث ومن طريق هشام عن الحسن قال كانوا يرجون فى
حتى ليله كفارة لما مضى من الذنوب وشوا هذه كثيرة يؤكدها بعضها بعضا وسنة مجرمة بالحجم كعظيمة أى تامة
كذا فسر الديلمى وقال صاحب القوت ومن الفضائل ان الامراض مكفرة للسيئات فاذا كره الامراض بقيت
ذنوبه عليه موفرة ثم ساق الخبر المذكور (فقبل لانها تدقوة سنة) قال صاحب القوت هذا أحسن ما سمعت
فى تأويله اه فقد قال بعض اطباء من حم يوما لم تعاده قوة سنة فجعلت مشوبته على قدر رزقه (وقيل)
لان (للانسان ثلاثا توستون مفصلا تدخل الحى فى جميعها) أى حتى يوم فى جميع المفاصل (وتجدر من كل
واحد ألفا فيكون كل ألم كفارة كل يوم) نقله صاحب القوت وكذا كان أبو هريرة يقول أحب الاوجاع
الى الحى لانها تعطى كل مفصل حقه من الاجر بسبب عموم الوجع ثالث وهو ان الحى تؤثر فى البدن
تأثير الا زوال بالكتابة الا الى سنة وقد أفاد هذا الخبر ان المرض صالح لتكفير الذنوب فيكفر الله به ما يشاء منها
وتكون كثرة التكفير وقلته باعتبار مدة المرض وخفته (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحى سأل يزيد بن ثابت) رضى الله عنه (ربه عز وجل ان لا يزال محمولا فلم تكن الحى تغفره حتى مات رجه
الله) نقله صاحب القوت قال ويقال أيضا أبي بن كعب (وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحى
لا تزالهم) كذا فى القوت وقال العراقى روى أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى باسناد جيد أن رجلا
من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الامراض التى تصيبنا لما فيها قال كفارات قال أبى فان قلت قال وان
شوكة فمافوقها قال فدعا أبى أن لا يفارق الوعاء حتى يموت الحديث وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث
أبي بن كعب انه قال يا رسول الله ما خير الحى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب
عليه عرق فقال انى أسألك حتى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا مسجد نديك الحديث فالاسناد مجهول قاله على بن
المديني (ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كرميته) فصر (لم يرض له ثوابا دون الجنة) رواه هناد
والترمذى من حديث أبي هريرة بلفظ يقول الله تعالى من أذهب حبيبتيه فصر واحتسب لم أرض له ثوابا دون
الجنة ورواه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس قال الله تبارك وتعالى لا أقبض كرميتي عبدى وحبيبتيه فصر

المرض اذا طال تكفيرا
فيترك التدوى خوفا
من أن يسرع زوال
المرض فقد قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال
الحى والميلة بالعبد
حتى يمشى على الارض
كالبردة ما عليه ذنب ولا
خطيئة وفى الخبر حتى
يوم كفارة سنة فقبل
لانها تدقوة سنة فقبل
لأن انسان ثلاثمائة وستون
مفصلا تدخل الحى فى
جميعها ويحسد من كل
واحد ألفا فيكون كل ألم
كفارة يوم ولما ذكر صلى
الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحى سأل يزيد
ابن ثابت ربه عز وجل
أن لا يزال محمولا فلم
تكن الحى تغفره حتى
مات رجه الله وسأل
ذلك طائفة من
الانصار فكانت الحى
لا تزالهم ولما قال صلى
الله عليه وسلم من أذهب
الله كرميته لم يرض له
ثوابا دون الجنة

قال فلقد كان من الانصار من يمتنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
المارجو في ذلك من كفارة خطاياهم وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء (orv) فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف

ارحمه فيمياه ارحمه أى
أكفر ذنوبه وأزبد في
درجاته * (السبب
السادس) * أن يستشعر
العبد في نفسه مبادئ
البطر والطغيان بطول
مدة الصحة فيترك التداوى
خوفا من أن يعاجله
زوال المرض فتعاوده
الغفلة والبطر والطغيان
وطول الامل والتسوية
في تدارك الفئات
وتأخير الخيرات فان
الصحة عبارة عن قوة
الصفات وبها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات
وتدعو الى المعاصي وأقلها
أن تدعو الى التمتع في
المباحات وهو تضييع
الافاق واهمال اللزج
العظيم في مخالفة النفس
وملازمة الطاعات واذا
أراد الله بعدد خير لم يخله
عن التنبه بالامراض
والمصائب ولذلك قيل لا
يخلو المؤمن من علة أو
قلة أو ذلة وقدرى أن
الله تعالى يقول الفتر
سبحنى والمرضى قبدى
أحبس به من أحب من
خلقى فاذا كان فى المرض
حبس عن الطغيان
وركوب المعاصى فإى
خير يزيد عليه ولم ينبغى
أن يشتغل بعلاجه من

الحكمى و يرضى بقضائى فارضى له ثوابا دون الجنة ورواه أبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمى عبد لم أرض له ثوابا
دون الجنة وفى الباب عن جماعة من الصحابة قد سبق فى كتاب الصبر (قال فلقد كان فى الانصار من يمتنى العمى)
ولفظ القوت قال فلقد رأيت الانصار يمتنون العمى قال ولما جاءت الحى تستأذن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذهبي الى أهل قبا وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى يحبون أن يتطهروا أى من الآثام والذنوب
بالحى والامراض فالويل لمن فى ذلك الا حبة الله وشهادته بظاهرة العبد بالعله لكان نصيبا موفورا قال فاسقعتهم
الحى وأنهم سكتهم فخاذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه كفها قال ان أحببتهم تركها وكانت لكم طهورا
فقالوا بل نتركها فاشكر الله صبرهم فأخبر بحبته لهم فكان من هذا أن تلك الامراض اختيار الله وإيثار محبته
وانه أفضل بحسن ثناء الله عليهم باختيارهم (وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله المارجو فى ذلك من كفارة خطاياهم) نقله صاحب القوت قال فالصديقون
يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون بأمراض القلوب لان فى أمراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان
وفى أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان (وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم
البلاء فقال يارب ارحمه) فإنى قدرجته (فقال تعالى) وحيا اليه (كيف ارحمه فيمياه ارحمه) نقله صاحب
القوت (أى به أكفر ذنوبه وأزبد في درجاته) وقال الله تعالى فى تصديق ذلك ولورحناهم وكشفنا ما بهم من
ضرر للجوا الآتية فأخبر أن ترك الرحمة لهم من الامراض لطفا بهم ورحمة بالنته لهم قال صاحب القوت وروينا
أن عبد الواحد بن زيد خرج فى نفر من اخوانه الى بعض فواحي البصرة فاوهم المسير الى كهف جبل فاذا
فيه عبد مقطوع بالجزام يسيل جسده فيحاو صديدا وقالوا يا هذا الودح البصرة فتعالت من هذا الداء الذى
يك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سدى سلطت على هؤلاء يسخطون عليك ويكرهون الى قضاءك سيدى
أستغفرلك من ذلك الذنب لك العقبى أن أعود فيه أبدا صرفهم عنى أرددهم عنى قال وكما جماعة فى امك كازوس
دوابنا ولا قدرنا على ضبطها حتى ردتنا عنه الى البصرة (السبب السادس) أن يستشعر العبد فى نفسه مبادئ
البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر
والطغيان أو طول الامل والتسوية فى تدارك الفئات وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات
وبها ينبعث (الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي وأقلها أن تدعو الى التمتع فى المباحات وهو
تضييع الافاق) فمبالا طائل تحتها (واهمال اللزج العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا أراد الله
بعدد خير لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب) وقدرى أحد من حديث عبد الله بن مغفل اذا أراد الله
بعدد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا الحديث (ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة) فى جسده (أو قلة) فى ماله
(أو ذلة) وقيل أيضا المؤمن لا يخلو من علة أو ذلة فاذا لم يتداو فله أعمال حسنة منها أن ينوى الصبر على بلاء الله
والرضا بقضائه والتسليم لحكمه ومنها أن موله أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقبسه
بالامراض عن المعاصي (وقدرى أن الله تعالى يقول الفقر سجن والمرضى قبدى أحبس به من أحب من
خلقى) نقله صاحب القوت (فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأى خير يزيد عليه)
وقد حبس عن ارتكاب ما يوجب عليه النار (لم ينبغى أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى
ترك المعاصي) فلا يأمن ان تدوى فعوى أن تقوى النفس فينتشر هواها لان المعاصي فى العوافى وعلة سنة
خير من معصية ساعة (فقد) روى الدينورى فى المجالسة عن ابن ضريس قال بعض الحكماء انما لك من العمر
ما أطعت الله فيه فاما ما عصيته فلا تعده عمرا اه ومن هنا قولهم لا بعد من العمر الا أوقات الخير و (قال بعض
العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وان كنت

فأنت فى عافية وان كنت

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعني أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافي مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا عذابا الصحيح الفارغ فجاء من تدره أن يسرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أي انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أي لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكرها ذم الذات) يعني الموت أي قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيفها ذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالارسال ولفظه عند العسكري في الأمثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من مجالس الانصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكرها ذم الذات فانه لم يذكر في كثير من الأقوال ولا في قليل الاكثر ولا في ضيق الاوسع ولا في سعة الاضيقها وفي الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فانه يحص الذنوب ويذهب في الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهني ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمني ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أي رسوله الذي يتقدمه في تسخيه يري الموت (فهو مذكوره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم في الطب من طريق جابر بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يحمس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد في الزهد وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وأبو نعيم في الطب والبيهقي والقضاعي فالونعيم رواه من طريق جابر بن زيد عن جهميد وجيب وثابت وعلي بن زيد في آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جابر بن زيد عن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضاعي من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثني أبو الخطاب حدثنا بشير ابن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعني أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافي مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا عذابا الصحيح الفارغ فجاء من تدره أن يسرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أي انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أي لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكرها ذم الذات) يعني الموت أي قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيفها ذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالارسال ولفظه عند العسكري في الأمثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من مجالس الانصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكرها ذم الذات فانه لم يذكر في كثير من الأقوال ولا في قليل الاكثر ولا في ضيق الاوسع ولا في سعة الاضيقها وفي الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فانه يحص الذنوب ويذهب في الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهني ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمني ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أي رسوله الذي يتقدمه في تسخيه يري الموت (فهو مذكوره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم في الطب من طريق جابر بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يحمس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد في الزهد وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وأبو نعيم في الطب والبيهقي والقضاعي فالونعيم رواه من طريق جابر بن زيد عن جهميد وجيب وثابت وعلي بن زيد في آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جابر بن زيد عن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضاعي من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثني أبو الخطاب حدثنا بشير ابن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشر من مرة وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأولاهم من يدا فيها من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم * (بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال) * فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة والفصد عند تبخ الدم فان ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا (٥٣٠) عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال

وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما وباء ذريعا فاسترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشر من مرة (في لفظ) حديث (آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أقفله على أسناد قلندري الطبراني في الاوسط من حديث عائشة قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله قال يا عائشة ان شهداء أمي اذا القليل من قال في يوم خمسة وعشرين من مرة اللهم بارك لي في اليوم وفيما بعد اليوم ثم مات على فراشه أعطاه الله أجرا شهيد في اسناده من لا يعرف حاله (ولاشك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأولاهم من يدا فيها من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم) فبمثل هذه الاسباب ترجح الاعمال بعضها على بعض ولا يكون خلاف السنة والله أعلم * (بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال) *

(فلو قال قائل ان التداوى انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره) اى ليجعله سنة للامة (والافهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال) على ذلك (ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة والفصد عند تبخ الدم) أى هيجانه (فان قيل ان ذلك أيضا شرط فيكون من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا) أى لا يزيلها (عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عليهم (في قصة الطاعون) المشهورة (فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية) وهو موضع بالقرب من دمشق (بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا) أى كثيرا (ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية) (فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منحصبة والاخرى مجذبة) أى لا كلاهما (أليس ان رعى المنحصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه (ابسأله عن رأيه) في ذلك (وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

إذا

الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه

فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منحصبة والاخرى مجذبة أليس ان رعى المنحصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وسلم يقول

إذا سمعتم الوباء بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس (رواه مالك وأحمد والشيخان من حديث ابن عباس
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بصرع أقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح
وأصحابه فآخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأتريين
فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمري ولا نرى أن
نرجع عنه وقال بعضهم معك بقية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء
فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع إلى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلموا سبيل المهاجرين واختلفوا
كأختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم
يختلف عليه رجلان فقالوا نرى أن نرجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر في الناس إلى مصبح
على ظهر فاصبحوا عليه فقال أبو عبيدة وهو ذاك أمير الشام فراراً من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا
عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أ رأيت لو كان لك ابل كثيرة فهبطت واد باله عدوتان
احدهما من خصبة والآخرى جديبة أأستان رعت في الخصبة رعتيها بقدر الله وان رعتيها في الجديبة رعتيها
بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيثاً في بعض حاجاته فقال ان عندي من هذا العلم سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً
منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف زاد ابن خزيمة في صحيحه بالناس وذكر سيف في الفتوح عن مشايخه ان
الطاعون وقع بالشام في الحرم وصفر ومات فيه الناس ثم ارتفع فكتبوا إلى عمر بذلك فخرج حتى إذا كان
قريباً من الشام بلغه انه كان أشد ما كان فقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بأرض
فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا عليكم فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون منها قلت أما حديث
عبد الرحمن بن عوف المتقدم فقد روي أيضاً من حديث أسامة بن زيد ورواه الطبراني والبيهقي ومن حديث
سعد بن أبي وقاص ورواه الطبراني والبراز وقد وردت أخبار كثيرة موافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف
وفي لفظ من حديث أسامة الطاعون بقية رجزاً وعذاباً أرسل على طائفة من بني أسد ثعلبة فاذأوقع
بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تهبوا عليها هكذا رواه الشيخان
والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة وفي رواية لمسلم الطاعون آية الرجز أتى الله به أناساً من عباده فإذا
سمعتم به فلا تدخلوها عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفرروا منه ورواه الطبراني بلفظ الطاعون ببلد
وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تدخلوها عليه ورواه أحمد والطبراني والبيهقي وابن
قانع من حديث عكرمة بن خالد عن أبيه أوعى عن جده إذا وقع الطاعون في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وان
كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها وأما الآية التي استدلل بها بعض الصحابة وهي قوله تعالى ألم ترالى الذين خرجوا
من ديارهم الآية قال السكبي كانوا ثمانية آلاف وقال قتادة وقع الطاعون فخرج منهم الثلثان وبقي الثلث ثم
أصابهم نفر جوا كلهم فاما نهم الله عقوبة وقال الحسن ما نوا قبل آجالهم ثم أحياهم إلى آجالهم وقيل ان
خروجهم كان لغير ذلك قال الزخشي ومن بديع التفسير ان معنى ألوف أى قلوبهم مؤلفة انما خرجوا فراراً
وانه جمع ألف مثل شهود وشاهد وقال الفخر الرازي يمكن أن يكون المراد ان كل واحد منهم آلفاً لحياته محباً
له هذه الدنيا (فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من
شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل
غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن

إذا سمعتم بالوباء في أرض
فلا تقدموا عليه وإذا وقع
في أرض وأنتم بها فلا
تخرجوا فراراً منه ففرح
عمر رضي الله عنه بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق
رأيه ورجع من الجابية
بالناس فاذا كيف اتفق
الصحابة كلهم على ترك
التوكل وهو من أعلى
المقامات ان كان أمثال
هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهى عن
الخروج من البلد الذي
فيه الوباء وسبب الوباء
في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار
من المضر والهواء هو
المضر فلم يرخص فيه
فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير
منهي عنه إذا نجامة
والغصد فرار من المضر
وترك التوكل في أمثال
هذا مباح وهذا لا يدل
على المقصود ولكن

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى (٥٣٢) أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فإنه إذا كان فيه عفونة (وغيره) ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخص غالباً من الأثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرق والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضاً للتوكل ولم يكن منهيًا عنه ولكن صار منهيًا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للاسحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فأنكسرت قلوبهم وفقدوا المتعدين (ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء يطعمهم الطعام وهم يجزون عن مباشرتهم بأنفسهم فيكون ذلك) الخروج (سبعاً في أهلاكهم تحقيقاً وخلاصهم منتظراً) أن خلاص الاسحاء منظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعاً بالخلاص وهو قاطع في أهلاك الباقين والمسلمون كالبنين يشدد بعضهم بعضاً) وقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي موسى والراهمري في الأمثال من حديث أبي هريرة وأبي سعيد المؤمن للمؤمن كالبنين يشدد بعضهم بعضاً (والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى إليه سائر الجسد بالجى والسهرو في لفظه المسلمون كرجل واحد ورواه أحمد وأبو نعيم في الحلية بلفظ إن اشتكى رأسه اشتكى كله ورواه الراهمري في الأمثال بلفظ المسلمون كالرجل الواحد إن اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده وقدرى نحوه من حديث سهل بن سعد المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كأيالم الجسد لما في الرأس رواه ابن المبارك وأحمد والرويانى والطبرانى وأبو نعيم في الحلية والضياء (فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعاليى) أله أن بعض أهل العلم ذكر أن النهى عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فرار منه أمر تعبدي لا يعقل معناه إذ الفرار من المهالك مأمور به وقد صح النهى هنا فكان السرفيه لا تعلم حقيقة فالأولى فيه التماسك والامتناع * وذهب كثيرون إلى التعليل وذكر ذلك حكماً منها ما ساقه المصنف هنا وحاصله أنهم لو تواردوا على الخروج لبقى من وقع به عاجزاً عن الخروج فضاعت مصالح المرضى للقد من يتعهدهم والموتى للقد من يجزهم ولما في خروج الأقوياء من كسر قلوب من لا قدرة لهم على الخروج ومنها أن الطاعون في الغالب يكون عاماً في البلد الذي يقع فيه فإذا وقع والشخص بها فالظاهر مداخلة سببه له فلا يفيد الفرار منه بل إن كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس ولهذا رجح أن تصرفات الصحح في البلد الذي يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت ومنها أن الخارج يقول لولم أخرج لم أخرج لم أخرج لم أخرج فلان

بعضه بعضاً والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعاليى النهى لسلامت

اسلمت فيقع في الاوالمتهى عنها ولهذا قال ابن عبد البر وروى عن ابن مسعود ان الطاعون فتنه للمقيم والخارج ومنها زعم بعض أهل الطب ان الذي يقع به الوباء تنكيف أو واح أهله بكيفية هواء تلك الاماكن وتألفها أمر جهم وتصير لهم بمنزلة الاهوية الصحيحة لغيرهم فاذا انتقلوا الى الاماكن الصحيحة الهوا لم يوافقهم بل اذا الهوا الصحيح استعجب معه الى القلب ما يجده من الابخرة الرديئة التي حصل تنكيف بدنه بها فيصل الى القلب فيقع ذلك المرض الذي فرمنه فتمنع من الفرار منه من هذه الحبيثة وهذا فيه نظر والمعتمد ما تقدم (وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا ياهل البلد حاجة اليهم) في تعهد مرضاهم وموتاهم أي فليس له الدخول في ذلك البلد (نعم لو لم يبق في البلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقذ استحباب الدخول ههنا) نظرا الى اقتقادهم (لأجل الاعانة) لهم (أولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على راء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم) قال العراقي رواه أحمد بن حنبل حديث عائشة بأسناد جيد ومن حديث جابر بأسناد ضعيف وقد تقدم اه قلت أما حديث عائشة فلفظه عنده الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفارم منها كالفار من الزحف ورواه ابن عدي والطبراني في الاوسط بافظ الطاعون شهادة لأمي ووخراً عداكم من الجن يخرج في آباط الرجال مرافها الفار منه كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد ورواه هو أيضا وعبد بن حنبل وابن خزيمة بافظ والصابر فيه كالصابر في الزحف (فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد يكثر في مثل هذا وانما شرف العلم وفضل لأجل ذلك) ثم اعلم ان العلماء اختلفوا في أن ينهى عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم أو هو للتنزيه على قولين وربما استدلل من قال انه ينهى تحريم في بعض طرق الخبر السابق والفارم منها كالفار من الزحف قال ابن عبد البر الطاعون موت شامل لا يحل لاحد أن يفر من أرض تزل فيها اذا كان من ساكنها ولان يقدم عليه اذا كان خارجا عن الأرض التي تزل بها وقال التاج السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون مذهبنا وهو الذي عليه الاكثر انه للتحريم قال وقال بعض العلماء هو للتنزيه وانفق على جواز الخروج لشغل عرض غير الفرار قال وليس محل النزاع فيمن خرج فارا من قضاء الله تعالى فذلك لا سبيل الى القول بانه غير محرم بل الظاهر ان محل النزاع فيما اذا خرج للتداوي ورد عليه الحافظ ابن حجر في بذل المساعون بأن هذا ليس بظاهر لان الخروج للتداوي ليس حراما في مذهب الشافعي وجاعة وهو قد صحح ان الخروج حرام فكيف يجعل محله ما اذا خرج للتداوي والخروج للتداوي ليس بحرام بل العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما اذا خرج فارا من المرض الواقع مع اعتقاده انه لو قدره الله عليه لأصابه وان فراره منه لا ينبغي من قدر الله لكن يخرج مؤملا أن نجو قال الحافظ واحتج من أجاز الفرار بأمور * الاول قال الطحاوي بعد ان أورد حديث لا يورد مريض على معص ذهاب قوم لهذا وقالوا انما كره ذلك مخافة الاعداء وأقروا باجتناب ذي الداء والفرار منه واحتجوا برجوع عمر من سرغ بسبب الطاعون خشية أن يعديه من دخل عليه ثم أجاب الطحاوي بان الامر بترك القدوم عليه ملو كان للخوف من أن يعدي كان لاهل الموضع الذي وقع فيه أيضا الخروج فلما منعوا ثبت ان المعنى الذي منعوا من القدوم عليه غيره وهو خوف أن يصيبه بتقد بر الله فيقول لولا اني قدمت هذه الأرض لما أصابني فامر أن لا يقدم جسمها للمادة وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي تزل بها البلاء ليسلم فيقول لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها ولعله لو كان أقام بها ما أصابها من ذلك شيء فامر بترك القدوم على الطاعون للمعنى الذي وصفنا * الثاني قال التاج السبكي احتجوا بالقياس على الفرار من الأسد والعدو الذي لا يقدر على دفعه فان الكفار وقطاع الطريق اذا قصدوا من لا طاقة لهم بهم جاز التحنن من بين أيديهم ونقل فيه الكمال الهراسي الاتفاق فقال لانعلم خلافا في الجواز وان كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص والجواب ان السلامة من الاسد والعدو

وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا ياهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقذ استحباب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على راء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك

فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف (٥٣٤) على نفسه طغيان العاقبة وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج

الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضغفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصور في ترك التداوى

وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب

وفقدانها فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عند وجود

نادر والهلاك معهما كالتيقن فصار كالتقاء الانسان نفسه في النار بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به الطاعون فان السلامة فيه كثيرة وان لم تكن غالبية * الثالث القياس على الخروج من الارض المستوحشة كقصة العربيين والجواب ان ذلك من باب التداوى وترك ما لا يوافق المريض من الاغذية والاهوية في تأثير المرض فكان الخروج من الارض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوى قال التاج السبكي وعندى في هذا الجواب نظر قال الحافظ ابن حجر كان وجهه لقائل أن يقول ان الطاعون أيضا ينشأ من فساد الاهوية فالخروج من البلد الذي يقع بها ينبغي أن يكون جائزا مطلقا كما جاز للعربيين وهذا يمتشى على القول بان الطاعون من طعن الجن والحق ان خروج العربيين لم يكن لقصد الفرار أصلا وانما كان لمحض التداوى كما تقدم عن الطحاوي وكان خروجهم من ضرورة الواقع لان الابل ما كان تنهيا أقامت في البلد وانما كانت في مراعيها ودواؤهم كان بالبانهم أو أبو الهوا وسنشق تلك الرايح فكان الخروج عن البلد ضمنا لا مراحقا للوجود بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون الى بلد آخر فانه خروج اليه بالقصد لا مراحقا للوجود من وقوع الطاعون في البلد الآخر * الرابع قال الزركشي احتجوا بالقياس على الفرار من المجدوم فروى البخاري من حديث أبي هريرة وفروى من المجدوم كما تفر من الاسد والجواب من وجهين أحدهما قال ابن الصلاح تبعا لغیره جامع بين ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو لا يورد مريض على مصح وحديث فروى المجدوم فرارك من الاسد مع حديث لا عدوى ان هذه الامراض لا تعدى بطبعها ولكن الله تعالى جعل مخالطة المريض بها للمصح سببا لعدائه مرضه ثم قد يخلف ذلك عن مسببه كسائر الاسباب فانهم اذ كره ابن خزيمة والطحاوي وأصله لابي عبيدة القاسم بن سلام وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لوانى ما أورده عليه لم يصبه من هذا المرض شي والواقع انه لو لم يورده لاصابه بتقدير الله عليه فنهى عن ابراده لهذه العلة التي لا يؤمن على الناس غالبا من وقوعها في قلوبهم والله أعلم (فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العاقبة وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضغفه عن الجمع) بين الشغلين (فالى هذه المعاني رجعت الصور في ترك التداوى) وقد مر بيان ذلك تفصيلا (وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدانها كجودها أو وجودها كعدمها فان شاء تلبس بها (فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب) فهو مشغول به عن الاسباب وان شاء تركها العلم بقيام الحق عليه كفيلا (ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عند وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا) وتخذعه كيف (وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها) هذا تقدم بلفظ عرضت عليه مفتاح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المشاهدة المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

استعمال الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً
 سنة الله تعالى وترخيصاً
 لامتته فيما تمس اليه
 حاجتهم مع انه لا ضرر
 فيه بخلاف ادخال الاموال
 فان ذلك يعظم ضرره
 نعم التداوى لا يضرك
 من حيث رآه الدواء
 نافعاً دون خالق الدواء
 وهذا قد نهى عنه من
 حيث انه يقصده الصحة
 ليستعان بها على المعاصي
 وذلك منهى عنه والمؤمن
 في غالب الامر لا يقصد
 ذلك وأحدم المؤمنين
 لا يرى الدواء نافعاً بنفسه
 بل من حيث انه جعله
 الله تعالى سبباً للنفع كما
 لا يرى الماء مرياً ولا
 الخبز مشبعاً بخكم
 التداوى في مقصوده
 حكم الكسب فانه ان
 اكتسب للاستعانة على
 الطاعة أو على المعصية
 كان له حكمهما وان
 اكتسب للتنعم المباح فله
 حكمه فقد ظهر بالمعاني
 التي أوردناها ان ترك
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض الاحوال وأن
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض وأن ذلك
 يختلف باختلاف
 الاحوال والاشخاص
 والنيات وان واحداً
 من الفعل والترك ليس
 شرطاً في التوكل الا ترك

المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله وترخيصاً لامتته فيما تمس اليه حاجتهم) من الضروريات مع انه لا ضرر فيه لانه من أمور الآخرة (بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوى لا يضرك الا من حيث رآه الدواء نافعاً دون خالق الدواء وهذا أمر منهى عنه ومن حيث انه يقصده الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهى عنه) وكذلك اذا كان يستعان بالصحة على البطالة واضاعة العمر في الفضول فهذا أيضاً قد نهى عنه (فالؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحدم المؤمنين لا يرى الدواء نافعاً بنفسه بل من حيث انه جعله الله سبباً للنفع كما لا يرى الماء مرياً ولا الخبز مشبعاً بخكم التداوى في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة حتى على الطاعة أو على المعصية كان له حكمهما وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه) قال صاحب القوت والاصل في التداوى وتركه ان المتوكل قد علم في توكله ان للعلّة وقتاً اذا انتهت اليه برأ العليل باذن الله تعالى لا بحاله ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاه في عشرة أيام وان لم يتداوأرأه في عشرين يوماً فيه ترخص العليل باباحة الله له فيقطع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أسرع لشفاؤه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفي وان التداوى بعينه لا ينفع لان الله تعالى هو الشافي وهو النافع فالشفاء والنفع فله به يده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعل الا اذا كانت العقاقير مطبوعة بمجولة تجبولة على خلقة الخافع الاسباب فيها هو جالبها لان الجعل فيها والخاصة منها ليس من عمل المتطبيب وان كان يعمل بهم او يجمع بينهما بين العليل لانه أظهر على يده سبب الرقة فان الله تعالى خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك أيضاً عند العارفين الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كيان المال لا يغني والعدم لا يفقر لان الله سبحانه هو المطعم المسقى كهو المشبع المروي كما هو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والري في المطعم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر بحكمته ورحمته كما ان الله عز وجل هو المجمع المظمئ فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيدهما بما أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهب به سواء هذا عند الواحد من من صفة الليل والنهار ومن العليل والادوية بتسليط الشيء على ضده فيزيل به بغلبة قهره باذنه فالعلم به هذه المعاني عقد هو الايمان والشهادة لها قائمة به وجداء هو اليقين والشرك في هذه الاشياء في العوام أخفى من ديبب النمل على الصفا والموقنون الصحيح والتوحيد من جميع ذلك برآء فان تعجل العليل البرء بالتداوى كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان ناوياً في تداويه واستجبال شفاؤه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه للخدمة كان مثاباً على ذلك فاضلا فيه غير منقوص في مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه والتعيم بالعوا في فان ذلك باب من أبواب الدنيا ودخول فيما ابغ منها وهو يخرج من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما ينقصه من الزهد في الحياة والتعيم وان أراد باستجبال العوا في قوة النفس لاجل الهوى والسمي في مخالفة المولى كان مأزوراً بسوء نيته ووجود عزمته ويخرج من المباح الى الحظر وذلك يخرج من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا وموتها وان كانت نيته في تعجيل العوا في التصرف للمعاش والتكسب للانفاق أو الجمع نظرياً شأه فان كان بسعي في كفاف وعلى عياله ضعاف وعن حاجة واجحاف لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو عليه مأجور ولا يخرج من التوكل وان كان يسعي في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق الحق هذا بالطبقة الثالثة من العاصين وهذا من أكبر أبواب الدنيا وما بعده من المولى فهذه نيات الناس في التداوى المحمود والمذمومة (فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها ان ترك التداوى قد يكون أفضل في بعض الاحوال وان التداوى قد يكون أفضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحداً من الفعل والترك ليس شرطاً في التوكل الا ترك

والله الموفق

الموهومات كالسكى والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

* (بيان أحوال المتوكلين في اظهار المرض وكنمائه) * اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانها سلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار (٥٣٦) ثلاثة * (الاول) * أن يكون غرضه التدلوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لاني معرض

الشكاية بل في معرض الحكاية لما طهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه وكان أحمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (الثاني) أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا جدد المرض الله تعالى وشكره ثم ذكر أو جاءه لم يكن ذلك شكوى (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تابع به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز وروى انه قبل لعلي في مرضه رضي الله عنه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال (علي) أتجدد على الله فاحب أن يظهر (لهم) عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري أضي الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال (صلى الله عليه وسلم) لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الى من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبهذه الكيفية عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

* (بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكنمائه) *

(اعلم) ونقل الله تعالى (أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبراني وابن عساکر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى قلت وفي لفظ للطبراني ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو من أعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانها سلم عن الآفات) ولفظ القوت ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلمه على معنى التحدث بهم مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا بالقضاء راضا أو يكون بذلك مظهر للمعجز والافتقار بين يدي موله أو راغب في دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيتحدث بهم انشر للشكر (فقد كان) (أبو نصر) (بشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه) فيصف له أشياء (و) قبل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يخبر) (الطبيب) (بامراض يجدها) ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (تقدم) قري بالله كان ممن يكتم الامراض فلا يخبر بها أحد فاعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحد غير الطبيب وهو محمول على اختلاف الاحوال والاوقات (الثاني) ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به) بان كان اماما يستمع اليه وتقتبس منه الآثار (وكان مكينا في المعرفة) يخبر بعلمه وقلبه راض عن الله فيما قدره (فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم) أي يكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله تعالى (قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (اذا جدد المرض الله وشكره ثم ذكر أو جاءه لم يكن ذلك شكوى) نقله صاحب القوت (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز (لما روى أنه قبل لعلي كرم الله وجهه) وهو (في مرضه) كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال (علي) أتجدد على الله فاحب أن يظهر (لهم) عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري أضي الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال (صلى الله عليه وسلم) لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الى من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبهذه الكيفية عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

انه شكاية فقال أتجدد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة وتأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل له العافية فهم هذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

فان خلت عن قرية السخطا وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى لتاثره
 لانه ربما يوههم الشكاية) من الله تعالى (ولانه ربما) لا يؤمن من دخول الآفات عليه في الاخبار بان (يكون
 فيه تصنع وتزيف في الوصف على الموجود في العلة) وغير ذلك (ومن ترك التداوي توكل فلا وجه في حقه للاظهار
 لان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الافشاء) ولفظ القوت لان في الشكوى استراحة للنفس
 من البلى والاستراحة بالدواء الذي هو اباحة للمولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى (وقد قال بعضهم
 من بث) أي أظهر ما يلي به (لم يصبر) أي لم يكن من الصابرين فان الصبر يقتضي عدم البث قلت وهذا قدر
 مرفوعا روى عبد الرزاق وابن جرير عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود رفعه مثله ورواه ابن المنذر وابن
 مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كرم مثله ورواه ابن مردويه من
 حديث عبد الله بن عمر مثله وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من كنو ز البركتان
 الصدقة وكنهان المصيبة ومن بث لم يصبر (وقيل في قوله تعالى فصبر جميل) والله المستعان قال (لا شكوى
 فيه) كذا في القوت روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال الصبر الجميل الذي ليس فيه الشكوى الا الى الله عز وجل
 وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبان بن أبي جيلة قال سئل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال ليس فيه جزع (قيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب
 بصرك) وحكي ظهرك (قال مر الزمان وطول الاحزان) قال (فاوحى الله اليه تفرغت بشكواي) وفي نسخة
 تشكواي (الى عبادي) وفي نسخة الى خالي (قال يارب أتوب اليك) هكذا في القوت وروى عبد الرزاق وابن
 أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت ان يعقوب
 عليه السلام كان قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخارقة فقل له ما بلغ بك هذا قال طول
 الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني قال خطيئة أخطأتها فاعزني وروى ابن أبي حاتم
 عن نصر بن عزري قال بلغني ان يعقوب عليه السلام لما طال خزنه على يوسف ذهب عيناه من الحزن فجعل العواد
 يدخلون عليه فيقولون السلام عليك يا نبي الله كيف تجدك فيقول شيخ كبير قد ذهب بصري فاوحى الله اليه
 يا يعقوب شكوتني الى عوادك قال أي يارب هذا ذنب علمته لا أعود اليه فلم يزل بعد يقول انما أشكواي وخزني
 الى الله وروى اسحق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ
 والطبراني في الاوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان ليعقوب عليه السلام
 أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي أذهب بصري
 فالبكاء على يوسف واما الذي قوس ظهري فالخزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله
 عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي تشكوني الى غيري فقال يعقوب انما أشكواي وخزني الى الله
 فقال جبريل الله أعلم بما تشكوا الحديث (وروى عن طاوس ومجاهد) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين
 (انهما قال لا يكتب على المريض انينه في مرضه) كذا في القوت قلت وقد روى هذا مرفوعا من حديث علي يكتب
 أنين المريض فان كان صابرا كان أنينه حسنا وان كان أنينه جوعا كتب هالوعا لأجرله ورواه أبو نعيم
 (وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهر ما معنى يقتضي الشكوى) ولفظ القوت يدل على الشكوى (حتى قيل
 ما أصاب ابليس لعنه الله من أتوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فجعل الانين خطه) أي خط الشيطان (منه)
 كذا في القوت وهذا اذا كان جوعا وتسخطا وكرهية لما قدره الله تعالى عليه كما فهم ذلك من حديث علي السابق
 لما طلق الانين فان المريض قد يضطر اليه وهو مع ذلك راض بقلبه مطمئن النفس بما قدره الله عليه صابر غير
 متسخط كيف وقد ورد أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على الفراش عبادة وتقبله من
 جنب الى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله يقول الله سبحانه ملائكتنا كتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل
 في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له ورواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة وقالوا له معروفون

فان خلا عن قرية
 السخطا وعن النيات
 التي ذكرناها فلا يوصف
 بالتحريم ولكن يحكم
 فيه بان الاولى تركه
 لانه ربما يوههم الشكاية
 ولانه ربما يكون فيه
 تصنع وتزيف في الوصف
 على الموجود من العلة
 ومن ترك التداوي توكل
 فلا وجه في حقه للاظهار
 لان الاستراحة الى الدواء
 افضل من الاستراحة
 الى الافشاء وقد قال
 بعضهم من بث لم يصبر
 وقيل في معنى قوله فصبر
 جميل لا شكوى فيه وقيل
 ليعقوب عليه السلام ما
 الذي أذهب بصرك قال
 مر الزمان وطول الاحزان
 فاوحى الله تعالى اليه
 تفرغت لشكواي الى
 عبادي فقال يارب أتوب
 اليك وروى عن طاوس
 ومجاهد انهما قال لا يكتب
 على المريض انينه في
 مرضه وكانوا يكرهون
 أنين المريض لانه اظهر
 معنى يقتضي الشكوى
 حتى قيل ما أصاب ابليس
 لعنه الله من أتوب عليه
 السلام الا أنينه في مرضه
 فجعل الانين خطه

وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان جد الله واثنى عليه بخير دعواله فان شكوا ذلك تكون (ولفظ القوت انظروا
ما يقول عبدي لعواده فان جدني واثنى علي بخير ادعوا له وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني
في الغرائب وابن مخرم في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه جد الله تعالى رفعا ذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا
توفيتي اذ دخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا (وانما كره بعض العباد العباد خشية الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق
بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (وهيب) بن الورد المكي
(وبشر) بن الحرث الخافي رجهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عواد) رواه أبو نعيم في
الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البراء حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال)
أيضا (لا أكره العلة الا لاجل العواد) ولفظ القوت ما أكره العلة الا لاجل العباد وبه تم كتاب التوحيد
والنوكل وشرحه بمئة الله وحسن عونه وتوفيقه ولتختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت
وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضر وبه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال ابراهيم الخواص من صم فوكله في نفسه صم
توكله في توكله وقال بشر الخافي يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله مرضى بما يفعل الله
به وبسنده الى الكافي سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب
بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضر بنا لاجله برانا وقال الحسين بن
منصور والحلاج المتوكل الحق لا يأكل وفي البلدان هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله
بلا علاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها
علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فن ايسر له رزق على الله فاطرده
عنه وبسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشا فقلت جني أم انسى فقال جني
فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال لا اخذ
من الله وبسنده الى أبي حمزة قال اني لاستهي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا
يكون شبعي على الشبع زادا أنزده وسئل جدون عن التوكل فقال تلك حالة لم يبلغها بعد فكيف يتسكلم في
التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فقد قدمت القافلة فرأيت قداحي واحدا
فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة يسدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في
جيبها فخرجت عشرين درهما فقلت خذها وامكثي حتى تلحق القافلة لتكثري بها ثم اتيتني الليلة حتى أصلي
لأن أمرك فقالت يدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دراهم من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من
الجيب وأنا أخذت الدراهم من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول الا شربة من ماء زمزم ففضي
عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما رأيت لو غارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا
حيث أردتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حذنا
حسن المراعاة فقال له هل لك في الحبة فقلت اني أجوع فقال ان جعت معك فبقينا أو بعة أيام ففتح علينا
بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أن لا آخذ ذوا سطة فقلت يا غلام دفعت فقال يا ابراهيم لا تبهرج فان الناقذ بصير
مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن تدع عليك موارد الفاقات فلا تسمن نفسك الا الى من اليه السكيات وسئل
الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على
استقاط الطمع لباس عمافي أيدي الناس وقيل جامع الثوري في البادية فتهف به هاتف أيما أحب اليك سبب

بالثقة الاحسين بن أحمد البخاري فانه مجهول (وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان جد الله واثنى عليه بخير دعواله فان شكوا ذلك تكون) ولفظ القوت انظروا
ما يقول عبدي لعواده فان جدني واثنى علي بخير ادعوا له وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني
في الغرائب وابن مخرم في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه جد الله تعالى رفعا ذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا
توفيتي اذ دخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا (وانما كره بعض العباد العباد خشية الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق
بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (وهيب) بن الورد المكي
(وبشر) بن الحرث الخافي رجهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عواد) رواه أبو نعيم في
الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البراء حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال)
أيضا (لا أكره العلة الا لاجل العواد) ولفظ القوت ما أكره العلة الا لاجل العباد وبه تم كتاب التوحيد
والنوكل وشرحه بمئة الله وحسن عونه وتوفيقه ولتختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت
وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضر وبه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال ابراهيم الخواص من صم فوكله في نفسه صم
توكله في توكله وقال بشر الخافي يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله مرضى بما يفعل الله
به وبسنده الى الكافي سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب
بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضر بنا لاجله برانا وقال الحسين بن
منصور والحلاج المتوكل الحق لا يأكل وفي البلدان هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله
بلا علاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها
علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فن ايسر له رزق على الله فاطرده
عنه وبسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشا فقلت جني أم انسى فقال جني
فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال لا اخذ
من الله وبسنده الى أبي حمزة قال اني لاستهي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا
يكون شبعي على الشبع زادا أنزده وسئل جدون عن التوكل فقال تلك حالة لم يبلغها بعد فكيف يتسكلم في
التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فقد قدمت القافلة فرأيت قداحي واحدا
فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة يسدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في
جيبها فخرجت عشرين درهما فقلت خذها وامكثي حتى تلحق القافلة لتكثري بها ثم اتيتني الليلة حتى أصلي
لأن أمرك فقالت يدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دراهم من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من
الجيب وأنا أخذت الدراهم من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول الا شربة من ماء زمزم ففضي
عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما رأيت لو غارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا
حيث أردتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حذنا
حسن المراعاة فقال له هل لك في الحبة فقلت اني أجوع فقال ان جعت معك فبقينا أو بعة أيام ففتح علينا
بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أن لا آخذ ذوا سطة فقلت يا غلام دفعت فقال يا ابراهيم لا تبهرج فان الناقذ بصير
مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن تدع عليك موارد الفاقات فلا تسمن نفسك الا الى من اليه السكيات وسئل
الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على
استقاط الطمع لباس عمافي أيدي الناس وقيل جامع الثوري في البادية فتهف به هاتف أيما أحب اليك سبب

أو كفاية فقال الكفاية ليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوماً ما كل وبسنه إلى الحسن الخياط قال كنت
عند بشر الخافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال
شكر الله لكم فقالوا تخرج معنا قال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل من أحد شيئاً وإن أعطانا أحد
لا نقبل فقالوا إيمان لا نحمل فنعيم وإيمان لا نسأل فنعيم وإيمان لا نقبل إن أعطينا فهذا ما لا نستطيع فقال أخرجتم
متوكلين على زاد الحجاج وقيل لحبيب العمري لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة وقيل من وقع في
ميدان التفويض يرف إليه المراد كما ترف العروس إلى أهلها والفرق بين التفويض والتضييع أن التفويض
في حقك وهو محمود والتضييع في حق الله وهو مذموم انتهى ما في الرسالة وقال صاحب القوت حدثنا عن
بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة
فقلت أي الأعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل وقصر الأمل وفي وصية لقمان ومن الإيمان بالله التوكل على
الله وإن التوكل يحبب العبد إلى الله وإن التفويض إلى الله من هدى الله ويهدي الله يوافق العبد رضوان الله
ومن موافقة العبد رضوان الله يستوجب كرامة الله وكان سهل يقول العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب
من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حدود ولا غاية ينتهي إليه وقال
التوكل واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان وقال التوكل هو التفويض ثم
الرضا وكان الحسن يقول الغنى والعز يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا به وطناه وفي هذا المعنى قيل

يجول الغنى والعز في كل موطن * ليستوطن قلب امرئ إن توكل

ومن يتوكل كان مولاه حسبه * وكان له فيما يحاول معقلاً

إذا رضيت نفسي بمقدور حفظها * تعالت وكانت أفضل الخلق منزلاً

ويقال إن الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق فإن ذلك من قلة الفقه عن الله وضعف التوكل
عليه وقال ابن يعقوب السوسي المتوكل إذا رأى السبب أذم أو مدح فهو مدح لا يصح له التوكل وقال الخواص
التوكل هو الاكتفاء بعلم الله فبك من تعلق القلب بسواه وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله
استغنيت بهن على ما أنا فيه فاستغنيت بقوله تعالى وإن يسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا
راد لفضله قلت إن أراد أن يضرني لم يقدر أحد أن ينفعني وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعي وقوله سبحانه
فاذكروني أذكركم فاستغنيت بذكركم عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها
فإن الله ما هممت برزقي منذ قرأتها فاسترحمت وقال سهل ليس مع الإيمان أسباب إنما الأسباب في الإسلام يعني
ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها وانغماس في الطمع في الخلق يوجد في مقام الأسباب
فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراك وقطع الهم عن التطلع لما بأيديهم وعكوف القلب على المدبر الحق
مغول الفكر بقدرة المقدر لا يحمله عدم الأسباب على ما حذرته العلم عليه وذمه ولا يمنعه أن يقول الحق وإن
يعمل به أو يوالي في الله ويعادى فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعاً منهم
أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا يدخله طوارق الحاجات ونوازل الضرورات في الانحطاط في أهواء الناس والميل
إلى الباطل أو في السكون عن حق إن يلزمه أو يوالي عدواً أو يعادى ولي البرى بذلك حاله عندهم أو بشكر
بذلك ما أسدوه إليه بالكف عنهم ولا يرى الصنعة التي قد عرف بها القوة نظره إلى الصانع ولا يتصنع لصنوع
دخيلة لعله بسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يسكن إلى عادة عن خلق ولا يثق بمعتاد من مخاوف إذا يقن برزقه
وضر ونفعه من أحد فهذه المعاني من فرض التوكل فإن وجدت في عبد خرج بها من حد التوكل دون فضائله
ويدخله في ضعف اليقين وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك
الأسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعلوا في مفارقة الأوطان وفي التغرب عن الأمصار والآلاف والأيلاف
فاخرجوا ذلك حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق إليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم

وخالفوا علماء الظاهر الى علوم الباطن ومقتضى مشاهدتهم ومواجيد حالهم ثلاثا سكن قلوبهم الى غير الله ولا
تغف هممتهم مع السلاوى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا سكنا سواه ولا يسكنون الى هوى النفس
فيخذعوا بسكونهم عن سكون القلب فيسي ذلك عقولهم ويوهن عزيمتهم ويضعف يقينهم الذي هو الاصل
فيخسر وارأس المال ونفوسهم حقيقة الحال فاذا برجعون وبأى شهادة يقومون

(فصل) وقال بعضهم التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لاجله يكفي أو يعافى
بفعل نظر حال توكله علتسه لان توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خال ويقوم له
بشهادة منه بلامل ولا يكون بينه وبين الوكيل شئ ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضا الذى
هو طريقه وجاء رجل الى بشر الحافى فقال انى قد عزمت على السفر الى الشام وليس عندى زاد فأتى فقال
يا هذا اخرج فيما قصدته فان لم يعطك ماليس لك عمل مالك وشكار جل الى الفضيل حاله فقال يا هذا أمد برا
غير الله تريد وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى وقد رفها أقواته ساخلق الارزاق قبل الاجسام بالفي عام فالتوكل
لا يطالب مولاه برزق غدا كما لا يطالبه مولاه بعمل غدا ويقال من اهتم برزق غدا فهو خطيئة تكتب عليه وقال
الثورى الصائم اذا اهتم فى أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وكان أبو سهل يقول لنقص ذلك من صومه وقال
أعرف فى البصرة ٣ بقرة يغدى على مولاهم برزقهم من الجنة وعشبا يرون منازلهم من الجنة وعليهم من الغيوم
والكر وب ما لو قسم على أهل البصرة لم نواقل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باى شئ تنعشى واذا تعشا قالوا باى
شئ تنغدى وقال مرة لم يكن لى من التوكل والرضا نصيب فهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمه
فى كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاهم كن باعطائه اياهم ٣ فزهدوا فى كون
كن لاجل كان توكله على كينونة الكينونات وحياء منه ان يعارضوه فى قدرته أو ينازعوه فى ملكه أو يرغبوا
عن تقديره أو يضاهوه فى كونه لان تدبيره عندهم أحكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشد اجلالا
مما نقدر نحن ونعلم

(فصل) قال سهل فى معنى قول الله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت يحو الاسباب من قلوب العارفين ويثبت
القدرة ويحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب فى صدورهم وقال خلق الله النفس متحركة ثم
أقرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا هو خصوص وان تركها تحركت بطبعها
وهذا هو الخذلان وكان الخواص يفرق بين العموم والخصوص بوجود الحركة والسكون فقال القلوب على
حالين فمن دامت حركته وسعته كان موصوفا بنفسه لغلبة شاهد النفس عليه لقوله تعالى وكان الانسان عجولا
ومن دام سكونه كان موصوفا بالحق لغلبة شاهد الحق فى سكينته لقوله تعالى الا يذكر الله تطمئن القلوب وقال
النهر جورى فى مائه قلوب الاولياء مواضع المطالع لا تتحرك ولا تنزعج بل تطمئن خوفا ان يرد عليه من حاجة
مطالعة فتجده مترسما بسوء الادب وقال بعض أهل المعرفة فى تأويل قوله تعالى ورزقك بالخبر وأبقى قال هو
التوكل لانه أبقى للعبد من الطالب وخيره من السعي والتعب وروى ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين
ادرك لى لطف الفطنة وخفى اللطف فأنى أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذباية فاعلم
انى أوقعتها فسلاني أرفعها قال وما خفى اللطف قال ان أتيتك فولة مسوسة فاعلم انى ذكرك بها وكان الخواص
يقول من رجع عند الشدايد الى سبب أو علاج يستشفى به أو حركت رهبة المخلوقين صفته فقد برئ من خصوص
التوكل وبقي مع عمومهم وقال السرى رحمه الله تعالى ثلاث يستبين بهن اليقين بالخوف موطن الهلكة والتسليم
لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط كان يقال ثلاث من كن فيه
استكمل ايماناه من اذارضى لم يختر جه رضاه الى باطل واذا غضب لم يختر جه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول
ماليس له وقدر وى ذلك مستند فهذه أوصاف المتوكل وهى علامة حسن اليقين وقال داود لابنه سليمان عليهما
السلام يا بنى يستدل على تقوى العبد بثلاث حسن توكله فيما يأتيه وحسن رضاه فيما أتاه وحسن صبره فيما فاته

*** (فصل) *** لا يضر التصرف والتكسب من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص حاله اذا أحكم فيه معنيين النظر الى الوكيل في أول الحركة فيكون متحركاً به والرضا في الحكم بعد التصرف فيكون مطمئناً به وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال فان كان حال المتوكل التصرف فيما قدر وجهه فيه دخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في تصرفه معتمد عليه واثق به في حركته مكتسب فيما يقبله فيه ولاه متيقن فيما يسببه له ويوجهه فيه وكياله وهو عالم باذن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه تجتمع الخلق بجانبه غير متشتت بتفرق همه متبع للسنة والاثر تارك للترفعة والنعمة فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فساكنها وسكن الى سكون نفسه في بطلتها وفراغها من هم الآخرة طمأنينة واحتها ومن دخلت عليه الآفة في ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين واقتطع فليقعده عن الاكتساب ومن اعتل بالتكسب فليداو بتركه ومن صح فيه وأوجب الحكم فليكتسب والتكسب خير من التشرع الى الخلق ومن الطمع فيهم واعتباد المسألة وسالكه على طريقه فهو يصل وان كان في طريقه بعد والتوكل اذا اعتد به واقتطع عن أربه ناظر الى الوكيل منتظر للوارد متفرغاً للفوائد أفضل اذ صح في ذلك وصدت حاله واستقام عليه فهو طريق قريب وسالكه مقرب

*** (فصل) *** قال أبو يعقوب السوسى التوكل على ثلاث مقامات عام وخاص وخاص خاص فمن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله وتحقق اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب فتصرف لغيره فهو خاص خاص قال وهذا وصف الطبقة العليا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم يوردهم اليقين من الدنيا فاذا دخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا راقبين لهم فتصرفوا فيها من التعلق بها وقال أيضاً الناس في التوكل على ضربين طالب له ومطلوب به فالمطلوب بالتوكل مستعمل بحقائقه مرفوع الى أعلى غاية مطالب بالعمل فيه بحق نفسه وذنبه آثاره مجزومة وشاهد الطالب له توجه بالزهد وترك الاسباب القاطعة وعمل في حذف كل شاغل يشغله أو يحول بينه وبين قصده فهو مجتهد في الانفراد

*** (فصل) *** قال بعضهم التوكل العمل في قطع الطمع ونفي الركون الى الاسباب ويكون نظره الى الله في المنع أفضل عنده من نظره اليه في العطاء وان يجدي المنع من الخلاوة ما لا يجد للعطاء ومن علم ان الله قصده فالمنع فرح وعلامة تركونه الى من عوده البر من الخلق ترك القيام عليه بالحق وترك النصيحة له والانبساط اليه وكثرة السلام عليه دون غيره ممن لا يبره ودوام تطلع القلب الى لقائه ومجيء أسبابه وعلامة تركونه الى الاسباب خوف زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق عليه الوهن والتسلل بما بقى خوف الفقر

*** (فصل) *** من ألطف ما قبل في السكون الى غير الله والنظر الى سواء قول أهل المعرفة في معنى قول الخليل عليه السلام واجنبي وبنى ان تعبد الاصنام قال ان أسكن الى الخلوة وهبته الى أو بنظر نبوة الى النبوة التي جعلتها لهم فيحتجبون بذلك عنك وقال بشر ان العبد ليقرأ أياك تعبدوا باله نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما أباي تعبد ولا بي تستعين لو كنت أباي تعبد لم تؤثره والى على رضى ولو كنت بي تستعين لم تسكن الى جلدك وقوتك ولا الى مالك

*** (فصل) *** قال أبو تراب النخشي ليس التوكل ان تتوكل لتكفي ولو عرض ذلك للمتوكلين لتأبوا ولكن نحل بقلبه الكفاية بالله فصدق الله فيما ضمن فالق الكفن بين يديه وقال الخواص بلغنا الله النبي موسى والخضر عليهما السلام وكان موسى أشد جوعاً من الخضر فاذا غزا الان قد سقط أحدهما مشوا الى الخضر وسقط الآخر مذنوحاً بجلده ورأسه الى موسى فقال له الخضر قم يا موسى فبقدر ما بقى في نفسك من الاهتمام برزقك تتعب فاعلم اني أنا توكلت فكيف وانت اهتممت فعميت وروى من طريق آخر قال موسى للخضر كيف هذا وقع اليك

نصفه مشويا ووقع نصفه لي نيا فقال له الخضر انه لم يبق لي في هذه الدنيا أمل وفي رواية ليس لي في هذا الخلق حاجة وكان بشر رجه الله تعالى فصبر الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى وقت صلاة أخرى وكان اذا صلى الظهر يقول للبحير ان اطلبوا الحكم من يصلي ليكم العصر وكان يقول أنا ضيف في دار مولاي ان أطمعني أكلت مني أطمعني وأن أجاعني صبرت حتى يطعمني

*** (فصل) *** قال الخواص الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق الا بالتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت يصبح ذلك قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فهذا الخطاب من الله خالقه يقتضي من الخلق ترك جل الارزاق لوقت لم يات لطيفة من الله دعاهم منها الى مواضع الراحة من الاشتغال بحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل باستخراجها اليهم وحجة منه عليهم ألزهمهم اياها وقوله تعالى بالضممان لارزاق الخلق الله يرزقها واياكم يقتضي السكون اليه بالثقة به فيما ضمن وتكفل باستخراجها والصبر على وعده حتى يخرج اليه المضمون من أما كنهه قال ففي هذا دليل على تجوز الحركة والسبب لاحتوكل وان ذلك لا ينقص توكله اذ الدابة المرزوقة بالله من الله وقد تدب وتسير الى مواضع الرزق وقد تدخر النملة والفارغة وهما من الدواب وقد يجمع بعض الطير في عشه ويجلب الى وكرة لكن يحتاج المتوكل في ديبه وحركته وذخره بمعنى النملة الهامام وتوفيقا ونظر الى الوكيل معقول وتدبير وكذلك القول في التمثيل الوارد في الخبر السابق تعدد خواصا وتوكل بطنا فالطير وان لم يكن من وصفها ان تحمل ولا من فعلها ان تدبر وتعمل فانها تتحرك وتقصده لقوله تعدد وقد تها تسبب وقصدها أما كن معاشها تعيش وقد أضاف الرزاق اليه وجع بيننا وبينه فيه فقال وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم به برازقين الهوام والانعام فعمنا واياها بالتحمل الينا بان المعاش في الارض منه علينا انعام

*** (فصل) *** قال الخواص الذي قيد ان يسرح في الارض حيث شاء فله تصديقه بمجيء الارزاق اليه حيث كان وضعف علمه بان الله معه في كل مكان وان الله تعالى يضيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء فن كان ناظر الى الله فيما يفتخ به اسباب الرزق معتمدا عليه في استخراجها كان البر والبحر والسفر والخضر عليه سواء لان من تولى الله كفايته في الخضر تولى كفايته في السفر ومن كان معتمدا على تكافئه وحيلته لم يتهيأ له ان يفارق العمران ولوان عبد امع مولاه في السفر لمكان قلبه قد سكن اليه ان يطعمه حيث سافر معه وهكذا من علم ان الله سبحانه معه لم يحتج ان يحمل زاد ولا اداة ويصح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل وقد أعطاه ثمرة لولم تأنها لا تنك دلالة على ترك الحركة وتوكله في حركته بعد حجة الضمان لمجيء الارزاق لوقتها ونهيه عن السعي الا ما وقع التصديق بمجيئه لوقته قال صاحب القوت وهذا طريق الاقوياء الصابرين وليس هذا طريق الضعفاء المريدن اذ لا يقاس الضعيف الجزوع بالقوي الصبور وكان منهم ابراهيم الخواص وأبو تراب النخشي وذو النون وحاتم الاصم وعلي الرازي فان هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من الوقائع يدل على أحوالهم

*** (فصل) *** قال الخواص الاستطاعة على ثلاثة وجوه أعلاها استطاعة بقوة المعرفة وصحة التوكل وهذه الطائفة نفذت بصدق موكلهم تعرج على سبب ولا استأذنت أحدا ولا يقع الاستئذان الا من ضعف المعرفة وقلة الهداية وكل من استأذن فالرفق به أولى كما في الخبر اعقلها وتوكل والاستطاعة الاخرى قوة البدن والصبر على المشي والضر والنالسة بسعة المال فن لم يكن عنده أحد هذه الوجوه فليستوقف عن الحج والزاد مباح للعموم الا ان الله تعالى قد دل على خبر الزاد بقوله فان خبر الزاد التقوى فن ترزدا التقوى تحاول تخف في طريقه لان الله مع الذين اتقوا ومن التقوى ان لا يقول العبد غدا في من أين لقول الحق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب يقول الله تعالى ابن آدم اتق ونم حيث شئت فالرزق ليس فيه توكل وانما فيه تدبر ويقوى على قدر مغرقه بما صبره ولمن صبر ومعنى الصبر حبس النفس على الوعد بمجيء المضمون ومنعهما من الحركة والتطلع الى مجيئه حتى يسوق الله الاقسام من أما كنهها فتخرج الصابر الى سبب يشتد في بالحرارة من نفسه فقد خرج من حالة الصبر ضيقا من تحمل مؤنته وهذا مقام المؤمن القوي من المتوكلين

(فصل) قال صاحب القوت أخبرني أبو بكر بن يعقوب الوراق عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول ان سمع المتوكل خلفه بحركة شديدة فجرد لها قلبه خرج من حده هذا التوكل المخصوص التفت إليها ولم يلتفت وهكذا وطالت أيامه بالسيرة البرية اذا كان فيها واستعان في مسيره بعكازة يتوكأ عليها ومنطقة يشدها وسطه أو غير عليه عند رؤية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كسائر الناس وهذا وجد في قلبه الميل الى الخلقان دون الجدد خرج في جميع هذا من حد التوكل وقال أيضا أكثر الخلق تعلقوا بالاسباب فاذا صحت المعرفة لله بالقلب سكن القلب الى ما في الغيب أشد من سكونه الى ما في اليد من الاسباب الظاهرة لان ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه وماله عند الله هو الباقي يأتي به على أوقاته فاذا كان القلب قويا عند زوال الدنيا وادبارها متبرما بما في اليد منها صحت التوكل واذا ضعف المرآة في القلب ركن القلب الى الاسباب وخاف من زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق القلب الخزع والتغير من خوف الفقر

(فصل) قال السري رحمه الله تعالى في قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما ان المتقي يكون رزقه من كسبه لان الله تعالى يقول وبرزقهم من حيث لا يحتسب فإنه يقول اجعلنا اماما للمتوكلين الذين أرزاقهم لامن اكسابهم بل من حيث لا يحتسبون وهو لاعلمهم أهل الصفة والصفاء الصوفيون الذين توكأوا على الله بالله لا في الارزاق ولا في العالم يدعهم من الارفاق كما قال قائلهم الدنيا فانية والاخرة باقية والارزاق مفروغ منها فعلى ماذا أتوكل انما أتوكل عليه ان لا يبعدني من قربه وقال بعضهم الاعتماد على الخلق هو الخذلان ومن اعتمد بسوى ربه في توكله خاب سعيه

(فصل) ويستوى عند المخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسابك كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم اذ كان المعطى عندهم واحدا والعطاء كله رزقا فاذا كانت الايدي ظروف العطاء فسواء كان الطرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب سواك لك اذ جميعهم رزقك ومثل هذين أيضا يستوى عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بأيديهم من الحركة وترتيب العرف والعادة لان القدرة أيضا بمنزلة طرف للعطاء ظهر العطاء بها كأيدي العباد من يد الانسان نفسه أو يد غيره فهذه المعاني الثلاثة عند الموقفين الموحدين سواء لا يترجح بعضها على بعض لرحمة ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم اذ كله حكمة بالغتوقدرة نافذة على حكم واحد وقادر واحد

(فصل) الاسواق موائد الاباق يطعم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته أما سمعت قول الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي ما أريد ان يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق أي انه لا يظالمهم ان يرزقوا نفوسهم اذ خدموه فذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد التي أباحها المولى ثم اختار لنفسه أحدها وهو الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبد أحدها فجعلها عبيدة وتنزه عن أحدها وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عوم العبيد في الوجوه الثلاثة من الاطعام لانفسهم وهو التكبس وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض فيبقى العبيد من الله بحكمين أحدهما مع اختياره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعمايه الرزق كيف شاء ومتى شاء وهو لاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد من التكسب لانفسهم جعل ذلك رزقاً منهم لهم يجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهو لاء عوم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي الوالى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها لهم وضرب بها المثل بينها وبينهم انهم اختاروه كان ذلك لهم

(فصل) التوكل على الله لا يمنع دخول المصوص ولا يمنع وقوع الاقتدار للبلوى يعو الدار والاختيار للمعروفين الاختيار وقد قال أبو يزيد قدس سره وهو من أعلى المتوكلين ما سافرت في قافله قط الا فزع على الطريق وقال آخر من نظرائه ما خرجت في سفر قط ومعى سبب لاسلط الله على من يأخذه حتى أبقي مع الله بالله

مجرد بلا سبب فهذه آيات بر الله بها أوليائه اليه في تسلطات بدلهم بها عليه ليرجعوا اليه فالتوكل على الله تعالى في الاسباب لا يوجب بقاء العبد ولا يثاره بها ولا حفظها عليه ولا يقدم شيئا عن شيء ولا يؤخره لصالح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين للزهدة وغمرته فهو بر التوكل الى أصله وذلك وصف صادق للمتقين ولولا الامتحان لكثير الصادقون ولولا الانحراج من المعتاد والمألوف لكثير الصالحون فاذا كان مقام التوكل الرضا بجريان القضاء والمحبة لمواقيع البلاء لم يبال بقي ماله وسلم سببه الذي توكل عليه عنه أو عطف اذ كان محبة وكيله فيه ورضاه به فمعرضه من موافقة محبته وحلا وقرضه فضل من اتلاف نفسه ودنياه * (فصل) * المتوكلون على درجات منهم من توكل على الله تعالى تعظيما واجلالا ومنهم من توكل عليه ثقة به وتنزيها له ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده لتحقيق صدقه ومنهم من توكل عليه حبالة ومنهم من توكل عليه استسلاما للشاهد من قرب عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه خوفا منه ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ومنهم من توكل عليه تسليح له من جيل معاملته ومنهم من توكل عليه بحفظه فيما استخفظه فيما عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته وكلهم توكل عليه لان توحيده له وشهادته قيومينه ذلك يقتضيه فهذه كلها مواجيد أوليائه ومنهاج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضها أعلى مقام من بعض وبعض المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليح له وتحبب اليه وقد ذكرنا من توكل العوام ما يستحي العارفون من ذكره وهو التوكل عليه في القوت لانه هو المقيت كلها والمحبي المميت فكما يحب ويحب فكذلك يرزق القوت

* (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربيع المحبتات من كتب احياء علوم الدين) *

* (فصل) * قبل اسهل رجه الله تعالى متى يصلح للعبد التوكل قال اذا علم ان تدير مولاه خير من تديره لنفسه وان نظار مولاه أحسن من نظره لنفسه فترك الفكر فيما كان والتمنى لما يكون ويترك التدبير والله عاقبة الامور وهو على كل شيء قد يرشكروا الى هذا انتهى بنا الكلام على شرح مقام التوكل والحمد لله على نعمائه والصلوة والسلام على سيد أنبيائه وخيرته من أوليائه قال المؤلف نبجز ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاثنين لست يقين من ذي القعدة سنة ١٢٠٠ والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر) الحمد لله الذي رفع الحجاب عن قلوب الاحباب * وألهمهم بدوام ذكره والانس به والرضا لاصابة لمحبة الصواب أجده جدا أستوجب به مزيد الثواب وأستزيد به زيادات أولى الالباب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بقلبه غير مرتاب متلذذ في دار الوصال رائق الشراب * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص الاحباب * المرسل بأشرف كتاب * المؤيد بصل الخطاب في أبجل خطاب * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الانجاب وأصحابه المكرمين الاقطاب وعلى كل تابع لهم باحسان مالمع البرق وهمل السحاب * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح * (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا) *

وهو السادس والثلاثون من كتب الاحياء لادام الله عليهم قطب العلماء الاعلام أبي حامد حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي سقى الله ريسه ها طلات رحمة وأسبغ على حظيرته سابعات مغفرته يسبي اب مطالعه بما تضمنه من مطالع الاسرار ويذهل فكر معانيه بمنايا مطاويه من معاني مشارق الانوار وينفض عن مكامن اشاراته المرموزة العجيبة ويسمع بأفشاء أسرار فوائده المستطعة الغريبة كشفت أثبت به حجة الصواب وبيانا تتهج به بصائر أولى الالباب من رام مساومته قصده الحيرة والاندھاش أو سام معارضته عارضه الذهول وطاش في الهام من مخدرات حسان أ بكر وغوان لم يطمئن انس ولا جان وبجتهيات في خدور الخيام لم يظفر بوصولهن الامن جفا من مضاجعه أ طيب المنام وجد في أنوار الاطال مع الطلاب فنال بما

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات الى زخرف (٥٤٥) الدنيا ونضرت له وصفي أسرارهم من

ملاحظة غير حضرته
ثم استخلصها للعكوف
على بساط عزته ثم تجلى
لهم بأسمائه وصفاته
حتى أشرفت بأفوار
معرفة ثم كشف لهم
عن سبحات وجهه حتى
احترقت بنار محبته ثم
احتجب عنها بكنهه جلالة
حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته
فكلمات اهتزت للملاحظة
كنهه الجلال غشبهام
الدهش ما غبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما
هت بالانصراف
آيسة نوديت من
سرادقات الجبال صبرا
أبها الآيس عن نيل
الحق بجعله له وعلمته *
فبقيت بين الرد والقبول
والصد والوصول غرقى
في بحر معرفته وبحرقة
بنار محبته والصلاة على
محمد خاتم الانبياء بكل
نبوته وعلى آله وأصحابه
سادة الخلق وأئمة وقادة
الحق وأزمته وسلم كثيرا
*(أما بعد) * فان المحبة
لله هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة
العلیام الدرجات فما
بعد ادراك المحبة مقام
الاهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها
كالشوق والانس
والرضا وأخواتها

لم يكن له في حساب ولقد أرخيت فيه أعنة الانصاح مع الاختصار التام وآثرت التخفيف لا التطفيف لئلا
تكل عن مطالعته أفهام الخواص والعوام والله تعالى أستعينه فيما أروم وأستهديه انه هو القادر المجيب
لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب
أوليائه) هم الموالون بولايته المحبون له لذاته المستهترون بذكره المهيمون في محبته (ونزهها) أى قدسها
وطهرها (عن الالتفات الى متاع الدنيا) هو اسم لما يستمتع الانسان به من اعراضها (ونضرت) أى زينته
ومحبته والضمير راجع الى المتاع وفي بعض النسخ الى زخرف الدنيا ونضرت الزينة كما قال تعالى
حتى اذا أخذت الارض زخرفها (وصفي) من التصفية وهو التخليص (أسرارهم) جمع سر بالسر وهو
الطيف من الروح وهو محل الشاهدة كإكان الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (عن ملاحظة غير حضرته)
والملاحظة النظر باللباط وهو مؤخر العين وبين حضرته ونضرت نجاس (ثم استخلصها) أى اتخذت لك
الاسرار خالصة (للعكوف) أى الاقبال والافتقار والالزمة (على بساط عزته) وأصل البساط الارض
الواسعة الارباع والعزة الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن (ثم تجلى لها) أى أسرارهم وفي نسخة لهم
(بأسمائه وصفاته) أى بمعانيها وامتيازها عن الذات بقدر ما يتصور في حقهم وأصل التجلى ما ينكشف
للقلوب من أفوار الغيوب (حتى أشرفت بأفوار معرفته) وهو السبيل المفتوح للخلق وفيه تفاوت مراتبهم (ثم
كشف لهم عن سبحات وجهه) أى جلالة وعظمته وبهائه (حتى احترقت بنار محبته) أشار به الى الخبر بالوارد
المتقدم بذكره ان الله سبعين سجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (ثم
احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت) أى حارت (في بيداء) أى صحراء (كبريائه وعظمته فكلمات اهتزت)
أى تحركت (لملاحظة كنهه الجلال غشبهام من الدهش) والحيرة (ما غبر في وجهه العقل وبصيرته) يشير
بذلك الى السبيل المسدود في المعرفة الا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الاسنى
في حقه انه لا يهتز أحد من الخلق لشيئه وادراكه الارذنه سبحات الجلال الى الحيرة ولا يشرب أحد للملاحظة
الاغطى الدهش طرفه (وكلما هت بالانصراف) عن تلك الملاحظة حالة كونها (آيسة) أى قاطعة أملها في
النيل والادراك (نوديت من سرادقات الجبال) وأصل السرادقات ما يدار حول الخيمة بلا سقف (صبرا أبا
الآيس عن نيل الحق بجعله وعلمته) فالانسان خالق من عجل وجبل بوصف الجهل وهو وصف له ذاتي فيجعله
إذا تمكن لا يدرك غور الامور ويجعله قد يفوته الفوز بالسرور ولو صبر وتأنى لئال ما تمنى (فبقيت بين الرد
والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته) غير متفلسة ولا غائبة وهذا هو مقام الفرق من ثمرات المحبة
(وبحرقة بنار محبته) والمحبة فرع من المعرفة فمن لم يعرف لم يحب ولذلك أخذ كرام المحبة بعد المعرفة (والصلاة)
والسلام (على) سيدنا (محمد خاتم الانبياء) والمرسلين وجودا كما انه فاتحهم نشأ (بكمال نبوته) وتسام رسالته
(وعلى آله وأصحابه سادة الخلق) أى رؤسائهم (وأئمة) الذين يقتدى بهم (وقادة الحق وأزمته) جمع قائم
وزمام فالقائد هو رئيس القوم والزمام ما تزم به الناقة أى تحبس وهو كالطعام أى هم يقودون أهل الحق الى
الحق ويؤمنونهم عن الميل الى ضده (وسلم كثيرا أما بعد) فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليمان الدرجات وهو الثامن من مقامات اليقين وعند أبي طالب المكي هو التاسع منها وذلك لانه
قديم كرم مقام الرضا على مقام المحبة وعكسه المصنف قد قدم ذكر المحبة على مقام الرضا قال صاحب القوت المحبة
من أعلى مقامات العارفين وهي ايثار من الله لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم (فأما بعد ادراك المحبة
مقام) أحوال (الاهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها) مما يضاف اليها
فما يضاف الى الانس القرب والسكينة والطمانينة والانبساط والغيرة ومما يضاف الى الشوق الوجد والقلق
والدهش والهجمة والتمكين ولها ثمار أخر لا يطالع عليها السالك حتى يعثر عليها فلا مطمع في الانتهاء ولا محبة
فضله وهي متضمنة ان معرفة الله أكد المعارف فانه أظهر الموجودات أولها معرفة خاصة بها ويضاف اليها

ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها واسائر المقامات ان عز وجودها فلم تحل القلوب عن
الايان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى
وأما حقيقة المحبة ففعال الامع الجنس (٥٤٦) والمثال ولما أنكر والمحبة أنكر والانس والشوق ولذا المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه

ولا بد من كشف الغطاء
عن هذا الامر ونحن
نذكر في هذا الكتاب
بيان شواهد الشرع في
المحبة ثم بيان حقيقتها
وأسبابها ثم بيان أن لا
مستحق للمحبة الا الله
تعالى ثم بيان أن أعظم
الذات لذة النظر الى وجه
الله تعالى ثم بيان سبب
زيادة لذة النظر في
الآخرة على المعرفة في
الدنيا ثم بيان الاسباب
المقوية لحب الله تعالى
ثم بيان السبب في تفاوت
الناس في الحب ثم بيان
السبب في قصور الافهام
عن معرفة الله تعالى ثم
بيان معنى الشوق ثم
بيان محبة الله تعالى
للعبد ثم القول في علامات
محبة العبد لله تعالى ثم
بيان معنى الانس بالله
تعالى ثم بيان معنى
الانبطاط في الانس ثم
القول في معنى الرضا
وبيان فضيلته ثم بيان
حقيقته ثم بيان أن
الدعاء وكرهه المعاصي
لاتناقضه وكذا الفرار
من المعاصي ثم بيان
حكايات وكلمات للمحبين
متفرقة فهذه جميع
بيانات هذا الكتاب * (بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض) ثابت بدليل
قطعي الثبوت والدلالة (وكيف يفرض مالا وجوده) هذا انكار على من أنكر المحبة أصلا وسبب انكارهم
ايها انهم راوا ان الحدود لاتزيد بها الاخفاء وجميع من تكلم فيها انما هو في أسبابها وجهاتها وعلاماتها
وشواهدا وغرائها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ثم رد على من فسر بها بالطاعة فقال
(وكيف يفسر الحب بالطاعة) والانقياد لنيل الثواب (والطاعة تبسح الحب وغرته) فكيف تكون الثمرة
حد للمعمر والتابع حدا للمتبع (فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطبع من أحب) فسلم من ذلك ان
تفسر بها بالطاعة تفسير باللازم وليس بحد تام ولا تحد بحد أو وضع منها فحدوها وجودها ولا تحد بوصف أظهر
منها (وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأني الله بيقوم (بمحهم ومحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان
الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما عارض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقوله تعالى)
ومن الناس من يتخذ من دون الله آندادا يحبونهم كحب الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو اشارة الى أن
الايان يحرض على حب الله تعالى ويدعو اليه قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فابان

ان
الله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجوده وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبسح الحب وغرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد
ذلك يطبع من أحب وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ومحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله

أن اتبع نبيه صلى الله عليه وسلم من موجبان محبة الله عز وجل فإذا كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إيمانا وجب أن يكون حب الله الموجب له إيمانا (وهو) أيضا (دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت اليه) لفظ القوت وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى ولكن محبته على قدر إيمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استحبابهم له التوحيد والزام أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد في الزام الأمر وفي تسليم الحكم فليس ذلك يكون إلا عن محبة وان تفاوت المحبوب على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة عن المعرف من عرف ولا يكبر على التوبة كبير ولو كان على كل العالم قد أوقف لأن الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دلائل على تفاوتهم في المحبة لأن المعنى أشد فاشد ولم يقل شديد الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله أن أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على أن تفاوتهم في الأكرام على قدر تفاضلهم في التقوى ولم يقل أن الكرام المتقون فالمتقون من متزايدون في الحب لله على تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له (وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان) بالله (في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزق) لعيط بن عامر بن المتفق العامري (العقيلي) وأدبني المتفق رضي الله عنه (يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما) قال العراقي أخرجه أجدب زيادة في أوله وفيه انقطاع انتهى قلت لفظ الحديث أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وأن تحترق بالنار أحب اليك من أن تشرك بالله وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا الله فإذا كنت كذلك دخل حب الإيمان في قلبك كمدخل حب الماء لظما في اليوم القناط قال السيوطي في الجامع الكبير بعد أن ذكره حسن (وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) كذا في القوت قال العراقي متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يحب دلاوة الإيمان حتى وذكره زيادة انتهى قلت الذي في المتفق عليه من حديث أنس بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في الشعب كلهم من حديث أنس ورواه أيضا البغوي والطبراني والبخاري من حديث أبي امامة توفي رواية لابن حبان من حديث أنس ثلاث من كن فيه كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما والرجل يحب القوم لا يحبهم إلا في الله والرجل أن يذوق في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا (ومن حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده من حديث عبد الله بن هشام قال عمر بن الخطاب قال لا يؤمن حتى أكون أحب إلي من نفسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إلي من نفسي قال عمر فأنتم الآن والله أحب إلي من نفسي فقال الآن يا عمر اه قلت حديث أنس أخرجه كذلك أحمد وعبد بن جيد والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظهم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وأما حديث عبد الله بن هشام فأخرجه أحمد مختصرا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأما تلك القصة فأخرجها البخاري في مناقب عمر وفي الاستئذان وفي النذور عن أبي عقيل زهدة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام قال كما مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فذكرها (كيف وقد قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم الآثية) وتماها وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الفاسقين فإبانهم هذا أن حب الله وحب رسوله والجهاد في سبيله فرض لانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه (وانما أجرى ذلك في معرض التهديد والانكار) قال العراقي ورواه البيهقي في الشعب عن أبي عبد الله

وهو دليل على إثبات
الحب وإثبات التفاوت
فيه وقد جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحب
لله من شرط الإيمان في
أخبار كثيرة إذ قال أبو
رزق العجلي يا رسول
الله ما الإيمان قال أن
يكون الله ورسوله
أحب اليك مما سواهما
وفي حديث آخر لا يؤمن
أحدكم حتى يكون الله
ورسوله أحب إليه مما
سواهما وفي حديث
آخر لا يؤمن العبد حتى
أكون أحب إليه من
أهله وماله والناس
أجمعين وفي رواية ومن
نفسه كيف وقد قال
تعالى قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وأخوانكم
الآثية وانما أجرى ذلك
في معرض التهديد
والانكار

ابن خفيف دخل البصرة على أبي العباس بن سريج فقال له ابن سريج أين تعرف في نص الكتاب ان محبة الله فرض فقال لا أدري ولكن يقول القاضي فقال قوله عز وجل قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى فتر بصوا والوعيد لا يكون الا على ترك الفرض (وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة) فيما شرعه من الاحكام (فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب اه قلت ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وأحبوا أهل بيتي قال البيهقي في الشعب قال الحلبي وهذا يحمل على أن يكون عاملا لانعمه كما هو وأن يكون اسم الغذاء في الطعام والشراب حقيقة ولما عداهما من التوفيق والهداية ونصب اعلام المعرفة وخلق الخواص والعقل مجازا أو يكون جميع ذلك بالاسم مراد فقد روى ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي رواية ذاق طعم الايمان وانما يكون الطعم لا لاذية وما يجري مجراها فاذا جاز وصف الايمان بالطعم جازت تسميته غذاء فيدخل الايمان وجميع نعم الله عز وجل في هذا الحديث اه وقال صاحب القوت عقب ايراد هذا الحديث فدل ذلك على فرض الحب لله وان تفضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن أفضل ما أسدى اليمنان نعمه المعرفة فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحجوب لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حب الله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته اتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه فيها مثل الكبر وحب الغنى والعز وطلب الذكركم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حب الحبيب وأتبعهم لا تاروا وشبههم هديا بشيئله (و) قد (يروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للبلاء فقال اني أحب الله فقال استعد للبلاء) هكذا هو في القوت قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فاعد للفقر تجفأ فادون آخر الحديث وقال حسن غريب اه قلت لفظ الترمذي ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفأ فان الفقر أسرع الى من يحبني من السبل الى منتهاه وقد رواه كذلك أحد الطبراني والبيهقي وقد روى ذلك من حديث أبي هريرة وأبي ذر حديث أبي هريرة لفظه ان كنت تحبني فاتخذ لبلاء تجفأ فافو الذي نفسى بيده للبلاء أسرع الى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل الى حضيض الارض اللهم فن أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فاكثر ماله وولده رواه البيهقي في السنن وفي الزهد وضعفه وابن عساكر وأما حديث أبي ذر فلفظه ان كنت تحبنا فاعد للفقر تجفأ فان الفقر أسرع الى من يحبنا من السبل من أعلى الاكمة الى أسفلها رواه الحاكم وقال صاحب القوت بعد أن ذكر الحديث والفرق بينهما ان البلاء من أخلاق المبطل وهو الله تعالى المبطل فساد كرمحبه اختبره للبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال ولربك فاصبر فدل على أحكامه وبلائه والفقر من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذكر محبته دله على اتباع أوصافه ليقفي آثاره لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احبني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في جلة المساكين (وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدى أحد السابقين الى الاسلام أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وكنتم اسلامه خوفا من أمه وقومه فعلم عثمان بن طلحة فاعلم أهله فاونقوه فلم يزل محبوبا الى أن هرب مع من هاجر الى الحبشة ثم رجع الى مكة فهاجر الى المدينة وشهد بدرا ثم أحد أومعه اللوا فاستشهد رضي الله عنه (مقبلا وعليه اهاب كبش) أي جلده (قد تنطق به) أي جعله كهيشة النطاط (فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله اياي وروى أن رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وفي الخبر المشهور أن ابراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليلاه فآوحى الله تعالى اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل (٥٤٩) قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء

انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت

اليه وقد قال نبينا صلى

الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب

من أحب بك وحب ما

يقربني الى حبك واجعل

حبك أحب الي من الماء

البارد وجاء اعرابي الى

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى

الساعة قال ما أعددت

لها فقال ما أعددت لها

كثير صلاة ولا صيام الا

اني أحب الله ورسوله

فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم المرء مع

من أحب قال أنس فما

رأيت المسلمين فرحوا

بشيء بعد الاسلام فرحهم

بذلك وقال أبو بكر

الصديق رضي الله عنه

من ذاق من خالص محبة

الله تعالى شغله ذلك عن

طلب الدنيا وأوحشه

عن جميع البشر وقال

الحسن من عرف ربه

أحبه ومن عرف الدنيا

زهدها والمؤمن لا يلهو

وقاص قال كان مصعب بن عمير أتم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبيه وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار اليه (وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليلاه فآوحى الله اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض) هكذا هو في القوت قال العراقي لم أجده أصلا قلت وكأنه من الاسرائيليات (وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه) ولفظ القوت بعد قوله بكل قلبه عندها يستأنق اليه موله فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه (وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحب بك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء بلفظ اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد وقد تقدم في كتاب الدعوات وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال بلغنا ان داود عليه السلام كان يقول في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الي من سمعي وبصري ومن الماء البارد (وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلات ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي بن مريم وسعد بن عوف اهـ قلت حديث أنس رواه أيضا مالك في رواية معين وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي وفي لفظ للترمذي بزيادة وأنت مع من أحببت وقال صحيح ورواه البيهقي بزيادة وله ما كتبه وقال غريب وأما حديث ابن مسعود فرواه الشيخان وأما حديث أبي موسى فرواه أحمد والشيخان والقشيري في رسالته قال حدثنا ابن فورك حدثنا الحسن بن حماد بن فضالة حدثنا يحيى بن حبيب حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي وائل عن أبي موسى الأشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل له الرجل يحب القوم وما يلحق بهم ثم فقال المرء مع من أحب وقد روى ذلك من حديث أبي ذر وجابر وعروة بن مضر وصفوان بن عسال وصفوان بن قدامة وابن عبد الرحمن ومعاذ بن عبد الله بن جابر وابن منيع وأبو نعيم والضياء وحديث جابر رواه عبد بن حميد وأبو عوانة وحديث عروة بن مضر رواه الطبراني في الكبير والشيرازي في الاقبال وابن عساكر وحديث صفوان بن عسال رواه الطبراني وأحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة والطبراني وابن حبان والضياء وحديث صفوان بن قدامة رواه أبو عوانة وابن قانع والطبراني وابن حبان وحديث عبد الرحمن بن صفوان وهو صحيح صغير رواه الطبراني في الكبير وحديث معاذ رواه الطبراني أيضا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهدها والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فاذا تفكر عرف الدنيا زهدها) فالحمة والزهد من غرات المعرفة قال (والمؤمن لا يلهو حتى يفعل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني) ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون عنه بالدنيا) نقله صاحب القوت (وروى ان عيسى عليه السلام من) في سياحته (بثلاثة نفر) من العباد (قد نخلت أبدانهم) أي ضعفت (وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى) من التحول والتغير (فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف) مما يخاف (ثم جاؤهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا) من أولئك (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروى ان عيسى عليه السلام من بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاؤهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

ما ترجون ثم جاوزههم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أمتجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم (٥٥٠) ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا

عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسر في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده وده ينسى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب (المزلة ان الله تعالى يقول (عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ) أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهى الى مقبم بطنائك مشغول بطنائك صغيرا أخذتني اليك وسرلتني بمعرفتلك وأمكنتنى من لطفك ونقلتنى في الاحوال وقابتنى في الاعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا

ما ترجون ثم جاوزههم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا (من أولئك) وكان على وجوههم المرائي من (النور) أى تلعب وجوههم اضاءة كاضاءة المرائي (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل) لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته (فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون) نقله صاحب القوت بلفظ وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم ما أنتم فقالوا نحن عباد قال فلاى شئ تعبدتم فقالوا خوفا من الله من ناره نخفنا منها (وقال عبد الواحد بن زيد) البصرى العابد (مررت برجل قائم في الثلج) في يوم بارد (فقلت له) أمتجد البرد) فتنتقل عنه (فقال من شغله حب الله لم يجد البرد) (روى (عن سري) بن المفسر (السقطي) رحمه الله تعالى) قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا) حيث خوطبوا بذلك الخطاب (وقال هرم بن حيان) العبدى قال ابن عبد البر هو من صغار الصحابة وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه) برحمته (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (عفوه) تعالى (يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده وده ينسى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب) (المزلة ان الله تعالى يقول (عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا) قال القشيري رأى ذلك بخط الاستاذ أبى على رحمه الله تعالى يعنى الدقاق (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب) نقله القشيري في الرسالة (وقال يحيى بن معاذ) أيضا في جملة ما كان يخاطب به مولا (الهى الى مقبم بطنائك مشغول بطنائك صغيرا أخذتني اليك وسرلتني بمعرفتلك وأمكنتنى من لطفك ونقلتنى في الاحوال وقابتنى في الاعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا ورضوا حبات سقيني من حياضك وتمملنى في رياضك ملازما لامرك ومشغوبا بقولك ولما طر شاربي) أى بقل (ولاح طارئى فكيف انصرف عنك اليوم كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة) والدمدمة الحركة الخفية والهمهمة الصوت الخفى (لانى أحب لك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف) وله مثل هذا الكلام في الرجاء وكانت وفاته سنة ٣٥٨ (وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والاثر ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به) فانه أكيد والله الموفق

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها) الجالبة لها (ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي ان يعلم ان هذه المادة تدور على خمسة أشياء أحدها الصفاء والبياض ومنه قيل حبب الاسنان لبياضها وانضارتها والثاني العلو والظهور ومنه حبب الماعوج حبا به وهو ما يعاوه من النفحات عند المطر وحبيب الكاس منه الثالث الانزوم

ورضوا حبات سقيني من حياضك وتمملنى في رياضك ملازما لامرك ومشغوبا بقولك ولما طر شاربي ولا ح طارئى فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والاثر ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به *(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)* اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى * فأول ما ينبغي ان

يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور (٥٥١) أن يتصف بالحب جاد بل هو من

خاصية الحى المدرك ثم
المدركات فى انقسامها
تنقسم الى ما يوافق طبع
المدرک ويلآئه ويلآذه
والى ما ينافيه وينافره
ويؤلمه والى ما لا يؤرقه
بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه لذو راحة فهو
محبوب عند المدرك وما
فى ادراكه ألم فهو
مبغوض عند المدرك
وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه
محبوبا ولا مكروها فاذا
كل لذى محبوب عند
المتذبه ومعنى كونه
محبوبا ان فى الطبع
مبغولا اليه ومعنى كونه
مبغوضا ان فى الطبع
نفرة عنه فالحب عبارة عن
ميل الطبع الى الشئ المألذ
فان تأكد ذلك الميل
وقوى سمي عشقا
والبغض عبارة عن نفرة
الطبع عن المؤلم المتعب
فاذا قوى سمي مققا فهاذا
أصل فى حقيقة معنى
الحب لا بد من معرفته
(الاصل الثانى)
ان الحب لما كان تابعا
للادرآ والمعرفة انقسم
لأحالة بحسب انقسام
المدركات والحواس
فلكل حاسة ادراك لنوع
من المدركات ولكل

والثبات ومنه حب البعير وأحب اذ بارك فلم يقم الرابع الباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه
الحبة الواحدة الحبوب اذ هى أصل الشئ ومادته وقوامه الخامس الحفظ والامساك ومنه حب الماء الذى
يحفظه فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة فأنما صفاة المودة وهيجان
ارادة القلب وعملها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها للزوما لا يفارق
ولاعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه والاجتماع عزمانه وارادته وهمومه على محبوبه فاجتمعت
فيها المعانى الخمسة وضعت المعناها حرقين مناسبين للشئ غاية المناسبة الحاء التى هى من أقصى الخلق والباء للشفقة
التى هى من نهاية فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه
واعطوا الحب حركة الضم التى هى أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماء وقوتها واعطوا الحب
وهو المحبوب حركة الكسر وذلك لحفظ ذكر المحبوب على قلوبهم - وألستهم مع اعطائه حكم نظاره كنهه وذبح
للمنه ودو المذبح فتأمل هذه المطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعنى يطالعك على قدر هذه اللغة الشريفة
وان لها شأنا ليس كسائر اللغات ثم ينبغى بعد معرفة ذلك أن يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك
اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه (وما لا يعرفه كيف يحبسه) ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جاد بل هو من
خاصية الحى المدرك) هذا قول الاكبرين وكان ممنون يقدم المحبة على المعرفة كما نقله القشيري أى لكل
شغل العارف بمعرفة واستغراقه فى مناجاته حتى يفنى عن نفسه والمحبون تبقى معهم - بقايا يتبعون فيها
بمحبوبهم وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين وقد أشار القشيري الى ترجيح قول - ممنون حيث قال وعند
محبة قهيم المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة فتأمل (ثم المدركات فى انقسامها تنقسم الى
ما يوافق طبع المدرك ويلآئه ويلآذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤرقه بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه راحة فهو محبوب عند المدرك وما فى ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذى محبوب عند المتذبه ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع
ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ المألذ تأكد ذلك
الميل وقوى سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمي مققا) وهذا قد صرح
به أئمة اللغة قالوا العشق أشد الحب والمقت أشد البغض ثم ان العشق هو سابع مرتبة من مراتب الحب اذ
مراتب الحب عشرة أولها العلاقة ثم الارادة ثم الصباية ثم الغرام وهو حب لازم للقلب ملازمة الغريم لغريمه
ثم الود وهو وصف المحبة وخالصها ولها ثم الشغف وهو وصول الحب الى شغاف قلبه وهو جلدة رقيقة على القلب
ثم العشق وهو الحب المفرط الذى يخاف على صاحبه منه وبه فسر ولا تحملنا ما لا طاقته ثم التيم وهو التسذل فى
الحب ثم التعبد وهو فوق التيم فان العبد الذى ملك المحبوب رقه فلم يقل به شئ من نفسه البتة بل كله لمحبوبه
ظاهرا وباطنا والمرتبة الأخيرة الخلة التى انفرد بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهى المحبة التى
تخلت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (فهذا أصل فى حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته) وهو الأول
(الاصل الثانى ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لأحالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل
حاسة من الحواس الخمس (ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة فى بعض المدركات) دون بعض
(والطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت تلك المدركات (محبوبات عند الطبع السليم) عن النقص (فلذة
العين فى الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة) فهى لا تكاد تفتقر عن النظر اليها
(ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة) والالحن المستلحة فلها تعشق فى ذلك ولو كانت تلك النغمات من
غير جميل الصورة وقد تكون مع جمال الصورة فيلذ كل من العين والبصر ومن ذلك سماع محاسن الاوصاف
من رجل لم يقع عليه البصر واليه الاشارة بقول القائل * والاذن تعشق قبل العين أحيانا * (ولذة الشم فى

واحد منها لذة فى بعض المدركات والطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين فى الابصار وادراك
المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى

الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة فسمى

الطيب محبوبا وعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قاب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب فاذا قد بطلت خاصية الانسان ومما يميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب

الروائح الطيبة الزكية مثل المسك والعود والعنبر وأشباهاها (ولذة الذوق في الطعوم) الطيبة (ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة) رواه النسائي من طريق سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرعة عيني في الصلاة وليس فيه لفظ ثلاث ومن هذا الوجه أخرجه أحد رؤسنا أبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن وآخرين وقد تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح وكتاب ذم الدنيا وهذا موضع ثالث فقول السخاوي في المقاصد انه رواه في الاحياء في موضعين قصور عن تصحيح الكتاب (فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبا ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات) بدليل افرادها في جملة مستقلة (ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس) رائد على الجنس (مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قلب) وقد يكون الانسان بلا قلب (ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان) فان لها ادراكها امكنه فاصر عليها (فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب) كما زعمه المنكرون لمحبة العبد لله تعالى (فاذا قد بطلت خاصية الانسان ومما يميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها) أي لا مضايقة وهو مفاعلة من الشرح وقد فسر قوله تعالى لمن كان له قلب تارة بالعقل وتارة بالنور والمنسبط في القلب والاول أكثر وبه يتميز عن درجة الهائم فانه به يكمل فعله لانه يدعو الى أفعال بخالفة لمقتضى الشهوة والغضب بخلاف الهائم ففي فعلها نقص لكونه مقصورا على مقتضاها كما ان في ادراكها نقصا (وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر) فانها هي القوة المنورة بنور القدس ترى حقائق الاشياء بواطنها وهي التي تسمى بالقوة القدسية وأما البصر الظاهر فهو للنفس ترى به صور الاشياء وظواهرها (والقلب) المنور بالنور القدسي (أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لانه كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلا يجاوز ادراك الحواس أصلا) وقد أفصح المصنف عن هذا المقام في كتابه مشكاة الانوار فقال اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقائص فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعده من الاما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغفل كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فلهذا سبع نقائص تفارق العين الظاهرة وفي قلب الانسان عين هذه صفة كالهواهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني ودع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضيف البصيرة كثرة المعاني فتغني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن الجنون وتسميه عقلا متباعدة للجمهور وفي الاصطلاح فنقول العقل أولي بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع اما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه بل علمه بعلمه نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا تنصو ولم يدرك بالاله الاجسام الثابتة ان العين لا تبصر ما بعده منها ولا ما قرب قريبا

بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لانه كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا

* (الاصل الثالث) * ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم (٥٥٣) يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك

مفردا والعقل يستوى عنده القريب والبعيد ويعرج في طرفه الى أعلى السموات رقبيا وينزل في لحظة الى تخوم الارضين هو يا الثالثة ان العين لا تدرك الاماليس وراء الحجاب والعقل يتصرف فيما وراء حجاب السموات وفي الملا الأعلى كتصرفه في عالمه الخاص به بل الحقائق لا تتحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات بين مقاربة له تضاهي لحجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل قواها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى باطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط سببها وعلوها وحكمتها وانها محدث وكيفية خلقت ولم تخلق وعلى أي مرتبة في الوجود نزل وما نسبت الى سائر خصاله الخامسة أن العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والبصر والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والام والذلة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى فهو ضيق انجال مختصر المجري لا تسعه مجازة عالم الالوان والاشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام في أصلها أخس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أخس أعراضها والموجودات كلها انجال للعقل فيصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا فالأسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن أين للعين الظاهرة مجاراته ومساواته السادسة ان العين لا تبصر الا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية بل يدرك علمه بالشئ وعلمه بعلمه بالشئ فتقوته في هذا الوجه لا تقف عند نهاية السابعة أن العين تبصر الكبير صغيرا ترى الشمس في مقدار سخن والكواكب في صور دائرية منشورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعا فامضا عتق ترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكنا ترى الصبي ساكنا في مقداره والعقل يدرك أن الصبي في النمو والتزايد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك في لحظة أميالا كثيرة وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزّه عنها فان قلت ترى العقلاء يغلطون في نظارهم فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاما وعقائد يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليه انتهى المقصود منه (الاصل الثالث أن الانسان لا يخفى انه يحب نفسه) أي يعمل اليها بالطبع والضرورة (ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه) لذاته (وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع اليه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا محبوب لان النقص فاقد للكمال والعدم نقص بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم محقود في الصفات

متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو والملائم للمحب وأي شئ أتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده وأي شئ أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا

وكمال الوجود كما انه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه أيضا آلة في دوام الوجود وولده وكذلك سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء (٥٥٤) لالاعيانهم ابل لارتباط خطه في دوام الوجود وكماله به احتي انه ليجب ولده وان كان لا يناله منه حظ

بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاءه فلغرض حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاءه عليه يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق وكذلك حبه لأقارب وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بسببهم متجملًا بكمالهم فان العشرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاجله فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكماله ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا أول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان (عبد الاحسان وقد) روى عن ابن مسعود موقفا (جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها) رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء والطبيب في الشارح وآخرون كلهم من طريق اسمعيل بن أبيان الخياط قال بلغ الحسن بن عمار ان الاعمش وقع فيه فبغت اليه بكسوة فدحه الاعمش فقبل للاعمش ذمته ثم مدحته فقال ان خيثة حدثني عن ابن مسعود قال جلبت وذكره وهكذا أخرجه ابن عدي في مسامله ومن طريقه البيهقي في الشعب وابن الجوزي في العلل المتناهية لكن مرفوعا قال الحافظ السخاوي وهو باطل مرفوعا وموقفا قال وقد رواه مرفوعا أيضا القضاة في مسند الشهاب من طريق أبي عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال كنت عند الاعمش فذكر القصة والحديث اه كلام السخاوي قلت وقد رواه العسكري في الامثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي) رواه الديلمي من حديث معاذ بن مسعود ضعيف منقطع بلانظ اللهم لاتجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة وفي لفظ نعمة براءه بها قلبي وقد تقدم (اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا اذا حقق) وتوكل فيه (رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

وكمال الوجود كما انه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذا غريزة في الطباع (بحكم سنة الله تعالى) التي خلت في عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها) ونقد هاولو بعرضها لنقص وهو يقضي الى ما يناقض الدوام (والمال محبوب لانه أيضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الاسباب) فانها كذلك لان فيما ذكر (فالانسان يحب هذه الاشياء لالاعيانهم ابل لارتباط خطه في دوام الوجود وكماله به احتي انه ليجب ولده وان كان لا يناله منه حظ) في العاجل (بل يتحمل المشاق لاجله) ويركب الصعب والذل (لانه يتخلفه في الوجود بعد عدمه) وهلاكه (فيكون في بقاء نسله نوع بقاءه فلغرض حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاءه عليه يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق وكذلك حبه لأقارب وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بسببهم متجملًا بكمالهم) كما قبل المرة قليل بنفسه كثير باخوانه (فان العشرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان) في حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاجله فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكماله ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا أول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان) كما قبل (عبد الاحسان وقد) روى عن ابن مسعود موقفا (جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها) رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء والطبيب في الشارح وآخرون كلهم من طريق اسمعيل بن أبيان الخياط قال بلغ الحسن بن عمار ان الاعمش وقع فيه فبغت اليه بكسوة فدحه الاعمش فقبل للاعمش ذمته ثم مدحته فقال ان خيثة حدثني عن ابن مسعود قال جلبت وذكره وهكذا أخرجه ابن عدي في مسامله ومن طريقه البيهقي في الشعب وابن الجوزي في العلل المتناهية لكن مرفوعا قال الحافظ السخاوي وهو باطل مرفوعا وموقفا قال وقد رواه مرفوعا أيضا القضاة في مسند الشهاب من طريق أبي عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال كنت عند الاعمش فذكر القصة والحديث اه كلام السخاوي قلت وقد رواه العسكري في الامثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي) رواه الديلمي من حديث معاذ بن مسعود ضعيف منقطع بلانظ اللهم لاتجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة وفي لفظ نعمة براءه بها قلبي وقد تقدم (اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا اذا حقق) وتوكل فيه (رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

الانسان عبد الاحسان وقد جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي اشارة الى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجوع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

الذي يكون سبباً في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصغوب بين حب العلييب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاته والعليب محبوب لاذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاساذ محبوب والاساذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبه لكن الطعام محبوب لاذاته والدنانير محبوبه لانها وسيلة الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافكل واحد رجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن (٥٥٥) لاحسانه فإحب ذاته تحقيقاً

الذي يكون سببا في دوام صحة اعضاء ففرق بين حب الصحة و بين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة
مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب بالذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم
محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوب
لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوب لانها وسيلة الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا
فكل واحد رجع الى محبة الانسان نفسه فمكان من أحب المحسن لاحسانه فمأ أحب ذاته تحقيقا بل أحب
احسانه وهو فعل من أنفعله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد (الحب
(ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب سبب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ
ينال منه وراعا ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ) رتبة السكال (الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن) والجليلة الحسن وقيل هو الحسن الكثير والحسن عبارة عن كل مبتهج مرغوب
فيه وقيل هو كون الشيء ملائما للطبع وكونه صفة كمال وكونه يتعلق به المدح (فان كل جمال محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين الذة والذة محبوبة لذاتها لا لغیرها ولا تنظر أن حب الصور
الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس
الجمال أيضا الذي يفحور أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا لشرب الماء
وتوكل الخضرة أو ينال منها يحظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تجمبه الخضرة والماء
الجاري) قال العراقي رواه أبو نعیم في العال من حديث ابن عباس كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء
الجارى واسناده ضعيف اه قلت هذا اللفظ أبي نعیم وقد أخرجه ابن السني في الطب بلفظ المصنف الا انه قال
كان يجمبه النظر الى الخضرة والى الماء الجاري أخرجه من طريق الحسن بن عمر والسدي عن القائم بن
مطيب الجلي عن منصور بن عبد الرحمن الجلي عن أبي عبد الله بن عباس عن ابن عباس والقاسم بن مطيب
ضعفوه قال ابن حبان كان يخطئ على قلة رواية وقال في الديوان استحق الترتك (والطباع السامية قاضية
باستاداذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المألحة الالوان الحسنة النقش المناسبة الشكل حتى ان الانسان
لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراعا النظر فهذه الاسباب ملذذة وكل لذيذ محبوب وكل
حسن وجمال فلا يخجلوا دراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان
لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
قال الراغب الجمال ضربان أحدهما يختص بالانسان في نفسه وقوله والثاني ما يصل منه لغيره ومنه الحديث
المذكور وتبين ان منه تفيض الخيرات الكثيرة فحب من يتصف بذلك اه قال العراقي رواه مسلم في أثناء
حديث لان مسعود اه قلت وقد رويت هذه الجملة صدر حديث عندنا لكرم من حديث عبد الله بن عمرو
هكذا من غير زيادة وقد روى زيادة ويحب أن يرى نعمته على عبده رواه أبو جلي من حديث أبي سعيد
وبزيادة ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها رواه الطبراني في الاوسط وابن عساكر من حديث جابر روى
ابن عساكر عن ابن عمر ان أبا ربحانة قال يا رسول الله اني لاحب الجمال حتى في نعلي وعلاقة سوطي أفن البكر

* (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال) اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغاب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن (٥٥٦) الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين

تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول بكل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر مكر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يابق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها

ذلك قال ان الله جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده الكبير من سفة الحق ونقص الناس اعمالهم وروى مسلم والترمذى من حديث ابن مسعود ان الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق ونقص الناس وقدر واه الطبراني من حديث أبي أمامة نحوه ورواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة مرسلنا نحو حديث جابر (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم) أرشدك الله تعالى (ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الاتناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة) وسواد الشعر وسعة العين وارتفاع الارنية (الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغاب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة (وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه) والكلام فيه (وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق) الصريح (ونقول كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق له الممكن به) سواء كان معنى ثبت في ذاته أو لمعنى ثبت في غيره وسواء كان ذلك مما استحسنته العقل أو الهوى أو الحس (فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال) واليه المنتهى في الاستحسان (فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر) ويقع الاستحسان على ذلك القدر الحاضر (فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون) هذا مما يتعلق بظاهره وفي الالوان اختلاف الناس وانما يقع الاعتبار فيها بما تميل اليه النفوس والريجات وهي تختلف ويأتحق بذلك الشيبات (وحسن عدو) وارتكاض (وتيسر ك) أى الجملة (وفر) أى الرجعة (عليه) وهذا مما يتعلق بباطنه فانها أخلاق باطنية قد تكون خلقه وقد تكون من طول الرابضة والتعذيب وهو الاكثر (والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها) أى تقابلها (واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها) بالحدود المذكورة في فن الخط (ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) ولكل ذلك نظائر وأشياء لا تحق (فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال

واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق

بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته (٥٥٧) أرباب المذاهب وليت شعري من

يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب وانما يحبه اصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره أو يحب علياً رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعبد له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره من خصال الخير (فعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحموده التي هي مصادر السيرة الجيلة) ومن جله ذلك السر الذي كان وقربه صدره (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا ذواتهم بالابصار ولا حقوا أعصارهم (بل على حب ارباب المذاهب) المتبوعة (مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك) وأحمد (وغيرهم) رجعهم الله تعالى (حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته أرباب المذاهب) وأكثرك ذلك في ديار خراسان فيما سبق من الزمان (وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع (التراب) وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة) فاما الحواس فقاصرة عنها أي عن ادراكها (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويحب علياً رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويتعبد له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره من خصال الخير (فعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحموده التي هي مصادر السيرة الجيلة) ومن جله ذلك السر الذي كان وقربه صدره (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فعلم ان من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحموده التي هي مصادر السيرة الجيلة فكل الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتميا بالسخاوة ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار فاذا اليس (٥٥٨) حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي

قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبهيم الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء لجمال صورته الباطنة (السبب الخامس) المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه (اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا) عن بصره (أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس (التي تدرك بالحواس) الظاهرة (بل لما وصف الناس حاتميا) الطائي (بالسخاوة ووصفوا خالدًا) بن الوليد رضي الله عنه (بالشجاعة) أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك (الموجودين) (في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير) على المحاويع من أهل ملكته (غاب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار) الموجب لعدم الوصول الى تلك الاقطار (فاذا اليس حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها) لان كل ذلك تابع للادراك (ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة) بسبب انتشار صدره بافاضة النور القدسي عليه (كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء) عليهم السلام (لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم) الارواح جنود مجنونة (فاتعارف منها اتلف وماتنا كرمها) (اختلف) رواة البخاري من حديث عائشة وأجد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة والعقيلي والدارقطني وأبو نعيم من حديث علي والطبراني من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث سلمان وقد تقدم الكلام عليه (وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه ان يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن) وجعل الكمال محمدا بن اسحق الصوفي رحمه الله تعالى هذه الاقسام كلها راجعة الى سببين أحدهما الانعام والثاني الجمال وسيأتي نص كلامه في آخر هذا الفصل (فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فاتعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالامحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لامحالة في أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى * (بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده) * وان من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته الله تعالى وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباع لان محبوب محبوب ومحبوس المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوالبصائر الا الله تعالى ولا مستحق (٥٥٩) للمحبة سواه وايضا حده بان يرجع الى

العلم حسن التـدبير يحسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاحمال غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب للاحمال في أعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور ركنها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى

وجوده من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله وبالله فهو المختار الموجد له وهو الباقي له وهو المكمل لوجوده
بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والافعال بدم من حيث لا وجود له من ذاته بل هو محو
بعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله
عليه بالاكمل لخلقته بالجمله فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف
ذاته ووجود ذاته مستقادم من غيره فبالضرورة يجب المفيد لوجوده والمديم له ان يعرفه خالق الموجد او مخترا عما بقيت وما بنفسه ومقوما لغيره
فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه ووربه والمحبة عمرة المعرفة فتعدم بانعدامها وتضعف بضاعتها وتقوى بقوتها

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة الى (٥٦٠) الشجر والنور بالإضافة الى الشمس فان الكل بالآخر قادرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن

وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة الى أوهم العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذا انكشف لارباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الابصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورته أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا أن كان حب الانسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضض عالم البهائم اعلم ان في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقدر به القصور في حضض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير ان الى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة الى اللب وكالصوره والقلب بالإضافة الى الروح وكالظلمة بالإضافة الى النور وكالاسفل بالإضافة الى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عا كفون في حضرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها ما بل داعية الى طلب القرب الى الله تعالى فن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهان الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهان الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

ولذلك قال الحسن البصري (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقد تقدم قريبا (وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي هو قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل) ومداره (وكل ما في الوجود بالإضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة الى الشجرة) ولذا قيل للعقل الاول الظل الاول لانه أول عين ظهرت بنوره تعالى وقبلت صورة الكثرة التي هي شئون الوحدة الذاتية وقيل للانسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية ظل الاله وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي بكر السلطان ظل الله في الارض فن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله (والنور بالإضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر) وهذا السياق اذا تأملته رأيت مماثلات الى وحدة الوجود الذي قال به أهل الحقيقة وهي مشكلة مشهورة شديدة الاختلاف بينهم وبين علماء الظاهر وقد أشار المصنف الى ذلك في عدة مواضع من كتابه هذا منها في هذا الموضع ومنها ما سر في كتاب الصبر والشكر وهو قوله النظر بعين التوحيد المحض يعرفك انه ليس في الوجود غيره تعالى الخ وصرح بذلك في كتابه مشكاة الانوار وغيره وقد صرح بها الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفتوحات (بل هذا المثال صحيح بالإضافة الى أوهم العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذا انكشف لارباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الابصار) وأقوى منها (ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورته أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى) فالنور الحق هو الله تعالى لذاته وبذاته ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها وهي مستفادة من النور الاول وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره وكل ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهره والثاني كنسبة النور الى الشمس (ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق) لاتساعها وضيق ظروف الامثلة (فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضض عالم البهائم اعلم ان في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقدر به القصور في حضض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير ان الى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة الى اللب وكالصوره والقلب بالإضافة الى الروح وكالظلمة بالإضافة الى النور وكالاسفل بالإضافة الى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عا كفون في حضرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها ما بل داعية الى طلب القرب الى الله تعالى فن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهان الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهان الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضض عالم البهائم

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عذره وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعداها اذ ليس يحيط بهم احصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز والاحسان منه هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتى احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك (٥٦١) وألزم في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه

في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عذره وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعداها اذ ليس يحيط بهم احصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز والاحسان منه هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتى احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وخلق داعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك والى في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لك لا يستطيع مخالفته ولا يقدر على مجاوزته (فالحسن) في الحقيقة هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك فهو مظهر من مظاهر قدرته (فصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته في نفسك محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستخار لحاجاته (أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق للطاعة والمحبة كما كان الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه) ظاهر (فلا يلقى في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فليست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر الجليل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) أجلا (بسبب قبضك المال فقد استخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من له عوضا هو أرح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خايع الامير الى من

(٧١ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستخار أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكأن الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقى في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فليست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خايع الامير الى من

نطلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديناً ودينياً في بذله فبذلك الثاني انه معترض عما بذله حظه أو في عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً ممتولاً بل الحظوظ كلها أعراض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احساناً اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع (٥٦٢) الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان

خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديناً ودينياً في بذله فبذلك الثاني انه معترض عما بذله حظه أو في عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً ممتولاً بل الحظوظ كلها أعراض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم على العالمين احساناً اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض) وانما قلنا على وجه الكمال فان العبد قد يتجمل بهذا الوصف بالاكتساب بنوع من التكلف وهو مع ذلك ناقص بالإضافة الى الجواد المطلق والمحسن (فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطابع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضاً موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولاً بايجادهم واخراجهم من عدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (ونائباً بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثاً بتدبيرهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً بتجسيمهم بالزوايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد) وهي الرئة (ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وجرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

كان في الطبع حسب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضاً موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو

البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن اليك وهذا أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولاً بايجادهم ونائباً بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثاً بتدبيرهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً بتجسيمهم بالزوايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وجرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزايدة خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدم الحاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنّف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره بحسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لالخط ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة (٥٦٣) بعين الرأس والى جمال الصورة

الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) تهذيبها وتجريد هاعن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزايدة خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدم الحاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنّف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره بحسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لالخط ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) تهذيبها وتجريد هاعن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمه الله عليه فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم واصلاح عباد الله

بالإرشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يجب
الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى (أما العلم) فأين علم الأولين والآخرين
من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل أحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم
فقال عز وجل وما أوتيتهم من العلم الا (٥٦٤) قليلا بل لواجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة

بالإرشاد والتعليم) (والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل) (والنفسية والخبائث) (الباطنة) (والشبهوات
الغالبة) على باعث الحق (الصارفة عن سنن الخير) (والصلاح) (الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يجب
الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى
أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي (من شأنه) (يحيط بالكل أحاطة خارجة عن
النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما أوتيتهم من العلم
الا قليلا) حتى كان ابن عباس يقول أنا من ذلك القليل (بل لواجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا
بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة أو بعرضه لم يطالعوا على عشر عشر ذلك) كما قال تعالى (ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء) وقال تعالى ولا يحيطون به علما (والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم في تعليمه علموه كما
قال تعالى خلق الإنسان علمه البيان) وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير (فإن كان جلال العلم وشرفه
أمر محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكذا للموصوف به فلا ينبغي أن يجب بهم هذا السبب الا الله تعالى فعلاوم
العلماء جهل بالاضافة الى علمه) تعالى (بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحالة أن يجب بسبب
العلم الاجهول ويترك العلم وان كان الاجهول لا يخلو عن علم ما تقتضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين
علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم لان العلم لا يفضل الاجهول الا بعلاوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الاجهول بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم
خارج عن النهاية اذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية) والحاصل ان العبد حظا من وعرف العلم
لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى في خواص ثلاث احداها ما أشار اليه المصنف وهو كثرتها فان
معلومات العبد وان اتسعت فهي محصورة في قلبه فاني تناسب بالانهاية لها والثانية ان كسفت فلا يبلغ الغاية
التي لا يمكن راعها بل تكون مشاهدته الاشياء كانه يراها من وراء ستور رقيق ودراجات الكشف متفاوتة ووفق
بين ما يتضح وقت الاسفار وبين ما يتضح أول ضحوة النهار والثالثة ان علم الله تعالى بالاشياء غير مستفاد من
الاشياء بل الاشياء مستفادة منه وعلم العبد بالاشياء تابع للاشياء وحاصل بها وان اعتناص علمك فهم هذا
الفرق فأنسب علم متعلم الشطر نفع الى علم راضع فان علم الواضع هو سبب وجود الشطر نفع وجود الشطر نفع هو
سبب علم المتعلم وعلم الواضع سابق على الشطر نفع وعلم المتعلم مسبوق ومتأخر عن الشطر نفع فكذلك علم الله تعالى
بالاشياء سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك والله المثل الاعلى (وأما صفة القدرة فهي أيضا كمال والعجز
نقص فذلك كمال وجهاء وعظمة ومجدوا استيلاء فانه محبوب وادراكه لذيق حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية
والمحاورات (شجاعة على) بن أبي طالب (وخالد) بن الوليد رضي الله عنهما (وغيرهما من الشجعان)
المشهورين جاهلية واسلاما (وقدرتهم ماواستيلاءهما على الاقران) من أهل زمانهما (فيصادف في قلبه اهتزازا
وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد دلالة السماع فضلا عن المشاهدة وبورث ذلك حبا في القلب ضروريا بالامتصاف
فانه نوع كمال فأنسب الا أن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم
بطشا وأقهرهم للشهوات وأقنعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مأمته

وبعوضة لم يطالعوا على
عشر عشر ذلك ولا
يحيطون بشئ من علمه
الا بما شاء والقدر اليسير
الذي علمه الخلائق كلهم
في تعليمه علموه كما قال تعالى
خلق الإنسان علمه البيان
فإن كان جلال العلم
وشرفه أمرا محبوبا وكان
هو في نفسه زينة وكذا
للموصوف به فلا ينبغي
أن يجب بهم هذا السبب الا
الله تعالى فعلاوم العلماء
جهل بالاضافة الى علمه
بل من عرف أعلم أهل
زمانه وأجهل أهل زمانه
استحالة أن يجب بسبب
العلم الاجهول ويترك
العلم وان كان الاجهول
لا يخلو عن علم ما تقتضاه
معيشته والتفاوت بين
علم الله وبين علم الخلائق
أكثر من التفاوت بين
علم أعلم الخلائق وأجهلهم
لان العلم لا يفضل
الاجهول الا بعلاوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان
أن ينالها الاجهول
بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله تعالى على

علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية (وأما صفة القدرة) فهي أيضا كمال والعجز قدرته
نقص فذلك كمال وجهاء وعظمة ومجدوا استيلاء فانه محبوب وادراكه لذيق حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالد رضي الله تعالى
عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهم ماواستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد دلالة السماع فضلا
عن المشاهدة وبورث ذلك حبا في القلب ضروريا بالامتصاف فانه نوع كمال فأنسب الا أن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص
قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقنعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مأمته

قدرته وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ور يا حها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين (٥٦٥) اذ قال انما مكنته في الارض فلم يكن

جميع ملكه وساطنته
الا بتمكن الله تعالى
ايه في جزع من الارض
والارض كلها مدرة
بالاضافة الى اجسام
العالم وجميع الولايات
التي يحظى بها الناس
من الارض غير من
تلك المدرة ثم تلك الغيرة
ايضا من فضل الله تعالى
وتمكنه فيستحيل أن
يجب عبدا من عباد الله
تعالى لقدرته وسياسته
وتمكنه واستيلائه وكما
قوته ولا يجب الله تعالى
لذلك ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فهو
الجبار القاهر والعليم
القادر السموات مطويات
بيمينه والارض وملكها
وماعليها في قبضته وناصية
جميع المخلوقات في قبضة
قدرته ان اهلكهم من
عند آخرهم لم ينقص من
سلطانه وملكه ذرة وان
خلق أمثالهم ألف مرة
لم يعب خلقه ولا يعبسه

قدرته (واما بلغها) وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته (من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها) من ملكوت الارض وجبالها وبحارها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك (وأقوى شخص من الحيوانات) كالقمل (لا هلكه) ما هلك النمرود به فمرو في التواريخ وأما هلك الفيل به فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدبيري وغيره ان البعوض اذا دخل في أذن الفيل كان سبب هلاكه ولذلك لا يزال يحرك آذانه شبه المراويح لئلا يقربه البعوض (فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه) ومع ذلك فهي ناقصة الا لتناول البعض الممكنات ولا تصلح للاختراع بل الله سبحانه هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ جميع أسباب الموجودات المقدورة (كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين) الاسكندر (اذ قال انما مكنته في الارض) وآتيناه من كل شئ سبيبا (فلم يكن جميع ملكه وساطنته الا بتمكن الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غير من تلك المدرة ثم تلك الغيرة ايضا من فضل الله وتمكنه فيستحيل أن يجب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكما قوته ولا يجب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر) ملك الاوائل والاواخر (السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وماعليها في قبضته ناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعب خلقه ولا يعبسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو أئمن آ ن نار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مومجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مستغرا مضطرا هو عين النقص والعيب واليه الاشارة بقول بعض العارفين وجود ذنب لا يقاس به ذنب ويقول الشيخ زمران * كمال شرك خفي (فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور ان ينعم عن كماله على

لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو أئمن آ ن نار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مومجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مستغرا مضطرا هو عين النقص والعيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور ان ينعم عن كماله على

غيره فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا (٥٦٦) وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه

نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لاندله الصمد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجته القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الارلى الذي لا أول لوجوده الابدى الذي لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات

غيره) بحيث يصل الى غاية ليس وراءها من يد من كل وجه (فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره) اذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده (فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب) المبرأ عن الاعتلال والاختلال (وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول) بمانه وتفصيله (وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا نطول بذكره) لانه لا يليق بهذا المقام (فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجته القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذى لا يعزب) اى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا تنفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الارلى الذى لا أول لوجوده الابدى الذى لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال) وهذه كلها صفات الجلال وهى اذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جبالا وسمى المنصف بها جبلا وانما كان الحق هو الجبل المطلق لان كل ما فى العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس فى الوجود موجد له السكال المطلق الذى لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم (الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال) مشبرا الى هذا المقام (سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) سبحانه (لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث عائشة اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد تقدم وعند ابن خزيمة من هذا الوجه وأعوذ بك منك لأحصى مدحك الاثناء عليك وفى آخر عنده أيضا من وجده آخر عنها وبغفوك من عقوبتك وبك منك أثنى عليك لأبلغ كل ما فى وفى آخر عند الخليلي من وجده ثالث عنها لأحصى أسمائك ولا ثناء عليك وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث على رضى الله عنه (وقال سيد الصديقين) أبو بكر (رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لا يجعل للحق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته) قال المصنف فى المقصد الاسنى نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشف ما فهمه انما ساقده عرفوه أى بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وهو الذى أشار اليه الصديق بقوله المذكور بل هو الذى عناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لزمانة فى العبارة عنه بل معناه انى لا أحيط بمحمدك

وصفات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لم يجعل للحق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً أي تذكر ان هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوعون الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرته على جماله وجلاله أن يطاع عليه الامن سبقت له منه الحسنى الذين هم (٥٦٧) عن نار الحجاب بعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون

وصفات الهيئت وانما أنت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط بخلق من ملا حظة حقيقة ذاته الاباحية والدهشة انتهى (فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً) بمعنى الطاعة والامثال (أي ينكر ان هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوعون الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه) وهم أهل البصيرة الباطنة (فسبحان من احتجب عن بصائر العميان) وهم الذين فقدوا تلك البصيرة (غيرته على جماله وجلاله ان يطلع عليه الامن سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى) يتيهون وفي مسارج المحسوسات وشهوات البهائم (يترددون) وبحكم مبالغتهم في علمهم (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) والحاصل انه اذا ثبت انه جليل فكل جليل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله ولذلك كن الله محبوباً ولكن عند العارفين والمنكرين لهذا جاهلون ومن جهل شيئاً أعاده وهذا كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوباً ولو كن عند المبصرين لا عند العميان (فالحب بهما السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص وكذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أودا اوداء) أي أكثرهم وذا (الى من عبدني بغير نوال) أي عطاء (لكن ليعطى الربوبية حقها) كذا في القوت (وفي الزور) فيما نقله ابن منبه (ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار) أي جاء أو خوفاً (لوم أخلق جنه لا ناراً ألم أكن أهلاً ان أطاع) كذا في القوت (ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا ونغيرت ألو انهم فسألهم عن حالهم) فقالوا نخاف النار (مر على آخرين فرأهم كذلك وسألهم فقالوا (نرجو الجنة فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فجوتم وبقوم آخرين) فرأهم (كذلك) فسألهم (فقالوا نعبده حباً له وتعظيمه بالجلاله فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقم) وقد مر هذا قريماً باسماً مهابتاً وفيه فضل لهم أنتم المقربون أنتم المقربون وقد ذكره صاحب القوت باللفظين (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج التابعي العابد رجه الله تعالى (اني لاستحي ان أعبد له للثواب والعقاب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل) نقله صاحب القوت فقال ومن أقم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي ان أعبد له للثواب فاكون كالاجير السوء ان لم يعط أجزعه لم يعمل ولكن أعبدته بحبة له رواه أبو تميم في الحلية عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا ابراهيم ابن الجنيد حدثنا أحمد بن ابراهيم بن كثير والهيثم بن جميل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم اني لاستحي من ربي عز وجل ان أسأله شيئاً فاكون كالاجير اذا عمل عمل طيب أجره ولكن اعلم تعظيمه (وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل) لفظ القوت وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وقال العراقي لم أجده أصلاً (وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمناسبة والمشاكله لان شبهة الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه) كل ذلك للتناسب (وانس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف) أي المستقل بالحرفة والكسب (وانس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح) وبالعكس (وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والا تاركاً استقصائه في باب الاخوة في الله في كتاب آداب

وفي مسارج المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أودا اوداء الى من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها وفي الزور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنه ولا ناراً ألم أكن أهلاً ان أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فجوتم وبقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حباً وتعظيمه بالجلاله فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقم وقال أبو حازم اني لاستحي أن أعبد له للثواب والعقاب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل

وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمناسبة والمشاكله لان شبهة الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وانس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والا تاركاً استقصائه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب

العجبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب الحاجة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كنسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة (٥٦٨) باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها

العجبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كنسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطالع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين (أي فما تناسب منها في عالم الازل حصل بينها الائتلاف في عالم الشهادة وما تباين منها هناك أو جب حصول الاختلاف ههنا) وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قبل تخلقوا باخلاق الله (أي تخلقوا بها في صفاته وأسمائه) وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللاطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة) وذلك فيما أمكنه منها (فكل ذلك تقرب الى الله تعالى) لانه به يصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى (لا يعني طلب القرب بالمكان بل بالصفات) ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر من الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الاله ولم يكن الموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها كالاتفاوتة بالاضافة فأكملها أقرب للاحتمال الى الذي له الكمال المطلق أعنى قريبا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان (واما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي) دون سائر المخلوقات (فهى التي يومئ اليها قوله تعالى ويستأنسوا بالروح قل الروح من أمر ربى اذ بين انه أمر ربى باى خارج عن حد عقول الخلق) وهكذا شأن أمور الربوبية آله الخلق والامر (وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) فقوله ساجدين (ولذلك اسجد له الملائكة) اثر ذلك النفخ والتسوية ومن قوله وأوضح من ذلك الى هنا قد سقطا من بعض النسخ وقد أشار الى ذلك المصنف في كتاب النفخ والتسوية ومنهم من أنكر نسبة هذا الكتاب اليه كما ذكرنا في مقدمة كتاب العلم (ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة) لانه انمؤذج من نور الله تعالى ولا يخجلوا الاغوذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا راجع بما هزل للخطن لسر الآية (واليه رمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه (حتى ظن القاصرون) من العلماء (أن لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس) الظاهرة وأنكروا الصورة الباطنة المدركة بالبصيرة الباطنة (فشبهوا وجسمه وصوره واتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا) واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدتنى عنده) روى مسلم من حديث أبى هريرة ان الله تعالى

فى الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قبل تخلقوا باخلاق الله (أى تخلقوا بها فى صفاته وأسمائه) وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللاطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما لا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومئ اليها

قوله تعالى ويستأنسوا بالروح قل الروح من أمر ربى اذ بين انه أمر ربى باى خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ولذلك أسجد له ملائكته ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه رمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبها وصوره واتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدتنى عنده

يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى
 فلا نامرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده الحديث (وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواطبة على
 النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت
 سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي
 هريرة وقد تقدم قلت رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد
 وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد آستحل بحمار بني وماتقرب الى عبدى
 بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كتبت عنه التي يبصر بها واذنه
 التي يسمع بها يده التي يمس بها ورجله التي يمشي بها ويده التي يمس بها ووفاءه الذي يعقل به ولسانه الذي
 يتكلم به وان دعاني أجبتني وان سألتني أعطيتني الحديث وروى ابن السني في الطب من حديث ميمونة قال الله
 تعالى ما تقرب الى العبد بمثل أداء فرائضه وانه ليتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت رجله التي
 يمشي بها ويده التي يمس بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به ان سألتني أعطيتني وان دعاني أجبتني
 وروى في حديث أنس وماتقرب الى عبدى المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب بعبدى المؤمن بمثل أداء
 ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومريدا
 الحديث رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في
 الاسماء وابن عساكر وقال المصنف في مشكاة الانوار منتهى معراج الخلائق فملكته الفردانية فليس وراء
 ذلك مرتقى اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعي بانه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذ ارتفعت
 الكثرة خفت الوحدة وطلبت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتقى فاستحال الترقى
 واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان من تغيب
 حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراف من علو الى اسفل لان الاعلى له اسفل وليس له أعلى فهذه غاية
 الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجمله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه
 الا العلماء بالله فاذا انطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعدان قال العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو
 نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو بعد منه اذ قال هـ ذا المستغرق بالفردانية أيضا له نزول الى السماء
 الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس وتحرريك الاعضاء واليه الاشارة في الخبر صرح سمعه الذي يسمع
 به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر
 والناطق اذا لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركت هـ ذا الموحد من السماء الدنيا
 واحساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يتربى من سماء العقل في منتهى معراج
 الخلائق وملكته الفردانية الى سبع طبقات ثم بعده يستوى على عرش الوحدة ومنه يدبر الامر لطبقات
 سماواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يعين الناظر فيه فيعلم
 أن ذلك له تأويل كقوله انا الحق وسبحاني بل كقوله مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه (وهذا
 موضع يجب قبض عنان القلم فيه) فما يطبق الناس من هذا الفن أكثر من هذا المقدار (فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصر من مالوا الى التشبيه الظاهر) فلم يفهموا من الصورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس وكذا
 في النزول الى السماء الدنيا واضرب ذلك الى (عالين مسرفين) تجاوزوا في الحدود (وجاوز واحد المناسبة الى
 الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق) والقول بالاتحاد باطل لان قول القائل ان العبد صار الرب كلام
 متناقض في نفسه وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون الا بطريق التوسع اللائق بعبادة الصوفية
 والشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام في الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر
 * انا من أهوى ومن أهوى انا * وذلك مؤول عنده فانه لا يعني انه هو تحقيقا بل كانه هو فانه مستغرق

وهذه المناسبة لا تظهر الا
 بالمواطبة على النوافل
 بعد احكام الفرائض
 كما قال الله تعالى لا يزال
 يتقرب العبد الى
 بالنوافل حتى احبه فاذا
 احبته كنت سمعه الذي
 يسمع به وبصره الذي
 ينطق به وهذا موضع
 يجب قبض عنان القلم
 فيه فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصر من مالوا
 الى التشبيه الظاهر والى
 غالبين مسرفين جاوز
 واحد المناسبة الى الاتحاد
 وقالوا بالحلول حتى قال
 بعضهم انا الحق

الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز ومن لم يجد في القلب الا جلال الله وجله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لانه هو حقيقة وخلق بين قولنا هو وكأنه هو ولا يمكن قد يعبر بقولنا هو وعن قولنا كأنه هو وقول أنا الحق اشهر به الحسين بن منصور الحلاج وقد أجاب عنه المصنف في المقصد الاسنى فقال حظ العبد من اسمه تعالى أن يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد وان كان حقا فليس هو حقيقة نفسه بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى فانه موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا اتحاد الحق له فقد أخطأ من قال أنا الحق الا باحد وجهين أحدهما ان يعنى انه بالحق وهذا بعيد لان اللفظ ينابى عنه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى فهو بالحق الثاني أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أخذ كلية الشئ واستغرقه فقد يقال انه هو فان جاؤ هذين التأويلين الى الاتحاد فذلك محال قطع او اما الحلول فهو أيضا باطل فان المفهوم منه أمران أحدهما النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالجسم لا يرى عن معنى الجسمانية يستحيل في حقه ذلك والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فان العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بانه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدفع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحمل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة الواقعة بين الاجسام فلا يتصور الحلول بين عبيدين فكيف يتصور بين العبد والرب (وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الله) وقد غلطوا في ذلك ومنشأ غلطهم انهم نظروا الى كمال ذاته وقد تزين بماتلا في فيه من حلية الحق فظنوا انه هو الاله (وقال آخرون) منهم (تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به) أى اتحد الناسوت باللاهوت وكل هذه اخلاط فاحشة تقضى المروق عن الدين والوقوع في الكفر الصريح (واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل) المفهوم من قوله تعالى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير (واستحالة الاتحاد والحلول) وكذا استحالة الانتقال والاتصاف بامثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة (وانضح لهم مع ذلك حقيقة السير فهم الاقلون ولعل أبا الحسن) أحد بن محمد (النورى) البغدادى المتوفى سنة ٢٩٥ من أقران الجنيد نسب الى نور الوعظ (عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل اذ انشد له)

(لازلت أنزل من وداك منزلا * تخير الالباب عند نزوله)

(فلم يزل يعدو في وجده) حتى وقع (على أجرة قد قطع قصها وبقي اصوله) محمودة كالسنان (حتى تشق قدماء وتورمتاومات من ذلك) وقد تقدم هذا في كتاب الوجد والسماع (وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذهي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهري في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر) والكشوفات الباطنة (حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط) وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفي في مقاصد الخبيات مانصه الناس يتفاوتون في الحب تفاوت لا ينحصر على قدر الاسباب الموجبة لحب الله تعالى فان المحبة تكون مسببة عن معرفة انعام الله تعالى واحسانه وافضاله وتكون مسببة عن جمال الله وكماله وهذه أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلها متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيها شغل عن الله ولان الاحسان يزيد وينقص وهذا المحبة الناشئة عن الجمال والكمال من أثر نعم الله على العباد لانهم تعريفا له بما هو به وتقريب منه لان التصور يصير كامنا تحت أشعة الافضل اذا امتلا القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للعالم والامام الغزالي ذكر للمحبة أسبابا خمسة اذا أهملت النظر فيها رأيتها داخله تحت هذين السببين اما المحبة العبدية من أجل ان الله خلقه وأبقاه وخلق له الآلات المكمل لبقائه فهو من جملة احسان الله اليه واما محبته لاجل احسانه العام على سائر العباد فهو من جملة الفعل وكماله الذاتي واما محبتك العبدية لاجل الاوصاف الباطنة من العلم والقدرة

وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون منهم تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول وانضح لهم مع ذلك حقيقة السرفهم الاقلون ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل

لازلت أنزل من وداك منزلا

تخير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على أجرة قد قطع قصها وبقي اصوله حتى تشقت قدماء وتورمتاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذهي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهري في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط

ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا حرج لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقاقا لا يساهم (٥٧١) فيه أصلا * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى

والارادة وموازاة الارواح القدسية وتزويجها عن الحلول في المواطن والقرب والبعد والكمية فذلك أيضا من افضال الله تعالى على عبده لانه الذي خلقه وعدله وخلق له بعد التعديل روحا مقدسة من الحس وعوارضه وأقام له بها اعراضا شريفة هي علوم ومعارف يعرف بها ربه انتهى * ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب الخمسة يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الاوصاف و) نهاية (الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا حرج لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا) أي لا يشارك وهذه الخواص الالهية ليست الله تعالى ولا يعرفها الا الله تعالى فلا حرج لا يتصور أن يعرفها الا هو أو من هو مثله واذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره وهذا يشترش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم القول بالتعطيل وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام والله الموفق * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم)

(وانه لا يتصور ان يؤثر عليه الذة أخرى الا من حرم هذه الذة) ولم يكن له منها نصيب واخر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذات) بأسرها (تابعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع لجملة من القوى والغرائز) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية (واكل قوة وغرزة) منها (لذة) يدرك بها الملائم من حيث انه ملائم (ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا) لا فائدة فيها ولا حكمة (بل ركبت كل قوة وغرزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغرزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام) من المغضوب عايمه (فلا حرج لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغرزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام) للبدن (فلا حرج لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم) وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة يلتذ بتذكريها (فلا تخلو غرزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة) فما كان ملائما يسمى لذة ومالا فالماوكل ذلك (بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غرزة تسمى النور الالهي) والفيض القدسي (لقوله تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فذلك النور هو الذي يفسح له الصدر فينور بأشعة (وقد تسمى العقل) وقد يسمى عين القلب وقد يسمى الروح وقد يسمى النفس الانسانية (وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين) وكل ذلك تعبيرات عن عين في القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة (ولامعنى للاشتغال بالاسامي) المختلفة (فان الاصطلاحات مختلفة) ولا مشاحة فيها (والضعيف البصيرة ربما (يظن أن الاختلاف واقع في المعاني) فيتوهم كثرتها بكثرة اسمائها (لان الضعيف شأنه) أبدا (يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب) فان دائرة المعاني أوسع من دائرة الالفاظ فلا تسكاد الالفاظ تحيط بها كما ينبغي) فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغرزة عقلا متابعة

والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليه الذة أخرى الا من حرم هذه الذة) * اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز واكل قوة وغرزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغرزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغرزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا حرج لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغرزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا حرج لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غرزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة

بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غرزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغرزة عقلا متابعة

بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذم بعض الصوفية والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي ان تدم وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة فائدة حتى أن الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم (٥٧٢) باللاعب بالشر نج على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك

لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر كاذبة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف المعارف (فان كان المعلوم شريفاً كان العلم به أشرف حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرغبة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

للجمه ورفي الاصل طالع ونعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن المجنون وعن البهيمة) بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا) وسماوا العلوم المحصلة من طريقه بالعقولات (ولهذا ذم بعض الصوفية) لما يطرأ في تلك العلوم التي طريقها العقل من الخيالات والادهام والاعتقادات ما يكون سبباً لفاش اغلاطهم (والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم) والأطفال والمجانين (ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات) وأنفسها وأعلىها وهي الحقيقة بان تسمى باسم النور وأولى بهذه التسمية من العين الظاهرة (فلا ينبغي أن تدم) ولا ينسب اليها النقص (وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة فائدة) هي أنفس الذات واعلاها (حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم) أي المباراة ومنازعة الغلبة (والتدح به) بين الناس (في الاشياء الحقيرة فالعالم باللاعب بالشر نج على خسته) وقلة قدره (لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال) وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه) ويرتاح اليه (ثم ليس لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر) والادب (كاذبة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف المعارف) فان كان المعلوم شريفاً كان العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرغبة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال

رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل فان اطلع على أسرار

الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه إلا أكثر لان لذته فيه أعظم فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقوان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتل (٥٧٣) من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النفس الى الوجه

الجميل الفائق الجمال
لذة النظر الى مادونه في
الجمال وانما تعرف أقوى
اللذات بان تكون مؤثرة
على غيرها فان المخبر بين
النظر الى صورة جميلة
والتمتع بمشاهدتها وبين
استنشاق روائح طيبة اذا
اختار النظر الى الصورة
الجميلة علم انها لذته
من الروائح الطيبة
وكذلك اذا حضر الطعام
وقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج على
اللعبة وترك الاكل
فيعلم به أن لذة الغلبة في
الشطرنج أقوى عنده
من لذة الاكل فهذا معيار
صادق في الكشف عن
ترجيح اللذات فتعود
وتقول تنقسم الى ظاهرة
كـ لذة الحواس الخمس
والى باطنة كـ لذة الرياضة
والغلبة والكرامة والعلم
وغيرها اذ ليست هذه

والجمال والبهاء والجلال أعظم) وأجل (من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها) وعظمها (وعجائب
أحوالها وصف الواصفين) وان بانوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على
أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات
وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح
والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقوان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في
ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة
والغضب وسائر الحواس الخمس) الظاهرة والباطنة (فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة
السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتل) أى الهاج الشهوة
(من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النظر الى الوجه) الحسن (الجميل الفائق الجمال لذة النظر الى
مادونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخبر بين النظر الى صورة جميلة
والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها لذته من الروائح
الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة
الغلبة) على قرنه (في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل) ولولا ذلك لترك اللاعب واشتغل بالاكل (فهذا
معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود وتقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كـ لذة الحواس الخمس
من ابصار واستماع وشم وذوق ولمس (والى باطنة كـ لذة الرياضة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست
هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة) أقوى (وأغلب على ذوى السكال
من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج) وهو الحلوى المتخذة من السكر واللوز
(وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة) دنيتها (ميت القلب
شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة) رفيعها (حي القلب) كامل العقل (منور البصيرة
(اختار الرياضة) والغلبة والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره
للرياضة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي
أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة) بمقتضى طبيعتهما (وإن
لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة
الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية) بعين البصيرة (ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على
الخلق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وغاية العبارة عنه ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى

اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى السكال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة
الدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد الهمة
اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره
للرياضة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة
كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة
الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية
العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى

لهم من قرة عين وانه أعدهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاتي اللذين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين برأسهم لعلمه بفنائه رياسته وفنائه من علمه رياسته وكونه مشربا بالكدر والالتفات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموث الذي لا بد من اتبانه مهـمـا أخذت الأرض زخرفها وأزانت وطن أهلها انهم قادرون على ما فيستعظم بالإضافة إليها معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام ملكه من أعلى عشرين إلى أسفل الساترين فانهم حالية عن (٥٧٤) المراجعات والمكدرات منسعة للموارد من علمها الاتصيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث

التقدير السماوات
والارض واذا خرج النظر
عن المقدرات فلانهاية
لعرضها فلا يزال العارف
بتطاعتها في جنة عرضها
السماوات والارض يرتفع
في رايضاها ويقطف من
ثمارها ويكرع من
حياضها وهو آمن من
انقطاعها اذا ثار هذه
الجنة غير مقطوعة ولا
ممنوعة ثم هي أبدية
سرمدية لا يقطعها الموت
اذا الموت لا يهدم محصل
معرفة الله تعالى ومحلها
الروح الذي هو أمر
رباني سماوي وانما
الموت يغير أحوالها
ويقطع شواغلها
وعوائقها ويخليها عن
جنسها فاما أن يعدمها
فلا ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم

لهم من قرءة أعين) وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (انه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وذلك فيما قاله حاكيا عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد) عن الخلق (والفكر والذكر) ويرابط قلبه على المراقبة (ويغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة) والاستعلاء (ويستحقق الخلق الذين برؤسهم) ويعلو عليهم (لعله بطنا عن رياسته وفنا عن عيبه ورياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلق عنها) ولا عن القدرة (وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض) أي أرض الوجود (زخرفها) أي زينتها (وازينت) أي تلات ثلاث بكامل سميتها (وظن أهلها انهم قادرون عليها) وتعام الآية أنها أمر نال بلا أنهار او المراد باتيان الامر هو الموت (فليست عظم بالاضافة اليها لانه معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته) العلية (وأفعاله) ومعاملاته مع عبيده (ونظام ملكوته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزايا) والمدافعات (والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واخراج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بها العناني في جنة عرضها السموات والارض) وانما خص العرض دون الطول لان الطول تابع للعرض أولان العرض أقل من الطول فاذا كان عرضها هكذا فما بالك بطولها (يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فاس من ثمرة يقطعها الا لا ينبت مكانها مثلها أو أحسن منها ولا حرج على قاطفها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محمل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي انما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها) ويجردها عنها (ويخلبها من حبسها فاما ان بعد مها فلا) قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية) وتماها فربحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا تظن ان هذا مخصوص بالماضي في المعركة فان العارف بكل نفس درجة ألف شهيد) في المعركة (وفي الخبر ان الشهيد يتنبي في الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) في الخبر أيضا (ان الشهداء يثمنون لو كانوا علماء ما يرويه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يعرك اليها بحسبه وشخصه فهو من مطالعة جبال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلا لانهم يتفاوتون في سعة تزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظريتهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسته باطنة أقوى في ذري الكمال من لذات الخواص كاهوا وان هذه اللذة لا تكون لهيمة ولا لصى ولا معنوه) اذ لا عقل لهم وان لذة المحسوسات والشهوات تكون

الآية ولا تظن أن هذا المخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر أن الشهيد يمتلئ في لذى الآخرة أن يراد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما مره من ثواب الشهادة وأن الشهداء يمتلئون لو كانوا العلماء وروبه من عاود درجة العلماء فإذا جميع أقطار المسكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال المسكوت في جنه تعرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظره وسعته معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنية أقوى في ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون إلهيمة ولا صبي ولا معتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان (٥٧٥) يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب

العلوم وان لم يشتعوا

بطلب معرفة الامور

الالهية فقد استشقوا

رائحة هذه اللذة عند

انكشاف المشكلات

وانحلال الشبهات التي

قوى حرصهم على طلبها

فانها أيضا معارف وعلوم

وان كانت معلوماتها غير

شريفة شرف المعلومات

الالهية فاما من طال

فكره في معرفة الله سبحانه

وقد انكشف له من

أمر ملك الله ولو الشئ

اليسير فانه يصادف في

قائه عند حصول الكشف

من الفرح ما يكاد يطير

به ويتعجب من نفسه في

ثباته واحتماله لقوة فرجه

وسروره وهذا ما لا يدرك

بالاذوق والحكاية

فيه قليلة الجدوى فهذا

القدر ينهلك على أن

معرفة الله سبحانه أنه

الاشياء وأنه لاذة فوقها

ولهذا قال أبو سليمان

الداراني ان لله عبادة

ليس يشغلهم عن الله

خوف النار ولا رجاء

الجنة فكيف تشغلهم

الدنيا عن الله ولذلك قال

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة على غيرها من الازدات (فاما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف وفي مفهومه لم يذق لم يعرف كما قيل

ولو يذوق عاذلى صباي * صباي لکنم اذاقها

وفي أول قصيدة ابن عني من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح بشره

(ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتعوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها) والبحث عنها (فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ اليسير) والقدر القليل (فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح) والارتياح (ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا ما لا يدرك الا بالاذوق) العرفاني الذي هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه قليلة الجدوى) أي القائدة (فهذا القدر ينهلك على أن معرفة الله سبحانه أنه الاشياء وأنه لاذة فوقها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان لله عبادة ليس يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) نفسه صاحب القوت (ولذلك قال بعض اخوان معروف) الكرخي قدس سره (له أخبرني) عنك (يا أبا محفوظ) وهي كنية معروف (أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أي ذلك البعض (ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ قال وأي شئ القبر والبرزخ فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كمالك جميع هذا) نقله صاحب القوت وزاد فقال وحدثت عن عبد الوهاب الحبي قال رأيت أحمد بن نصر الخزاعي في النوم فقات ما فعل الله بك فقال أدخلني علمي في داره و بسط لي حصيرا من لؤلؤ وطرب عن عيني فقال يا أحمد قتلت في وصبرتي فقلت نعم يا رب فقال ها أنا ذا أنزل اليك حتى تنظر الى وجهي جل جلال وجه ذي الجلال (وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا) ولفظ القوت مستغفرا (بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه) زاد في القوت والمحبة لله يجب النصب لله تعالى (ورأي بعض الشيوخ) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحنفي قدس سره (في النوم) ولفظ القوت وحدثني بعض الاشياخ عن منصور الحارثي وغيره انه رأى بشر بن الحرث في النوم (فقال) فقات له (ما فعل أبو نصر النار) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين سنه وروى له مسلم والنسائي (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (الوراق) البغدادي ثقة مات سنة ثمان وخمسين ومائتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي (قال تركتهما الساعة

بعض اخوان معروف الكرخي له أخبرني يا أبا محفوظ أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كمالك جميع هذا وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأي بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة

بين يدي الله تعالى بالكلمات وبشربان (٥٧٦) قلت فانت قال علم الله قلة رغبتني في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه ومع علي بن الموفق

بين يدي الله يا كلان و يشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتني في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه (كذا في القوت) (وعن) أبي الحسن (علي بن الموفق) تقدم ذكره في كتاب الحج (قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقيانه من جميع الطيبات وهو يا كل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضها ويرد بعضها قال ثم جاوزتها الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لاخوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبالة فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخيرين بشر بن الحرث وأجد بن حنبل) نقله صاحب القوت قال وهذا مقام الابدال في الطريق لا يقامون مقام ابدال الانبياء الا بعد صفاء اليقين وحسن المعرفة فان نصيبهم الى الله ينظرهم اليه فيجمع لهم بأول نظرة من النعيم والسرور ما لا يوصف جميع ما فوقه في الجنان كلها من اللذة والسرور والنعيم والحبور وفي النظرة الثانية فوق ذلك وفي النظرة الثالثة أعلى من ذلك وليس من الله حد ولا عدد ولهم أنصبة من وراء النظر أضعافا مضاعفة لا يعرفها سواهم ولا يسع ذكرها الا لهم ولا يطلب بها أحد دونهم لا يسع ذكرها في كتاب ولا يجوز تسميتها بخطاب الا لاهلها السائقين عنها الطالبين لها والراغبين فيها هي من سر الجبروت ونهاية الرغبات ولا يباعون درج الصديقين ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال فيتلألأون اليه ويذهلون به عن غيره وينسون في ذكره من سواه هو مذكورهم بذكره وما أواهم بظله فالحميون لله هم المخلصون نفوسهم لوجهه حقاق بعدونه لاجله صرفا وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج أهل المزج وهم أصحاب اليقين كذلك كانوا في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم ويرتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجددون المزيد في نفوسهم بقرهم منه كما بدأ أنا أول خلق نعيده وقد قال عز وجل اجزاء وفا أي وافق أعمالهم جزاؤهم وقال سبحانه وصفيهم أي يعطيهم غدا لوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار اليوم نعيمة طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه ووروحه بالملك الطيب فهو غدا في مقعد صدق عنده (ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بربه) (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (الربيع) ابنة اسمعيل العدوي البصري العابد رجه الله تعالى وكانت إحدى المحبين ماتت سنة ١٣٥ وكان الثوري يقدسه عديدين يدعيها ويقول علينا ما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا وقد كان الثوري زاهدا عالما الا انها كانت تجعله يشارك في الحديث والاقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل إيمان حقيقة و (ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء ان خاف عمل) (أو اذا أعطى عمل) (بل عبدته حبا له وشوقا اليه) وروى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحبي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها فكان هذا جوابا لانه قال سألني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبتها بأما حتى سئلت أن يدخل عليا فقال له يا شهواني أطلب سهوانية مثلك أي شئ رأيت في من آتاه الشهوة وخطبها محمد بن سليمان الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر اجعلها لك فكسبت اليه ما يسرني انك لي عبد ودان كل مالك لي وانك شغلتنني عن الله طرفة عين (و) قد (قالت في معنى المحبة) أبياتا (نظاما) تحتاج الى شرح جلها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الضبي وعبد الواحد ابن زيد وحامد بن زيد وهي هذه

(أحبك حبين حب الهوى * وحبالانك أهل لذل * فاما الذي هو حب الهوى

فشغلي بكرك عن سواك * وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للعجب حتى أراك

قال رأيت في النوم كأنني
أدخلت الجنة فرأيت
رجلا قاعدا على مائدة
وملكان عن يمينه وشماله
يلقيانه من جميع
الطيبات وهو يا كل
ورأيت رجلا قائما على
باب الجنة يتصفح وجوه
الناس فيدخل بعضها
ويرد بعضها قال ثم جاوزتها
الى حظيرة القدس
فرأيت في سرادق العرش
رجلا قد شخص ببصره
ينظر الى الله تعالى لا
يطرف فقلت لرضوان
من هذا فقال معروف
الكرخي عبد الله لاخوفا
من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبالة فاباحه النظر
اليه الى يوم القيامة
وذكر ان الاخيرين
بشر بن الحرث وأجد بن
حنبل ولذلك قال أبو
سليمان من كان اليوم
مشغولا بنفسه فهو غدا
مشغول بنفسه ومن كان
اليوم مشغولا بربه فهو
غدا مشغول بربه وقال
الثوري لرابعته حقيقة
إيمانك قالت ما عبدته
خوفا من ناره ولا حبا
لجنته فأكون كالاجير
السوء بل عبدته حبا له
وشوقا اليه وقالت في
معنى المحبة نظاما

أحبك حبين حب الهوى
وحبالانك أهل لذل
فاما الذي هو حب الهوى

فلا الجدي ذاولا ذاك لي * ولكن لك الجدي ذاولا ذاك

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الايات بكلام ساطع الانوار يعرف من رزقه وينكره من حرمه والمصنف رحمه الله تعالى أشار الى زبدة كلامه فلو رد كلامه اولاً ثم كلام صاحب القوت قال المصنف (ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة وبمحبه لما هو اهل له الحب لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين) فقد اشار بذلك الى ان كلامها يدل على ان المحبة بهذا السبب اقوى الاسباب واثبتها دواما واصحاب القوت فقال فاما قولها حب الهوى وقولها حب انت اهل له وتفرقتا بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويحسبه من لم يشهده وفي تسميته ونعت وصفه انكار من ذوى العقول من لا ذوق له منه ولا قدر له به ولكنك تجمل ذلك وتدل عليه من عرفه معنى حب الهوى اى رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لامن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فتختلف محبتي اذا نعتت ابرت الافعال لاختلاف ذلك على ولكن محبتي من طريق العيان فقررت منك وهربت اليك فاشتغيت بك لما تفرغت لك كما قال المحب فرغت قلبها اشتغالا بذكري * وكذا كل فارغ مشغول

فلا الجدي ذاولا ذاك لي
ولكن لك الجدي ذاولا
وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى
حب الله لاحسانه اليها
وانعامه عليها بحفظ
العاجلة وبمحبه لما هو
اهل له الحب لجلاله وجلاله
الذي انكشف لها وهو
اعلى الحبين واوقواهما
ولذة مطالعة جمال
الربوبية هي التي عبر
عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال
ما كبا عن ربه تعالى
اعددت لعبادى الصالحين
ملاعين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب
بشر

وعلى هذا المعنى قوله تعالى واصبح نؤاداً مومساً فارغاً أي ملان بذكري حتى فاض فكادت ان تظهره فتقول هو ابني فعبر عن الملء بالفراغ من ضده لولان اولياءه عليه بطناً فكفمت ولولم تفعل لاطهرت ولولأظهرته لقتل وأما الحب الثانى الذى هو اهل له تعنى حب التعظيم والاحلال لوجه العظيم ذى الجلال تقول ثم انى مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل ان أنظر اليك فى الآخرة على الكشف والعيان فى محل الرضوان لان حى لك لا يوجب لك جزاء عليه بل يوجب على كل شئ مما لا يطيقه ولا أقوم بحقه فيه أبداً اذ كنت قد أحببتك فلزمنى خوف التقصير ووجب على الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرضت به من حبك اذ ليس كذلك شئ كما قال المحب

أصبحت صبا ولا أقول بمن * خذوا لمن لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هوائى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى
لولان الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق فالحب لا يلام لغيبة النفس عنه والانام تقول فتفضلت على بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلت فاريتنى وجهك عندك آخر كما أريته اليوم عندي أولاً فلك على ما تفضلت به فى ذلك عندي فى الآخرة ولا جدلى فى ذاهنا ولا جدلى فى ذلك هنالك اذ كنت أنا وصلت اليها بك فانت المحمود وفيها لانك وصلتني بمافهنا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحقين وقد كانت تذكر الانس فى وجدها وترتفع الى وصف معنى من الخلقة فى قولها السائر

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جالوسى
فالجسم منى للجليل مؤانس * وجيب قلبى فى الفؤاد أنيسى
ومن قولها النادر فى مقام الخلقة وتخللت مسالك الروح منى * وبه سمي الخليل خليل
فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكنت كنت الغليل

وقد أهل ذلك لها كل من نقله عنهم العلماء ووصفوها به فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح من معنى كلامها لانها تناشروا لها ذلك ان كان لها فى المحبة قدم ولا يستعنانا نشرح فى كتاب حقيقة كشف ما أجلتناه ولان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل بمحبته ولا يقتضى الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيئاً لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرب جاء الذى ضده الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف الموت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت (ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما كبا عن ربه تعالى اعددت لعبادى الصالحين) أى لحضرتى من الجزاء (ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث

وقد تجعل بعض هذه المذات في الدنيا ان انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك على قلبي اُنقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليلا ينادي جليسه وقال اذ بلغ الرجل في هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون (٥٧٨) ما يقوله جنونا وكفرا فتصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرعة العين التي لا تعلم

نفس ما أخفى لهم منها
واذا حصلت انصرفت
الهموم والشهوات كلها
وصار القلب مستغرقا
بنعيمها فلو ألقى في النار
لم يحس به الاستغراق
ولو عرض عليه نعيم الجنة
لم يلتفت اليه لكمال
نعيمه وبلوغه الغاية التي
ليس فوقها غاية وليت
شعري من لم يفهم الا
حب المحسوسات كيف
يؤمن بلذة النظر الى
وجه الله تعالى وماله
صورة ولا شكل وأي معنى
لوعده الله تعالى به عباده
وذكروه انه أعظم النعم
بل من عرف الله عرف
ان المذات المفرقة
بالشهوات المختلفة كلها
تنطوي تحت هذه اللذة

كما قال بعضهم
كانت لقلبي أهواء مفرقة
فاستجمعت مذرا تلك العين
أهوائي
فصار يحسدني من كنت
أحسده
وصرت مولى الورى مذ
صرت مولائي
تركت للناس دنياهم
ودينهم
شغلا بذكري ياديني
ودنياي

أبي هريرة روى عن ابن جبريل عن أبي سعيد عن قتادة عن سلاور روى ابن جبريل أيضا عن الحسن بلاغا بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا و عملوا الصالحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقد تجعل بعض هذه المذات في الدنيا ان انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني) لاجد الحضور (فاقول يا رب أو يا الله فاجد ذلك أنقل على قلبي من الجبال) قبل له ولم قال (لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه) انما هي اشارات وملاحظات ومناعات وملاطفات فصاحب هذا المقام بمن عجلت له هذه اللذة وقد صدق فيما قال فان النداء لا يكون الا للغائب ومن كان الذي يناديه جليسه هو أنيسه فيستغنى عن نداءه كيف وهو مستغرق في الهم به ويستأنس له ما جاءه في الخبر قال الله تعالى يا موسى أنا جالس من ذكرني ويثبته ان يكون هذا مقام رابعة قدس الله سرها اذ قالت وحبيب قلبي في الطواد أنيسى * وقال صاحب القوت عقيب الكلام السابق الا أنه مستبعد ان يقول مأخوذ عليه ان يكون فقهيا بما يقول ولا يخرج من موضع القرب وان وقع عليه الحكم بالقول والفعل ولكل مقام مع الله تعالى فقد خفي ولكل عالم بالله اللطيف علم لطيف غريب (وقال بعضهم اذ بلغ الرجل في هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة) كفى القوت ولفظه واقد قال لرجل من أهل المعرفة اذ بلغ أحدهم من هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة (أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا وكفرا) زاد صاحب القوت فقال وقال آخر اذ انتهت معارفهم انتهت الى حيرة ودهشة انتهت ومن ذلك قول ابن عباس لو فسرت لكم آية كذا وماها لزمتموني بالجملة أي لقلتم بكفري فانه لا يرجع بالجملة الا من ارتد عن دينه (فتصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرعة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها) من أنواع الانصبة (واذا حصلت انصرفت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى في النار لم يحس بها) ولم يدرك لها المألى (لاستغراقه) بكايته (ولو عرض عليه نعيم الدنيا لم يلتفت اليه) أصلا (لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية) ولا بعد هاسرى (وليت شعري من لا يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل) تعالى الله عن ذلك (وأى معنى لوعده الله تعالى به عباده وذكروه انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان المذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة) وهذا هو معنى الحب الاول الذي أشارت اليه رابعة قدس الله سرها (كما قال بعضهم) أي من المحبين مشير الى هذا المقام

(كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذرا تلك العين أهوائي)
أى كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلمة القلب ووجه المحبة وأنسى
ماسواك والبه يشير قول القائل وأنت جعنت من قلبي * هوى قد كان مشتركا
(فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكري ياديني ودنياي)
(ولذلك قال بعضهم) أي من المحبين مشير الى هذا المقام
(وهجرة أعظم من ناره * ووصله أطيبت من جنته)
وما أرادوا به هذا الا اشارة الى القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنسكاح فان الجنة معدن تمتع
الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط (وبه تمتعه) ومثال أطوار الخلق في لذاتهم (هو) (ما ذكره) هنا
(وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غير رتبة ما يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء

ولذلك قال بعضهم وهجرة أعظم من ناره * ووصله أطيبت من جنته وما أراد به هذا الا اشارة
ثم لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنسكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار
الخلق في لذاتهم ما ذكره وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غير رتبة ما يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب فيستحققر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياضة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بالآية ثم بعده هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحققر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل (٥٧٩) بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك

الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المخيلة والاجسام المتأولة والمشكلة من أشخاص الحية وان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله

تعال وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرهما من رأى انسانا ثم غض بصره وحده صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف

(الاشياء) فاذا دخل وطبعه مال الى ما قبل عليه (ثم تظهر) فيه (بعده) غريزة أخرى بها يدرك (لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب) فيشتغل بها (فيستحققر معها لذة اللعب الذي كان يميل اليه ويحبسه ثم تظهر) فيه (بوادي) غريزة أخرى يدرك بها (لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها) من اللعب والزينة (في الوصول اليها ثم تظهر) فيه بعده غريزة أخرى يدرك بها (لذة الرياضة والعلو والتكاثر) بالاموال والاولاد (وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها) ولذا كانت آخر ما يخرج من دماغ الانسان من لذات الدنيا هي كما قال بعضهم أما العلو في النفس منه شيء (كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الآيات) فقد أشار فيه الى تلك المقامات الثلاث (ثم بعده) ذات تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله) وبمعالته (فيستحققر معها جميع ما قبلها) من اللذات (فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا) وما بعد العلوم والمعارف شيء (وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) اذا كشف الغطاء وارتفع الحجاب وتحققت الحقائق وتجلي الاسرار وبصاف كل واحد ما قدم من خير أو شر محضرا وبشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وعنده يقول له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

(بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة على المعرفة في الدنيا) (اعلم) هذا الله تعالى (ان المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال) وهي قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك (كالصور المخيلة والاجسام المتأولة المشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها) من صفات المعاني (ومن رأى انسانا ثم غض بصره وحده صورته حاضرة في خياله) بعد غيبوبة مادته بعض البصر (كأنه ينظر اليها) بقوة الحس المشترك (ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى) وقت الضهور (عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف) وتتمام الوضوح (فاذا الخيال أول الادراك) وهو خزانة الحس المشترك (والرؤية هو استكمال الادراك الخيال) أي ما تخيله في تلك القوة (وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية) فلا اختصاص للرؤية بالعين (واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى لها والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح) مثل (ما بين المخيل والمرئي

فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين المخيل والمرئي

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وأصلها ادراك المرئي وهو على أضرب بحسب قوة النفس (وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل) أي التصور في الخيال (فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول) ذكره (ولا يليق بهذا العلم) فانه من أسرار المكاشفات (ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام) لما طلب الرؤية (ان تراني) أي مادامت محجوبا بحجاب الحياة وقال سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله ان سيدنا موسى عليه السلام من أكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات العلية لا تخلص لاهلها من مشاهدة أفعالها ولا تصفوعها الا لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع ولوانقطعت طرفة عين لانهدا لوجود واختل نظام العالم فسامن وجود الا وفيه فعل الله وهو مادته والسبب في بقاءه وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية ولولاه تعالى حجب ذاتا بقاءه فيها لاحترقت الذات وذاب كل حادث في العالم فلما لم تصف المشاهدة لاهلها وصارت الافعال المتقدمة بمنزلة القذى في البصر سأل موسى عليه السلام به أن يقطع عنه الفعل حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاء فقال له به عز وجل اذا قطعت الفعل عن الحادث اختلت ذاته وهذا الجبل أقوى منك ذاتا وأصلب منك جرما فانظر اليه فان استقر مكانه بعد قطع فعلي عنه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل وقطع عنه الفعل الحجاب له من سطوة الذات العلية تدكدك الجبل وتطارت اجزأؤه حتى صعد موسى عليه السلام اه (وقال تعالى لا تدركه الابصار في الدنيا) لوجود الحجاب المانع من الرؤية (والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج) قال العرفي هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين انها قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر أيت ربك قال نوراني اراه وذهب ابن عباس وأكثرا العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي ذر قال فيه أحدهما زالت له منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء وفي رواية لا حجة من حديث أبي ذر رأيت نورا اني أراه ورجال اسنادها رجال الصحيح اه قلت ورواية أبي ذر الاولى رواها كذلك الطيالسي والترمذي وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك قال ذكره وروى عبد بن حنبل وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه ورواه النسائي مثله الا أنه قال ولم يره ببصره وقد روى عن أبي العالية مثله كذا رواه ابن جرير وأخرج عبد بن حنبل والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال لقي ابن عباس بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انابني هاشم نزعهم ونقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلام موسى مرتين قال مسروق قد دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء فقله شعري قلت وريدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية فقد أعظم الغريرة ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الامرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة عند جباله سمائة جناح قدس الاق وأما قول ابن عباس فروى عنه من طرق بالفاظ مختلفة فعند الطبراني وابن مردويه عنه قال ان محمدا رأى ربه مرتين ببصره ومرة بفؤاده وعند ابن مردويه عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات عنه قال قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وروى النسائي والحاكم وصححه

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ان تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار أي في الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج

فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكيفية وان كانت متفاوتة فنهما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قدس بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهو لاءهم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبيع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا (٥٨١) يقع منه الخبث الذي هو متدنس

وابن مردويه عنه قال أتتجيبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام اوسى والرؤية لمحمد عليهم السلام والكلام في المسئلة طويل الذيل أوردته شرح الشفاء فليراجع (فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكيفية وان كانت متفاوتة فنهما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قدس بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهو لاءهم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك) واليه يشير قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبيع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقع منه الخبث الذي هو متدنس به) ليصلح للمشاهدة (ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة) واليه الاشارة في حديث المروزي على الصراط كالبرق الخاطف (وأقضاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدينار من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة أو ستمائة ضعيف وقد تقدم اه قلت وهو حديث طويل وهذا افضلها انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ثم ما تواعلها فيهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا ترزق أعينهم ولا يغفلون بالاغلال ولا يقربون مع الشيطان ولا يضربون بالقامع منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها يمكث بمثل الدينار من يوم خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار الا رجلا واحدا فانه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله اليه ملكا ليخرجه الحديث وقد تقدم (ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غيرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والمراد بالورود العرض عليه الا الدخول فيها (ثم تجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على ركبهم (فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها) وقد روي ذلك عن الحسن (فاذا أكمل الله تطهيرها وتركتها وبلغ الكتاب أجله) المضروب (ووقع الفراغ من جملة ما وعده الشرع) ونطقت به الاخبار (من الحساب) ووزن الاعمال (والعرض وغيره ووافي استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم) غير معلوم (لم يطالع الله عليه أحد من خلقه) بل استأثر به لعله (فانه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول) كساعة الجمعة قليلة القدر واضربها (فعند ذاك يشتغل بصفائه ونقاائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا فترة) أي دخنة (لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معامله كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه) أي يدركه في خياله (وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤيه قائما يسأله بقاءها ودوامها لان الرؤيه أمر ورأى تلك المشاهدة (بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عن رباب جل جلاله (علوا كبيرا) لتزهره عن المكان وعن طرق الخيال والنصو براليه (بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصوّر وتقدّر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة وأقضاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدينار من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة أو ستمائة ضعيف وقد تقدم اه قلت وهو حديث طويل وهذا افضلها انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ثم ما تواعلها فيهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا ترزق أعينهم ولا يغفلون بالاغلال ولا يقربون مع الشيطان ولا يضربون بالقامع منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها يمكث بمثل الدينار من يوم خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار الا رجلا واحدا فانه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله اليه ملكا ليخرجه الحديث وقد تقدم (ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غيرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والمراد بالورود العرض عليه الا الدخول فيها (ثم تجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على ركبهم (فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها) وقد روي ذلك عن الحسن (فاذا أكمل الله تطهيرها وتركتها وبلغ الكتاب أجله) المضروب (ووقع الفراغ من جملة ما وعده الشرع) ونطقت به الاخبار (من الحساب) ووزن الاعمال (والعرض وغيره ووافي استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم) غير معلوم (لم يطالع الله عليه أحد من خلقه) بل استأثر به لعله (فانه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول) كساعة الجمعة قليلة القدر واضربها (فعند ذاك يشتغل بصفائه ونقاائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا فترة) أي دخنة (لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معامله كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه) أي يدركه في خياله (وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤيه قائما يسأله بقاءها ودوامها لان الرؤيه أمر ورأى تلك المشاهدة (بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عن رباب جل جلاله (علوا كبيرا) لتزهره عن المكان وعن طرق الخيال والنصو براليه (بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصوّر وتقدّر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معامله كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصوّر وتقدّر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

زيادة الكشف والوضوح كما ضرب بنامن المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في مغرفة الله تعالى اثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها باعتبارها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرسومة هي المتخيلة بعينها في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا آتّم لنا نورا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل

يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلالها بكثرتها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولا بي بكرة خاصة قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلى بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اه قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلى بن عبدة هو التميمي رواه عن ابن علية وفي الخبر الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لابي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر من هودونه) في المعرفة (بجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضى الله عنه (بل لا يجد الا عشره غيره ان كانت معرفته في الدنيا عشره غيره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسر وقدره فضل لاحتلاله بتجلى انفراديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فاضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه رواه الحكمين من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرون في الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثرون في العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ كان يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وكذلك لما قيل لاربعة بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجارثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بن زيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلالها بكثرتها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولا بي بكرة خاصة قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلى بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اه قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلى بن عبدة هو التميمي رواه عن ابن علية وفي الخبر الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لابي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر من هودونه) في المعرفة (بجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضى الله عنه (بل لا يجد الا عشره غيره ان كانت معرفته في الدنيا عشره غيره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسر وقدره فضل لاحتلاله بتجلى انفراديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فاضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه رواه الحكمين من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرون في الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثرون في العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ كان يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وكذلك لما قيل لاربعة بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجارثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بن زيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لاربعة بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجارثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بن زيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخیال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايان فان قلت فاذة الرؤية ان كان لها نسبة الى اللذة المعرفة فهي قليلة وان كان أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها (٥٨٣) فاعلم أن هذا الاستحقاق للذة المعرفة

صدر من الخلو عن المعرفة
فمن خال عن المعرفة
كيف يدرك لذتها وان
انطوى على معرفة ضعيفة
وقلبه مشحون بعلائق
الدنيا فكيف يدرك لذتها
فلا عارفين في معرفتهم
وذكركهم ومناجاتهم لله
تعالى لذات لو عرضت
عليهم الجنة في الدنيا
بدلاً عنها لم يستبدلوا
بهذا الجنة ثم هذه اللذة
مع كمالها الانسية لها أصلاً
الى لذة اللقاع والمشاركة
كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رؤيته ولا
لذة استنشاق روائح
الاطعمة الشهية الى ذوقها
ولا لذة للمس باليد الى
لذة الوقاع واطهار عظم
التفاوت بينهما لا يمكن
الابضرب مثال فنقول لذة
النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب
أحدها كمال جمال
المعشوق ونقصانه فان
اللذة في النظر الى الاجل
اكمل لاحالة والثاني كمال

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه) ففي الخبر يبعث كل عبد على مامات عليه رواه عبد بن جيمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر ورواه البغوي والطبراني والحاكم في الكشي من حديث زيد بن حارثة ورواه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عمر ورواه ابن حبان من حديث جابر أيضاً زيادة المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم (ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخیال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايان) فقد روي من حديث علي الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان رواه ابن ماجه والطبراني وتمام والسيرازي في الالقاب وأوردته ابن الجوزي في الموضوعات (فان قلت فاذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقاق للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة فمن خال عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلا عارفين في معرفتهم وذكركهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها الانسية لها أصلاً الى لذة اللقاع والمشاركة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية) اللذينة (الى ذوقها ولا لذة للمس باليد الى لذة الوقاع واطهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الابضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا باسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجل أكمل لاحالة والثاني كمال القوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء والادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد) عنه (والرابع اندفاع العوائق المشوشة) أي الموانع المكدرة (والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح) البدن (الفازع) البال (التجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر أنت في نفسك) عاشقاً ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزبابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح انفاغ التجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر عاشقاً ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزبابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

من مشاهدة معشوقه فلوطرأت على الفجأة حالة انهنك بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سائما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للدولي الهانسية يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب (٥٨٤) مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الأعلى والتفاتها الى أسفل

من مشاهدة معشوقه فلوطرأت على الفجأة حالة انهنك بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سائما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للدولي الهانسية يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن) وأشياء ذلك (والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الأعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفاتة الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يتخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يتخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا حرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقليلا يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه) ويكدر عليه (وهذه ضرورة دائمة) لا تنفك (في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت) فعند ذلك يحصل التجريد والراحة (وانما العيش عيش الآخرة) كما ورد به الخبر (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) كما في الكتاب العزيز (وكل من انتهى الى هذه المرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر لا راحة للمؤمن في الدنيا دون لقاء الله عز وجل وفي أقوالهم الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب (الامن حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فلا حاطة بكنهه جلالاته محال) الا ما كان من طريق الاسماء والصفات (فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار ملكته وقويت كثرة النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا) اذ هي مزرعة الآخرة (ولا زرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) قال العراقي رواه ابراهيم الحاربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله والد المطلب عبد الله بن حنبل مختلف في صحبته ولا جد من حديث جابر ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة وللمترمذي من حديث أبي بكره ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حسن صحيح وذكره ابن حبان في الصحابة وقال ابن عمر له صحبة وقال الترمذي بعد ان سألته حديثا من طريق عبد العزيز بن المطلب عن أبيه عن جده في فضائل قريش هذا مرسل وعبد الله بن حنبل لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الاختلاف فيه وحديثه المذكور رواه كذلك القاضي والحاكم والديلمي من حديث ابن عمر وأما حديث جابر فقد رواه أيضا الحاكم ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب بدون ان وأما حديث أبي بكره فرواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله ورواه بالجله الاولى فقط أحمد وعبد بن حنبل والطبراني والبيهقي أيضا من حديث عبد الله بن بسر (لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بجملة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للمطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفاتة الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يتخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يتخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا حرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقليلا يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه المرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب الموت ولا يكرهه الامن حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة

لا ساحل له فلا حاطة بكنهه جلالاته محال الله فكما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار ملكته وقويت كثرة النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا زرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بجملة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للمطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما
تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان تسعت أحبوا البقاء
وان ضاقت تنمو الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونهما اللذنين
سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كالم تكن (٥٨٥) الرياسة اللذنين المطعومات عند الصبيان

فان قلت فهذه الرؤية
محلها القلب أو العين في
الآخرة فاعلم أن الناس
قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا
يلتفتون الى هذا الخلاف
ولا ينظرون فيه بل العاقل
ياكل البقل ولا يسأل
عن المبقلة ومن يشتهي
رؤية معشوقه يشغله
عشقه عن أن يلتفت
الى أن رؤيته تخلق في
عينه أو في جبهته بل
يقصد الرؤية ولذتها
سواء كان ذلك بالعين
أو غير هاتان العينين
وطرف لا نظر اليه ولا
حكم له والحق فيه أن
القدرة الازلية واسعة
فلا يجوز أن تحكم عليها
بالقصور عن أحد
الامرئين هذان في
الجواز فاما الواقع في
الآخرة من الجائزين
فلا يدرك الا بالسمع
والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من
شواهد الشرع أن ذلك
يخلق في العين ليكون

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له
بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما
سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا (ان تسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تنمو الموت وكل
ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى لذة الرؤية
ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونهما اللذنين سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى
النقصان كالم تكن الرياسة اللذنين المطعومات (عند الصبيان) فان أنكر وافبعذرهم لنقصانهم عن
درجة الكمال (فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسأل عن المبقلة)
وياخذ الهدية ولا يسأل عن الجالب (ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت الى أن رؤيته
تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غير هاتان العينين وطرف لا نظر
اليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الازلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالقصور عن أحد الامرئين هذان في
حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع) اذ لا مدخل للعقل فيه (والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في
الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا لضرورة والله أعلم) فروى أحمد والشيخان من حديث
أبي هريرة أن الناس قالوا هل نرى ربنا يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم هل تظنون في رؤية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب وهل تظنون في رؤية الشمس ليس دونه سحاب فانكم ترونه كذلك الحديث بطوله
ورواه كذلك من حديث أبي سعيد وروى الطيالسي وأحمد والشيخان وابن خزيمة من حديث أبي سعيد هل
تظنون في رؤية الشمس بالظاهرة سحابا ليس معها سحاب وهل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر سحابا ليس
فيها سحاب ما تظنون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث بطوله وروى النسائي
وابن ماجه بعضهم عند مسلم من حديث أبي هريرة هل تظنون في رؤية الشمس في الظاهرة ليست في سحابة
هل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة فوالذي نفسي بيده لا تظنون في رؤية ربكم عز وجل
الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث

(بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) *

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان أسعد الخلق حال أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى)
والعرض عليه (ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه) وحنينه اليه
(وتمكن من دوام مشاهدته أبدأ بالآباد من غير منغص و) لا (مكدر ومن غير قريب ومزاحم) له في مشاهدته
(ومن غير خوف انقطاع) أو نقص (الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

(٧٤ - (انجاف السادة المتقين) - (تاسع) لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى

على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى أعلم (بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) * اعلم ان أسعد الخلق حال في
الآخرة أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول
شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبدأ بالآباد من غير منغص ومكدر ومن غير قريب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الآن هذا النعيم على
قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت (٥٨٦) الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وهو فيها وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة الذي هو أساس الإيمان (وأما قوة الحب واستيلاؤه) عليه بالكلية (حتى ينتهي الى) حد (الاستتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون) وقد تقدم ان العشق هو مبالغة الحب (وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء) اليه يشير قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أي وانما هو قاب واحد لا يتسع لسببين (وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيّد والمعبود هو المقيّد به وكل يحب فهو مقيّد بما يحبه ولذلك قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هوا) أي جعل هواه وما يحبه ما لو هاله ومعبودا وتقديده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشّر الناس قال في أخاف أن يتسكوا (ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط) ولذلك اختارت مشايخ هذه الطائفة العلمية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف في معنى الاخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تتجزه عن محارم الله وراه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدينيا يحبه) أي بمنزلة السجين عليه (لانها ممانعة عن مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب) فهذا لاحالة يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه) أي طال عليه (نفخى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها الا فبجبر دميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون سحبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كأنه لا يقرب لآدم من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان) ان أرضيت احداهما أضحت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور في نهج البلاغة (وهما كالشرق والمغرب) روى ذلك من كلام

الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيّد والمعبود هو المقيّد به وكل يحب فهو مقيّد بما يحبه ولذلك قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هوا) أي جعل هواه وما يحبه ما لو هاله ومعبودا وتقديده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشّر الناس قال في أخاف أن يتسكوا (ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط) ولذلك اختارت مشايخ هذه الطائفة العلمية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف في معنى الاخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تتجزه عن محارم الله وراه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدينيا يحبه) أي بمنزلة السجين عليه (لانها ممانعة عن مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب) فهذا لاحالة يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه) أي طال عليه (نفخى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها الا فبجبر دميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون سحبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كأنه لا يقرب لآدم من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان) ان أرضيت احداهما أضحت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور في نهج البلاغة (وهما كالشرق والمغرب) روى ذلك من كلام

حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه فخل من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان وهما كالشرق والمغرب

وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد اليهما بزمام الخوف والرجاء فاذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه (٥٨٧) الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه

كتب الاحبار كما في الحلية وقد سبق كل ذلك في كتاب ذم الدنيا (وقد انكشف ذلك لذوى القلوب) والبصائر (انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد) عنها (وملازمة الصبر) بأنواعه المذكورة في محله (والاعتقاد اليهما) أى الى طريق الزهد والصبر (بزمام الخوف والرجاء) فما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك بزيادة والحمد لله تلاً الميزان وسبحان الله والحمد لله تلاً ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة (فلا نعيده نانيا) (السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها) وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال) ألم تركب (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) فعرفنا أن لها أصلاً ثابتاً في القلوب بما أمدها به من النظر والاعتبار وعرفنا أن لها فرعاً في السماء) فعرفنا أن لها أصولاً ثابتاً بسبب ما جابها عليه من محبة سعادتها وكمالها (والله الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكأنها دلكها وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً في الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول) وهو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله ولله (وهو الآخر) أى العمل هو الآخر لانه تنشئه الواجيد على القلوب والجوارح (وانما الاول علم المعاملة وغرضه وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي (من الكدر) (والذكر الدائم) في كل حال (والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

في أول كتاب الطهارة * السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب أى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكأنها دلكها وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً في الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه

المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

الاقو ياغو يكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره والى الضعفاء يكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى أول يكف بربك انه على كل شئ شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي ربي ولولا ربي لم اعرفت ربي والى الثانى الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وبقوله عز وجل أول ينظروا فى ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظر واما ذاقى السموات والارض وبقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق (٥٨٨) الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر

خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكير والا اعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى ابراده فى الكتب وأما الطريق الاسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس والمنايع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته كما قال القائل

فواعبها كيف يعصى الله * أم كيف يحجده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مدام السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماتي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الأعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مدام السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماتي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الأعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

مركوزة فيه فانه لانسبة
لها اليه وهي في السماء
الرابعة وهي صغيرة
بالاضافة الى ما فوقها من
السموات السبع ثم
السموات السبع في
الكرسى كملقة في فلاة
والكرسى في العرش
كذلك فهذا نظر الى
ظاهر الاشخاص من
حيث المقادير وما أحقر
الارض كلها بالاضافة
اليها بل ما أصغر الارض
بالاضافة الى البحار فقد
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الارض في
البحر كالاصـطبل في
الارض ومصدق هذا
عرف بالمشاهدة والتجربة
وعلم أن المكشوف من
الارض عن الماء بجزرة
صغيرة بالاضافة الى كل
الارض ثم انظر الى
الآدمي المخلوق من
التراب الذي هو جزء
من الارض والى سائر
الحيوانات والى صغره
لاضافة الى الارض ودع
عنك جميع ذلك فأصغر
ما نعرفه من الحيوانات
الى بعوض والنحل وما
يجري مجراه فانظري
الى بعوض على قدر صغر
نذره وتأمله بعقل حاضر

وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القبل الذى هو أعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوم ومثل خرطومه وذو سائر الاعضاء كما خلقه للقبل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فانبت جناحه وأخرج يده ورجله وباطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما درى في سائر الحيوانات وركب فهمان القوى الغاذية والجاذبة

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب في سائر الحيوانات هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه أن
غذائه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى مسام
بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم مع
دقته وجوفه حتى يجري فيه الدم الرقيق (٥٩٠) وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب في سائر الحيوانات) وخلق له منفذا للغذاء ومخرجا للفضلة وخلق له جوفاً
ومعياً وعظاماً لتشد الزخشي في الكشف

ويرى نياط عروقها من لهما * والمخ في تلك العظام النحل

(هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذائه دم الانسان ثم انظر
كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى
مسام بشرة الانسان) التي يخرج منها العرق فيتوخلها (حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم قواه حتى يغرز فيه
الخرطوم) ويستدعه ويقوى على خرق الجلود الغلاط قال الرازي

مثل السقاة دائماً طينها * ركب في خرطومها سكينها

(وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع رقبته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى
باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه) فهو له كالباعوم والحقوم (ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه
حيلة الهرب واستعداداً لته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص
ويهرب ثم اذا سكنت يعود) الى عمله وفيه من الشره انه يمس الدم الى أن يموت أو يهجر عن الطيران (ثم انظر
كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان
صغير لم تحمل حدقة الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق
للبعوض والذباب يدين) وهما الزائدتان على الفيل المتقدم ذكرهما (فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببديه) وكلاهما من ذوى الخراطيم (وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان) لكل
حدقة جفنان أعلى وأسفل (حتى ينطبق احدهما على الآخر وأطرافهما محادة فيجتمع الغبار الذي يلحق
الحدقتين يرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن
صورة العين) وقد خصت الحكمة الالهية لون السواد بذلك والبياض يفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى
ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يهز نور العين ويحقه كما يهيج الضعيف في جنب القوى
(وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما
البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين) ولكنه ليس ظاهر البادئ
النظر كما يظهر من الذباب (ولاجل ضعف ابصارها تراها تنهات) وتناسط (على السراج لان بصرها ضعيف
فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت
المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب
الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق) واليه أشار القائل وأحسن

لهيب الحدحين بد الطرفي * هوى قلبي عليه كالغراش

فأخرقه فصار عليه خالا * زهاأثر اللسان على الحواشي

(ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

بيده فعلمه حيلة الهرب
واستعداداً لته وخلق
له السمع الذي يسمع به
خفيف حركة اليد وهي
بعد بعيدة منه فيترك
المص ويهرب ثم اذا
سكنت اليد يعود ثم انظر
كيف خلق له حدقتين
حتى يبصر مواضع غذائه
فيقصده مع صغر حجم
وجهه وانظر الى أن
حدقة كل حيوان صغير
لم تحمل حدقة
الاجفان لصغره وكانت
الاجفان مصقلة لمرآة
الحدقة عن القذى والغبار
خلق للبعوض والذباب
يدين فتتنظر الى الذباب
فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببديه وأما
الانسان والحيوان الكبير
فخلق لحدقتيه الاجفان
حتى ينطبق أحدهما
على الآخر وأطرافهما
محادة فيجتمع الغبار الذي
يلحق الحدقتين يرميه الى
أطراف الاهداب وخلق
الاهداب السود لتجمع
ضوء العين وتعين على
الابصار وتحسن صورة

العين وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع
الابصار وأما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولا جعل ضعف ابصارها تراها تنهات على
السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم
الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه
مرة أخرى الى أن يحترق ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

الفراس في التفاهت
على النار اذا تلوح للآدمي
أنوار الشهوات من
حيث ظاهر صورتها
ولا يدري أن تحتها السم
النافع القاتل فلا يزال
يرى نفسه عليها إلى أن
ينغمس فيها ويتقيد
بها ويهلك هلاكا
مؤبدا فليت كان جهل
الآدمي بجهل الفرش
فانها باغترارها بظاهر
الضوء ان احترقت
تخلصت في الحال
والآدمي يبقى في النار
أبدا لا أباد أو مدة مديدة
ولذلك كان ينادي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اني ممسك
بمحجزكم عن النار وأنتم
تتهاقون فيها تهاقت
الفرش فهذه لمعة عجيبه
من عجائب صنع الله
تعالى في أصغر الحيوانات
وفيهام من العجائب مالم
اجتمع الألوان والآخرون
على الاحاطة بكنهه عجزوا
عن حقيقته ولم يطلعوا
على أمور جلية من ظاهر
صورته فاما خفايا معاني
ذلك فلا يطلع عليها
الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة
وأعاجيب تخصه
لا يشاكره فيها غيره
فانظر الى النحل وعجائبها
وكيف أوحى الله تعالى

على شهوات الدنيا صورة الفراس) وهي ذباب مثل البعوض واحده فراسة (في التفاهت على النار اذا تلوح
للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه
عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي بجهل الفرش بانها
باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبدا لا أباد أو مدة مديدة) وقال
المصنف في موضع آخر من الحيوان ما اذا شاهد شيئا يحفظه وارسمت صورته في ذهنه فاذا رآه مرة أخرى عرفه
كالذباب ترى الشعير والعصا ومنه ما اذا شاهد شيئا لم يحفظه ولم يرسم عند صورته كالفرش فانه يجد المصباح
فيرى بنفسه فيه ويجد حراره ثم يعود ويرى بنفسه اليه ولوارسمت عند صورته لما عاد اليه اه (ولذلك
كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني ممسك بمحجزكم عن النار وأنتم تتهاقون فيها تهاقت
الفرش) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة مثنى ومثل امي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب
والفرش يقعن فيها فانا أخذ بمحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله وسلم من حديث
جابر وأنا أخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وقد تقدم قلت لفظ المتفق عليه من طريق أبي الزناد
عن الاعرج عن أبي هريرة مثنى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاعت ماحولها جعل الفرش وهذه الدواب التي
يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمون فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بمحجزكم عن النار
هلم من النار هلم من النار فتغلبوني تقتحمون فيها ورواه كذلك أحمد والترمذي ولفظ حديث جابر عند مسلم
من طريق همام عن أبي هريرة مثنى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفرش والجناد يقعن فيها وهو
يذهب عنها وأنا أخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وقوله بمحجزكم
بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حجرة بالضم وهي معقد الازار والسر اويل واذا أراد الرجل امساك من يخاف
سقوطه أخذ بذلك الموضع منه قال النووي في شرح مسلم مقصود الحديث انه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط
الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحوصهم على الوقوع في ذلك مع منعه اياهم وقبحه على
مواضع المنع منهم بتساقط الفرش في نار الدنيا وهو وضع تميزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في
ذلك بجهله وقال أبو العباس القرطبي في شرحه هو مثل الاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاةنا وحوصه على
تخليصنا من المهلكات التي بين أيدينا ولجملتنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وقال القاضي أبو بكر بن العربي
هذا مثل غريب كثير المعاني المقصود منه ان الله ضرب مثلا لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية
للدخول فيها وما نهى عنها وتوعد عليها وأنها ذكركم بذلك تغلب الشهوات على التقوى باسم انهم صالح ومنافع
وهي نكتة الامثال فان الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلاك وإنما يأتونه باسم النجاة والمنفعة كالفرش تقتحم
الضياء ليس لتهلك فيه ولا كنهاتنا نسبه وهي لا تبصر بحال حتى انهم في ظلمة فتفتقدان الضياء كوة تستظهر فيها
النور فتقصد هالاجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر وذلك هو الغالب من أحوال الخلق أوكله اه وقد جاء ذكر
تهاقت الفرش في حديث آخر رواه البيهقي في الشعب عن النوفلي بن عيسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أراكم تهاقون في الكذب تهاقت الفرش في النار الان كل كذب مكتوب على ابن آدم كذبا بالاحالة الا
أن يكذب الرجل في الحرب الحديث ورواه كذلك ابن جرير والحرابي في مساوي الاخلاق وروى ابن لال
من حديث أسماء بنت يزيد مالى أراكم تهاقون في الكذب كما تتابع الفرش في النار (فهذه لمعة في عجائب
صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيهام من العجائب مالم اجتمع الألوان والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن
حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليه الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة (وأعاجيب تخصه) دون غيره (لا يشاكره فيه غيره) فان شئت بيان ذلك (فانظر الى
النحل) ذباب العسل واحده نحلة للذكور والانثى (وعجائبها) قال الزجاج سميت نحل لان الله تعالى نحل الناس منها
العسل الذي تخرجه (وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)

وذلك قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون قال في عجائب
 المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذا وحي الله فيه إلى النحل صنعة العسل بين سبحانه وتعالى أن في النحل
 أعظم اعتباراً أمل كمال طاعتها وحسن اتتمارها الأمر بها كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأماكن الثلاثة من الجبال
 والشجر وحيث يعرش الناس أي بينون العروش فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الثلاثة البتة وتأمل كيف كان
 أكثر بيوتها في الجبال وهو المقدم في الآية ثم الأشجار وهي دون ذلك ثم العروش وهي أقل بيوتها وانظر كيف
 إذاها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهي تتخذها أولاً فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت
 وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لانه تعالى أمرها أولاً باتخاذ البيوت ثم بالاكل بعد ذلك (و) انظر كيف
 استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخرة ضياء) لف ونشر مرتب وفي قوله من لعابها
 إشارة إلى أن العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور ونقل ابن عطية في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه
 قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة وأشرف شرابه رجميع نخلة وظاهر هذا أنه من غير الفم
 قلت والمعروف من كلامه فاشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وقد تقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا والتحقيق
 أن العسل يخرج من بطونها ولا يدري من فيها أو غيره وقد صنع أرسطاطاليس بيتاً من زجاج لينظر إلى كيفية
 ما تصنع فابت أن تعمّر حتى لطخت من باطن الزجاج بالطين ذكره القزويني وفي تفسير الكواشي الأوسط أن
 العسل ينزل من السماء فينبث في أماكن فتأني النحل فتشربه ثم تأني الخلية فتلقيه في المهبأ للعسل في الخلية لا كما
 يتوهمه بعض الناس أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحل في المعدة عسلا هذه عبارة (ثم لو تأملت
 عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار) فيستحيل في جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطر
 المقنطرة وهذا الذي دل عليه القرآن واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى وفي هذا المعنى قول
 عائشة حرست نخله العرفط حتى شبت ورائحته برائحة المعافير (واحترازها عن النجاسات والافذار) فلا تقع
 الأعلى الطيبات من الثمار والأزهار وتخرج جميعها في الخلية لانه منقذ الريح (وطاعتها الواحد من جلستها)
 يسمى اليسوب (هو أكبرها شخصاً وهو أميرها) ومن خصائصه أنه ليس له حمة يلسع بها أو فضل ملوكها
 الشقر وأوسطها الرقط بسواد ولا يتم أمرها إلا به وقد جاء ذكره في حديث أبي امامة أن أحدكم إذا أراد أن
 يخرج من المسجد تداعت جنودا بليس واجتمعت كما تجتمع النحل إلى يعسوبها رواه ابن السني في اليوم والليلة
 وروى ابن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على أنت يعسوب المؤمنين (ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل
 والانصاف بينها حتى أنه يقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة) أي أنها إذا رأت فساداً من ملك أمان
 تعزله وأما أن تقتله وأكثر ما يقتل خارج الخلية (لقضيت منها عبداً) وفي نسخة العجب (أن كنت بصير في نفسك
 وفارغان هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة أخوانك) قال القزويني هو حيوان
 ذوقهم وكيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة باصول السنة وأوقات المطر وتدير المربع والطاعة لأميره
 والاستكانة لكبيره وقائده بديع الصنعة وقال غيره ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعاً يقبأ فيه
 بيوتاً من الشمع أولاً ثم البيوت التي يأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً والذكور أصغر حجماً من
 الانثى وهي تكثر المادة داخل الخلية وإذا طارت خرجت باجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية والنحل
 يعمل الشمع أولاً ثم يلقى البذر لانه ينزله العسل الطائر فإذا القته قعدت عليه وتحضنه كما يحضن الطائر فيكون البذر
 دون البيض ثم يبيض الدود وتغذي نفسها ثم تطير وهو لا يقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد وتلا بعض
 البيوت عسلاً وبعضها فراخاً والملوك لا تخرج إلا مع جيل النحل فإذا عجز عن الطير جلته والنحل يجتمع فيقسم
 الأعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقي الماء وبعضها يبنى البيوت ومن طبعه أنه يهرب
 بعضه من بعض ويقا تل بعضه بعضاً في الخلأيا ويسع من دنان الخلية وإذا هلك منها شيء داخل الخلية أخرجه
 الأحياء إلى خارج وهو يعمل زمان الربيع والخريف والذي يعمل في الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير

وكيف استخرج من
 لعابها الشمع والعسل
 وجعل أحدهما ضياء
 وجعل الآخرة ضياء
 لو تأملت عجائب أمرها
 في تناولها الأزهار
 والأنوار واخترازها عن
 النجاسات والافذار
 وطاعتها لواحد من جلستها
 هو أكبرها شخصاً وهو
 أميرها ثم ما سخر الله
 تعالى له أميرها من العدل
 والانصاف بينها حتى أنه
 يقتل على باب المنفذ
 كل ما وقع منها على نجاسة
 لقضيت منها عبداً آخر
 العجب أن كنت بصيراً
 في نفسك وفارغان هم
 بطنك وفرجك وشهوات
 نفسك في معاداة أقرانك
 وموالاة أخوانك

ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءهم ايوتهم من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهوان أوسع الاشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى (٥٩٣) لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها

مستديرة لبعثت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تراص الجلمة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النخل على صغر حجمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر به هذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالباطن فأنبذ الدنيا واهلها واستغرق العمر في الذكرا الدائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

ويشرب من الماء ما كان عذبا صافيا يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل الا قدر شبعه واذا قل العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاذه لانه اذا نفذ أفسد النحل بيوت المولك وبيوت الذكور وربما قتلت منها ما كان هنالك قال حكيم اليونان لتلامذته كونوا كالنخل في الاخلايا قالوا كيف قال انها لاتترك عندها بطالا لانقته وأقصته عن الخلية لانه يضيق المكان ويظن العسل ويعلم النشيط التكسل والنخل يسلم جاده كالحيات وتوافقه الاصوات اللذيذة المفارقة ويضمر السوس ودواؤه أن يطرح في كل خلية كف ملح وان تفقع في كل شهر مرة وتدخل باخشاء البقر ومن طبعه انه اذا طار من الخلية ابرعى وعاد تعود كل نخلة الى مكانها لاتخطئها وأهل مصر يحولون الاخلايا في السفرو يسافرون بها الى موضع الزهر والشجر فاذا اجتمع الى المرعى فتحت ابواب الاخلايا فيخرج منها ويرعى يومه أجبع فاذا أمسى عاد الى السفينة وأخذت كل واحدة مكانها لاتتغير عنه وروى البيهقي في الشعب عن مجاهد قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فحاسبته بحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث ان مثل المؤمن مثل النخلة ان صاحبته نفعك وان شاورته نفعك وان جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النخلة كل شأنه منافع قال ابن الاثير وجه المشابهة بين المؤمن والنخلة حذق النخل وفطنته وقلة أذاه وحفادته ومنفعتاته وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الاقذار وطيب أكله وانه لا يأكل من كل من كسب غيره ونحوه وطاعته لاميره وان للنخل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء وال نار الهوى (ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءهم ايوتهم من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس الذي لا يتخرق) فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها (وهوان أوسع الاشكال وأحوالها) أي أجبعها (المستديرة) أي المستديرة الشكل (وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبعثت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تراص الجلمة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل) فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وبيانه ان الاشكال من الثلاثة الى العشرة اذا جمع كل واحد منها الى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما مافرج الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى أمثاله اتصل به كانه قطعة واحدة كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيكار وذلك من أثر صنع اللطيف الخبير والهامة اياها (فانظر كيف ألهم الله النخل على صغر حجمه ولطافة وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر) أي السالك (بهذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار) الطوال (دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط به علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالباطن فأنبذ الدنيا واهلها واستغرق العمر في الذكرا الدائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر متى مالتق من تهوى * دع الدنيا واهلها

(٧٥ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فأنبذ الدنيا واهلها واستغرق العمر في الذكرا الدائم والفكر الملائم ففعلك تحظى منها بقدر

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخر له * (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) * اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة لأنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء (٥٩٤) التي قرعت سمعهم فلقنوها وحفظوها ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخر له) وسعادة أبدية لا انصرام لها أبدا والله الموفق
* (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) *

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها) وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالغنى في المال فمن واحد يكاد الدائق والدرهم ومن واحد يكاد الفا كذا العلوم بل التفاوت في العلوم أعظم لان المعلومات لانهاية لها وأعيان الاموال اجسام والاجساد متناهية لا يتصور أن ينتهي النهاية عنها فإذا قد عرفت كيف تفاوت الخلق في بحار معرفة الله تعالى وان ذلك لانهاية له (وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فلقنوها وحفظوها) فهو السبيل الذي فتح لهم فيه وفيه تفاوت مراتبهم (ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب) جل جلاله (ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث) فيها (وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون) ايها بالمعاني الفاسدة (هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون) فهوؤلاء ثلاثة اصناف (وقد ذكر الله حال) هذه (الاصناف الثلاثة في قوله) فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية) وتماها وأمان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأمان كان من المكذبين الضالين فتزل من جيم وتصلية بحيم وبيان تفاوت المراتب هو انه لا يخفى عليك انه ليس من يعلم انه عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في لمكونات السموات والارض وخلق الارواح والاجساد واطلع على بدائع المماكة وغرائب الصنعة مع ما في التفصيل ومستغرق في دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الماكية القريبة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهم من البون البعيد مالا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تفاوت الانبياء والاولياء (فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله في حب الشافعي منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقير يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد) وأنقول ان الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بوابداره ويعرفه المزني تلميذه والبواب يعرف انه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله الى الله على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل بمعرفة محيطه بتفاصيل صفاته ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه الذي لم يحصل الا نوعا واحدا فضلا عن خادمه الذي لم يحصل شيئا من علومه بل الذي حصل علما واحدا فاما عرف على التحقيق عشرة اذا سواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه فان قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه الا بالاسم واهم ام الجملة وهو انه يعرف انه يعلم شيئا سوى ما علمه فكذلك فانهم متفاوت الخلق في معرفة الله تعالى وأيضا (فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وغرف به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهوؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله في حب الشافعي منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقير يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف

به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

بجل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشه والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاعاى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلام عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخبر فيه لبه ويرداد (٥٩٥) بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا ناعا لم فقد علمنا شيئا مبهم الا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فزان الثمرة تدل على المشر كما انه كلما ازداد التليذ حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه أتم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه لم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجهاله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأكبر تفضيلا)

(بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى) *

(اعلم) وفلق الله تعالى (ان أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى) تقدمت الاشارة اليه وحاصله ان المحبة هي الوصلة بين العبد وبين الله تعالى في الدنيا والآخرة اذ العارف لا يفارق المعروف كمالا ير يدعنه بدلالا من معرفة الله اذ المعارف والأشياء وأشهاها للقلوب لان كل ذات جيلة على اختلاف أنواعها ومراتبها لا يميل اليها البصر أو البصيرة الا وهي تشهد كمال خالقها وكمال صانعها وكلما كانت الصنعة شريفة جيلة دلت على شرف ذات الخالق وكال صفاته من العلم والحكمة والقدرة فان كانت القلوب تميل الى الذات الجميلة وتلتذ بادارا كها فالتذاهب بالاشرف أشرف وبالاكمل أكمل والمعنى هذا سبق النظر الى الخالق قبل الخلق وهذا لا يكون الا لمن غلبت روحانيته على جسمانيته والافن غلبت جسمانيته على روحانيته سبق نظره الى الخالق دون الخالق وانعدم التذاهب بالعلوم والمعارف وهو جل الاسباب المانعة من معرفة الله تعالى والافقرة الله أظهر المعارف ووجوده أظهر الموجودات ومما مثالا في الغفلة عن معرفة الله ووجوده الا كمن غفل عن وجود نفسه وكونه موجودا حيوا وذلك

بجل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشه والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاعاى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلام عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخبر فيه لبه ويرداد (٥٩٥) بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا ناعا لم فقد علمنا شيئا مبهم الا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فزان الثمرة تدل على المشر كما انه كلما ازداد التليذ حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه أتم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه لم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجهاله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأكبر تفضيلا)

تفضيلا) (بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه) * اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن يكون معرفة أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى

لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعليه الأدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله تعالى وقدرته (٥٩٦) وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر

ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطيفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة السكاكب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الأشاهد واحد وهو ما أحسنه

أما لانه بوجوده أو شغل قلبه بهم من المهمات اذهله عن وجوده والافن ظهر له وجود نفسه ظهر له وجود الله تعالى لان نفسه ونفس العالم أثروا من آثار قدرة الله تعالى وهذا المعنى (لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته) أي ظاهر جلده (وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وعلمه وإرادته وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس) أي لا يدرك (بشئ من الحواس الخمس) الظاهرة (ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته) أي حركة يده (فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعليه الأدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطيفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة السكاكب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الأشاهد واحد وهو ما أحسنه

من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجود ومحرك لها يشهد بذلك أولات تركيب أعضائنا وتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فاما نعلم انهم لم تأتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما بقي في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد (عليه دليل) ومعرف عظم ظهوره فانهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهم اخفاؤه في نفسه ونحوه (وذلك لا يخفى مثاله والا تخربا ينهاه وضوحه) الى الغاية (وهذا كما ان الخفاش يضم وتشديد طائر معروف قيل هو الوطواط غريب الشكل والوصف (يبصر بالليل) ويلتمس الوقت الذي لا ضوء فيه (ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستناره) لكن لشدة ظهوره وكثرة انتشار ضوءه (مع ضعف بصره فان بصر الخفاش ضعيف لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف

يظهر نور الشمس اذا اشرق فتسكتون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذعن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفاءه فسبحان من احتجب باشراق (٥٩٧) نوره واختفى عن البصائر والابصار

بظهوره ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضهم ان بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فاننا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزل عند الشمس فلو كانت دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن أنه لاهية في الاجسام الألوأنا وهي السواد والبياض وغيرهما فاننا نشاهد في الاسود والاسود وفي الابيض والابيض فاما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

يظهر نور الشمس اذا اشرق (وكذا ضوء القمر وفيه يقول الشاعر مثل النهار يزيد ابصار الوري * نور او يعمي أعين الخفاش)
(فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره) وهو قرب الغروب وفي هذا الوقت ينتشر البعوض يطلب القوت وهو دماء الانسان وينتشر الخفاش يطلب البعوض (فكذلك عقولنا ضعيفة) لا شعاع لها (وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذعن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفاءه وفي هذا المعنى أنشدني شيخنا المرحوم العارف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العبدورسي الحسيني قدس الله سره في ثامن عشر رجب سنة ١١٣٣ بالطائف لبعضهم ذكر الاله الزم هديت لذكركه * فيه القلوب تطيب والافواه * واجعل حلال نقاه ان أخال التقي يا صاح من كانت حلاله نقاه * واستعمل الافكار في ملكوته * مستغرقا في الكشف عن معناه ولتخالف العلمين خلع محقق * خلى عن الكونيين في مسراه * ولتفن حتى عن فتائل انه عين البقاء ونشد ذلك تراه * واذا بدا فاعلم بانك لست هو * كلا ولا أيضا تكون سواء شيان ما اتحدوا لكن ههنا * سريضيق نطاقنا عما هو * يا سامعا ما قد اشرت له أما قلب يفكر ما وعت أذناه * أزل الحجاب حجابنا لك ينكشف * لك سر ما قد غاب عنك سمناه ان الاله أجل مامت عرف * من لا يراه قد استبان عماه أني يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه
(فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره) وفي حقائق الاسماء للشيخ الاكبر قدس سره وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملا الاعلى يطالبونه كما يطالبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملا الاعلى في الطلب واختلاف في الكيفية لانهم يطالبونه بالنور الالهي لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمتهم محتجب عن العقول فاني لهم سبيل الوصول الى أسرار الدان وحقائق الصفات انتهى (ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضهم ان بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر) واشتبه الحال (ومثاله نور الشمس المشرق) البسيط (على الارض فاننا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن أنه لاهية في الاجسام الألوأنا وهي السواد والبياض وغيرهما فاننا نشاهد في الاسود والاسود وفي الابيض والابيض فاما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولا أدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لا دركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد وجوده دائماً في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور رخفاء فهذا هو السبب في (٥٩٨) قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف فانه في حال اعتدال أمره

لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أكثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظاره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى ناره من حيث أنه لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظر الا في الله ولا عارفا

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولا أدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لا دركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد وجوده دائماً في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور رخفاء) ولقد أفصح المصنف رحمه الله تعالى عن هذا المبحث في كتابه مشكاة الانوار ما نصه واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رأيت نور الريح وخضرته مثلاً في ضياء النهار فليست تشك في أنك ترى الالوان ور بما ظننت أنك لست ترى مع الالوان غيرها فكنالك تقول لست أرى مع الحضرة غيرها ولقد أصغر على هذا أقوام فزعوا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع أنه أظهر الاشياء وكيف لا به تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعتبروا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحاد به لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى وقد يكون شدة الظهور سبب الخفاء والشئ اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم انه كظهور كل شئ للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شئ للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شئ وبه يظهر ولكن بقي هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذي يظهر كل شئ لا يتصور غيبته بل يستحيل تغييره فيبقى مع الاشياء دائماً فاقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصور غيبته لانهدمت السموات والارض ولا أدرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على غما واحد في الشهادة لوحدة انية خالقها اذ كل شئ يسبح بحمده لابعض الاشياء في جميع الاوقات لابعض الاوقات ارتفعت المعرفة وخفى الطريق اذا طريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فالاضد له ولا يفيض تشابه الاحوال في الشهادة فلا يبعد ان يخفى ويكون شفاؤه مشددة جلاله والغفلة عنه لاشراف نوره فسيحان من اختفى عن الخلق بشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره انتهى) فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منتهى) يضم الميم أي قوته وغلبت روحانيته على جسمانيته (فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى) مع الاشياء اوقبلها والثاني أعلى من الاول (ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أكثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه بسماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره) وهذا مقام الصديقين وذلك (كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه لا من حيث انه حبر وعفص وزاج) اللذين بهما تركيب الخبر (مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واجبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظر الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا يحبا الا له وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد) الذي تقدمت الاشارة اليه غير مرة (وأنه فني عن نفسه أيضاً واليه الاشارة بقول من قال كنا بنافعيننا وفي نسخة ففنيننا عانا) (فبقينا بالنحن) وذكر السعد التفتازاني في الهيات شرح المغاصد بعد ان أبطل الحلول والاتحاد وهما مذهبان آخوان يوهمان الحلول والاتحاد وباسمائه في شئ الاول

السالك

الا بالله ولا يحبا الا له وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى الا الله

بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنافعيننا ففنيننا عانا فبقينا بالنحن

فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم (٥٩٩) فهذا هو السبب في قصور الافهام عن

معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غرزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وأفقه فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس ولو فرض أنه بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالفها فهذا سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء والاحوال في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر في وصف التجلي والحمد

السالك اذا انتهى سلوكه الى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضعحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد واليه يشير الحديث الالهى فاذا أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره وحينئذ بما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف منه بالمقال ونحن على ساحل الثمني نفترق من بحر التوحيد بدور الامكان ونعرف بانه طريق منافيه العيان دون البرهان الثاني ان الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وانما الكثرة في الاضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسرب اذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة ويتكرر في النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا والاتحاد لعدم الاثنية والغيرية انتهى وقد تقدم ان من الصديقين من قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله معه ومنهم من ترقى فقال ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله قال المصنف في مشكاة الانوار روي عن الاصفهاني هذا الكلام بعض الشاذين ففهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل نقول بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء فانه يظهر كل شيء والمظهر لا يقارن بالمظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ان المظهر قبل المظهر وفوقه وانه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن أنه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي في درجاتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليجبر هذا النمط من العلم فاسكن علم رجال وكل ميسر (فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة لهم للغرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غرزة العقل قليلا قليلا) على التدرج (وهو مستغرق الهم بشهوته) أي لتحصيها (وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وألفها) واستأنس بها (فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس) وتعمد الى الالف (ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله) متعجبا منه (وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس بها) ولا يسبح الله عند رؤيتها (ولو فرض أنه) وهو الذي ولداعى (بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالفها فهذا سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة) قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء والاحوال في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر في وصف التجلي والحمد

(لقد ظهرت فانتخفى على أحد * الاعلى أكمه لا يعرف القمر)

هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر فيحقق ولذلك قيل لقد ظهرت فانتخفى على أحد * الاعلى أكمه لا يعرف القمر

وبروي لا يبصر القمر
وزاد صاحب القوت
قال وأنشد بعضهم في وصف التوحيد والتعزير بمعناه

لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر * وكيف يدرك من بالعين مستترا
ليكن عرفت بما عرفت من خبر * وكيف يعرف من بالخبر مختبرا
فصرت أسعى لا تار لنا رسمت * وغابت العين لا رسمها ولا أثرا

ثم قال والكلام في التجلي والاحتجاب والجمع والاتصال لأرسنه في كتاب لانه يؤدب العقول فتتمفر منه فتطرحه وتضييق عنه القلوب فتقبض عليها فجمع وانما أمله من قلب الى قلب أو عيه من عين الى عين وقال المصنف في المقصد الاسنى الظاهر الباطن وصفان من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه آخر وبالإضافة الى ادراكه فان الظهور والباطن انما يكون بالإضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان قلت اما كونه باطنا بالإضافة الى ادراك الحواس فظاهر واما كونه ظاهرا بالإضافة الى ادراك العقل فغامض اذا الظاهر مالا يتجلى فيه ولا يخفى الناس في ادراكه وهذا ما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره فكل ما جاوز عن حده انعكس على ضده ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستعبد له ولا تفهمه الا بمنال فاقول لو نظرت الى كلمة واحدة وكاتب يكتبها الاستدلال على كون الكاتب عالما قد راسمها بصيرا واستفدت منها اليقين بوجود هذه الصفات اذ لك الكاتب بل لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حتى ولم يدل عليه الصورة واحدة فكيف شهدت هذه الكامة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فامن ذرة في السموات والارض من ذلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف الا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وخالق خلقها وقدرها وخصصها بخصوص من صفاتها بل لا ينظر الانسان الى عضون من أعضائه نفسه وجزء من أجزائه ظاهرا وباطنا بل الى صفته من صفاته وحالته من حالاته التي تجري عليه فغير اختياره الا وراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بحواسه في ذاته وخارجها من ذاته ولو كانت الاشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت ونجست لشدة الظهور ومثاله ان أظهر الاشياء ما تدركه الحواس فأنظرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر نور الشمس المشرق على الاجسام الذي به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الاشياء المتألونة ليس فيها الألوان انها فقط من سواد وجره فاما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مغارق اللون فلا وسوى هؤلاء انما تنبهوا على قيام النور بالمتألونات بالتفرقة التي يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار فان الشمس لما تصور غيبتها بالليل عرف الفرق بين التأثر المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور اذا أضيف حالة الوجود الى حالة العدم فادركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين ولو طبق نور الشمس على الاجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الألوان مع أنه أظهر الاشياء بل هو الذي يظهر جميع الاشياء ولو تصور لله تعالى غيبة عن بعض الامور لانهم دمت السموات والارض وكلما انقطع نوره عنه ولا دركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة في الشهادات والاحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخطائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره في أول حقايق الاسماء لما ذكر أن الملائكة

ليكن بطنت بما أظهرت
مختبئا
فكيف يعرف من
بالعرف قدسنا

الاعلى يطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملائكة في الطلب واختلغا في الكيفية فانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمتهم محجب عن العقول فاني لهم ذلك قال ومن هذا النوع من يطلبه به لكون الحق سمعه وبصره ومنهم من يطلبه بنظره العقلي وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كتاب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجامع من العنة وهذا شيء لا يقوم عليه دليل سوى الذوق وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لاولي الابصار فالوصول الى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يزيد الناظر الاحيرة وانما يعلم بالعلام الحق على الوجه الذي يليق بحاله لمن اختصه من عباده فن قال ان الحق جلت عظمتهم يعرف بدليل فانه يضرب في حديد بارد ومن هذا قال من قال العلم حجاب فاني يريد بهذا القائل المصنف كما صرح به في كتاب الشريعة انتهى قال يريد العلم النظاري فاهل الله علموا الحق باعلامه تعالى لكون الحق علمهم لما كان سمعهم وبصرهم ومثل هؤلاء لو تصور فهم نظركم فكيف لكان الحق عين فكيف لهم لكان لا يتصور من يكون مشهدة هذا أن يكون له فكر بل هو مع الفهم من ضروب الهام الحق من غير تفكير لا سهل ولا صفاته في صفات الحق ومن كان فهمه عن تفكير فاهو من أهل الذوق ثم قال عند ذكره الظاهر الباطن الظاهر لنفسه فما زال ظاهرا والباطن عن خلقه فلم يزل باطنا فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعبادة اعلم أن لاهل الكشف مرتبتين احدهما أعلى من الثانية فكامل يكون له به وهو السابق وعارف يكون له بنفسه وهو المقصد المتحقق بحقائق العبودية المتصف بجميع الاحوال والمقالب في اطوار المقامات وهو برزخ بين الكمال والنقصان فهو اذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره لانه قائم للحقوق بنفسه ولم يثبت لظهور الحق الامن الحق بصره وأما الكامل فهو له به لانه بنفسه فله الثبات في كل موطن بالقوة الالهية السارية في ذاته فلا يبتغي حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الاحوال والمقامات لكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد في الخبر انما نحن به وله وهو يته الدائرة الوجودية والصاعدي في الدائرة معني الهابط وما انقسمت دائرة الوجود الا بالخط الموهوم ولا وجود لها وهو عين المقيد واذا كان الحق سمع المقيد وبصره ارتفع التقييد والخط ولم يبق سوى الدائرة فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره وجلالة بروره ادرت شدة ظهوره خفاء فسبحان من احتجب باسراق نوره واختفى عن العقول والابصار شدة ظهوره واما سر بطون الحق من اسم الباطن فهو ان يعلم أن رؤية الشيء تقتضي العلم به وهو علم الرائي انه رأى شيئا وما احاط علمه بما رآه وعند أهل الم لا تنضب طرؤية الحق ولا ياضبط لا يقال فيه انه يرى أو يعلم فمآرأه الامن رأى انه ما رآه ولا يعلم الامن علم انه ما علم فالجلب الالهية أيدام سدولة بينه وبين خلقه ولورفعت لاحرق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه والجلب ان كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات وان كانت غير مخلوقة فلا حجاب ولا احتجاب فالخلق فيها انها سر أخفاها الله تعالى عن خلقه سمي ذلك الاخفاء حجابا فالنور منها ما حجب من المعارف النظرية والظلمانية ما حجب به الامور الطبيعية والرسومية وليس الاندراج النور الادنى في الاعلى كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس ولما كانت الاشياء تحفظ بالحدود فاذا جاوز الشيء خده انعكس ضده كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد القول والادراك بطن واستتر عن العامة فلم يظهر لهم الامر على ما هو عليه وحد العارفين في معرفته ان يعرفوا أنه لا يعرف اذ لو عرفوا لم يكن باطنا وهو الباطن والبطون يختص بالمكن فكان كما أن الظهور يختص بالوجود والبطون الذي وصف به نفسه انما هو في حق الممكن فلم يكن باطن الحق والحق ظاهرا لانه من بطون الحق ظهر الكون وبما ظهر استتر وفيما بطن ظهر فالظهور عين البطون لما ان الاسخريين الاول انتهى وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعاقبها ثم شرع المصنف في ذكر ما يثمر المحبة من الشوق والانس والرضا وغير ذلك مما سبأني بيانه الان صاحب القوت جعل الرضا مقام مستقلا من مقامات اليقين كقوام المحبة والشيخ أبو اسمعيل الهروي جعله ملحقا بمقام التوكل كالتسليم والتفويض قال لانهم آداب وذكريه أحوال في باب المحبة وعداهم مقامات على طريق منازل العبد الى الله تعالى وفي الله تعالى حالا بعد حال وهذا وسمه البرق

٣ هكذا هو بالاصل

* (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) * اعلم أن من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والا تارأما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى أمر والموجود لا يطلب (٦٠٢) ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلا

فلا يشاق اليه فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابطال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد رآه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والوجسد والنزق والالحظ والوقت والصفاء والنفس والفرق والغيب والسكن والفناء والبقاء والوجود والجمع والتعظيم والانس والقرب والسكينة والطمانينة والانبساط والاذلال والغيرة والشوق والوجد دوله أحوال ثلاثة الدهش والهيجان والتمكين قال الكل محمد بن اسحق الصوفي وهذا الترتيب أول من ترتيب غيره لانه يحصل الجمع بين معرفتها وبين علم تدرجها في السلوك والمنزلات والله سبحانه يفتح على كل عبد من عباده من تقديم وتأخير وقد يعطى الله بعض العارفين واحداً منها وقد يعطيه كلها ويعطى اضعافها الى ما لا نهاية له مما لانعرف له وجوداً ولا رأياً له رسمها ولا سمعنا له ذكرها قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم * (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) *

وهو غار المحبة وسئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد وهو أفضل من الانس ولذلك قدمه لان الانس قصر نظره على ما لا ينكشف له من جمال المحبوب ولم يمتد نظره الى استكشاف ما غاب عنه والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بان الذي انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالنور بالنسبة الى سعة الوجود لله المثل الاعلى (اعلم) وفقك الله (ان من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق) الى الله تعالى (اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب) فاذا انتفت المحبة انتفى ما هو من غارها اذ لا محالة ان الثمرة تبع للعمر (ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى) يا عجب أصل المحبة (وكون العارف مضطراً اليه بطريق الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى طلب أمر) ونزول النفس اليه (والموجود لا يطلب) ولا تشوق اليه النفس (ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلاً فلا يشاق اليه) لا تقطع الاطماع منه (فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية) بحاسة البصر (فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق) روى القشيري عن بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسخر على الفرقة فاذا وقع اللقاء طفى واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقبل ابعضهم هل يشاق فقال لا ان الشوق الى غائب وهو حاضر (ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابطال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد رآه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والثاني) أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال
الوضوح بالمشاهدة وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد
نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى
أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا
الى أن يحصل له أصل المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة (٦٠٣) واضحة ولا معرفة غامضة والشوق

الاول ينتهى في الدار
الآخرة بالمعنى الذي
يسمى رؤية ولقاء
ومشاهدة ولا يتصور
أن يسكن في الدنيا
وقد كان ابراهيم بن
أدهم من المشتاقين فقال
قلت ذات يوم يارب ان
أعطيت أحدا من
المحبين لك ما يسكن به
قلبه قبل لقائك فأعطني
ذلك فقد أضربى
العلق قال فسرأيت في
النوم انه أوقفني بين
يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني
أن أعطيك ما يسكن به
قلبك قبل لقائي وهل
يسكن المشتاق قبل لقاء
حبيبه فقلت يارب نمت
في حبك فلم أدر ما أقول
فاغترى بوعلى ما أقول
فقال قل اللهم رضى
بقضاءك وصبرنى على
بلائك وأوزعنى
شكر نعمائك فان هذا
الشوق يسكن في

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات) وأيضاً فإن الصور
تتنوع عليهم في تجليات المشاهدة مع أحادية العين في نفس الامر (وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا)
وصورها (فانما كمال الوضوح بالمشاهدة) العيانية (وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة) حين
يبايع الكتاب أجله (وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعى الشوق)
وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما (الثاني ان الامور الالهية لانهاية لها ولا حد لها ينتهى اليه) وانما
ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة (والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل
المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة) كما هو مقتضى
الترقى والزيادة (والشوق الاول ينتهى في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور
ان يسكن) هذا الشوق (في الدنيا فقد كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من المشتاقين) وكانت له أما كن
من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عليه (فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضربى القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني ان أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه) أى هل
يسترجح المحب الى غير معشوقه قال (فقلت يارب نمت في حبك فلم أدر ما أقول فاغترى بوعلى ما أقول فقال قل
اللهم رضى بقضاءك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك) نقله صاحب القوت ورواه أبو محمد السراج
في مصارع العشاق بسنده الى ابراهيم بن عبد الله البطي عن ابراهيم بن أدهم قال وجدت يوما راحة وطاب قلبي
لحسن صنع الله واختباره لى فقلت فساقه الى قوله فلم أدر ما أقول وقد لاحظ هذا المعنى القطب أبو الحسن
الشاذلى قدس سره فادرج هذه الكلمات في خزنة الكبير مفرقة في موضعين منه وفيه اشعار بان الادب مع الله
مطلوب في كل حال فان الله تعالى قد يعرض عن محبيه تعزير ليرتجهم الشوق اليه ويقلقهم الاسف عليه
ويستخرج منهم لطف التعلق له ثم ينظر اليهم في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظر واليه بحيث يعلمون
فيسكنون بالادب بين يديه (فان هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لافى
الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعمى في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله
ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
انضاحا تاما (فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال
مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر
متوالية) أى متتابعة (الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد وتكون لذة ما يتجدد من ألطاف
النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم يحصل به

الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لافى الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعبودية فى الآخرة من جلال الله
تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك
شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد
وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم يحصل به

يحصل فيه

كشفي الدنيا أصلاً فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولا يكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وبناتكم لنا نوراً واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم (٦٠٤) النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو

المراد بتمامه وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو ولم ينكشف لنافيه بعدما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه * وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال أبو الدرداء لكعب أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى

الكشف في الدنيا أصلاً فاذا كان غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولا يكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور والمعنى وهو أن ينعم عليه بتمام النور ومهما تزود من الدنيا أصل النور) واكتسبه منها (ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه) والاول اوفق بلفظ الاتعالم (وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو) لانه من الامور الغيبية وليس للعقل فيها مجال (ولم ينكشف لنافيه بعدما يوثق به) ويعتمد عليه وانما نحن على بحر التمني (فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً) ويرزقنا اتباعه (فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك) رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ اللهم اني أسألك الرضا بالقضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وروى ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر بلفظ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيري وما علمت الوفاة خيري الى اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفد وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا ربنا بنة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا ابن أبي قحاش حدثنا سمعيل بن زرارة عن حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بن عمار بن ياسر صلاة فاجزها فقلت خففت يا أبا اليقظان فقال وما على من ذلك فلقد دعوت الله سبحانه بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب فساقه الا انه قال كلمة الحق بعد كلمة الاخلاص وقال نعيماً لا يبيد بدل لا ينفد وقال بعد القضاء كما عند المصنف والباقي سواء وقد رواه أيضاً ابن الجارفي تاريخه هكذا وروى أبو نعيم في الحلية من حديث الهيثم بن مالك الطائي اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي واجعل خشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا في دنياهم فافقر رعي من عبادتك (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لكعب) الاخبار رجع الله تعالى (أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا (وسلم يقول هذا) نقله صاحب القوت وأغفله العراقي والذي رواه أبو الدرداء مرفوعاً هو قوله يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني (وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود بلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بذكرى) وللفظ القوت مؤنس لمن أنس بذكرى وأنيس لمن أنس بي (وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني

جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود بلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني

ونعمتها بحلالى وروى
عن بعض السلف ان
الله تعالى أوحى الى بعض
الصديقين ان لى عبادة
من عبادى يحبونى
وأحبهم أو يشاؤون الى
وأشأنك اليهم ويذكرون
وأذكرهم وينظرون
الى وأنظر اليهم فان
حدوث طريقهم أحببتك
وان عدت عنهم مقتك
قال يارب وما علامتهم
قال راعون الظلال
بالنهار كما راعى الراعى
الشفيق غنمه ويحنون
لى غروب الشمس كما يحن
الطائر الى وكره عند
الغروب فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وفرشت
الفرش ونصبت الاسرة
وخلا كل حبيب بحبيبه
صحبوا الى أقدامهم
وافترشوا لى وجوههم
ناجوني بكلامى وتلقوا
الى بانعائى فينبى صارخ
بالك وبين متأوه وشاك
وبين قائم وقاعد بين
راكع وساجد بعينى
ما ينحملون من أجلى
وبسمعى ما يشكرون
من حى أول ما أعطيتهم
ثلاث أفد من نورى

فِي قُلُوبِهِمْ فَيَذَرُونَ عَنِّي كَمَا أَخْبَرْتُ عَنْهُمْ وَالثَّانِيَةُ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهَا فِي مَوَازِينِهِمْ لَأَسْقَلَتْهُمَا هُمُ وَالْثَّالِثَةُ مَنْ أَقْبَلَ بِي وَجْهِي عَلَيْهِ يَعْلَمُ أَحَدًا مَّا رُبَّدَانِ أُعْطِيَ مَعِي أَخْبَارُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْهِ يَادَاؤُا
تَسَاءَلُنِي الشُّوقَ إِلَى قَالَ يَا رَبِّ مِنَ الْمُسْتَاقِنِينَ الَّذِينَ صَفِيَّتُهُمْ مِنْ كُلِّ كِدْرٍ وَنَبْتِهِمْ بِالْحَزَرْ وَخُ
يَنْظُرُونَ

(7.7)

من أعمالنا وقال الآخر
وقال الآخر سبحانه
الملك وأتم بذكر المنفعة
في عظمتك أفيجبرني على
شأنك وقربك من أولياء
في شكرك وقال الآخر
لنا نوراهندي في الظلم

بِحَبْلِكَ سَجَانِكَ نَحْنُ عبيدُكَ وَبنو عبيدِكَ فَاَمِنْ عَلَيْنَا بِحَسَنِ النِّظَرِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مِنْ
عَمَلِكَ نَحْنُ عبيدُكَ وَبنو عبيدِكَ أَفَتَجْتَرِئُ عَلَى الدَّعَاوِ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا قَادِمٍ لَنَا زَوَمِ الطَّرِيقِ
وَقَالَ الْآخَرُ نَحْنُ مَقْصُورُونَ فِي مَطْلَبِ رِضَاكَ فَاعْنَا عَلَيْهِ بِجُودِكَ وَقَالَ الْآخَرُ مِنْ نَظْفَةِ خَلْقَتِنَا وَمَنْتَ عَلَيْنَا بِالْتَفَكُّرِ
كَلَامٍ مِنْهُ هُوَ مُشْتَغِلٌ بِعَظَمَتِكَ مُتَفَكِّرٌ فِي جَلَالِكَ وَطَابِعَتِنَا الدُّنُومِ نُورِكَ وَقَالَ الْآخَرُ كَلْتَ أَلَسْتَ تَعْنِي دَعَائِلَ عَظَمِ
نَا وَكَثْرَةَ مَمْلَكَتِكَ عَلَى أَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَقَالَ الْآخَرُ أَنْتَ هَدَيْتَ قُلُوبَنَا لَكَ كَرَّكَ وَفَرَّغْتَ أَلَا شَيْءَ عَالٍ بِكَ فَاعْفُ رِغْمَ تَقْصِيرِنَا
عَرَفْتَ حَاجَتَنَا لِمَا هِيَ النِّظَرُ إِلَى وَجْهِكَ وَقَالَ الْآخَرُ كَيْفَ يَجْتَرِئُ الْعَبْدُ عَلَى سَيِّئِهِ إِذَا أَمَرَ تَبَا الدَّعَا بِجُودِكَ فَهَبْ

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال

بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأرى به كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال لي يستعجلي القدوم وأنا أكره ان أميته لانه موضع نظري لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيت يادادود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه ونهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي (به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجان الحب ومراتي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجدده وعبر عن وجهته به دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجدهم واكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكيتهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصح رسمه في كتاب لان الكتاب يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا ما قصرت عنه أوهامهم ولم يكفهم قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فاوهم ضبطه ونشئت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولو كان الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبه اللذين هما سبب هذا الفضل هو رفض الدنيا وأبنائهم فهو أصل كل مرتبة عالية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهت (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) يادادود (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأرى به كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال لي يستعجلي القدوم وأنا أكره ان أميته لانه موضع نظري لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيت يادادود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه ونهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي (به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجان الحب ومراتي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجدده وعبر عن وجهته به دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجدهم واكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكيتهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصح رسمه في كتاب لان الكتاب يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا ما قصرت عنه أوهامهم ولم يكفهم قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فاوهم ضبطه ونشئت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولو كان الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبه اللذين هما سبب هذا الفضل هو رفض الدنيا وأبنائهم فهو أصل كل مرتبة عالية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهت (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) يادادود (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان

أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي وفي أخبار داود أيضا ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان

في قلب يادادوخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا خالطه وتوديتك فقلدني ولا تقلدنيك الرجال اماما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلدني به حقا على اني اسارع الى سياستك وتقوى عليك واكون قائداً ودليلك اعطيك من غير ان تسألني واعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضف الاشياء الى التضاد عما كنت تكون (٦٠٨) متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة

في قلب واحد) يادادوخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا خالطه وتوديتك فقلدني ولا تقلدنيك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلدني به حقا على اني اسارع سياستك وتقوى عليك وأكون قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد جعلت على نفسي ان لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضعف الاشياء التي لا تضاد عما كنت تكون متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أجمع لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير (لفظ القوت بعين قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسوية فواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد من فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها يادادولان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبه عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداد وتمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهرته عنها ياداد ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريد استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداد تحبب الى عباداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداويلك مداواة) ولفظ القوت انما أداريك مداواة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وانت متمسك بطاعتي) قال صاحب القوت بعد ان ساق بطوله واعلم ان كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه لان وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده ثم ان كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما انه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأذبه بين يديه وعبدته وتعبده بجمعني من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك الا انه كما تقول في الدعاء الى الله تعالى والادلة عليه والطريقين للعباد اليه ان كل داع ودليل دعا الى الله فمن حيث دعاه الله تعالى اليه ودل على الله فمن حيث دل عليه وطرق اليه سبيل العبادات وسهل منهاج النقيات فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل اليه (وأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (يادادولو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أجمع لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسوية فواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد من فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها يادادولان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبه عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا

فاقة الى المخلوقين ياداد وتمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهرته عنها ياداد ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريد استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه ياداد تحبب الى عباداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداواة لتقوى على ثوابي اذا مننت عليك به واني أحبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود يادادولو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

لهم وورثهم وشوقى الى ترك معاصيهم لما توشقوا الى وتقامت اوصالهم من محبتي ياد اود هذه ارادنى في المدير من عني فكيف ارادنى في
المقبلين على ياد اود احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدى (٦٠٩) اذا اذ برعنى واجل ما يكون عني اذا

رجع الى فهذه الاخبار
ونظائرهما مما لا يحصى
تدل على اثبات المحبة
والشوق والانسا وانما
تحقيق معناها يكشف
بما سبق

* (بيان محبة الله للعبد
ومعناها) *

اعلم ان شواهد القرآن
مظاهرة على ان الله
تعالى يحب عبده فلا بد
من معرفة معنى ذلك

ولتقدم الشواهد على
محبة فقد قال الله تعالى
يحبهم ويحبونه وقال
تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا

وقال تعالى ان الله يحب
التوايين ويحب المتطهرين
ولذلك رد سبحانه على
من ادعى انه حبيب الله

فقال قل فلم يعذبكم
بذنوبكم وقد روى انس
عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا احب الله

تعالى عبد لم يضرمه ذنب
والنائب من الذنب كن
لاذنبه ثم تلا ان الله يحب
التوايين ومعناها انه اذا

احبه تاب عليه قبل الموت
فلم تضرمه الذنوب الماضية
وان كثرت كما لا يضرم
الكفر الماضي بعد
الاسلام وقد اشترط الله

لهم وورثهم وشوقى الى ترك معاصيهم لما توشقوا الى وتقطعت اوصالهم من محبتي ياد اود هذه ارادنى في
المدير من عني فكيف ارادنى في المقبلين على (كذا في الرسالة للقشيري وزاد غيره) ياد اود احوج ما يكون
العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدى اذا اذ برعنى واجل ما يكون عني اذا رجعت الى) نقله
صاحب القوت وفيه ايضا في اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك منقطع الى وتدعى
عشقي وتسمى الظان بي القى كنفك بين يدي اكن لك فان محبة من عبادى ان يكونوا راحنين لا يفتنمون
مصاييح القلوب كن في الدنيا وحدانيا ولا تهم بالخبر وانت تريدني آثرها على هوالك واغضبي أشد مما
تغضب لنفسك وقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما الى
بعض الصحارى منفردا فاوحى الله تعالى اليه مالي اراك ياد اود وحدانيا فقال استأثر الشوق الى لائقك على قلبي
لحال بيني وبين محبة الخلق فاوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتني بعبد ابق أثبتك في اللوح المحفوظ
عبد اجهيد شهيدا (فهذه الاخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانسا وأما تحقيق
معناها فقد انكشف مما سبق) والله الموفق

* (بيان محبة الله للعبد ومعناها) *

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان شواهد القرآن مظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى
ذلك ولتقدم الشواهد) الدالة (على محبته) تعالى له (فقد قال الله تعالى) يا أيها الذين آمنوا من يرد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل
بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضلهم وما بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين
(وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) كأنهم بنيان مرسوم وقد روى في الخبر ما كان
الله ليعذب حبيبه بالنار (وقال تعالى ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين ولذلك رد الله سبحانه على من
ادعى انه حبيب الله) واحج عليهم (فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى) اسمعيل بن أبي زياد عن
أبان عن (أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبد لم يضرمه ذنب
والنائب من الذنب كن لا ذنب ثم تلا ان الله يحب التوايين) ويحب المتطهرين كذا في القوت قال العراقي
ذكره صاحب الفردوس ولم يخبر به ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود
وتقدم في التوبة انتهى قلت رواه بتمامه ابن أبي الدنيا والقشيري في الرسالة وابن النجار في تاريخه قال
القشيري حدثنا أبو بكر بن فورك أخبرنا أحمد بن محمود بن خوزاد حدثنا محمد بن الفضل بن جابر حدثنا سعيد
ابن عبد الله حدثنا أحمد بن زكريا حدثنا أبي قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول التائب من الذنب كن لا ذنب له واذا احب الله عبد لم يضرمه ذنب ثم تلا ان الله يحب التوايين ويحب
المتطهرين قبل يارسول الله ما علامة التوبة قال الندامة وتقدم في التوبة (ومعناها انه اذا احبه تاب عليه قبل
الموت فلم تضرمه الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضرم الكفر الماضي بعد الاسلام) فقد ورد الاسلام يحب
ما كان قبله رواه ابن عساکر من حديث خالد بن الوليد ورواه ابن سعد من حديث الزبير بن العوا وايضا
من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده رفعه (وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران
الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كذا في القوت (وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدينيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب) قال العراقي رواه
أحمد وصححه اسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله

(٧٧ - (انحاف السادة المتقين) - تاسع)

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدينيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا
من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

الله ومن أكثر ذكر الله عليه
السلام قال الله تعالى لا
يزال العبد يتقرب إلى
بالنوافل حتى أحبه فإذا
أحبه كنت سمعته الذي
يسمع به وبصره الذي
يبصر به الحديث وقال
زيد بن اسلم ان الله يحب
العبد حتى يبلغ من حبه
له ان يقول اعمل ما شئت
فقد غفرت لك وما ورد
من الفاظ المحبة خارج
عن الحصر وقد ذكرنا
ان محبة العبد لله تعالى
حقيقة وليست بمجاز
المحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس
الى الشيء الموافق والعشق
عبارة عن الميل الغالب
المفرط وقد بينا ان
الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق أيضا وان
الجمال والاحسان نارة
يدرك بالبصر ونارة يدرك
بالبصيرة والحب يتبع
كل واحد منهما فلا
يختص بالبصر فاما حب
الله للعبد فلا يمكن أن
يكون بهذا المعنى أصلا
بل الاسمى كلها اذا
أطلقت على الله تعالى
وعلى غيره الله لم تنطلق
عليهما بمعنى واحد أصلا
حتى ان اسم الوجود
الذي هو أعم الاسماء
اشتركا لا يشمل الخلق

رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله (أحبه الله) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد
باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الخ فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة انتهى قلت
ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه
الله وروى الشطر الاول والثاني في سياق المصنف ابن منده وأبو عبيد من حديث أويس بن خولى والشطر
الاول فقط أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة والشطر الاخير فقط ابن شاهين من حديث عائشة (وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبه كنت سمعته الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث) أوله من آذى لي ولبياء فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي
بشيء أفضل من ادعاهما فترضته عليه وما يزال عبدي الخ وتماه ويده التي يبطش بها ورجله التي تمشي بها
فلئن سألتني أعطيتهم ولئن استعاضوني لأعذته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت
وأكره مساءته رواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك
ابن عبد الله بن أبي غر عن عطاء عن أبي هريرة قال الذهبى هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء
وتفرد به خالد عن سليمان ورواه أبو نعيم في أول الحلية من طريق ابن المؤمل والسراج كلاهما عن ابن كرامة
وقد تقدم قريبا (وقال زيد بن أسلم) العدو مولا هم التابعي الثقة وكان كثير الارسال (ان الله يحب
العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك) كذا في القوت (وما ورد من ألفاظ المحبة
خارج عن الحصر) فمن مشهور ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة إذا أحب الله عز وجل عبدا
نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي الحلية من حديث أنس إذا أحب الله عبدا قذف حبه في
قلوب الملائكة الحديث (وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذا المحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى الشيء) الملائم (الموافق والعشق) الذي هو أحدم مراتبها (عبارة عن الميل الغالب
المفرط) المتجاوز عن الحد وقد اختلف في اطلاقه وقد أنكره جماعة من العلماء في الرسالة للقشيري سمعت
أبا علي الدقاق يقول العشق مجاوزة الحد في المحبة والحق لا يوصف بأنه مجاوز الحد فلا يوصف بالعشق ولو جمع
الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحسان قدر الحق فلا يقال ان عبدا جاوز الحد في محبة الله ولا يوصف
الحق بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه ففني العشق ولا سبيل له الى وصف الحق لامن الحق للعبد ولامن
العبد للحق انتهى والذي يقتضيه سياق المصنف هنا وفي بعض مواضع أخر سبق من الكتاب جواز اطلاقه في
وصف العبد مع الله تعالى وقال صاحب القوت وقد كان أبو زيد أو بشعيب المقفع وسري بن مفلس وأبو عبيد
الله بن الجلاء والجنيد بعدهم رجهم الله تعالى يذكرون العشق في مقامات خليل ومحب وزاد أبو زيد ذكر
العشق في مقام وجعله معشوقا وقد كان يشير بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كلهم يريدون وصفان الحب
مخصوصا لاعتن فعل ولا سبيل بل لوصف تعالى به ثم قال الآن هذا ليس من معارف العامة ولا تهدي اليه قلوبهم
ولا يقدر في جوهر عقولهم وليست صفاتهم مكانا لهذا ولا أخلاقهم مخلقة عليهم ولا علومهم نافذة فيه فذكره
مذكرا لان العقول تنكره والقلوب تنجحه والهمم لا تسرى فيه فلذلك كان طمعه أحسن من نشره وانما ينتسخ
من قلب الى قلب وقدر وينال فقط من هذا المقام في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك
منقطع الى وتدعى عشقي وتسمى الظن بي وقد تقدم باقيه (وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق
أيضا وان الجمال والاحسان نارة يدرك بالبصر ونارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر)
هذا ظاهر في حب العبد لله تعالى (فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسمى كلها
اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره الله تعالى) لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذي
هو أعم الاسماء اشتركا لا يشمل الخلق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا لوجود المتبرع وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه قال السيد الشيرازي في الرسالة الوجودية التي عبر عنها بعض العارفين بالفارسية مانعه أعلم أن الوجود له مراتب الأولى وجود مستفاد من الغير وهو المشهور عند العقلاء في الماهيات الممكنة فهذا الابد من ثلاثة أشياء أحدها ذات ماهية الممكن والثاني وجود وهو مستفاد من الغير والثالث هو الغير مفيض الوجود على الماهية ولا شك أن انفكاك الوجود في هذه الموجودات بنظر ذاتها جائز بل واقع الثانية ذات تقتضي وجودا من حيث أن انفكاكه محال كوجود واجب الوجود عند جمهور المتكلمين فهذه الابد من الاثنينية أحدها ذات الواجب والثاني وجود وهو المستفاد منها وانفكاك الوجود من هذه الموجودات محال لكن باعتبار مغايرتها للذات في التصور يمكن انفكاكه الثالثة موجود بوجده وذاته عينه وقائم بذاته لا بغيره حقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون إلا امر واحدا وهو موجود ووجود الأشياء موجود منه فلا اتحاد الوجود والذات انفكاك التصور محال وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن التصور وهذا كمال الواجب الوجود عند المتكلمين وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود بحت يعني في واجب الوجود لا يكون شيئا ذات وجود هو عارض لها بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته وهم مع الطائفة الأولى متفقون عليه بهذا المقدار ولم يقولوا الوجود عين الموجود هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وإن كان يمكن هذه المرتبة فورية الوجود لا بد هو واجب الوجود لا هذا وأرباب النظر يقولون العقل يحكم حقيقة واجب الوجود ينبغي أن يكون وجود واجب الوجود لا ينبغي أن يكون كليا يعني لا يكون كليا وعموم عارض له لأنه إن كان كليا لابدان يكون في الخارج له صورة فيلزم أن يكون واجب الوجود مكملا من كل شيء وتعيين التركيب على واجب الوجود محال بل ينبغي لو واجب الوجود أن يكون في حد ذاته متعينا وتعيينه عين ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب والتعدد فينبغي أن يكون الواجب قائما بذاته وإن كان قائما بالغير فيكون محتاجا إليه ونسبة الاحتياج إلى الواجب محال بل تصور الاحتياج إليه كفر فلزم أن تكون حقيقة الوجود عين الواجب حقيقة الوجود بذاته يكون متعينا حقيقيا وقائما بذاته فحينئذ تعد حقيقة الوجود بحسب الأفراد وعروض حقيقة الوجود الماهيات الممكنة من المحالات وقد فهم من هذا أن واجب الوجود وجود مطلق والمراد بالمطلق أن لا يكون عارض الماهية بل قائم بذاته ومقيد بتعيينه بذاته متعين ومقيد وإن إطلاق الوجود على غير واجب الوجود مجاز لأن الوجود عارضه ولا جزؤه ولا عينه بل موجودية الأشياء لها تعلق به وله أثر فيها ولا يكون الوجود لها عارضا ولا فيها هذا كلام أرباب البحث والنظر والعقل والصوفية يقولون عندنا طريق غير طريق العقل وهو المكاشفة والعقل فيها عاجز وقد تقرر عندنا أن حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الإطلاق أيضا وهذه الحقيقة في جميع الأشياء تنصف بوجود التجلي والظهور يعني لا تكون الأشياء خالية عنه وإن كانت خالية من حقيقة الوجود فإن لوحظت باعتبار الإطلاق المذكور سميت أحدية الجامعة وباعتبار عدم القيود والتعينات سميت أحدية الصرفة اهـ (وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيره فكل ذلك لا يشبهه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق إلى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل) قال المصنف في المقصد الاسني وكان إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا أن أنفسنا ولم نعرفه إلا بانفسنا إذا لم لا يتصور أن يفهم معنى قولنا أن الله جميع والا كما لا يعرف معنى قولنا أنه بصير وكذلك إذا قال القائل كيف يكون الله عالما بالأشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فإذا قال كيف يكون قادر فنقول كما تتدبر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئا إذا كان فيه

من وجود الله تعالى
فالوجود التابع لا يكون
مساويا للوجود المتنوع
وإنما الاستواء في إطلاق
الاسم نظيره اشتراك
الفرس والشجر في اسم
الجسم إذ معنى الجسمية
وحقيقتها متشابهة فيهما
من غير استحقاق
أحدهما لأن يكون فيه
أصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادة من
الآخر وليس كذلك
اسم الوجود لله ولا خلقه
وهذا التباعد في سائر
الاسامي أظهر كالعلم
والارادة والقدرة وغيرها
فكل ذلك لا يشبهه فيه
الخالق الخلق وواضع
اللغة إنما وضع هذه
الاسامي أولا للخلق فان
الخلق أسبق إلى العقول
والافهام من الخالق
فكان استعمالها في
حق الخالق بطريق
الاستعارة والتجوز
والنقل

والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح هذا الخيال تصوري في نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال (٦١٢) وجمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا

ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة اليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فيها ما يناسبه ويشاركة ولو في الاسم لم يتصور فهمه ألبتة فاعرف أحد الانفسه ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتقدس عن ان تشبه صفاتنا (والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح وهذا الخيال تصوري في نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل جلال وكمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز رغبته ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو لذا يحب الانفسه) هذا من حيث الحقيقة (وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه) اما الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه (أي بعين بصيرته الباطنة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه) اما (الى ارادته ذلك في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم علمه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه) فمحنة العبد لله لاجل حب الله له ووجد الله لعبده من أجل حبه له فالسعداء من العباد محبوبون محمودون من الله والله محمود منهم وبمحمد الله نالوا جده كما نالوا بحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في الرسالة المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها العبد وأخبر عن محبته للعبد فانه سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لاتتعلق بالقديم اللهم الآن يحمل على ارادة القرب اليه والتعظيم له ثم قال فمحنة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رغبته ارادة الانعام فالرغبة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرغبة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رغبة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسمائها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رغبة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا لمحبة الحق للعبد مدحه له ونشأه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه كلامه قديم وقال قوم محبة للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقي العبد به حالة مخصوصة برقيه اليها كما قال بعضهم ان رغبته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا لمحبة من الصفات الخيرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير فاما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالليل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكما له يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لاتتعلق بالقديم أي الارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها التخصيص فلا

ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز رغبته ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الانفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

تتعلق

المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء

باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو
ليستريح بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشربه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق
للامته وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجدوا لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية
والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك واخر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه
وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل (٦١٣) وحجب نفسه الى الملك فحب الله للعبد

انما يكون بالمعنى الثاني

لا بالمعنى الاول وانما يصح

تمثله بالمعنى الثاني بشرط

أن لا يسبق فهمك دخول

تغير عليه عند تجدد

القرب فان الحبيب هو

القريب من الله تعالى

والقرب من الله في البعد

من صفات الهائم

و السباع والشیاطين

والتخلق بكلام الاخلاق

التي هي الاخلاق الالهية

فهو قارب بالصفة لا

بالمكان ومن لم يكن

قريبا فصار قريبا فقد

تغير فربما ينظر بهذا ان

القرب لما تجدد فقد تغير

وصف العبد والرب جميعا

اذ صار قريبا بعد أن لم

يكن وهو محال في حق

الله تعالى اذ التغير عليه

محال بل لا يزال في نعوت

الكمال والجلال على ما

كان عليه في ازل الازل

ولا ينكشف هذا الا

بمثال في القرب بين

الاشخاص فان الشخصين

قد يتقاربان بتحركهما

جميعا وقد يكون أحدهما

تتعلق بالقديم كالاتفاق بالمستحيل وحاصل ما ذكره من الاقوال أربعة وهي ترجع الى قولين الارادة
والكلام لر جوع الفعل الى الارادة والخبرية الى الكلام (ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده
من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه) والمثول بين يديه (لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو
ليستريح بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشربه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله
اليه لما فيه من المعنى الموافق للامته وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجدوا
لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن
يكون قريبا من حضرة الملك واخر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه
وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) الى الملك (وحجب نفسه
الى الملك فحب الله) تعالى (للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثله بالمعنى الثاني بشرط أن
لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله
تعالى في البعد من صفات الهائم والسباع والشیاطين) من الحرص والطمع والكبر والغضب والشهوة
وغيرها من الرذائل (والتخلق بكلام الاخلاق) ومحاسنها (التي هي الاخلاق الالهية) وقد تقدم ذكرها (فهو
قرب بالصفة لا بالمكان) فان قلت طاهره يشير الى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى لانه اذا تخلق باخلاقه كان
شبهه الله ومعلوم شرعا وعقلا انه تعالى ليس كشيء وان لا يشبهه شيء قلت لا ينبغي أن يظن ان المشاركة بكل
وصف توجب المماثلة بل المماثلة عبارة عن المشاكلة في النوع والمماثلة والخاصة بالالهية لا يتصور فيها
مشاركة البتة (ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما ينظر بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد
والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال
والجلال على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الابدال في حق الشخصين قد
يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير
تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ
بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة
تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب
من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما
صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأطهر
نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر
كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه
لانهاية في كماله وسلولك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة فضلا

نابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ يطلب القرب من
درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى
ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب
فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقع الشهوات وأطهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من
درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى
مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لانهاية لكمال وسلولك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

في درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا حجة الله للعبد تقر به من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقده فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزله والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف (٦١٤) العبد العبدانه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب

الله عند ابتلاء فأحب
الحب البالغ اقتناه قيل
وما اقتناه قال لم يترك له
أهلاً ولا مالا فعلامته محبة
الله للعبدان بوحشه من
غيره وبحول بينه وبين
غيره قيل لعيسى عليه
السلام لم لا تشتري جارا
فتركه فقال أنا أعز
على الله تعالى من أن
يشغاني عن نفسه بحمار
وفي الخبر إذا أحب الله
عبد ابتلاه فان صبر
اجتبه فان رضى اصطفاه
وقال بعض العلماء إذا
وأيتك تحبه ورأيت
يتليك فاعلم انه يريد
وصافيك وقال بعض
المريدين لا ستأذ قد
طولت بشي من المحبة
فقال يا بني هل ابتلاك
بمحبوب سواء فاشترت
عليه آية قال لا قال فلا
تطمع في المحبة فانه لا
يعطيها عبدا حتى يبأوه
وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أحب
الله عبدا جعل له واعظا
من نفسه وزاجرا من
قلبه يأمره وينهاه وقد
قال إذا أراد الله بعبدا

عن المجاوزة (ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال) وسبب ذلك تفاوت درجات القرب بتفاوتهم في درجات المعرفة وانما كان هذا التفاوت لانهاية له لان ما لا يقدر الا آدمي على معرفته من معلومات الله تعالى لانهاية له وما يقدر عليه أيضاً لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه متناهياً ولكن مقدور الا آدمي من العلوم لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود متناهياً نعم الخارج إلى الوجود متفاوت في القلة والكثرة وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة والكمال والقرب (فإذا حجة الله للعبد تقر به من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه) وعري عنه (فاقد له فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزله والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى) فليست محبة العبد له متضمنة ميلاً ولا احتفاظاً كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللعوق والدرك والاحاطة (فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف العبدانه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحب الله الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالا) هكذا هو في القوت وقد رواه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم قريباً (فعلامته محبة الله للعبدان بوحشه من غيره وبحول بينه وبين غيره) فلا يشغله بسواه (قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري جارا فتركه) فانه كان كثير السباحة على رجليه والقائل له بعض الخواريين (فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلي عن نفسه بحمار) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ثابت البناني قال قيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت جارا تركته فقال أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلي به (وفي الخبر إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه) هكذا في القوت وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (وقال بعض العلماء إذا رأيتك يحب الله ورأيتك يتليك فاعلم انه يريد بصافيك) كذا في القوت ويشهده ما رواه البيهقي في الشعب من مرسل سعيد بن المسيب إذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء فان الله يريد أن يصفية (وقال بعض المريدين لا ستأذ قد طولت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فاشترت عليه آية قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبأوه) أي يختبره كذا في القوت (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبدا اه قلت وليس عند الديلمي قوله زاجرا من قلبه (وقد قال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبدا خيرا بصره يعيب نفسه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم (فأخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله) له (وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه المدبر لأمره) والمزكي لفعله (والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله تعالى) للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

بصره يعيب نفسه فأنص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

حب الله للعبد * (القول في علامة محبة العبد لله تعالى) * اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يقترب الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتجنى بالعلامات (٦١٥) ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة

شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وغارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على المحبة والبراهين على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقائه وادعاء علم أنه لا وصول إلى لقائه إلا بالارتحال من الدنيا ومقارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه فإن الحب لا ينقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمته وروى المارقي من حديث جابر الموت تحفة قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الأولي حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم بن اسحق الحر بن حدثنا محمد بن يزيد الدمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد بن أبي عمار قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم أني كنت أحب الفقير على الغني وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم ثم مات وجه الله الثانية بالسند إلى إبراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة فادتها وعلوها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار (وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه حقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوه في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معبر اللهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة أخذ مال محبوه وولفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا نفر من

حب الله تعالى (للعبد والله الموفق) * (القول في علامات محبة العبد لله تعالى) * (اعلم) وفعل الله تعالى (أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى) فكل يدعي وصلاً بليلي * وليلي لا تقر لهم بذلك

(فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس) المكاراة (مهما ادعت محبة الله تعالى) والشوق إليه والإنس به (ما لم يتجنى بالعلامات) الدالة على دعواها (و) ما (لم يطالبها بالبراهين) الكشفية (والدالة) العقلية (والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت) في أرض القلوب (وفرعها في السماء) أي في سماء الأرواح (وغارها تظهر على القلب) فتولد المعرفة (و) على (اللسان) فتورث الذكر (و) على (الجوارح) فتثمر الاعمال (وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي) أي تلك العلامات (كثيرة) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال (فمنها حب لقاء الحبيب بطريق) العيان (و) الكشف (و) المشاهدة (في دار السلام) ومحل القرب (فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقائه وادعاء علم أنه لا وصول إلى لقائه إلا بالارتحال من الدنيا ومقارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه فإن الحب لا ينقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمته وروى المارقي من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الأولي حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم بن اسحق الحر بن حدثنا محمد بن يزيد الدمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد بن أبي عمار قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم أني كنت أحب الفقير على الغني وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم ثم مات وجه الله الثانية بالسند إلى إبراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة فادتها وعلوها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار (وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه حقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوه في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معبر اللهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة أخذ مال محبوه وولفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا نفر من

كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

وفى وصية أبي بكر لعمر
رضى الله تعالى عنهما
الحق ثقيل وهو مع ثقله
مرىء والباطل خفيف
وهو مع خفته وبى عفان
حفظت وصيتى لم يكن
غائب أحب اليك من
الموت وهو مدركا وان
ضبيعت وصيتى لم يكن
غائب بغض اليك من
الموت ولن تجزوه وروى
عن اسحق بن سعد بن
أبي وقاص قال حدثني
أبي عبد الله بن جشم قال
له يوم أحد ألدنا والله
تخلوا فى ناحية فدا عبد
الله بن جشم فقال يارب
انى أقسمت عليك اذا
لقيت العدو غدا فلقني
وجلا شديدا به شديد
اجرد أقاتله فيك
ويقاتلنى ثم يأخذنى
فيجده أنفى وأذنى
ويقر بطنى فاذا القيتك
غدا قلت يا عبد الله من
جده أنفك واذنك
فاقول فيك يارب وفى
رسولك فتقول صدقت
قال سعد فلقد رأيته
آخر النهار وان أنفـه
وأذنه لمعلقان فى خبط
قال سعيد بن المسيب
ارجو أن يبر الله آخر
قسمه كما أراؤه

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتِلُوا كَرَامًا فَقُلْنَا لَوْ نَعْلَمُ أَىِّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمَلْنَاهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ سَجَّ اللَّهُ الْآيَاتِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ الْجِهَادَ يَقُولُونَ لَوْ دَرَأَنَا اللَّهُ دَلْنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ فَنَعْمَلُ بِهِ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مُرْدَوَيْهِ وَقَالَ بَجَاهِدُ نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَالُوا فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ لَوْ نَعْلَمُ أَىِّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَاهُ حَتَّى نَمُوتَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ جَدِيدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ عَسَاكَرٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الصَّبْرِ مَفْصَلًا (وَفِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْحَقُّ ثَقِيلٌ وَهُوَ مَعَ ثِقَلِهِ مَرِيءٌ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَهُوَ مَعَ خِفَتِهِ مَرِيءٌ عَفَانٌ حَفِظْتُ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ مَدْرُكٌ وَأَنْ ضَاعَتْ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَلَنْ تَجْزِيَهُ) هَكَذَا هُوَ فِي الْقَوَاتِ وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ فَقَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَجْدٍ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَخْلَادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَطَارُ بْنُ خَلِيفَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ قَالَ لَمَّا حَضَرَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ الْمَوْتَ دَعَا عَمْرَ فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ وَعَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تَوْدِيَ الْفَرِيضَةَ وَأَمَّا ثِقَلُ مَوَازِينٍ مِنْ ثِقَلْتِ مَوَازِينَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلُ عَلَيْهِمْ وَحَقُّ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ فِيهِ الْبَاطِلُ غَدَا أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئِهِمْ فَآذَانُ كَرْتِهِمْ قُلْتُ إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ لَا أَلْقَى بِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهُمْ فَآذَانُ كَرْتِهِمْ قُلْتُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ لِكُنْ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا يَتَنَبَّأُ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ ضَاعَتْ وَصِيَّتِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمَجْزِيهِ وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ الْحَقُّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَبِئْسَ شَهْوَةٌ تَوْرَثُ خِزَانَتِي وَلَا (وَبِئْسَ رَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ) تَابِعِي رَوَى عَنْ أَبِيهِ (قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ) بْنَ وَثَابٍ بْنَ يَعْمَرَ الْأَسَدِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أُمُّهُ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ هَاجَرَ إِلَى الْخَبَشَةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَصَاحِرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ (قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ أَلْدَعُوهُ اللَّهُ فَنَلَّوْا فِي نَاحِيَةٍ دَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ فَقَالَ يَارَبِّ إِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا لَقِيتُ الْعَدُوَّ غَدًا فَلَقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهٍ شَدِيدٍ أَحْرَدَهُ) بِحَرَكَةِ أَيْ غَضَبِهِ (أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجِدُ عَأْنِي وَأَذْنِي) أَيْ يَقْلَعُهُمَا (وَيَبْقَرُ بَطْنِي) أَيْ يَشْقِيهِ (فَإِذَا الْقِيَمْتُكَ غَدًا قُلْتُ) أَنْتَ (يَا عَبْدَ اللَّهِ) مَنْ جَدَّ عَأْنُكَ وَأَذْنُكَ فَأَقُولُ فَبَلَغْتَنِي يَارَبِّ وَفِي رَسُولِكَ فَتَقُولُ صَدَقْتَ قَالَ سَعْدٌ فَلَقْدَرَأَيْتَهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أَنْفَهُ وَأَذْنَهُ لَمَعَتَانِ فِي خَبِطٍ) قَالَ الْعَرَاثِيُّ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَمِنْ طَرِيقِهِ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ وَاسْنَادُهُ جَيِّدٌ أَهْ قُلْتُ لَفْظُ أَبِي نَعِيمٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحَدٍ حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عَيْسَى الْمَصْرِيُّ حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَسِيْبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَفِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ الْإِنَانِي فَتَدْعُو قَالَ فَنَلَّوْنَا فِي نَاحِيَةٍ فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ رَبِّ إِذَا لَقِيتُنَا الْقَوْمَ غَدًا فَلَقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا أَحْرَدَهُ أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي ثُمَّ ارْزُقْنِي الظُّفْرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَقَاتِلَهُ وَأَخْذُ سَلْبِهِ قَالَ فَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ثُمَّ قَالَ عَبْدَ اللَّهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا أَحْرَدَهُ أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي يَأْخُذْنِي فَيَجِدُ عَأْنِي وَأَذْنِي فَإِذَا الْقِيَمْتُكَ قُلْتُ هَذَا فَبَلَغْتَنِي وَفِي رَسُولِكَ فَتَقُولُ صَدَقْتَ قَالَ سَعْدٌ فَكَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي فَلَقْدَرَأَيْتَهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أَنْفَهُ وَأَذْنَهُ لَمَعَتَانِ فِي خَبِطٍ (قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (أَرْجُو أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ آخِرَ قَسَمِهِ كَمَا أَمَرَأَوْلَهُ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ جَدْعَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ اللَّهُمَّ اقْسِمْ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي ثُمَّ يَبْقَرُوا بَطْنِي وَيَجِدُوا عَأْنِي وَأَذْنِي جَمِيعًا ثُمَّ تَسْأَلُنِي فِيمَ ذَلِكَ فَأَقُولُ فَبَلَغْتَنِي فَبَلَغْتَنِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ ضَاعَتْ وَصِيَّتِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمَجْزِيهِ وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ الْحَقُّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَبِئْسَ شَهْوَةٌ تَوْرَثُ خِزَانَتِي وَلَا (وَبِئْسَ رَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ) تَابِعِي رَوَى عَنْ أَبِيهِ (قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ) بْنَ وَثَابٍ بْنَ يَعْمَرَ الْأَسَدِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أُمُّهُ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ هَاجَرَ إِلَى الْخَبَشَةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَصَاحِرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ (قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ أَلْدَعُوهُ اللَّهُ فَنَلَّوْا فِي نَاحِيَةٍ دَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ فَقَالَ يَارَبِّ إِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا لَقِيتُ الْعَدُوَّ غَدًا فَلَقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهٍ شَدِيدٍ أَحْرَدَهُ) بِحَرَكَةِ أَيْ غَضَبِهِ (أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجِدُ عَأْنِي وَأَذْنِي) أَيْ يَقْلَعُهُمَا (وَيَبْقَرُ بَطْنِي) أَيْ يَشْقِيهِ (فَإِذَا الْقِيَمْتُكَ غَدًا قُلْتُ) أَنْتَ (يَا عَبْدَ اللَّهِ) مَنْ جَدَّ عَأْنُكَ وَأَذْنُكَ فَأَقُولُ فَبَلَغْتَنِي يَارَبِّ وَفِي رَسُولِكَ فَتَقُولُ صَدَقْتَ قَالَ سَعْدٌ فَلَقْدَرَأَيْتَهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أَنْفَهُ وَأَذْنَهُ لَمَعَتَانِ فِي خَبِطٍ) قَالَ الْعَرَاثِيُّ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَمِنْ طَرِيقِهِ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ وَاسْنَادُهُ جَيِّدٌ أَهْ قُلْتُ لَفْظُ أَبِي نَعِيمٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحَدٍ حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عَيْسَى الْمَصْرِيُّ حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَسِيْبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَفِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ الْإِنَانِي فَتَدْعُو قَالَ فَنَلَّوْنَا فِي نَاحِيَةٍ فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ رَبِّ إِذَا لَقِيتُنَا الْقَوْمَ غَدًا فَلَقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا أَحْرَدَهُ أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي ثُمَّ ارْزُقْنِي الظُّفْرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَقَاتِلَهُ وَأَخْذُ سَلْبِهِ قَالَ فَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ثُمَّ قَالَ عَبْدَ اللَّهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا أَحْرَدَهُ أَقَاتَلَهُ فَبَلَغْتَنِي يَأْخُذْنِي فَيَجِدُ عَأْنِي وَأَذْنِي فَإِذَا الْقِيَمْتُكَ قُلْتُ هَذَا فَبَلَغْتَنِي وَفِي رَسُولِكَ فَتَقُولُ صَدَقْتَ قَالَ سَعْدٌ فَكَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي فَلَقْدَرَأَيْتَهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أَنْفَهُ وَأَذْنَهُ لَمَعَتَانِ فِي خَبِطٍ (قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (أَرْجُو أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ آخِرَ قَسَمِهِ كَمَا أَمَرَأَوْلَهُ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ جَدْعَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ اللَّهُمَّ اقْسِمْ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي ثُمَّ يَبْقَرُوا بَطْنِي وَيَجِدُوا عَأْنِي وَأَذْنِي جَمِيعًا ثُمَّ تَسْأَلُنِي فِيمَ ذَلِكَ فَأَقُولُ فَبَلَغْتَنِي فَبَلَغْتَنِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ ضَاعَتْ وَصِيَّتِي فَسَلَايَكَ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمَجْزِيهِ وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ الْحَقُّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَبِئْسَ شَهْوَةٌ تَوْرَثُ خِزَانَتِي وَلَا (وَبِئْسَ رَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ) تَابِعِي رَوَى عَنْ أَبِيهِ (قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ) بْنَ وَثَابٍ بْنَ يَعْمَرَ الْأَسَدِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أُمُّهُ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ هَاجَرَ إِلَى الْخَبَشَةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَصَاحِرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ (قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ أَلْدَعُو

وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الامريب لان الحبيب على كل حال (٦١٧) لا يكره لقامحبيبه وقال البويطي

لبعض الزهاد أتجيب
الموت فمكانه توقف
فقال لو كنت صادقا
لاحييته وتلاقوه تعالى
فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فقال الرجل
فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يمتن
أحدكم الموت فقال انما
قاله لاضرزله لان
الرضا بضا الله تعالى
أفضل من طلب الفرار
منه فان قلت فن لا يحب
الموت فهل يتصور أن
يكون محبته فاقول
كره الموت قد تكون
لحب الدنيا والتأسف
على فراق الاهل والمال
والولد وهذا ينبغي كمال
حب الله تعالى لان
الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب
ولكن لا يبعد أن يكون
له مع حب الاهل والولد
شائبة من حب الله تعالى
ضعيفة فان الناس
متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت
ما روي ان أبا حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة عبد بن
شمس لما زوج أخته
فاطمة من سالم مولا
عائشة قرين في ذلك
وقالوا أنكحت عتيلا
من عقائل قرين فولي
فقال والله لقد أنكحته
اياها واني لاعلم أنه خير
منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله

قسمه كما أثر أوله وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبد الله بن جحش فذكر
نحوه قال الحافظ وهذا أخرجه عبد الله بن المبارك في الجهاد مرسلا (وقد كان) سفيان (الثوري وبشر) بن
الخرث (الحافي) رحمه الله تعالى (يقولان لا يكره الموت الامريب) أي شاك (لان الحبيب على كل حال
لا يكره لقامحبيبه) نقله صاحب القوت (وقال) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري (البويطي) بضم الموحدة
وفتح الواو نسبة إلى بويط قرية بمصر بالصعيد الأدنى وهو صاحب الشافعي وخليفته على أصحابه بعده كان
زاهدا متعبدا قال له الشافعي اما أنت فتموت في الحديد فان مقيدا ببغداد سنة ٢٣١ في محنة القرآن (لبعض
الزهاد أتجيب الموت فمكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحييته وتلاقوه تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمتن أحدكم الموت فقال انما قاله لاضرزله لان الرضا بقضاء
الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه) نقله صاحب القوت وقال هذا كما قال البويطي لان التائب اذا صدقت
توبته طلب الموت خشية الحول عن حاله فاذا كان كذلك كان هو التائب الذي هو حبيب الله الآن مقام الرضا
أعلى من مقام غنى الموت فلذلك قال لا يمتن الموت للضر ينزل به أي فرضه بقضائه أفضل من غنى لقائه ليقبض
على مقام الرضا اهـ والحديث المذكور بهذا اللفظ رواه البواردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم
ابن عمر والغفاري ورواه أحمد من حديث عيسى الغفاري ورواه أيضا هو والطبراني وصاحب الخليفة من
حديث خباب وروى زيادة اما محسنا فاعلمه أن يعيى زداد خيرا وهو خير له واما مسينا فاعلمه أن يستعيب رواه
النسائي في هذه الزيادة من حديث أبي هريرة ورواه أحمد والشيخان نحوه ورواه الشيخان من حديثه بزيادة
ولا يدعيه من قبل أن يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر
من حديثه بزيادة حتى يثق بعمله ورواه ابن أبي شيبة من حديث عمر بن عتبة بلفظ الآن يثق بعمله ورواه
الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فانه لا يدري ما قدم لنفسه وما قول البويطي انما قاله لاضرزله فقد رواه
الطحاوي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عروبة وابن حبان من
حديث أنس لفظه لا يمتن أحدكم الموت لاضرزله فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة
خير الي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وأفضل (فان قلت فن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محبته تعالى
فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينبغي كمال حب الله
تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من
حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب) تفاوتهم في المعرفة (ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة)
هشيم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس (بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس) بن عبد مناف القرشي العنسي من
السابقين هاجر المهاجرين وصلى الى القبلتين كان طوا الاحسن الوجه استشهد يوم البصرة وهو ابن ست
وخسين سنة (لما زوج أخته فاطمة) ابنة عتبة (من سالم مولا) هكذا هو نص القوت والذي في الاصابة في ترجمة
سالم وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه
فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله ادعواهم لآبائهم رد كل أحد تبني ابنه من أولئك الى
آبائهم لم يعرف الى مواليه قال أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بن زبير عن عتبة بن ربيعة بنت
الوليد بن عتبة هذه انها من المهاجرات الفضلات زوجها معها أبو حذيفة بن عتبة سلمة الذي يقال له مولى أبي
حذيفة وذكري في ترجمة فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة انها أخت هند أم معاوية بن أبي سفيان ونقل عن
ابن سعد انه قال تزوجها قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له الوليد وهشام ومسلم وعتبة وأممية
وفاخنة ثم أسلمت وبايعت وترزوجها عقيل بن أبي طالب وذكر له امره قصة وقد ظهر بما ذكرنا ان التي تزوجها
سالم هي فاطمة بنت الوليد لابنة عتبة فتأمل (عائشة قرين في ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قرين مولى)
يعنون به سالم الرضى الله عنه (فقال والله لقد أنكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله عليهم أشد من فعله

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمران السالمي يحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له ان السالمي شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اه قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا أحمد بن حنبل بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عباد بن سفي عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الأرقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السالم مولى أبي حذيفة فقال ان السالمي شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم حدثت عن سعيد بن سالم قال حدثنا فوس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأثبت عبد الله بن الأرقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السالمي شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ماعصاه فليقتل ابن عباس فذكر ذلك فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى نحدثك به فغضبنا المسور فقلت ان عبد الله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لا تسأل عنه بعد عبد الله بن الأرقم حدثنا أبو حماد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداس حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت السالمي مولى أبي حذيفة فسألتني عن مربي ما جئت على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقاً من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويجب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأما السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويجب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأما السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل وطاباعته من أيا الدراجات كما يطلب الحب (٦١٩) مزيد القرب في قلب محبوه وقد

وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى
فأترك ما أريد لما يريد
بل الحب إذا غلب فع
الهوى لم يبق له تنعم بغير
المحسوب كما روى أن زليخا
لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام
أنفردت عنه وتخلت
للعادة وانقطعت إلى
الله تعالى فكان يدعوها
إلى فراشه ثم أفتدفعه
إلى الليل فإذا دعاها ليل
سوفت به إلى النهار
وقالت يا يوسف إنما كنت
أحبك قبل أن أعرفه
فأما إذا عرفته فما أبت
محبه محبة لسواء وما
أريد به بدلا حتى قال إن
الله جل ذكره أمرني
بذلك وأخبرني أنه يخرج
منك ولدن وجاعلهما نبيين
نبيين فقالت أما إذا
كان الله تعالى أمرك

أن يكون مؤثرا ما يحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه) لأن المحبة لا تدع لغير المحبوب موضعاً في القلب والآثار وهو ميزان العقل والصدق للمحبة فعلى قدر ما يشارك له تعرف محبتك له فلا تعترفان المحبة تحفة لا تعرف إلا بآثارها وقد أشار إلى غسرة الآثار بقوله (فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل) أي راحته (ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل) كما ورد به الخبر لأن عمل المحبة لا يدخله سأم ولا ملالة وهو أحد الأسباب المشرفة لأعمال المحبين (و) لا يزال (طاباعته من أيا الدراجات) أي خواصها (كما يطلب الحب مزيد القرب في قلب محبوه وقد وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي احتياج وفقر وقال صاحب القوت أول علامات المحبة الآثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف الله تعالى المحبين بالآثار و وصف العارفين بذلك فقال في صفة المحبين يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال في وصفه تعالى بالله لقد آثر الله علينا اه (ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبه ما يهواه) واليه يشير قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهمة هواه (بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فترك ما أريد لما يريد

أورده القشيري في الرماله وقال صاحب القوت أنشدني بعض الأشياخ لبعض المحبين

الذجيل الصبر كما أله * وأهوى لمن أهواه تركا فتركه

(بل الحب إذا غلب) على القلب وغمره (قع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كزوى) في الأخبار السالفة (ان زليخا) بفتح فكسر وهي امرأة العزيز (لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام أنفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه ثم أفتدفعه إلى الليل فإذا دعاها ليل سوفت به) أي أخرجت إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما إذا عرفته فما أبت محبة محبة لسواء وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله عز وجل أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدن وجاعلهما نبيين فقالت أما إذا كان الله أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمرك الله تعالى فعندها سكنت إليه) هكذا نقله صاحب القوت فكانت طاعتها امتثالاً لأمرك الله تعالى وهو دليل المحبة (فأذا من أحب الله لا يعصيه) بخالفة أمره (ولذلك قال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (فيه

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وهي أبيات سائرة من جملة قصيدة له نسبها إليه غير واحد من العارفين وروى البيهقي في الشعب عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال من أحب حبيبته لم يعصه ثم قال

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * عار عليك إذا فعلت شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن أحب مطيع

ما ضر من كانت الفردوس منزله * ما كان في العيش من يؤس واقنار

تراه بمشي خزيناً حاشعنا * إلى المساجد يسعى بين أطمار

ونسب السهر وردي البيتين المذكورين إلى رابعة وقد ظهر من مجموع كلامهم أن ابن المبارك ورابعة كانا ينشدان ذلك وأصل الانشاد لابن الحنفية فتأمل (وفي هذا المعنى قيل أيضا)

(وأترك ما أهوى لما قد هويته * وأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي)

بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمرك الله تعالى فعندها سكنت إليه فإذا من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال المبارك فيه

نعصى الإله وأنت ما تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا وأترك ما أهوى لما قد هويته * فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

بعض علماء ثنائين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة في القلب تجويفان التجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فحجة الاسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فالماحبة المقربين ففي مشاهدة معاني الصفات بعدم معرفة أخلاق الذات فعبادة اولئك بالعبادات وللحاجات وعبادة المحبين للاجلال والتعظيم وهي مخصوصة لمخصوصين والاصل في هذا ان المحبة عن المعرفة وان المعرفة عموم وخصوص فلهذا العارفين خاصية المحبة والعمومهم عموم المحبة انتهى وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفي والذي ترجع عندي ان العاصي يكون مجابحاً لحقيقة كما يطلق اسم الايمان على النائم فانه مؤمن حكماً لا حقيقة وبهذه القاعدة ينكشف سر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لان دخان الشهوة يحجب نظره عن الوعد والوعيد فصار كالغافل عن الايمان كالنوم فالغافل يسمى مؤمناً حكماً لا حقيقة لان حقيقة الايمان حضور العبد مع الله أو شهوده للآيات الدالة على وجوده فالغافل العاصي عن هذا يعزل والانسان خلق في الاصل مجبولاً على الغفلة وعلى الرجوع الى الاحوال البشرية وانما رحمة الشرع جاءت بتشريع العبادات وترتيبها في اوقات متقاربة ليرجع القلب بذلك الى الله تعالى فانقسم الناس في رجوعهم الى الله تعالى اولى الدنيا هذا الانقسام (و بالجله في دعوى المحبة خطر) عظيم وقد قال بعض العلماء اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا جافت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقيناً (ولذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى في فرض المحبة (اذ قيل لك أنتحب الله تعالى فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت) نقله صاحب القوت (ولذا قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك) نقله صاحب القوت وزاد فقال وقال عالم فوفقه كل أهل المقامات برحى انه يعفى عنهم ويسمى جميع لهم الامن ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظارة وخطرة لله تعالى وبالله تعالى وفي الله تعالى ومع الله تعالى (ومنها) أى من علامات حب العبد لله تعالى (ان يكون مستهتراً بذكر الله تعالى) أى مولعاً به (لا يفتري عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه) بل يكون القلب موافقاً للسانه في حال الذكر (فن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره) كقول في الخبر من أحب شيئاً أكثر من ذكره رواه صاحب الخلية من حديث عائشة وقد تقدم وكثرة الذكر دليل محبة المذكر ولذا ذكر وهو من أفضل منته على خلقه وفي الخبر ان الله تعالى في كل يوم صدقة بمن هم اعلى خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله وروي أكثر وأمن الذكر حتى يقول المنافقون انكم مراءون وفي حديث أبي سلمة عن أبيه عن جده ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (و) كذلك من أحب شيئاً أكثر من (ذكر ما يتعلق به علامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه) وتكرره على الاسماع والقلوب (وحب رسوله صلى الله عليه وسلم) الذى هو جسيمه وصفه وكذا حب سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام لان الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة ويجب حب الملائكة لشرفهم في ذواتهم ولما أ صلح الله بهم الانبياء ونفع بهم العباد ويستحب حب الطاعة التى هي خدمة ويتأ كدا الاستحياب للاولياء الذين هم خاصة وكذا المؤمنين على حسب درجاتهم قال تعالى يحبون من هاجر اليهم (و) كذا (حب كل من ينسب اليه) أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولادة وكذا اليهم بالنسب الظاهر أو الباطن (فان من يحب انساناً يحب) كل ما يتعلق به حتى يحب (كل محبته) وقصة مجنون بنى عامر مع كلب وقع بصره عليه فاحبه وجوابه لمن سأله عن ذلك بانه رآه مرة في حى ايملى وقوله * أحب لها سود الكلاب * مشهورة فهذا الذى ذكره كله مما يتعلق بحب الله تعالى

وبالجله في دعوى المحبة
خطرس ولذا لا قال
الفضيل اذ قيل لك أنتحب
الله تعالى فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم فليس وصفك
وصف المحبين فاحذر
المقت ولقد قال بعض
العلماء ليس في الجنة
نعيم أعلى من نعيم أهل
المعرفة والمحبة ولا في
جهنم عذاب أشد من
عذاب من ادعى المعرفة
والمحبة ولم يتحقق بشئ
من ذلك ومنها أن يكون
مستهتراً بذكر الله
تعالى لا يفتري عنه لسانه
ولا يخلو عنه قلبه فمن
أحب شيئاً أكثر بالضرورة
من ذكره وذكر ما يتعلق
به علامة حب الله حب
ذكره وحب القرآن
الذى هو كلامه وحب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحب كل من ينسب
اليه فان من يحب انساناً
يحب كلب محبته

فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة فان من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الله تعالى قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (٦٢٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى وقال

(فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة) وكما المحبة يقتضي رفع الاشتراك (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب (كلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه) وغمره بكليته (أحب جميع خلق الله لانهم خلقه) وتصنيفه وابداعه (فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين) الا ان المحبة في بعض الافراد المذكورة بالوجوب كالقرآن والرسول وسائر الانبياء والملائكة وفي بعضها بالاستحباب كجميع المؤمنين على درجاتهم والطاعة وفي بعضها يتأكد الاستحباب كحب خواص العباد من الاولياء والصالحين (وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحبة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فان قلت فلم لا كانت محبة الطاعة واجبة وكذا محبة الاولياء فاقول الوجوب مبنى على أصل الايمان لا على كمال الايمان ولا تتقوى المحبة حتى تتعدى الى ما يتعلق بالمحبوب الا بكمال الايمان وذلك لو وقعت الطاعة بماعت الخوف أو الرجا فقام الاجماع على صحتها وقبولها وفيها ذكرناه نظرا لتجاذب المسئلة بين ما قلناه وبين أن الطاعة فرع المحبة والمحبة واجبة وعسى الله أن يكشف عن الحق في ذلك فان قلت هذا يدل على أن بغض المؤمنين ليس بحرام فاقول نفس البغض مكروه وبعضه أشد كراهة من بعض على حسب درجة الولي لكن للبغض آثار باطنة وآثار ظاهرة فلو طلب زال النعمة عنه بسبب بغضه حرم عليه ذلك ولو تسكاه بما ينقصه أو يقدح في عرضه حرم عليه ذلك وبعض هذه المهلكات أفع من بعض (وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ وأحبوني لله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقد تقدم (وقال سفيان من أحب بالله تعالى فالما أحب الله ومن أكرم بكرم الله تعالى فالما يكرم الله تعالى) نقله صاحب القوت الأتية قال وقال سفيان وغيره من أحب الله تعالى فالما أحب الله الخ (وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة) أي في أول السلوك ونشاطه (فادمنت) أي داومت على (قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة) أي سكون (فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما بدت) ولفظ القوت أما ترى (ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي) الاولى من الادمان على التلاوة نقله صاحب القوت زاد وقال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل) التستري (رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة) نقله صاحب القوت (ومنها) أي ومن علامات المحبة (أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد) وهو قيام الليل (ويغتم هذه الليل) أي سكونه (وصفاء الوقت بانقطاع العلائق) أي الموانع (وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته) وفي الحديث القدسي

سفيان من أحب من يحب الله تعالى فالما أحب الله ومن أكرم الله تعالى فالما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانتبهت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما بدت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة

كذب

وعلمة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة ومنها أن يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عنى الان بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه فذكر له هذا الخبر فقال
ذلك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وآواه بالانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال
رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وأما المحبون وسيد المحبون بزر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان ينام مثلي ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن تأتي عليه ايلة حتى ينام فيها (قيل
لابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الانس بالله) بشيرا لي انه كان في
خلوته مع الله تعالى ومناجاته به وقال أحد بن أبي الحواري دخلت على أبي سلمي الداراني فرأيت يبيكي فقلت
ما يبكيك رحلك الله قال ويحك يا أحد اذن هذا الليل واقترش أهل المحبة أقدامهم وجدت دموعهم على
خدودهم أشرف الجليل الجبار جل جلاله عليهم فقال بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطالع
عليهم في خلوتهم أسمع أنينهم وأرى مكانهم باجربيل نادفهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم هل خبركم عني خبر
ان حبيبا يعذب أحبائه بالنار بل كيف يحمل بي ان أرى قوما بالعذاب اذ انهم الليل يملقوا بي في حلفت اذا
وردوا القيامة ان اسهر لهم عن وجهي وأيقهم رياض قدسي (و) بروي (في أخبار داود عليه السلام) قال
الله تعالى يا داود (لاتأنس الى أحد من خلقي فاني انما أقطع عنى رجلين رجلا استبطأ ثوابي فانه قطع ورجلا
نسبني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان أكله الى نفسه وان أدعته في الدنيا حيران) نقله صاحب القوت (ومهما
أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله متوحشا من الله تعالى ساقطاعن درجة محبته) وقالوا الاستبحاش من
الخالق علامة الانس بالخالق وقال سهل رحمه الله تعالى جناية المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو ان
يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه (و) بروي (في قصة برخ) يضم الموحدة وسكون الراء وآخوه خاء معجمة
وهو اسم سرياني (وهو العبد الاسود الذي استقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى) عليه السلام
(ان برخ نعم العبد) (وهو لي الان فيه عيبا قال) موسى (يارب وما عيبه قال يحبه نسيم الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى شيء) نقله صاحب القوت وقال فالتسكون في هذا الموضع الاستراحة الى الشيء والانس
به والتسكون في غير هذا الموضع النظر الى الشيء والادلال به والطمانينة والقطع به قال وذكرت هذه الحكاية
لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد هذا برخ انما أراد به موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أي
وهو قد سمع لبرخ بذلك اذ لم يوافق عليه فعرض عليه ببرخ أي لانه عالم وكان هذا جوابا لمنه ثم أتى سأله لم أخبر
موسى بعيبه وهو يحبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فاجاب بهذا قال فالقرن من المحبين انما انعمهم بالله
وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك في سواه كانت ذنوبهم عن غفلة أدخلت
عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفر لهم (و) بروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيبة دهر اطويلا) أي زمانا والغيبة
المكان الملتف شجرة (فنظر الى طائر وقد عشن في شجرة) أي اتخذ عليها عشا (ياؤى اليها) أي الى تلك الشجرة
(ويصفر عندها) أي بصوت بالصغير (فقال لو حلت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا
الطائر قال ففعل) أي حول مسجده اليها (فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست
بمخلوق لاحتطك درجة لاتنالها بشئ من عملك أبدا) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي في الشعب عن أحد بن
أبي الحواري قال سمعت أنثى يقول تعبد رجل من بني اسرائيل في غيبة في جزيرة في البحر أربعين سنة فطال
شعره حتى اذا كان في الغيبة تعلق بأغصانه بعض شعره فبينما هو ذات يوم يدور اذ مر بشجرة فيها وكر طائر
فنقل موضع مصلاه الى قريب منها قال فنودي أنست بغيري وعزقي وجلالي لاحتطك مما كنت فيه مدرجتين
(فاذا علامة المحبة) الصادقة الخالصة (كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به) والانعطاف
اليه بوجوه نسيم الانس به ومصادقة الاستراحة والروح منه بمحادثته في المحاسبة ومناجاة في الخلوة
وتعلق في السريّة (وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة) ثم ذوق حلاوة
النعم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة ثم الطمانينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر

السلام لاتستأنس
الى أحد من خلقي فاني
انما أقطع عنى رجلين
رجلا استبطأ ثوابي
فانه قطع ورجلا نسبي
فرضي بحاله وعلامة
ذلك ان أكله الى
نفسه وان أدعته في
الدنيا حيران ومهما
أنس بغير الله كان بقدر
أنسه بغير الله متوحشا
من الله تعالى ساقطاعن
درجة محبته وفي قصة
برخ وهو العبد الاسود
الذي استقى به موسى
عليه السلام ان الله تعالى
قال لموسى عليه السلام
ان برخ نعم العبد هو لي
الان فيه عيبا قال يارب
وما عيبه قال يحبه نسيم
الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى
شيء وروي أن عابدا
عبد الله تعالى في غيبة
دهرا طويلا فنظر الى
طائر وقد عشن في
شجرة ياربها وبصر
عندها فقال لو حلت
مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت أنس بصوت
هذا الطائر قال ففعل
فاوحى الله تعالى الى نبي
ذلك الزمان قل لفلان
العابد استأنست بمخلوق
لاحتطك درجة لاتنالها
بشيء من عملك أبدا فاذا
علامة المحبة كمال

الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة

وعلاوة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت وجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم (٦٢٤) الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته فالحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله

تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال مطرف ابن أبي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فها أنا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن

الى الرقيب فن عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى وانظر الى الهلک الذي ظلت عليه عاكفا (وعلاوة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه) ويناجيه (وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به) تقدم في كتاب الصلاة (وقطعت رجل بعضهم بسبب علة) الاكلة (اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر بشئ برده عليه (بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا) فيظن الناس به بلها وغفلة (مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته) وما يتعلق به (فالحب) الصادق (من لا يطمئن الا بمحبوبه) ولا يستأنس الا بذكره (وقال قتادة) ابن دعامه السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي (في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وقال مجاهد ألا بذكر الله تطمئن القلوب بمحمد وأصحابه رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وفي حديث أنس هل تدرون ما معنى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أصحابي رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادق غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدوا غائبا ألا بذكر الله يتحابون (وقال) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر) فقد تقدم (وقال مطرف بن أبي بكر) هكذا في سائر نسخ الكتاب والصواب مطرف أبو بكر وهو مطرف بن طريف الحارثي كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (المحب لا يسأم من حديث حبيبته وأوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فها أنا ذا موجود لمن طلبني) وكذلك رواه كعب الاحبار من التوراة وروى عن أبي الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت فاقصدك) ولفظ القوت فاقصدك (فقال) ولفظ القوت فأوحى الله اليه (اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها) أي ومن علامات المحبة (ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل) أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل (ويعظم التأسف على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات) الى الله تعالى (بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة) ونسيان حظوظ النفس بتذكر حقوق الرب تعالى (وقال) أبو الفضل الشكلي وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان الله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم) لالحالة (وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم) ولفظ القوت فما كان لهم فهو موصل اليهم من جميع الاشياء وما فات من ادراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

قطعت

لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله

تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان الله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

تساعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
من الغفلة وتكون هفوته سبب التجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما
لم يراحب الا المحبوب ولم يرشياً الا

(٦٢٥)

منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا
وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته ويدكر
قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها
أن ينعم بالطاعة ولا يستقلها ويسقط عنها
نعمها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة
الحبسة دوام النشاط والدرب بشهوة تغتر
بدنه ولا تغتر قلبه وقال بعضهم العمل على
الحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله
ما اشتفى من محبته من طاعته ولو حل بعظيم
الوسائل فكل هذا وأمثاله موجود في
المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى
معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان
شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء
اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى
يشغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل
حب صار غا الباقهر لا محالة ما هو دونه فمن كان
محبوبه أحب اليه

قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سبب التجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم يراحب الا
المحبوب ولم يرشياً الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته
ويدكر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولغظ القوت وقد يحسن بالمريد المتحجب أن يكون
يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهاب عنه قلبا قليلا في غير ذكره فاما المحب المحبوب فقد لاحت له الاعلام
فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته فالواجب عليه أن يرجع الى واديه فبئس له ما قطع برك عني ولم
تدملنى ولم تشو به بالسكر ولم تدخل ببنى وبينك الخلق فان كان صادقا في محبته فيستعمله محبوبه في الخير فيكون
مكان الاستغفار من الغفلة معاتبه يستخرج بها أكثر من الذي فاتته من الذكرك فتكون تلك الهفوة عليه بركة
ان كان عاقبتها الاتصال والزيادة في القرب والعبد المحب لله عز وجل مأثور معلق هناك لا يدري ما حقيقة
التوحيد غير انه اذا أسف على فقد وحدانية التوحيد فرجع فوجد بقائه الواحد بالوحدانية
وانفراده في الصمدية فينسى نفسه وذهب طعم كل ذكر كان ينعم به ولم يفرق كل شئ وذهب استبعاده في هذا
الموضع حتى يستبعده المحب من مكان آخر فيرده الى علم التوحيد والتوحيد والحب بلاء كثير والعبادة قد ألفوا
العبادة والذكر الطيب الذي يعقلون به وأول التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حبالة لا خوف من
ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم حتى يرجع لهم على التعظيم والاحلال
فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق
والانس فاما الصدق والصبر والاخلاص والزهد فهذه الاخلاق الشريفة كائنة معهم في سرهم ووصفهم
لا تغارهم ولا يخلهم منها محبوبهم ولو أدخلهم مولا لهم ما ذاقوا طعم شئ من هذه الخصال ولبطلت العبادات
وانقطعت الطرق وسكافوا مكنته في به ولو كنه يدبرهم بامرهم ويردهم الى هذه الاحوال فيذوقون طعمها كما ردهم
الى مصالح الجسم ومرافق العقل فذلك اسمهم الموحدون المشفقون المحبون لانهم عبدوه وحده وأحبوه
دون غيره واشتاقوا اليه لا سواه ولم يريدوا منه شيئا اذ كان الله تعالى هو الغالب على همهم القاهر لقلوبهم
الموجود في سرهم المالك لعلوهم فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم أعلى
الخليقة وليس فوقهم أحد هذا نقلته من كلام الشكلى وغيره من العارفين انتهى سياق صاحب القوت
والشكلى بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس يوسف بن اسمعيل البغدادي روى عن
السري وعنه محمد بن اسمعيل الشكلى وعنه أبو بكر القطيعي وأبو حفص بن شاهين منسوب الى شكلة اسم
امراء والمعروف به البراهيم بن شكلة الامير الذي امتدحه أبو تمام وقد تقدم له ذكر في هذا الكتاب (ومنها)
أى ومن علامات الحبسة (ان ينعم بالطاعة ولا يستقلها ويسقط عنه تعبا) لان عمل المحبة لا يدخلها سآمة
ولامالة وهذا احد الاسباب المشرفة للمحبين (كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)
وهو قول ثابت البناني وقال مرة كابدت القرآن وقد سبق في كتاب ترتيب الاوراد (وقال) أبو القاسم (الجنيد)
قدس سره (سلامة المحبة دوام النشاط والدرب بشهوة تغتر بدنه ولا يفتر قلبه) كذا في القوت (وقال بعضهم
العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء ما اشتفى من محبته من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل) كذا
في القوت (فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز
حتى يشغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غا الباقهر لا محالة ما هو دونه فمن كان
محبوبه أحب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فائش تنفق على قال يا سيدي أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد (٦٢٦) فكيف بعبد له ودفع لكل هذا بسببه ومنا ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم شديدا

على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى أشداء على الكفار رجاء بينهم ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة ويغضبون لمحاربي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو أكثر وانظر إلى هذا

المثال فإن الصبي إذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإن نام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه عاد وتسلط به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصطفى

بذل نفسه وماله حتى (لم يبق له شيء) منها (ما سبب حاله هذه في المحبة فقال) كلمة سمعتها من خلق علمت في هذا البلوغ قبل وما هي قال (سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فائش تنفق على قال يا سيدي أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد فكيف بعبد له ودفع لكل هذا بسببه ومنا ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم شديدا) هذا بسببه (نقله صاحب القوت وقال فقد دخلت الاموال في الانفس ودخلت الانفس تحت الشراء وقد باعوه نفوسهم فادونهم المحبهم أياه وقد اشتراها منهم لنفاسها عنده فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شراؤها طمأنينتهم فإذا طواها فلم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه فقد اشتراها (ومنها) أي ومن علامات المحبة (أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم) يضافهم ويؤددهم ويجب لهم أكثر مما يحب لنفسه لانه في نفسه راض بما يجري عليه من أحكام به فلا يختار لنفسه حال من الاحوال وهو يختار للمسلمين أحسن الاحوال وأكمل الحالات وهذه الحالة إذا وجدها المحب في نفسه يتحقق ان الله تعالى منحه مقام الراتبين المتخلفين باخلاق الله (و) يستحب أن يكون (شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه) على حسب درجاتهم في البعد من الله تعبد الامر الله سبحانه مع مشاهدته كمال علم الله وحكمته فيهم (كما قال الله تعالى) في وصف المحبين (أشداء على الكفار رجاء بينهم) فرصة فهم بالشدة على أعداء الله والترحام فيهم أي أنهم (يتأكدان) لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل (ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة ويغضبون كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو أكثر وانظر إلى هذا) حدثنا أحمد بن منصور المدايني حدثنا محمد بن اسحق المسيبي حدثنا عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام قال يا رب اخبرني بأكرم خلائك عليك قال الذي يسرع إلى هوى اسراع النسر إلى هوى والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي الناس والذي يغضب إذا انتهكت محاربي غضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لم يبالي أقل الناس أو أكثر (و) فاذا انظر إلى هذا المثال وتدبره (فإن الصبي إذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فاذا نام أخذه معه في ثيابه فاذا انتبه) من نومه (عاد) إليه (وتسلط به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك) إليه (ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب) لنفسه (حتى يباع من شدة غضبه أنه يهلك نفسه) وذلك ان يغيب الخلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل فلذلك ضرب الله هذا المثل في قوله لا يبالي قل الناس أو أكثر والحقيقة الاخلاص بغيبته عن مداراة الناس (فهذه علامات المحبة) يعني الكفاف بالحب والالواء إلى الذكر والغضب للمحارم (فمن تمت فيه هذه العلامات) المذكورة (فقد تمت محبته وخلص حبه) لله تعالى (فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه) وهو من المقربين ونعيمه في الجنان صرف لانه كان بعبد له لاجله صرفا (ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه) وهو من أصحاب اليمين (اذمزج شرابه بقدر) ما (من شراب المقربين كما قال الله تعالى في الاربار) أي في وصف نعيمهم (ان الاربار لنقي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ثم قال في نعت شراب المقربين (ومزاجه) يعني مزاج شراب الاربار (من تسنيم عينا بشراب المقربون) أي بشراب المقربون صرفا وعزج لاصحاب اليمين (فانما طاب شراب الاربار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين) ولفظ القوت فطاطب

الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الاربار لنقي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا بشراب المقربون فانما طاب شراب الاربار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين

والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقر بون وكان الابرار يجدون المزيدي حالهم ومعرفتهم بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء اعمالهم فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب (٦٢٧) وشوب كل شراب على قدر ما سبق

الشوب في حبه وأعماله

فمن يعمل مثقال ذرة

خيبره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره وان

الله لا يغير ما بقوم حتى

يغيروا وما بانفسهم وان

الله لا يظلم مثقال ذرة

وان تلك حسنة بضاعها

وان كان مثقال حبة

من خردل آتيناها او كفي

بناحاسبين فمن كان حبه

في الدنيا رجاء لنعيم

الجنة والخور والعين

والقصور ممكن من الجنة

ليتبوا منها حيث يشاء

فيلعب مع الولدان ويتنعم

بالنسوان فهناك تنتهي

لذته في الآخرة لانه

انما يعطى كل انسان

في الجنة ما تشتهي نفسه

وتلذذ عينه ومن كان

مقصده رب الدار

ومالك الملك ولم يغلب

عليه الاحبة بالاخلاص

والصدق أنزل في مقعد

صدق عند ملك مقتدر

فلا يبرر برتعون في

البساتين ويتنعمون في

الجنان مع الخور والعين

والولدان والمقربون

ملازمو للحضرة

شراب الابرار الانجاء شراب المقر بين (والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال) ولفظ القوت فعبر عن جل نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب (فقال) في نعت الابرار مثله (ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده) فاحسن عملهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم الاشهادة المقر بين لما قرب منهم وحضره (وكان الابرار) في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم و (يجدون المزيدي) نفوسهم و (حالهم ومعرفتهم) بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم (غدا في الآخرة) وقد قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده) وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء أعمالهم (م) أو وافق أعمالهم جزاءهم (فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله) قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بانفسهم) قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة بضاعها وان كان مثقال حبة من خردل آتيناها او كفي بناحاسبين) وقال تعالى سيجزى بهم وصفهم أي يعطيهم غدا كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم (فمن كان حبه في الدنيا اليوم) ور جازة لنعيم الجنة (وطيبات الملك) وللخور والعين والقصور ممكن (غدا) من الجنة ليتبوا منها حيث يشاء وهو أحر العالمين لاجلها (فيلعب مع الولدان ويتنعم بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهي نفسه وتلذذ عينه) فنعلم الاجر آخره (ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك) دون الدار والملك (ولم يغلب عليه الاحبة بالاخلاص والصدق أنزل) غدا في مقعد صدق عند ملك مقتدر (وشتان بينهم ما فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع) الخور والعين والولدان وغير ذلك من أنواع النعيم (والمقربون ملازمو للحضرة) على بساط المشاهدة (عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب) قال العراقي رواه البرازم حديث أنس بسند ضعيف مقتصر على الشطر الاول وقد تقدم والشرط الثاني من كلام أجد بن أبي الخوارى ولعله أدرج فيه انتهى قلت قد تقدم الكلام فيه وان سهلا التسع ترى فسرهم فقال هم الذين ولهت قلوبهم ثم وشغل بالله عز وجل (ولما قصرت الافهام عن درك معنى عيسى عظيم) الله تعالى (أمره فقال وما أدراك ما عليون) كتاب مرقوم يشهده المقر بون (كما قال تعالى القارعة ما القارعة) وأصله ماهي أي أي شئ هي على التعظيم لشأنها وانتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شئ هي أعلمك ماهي لانك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن يباخ دركها أحد ومثل هذا قوله تعالى الخافاة ما الخافاة وما أدراك ما الخافاة (ومنها) أي من علامات المحبة (ان يكون في حبه خائفا) وجلا (متضائلا) أي متصاغرا (تحت الهيبة والتعظيم) فشراف العباد كلهم وقربهم من ربهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم بحقه لينتدوا ويتصاغروا عبودية له واجلالا لعظمته ومهابة وصد غار الكبير يائه (وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك) وقال صاحب القوت بعد ان فسر ابيات رابعة قدس الله سرها التي ذكرت في المحبة بلزوم خوف

عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عيسى عظيم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة وممنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك

التقصير وجوب الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرض به من حبه مانصه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدرك بحبته ولا يقتضي الجزاء عليهما من محبو به ولا يوجب على حبيبه شيئا الا لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحبوب بالنظر اليها وانما ذلك ما قام الرجاء الذي ضده الخوف ليس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة الا بخوف المقت في المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من نطقه انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه (بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب) وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فلنذكره اعلم ان التعظيم المعهود هو مافات البصائر اكره والرب تعالى منزّه عن ادراك حس تعلو ذاته عن الاجسام والاعراض ومساومة المحدثات والتعظيم بطريق الاستعارة والتجوز مافات البصائر اكره أما المانع في البصيرة أوفى الذات المبصرة والرب تعالى تدفان الابصار والبصائر اكره على ما هو عليه للمانع وضعه الله اذا تمكن رفع ذلك المانع ولكن لصفته التي هي حقه وهي قيمته بنفسه واستغناؤه عن الموجب والموجد والكيف والنظير لاعلم سبق ولا الحكم قدر بل لاجل ان عظمت ازاره وكبرياءه رداؤه ولما كان عظيم في ذاته وكان ناظرا لذاته بعين الكبرياء وكان محتجبا بهم - الذين الوصفين عن عبادته وقع الاخبار عنهم بالازار والرداء الحاجبين للابصار ان تظهر ذاته اذ صفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لان بينه وبين العقول العالمة به حجاب انما الحجب المخلوق مما تصنع من الاكتمة في قلوب الجهلة وأما العلماء فيا يحتجب عنهم الابانوار صفاته ولهذا الكلام بقية تقدمت الاشارة اليها في مواضع من هذا الكتاب (ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة) من نسبة أحوالهم (ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض) ولفظ القوت والمحب سبع مخاوف ليست لشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض (قاؤها مخوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد) من حضرة القرب (وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين) صلى الله عليه وسلم (اذ سمع قوله تعالى) في سورة هود (الابعد الثمود الأبعدا المدين كما بعدت غود) وقال شيبتي هود واخوانها وقد تقدم الكلام عليه (وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذائقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد بل ولا يعرف البعد من لم يقرب (ولا يبكي خوف البعد من لم يمكن من بساط القرب) ولم يعهده (ثم) أشد منه (خوف الوقوف) عن التحديد (وسلب الزيد) وهذا يكون للخصوص في الاظهار والاخبار منهم فيسلبون المزيدين نوعا كان من الآيات وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون للعموم عندا يثار الشهوات على أوامر الطاعات (فاناقدمنا ان درجات القرب لانهاية لها) كما ان درجات المعرفة لانهاية لها (وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماء فهو مغبون ومن كان يومه شرامن أمسه فهو ملعون) قال العراقي لأعلم هذا الا في مقام لعب العز يزب أي رواد قال الرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد اه قلت بل رواه الديلمي من حديث محمد ابن سوقة عن الحارث عن علي بن مرفوعا وسنده ضعيف قاله الحافظ السخاوي في المقاصد ولفظه من استوى يوماء فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرامن فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في نقصان فالموت خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات قلت والشرط الاخير هو أول حديث رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار من حديث علي بن زيادة ولفظه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقد تقدم (وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قاي في اليوم واليلة حتى استغفر الله سبعين مرة) روى ذلك من حديث الاغر بن يسار المزي في لفظ انه ليغان على قاي والي لاسنغفر الله في اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن حيد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان والبخاري وابن قانع والباوردي والطبراني وأما حديث الاستغفار سبعين مرة فقد روى من حديث أبي هريرة وأنس وأبي موسى فلفظ حديث أبي هريرة اني لاسنغفر الله

الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب وخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فاؤها مخوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى ألبعدا لثمود ألبعدا المدين كما بعدت غود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذائقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد ولا يبكي خوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم مخوف الوقوف وسلب المزي فانا قد قدمنا ان درجات القرب لانهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماء فهو مغبون ومن كان يومه شرامن أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى استغفر الله سبعين مرة

(159)

حَيْثُ لَا يَشْعُرَانْ هَذِهِ التَّغْلِبَاتِ لَهَا أَسْبَابُ خَفِيَّةٌ مَعَاوِيَةٌ لَيْسَ فِي قُوَّةِ الْبَشَرِ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهَا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ الْمَكْرُوبَ وَاسْتَدْرَجَهُ أَخْفَى عَنْهُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ السَّالُوفَةِ فَمَعَ الرَّجَاءُ

وهو أحد المحبين (فألا يقول وهو في سياحته وكان على جبل

(فأضطرب) جسمه (وغشى عليه فلم يفق يوم ليلة وطرأت عليه أحوال) في قصة طويلة كـ
 مقامات أقيم فيها (ثم نقل عنها إلى هذا) حتى (قال) في آخ ذلك (سمعت بالنداء من الجبل يا
 عبدا فكنت عبدا واسترحت) نقله صاحب القوت وقال معناه لا يعلمك الا واحد تكون عبدا له
 ولا تعلم شيئا فان الاشياء في خزنة ملكها فلا تعلمكها فتجيبك عن مالكك وتأمرك بمقدار ما
 ضرب الله مثلا بينه وبين خلقه ان من جبين أحدهما فيه شركاء متشاكسون متشاحون عليه من
 وشهوات كل واحد يجذب به ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب فراغه له وآخر ما من الشرك
 من الشرك متوحد الواحد انهما لا يستويان في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
 سأل الرجل هل يستويان مثلا الحمد لله على اتفاق صنعه وتحسين خلقه بل أكثرهم لا يعلمون أن
 ليسوا علماء لهذا الواحد فتنافوا في واحد وسلكوا شاة كلة توحده (ثم) أشد منه (خوف الله
 وهذا أخوف ما يخافون) فان المحب يلزمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولـ
 بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعه) لان حب المحبين له كان به لا
 لامنهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شيء وكذلك سألهم عنه يكون
 حبه لهم به (والسؤال يدخل عليه من حيث لا يشعر كما يدخل على الحب من حيث لا يشعر) فيجب
 كما كان يحب الحب فتكون قد سألوه عنه وأنت لا تدري كيف سألوه لانه يدرجك بما يجد
 الاستبدال منه بما تدري (فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع
 فانت لا تفطن ذلك) (واذا أراد الله المكربه واستدراجا أخفى عنه ما ورد عليه من السؤل فيقف

حيث لا يشعرون هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله المسكر به و
عليه من السلوقة في مع الرجاء

لو يغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر
والبين وكان من أوصاف الله تعالى (٦٣٠) ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن

و يغتر بحسن الظن الذي كان يعهده منه (أو تغلبه الغفلة أو الهوى) والشهوة (أو النسيان) فكل ذلك
من جنود الشيطان في الأرض (التي تغلب) اضدادها من (جنود الملائكة) في السماء (من العلم والعقل
والذكر والبيان) قال الله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءكم اليقينات الآتية عزيز لا يصل اليه الا به حكيم
عليكم بالزلل منه الا انه يدرج في ذلك استدراجا بلطائف الحكمة على معهود الاسباب ومألوف المعتاد (وكان
من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة) فاجبته وأنت
لا تدري كيف أجبته لانه أشهد وصفه به باطلاع القدرة عن حنان الرحمة واللطف فاقتضاه الحب له فوجدت
نفسك محبته (فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء) فترجع المحبة كما
جاءت فخسبك عنه عن فعل مكروه يبدرك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتحذرك سالكاً عنه بلا حول
ولا قوة منك ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يصفه الا عارف بدقيق بلائه ولا يحذره الا خائف من خفي مكره وبلائه
فاذا سلوت به عنه كان ذلك دليلاً عليه على انه قد رفضك واطرحك كما انك اذا كنت تحبه انما أحبيته به (وذلك
من مقدمات المكر) الذي يحيق بالمكور (و) هودرك (الشقاء والحرمان) الذي أدرك المغرور (ثم)
أشد من هذا كله (خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره) وانما كان أشد لانه لا تنويه
فيه (وذلك هو المقت) وهذا هو حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعده
(والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو) أي بداية ذلك كله (وضيق الصدر بالبرد
وانقباضه عن دوام الذكر وملاؤه لوظائف الاراد أسباب هذه المعاني) البعده والندارج المدرجة اذا قويت
وترزايد أخرحت الى هذا كله واذا تناقضت وبديلها الفصاحات والحسنات أدخلت في مقام المحبة والقربات
كإجابه الخبر النائب حبيب الله كذلك في تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله (وظهور هذه
الاسباب) فيك ووجد هذه الاوصاف منك (دليل على) ما غاب عنك من الاستبدال والاستقاط الذي هو
(النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله منه وملازمة الخوف) من هذه المعاني (لهذه الامور وشدة
الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب) وعلامة المعرفة باخلاقه الميكونة المقلبة (فان من أحب
شيئاً خاف لا محالة فقصدته فلا يتخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فوائده وقد قال بعض العارفين من
عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة
انقطع عنه بالبعد والاستحياس ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعلمه) نقله
صاحب القوت الا أنه قال من عرف الله بدل من عبدي في المواضع الثلاثة ثم قال وليس العجب من خوف المحبين
مع ما عرفوا من اخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه والطافة لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم بها يونه وعلى
أنسهم به يحبونه وفي فرغهم منه يشتاقون اليه وفي بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفي اعزازه لهم يذلون له لان
من قبض فانقبض فليس بجيب ولكن من بسط فانقبض فهو العجب ومن امتنن فذل فلا يحب ولكن من أعز
وأكرم فتواضع وذل فهو عجب فالعجبين الانقباض في البسط واللغائفين الانقباض في القبض وللمعجبين الذل مع
العز والكرامة واللغائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذا كانت
أوائل أحوالهم المخاوف (فالحب لا يتخلو عن خوف والخائف لا يتخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة
حتى اتسع فيها لم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعدم المحبين) فكل محب لله خائف منه
وليس كل خائف بمحبه يعني محبة المقر بين لانه لم يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المعترضة لا يقع بها اعتبار في
مقامات الخصوص لانه لا توجد عندها واجيد الاحوال ولا يعلم بها في مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان
منوطة بصحته وموجوده بوجوده فاشبهت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التي عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف

بأوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم يخوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرد وانقباضه عن دوام الذكر وملاؤه لوظائف الاراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب فان من أحب شيئاً خاف لا محالة فقصدته فلا يتخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فوائده وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستحياس ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعلمه فالحب لا يتخلو عن خوف والخائف لا يتخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها لم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعدم المحبين

وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى في بعض الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال (٦٣١) ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من

معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله الجزء وبقي معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف قريب الوجد ذو مرمى بعيد

الازل والقدم والسرمدية والابدية وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمذكر وهذا قد أحكمه في اسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف المحبين في شئ والمحبون عرفوه بصفات التجلي ومعاني المعاني ونعوت الاخلاق وفي هذا سر اثر الغيوب وشاهدات المحبوب (وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب) قال صاحب القوت والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان كل محب خائفاً لان المحبوب مهيب والخوف قد يفيض عن المحبة يشغل الخائف بوصله السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقرين الا ان المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفين لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما تقول في الرجاء والخوف لانها وصف الایمان لان الخائف يندرج في حاله والراجي ينطوي الخوف في رجائه كذلك المحب يصير الخوف في عقده ويظهر الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده ويظهر الخوف في وجده ان ربي لطيف لما يشاء هذا الظهور والطرق ومباني الدرجات اذ كان لابد من تجرعه ما في قلب لانها من شرط الایمان وحقيقته فتلطف سبحانه لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادته ان سبق الى العبد مقام المحبة كان محباً لمحبة أصحاب اليمين ولم تكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا اشتاقت في مقام المقرين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محباً للمقرين بين العارفين هم درجات عند الله والله بصير بما يصور وبما كانت المحبة ثواباً للخوف ومزيد له وهذا في مقام العاملين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المقرين المحبوبين ومن كان الخوف مزيده محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين (فقد نقل من وصف من أذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه انه (روى في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال) وفي بعض النسخ في الحال وهو لفظ القوت (وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصاً) صره الى السماء (سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ) فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله (الجزء) وبقي معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه وعلمه (ورجاءه وسكن وصار كسائر العارفين) فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيبه أحسن من نشره لان العقول تنسكه والقلوب تمجده والهـم لا تسر به والقلب لا يجذبه ولا يحببه الله تعالى من العموم (وقد قيل في وصف حال العارف المحبوب من بحر المتقارب

(قريب الوجد ذو مرمى بعيد * على الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب
كان فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه فغابت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعداد في الارقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد * ولا احباب افسراح بعيد
* ولا يجدر السرور له بعيد)

هكذا أنشد هذه الايات صاحب القوت لانه بتقديم البيت الاخير على الذي قبله وأنشد أيضاً في هذا المقام ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه * فكان بلا كون لانك كنته لبعضهم

غريب الوصف ذو علم غريب * كان فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه وجلت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعداد في الاوقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد * ولا احباب افسراح بعيد * ولا يجدر السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتاً يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الأبيات
سرت باناس في الغيوب قلوبهم * (٦٣٢) فلو باقرب الماحد المتفضل عراصا بقرب الله في نزل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز
والنهي

ومصدرهم عنها الماهو
أكمل

تروح بعزم مفرد من صفاته
وفي حلال التوحيد تمشي

وترفل

ومن بعده هذا مائق

صفاته

وما كنتمه أولى لديه

وَأَعْدِل

سأ كنتم من على به ما

يصونه

وَأَبْذِلْ مِنْهُ مَا أَرَى الْحَقَّ

يَبْذِلْ

وَأَعْطَى عِبَادَ اللَّهِ مِنْهُ

حَقُّوْقَهُمْ

وَأَمْنَعُ مِنْهُ مَا أَرَى الْمَنْعُ

يَفْضُلُ

عَلَى أَنْ لَرَجْنِ سِرَا

وَصُونُهُ

أَلَى أَهْلِ فِي السِّرِّ وَالصَّوْتِ

أَجَلْ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ

الَّتِي إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ لَا يَجُوزُ

أَنْ يَشْتَرِكَ النَّاسُ فِيهَا

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَهَا

مَنْ أَنْكَشَفَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ

ذَلِكَ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ

بَلْ لَوَ اشْتَرَكَ النَّاسُ فِيهَا

لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا بِالْحِكْمَةِ

تَقْتَضِي شُمُولَ الْغَفْلَةِ

لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا بِلَوْ أَنَّ كُلَّ

النَّاسِ كَالْهَمِّ الْخِلَالِ

فَنَسَكَ بَدَا عَزْلُهَا تَحَارُجًا * بِمَاءٍ وَصَالٍ كُنْتُ أَنْتَ وَصَلْتَهُ * وَابْدَأْتُ وَصَفَا بِالْعُلُومِ تَخْبِرَا
فَشَقَّ قَلْبَا بِالْعُلُومِ جَعَمَتَهُ * وَأَفْرَدَتْ حَبَائِلُكَ مِنْكَ بِمَشْهَدٍ * بِلَاءٌ - لَمْ فِي الْعِلْمِ حِينَ بَسَطْتَهُ
تَعَزَّزَتْ بِالْعَزْلِ الْمُنِيعِ وَكُلٌّ مِنْ * أَشَادَ إِلَى عِزِّكَ خَدَعْتَهُ

قال وذكريت هذه الأبيات لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى (قال) صاحب القوت (و) قد (كان الجنيد)
رحمه الله تعالى (ينشد أبياتاً يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين) وأوصاف المقربين المحبوبين (وإن ذلك)
لا يجوز إظهاره وهي هذه الأبيات) من بحر الطويل

(سرت باناس في الغيوب قلوبهم * فلو باقرب الماحد المتفضل * عراصا بقرب الله في نزل قدسه
تجول بها أرواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهي * ومصدرهم عنها الماهو أكل
تروح بعزم مفرد من صفاته * وفي حلال التوحيد تمشي وترفل * ومن بعده هذا مائق صفاته
وما كنتمه أولى لديه وأعدل * سا كنتم من على به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع أفضل * على أن لارجن سرا يصونه
إلى أهله في السر والصوت أجل)

هكذا أنشد هذه الأبيات الجنيد صاحب القوت (وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك
الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من أن يكشفه شيء منها لم ينكشف له شيء منها بل لو أشترك الناس فيها
لخربت الدنيا) واختل نظامها (فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الخلال
أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش) ولفظ القوت ومثل هذا المقام في الأحوال
مثل أكل الخلال في الماء كقول لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدار لان الأمة كلها لو أكلوا خللاً
أربعين يوماً لخربت الأسواق لهدم فيها ذلك من الحكمة (بل لو أكل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم) ولفظ القوت ولوان العلماء كلهم أكلوا خللاً لم
نسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيئاً أشغلهم بنفوسهم وأعراضهم عن أبحاثهم في ترك ذلك حكمة حسنة
ورجة واسعة (ولكن الله تعالى فيما هو شرف الظاهر) حسبما يبدو لنا (أسرار وحكم) كان لنا في الخبر أسراراً
وحكماً ولا منتهى لحكمته كإلغائه لقدرته) وذكري صاحب القوت بعد أن أورد المقامات السبعة للمعجبين
في الخوف ما نصه فالخوف من هذه المعاني علامة المعرفة بالخلافة المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات
في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما يشمرح في قلب بيقينه قد شرح ويفصل لبعده من نفسه قد فصل فاما قلب
مشترك وعبد في هواه مرتبك فليس لذلك أهلاً والله المستعان قال ونم خوف نام عن شهادة حب عال يقرب
اسمه ويلتبس ويخفي وصفه لقله اشتهاره في الاسماع فيجمل أنسه لانه خوف عن مقامه اسم من المحبة يتشنع
على كثير من سامعيه فيمكروهم يتشجع في أوهام غير مشاهديه فيملوه بالخلاق فان ذكرنا خوفه ثم على ذكر
مقامه فظاهر باظهاره فكان طيبه أفضل من نشره الى أن يسئل عنه من ابتلى به ثم صدر عنه بعد ان شرب منه
لان مقامات المحبة كلها الى جنب مقامه كنهه أضيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب
شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يقرب لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو من معنى قول رابعة
رحمها الله تعالى أحب الهوى ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع
الى هوالك (ومنها) أي ومن علامات المحبة (كنمان الحب) للغيرة والستر لنفس الذخيرة (واجتناب
الدعوى) فانها كما قالوا فضيحة ولو كانت نصيحة (والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيم للمحبوب واجلالاً

أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش بل لو أكل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيما هو شرف الظاهر أسراراً وحكم كان له في الخبر أسراراً وحكماً ولا
منتهى لحكمته كإلغائه لقدرته ومنها كنمان الحب واجتناب الدعوى والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيم للمحبوب واجلالاً

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه (٦٣٣) حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير عمل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور وورعاً تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا

صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فإلى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار

ويظهر الوجد عليه النفس ويتول أيضاً ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعداً أكثرهم إشارة بانه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذوالنون المصري على بعض أشرانه ممن كان يذكروا المحبة رآه مبتلي ببلاء فقال لا يحبه

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا) وقد قرن الله الدعوى بقرية الكذب لانها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان في قوله ومن أطلم بمن افترى على الله كذباً أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ونسب عنها كنهيه عن التولى عنه في قوله ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك منه من غير عمل) أي تكلف (أو اكتساب فانه معذور لانه مقهور) قال بعض المحبين ورد على حال من التعظيم أخرسى عن الكلام والتفهم بما لا أصفه صفة من الاجلال والعظمة فحكم على فلما تحكم وملاكني فلم أتكلم ولم أتكلم فلو شئ من حق الله تعالى كان الى وقد رت عليه لم آذن لاحد من أهل السموات والارضين من ملك مقرب ولا نبي مرسل أن يقول الله اذ كل قائل فيما قول وكل قريب من حيث قرب وكل عارف فيما عرف وكل الكل محجوب عن كنهه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم فلان يستطيع أحد أن يقول الله في كنت سنة لأتكم وسمعت رجفان قلبي في صدري وزاله عن مستقره الى تحري ويحك أمامه يهتدي يقول انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه فكيف بذكر ذا كره ذكره فمات التوحيد الا الواحد وما قال الله الا الله ثم ذكر الباقي فهذا الذي حال في مقام بعينه بمشاهدة عين من عظمتهم منفردا منفردا وقرب عن وصف قريب متحد بحد والتوحيد والتعز يدوراء هذا والاتحاد والاحدية والانفراد والوحدانية قوت ذلك والاتحاد والافراد المفردون بما أفردوا وما وحدوا بما وحدوا اذا كرون بذكره الذي به ذكر واوا المسجون بسجانه التي بها سجنوا هم محجوب هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر وهو منهم كفر والله غالب على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فوق قوامع الامر لغلبة القهر وسكنوا الاجل الحد فرسموا له الحد واليه أشار المصنف بقوله (ورعاً) تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري

فإلى منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار * ويظهر الوجد عليه النفس) وذلك ان العبد اذا قهرته الاحوال وعلت على قلبه وأحس من نفسه العجز عن حملها تنفس امامه عداوما تنغص بما هو فيه بكلام أو إشارة لانه مادام حيا لا بد أن يتروح بدخول النفس ونحو وجهه ونهايك بهذه الحالة فانهم اهل الجنة اذ جاء في الخبر ان الذكر يجري منهم مجرى النفس (ويقول أيضاً ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين) من المحبين (أكثر الناس من الله عز وجل بعداً أكثرهم إشارة بانه أراد) ان (من يكثر التعريض به في كل شيء ويكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل) لنقص مقامه في المحبة (ودخل ذوالنون المصري) رحمه الله تعالى (على بعض اخوانه ممن كان يذكروا المحبة) ويشير اليها يتعرض لها بالاشارة والعبارة (فراهم مبتلي ببلاء فقال) ذوالنون (لا يحبه من وجد ألم ضره) كانه رآه مضطرباً من ذلك البلاء (فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره) كانه أشار الى انه غير مضطرب باطناً (فقال ذوالنون ولكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل) لما سمع ذلك منه (استغفر الله وأتوب اليه) فقد أرشده الى كتمان الحب وعدم افشائه (فان قلت المحبة منتهى المقامات) وبها تكمل المقامات (واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر) ويؤمر بالكتمان (فاعلم ان المحبة

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحبان يتم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشر في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحزبك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعلم بذلك غير بك فاطهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان (٦٣٤)

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار (على الاخوان) (وحق المحب) الصادق (ان يتم على حبه الخفي) في صدره (أفعاله وأحواله دون أقواله) (بصرح العبارات والاشارة فانها لا تخلو من الدعوى) (وأفعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب) (المذموم) (ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشر في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحزبك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعلم بذلك غير ربك) (روي أحمد في الزهد عن هلال بن يساف قال كان عيسى عليه السلام يقول اذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى فليدن عليه ستر بابه فان الله يقسم الشئ كما يقسم الرزق وروي عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من طريق مسروق عن ابن مسعود قال اذا أصبح أحدكم صائما أو قال اذا كان أحدكم صائما فليترجل واذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى صلاة أو صام تطوعا فليصلها في داخله وقد تقدم (فاظهار الفعل والقول كله مذموم الا اذا غلب عليه سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه) (حكي أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه) (أي عدم جهلا وجنونا) (فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله تعالى فتبسم) (معروف) (ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم) (فلم يخرجهم من حد المحبة اذ طاش عقله من سكره وتسكهم بما يعيب عليه سامعه فالأولى الادب معهم ولا يفتيس حالهم بسواهم كما أرشد اليه معروف رحمه الله تعالى) (ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا) (بأنه تعالى ولا بد أن يكون كذلك فان المحبة ثمرة المعرفة) (وعرف أحوال الملائكة) (عليهم السلام) (في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار ولا يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح) (أي من الذكر والمراقبة والأعمال الظاهرة) (على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا) (أي مقام مقربا بسبب تلك الطاعات) (فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات) (أي آيات ملكوتها) (في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرها غيره قال فاستحييت من أعمالى) (واستحققتها بحسب أعمالهم) (فوهبتها ان حق عليه الوعيد) (أي كلمة العذاب) (تخفيفا عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياة خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى) (فلا يدعى لنفسه مقام ولا حال) (نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد) (قدس سره) (انه قال مرض استاذنا السري) (السقطي) (رحمه الله تعالى فلم نجد له لمة دواء ولا عرفنا لها سببا) (حتى نهتدي به إلى الدواء

بعض المجانين ما استجهله فيه فآخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب ان كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة

طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرها غيره قال فاستحييت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياة خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف له لمة دواء ولا عرفنا لها سببا

(فوصف لنا طبيب حاذق) أي ماهر في صناعته (فأخذنا) إليه (قارورة مائه فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر ملياً ثم قال لي أراه بول عاشق) قد فتت كبده (قال الجنيد فصعقت وغشي عليّ) من سماع ذلك القول (ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم) لأن الشوق والعشق يؤثران في الكبد فيفتتانه فينزل الماء أبيض صافياً براقاً ومن هنا قال الجنيد قال رجل للسرى كيف أنت فأنشد يقول

من لم يبت والحب حشوفواؤه * لم يدرك كيف تفتت الأكباد

قال ودفع إلى السرى رقعة مرة وقال احفظ هذه الرقعة فإذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتي * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلمص الجنب بالخصا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك في الهوى * سوى مقلة تمكئ بها وتناديا

(وقد قال السرى مرة ولوشئت أقول ما أيسر جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه) واغظ البهيقي في الشعب عن الجنيد قال سمعت السرى يقول وقد كئبه يوماً بشئ من المحبة فضرب يده إلى جلدته ذراعاً فدها ثم قال والله إن قلت إن هذا جف على هذا من محبة الله لصدقت ثم أغشى عليه ثم توردد وجهه حتى صار مثل القمر (وتدل الغشبية على أنه أقصع في غلبة الوجد ومقدمات الغشبية) وإن كان مقهوراً (فهذه أربع مجامع علامات الحب وغمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي) فريباً وحاصلاً أن يكون المحب مستأناً ساراً ضابطاً بضعاء الله وكلما كان أحب كان أَرْضَى فأول درجات الرضا الداخلة تحت التكليف أن يكره المصيبة بطبعه ورضى بفعله والثانية أن يرضى بطبعه وعقله من غير سرور والثالثة سروره بما يجري موافقة لمحبة الله فيما أبدع وحكم والرابعة أن لا يحس بما يجري عليه لفناء صفاته في صفات محبوبه وهذه أشرفها وأعزها وقواً فلهذه عشر علامات أو ردها المصنف وهي على عدد معاني المحبة العشرة التي ذكرها الخليلي في شعب الإيمان حيث قال بحمد الله تبارك وتعالى اسم لمعان كثيرة أحدها اعتقاده تعالى محمود من كل وجه لا شيء من صفاته إلا وهو مدحه والثاني اعتقاده بحسن لعباده منعم متفضل عليهم والثالث اعتقاده أن الاحسان الواقع منه أجل وأكثر من أن يحصى قول العبد وعمله وإن كثرت شكره والرابع أن لا يتبعه يستقل العبد قضاءه ولا يستكثر تكليفه والخامس أن يكون في عامة الأوقات مشفقاً وجلالاً من أعراضه عنه وشكر معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به والسادس أن تكون آماله معقودة به لا يراه في حال من الأحوال إلا غنى عنه والسابع أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره باحسن ما يقدر عليه والثامن أنه يحرص على أدائها فيه والتقرب إليه في نوافل الخير وما يطيقه والتاسع أنه إن سمع من أحد ثناء عليه وعرف منه تقرباً إليه وجهاداً في سبيله سرا وعلانية مالا له والعاشر أنه إن سمع من أحد ذكره بما يحمله عنه أو عرف منه غياعاً عن سبيله سرا وعلانية ناداه فإذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد اجتماعها هو المشار إليه باسم محبة الله تعالى وهي إن لم تذكر مجتمعة في موضع فقد جاءت منفردة من النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونه انتهت وقد بقيت للمحبة دلالات وعلامات لم يذكرها المصنف صراحة وإن كان بعض منها مذكوراً ضمنها في ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس ومنها المبادرة بأوامر المحبوب ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس ومنها التعرز على أبناء الدنيا المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع قال التكبر على التكبر بن وقال علي رضي الله عنه لنفع الموصلي في منام رأماً أحسن تواضع الأغنياء للفقراء جاء ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ومنها المجاهدة في طريق المحبوب بالمآل والنفس ليقرّب منه ويباغ مرضاهه ويقطع كل قاطع يقطع عنه بالمسارعة إلى قربيه كما قال تعالى تخبرنا عن محبة ويجعل إليك رب اترضى وكأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتبذل إليه بتبذلاً أي انقطع إليه

فوصف لنا طبيب حاذق

فأخذنا قارورة مائه

فنظر إليها الطبيب

وجعل ينظر إليه ملياً ثم

قال لي أراه بول عاشق

قال الجنيد فصعقت

وغشي عليّ ووقعت

القارورة من يدي ثم

رجعت إلى السرى

فأخبرته فتبسم ثم قال

قاتله الله ما أبصره قلت

يا أستاذ وتبين المحبة في

البول قال نعم وقد قال

السرى مرة ولوشئت

أقول ما أيسر جلدي

على عظمي ولا سل

جسمي إلا حبه ثم غشي

عليه وتدل الغشبية على

أنه أقصع في غلبة الوجد

ومقدمات الغشبية فهذه

بمجامع علامات الحب

وغمراته * ومنها الانس

والرضا كما سيأتي

انقطعا عما سواه بالاخلاص له أو قاطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ومنها ان لا يخاف في حبه لومة لائم من الخلق لانه على محبته على السلوك اليه بشيق النفس وهجر الدار ورفض المال ولا يرجو في محبته مدح ماذح ولا يرغب في شناع العباد بايثاره على الال والمال والدار ومنهار فيه البلاء منه نعمة كما قال قائلهم فلو قطعتني في الحب اربا * لما احن القواد الى سواك

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حباله كما قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا ولم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنع من مخالفتهم من غير خيفة فهو بطبعه حباله وكان صهيب يقول انه لا يستخرجه غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرجوة ومنها جود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكنتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من اللطاف والقوائد وكثرة الشكر في نعماته ونفي الطائفه وغرائب صنعته وبجائبات قدرته وحسن الثناء عامية في كل حال ونشر الآلاء منه والافضل والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبابه لئلا ينفك منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس لهم بغية في سواه ولالهم همه الا اياه وقال بعضهم في هذا المقام يا بلاني وبابلاء البلاء * أنت داني فكيف أكره داني

وقال آخر في معناه لا تطلبن شفاء عندهم * لا تحببك الامن توفاك
وقال الحب في معناه ان شئت جودي واما شئت فامتنع * كلاهما منك منسوب الى الكرم
فانت عندي وان أورتني سقما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها المسارعة الى مآذب اليه من أنواع البر بوجد الخلاوة وشرح الصدر ودوام التشبكي والحنين اليه وسبق النظر الى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ومنها التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك ومنها أن لا يطالب بخدمته سواه وان يجتمع في محبته وهو هو فلا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضى عليه مولاة الا بما يهوى قال بعضهم اذارأيت يوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار موسى عليه السلام اذارأيت النقي مشغولا في طلب الرب فقد اذله الله ذلك عما سواه وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول من علامة الحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطاف من مولاة وقيل القرية الى محبته وقلة التأذي بكل بلا يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصفي ما أكون ذكر اذا كنت محبوما (و بالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق غرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه ويخرجون عن هذين القسمين) والقسم الثاني أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلهما وهو القسم الاول متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيه اشغل عن الله والمحبة الناشئة عن الجمال والجلال من أشرف نعم الله على العباد لانها تعريف له بما هو به وتقريب منه الا ان المقصود يصير كما منحت أشعة الافضل اذا امتلأ القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب (ولذلك قال الجنيد) قدس سره (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان يزيد وينقص) فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم النعم) وتخلقوا بها قدر طاقتهم (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم) واليه يشير قول رابعة رحمة الله تعالى * وجب لانك أهل لذلك * (نعم من الناس من يحب هو هو وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الضرر والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ويرياء سمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظاهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين ياكلون الدنيا بالدين (أولئك بغضاء

ومكارم الاخلاق غرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه ويخرجون عن هذين القسمين) والقسم الثاني أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلهما وهو القسم الاول متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيه اشغل عن الله والمحبة الناشئة عن الجمال والجلال من أشرف نعم الله على العباد لانها تعريف له بما هو به وتقريب منه الا ان المقصود يصير كما منحت أشعة الافضل اذا امتلأ القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب (ولذلك قال الجنيد) قدس سره (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان يزيد وينقص) فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم النعم) وتخلقوا بها قدر طاقتهم (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم) واليه يشير قول رابعة رحمة الله تعالى * وجب لانك أهل لذلك * (نعم من الناس من يحب هو هو وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الضرر والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ويرياء سمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظاهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين ياكلون الدنيا بالدين (أولئك بغضاء

الله في أرضه موكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يادوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن العادل سرا لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا (٦٣٧) فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب

النخشي في علامات المحبة

الله في أرضه فهم عن محبة الله بعزل (وكان سهل) التسترى رجه الله تعالى (اذا تكلم مع انسان قال يادوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو والسين المهدلة والتاء فارسية (أي حبيب) من ذلك عوتب مرة في العلة التي كانت به وكان يداوى الناس منها ولا يداوى نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع كما نقله صاحب القوت (فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا) أي كيف تقول لسلك من تخاطبه بهذا اللفظ وقد لا يكون بعضهم من يتصف بالمحبة (فقال في اذن القائل سرا) هذا الذي أقول له يادوست (لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا) يكتتم إيمانه (فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس) فهو على كل حال يصح ان يطلق عليه هذا اللفظ وهذا نظير ما كان يقول لنا شيخنا المرحوم لقطب السيد عبد الله بن ابراهيم الحسيني زيل الطائف قدس سره في معنى قوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين أي الثواب والعقاب اذ كل منهما صالح أما للثواب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وأما للعقاب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشي) رجه الله تعالى (في علامات المحبة) ودلائلها الخاصة (أبياتا وهي هذه) من مشطور الرجز

(لا تتخذ عن فلحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب رسائل * منها تنعمه بمربلائه وسروره في كل ماهو فاعل * فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان يرى في غرمة * طوع الحبيب وان ألح العادل * ومن الدلائل ان يرى متبسما والقاب فيه من الحبيب بلابل * ومن الدلائل ان يرى متفهما * متفهما من كل ماهو قائل)

(وقال يحيى بن معاذ) الرازي رجه الله تعالى في هذا المعنى الا انه خفض القافية

(ومن الدلائل ان تراه مشمرا * في خرقتين على شطوط الساحل * ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فخاله من عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا ان قد رآه على قبج فاعمل * ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل)

وقد ذيلت على هذه الابيات عند تشطيريها زدت فيها ذكر بعض الامارات التي أشرب اليها آتفا فقلت

ومن الدلائل خوفه من محبه * وبعاده وعن السلوا الحاصل * ومن الدلائل ان تراه عابدا حباله من غير خوف حائل * ومن الدلائل ان تراه آنسا * بولي له المولى وليس بغافل ومن الدلائل ان تراه مبادرا * لاوامر المحبوب قبل العاجل * ومن الدلائل ان تراه جامعا كل الهموم لهم يوم آجل * ومن الدلائل ان تراه موافقا * لمحاب مولا به غير تغافل ومن الدلائل ذله بين الوري * لذوى الولا والبغض للمتحائل * ومن الدلائل ان تراه واثقا في تبه في الله فوق الجاهل * ومن الدلائل ان تراه مجاهدا * بالنفس والمال النفيس الحاصل ومن الدلائل انه في حبه * لم يخف لومة لائم أو عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسارعا للحق ثم يجانب الباطل * ومن الدلائل ان تراه نائرا * افضال مولا به محمد واصل ومن الدلائل ان تراه صابرا * لبلائه في كل أمر نازل * ومن الدلائل ان تراه ناعسا متواصيا بالحق غير مخناتل * ومن الدلائل ان تراه هاجرا * مألوفا في حب مولى كامل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا * أن قد رآه على قبج فاعل

ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل * ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل

ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل

أبياتا

لا تتخذ عن فلحبيب دلائل

ولديه من تحف الحبيب

وسائل

منها تنعمه بمربلائه

وسروره في كل ماهو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة

والفقر اكرام وبر عاجل

ومن الدلائل ان يرى من

عزمه

طوع الحبيب وان ألح

العادل

والقلب فيه من الحبيب

بلابل

ومن الدلائل ان يرى

متفهما

ومن الدلائل ان يرى

متبسما

لكلام من يحظى لديه

السائل

ومن الدلائل ان يرى

متشققا

متحفظا من كل ماهو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه

مشمرا

في خرقتين على شطوط

السواحق

ومن الدلائل حزنه ونحيبه

جوف الظلام فخاله من

عاذل

ومن الدلائل ان تراه

مسافرا

نحو الجهاد وكل فعل فاضل

* (بيان معنى الانس بالله تعالى) * قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب (١٣٨) عليه التطاع من وراء حب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع

ومن الدلائل ان تراه خائفا * عن أعين في زى عبد خامل

* (بيان معنى الانس بالله عز وجل) *

اعلم انا (قد ذكرنا) فيما سبق (ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة) ومن غرائها (الانس هذه) آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطاع من وراء حب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه (الجلال) لصعوبته (انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف) والمعاينة (وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا) الا ان الشوق أفضل من الانس لان الانس قصر نظره على ما انكشف له من الجمال ولم يمتد نظره الى اشكال ما غاب عنه والمستأنق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفة بان الذي انكشف له من الأمور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه (وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستبشار فيسمى تالمه خوفا) وقد تقدم تحقيقه في كتاب الخوف (وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقضيها لا يمكن حصرها) لكن ثمرتها (فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال) والكامل والقرب مما انكشف له منها (حتى انه اذا غلب وتجرد) وقصر نظره (عن ملاحظة ما غاب عنه) من مزيد اللطاف (وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعمه و قوت لذاته) واستحققر في جنب لذته وتنعمه لقرب حبيبته جميع ما سواه حتى لو انفهقت له الجنان جميعها لم تنذهله ولم تشغله عن التذاذب بجمال محبوبه لانا اذا رأينا صفة جميلة محكمة أحببنا الصانع لذلك فان رأينا ما هو أجل منه وأحسن وأشرف واحكم ازدادنا فيه حبا - ذاق دار الاختبار ومحل الاستدلال فكيف بالعارفين في دار القرار ومحل الكشف والعيان ويطل حكم الدليل والاستدلال ويرجع الحق تعالى مشهودا للعباد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فينبذ لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (ومن هنا نظر بعضهم) وهو الانطواء كما صرح به صاحب العوارف (حيث قيل له أنت مشتاق فقال لانما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق) نقله القشيري في الرسالة وقد تقدم وحكاها صاحب العوارف فقال وانكر بعضهم مقام الشوق وقال لانما الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب من الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطواء عن الشوق فقال لانما يشتاق الغائب وما غبت عنه منذ وجدته قال وانكار الشوق مطلقا لا أرى له وجه الا ان ترتب العطايا والمنح من أنصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من الحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يجد من أنصبة القرب وكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا وجه آخر ان الانسان لا بد له من أمور يرد بها يحكم الحال لموضع بشرية وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور ومثيرة لنار الشوق ولا نغنى بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاخرى من أنصبة القرب وهذه المطالبة كائن في المحبين فالشوق اذا كان لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوقا المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيوبة فيكون في حال الغيوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوايد ومباد من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي أرادته واختاره انتهى (وهذا كلام) غريب الحال (مستغرق بالفرح بما تاله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد) عن الخلق (والخالوة) مع الله تعالى (كما حكى ان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى اذ (نزل من الجبل) فقيل له من أين أقبلت فقال من

على كنهه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وهو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وانسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لانما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب

حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما تاله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخالوة كما حكى ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من

الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلزم التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما تكلم به مكث دهر لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القاب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتسني بذكره (٦٣٩) وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لا داود عليه

السلام كن لي مشاقا
وبني مسنأنا ومن
سواي مستوحشا وقيل
لرابعة بمثل هذه المنزلة
قالت بتر كي ما لا يعنيني
وأنسى بمن لم يزل وقال
عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت له
ياراهب لقد أعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو
ذقت حلاوة الوحدة
لاستوحشت اليها من
نفسك الوحدة رأس
العبادة فقلت ياراهب
ما أقل متجذبة في الوحدة
قال الراحة من مداراة
الناس والسلامة من
شرهم قلت ياراهب متى
يذوق العبد حلاوة
الانس بالله تعالى قال
اذا صفا الود وخلصت
المعاملة قلت ومتى يصفو
الود قال اذا اجتمع الهم
فصارها واحدا في
الطاعة وقال بعض
الحكماء عجب الخلق لا يثق
كيف أرادوا بابل بدلا عجا
للاقلوب كيف استأنست
بسؤالك عنك فان قلت
فما علامة الانس فاعلم
ان علامته الخاصة ضيق
الصدر من معايشة

الانس بالله) يشير الى مقام الانفراد واه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الصمد عن أبيه قال روى ابراهيم ابن أدهم خارجا من الجبل فذكره (وذلك لان الانس بالله يلزمه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى) في بعض الاخبار (ان موسى عليه السلام لما تكلم به) عز وجل (مكث دهر) أي زمانا طويلا (لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان) وهو تلاعب النفس من باطن وهو من مبادئ النية (لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء من المحبين (في) جملة (دعائه يا من آتسني بذكره وأوحشني من خلقه) وما أوحشه من خلقه الا وقد أراد منه أن يأتس به (و) في الاخبار (قال الله عز وجل لا داود عليه السلام) يا داود (كن لي مسنأنا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة) العذوبة رضى الله عنها (بمثل هذه المنزلة) يعني في المحبة (قالت بتر كي ما لا يعنيني) أي لا يهمني (وأنسى بمن لم يزل) قال عبد الواحد ابن زيد (البصري رحمه الله تعالى) مررت (براهب) فقلت ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت ياراهب ما أقل متجذبة في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة) أي عن شوب المشاركة (قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصارها واحدا في الطاعة) قال الخطابي في كتاب العزلة ولولم يكن في العزلة الا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس وما يدفع اليه الانسان اذا كان فيهم من استعمال المداينة معهم وخداع المواربة في رضاهم لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويجرك اليها انتهى وقد تقدم شيء من هذا في كتاب العزلة (وقال بعض الحكماء) من المحبين في مناجاته (عجب الخلق لا يثق كيف أرادوا بابل بدلا عجا للقلوب كيف استأنست بسؤالك عنك فان قلت فما علامات الانس) وشواهد (فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معايشة الخلق) ان لم يمكنه الهروب منهم (والتبرم بهم) أي التضرع من مخالطتهم (واستهتاره بعذوبة الذكر) حتى يمزج به لحسه ودمه بحيث لو طرقت ساعة وهو لم يذكر تغير حاله ويتأسف عليه (فان خالط) وهو هكذا (فهو كمن فرد في جماعة) وحي في أموات (ويجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضر وحضر في خلوة) مستغرق بعذوبة الذكر (وهو آخر المقامات الثمانية التي عليها مبنى طريقة السادة النقشبندية ويعبرون عنها بآلهم خلوة وراء تجمري يعني الخلوة في الخلوة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق اليد بالشغل والقلب بالحق وأنشدوا ومن داخل كن صاحبنا غير غافل * ومن خارج خالط كبعض الاجانب والى هذا أشارت رابعة رضى الله عنها حيث قالت

اني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأجعت جسمي من أراد جلولي
فالجسم مني للجليس مؤانس * وجيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وحكى البيهقي في الشعب عن علي بن سهل الانس بالله أن يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله عز وجل فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله تعالى (كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم) وذلك فيما رواه أبو نعيم في الحلية من طرق عن كميل بن زياد قال أخذ علي بن أبي طالب بيدي فاخرجني الى ناحية الجبان فلما أحسرتنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية تغيرها أوعاها فساق الحديث الى ان قال أولئك هم الاتلون عدا الاعظمون عند الله قدراهم يدفع الله عن حبه حتى يؤدوها الى نظائرهم ويزرعوها في قلوب أشباههم (هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر) منه (المتفرقون

الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمن فرد في جماعة ويجمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في غيبة وغائب في حضر ومخالط بالبدن مفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر المتفرقون

والدعاة الى دينه فهذا
معنى الانس بالله وهذه
علامته وهذه شواهد
وقد ذهب بعض
المتكلمين الى انكار
الانس والشوق والحب
لظنه ان ذلك يدل على
التشبيه وجهه بان جبال
المدرجات بالبصائر كل
من جبال المبصرات
ولذته معرفتها أغلب على
ذوى القلوب ومنهم
أحمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل أنكر على
الجنيد وعلى أبي الحسن
النورى والجماعة
حديث الحب والشوق
والعشق حتى أنكروا
بعضهم مقام الرضا وقال
ليس الا الصبر فاما الرضا
فغير متصور وهذا كله
كلام ناقص قاصر لم يطالع
من مقامات الدين الاعلى
القشور فظن أنه لا وجود
الا للقشور فان المحسوسات
وكل ما يدخل في الخيال
من طريق الدين فشر
بمجرد ورائه اللاب المطلوب
فن لم يصل من الجوز الا
الى قشره بظن أن الجوز
خشب كما ويستحيل
عنده خروج الدهن منه
لاحتماله وهو معذور
ولكن عذره غير مقبول
وقد قيل

وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآيدان أر واحها معلقة بالحل الاعلى (وفي رواية بالملا الاعلى)
(أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه) هاهنا شوق الى رؤيتهم وأستغفر الله لى ولكم اذا شئت فقم وقد
ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيد وشرح الفاظه واختلاف رواياته في أول كتاب العلم فراجع ان شئت
(فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهد) ولذا كرقاعدة تجمع ما أشار اليه المصنف في هذا
الفصل فنقول اعلم أن معرفة العارفين بقر بالله تعالى منهم سبب لقربهم من الله واتصالهم به وعنه تشعب
جمله أحوالهم لان الاحوال نتيجة الصفة المشهودة مع القرب فالقرب أصل لا يفارقه العارفون فان اقترن به
شهود الجمال أثمر المحبة والانس وان اقترن بالقرب شهود الجلال أثمر الهابة وان اقترن به شهود الكبرياء أثمر
الصغار والاحقاد وان اقترن به ترك المبالاة وشهود السلاطين أثمر الخفاقة وان كان معه العلم أثمر الامان وان
اقترن به شهود الغيوب أثمر الغنى عن الاكوان وان اقترن به شهود دمر ايا الاطراف خيف على عقله من فرحه
بالجود والافضال واما الابرار وأحوالهم تنشأ عن العلم بجود الرب مطلقا مع اقتران العلم باقتداره على المنع
والعطاء والسعادة والاشقاء فيتولد من ذلك ما يحثهم على خوفه ورجائه واذا كان القرب بهذه المتزلة العظيمة
فلا بد من ذكر لمة منه يستعان به اعلى ادامة الاحوال نقل القشيري عن أبي سعيد الخراز انه قال ان حقيقة
القرب فقد حس الاشياء من القلب وهدوا الضمير الى الله تعالى قال الكمال محمد بن اسحق وهذا الذى ذكره هو
الوسيلة لنيل القرب لانفس القرب لانه سبق ان الطهور شرط الايمان والذى ذكره طهور للقلب عما سوى
الله تعالى واذا تطهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد وربه الاحجاب نفسه
وعوارضها فاذا فنى عن نفسه وعن عوارضها عرف قرب الله وجهه ذلك ان كل ذرة من بدن العالم وبدن الانسان
قد تعلق العلم بها كشافا الارادة تخصيصا والقدرة ايجادا وابقاء الصفات لا تفرق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته
فاذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه وان سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم فهذا انظر
العارف المقرب ولذلك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون جاءت الآيات على وزن أفعال للمبالغة في القرب لعسر الفرق ودقته بين الدال والمدلول فالعارفون
يرون ربهم في الدنيا بعين الايقان والبصائر ورونه في الاخرى بالابصار رأى العين فهو قريب منهم في الدارين
وليس قربه في الاخرى بخالف القرب به في الدنيا الا بجزء اللطف والعطف والافتقار تفتت ههنا وهناك قرب المسافة
ولم يكن بينهما وبين مخلوق اضافة لافى الدنيا ولا فى الآخرة وهذه المعرفة مثمرة لانسان بشرط الصفات الاحتمالية (وقد
ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والرضا والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهه بان
جبال المدرجات بالبصائر كمل من جبال المبصرات) بالحواس (ولذته معرفتها أغلب على ذوى العقول) كما
تقدمت الاشارة اليه في أول هذا الكتاب (ومنهم أحمد بن غالب) وكان من أئمة النحوى والكلام (يعرف بغلام
الخليل) هو الخليل بن أحمد النحوى شيخ النحاة وناما عرف بغلام لانه لزم الخليل فاكثر القراءة عليه ولولم
يخدمه (أنكر على) أبى القاسم (الجنيد وعلى أبى الحسين النورى والجماعة) ممن نحناوهم (حديث الحب
والشوق والعشق حتى أنكروا بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور) كما سيأتى في باب
الرضا (وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطالع من مقامات الرضا الاعلى القشور فظن أنه لا وجود للقشور فان
المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين فشر بمجرد ورائه القلب المطلوب فن لم يصل من الجوز
الا الى قشره بظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عذره خروج الدهن منه لاحتماله وهو معذور) لعدم اطلاعه
والوقوف على الكنه (ولكن عذره غير مقبول) عند ذوى التحقيق (وقد قيل) في ذلك
(الانس بالله لا يحويه بطل * وليس يتركه بالحول محتمل
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عامل)

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) * اعلم أن الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلة الشوق ولم ينغصه خرفة التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة السابقة من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس ومن لم يقيم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل (٦٤١) بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج

موسى عليه السلام ليستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقال له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم عشي في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني مذبحين أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) * (اعلم) أرشدك الله (ان الانس) يثمر السكينة والطمأنينة والانبساط والادلالات وذلك لان لذة الانس تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لان الانسان يطغى عند الغنى فمدهم الله بعنايته وتوفيقه ينزل عليهم سكينه فيثبتهم بها وتوقفهم على حد الاعتدال في آداب الحضرة قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه سعادة لا يعطاهها كل أحد لان الادب يزيد في القرب من المحبوب قال الله تعالى هو الذي أنزل السكينه في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ولفظ السكينه ورد في كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لا شترأ كهافي نفس السكون والطمأنينة فوق السكينه لان السكينه صولة تعدل طغيان القلب وتثبت الطمأنينة وجود من بعد اعتدال بفرح واستمثار معرفة القلب بالزبد والطمأنينة مستحبة مع الانس لانها مقصودة في نفسها والسكينه وسيله تحته على الادب والاعتدال وأما الانبساط والادلالات فان الانس (اذا دام وغلبه واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق) لقصور نظره على طيب حاله (ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة) لا يلبق بحال التعظيم والاحلال الموحين للهيبة (لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس) وقد يلبق بالمستأنس المنبسط ما يلبق بالنائب المتضائل وذلك مثل قول عائشة رضي الله عنها لما سمعت قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قالت ان ربك ليسارع في رضاك أو هو الك (ومن لم يقيم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل هلك به وأشرف على الكفر) عياذ بالله منه (ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين) ومنع عنهم المطر (وخرج موسى) عليه السلام (يستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام) بنى اسرائيل (فلم يعرف) لانه كان مجهولا عندهم لا يؤبه به ولا يشار اليه (فبينما موسى) عليه السلام (ذات يوم عشي في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني أي مطالوبنا (مذبحين أخرج) الى الصحراء (فاستسقى لنا) ربك (فخرج) مطيعا له ورفع يديه ودعا (فقال في) جملة (كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم فقد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال) الراوي (فما ربح) مكانه (حتى) اجتمع السحاب في أكاف السماء (و اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال) برخ (كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به) ليؤدبه (فأوحى الله اليه) لاتفعل (ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات) بشير الى انه من ضنائر أوليائه (و) روى (عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى

(٨١ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) فقد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال فما ربح حتى أخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن

قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخصب قال فأتني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك (٦٤٢) لم يحترق قال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه اني سمعت

(قال احترقت اخصاص) جمع خص بالضم اسم لما يبنى من القصب (بالبصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (يومئذ أمير البصرة) كان ولاة عمر رضي الله عنه بعد عزل المغيرة بن شعبه وأقره عثمان على عمله قليلا ثم عزله بعد الله بن عامر وسكن أبو موسى الكوفي وولاه عثمان اياها بعد عزل سعيد بن العاص (فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخصب قال فأتني بشيخ فقال له) (يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى) رضي الله عنه صدق الشيخ (اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لا يبرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فني بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزمت عليها فطفئت وكان أبو حفص يعيش ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل جاري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم ترد عليه جواره قال فظهر عليه جواره في الوقت ومرا أبو حفص رحمه الله فهذا وأمثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لوسمها العموم لكفر وهم وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وذلك بحتمل منهم ويليق بهم) قال صاحب القوت فلورأيت أبا المستمع ما يكون بينه وبينهم في سرهم وما يحاسبهم به ويحادثهم في هذه المواطن لا كنت تعذرهم في كل قول وفعل فهو لا يحكمهم عليهم في أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول ما أوجدتهم مأخوذ بالعلم الجهول عند ذوي العقول فراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبة في الامور منقوصة والخليفة منه في حيرة (واليه أشار القائل

قوم تتخالجهم زهو بسيدهم * والعبد زهو على مقدار مولاه
ناهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما ناهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني
وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وكذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه أشار القائل قوم تتخالجهم زهو بسيدهم
والعبد زهو على مقدار مولاه ناهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما ناهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لوفطنت وفيه سميت بجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذري الاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس أمارتهما كيف اشترا كافي اسم المعصية والخالفته ثم تبين في الاجتناب والعصمة أما ابليس فأبليس عن رحمة وقيل انه من المبعدين وأما آدم عليه السلام فقبل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به قيثاب عليه وهدي وقد عاب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبادة الاقبال على عبدهم في اليهودية مسيان ولكن (٦٤٣) في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت

لوفطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولى البصائر والابصار حتى ينظر واليهابعين الاعتبار فانما هي عند ذوى الاغترار من الاسمار) أى الحكايات التى يسمر بها فى المجالس (فاقول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اماتراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة) للاوامر الالهية (ثم تبينا فى الاجتناب والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمة وقيل انه من المبعدين) ولذلك سمي ابليسا وشيطانا من شطن اذ بعد (وأما آدم) عليه السلام (فقبل فيه وعصى آدم ربه فغوى) أى ضل عن رشده (ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى) فكم بين جنائيه تسببت الى الطرد من الحضرة الالهية وجنايه تسببت الى التقرب منها (وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما فى العبودية سياتن ولكن فى الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى) أى يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو اذابه الكفار فى آتيناك أو كبروة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فانت عنه تلهى) أى تشاغل (وقال فى الآخر) أما من استغنى فانت له عدى) أى تتعرض بالاقبال عليه وفى ذكر التلهى والتصدى اشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي لك والمراد بالاول عبد الله بن أم مكتوم وبالثانى أمية بن خلف وروى ابن أبى حاتم عن ابن زيد لوان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي كتم هذا عن نفسه (وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) كتب ربكم على نفسه الرحمة (وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا دأر آيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وهم أهل الصفة وقد تقدم الكلام عليه (فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فى انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتتمك تضل بهم امن تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) ولا ينطق لسانى (وقوله انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا) وأمثاله (من غير موسى عليه السلام) معدود (من سوء الادب) فى الحضرة الالهية (لان الذى أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لبونس عليه السلام ما) هو (دون هذا) بكثير وهو ذهابه مغاضبا القومه قبل أن يؤمر وقيل بالعذاب فلم ياتهم لم يعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك (لما أن أقيم مقام القبض والهبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى طلبات ثلاث) بطن الحوت والبحر والليل وكان مدة مكثه فى بطن الحوت أربع ساعات وقيل ثلاثة أيام (ونودى عليه الى يوم القيامة لولأن تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها (لنبذ) أى طرح (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذوم) أى ملهم مطرود من الرحمة والكرامة (قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك) وهو امهالههم وتأخير نصرته عليهم (ولا تسكن كصاحب الحوت) نونس (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) ملوء غيظا من الضجرة فتبلى بيلائه وقال قتادة أى لا تعجل كما يعجل ولا تغضب كما غاضب ربه أجدى الزهد وقال وهب كان فى خلق نونس ضيق فلما جلت عليه أن قال النبوة تفسخ منها تفسخ الربع فقد فهامن يديه وهرب ربه واها الحاكم وقال ابن عباس وهو مكظوم أى مغموم واما ابن أبى حاتم (وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

وبعضها المسابق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلان سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف (٦٤٤) احتمل الاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى

اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى وأمن العشر من من اخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العز في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قبل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعز في وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده فلما دخل آصف

وبعضها المسابق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلالة) وانبساطه (سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما أخبر الله تعالى عنه (وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه) يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (وانظر كيف احتمل الاخوة يوسف) عليهم السلام (ما فعلوه بيوسف) عليه السلام وهم يهودا وروبل وشمعون ونكشل وواي وعبادوا وملون وأساحر واسترو جادر ولاوي (وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى رأس العشر من) آية (من اخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث) منها (والاربع فغفر لهم وعفا عنهم) وقبل شفاعة أبيهم واستغفاره فيهم ومنهم من شرفه بالنبوة (ولم يحتمل لعزير) بن شاروخا (في مسألة واحدة سأل عنها في القدر) وقصته في القرآن أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها الآية وكان يحفظ التوراة على ظهر قلبه فلما أحياه الله تعالى بعد مائة عام وكان مختصر قد أحرق نسخ التوراة كلها فجدد لهم التوراة عن ظهر قلبه ولذلك قالوا فيه عزير ابن الله وقد أخرج قصته ابن عساکر من طرق عن كعب بن وهب والحسن وابن عباس (حتى قبل محي من ديوان النبوة) بسبب ذلك (وكذلك بلعم بن باعوراء) في بنى اسرائيل (من أكابر العلماء) ومن كان يعرف الاسم الظاهر (فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك) فغضب الله عليه وكان ما كان وقصته في القرآن وقد تقدم ذكرها في كتاب ذم الدنيا (وكان آصف) بن برخيا بن شعويل بن خالة سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه قيل هو المراد بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب قيل كان يعرف الاسم الاعظم لكنه كان (من المسرفين) على نفسه (وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعز في وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده) أى ليعتبر به المعثرون (فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج) آصف (حتى علا كنيما من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدى أنت أنت) أى فى كمال عز لور ببيتك (وأنا أنا) أى فى كمال ذلى وعبوديتي (فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصم لاعدون) أى الى المعصية (فأوحى الله تعالى اليه) بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام (صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم) وبقي على رتبته التى كان عليها وقد رويت عنه العلوم الغريبة من الفلك والاسم واليه ينتهى اسنادها (وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه مناظر به اليه وتم الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه) بتوقيفه وعصيته وحفظه (بعد ان كان أشقى) أى أشرف (على الهلكة) وقال (كم من ذنب واجهته به غفرته لك) ما (قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كنيما من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصم لاعدون فأوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه بعد ان كان أشقى على الهلكة كم من ذنب واجهته به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلون من قبلنا (٦٤٥) في القرآن شيء الا وهو هدى ونور

وتعرف من الله تعالى
الى خلقه فتارة يتعرف
اليهم بالتقديس فيقول
قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفو أو أحد وتارة يتعرف
اليهم بصفات جلاله فيقول
الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر وتارة يتعرف
اليهم في افعاله الخفية
المرجوة فيتلو عليهم سنة
في اعدائه وفي أنبيائه
فيقول ألم تركب فعل
ربك بعد ادم ذات العمد
ألم تركب فعل ربك
بأصحاب الفيل ولا بعد
والقرآن هذه الاقسام
الثلاثة وهي الارشاد
الى معرفة ذات الله
وتقديسه أو معرفة صفاته
وأسمائه أو معرفة
أفعاله وسنته مع عباده
ولما اشتملت سورة
الاخلاص على أحد
هذه الاقسام الثلاثة وهو
التقديس وازنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلاث
القرآن فقال من قرأ
سورة الاخلاص فقد قرأ
ثلث القرآن لان منتهى
التقديس أن يكون
واحد في ثلاثة أمور
لا يكون حاصل منه من
هو نظيره وشبهه ودل
عليه قوله لم يلد ولا يكون
حاصل من هو نظيره
وشبهه ودل عليه قوله لم

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا (أي مضوا) من قبلنا في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو أو أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الله تعالى من سلب نقص واثبات كمال (فيقول) في الاثبات أفنى يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويقول الله لا اله الا هو الحى القيوم ويقول هو الله الذى لا اله الا هو (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وأما السلب فكقول الله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها وقوله ما أشهدنهم خالق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضامين عضدا وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ما عبادي واصطبر لعبادته هل تعلم سميا أي مثيلا ونظيرا فهذه هي المعرفة الخاصة (وتارة يتعرف اليهم في أفعاله الخفية والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تركب فعل ربك بعد ادم ذات العمد ألم تركب فعل ربك بأصحاب الفيل ولا بعد والقرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده) ولذلك انقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال (ولما اشتملت صورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس) أعني به تزييه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي البرداء نحوه اه قلت لفظ أحمد من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وهكذا رواه أبو عبيد والنسائي وابن منبغ ومحمد بن نصر والدارقطني في الافراد وابن مردويه والضياء ولفظ البخاري قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان ورواه البخاري أيضا من رواية أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي البرداء وقد روى كذلك بهذا اللفظ من حديث أنس رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط والضياء من حديث أبي أيوب رواه النسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ومن حديث ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أبي مسعود الأنصاري رواه أحمد وابن ماجه ومن حديث معاذ رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رواه أحمد والطبراني والبيهقي وقد روى أيضا من حديث ابن عمر زيادة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الطبراني والحاكم وروى من حديث علي رضي الله عنه بلفظ من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله رواه الزاقي في تاريخه وروى العقيلي من حديث رباح الغنوي من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع وروى البيهقي من حديث سعد بن عبد الله من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكا كما قرأ ثلث القرآن ورواه ابن السني من حديث أبي هريرة بلفظ كانت له تعدل ثلث القرآن وروى أبو نعيم من حديث ابن عباس من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن (لان منتهى التقديس في أن يكون واحد في ثلاثة أمور) أحدها (لا يكون حاصل منهم من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد) فقوله لم يلد أي لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يتخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه (و) الثاني (لا يكون هو حاصل من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم (و) الثالث (لا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرع من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد) أي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبه وغيرها (ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد) فاحد بدل على جميع صفات الجلال والله يدل على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزلة الذات عن انحاء التركيب والتعدد ما يستلزم أحدهما كالجسمية والتخبر والمشاركة في الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتية يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرع من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد

وجلته تفصيل قول لاله
 الاله فهذه أسرار
 القرآن ولا تنهاى
 أمثال هذه الأسرار في
 القرآن ولا رطب ولا
 يابس الا في كتاب مبين
 ولذلك قال ابن مسعود
 رضى الله عنه نور وا
 القرآن والنسوا غرائب
 ففيه علم الاولين
 والآخرين وهو كما قال
 ولا يعرفه الا من طال في
 آحاد كلماته فذكره وصفا
 له فهمه حتى تشهد كل
 كلمة منه بأنه كلام جبار
 قاهر مليك قادر وانه
 خارج عن حدا استطاعة
 البشر وأكثراً سرار
 القرآن معبادة في طي
 القصص والاخبار فيمكن
 حريصاً على استنباطها
 لينكشف لك فيه من
 الجوانب ما تستحق معه
 العلوم المزخرفة الخارجة
 عنه فهذا ما أردنا
 ذكره من معنى الانس
 والانسباط الذي هو
 ثمرته وبيان تفاوت عباد
 الله فيه والله سبحانه
 وتعالى أعلم
 * (القول في معنى الرضا
 بقضاء الله تعالى وحقيقته
 وما ورد في فضيلته)
 اعلم أن الرضا ثمره من
 ثمار المحبة وهو من أعلى

والحكمة الالهية التامة المقتضية للالوهية (وجلته) أى معرفته افراداً (تفصيل قول لاله الاله) وقوله -م
 العلم بالشيء على الاجمال يناقض العلم على التفصيل على معنى ان الاجمال هو عدم الاطلاع على دقائقه لا بمعنى
 معرفة الاشياء افراداً ثم جمعها عدد فهذا الامانع منه قاله دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها جلالاً
 وجلالاً ولا حتى لا يشذ منها شيء وسائر الاسماء لا يدل آحادها الا على آحاد المعاني من علم وقدرته أو فعل أو غيره وقد
 فهم منه انه الوجود الحقيقي الحق وكل ما سواه فانه هالك وباطل الابه (فهذه أسرار القرآن) وجواهره (ولا
 تنهاى أمثال هذه الأسرار في القرآن فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه
 نور والقرآن والنسوا غرائب فيه علم الاولين والآخرين) وقد روى الديلمي من حديث أنس من أراد علم
 الاولين والآخرين فليثور القرآن (وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فذكره وصفاً فهمه حتى
 تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حدا استطاعة البشر وأكثراً سرار القرآن
 معبادة في طي القصص والاخبار) وهي المرادة من قول ابن مسعود والنسوا غرائب (فيكن حريصاً على
 استنباطها) من معانها (لينكشف لك فيه من الجوانب ما تستحق معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا
 ما أردنا أن نذكره من معنى الانس و) معنى (الانسباط) والادلال الذي هو ثمرته (وبين تفاوت عباد الله
 تعالى فيه) وظهر مما ذكرنا من أفعال الله تعالى الجائزة أن رضى على قوم بفعل وبغضب به على غيرهم
 لاختلاف أحوالهم والحكمة السابعة فيهم بالتقريب والابعاد ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه الأهل خاصة
 قال الله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً لانهم لم ينتفعوا بما
 سمعوه من الآيات ولا بالنظر الى ما كوت السموات والأرض للاكنة التي منع الله بها انتفاعهم وعبر عن الستر
 في ذلك فقال تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم وهذا حجاب الغيرة وحقيقته حفظ الوقت مع الحق أن
 يشوبه مشقوش شجاعليه فاذا الغيرة من ثمرات الانس وهذه الاحوال لها بالنسبة الى العبد ثلاثة أحوال ان
 وجدها في الملائكة الخلاء فهو معلول يجب عليه المحاسبة وأن يطالب نفسه بالعلامات وان وجدها في الخلاء
 دون الملائكة فهو حسن ولكنه ناقص من ذروة السكالك اذ السكالك أن يستوى في ذلك الخلاء والملا والخصر والسفر
 والفراغ والشغل لان الفراغ شرط في البداية لا في النهاية فمن استقرأ أحوال الانبياء والاولياء وجدها كما
 وصفنا والله الموفق * (القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيله) *
 (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الرضا ثمره من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين) وهو الثامن من مقامات
 اليقين وجعل صاحب القوت المحبة حالاً من مقام الرضا فلذلك قدم الرضا على المحبة وأما صاحب مقاصد المنجيات
 فذكر الرضا في آخر مقام التوكل وجعله من لواحقه وهذا لفظه الرضا هو الغاية القصوى في الدنيا والاخرى
 بعد النظر الى وجه الله تعالى وله بالنسبة الى السالك منازل ثلاثة الاولى نهاية العبر أول مقام الرضا والسالك
 يرتقى من الصبر اليه الثانية بعد التوكل والتفويض والتسليم لان الرضا لا يصلح الا بعد القضاء فاذا توكل العبد
 على مولاه واستسلم لقضائه فحينئذ تجرى عليه المقادير بما حكم الله في الازل فحينئذ يجب الرضا الثالثة يكون
 ثمره المحبة وهو الاغلب في الوقوع والاشرف عند الله تعالى لان بذلك تحلوا البلايا والرزاي وما سوى هذا حديث
 نفس لو طوب النفس بالامتحان فيه لم يجده الطالب شيئاً فلما رأيت يلقى به من المنازل الثلاثة توسط الامر
 وجعلته بعد التوكل لان الحاجة اليه في هذه الحالة مما تتم به المايه وهو أيضاً كغيره من المقامات ينتظم من
 علم وحال وعمل أما العلم فاعلم ان العلم الذي يورث حال الرضا هو العلم بكل صفات الله تعالى وجمالها وجلالها
 فيما حكم به في الازل من شقاء واسعاد وتقریب وابعاد وشدة وارضاء وان ذلك على أكل الحالات وأرفع الدرجات
 وهذا العلم بعينه هو الذي يوجب التسليم والتفويض الآن الفرق بينهما وبين الرضا ان التفويض والتسليم
 قبل وقوع المقضي به والرضا بعد وقوع المقضي به وبالرضا يظهر صدق المقامات كلها واعتقاد هذا العلم واجب
 لانه من الايمان بالله يراد ذاته وبغيره اما كونه مراد ذاته فلا نية معرفة بالله مقصودة في نفسها واما كونه يراد

لغيره فلا يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط ويحبب اضدادها من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عد الانفس مع الله والسلامة من اضاعه الاوقات وقال القشيري قد اختلف العراقيون واخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال او من المقامات فاهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يؤل الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه وأما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسب العبد بل هو نازلة تحصل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين القولين فيقال بداية الرضا مكتسب للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست بمكتسبة (و) اما (حقيقته) فانها (غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرين قصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بشئ لانه فعل الله تعالى فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي واتخذ بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولوانك كشفت هذه الاسرار ان اقتصر على سماع طواهر الشرع لمادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضى الله عنه (حيث قال اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل) هكذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقد تقدم في كتاب العلم وقد روى البخاري من حديثه بالشعار الاول فقط ورواه أحمد أيضا والطبراني وأبو نعيم بلفظ اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل ورواه كذلك ابن سعد والحاكم وروى من حديث ابن عمر اللهم بارك فيه وانشر منه قاله لابن عباس رواه صاحب الحلية وروى ابن ماجه وابن سعيد والطبراني من حديث ابن عباس اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب وقال صاحب القوت واعلم أن الرضا من مقامات اليقين واحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل أفعال الله تعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الاما قضاء فعلى العارفين به الرضا بالقضاء ثم رد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضى به العبد وأحببه شرعا وفعلوا وجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدر او يسلم لولاه حكمته وحكوا عليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبوا يعترف به انفسه ظمأوا رضى يعود الاحكام عليه بالعقاب وان اجترحه بجوارحه اكتسابا ورضى بان الله سبحانه عليه الحجة البالغة وأن لا عذره فيه ويرضى بانه في مشيئة الله من عفوه عنه برحمته وكرمه أن شاء أو عقوبة بعدله وحقه ان شاء لان الموقنين والمحبين لا يقطعون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصي وكرهاتها باللسنة والقلوب من قبل ان الايمان بفرضه والشرع وردم اولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين فمن رضى بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها واولى وانصر عنها وادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى عليه أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم ثم ذكر جملة من الآيات والاحبار والاسماء ثم قال وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين لحمل الرضا على ما يكون منه من معصية وهوى فعمله بالتفصيل وقلة فقهم بعلم التأويل ولا يتبعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتهد اعاني القول والفعال ولهواه في العصبية والفسوق وأراد أن يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له ونظر يقاليه ولوعصم من الهوى لاستراح ولوزهد في الدنيا لاراح ولو كان علمه للتأويل الله الفتح العليم لافلح ولعلم الناس من علمه فرج وأرج وانى له بذلك والهوى يقبله والبلاء المعقود به بعمره وانما يعلم التأويل منزل التنزيل ألم تسمع الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده فكفونا عن مناظرته بطرده وابعاده والاستغفال بالباطل بطلاله لان أوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها ثم قال وقد يحتاج أيضا بطلان لخبلة وقلة مواساته وبذله أو يعطل لاتساعه في أمر الدنيا واستثنائه على الفقراء ان الذي يمنعه من البذل

وحقيقته غامضة على
الاكثرين وما يدخل
عليه من التشابه والابهام
غير منكشف الا لمن علمه
الله تعالى التأويل
وفهمه وفقهه في الدين
فقد أنكر منكرين
تصور الرضا بما يخالف
الهوى ثم قالوا ان أمكن
الرضا بكل شئ لانه فعل
الله فينبغي أن يرضى
بالكفر والمعاصي
واتخذ بذلك قوم فرأوا
الرضا بالفجور والفسوق
 وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء
الله تعالى ولوانك كشفت
هذه الاسرار لمن اقتصر
على سماع طواهر الشرع
لمادعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن
عباس حيث قال اللهم
فقهم في الدين وعلمه
التأويل

والإيثار أو الزهد فيما في يديه والاخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا من مقام الرضا خاص به
عند نفسه وهذا قول لأبي ذر هوى وهو من خدح النفوس وأمانها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضا
لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة معرفة الراضى بفضل الزهد وأوصافه كيف تكون ولحب مولاهم فقر ولحقته على
التكاثف الرضا لا يأمر بالاستتار والاستساع لما كره من النعمة والاستسكان لان الرضا يأمر بما أمر الأيمان به
إذا كان مقامه فيه فهو لا يوقف عما تدب اليه العبد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا إنما يوقف من ذلك
غلبة الهوى ويدخل فيه بحجة الدنيا وهما مذمومتان في العلم وعند العلماء تأمر به النفس الأمارة بالسوء
ويوسوس به العدو وبأهمز والخطم وهذه مذمومتان وأحالها يجعله على الرضا وهذه أغترارات من النفس لها
وتغويه على الخلق ليسلم منه ولا عذوله فهذا عند ما لا يملكه ولا سلامة له فيه من خالقه ولا مقام له في الرضا عند
العلماء من أهل الرضا اه (فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية
تصوره فيما يخالف الهوى ثم بذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه ذكره الدعاء والسكوت على المعاصي)
والنا كبر

(بيان فضيلة الرضا) *

(أما من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه) فرضا الرب سبحانه سبب لرضا العبد عن الله ورضا
العبد بالله وعن الله سبب لرضا الله عن عبده والرضا الأول ذاتي لعلقه بتخصيص الإرادة والرضا الثانى فعل لانه
ثواب الله يفيضه على عبده الراضى زيادة على جزائه ثم قال ذلك لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الأمر والباعث
على كل خير (وقد قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب
رضا العبد عن الله تعالى) وروى البيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدرى قال فى معنى الآية هل جزاء من انقلع
من نفسه الالتفات بربه وهل جزاء من انقطع عن أنس المخوفين إلا الأتس برب العالمين وهل جزاء من صبر
علينا الوصول البنا ومن وصل إلينا هل يحمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب فى الدنيا والنصب فيها
الإلا الراحة فى الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى إلا التقرب إلى الكون وهل جزاء من سلم قلبه إلى الله أن يجعل
قوله إلى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق إلا التقرب إلى الحق وفى حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفى وهو منكر وسئل ذو النون
المصرى عن هذا فقال معناه هل جزاء من أحسن إليه إلا أن أحفظ إحسانى عليه فيكون إحسانا إلى إحسان
(وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر) وناهيك به شرفا انه يثمر رضوان الله
(فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن) وهى من أعلى الجنات (كأرفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) والذكر عند الذكرين المشاهدة (فكان مشاهدة
الذكر كورفى الصلاة أكبر من الصلاة) وهذا أحد الوجهين (فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنة) والوجه الثانى ذكر الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى (وقد رفع الله تعالى الرضا
منه فوق ما أعطى من النظر كما) (فى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك) قال
العراقى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس فى حديث طويل يسند فيه لين وفيه فيجلى لهم
فيقول أنا الذى صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا ورواه أبو
يعلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون فيقولون ربنا رضوانك الحديث ورجاله رجال الصحيح اه قلت وبخط الحافظ
ابن حجر وفى الباب عن جابر فى الشعب البيهقي وحذيفة فى مسند البزار قلت لفظ حديث جابر يقول الله تعالى
يا أهل الجنة بقی اسكنم شئ تنالونه فيقولون وما هو يا بنافى يقول رضوانى واه كذلك الحكيم فى النوادر وروى
القشيري فى الرسالة بسنده الى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع لهم نور على
باب الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضا عنا
قال رضائى أحلكم دارى وأنيلكم كرامتى هذا أدناها فسلونى قالوا نسألك الزيادة قال فيقولون نجائب من

فلنبدأ ببيان فضيلة
الرضا ثم بحكايات أحوال
الراضين ثم بذكر حقيقة
الرضا وكيفية تصوره
فما يخالف الهوى ثم
نذكر ما يظن انه من
تمام الرضا وليس منه
ذكر الدعاء والسكوت
على المعاصي

(بيان فضيلة الرضا) *
(أما من الآيات) فقوله
تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقد قال تعالى
هل جزاء الإحسان إلا
الإحسان ومنتهى
الإحسان رضا الله عن
عبده وهو ثواب رضا
العبد عن الله تعالى وقال
تعالى ومساكن طيبة
فى جنات عدن ورضوان
من الله أكبر فقد رفع
الله الرضا فوق جنات
عدن كأرفع ذكره فوق
الصلاة حيث قال ان
الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر
ولذكر الله أكبر فكان
مشاهدة الذكر كورفى
الصلاة أكبر من الصلاة
فرضوان رب الجنة أعلى
من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان وفى
الحديث ان الله تعالى
يتجلى للمؤمنين فيقول
سلونى فيقولون رضاك

فسؤا لهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقة عنه وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقة ما ذكره أقصاهم الخلق عن دركه ومن يقوى (٦٤٩) عليه فيستقل يادرا كه من نفسه

وعلى الجملة فلا رتبة فوق
النظر اليه فأنما سأل
الرضا لانه سبب دوام
النظر فكأنهم رأوه غاية
الغايات وأقصى الاماني
لما طفر وابتغى النظر
فلما أمروا بالسؤال لم
يسألوا الادوامه وعلما
أن الرضا هو سبب دوام
رفع الحجاب وقال الله تعالى
ولدينا مزيد قال بعض
المفسرين فيه يأتي
أهل الجنة في وقت المزيد
ثلاث تخف من عند رب
العالين احداها هدية
من عند الله تعالى ليس
عندهم في الجنان مثلها
فذلك قوله تعالى فلا
تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين والثانية
السلام عليهم من ربهم
فيزيد ذلك على الهدية
فضلا وهو قوله تعالى
سلام قولنا من ربهم
والثالثة يقول الله تعالى
اني عنكم راض فيكون
ذلك أفضل من الهدية
والتسليم فذلك قوله
تعالى ورضوان من الله
أكبر أي من النعيم
الذي هم فيه فهذا أفضل
رضاء الله تعالى وهو ثرة
رضا العبد وأما من
الاخبار فقد روي أن

ياقوت ثم ساق الحديث وفيه حتى تنتهي بهم الى جنة عدن قال فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل
الحديث بطوله ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والاحرى في الشريعة وابن مردويه
أيضا بلفظ بينا أهل الجنة في نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم
فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله تعالى سلام قولنا من ربهم فينظرون اليهم وينظرون اليه
حتى يحجب عنهم ويبقى نورهم وبركتهم عليهم في ديارهم (فسؤا لهم الرضا بعد النظر) اليه (نهاية التفضيل)
ومن ذلك ما روي في حديث أبي سعيد الخدري ان الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبسنا ربنا
وسعديك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيك
أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أخطئ عليكم أبدا رواه
أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان (وأما رضا العبد) بالله وعن الله وفي الله (فسنذكر حقيقة عنه) فيما بعد
(وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز أن يكشف
عن حقيقة عنه اذ تقصر افهام الخلق عن دركه) وغاية ما يقال ان العصمة طاهر الرجة والرجة أول الرضا من الله
فالعصمة من الله تعالى لعبده دليل الرجة منه ثم تدخله الرجة في مقام المحبة وهذه رجة المحبوبين ثم ترفع المحبة
الى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصرف البنية والمطلوب
(ومن يقوى عليه فيستقل يادرا كه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فأنما سألوا الرضا لانه سبب دوام
النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما طفر وابتغى النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الادوامه
وعلما ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب) أي بالرضا دام لهم النظر فلما كان الرضا موجب للنظر سألوا دوام
الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوا تمام النعمة من حيث بدايتها قال صاحب القوت ولا يصلح ان يظهر معنى
قولهم رضاك أكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر عن كشف وصف من صفاته الذاتية موجبة على
العبد هيبة الربوبية وخوف هذاعن القلوب محجوب في حكمه من سائر الغيوب وهو في الدنيا ثواب لاهل
الخشية عن معرفة خاصة قال الله تعالى ذلك لمن خشي ربه (وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه
يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تخف من عند رب العالين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد
ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولنا من ربهم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك
أفضل من الهدية فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه) نقله صاحب القوت
(فهذا أفضل رضا الله تعالى) عن العبد (وهو ثرة رضا العبد) عن الله تعالى وقد قيل في قوله تعالى ورضوان
من الله أكبر ان الرضا من جلاء أهل الذكرا لا كبر وهو أحد المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم من شغلته ذكرى
عن مسألتي أعطيتهم أفضل ما أعطى السائلين في الرضا عنه لان السائلين سألوه لهم فاعطاهم العفو والذاكرين
ذكره فاعطاهم الرضا منه ويكون أيضا معناه النظر الى الله كزجر الى النظر فقابل النظر اليه
اليوم بالنظر اليه غدا كما راجه الوصف بالوصف في قوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة وفي حديث أبي موسى ان
الله عز وجل يجلي لنا ضاحكا والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان (وأما الاخبار فقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء
ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة) تقدم في كتاب العلم (وفي خبر آخر
انه قال حكاء علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء) تقدم أيضا في كتاب العلم فاشهد لهم بالايمان الابعاد

(٨٢) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)
النبى صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقال مؤمنون
فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة وفي خبر آخر انه قال حكاء
علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء

وفي الخبر طوبى لمن هدى للإسلام (٦٥٠) وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق

رضي الله تعالى عنه
بالقليل من العمل وقال
أيضا إذا أحب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر
اجتبه فان رضى اصطفاه
وقال أيضا إذا كان يوم
القيامة أنبت الله تعالى
أطائفة من امتي أجنته
في طيرون من قبورهم
إلى الجنان يسرحون
فيها ويتنعمون فيها
كيف شاؤا فتقول لهم
الملائكة هل رأيتم
الحساب فيقولون ما رأينا
حسابا فتقول لهم هل
جزتم الصراط فيقولون
ما رأينا صراطا فتقول
لهم هل رأيتم جهنم
فيقولون ما رأينا شيئا
فتقول الملائكة من أمة
من أنتم فيقولون من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم
فتقول نشدناكم الله
حدثونا ما كانت أفعالكم
في الدنيا فيقولون
خلصنا كأننا فينا فبلغنا
هذه المنزلة بفضل رحمة
الله فيقولون وماها
فيقولون كما إذا خلونا
نستحي أن نعصيه ورضي
باليسير مما قسم لنا
فتقول الملائكة يحق لكم
هذا وقال صلى الله عليه
وسلم يا معشر الفقراء
اعطوا الله الرضا من
قلوبكم تظفروا بثواب

وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته للايمان أربعة
أركان لا يصلح الا بهن كمال يصلح الجسد الا بالدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله تعالى (وفي الخبر طوبى
لن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به) رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقع به وقد تقدم
(وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل) قال
العراقي ورويناه في أمالي المحاملي بأسناده ضعيف من حديث علي ومن طريق المحاملي رواه الديلمي في مسند
الفردوس اه قات هذا اللفظ ساقه البيهقي في الشعب من حديث علي وفي اللفظ له من رضى بالله باليسير من
الرزق الخ وقد رواه المحاملي من طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده ولفظه انتظار
الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقبيل من العمل ورواه كذلك ابن أبي
الدنيا في الفرج وابن عساكر (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه
وان رضى اصطفاه قال صاحب القوت ورويناه من طريق أهل البيت وقد تقدم قريبا نحوه من حديث أبي
عتبة الخولاني أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه الحديث رواه الطبراني وابن
عساكر وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من حديث أبي سعيد بسندين أن الله إذا أحب عبدا ابتلاه
وإذا ابتلاه صبره (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله أطائفة من امتي أجنته في طيرون
من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون
ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا
شيئا فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا
ما كانت أفعالكم في الدنيا فيقولون خصلنا كأننا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمة فيقولون
وماها فيقولون كما إذا خلونا نستحي أن نعصيه ورضي باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا نقله
صاحب القوت فقال ورويناه حديثا حسنا عن جاد بن سلة عن ثابت البناني عن أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا كان يوم القيامة فساقت وقال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث
أنس مع اختلاف وفيه جيد بن علي القيسي ساقط هالك والحديث منكر يخالف القرآن والاحاديث الصحيحة في
الورود وغيره اه قلت جيد بن علي القيسي لم أجده ذكر في ديوان الضعفاء للذهبي ولا في ذيله فليست وقال أبو
نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا عبيد بن غنام حدثنا جعفر بن أبي الحسن الخوارزمي حدثنا عبد الله
ابن عبيد الله بن اسحق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثني أبي عن الحصين بن حذيفة
عن أبيه عن أبي صيفي عن أبيه صهيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون هم السابقون
الشافعون المدلون على ربهم والذي نفسي بيده أنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب
الجنة فيقول لهم الخزنة من أنتم فيقولون نحن المهاجرون فيقول لهم الخزنة هل حوسبتم فيحبثون على ربكم
وينثرون ما في جعباتهم ويرفعون أيديهم فيقولون ألا يارب هذه نحاسب لقد خسرنا ثروتنا المال والأهل
والولد فيجعل الله لهم أجنته من ذهب نحوصة بالبرجد والياقوت فيطيطون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله الحمد لله
الذي أذهب عنا الحزن إلى قوله لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم بمنزل لهم في الجنة أعرف
منكم بمنزل لكم في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقرم والافلا) تقدم
في كتاب الفقر والزهد بلفظ يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث وانه رواه الديلمي في مسند
الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أبان منهم بالكذب (وفي أخبار موسى
عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي
قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

الخبر

فقرم والافلا وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به
عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله (٦٥١) عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى

ينزل العبد منه حيث
أترله العبد من نفسه وفي
أخبار داود عليه السلام
مالا ولياى والهم بالدنيا
ان الهم يذهب حلوة
مناجاتى من قلوبهم
يادود ان محبتي من
أولياى أن يكونوا
روحانيين لا يغمثون
وروى أن موسى عليه
السلام قال يارب دلتنى
على أمر فيه رضاك حتى
أعمله فأوحى الله تعالى
اليه ان رضى فى كرهك
وأنت لا تصبر على ما
تكبره قال يارب دلتنى
عليه قال فان رضى فى
رضاك بقضائى وفى مناجاة
موسى عليه السلام
أى رب أى خلقك أحب
اليك قال من اذا أخذت
منه المحبوب سألنى قال
فاى خلقك أنت عليه
ساخط قال من يستخيرنى
فى الامر فاذا قضيت له
سخط قضائى وقد روى
ما هو أشد من ذلك وهو
ان الله تعالى قال أنا الله
لا اله الا أنا من لم يصبر على
بلاى ولم يشكر نعمائى
ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى ومثله فى
الشدة قوله تعالى فيما
أخبر عنه نبينا صلى الله
عليه السلام انه قال
قال الله تعالى قدوت
المقادير ودبرت التدبير
وأحكمت الصنع متى حتى يلغاني

الخبر (ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل
عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أترله العبد من نفسه) قال وحديثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن همدان
ابن مالك القطعي بهذا الحديث فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال العراقى رواه الحارث بن جابر
وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اه قلت ورواه الدارقطنى فى الافراد وابن النجار من حديث أنس بلفظ من
أراد أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل عنده ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة (وفى
أخبار داود عليه السلام) أوحى الله تعالى الى داود يادود (مالا ولياى والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلوة مناجاتى من قلوبهم) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي فى الشعب عن بشر بلفظ يادود انما خلقت
الشهوات واللذات لضعفاء عبادى أما الأبطال فالهم وللشهووات واللذات يادود فلا تعلق قلبك بشئ منها فادنى
ما أعقبك به ان أسلب حلوة حبي من قلبك وقد تقدم وفى لفظ آخر (يادود ان محبتي من أولياى أن يكونوا
روحانيين ولا يغمثون) اياك والغم ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى كذا فى القوت وقال فى موضع آخر وقد روى بناتى
أخبار داود عليه السلام ان الله عز وجل أوحى اليه تزعم انك منقطع الى تدعى عشقى وتسمى الظن بى الق
كنفك بين يدي أكن أختارك فان محبتي من عبادى أن يكونوا روحانيين لا يغمثون مصابيح القلوب كن
واحدا نبيا مع العباد الى هنالك أرفع النور لك شاهد المخلوقين بمدنك وقلبك فاذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي
ما على فى كلام نحوه قال فى آخره ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى أن تهوى على هوالك واغضب لى أشد مما تغضب
لنفسك وقد تقدم بعضه قريبا (وروى ان موسى عليه السلام قال يارب دلتنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله
فأوحى الله اليه ان رضى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكبره قال يارب دلتنى عليه قال فان رضى فى رضاك
بقضائى) نقله صاحب القوت وقال القشيري وقيل قال موسى عليه السلام الهى دلتنى على عمل اذا علمته رضىت
عنى فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا فأوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضى فى رضاك بقضائى
اه وقال صاحب القوت وروى بنا هذا على وجه آخر ان بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا لو علمنا فى
أى شئ رضا ربنا عز وجل لفعلناه فأوحى الله اليه قل لهم رضى ان ترضوا بقضائى (وفى مناجاة موسى عليه
السلام يارب أى خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سألنى قال فاى خلقك أنت عليه ساخط
قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى) نقله صاحب القوت قال (وقد روى ما هو أشد من ذلك)
كاه (وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلاى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبي هند الدارى مقتصر على
قوله من لم يرض بقضائى ويصبر على بلاى فليتمسك ربا سوائى واسناده ضعيف اه قلت وكذلك رواه أبو نعيم فى
الصحابة وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن زياد بن أبي هند الدارى عن أبيه يزيد كشداد عن
أبيه فائد بالفاء عن أبيه زياد عن أبيه أبي هند قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعنى عن ربه فسأله
قال الحافظ فى الاصابة فائد وولده ضعيفان وروى الشيرازى فى الالقاب من حديث على قال لى جبريل قال الله
عز وجل يا محمد من آمن بى ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتمسك ربا غيرى وفيه محمد بن عيسى الكرماني وروى
البيهقى وابن النجار من حديث أنس قال الله عز وجل من لم يرض بقضائى وقد روى فليتمسك ربا غيرى ورواه
الخطيب بلفظ من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليتمسك ربا غير الله عز وجل (ومثله فى الشدة قوله
تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن
رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني) نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجده
بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبي امامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين
الحديث واسناده ضعيف اه قلت وتعمم حديث أبي امامة وعرضه على الماء فاخذ أهل اليمن بيمينه وأخذ
أهل الشمال بيده الاخرى وكلمتا يدي الرحمن عني فقال يا أصحاب اليمن فاستجابوا لله فقالوا اليك ربنا وسعديك

وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني

عشر سنين فأسجيب
الى ما أراكم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكرو
هكذا كان بدوكم عندى
فى أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك منى
وهكذا افضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أفتر يد ابن أعبد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ما قدرته
عليك فيكون ما تحب
فوق ما أحب ويكون
ما تريد فوق ما أريد
وعزى وجلالى لئن تلجلج
هذا فى صدوركم مرة أخرى
لاحمونكم من دوان النبوة
أمر روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
وينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاع كهيئة
الدراج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
ولا ينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده يا أبت
أما ترى ما يصنع هذا ابنك
لونهيبه عن هذا فقال
يا بني انى رأيت مالم تروا
وعلمت مالم تعلموا انى
فأهبطت من دار الكرامة

عشر سنين فأسجيب
الى ما أراكم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكرو
هكذا كان بدوكم عندى
فى أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك منى
وهكذا افضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أفتر يد ابن أعبد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ما قدرته
عليك فيكون ما تحب
فوق ما أحب ويكون
ما تريد فوق ما أريد
وعزى وجلالى لئن تلجلج
هذا فى صدوركم مرة أخرى
لاحمونكم من دوان النبوة
أمر روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
وينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاع كهيئة
الدراج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
ولا ينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده يا أبت
أما ترى ما يصنع هذا ابنك
لونهيبه عن هذا فقال
يا بني انى رأيت مالم تروا
وعلمت مالم تعلموا انى
فأهبطت من دار الكرامة

الى دار الهوان ومن دار النسيان

لَمْ يَكُن لِبَنَةِ كَانَ وَكَانَ إِذَا

و روى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود انك تريد أن يكون ماؤى بدفان سلت لما أريد كفتك ما تريد ان لم تسلم لما أريد أن تعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد * (وأما الآثار) * فقد قال ابن عباس رضى (١٥٣) الله عنهم ما أول من يدعى الى الجنة يوم

القيامه الذين يحمدون
الله تعالى على كل حال
وقال عمر بن عبد العزيز
ما بقى لى سرور الا فى
مواقع القدر وقيل له ما
تشتهى فقال ما يقضى
الله تعالى وقال سمون
ابن مهران من لم يرض
بالقضاء فليس لحقه دواء
وقال الفضيل ان لم تصبر
على تقدير الله لم تصبر على
تقدير نفسك وقال عبيد
العزيز بن ابي رواد
ليس الشأن فى أكل
خبز الشعير والخل ولا
فى لبس الصوف والشعر
ولكن الشأن فى الرضا
عن الله عز وجل وقال
عبد الله بن مسعود لان
الحس جرة أحرقت ما
أحرقت وأبقت ما أبقت
أحب الى من أن أقول
لشئ كان لبيته لم يكن أو
لشئ لم يكن لبيته كان
ونظر رجل الى فرحة فى
رجل محمد بن واسع فقال
انى لارجل من هذه
الفرحة فقال انى
لا شكرها منذ خرجت
لم تخرج فى عينى وروى
الاسرائيليان أن عابدا
عبد الله دهر اطويلا
فارى فى المنام فلا تنة
الرعية رفيقك فى الجنة

النسب ان وهما ايضا فيه لطيفة تحتلها التاويل أن بر يد كل ذلك بمجموعهما لم يكن فهذا يرجع بمعنى قوله فيما
قضى لو قضى أن لا يقضى كما ان مالم يقض قد قضى أن يقضى رجع القضاء عليهم ما سواه كان صلى الله عليه وسلم
برضى بما قضى كيف قضى على ما صوروه الوهم أو بخلافه و رضى بما لم يقض لان القضاء فيه ما سواه فينبغي أن
يكون الرضا به ما سواه فبالنظر في هذه الدقائق والوقوف عند هارفع القدم عند الله تعالى الى مقام القرب بين
و بالتهاون به او الغفلة تعلق القلب ففسدت حين لم يصلح العجبة والرضا اه و قول أنس المذكور خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ تقدم له في كتاب اخلاق النبوة بلفظ والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه
لم فعلته ولا لمنى أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدرى الشيخان من حديث أنس ما قال
لشيء صنعتهم لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته و روى أبو الشيخ في كتاب الاخلاق من حديثه فيه ولا أمرني
بامر فوات فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى
وروى الخراط في مكارم الاخلاق من حديثه دعوه فانه لو قضى شيء لكان وعند الدارقطني في الافراد وأبي
نعيم في الحلية لو قضى كان أو قدر كان (و روى) في بعض الاخبار (ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام
يا داود تريد أن يدوار يدوانا يكون مأرب) نقله صاحب القوت (وأما الآثارة فقد قال ابن عباس) رضى الله عنه
(أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة) أى ليدخلها (الذين يحمدون الله تعالى على كل حال) أى في السراء
والضراء (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى لقد أصبحت (مابق لى سرور الان في مواقع القدر وقيل له
ما تشتهي فقال ما يقضى الله تعالى) وقال أبو عبد الرحمن البناجى من عباد الله خلق يستحبون من الصبر بثلثون
مواقع أقدره بالرضا تلقفا (وقال ميمون بن مهران) انخرجى رحمه الله (من لم يرض بالقضاء فليس الجنة
دواء (وقال الغضيل) بن عباس رحمه الله تعالى (ان لم تصلح على تقدر برائه تعالى لم تصلح على تقدر نفسك (وقال
أبو عبد الرحمن (عبد العزيز بن أبي رواد) بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابروى له الاربعة أسند عن كبار
التابعين (ليس الشأن في أى كل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله
عز وجل) وقد كان ذهب بصر عبد العزيز بهذا منذ عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده فتأمله ابنه ذات يوم فقال
يا أبت ذهب عينك قال نعم يا بنى الرضا عن الله أذهب عين أباك (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه (لان
الحسن جرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن أولشى لم يكن ليته
كان) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الحكم أو الحكم عن أبي وائل عنه قال ما أحد من الناس اليوم الا يفتنى
فساقه وفيه ولا يعض أحدكم على جرة حتى تطفأ خيره من ان يقول لا امر قضاء الله ليت هذا لم يكن (ونظر رجل
الى قرحة في رجل مجذوب واسع) البصري رحمه الله تعالى (فقال انى لارجل من هذه القرحة فقال انى
لا شكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني) رواه أحد في الزهد من طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن
مصعب قال سمعت يحيى بن سالم يذ كر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت في يد محمد بن واسع قرحة وكأله
رأى ما قد شق على منها فقال لى أنت ترى ما ذا الله على في هذه القرحة من نعمة قال فسكت فقال حيث لم يجعلها على
حدتي ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكرى قال فهانت على قرحتي (وروى في الاسرائيليات ان عابدا
عبد الله دهر اطو يلافارى في المنام فلانة الراعية رفتهك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا
لنظر الى عملها فكان بيت قائما وبيت ثامنة وبطل صائم وظل مظرة فقال اما لك عمل الامارأيت فقال ما هو
والله الامارأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى في ان كنت في شدة لم أتمن ان
أكون في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن ان أكون في صحة وان كنت في الشمس لم أتمن ان أكون في الظل

فسأل عنها إلى أن وجدناها فاستضافها ثلاثا لما ينظر إلى عملها فكان يبيت قائما ولا تبيت نائمة وبطل صائما ولا تظل مفطرة فقال أمالك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خبيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم أتمن ان أكون في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن أن أكون صحتا وان كنت في الشمس لم أتمن ان أكون في الظل

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا (٦٥٤) بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي

على أي حال أصبحت
وأُصيب من شدة أورخاء
وقال الثوري يوما عند
رابعة اللهم ارض عنا
فقلت أما تستحي من
الله أن تسأله الرضا
وأنت عنه غير راض فقال
استغفر الله فقال سليمان
ابن جعفر بن سليمان
الضبي فتي يكون العبد
راضيا عن الله تعالى
قلت اذا كان سروره
بالمصيبة مثل سروره
بالنعمة وكان الفضيل
يقول اذا استوى عنده
المنع والعطاء فقدرضى
عن الله تعالى وقال أجد
ابن أبي الحواري قال أبو
سليمان الداراني ان الله
عز وجل من كرهه قد
رضى من عبده بما رضى
العبيد من مواليهم قلت
وكيف ذلك قال أليس
مراد العبد من الخلق
أن يرضى عنه مولاه قلت
نعم قال فان محبة الله من
عبده ان يرضاه
وقال سهل حظ العبد
من اليقين على قدر حظهم
من الرضا وحظهم من
الرضا على قدر عيشهم مع
الله عز وجل وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يحكمه
وجلاله جعل الروح

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد (كذا لفظ القوت وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا عبد الله بن محمود عن عبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس حدثني أبي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال بلغني ان عابدا في بني اسرائيل يتعبد فاتي في منامه ان فلانة زوجتك في الجنة قال فلانة وما علمها فاجابها فقال لها اني أحب أن أضيفك ثلاثة أيام مع لياليهن فقالت بالرحب والسعة قال فكان عندها تلك الثلاثة ليالي بيت قائما وتبيت نائمة و يصبح صائما وتصبح مفطرة فلما مضت قال مالك عمل غير هذا ما أوثق عملك عندك قالت يا أخي ما هو الا ما رأيت الا خصيلة واحدة قال وما تلك الا خصيلة قالت اني ان كنت في شدة لم أتمن اني كنت في رخاء وان كنت جائعة لم أتمن اني كنت شبعانة وان كنت في شمس لم أتمن اني كنت في فيء وان كنت في مرض لم أتمن اني كنت في صحة فقال وأي خصيلة هذه والله خصيلة يعجز عنها العباد (وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه) كذا في القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) ولفظ القوت بما قسم الله له وقدره رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هرون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقرعة حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأُصيب من شدة أورخاء) رواه ابن عيينة عن أبي السواعم عن أبي مجلز قال قال عمر ما أبالي على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أي لا أدري الخير في فيما أحب أو فيما أكره وقد تقدم (وقال) جعفر بن سليمان الضبي قال سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (كنت يوما عند رابعة) العذوبة المتوفية سنة ١٣٥ (فقلت اللهم ارض عنا فقلت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال) الثوري (استغفر الله) فهي ذكرته بان رضا الله انما هو غيرة رضا العبد عن الله تعالى فتذكر الثوري ورجع الى نفسه واستغفر (فقال) أبو سليمان (جعفر بن سليمان الضبي) البصري صدوق زاهد احدثني به مسلم وروى له البخاري تعليقا والاربعة مات سنة ١٧٨ (فتي يكون العبد راضيا عن الله تعالى قلت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) كذا في القوت ولفظ القشيري وسئل رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا أسرته المصيبة كما أسرته النعمة (وكان الفضيل) بن عياض (يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقدرضى عن الله تعالى) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي القمشقي ثقة زاهد روى له أبو داود وابن ماجه مات سنة ١٤٦ (قال) لي (أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل من كرمه قدرضى من عبده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبده ان يرضاه) نقله صاحب القوت (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط) قال صاحب القوت رواه عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وقال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم

* (بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى) *

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان من قال) من البطالين (ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فاعلم اني) فيما توهمه (من ناحية انكار المحبة) وقد تقدم بيان مذهبه والاحتجاج عليه (فاما اذا

ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما ان ينال الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثال الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدلل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل (٦٥٥) قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا

يحس بالمدح لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بمدينة كاله يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزمن والحمام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك ألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش) عن عقله (ويعشى عليه فلا يحس بما يجري عليه) لان الالتذابه يذهب الاحساس (فتدري ان امرأة فطح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من المحبين (عثرن) برجلها فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه) نقله صاحب القوت وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت فضيلا يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابت ان الله قد بسط لي من ثوابه امالا أودى شكره عليه أبدا فتعجب من حسن يقينها قال الفضيل فانا عدها فاعدها اذا نأى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضمته الى صدرى فقالت لي يا ابت سألتك بالله اتحبه قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لي سوءة لك من الله يا ابت انى ظننت انك لا تحب مع الله غير الله فقالت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فاطم الفضيل على رأس نفسه وقال يا رب هذه ابنتي هجنتي في حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التسترى (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك) وعوتب (فقال يا دوست) أى يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكارة والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطيف من مولا ومن نسل القرية الى محبوه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لعلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول اصفى ما أقول ذكر اذا كنت محموا هذا الذى ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجه فرجوه بالجارية وهو ساكت لا يتأق له اخوته وكانت من العارفان فرجته بمحبة صغيرة فقال آه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا وجه حيث انه صدر

ثبت) بماد كرهناه (تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب) اذ هو غاية الحب (ويكون) تصوير (ذلك من وجهين أحدهما) أعلى من الثاني فالأعلى الذى لا يتصور وقوعه الا بعد كمال المحبة (ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى على المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها) وهذا غاية ما اتى وصل اليها هذا موجود في الاحوال المعتادة من الصفات البشرية لان حكمة الله في الصفات البشرية أى قوة غلبته حكمته على سائر القوى (ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه) وقد تقوى القوة الغضبية (أو في حال خوفه) وقد تقوى اماراته (قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها) ولا يدرك لها ألما (حتى اذا رأى الدم) بارزا من موضع الجراحة (استدل بها على الجراحة بل الذى يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمدح لشغل قلبه) بما هو فيه (بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بمدينة كاله) أى باردة الحد (يتألم به) لاجل حاله (فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزمن) من حالته (والحمام) عن حجامته (وهو لا يشعر به) ولهذا أمثلة كثيرة وفيما ذكره المصنف كفاية (وكل ذلك) لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به (أخذ ابكيت) لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك ألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش) عن عقله (ويعشى عليه فلا يحس بما يجري عليه) لان الالتذابه يذهب الاحساس (فتدري ان امرأة فطح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من المحبين (عثرن) برجلها فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه) نقله صاحب القوت وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت فضيلا يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابت ان الله قد بسط لي من ثوابه امالا أودى شكره عليه أبدا فتعجب من حسن يقينها قال الفضيل فانا عدها فاعدها اذا نأى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضمته الى صدرى فقالت لي يا ابت سألتك بالله اتحبه قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لي سوءة لك من الله يا ابت انى ظننت انك لا تحب مع الله غير الله فقالت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فاطم الفضيل على رأس نفسه وقال يا رب هذه ابنتي هجنتي في حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التسترى (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك) وعوتب (فقال يا دوست) أى يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكارة والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطيف من مولا ومن نسل القرية الى محبوه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لعلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول اصفى ما أقول ذكر اذا كنت محموا هذا الذى ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجه فرجوه بالجارية وهو ساكت لا يتأق له اخوته وكانت من العارفان فرجته بمحبة صغيرة فقال آه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا وجه حيث انه صدر

وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش ويعشى عليه فلا يحس بما يجري عليه وقد تدري ان امرأة فطح الموصل عثرن فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع

وَأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك المولى لكن يكون راضيا به بل راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به مله بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بما هو مهمل أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه (٦٥٦) الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ

ذلك بعدمعرفة العذر (وأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك ألمه) ويكرهه بطبعه (واسكن يكون راضيا به) بل (راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها) له (بطبعه) وهذا (كالذي يلتمس من الفصاد الفصد) (ومن الحجام) (الحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد) (والحجام) (به منة بفعله) لما يجد فيه الشفاء والراحة (فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم) وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر (لا محالة) (واسكن حبه لثمره سفره) التي هي الربح (طيب عنده مشقة السفر) (وسهلها عليه) (وجعله راضيا بها) وهذه الدرجة واجبة وهي الإيمان بالله يجب كسبها بما ورد فيها من الفضائل ومقابلها موهبة من الله تعالى لا يوجد بالكسب لكن مقدما لها مكسوبة وهي التخلق بالاخلاق المحمودة فالخلق من جانبك لا من جانب الله فتنى تخلت من المذمومات وتحليت بالمحمودات أفاض الله عليك من نوره ومعرفة ماله لا يمكن وصفه ولا يمكن العبارة عنه وكما ازددت معرفة ازددت رضا إلى ما لا يتناهى (ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إذا كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبة ورضاء لآمنى آخر وراهه فيكون مراد حبيبته ورضاء محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون) من المحبين والعشاق (في نظمهم ونثرهم) ورتبوا في ذلك مؤلفات (ولامعنى له الملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجلال فما مشحون بالاقذار والانحباث بدايته) انظر إليها فانها (من نطفة مذنرة) كما قال تعالى من منى غنى (ونهايته) ان تأملها فانها (جيفة مذنرة) من أتنا الجيف (وهو فيما بين ذلك) أي بين البداية والنهاية (يحمل العذرة) في بطنه وهذا فيه عبرة لمن اعتبر هذا إذا نظر إلى المدرك (وان نظر إلى المدرك للجمال) المذكور (فهى العين الحسيسة) الناقصة (التي) ركب فيها حاسة الإدراك وهي (تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا) والسالك من متحرك والمتحرك ساكنا ومن نقصها انما تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ومن الموجودات بعضها دون كلها تبصر غيرها ولا تبصر نفسها وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك (فاذا تصور استبلاء هذا الحب فن أين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا منتهى لكمله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بخلاف العين فانها أول ما تنسبل على الخدين في القبر (بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فانها تحمل المعرفة والحمية (مستغفدة بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) اذا توصل فيه (وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (من يرى ثواب الشدة) وما يترتب عليها من حسن الجزاء (لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (سألت) استاذي (سري السقطي) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام المستغرق بالحب فان نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجارى الاقدار (وقال بعضهم أحبيت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار) وهذا مقام الراضى المحب كما قال ابن خفيف الرضا

الثواب والاحسان الذى يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبة ورضاء لآمنى آخر وراهه فيكون مراد حبيبته ورضاء محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون ولا معنى له إلا ملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر إلى الجلال فما مشحون بالاقذار والانحباث بدايته من نطفة مذنرة ونهايته جيفة مذنرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر إلى المدرك للجمال فهى العين الحسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا فاذا تصور استبلاء هذا الحب فن أين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا منتهى لكمله

المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستغفدة سكوت بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سري السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم أحبيت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار

وقال بشر بن الحرث مررت برجل - ل وقد ضرب ألف سوط في شرقه - بعد ادولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فثبته فثابت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى فقلت فلو نظرت الى (٦٥٧) المعشوق الاكبر قال فزعت زعقة خرميتا

وقال يحيى بن معاذ الرازى

رحم الله تعالى اذا نظرت

اهل الجنة الى الله تعالى

ذهبت عيونهم في قلوبهم

مثل لذة النظر الى الله

تعالى غائمة سنة لا

ترجع اليهم فاطنك

بقلوب وقعت بين جماله

وجلاله اذا لاحظت

جلاله هابت واذا لاحظت

جماله تاهت وقال بشر

قصدت عبادان في بدايتي

فاذا برجل اعشى مجذوم

مجنون قد صرع والنمل

يا كل لجه فرفعت رأسه

فوضعت في حجرى وأنا

أردد الكلام فلما أفاق

قال من هذا الفضولى

الذى يدخل بينى وبين

ربى لوقطعتى ارباربا

ما زددت له الاحبا قال

بشر فزاريت بعد ذلك

نقمة بين عبد وبين ربه

فانكرتم اوقال أبو عمر و

محمد بن الاشعث ان اهل

مصر مكثوا أربعة أشهر

لم يكن لهم غذاء الا النظر

الى وجه يوسف الصديق

عليه السلام كانوا اذا

جاعوا انظر والى وجهه

فشغلهم جماله عن

الاحساس بالم الجوع

بل فى القرآن ما هو أبلغ

من ذلك وهو قطع النسوة

سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى واختار وأنشد صاحب مصارع العشاق لسهنون

ولو قيل طأفى النار اعلم انه * رضاك أو مدنت لنا من وصالك

لقد مت رجلي نحوها فوطئتها * سرور الاني قد خطرت بيبالك

(وقال بشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (مررت برجل) من العيارين (وقد ضرب ألف سوط في شرقه

بغداد) في جنازة جناها (ولم يتكلم) أى لم يتأوه من الضرب (ثم حمل الى الحبس فثبته فقلت له لم ضربت

فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى) فلم أجذب سببه ألم الضرب (فقلت) له

هذا فى الخلق (ولو نظرت الى المعشوق الاكبر) كيف كان حالك (قال فزعت زعقة خرميتا) نقل القشيري نحوه

وهذا كان محبا محجوبا فلما انكشف له الحجاب لم يتحمل فكان سبب زهاق روحه (وقال يحيى بن معاذ الرازى

رحم الله تعالى اذا نظرت اهل الجنة الى الله تعالى) حين يتجلى عليهم غشى عليهم و (ذهبت عيونهم في قلوبهم من

لذة النظر الى الله تعالى غائمة سنة لا ترجع اليهم فاطنك بقلوب وقعت بين جماله و جلالة) فى الدنيا (اذا

لاحظت جلالة هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر) الحافى رحمه الله تعالى (قصدت عبادان) وهى قرية

في جزيرة قرب البصرة (في بدايتي) أى أول سلو كى (فاذا أثار برجل أعشى مجذوم قد صرع) على الارض (والنمل

ياكل لجه فرفعت رأسه) من الارض شفقة عليه (فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام) وادعوله (فلما أفاق)

من غشيته (قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي) ثم رجع الى ربه وقال (لوقطعتى ارباربا) أى

قطعة قطعة (ما زددت له الاحبا قال بشر فزاريت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانهكرتمها) ولفظ القوت وحدوثنا

عن بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطع البلى وقد سالت حد فتد على حده وهو فى ذلك

كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل قال واذا هو قد صرع عن جنة قال فوضعت رأسه في حجرى وجعلت

أسأل الله كشف ما به وادعوله فافاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي ويعترض

عليه في نعمه على ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعتراض على عبد في نعمة أراها عليهم من البلاء وقال أبو محمد

السراج فى مصارع العشاق حدثنا أحمد بن على بن ثابت حدثنا عبد الرحمن بن فضالة أخبرنا محمد بن عبد الله بن

شافان سمعت طيبا الحملى بالبصرة يقول سمعت على بن سعيد العطار يقول مررت بعبادان بمكفوف مجذوم واذا

الزنبور يقع عليه فيقطع لجه فقلت الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه به وفخ من عيني ما أغلق من عينه قال فيينا أنا

أردد الحمد اذ صرع فيينا هو يتخطب فنظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فاستتممت

كلامي حتى صاح يا مكاف ما دخولك فيما بينى وبين ربي دعه يعمل بي ماشاء ثم قال وعزتك وجلالك لوقطعتى

ارباربا أو صبيت على العذاب صبا ما زددت لك الاحبا (وقال أبو عمر ومحمد بن الاشعث) السكونى وهو شيخ

لابن عدى قدامهم كذا ذكره الذهبي فى الدوان وامحمد بن الاشعث الكندى فتابعى ثقة ويكنى أبا القاسم

(ان اهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام) وذلك حين

أصابهم القحط سبع سنوات متواليات (كانوا اذا جاعوا وانظر والى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم

الجوع بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة) زوجة الحاجب والساقى والحجاز والسجان وصاحب

الدواب (أيدين) بالسكاكين (لاستهترهن بملاحظة جماله حتى) دهشن و (ما أحسن بذلك) الجراح

(وقال سعيد بن يحيى) الكوفى العابد روى عنه ابنه أحمد (رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسالم) موضع

معروف هناك (شباب فى يده مديدة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

أيدين لاستهترهن بملاحظة جماله حتى

(٨٣ - (انحاف السادة المتقين) - تاسع)

ما أحسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسلم شابا فى يده مديدة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى
ففي بعض الملوك يحب عنه يوما واحدا يروي ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت ألت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب يا وصول
و يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله (٦٥٨) تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد

خشينا على هذا الشيخ
ان حدث بهذا الغلام
حدث فأت الغلام فخرج
ابن عمر في جنازته وما
رجل أشد سرورا أبدا
منه فقيل له في ذلك فقال
ابن عمر انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله
رضيناه وقال مسروق
كان رجل بالبادية له
كلب وجمار وديك
فأليك يوقظهم للصلاة
والجمار ينقلون عليه
الماء ويحمل لهم
خباءهم والكاب
يجرهم قال فجاء الثعلب
فأخذ الديك فخرنوله
وكان الرجل صالحا فقال
عسى أن يكون خيرا ثم
جاء ذئب فخرق بطن
الجمار فقتله فخرنوله
فقال الرجل عسى أن
يكون خيرا ثم أصيب
الكاب بعد ذلك فقال
عسى أن يكون خيرا
ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا
فاذا قد سبي من حولهم
وبقوا هم قال وانما
أخذوا أولئك لما كان
عندهم من أصوات
الكلاب والحيرو والديكة
فكانت الخيرة لهؤلاء في

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى ففعل
واحد) رواه أبو محمد السراج في كتاب مصارع العشاق (ويروي) في بعض الاخبار (ان يونس) النبي
(قال لجبريل عليه السلام دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب
ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب
يا وصول و يروي عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه) وقلق
(حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث) أي أمر حادث من الموت (فأت
الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجلا) في القوم (أشد سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله رضيناه) وهذا هو الرضا بعد القضاء الذي جاء ذكره في الخبر المتقدم (وقال مسروق)
ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٣ (كان رجل
بالبادية له كلب وجمار وديك فأليك) كان (يوقظهم للصلاة والجمار) كانوا (ينقلون عليه الماء ويحمل لهم
خباءهم والكاب) كان (يجرهم) من بغية العدو قال (فجاء الثعلب فأخذ الديك فخرنوله وكان الرجل
صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الجمار فقتله فخرنوله عسى أن يكون
خيرا ثم أصيب الكاب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم
من العرب) وبقوا هم قال وانما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحيرو والديكة فكانت الخيرة
لهؤلاء في هؤلاء هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى) واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الرضاع عن سعيد بن المسيب
قال لقمان لابنه يا بني لا يترن بك أمر رضىته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك فخرج على جمار
وابنه على جمار وترود اللقاء نبي قد بعث فسار أيا ما وقد استقبلته مائة فإزارا فيها ما شاء الله حتى ظهر أو قد
تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الزادوا سبطا حارهما فنزلا فخرنوله عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا
لقمان أمامه فاذا هو يسود ودخان فقال في نفسه السواد والشجر والدخان العمران فيبينهما كما كذلك اذ وطئ
ابن لقمان على عظم فألقى على الطريق فخرم غشيا عليه فوثب إليه لقمان وضمه إلى صدره وقال لعلي هذا خير لي
واستخرج العظم باسنانه فذرفت عيناه فقال يا أبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لي وقد نفذ الطعام والماء
وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وان أقيمت معي متناجيا فقال يا بني اما
بكائي فرقة الوالدين واما ما قلت فكيف يكون هذا خير لي فلعل ما صرته عنك أعظم مما تبليت فيه ولعل ما تبليت
به أيسر مما صرته عنك ثم نظر أمامه فلم يرد ذلك الدخان والسواد واذا شخص أقبل على فرس ألقى عليه ثياب بيض
حتى اذا كان قريبا منه توارى عنه ثم صاح انت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك قال من أنت قال أنا جبريل
أمرني ربى بحسف هذه المدينة وأخبرت انك تريد انما فدعوت ربى ان يحسبك كما يشاء فحيثما كنت كما ابتلي به
ابنك ولولا ذلك لحسف بك معهم ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ورجل بهما إلى موضعهما
كما يرسل الطير (فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروي) في الاسرائيليات (ان
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول
الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصرر فاعنك فقال

هلاك هذا الحيوان كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروي أن
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به
كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصرر فاعنك فقال

ياروح الله أناخير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) يده فاذا هو احسن الناس وجها

وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به فاصعب عيسى عليه السلام وتعد معه وقطع عروة بن الزبير رجلاه من ركبته من اكلته خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة واعك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقير والغني مطيتان ما أبالي أيتهما ركبته ان كان الفقير فان فيه الصبر وان كان الغني فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فإلى منه الامشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلت لو جعلني جسر على جهنم يعبر الخلائق على إلى الجنة ثم ملائي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليفته لاجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرقهم حتى منعه الاحساس بال النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته

ياروح الله أناخير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به (ببركة رضاه عن ربه (فصعب عيسى) عليه السلام مدة (وتعبد معه وقطع) أبو عبد الله (عروة بن الزبير) بن العوام القرشي الاسدي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة (رجله من ركبته من أكلته خرجت بها) وكان قد خرج إلى الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله الا اكلته فقطعها وسقط ابن له عن ظهر بيت مشرف على موضع خيل الوليد فوق تحت أرجل الدواب فوطئته (ثم قال) وقد أثار رجل بعزبه ولم يدربا بانه وقال له ان ابنك قطعته الدواب (الحمد لله الذي أخذ مني واحدة واعك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت فقد عافيت) وقال لقد اقيمتان سفرنا هذا انصبا هكذا رواه هشام بن عروة ومن طريق آخر لما أصيب برجله وبأبنته محمد قال اللهم كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت ستة وكن أربعا فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثة واعك لئن كنت أخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وعن هشام أيضا قال وقعت الاكلة في رجله فقيل الاندعو لك طبيبا قال ان شئتم فإني اطيب فقال اسقيل شرابا يزول فيه عقلك فقال امض لشأنك ما ظننت ان خلقا يشرب شرابا يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه قال فوضع الميشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فمأسه عناله حسا فلما قطعها جعل يقول لئن أخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت (ثم لم يدع ورده) من القراءة (تلك الليلة) وكان ورده ربع القرآن كل يوم نظرا من المحصف ويقوم به الليل وذكر الزبير بن بكار ان عيسى بن طلحة جاء إلى عروة حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطع برجله فقال لبعض بنيته اكشف لعمرك عن رجلي ينظر اليها فظفر فقال عيسى يا أبا عبد الله ما أعددت لك للصراع ولا السباق ولقد أبقي الله عز وجل لنا مكانا يحتاج اليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد على رجلي مثلك (وكان ابن مسعود) رضى الله عنه (يقول الفقير والغني مطيتان ما أبالي أيتهما ركبته ان كان الفقير فان فيه الصبر وان كان الغني فان فيه البذل) رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا عمر بن حفص حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي حدثنا علي بن بزيمة عن قيس بن جابر عن عبد الله قال الاحبذا المكر وهان الموت والفقروايم الله ان هو الا الغني والفقير وما أبالي بأيهما ابتليت ان كان الغني ان فيه للعطف وان كان الفقير ان فيه للصبر (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فإلى منه الامثال الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقال بعض العارفين وساقه وقال في موضع آخر ومن الناس من كان يقدم سليمان بن أبي سليمان الداراني على أبيه وكان عارفا فقام من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد ومن رضى عن الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا فانما قال هذا كالدلالة على أبيه لما قال ثلاث مقامات لاحد لها الورع والزهد والرضا اه وقد تقدم في كتاب الزهد عن أبي سليمان نحوه هذا انه ليس له منه الامشام الريح وتقدم الكلام هناك (وقيل لعارف آخر) فوجه (هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام) من (الرضا قد نلت لو جعلني جسر على جهنم يعبر الخلائق على إلى الجنة ثم ملائي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليفته لاجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه) نقله صاحب القوت واراد بقوله تحلة لقسمه ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وان منكم الاواردها كان على ركب حتما مقضيا وقد روى هذا القول بوجه آخر قال القشيري سمعت السليبي يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابن أبي حسان الانماطى يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول ار جوان أكون عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلني النار لكنت به راضيا انتهى (وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرقهم حتى منعه الاحساس بال النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشهاده حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

في استشهاده حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري [قلت لابي عبد الله بن الجلاء الماشقي قول فلان وددت أن جسدی قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف وان (٦٦٠) كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمر ابن

الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نزل في سريره من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تملك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان ينفعك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسببها وتسلم على فاسمع تسليما فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساطننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحرافيف وأصبحت نضوا الأظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة طفر * ولما قدم سعد بن أبي وقاص (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال أبو علي أحمد بن محمد (الروذباري) بغدادی أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ صاحب الجنبين والنوري وابن الجلاء والطبقة (قلت لابي عبد الله) أحمد بن يحيى (بن الجلاء) (البغدادی الاصل) (الدهشقي) الإقامة صاحب أبا تراب الخشبي وذا النون وأبا عبيد اليسري وأبا يحيى الجلاء (قول فلان وددت أن جسدی قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه) نقله صاحب القوت (وقد كان عمر ابن الحصين) رضى الله عنهما (قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة) سبطيا (لا يقوم ولا يقعد وقد نزل في سريره من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته) غائطه و بوله (فدخل عليه مطرف) ابن عبد الله بن الشيخير العامري الحرشي البصري أبو عبد الله من ثقات التابعين وعبيداهم روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين (وأخوه العلاء) كذا في النسخ وفي القوت وأخوه أبو العلاء والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبد الله بن الشيخير العامري البصري مات سنة إحدى عشرة ومائة ومولده في خلافة عمر روى له الجماعة (فجعل) أي مطرف وأخوه (يبكي لما يرى من حاله فقال) عمر ان (لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحال العظيمة قال لا تملك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان ينفعك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسببها وتسلم على فاسمع تسليما فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة) وما فيه مثل هذه الآية انما هو كرامتورحة وذلك ان بلاء العقوبات لا تكون معه الا آيات ولانه قد كان حزن عليه فاراد ان يسره (فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة) هكذا في النسخ بفتح الميم وسكون المثناة وعين مهملة وفي بعض النسخ سويد بن شعبة وهو تصحيف (نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساطننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحرافيف) أي عظام الجنين (وأصبحت نضوا) أي هزى يلامثل الثوب الخلق (لا أظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما) مضت عليه (وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة طفر) نقله صاحب القوت وهذا مقام الراضى بما أبله ربه قال صاحب القوت واعتل حذيفة رضى الله عنه علة الموت فجعل يقول اخنقني خناقك فوعزتلك انك تعلم اني أحبك فلما حضرو الموت جعل يقول جيب جاع على فاقه لا افلح من ندم قال وروى أيضا مثل هذا عن أبي هريرة وأشدوا يا حبيبيا بذكره يتسواى * وصفوه لسلك داء حبيب من أراد الطبيب سرى اذا أع * قل اشتيا قالى لقاء الطبيب من أراد الحبيب سار اليه * وجفا لاهل دونه والقريب ليس داء المحب داء بداوى * انما برده لقاء الحبيب *

(ولما قدم سعد بن أبي وقاص) رضى الله عنه (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

فاتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتيسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعترض عليه فيما قضى أشد علي (٦٦١) من ذهاب ولدي * وعن بعض العباد

انه قال اني أذنبت ذنبا عظيما فانا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو فرض جسمي بالمقاريض لكان أحب الي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعب دسسين سنة فقصده فقال له يا حبيب أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال أنست به قال لا قال رضيت عنه قال لا قال فأنما مضيت منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولائي استحي منك لان معاملتك بخسنة مدخولة) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا عمر بن بحر سمعت أبا عبد الله النجاشي قال قيل لعبد الواحد بن زيد ان بالبصرة رجلا يصلي ويصوم منذ خمسين سنة قال فأنما وجد فقال ان الله شكور ومن عمل له أنما به شيء أنابك من عملك له منذ خمسين سنة هل قنعت به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فهل أنست به بعد قال لا قال فأنما ثوابك من عملك المزيدي في الصوم والصلاة قال نعم قال لولائي استحي منك لان معاملتك بخسنة مدخولة انتهى (ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فتسترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لان مضيت منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم) ولغظ القوت أراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقرب فيكون في مزيدك لديه أعمال القلوب انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فزيدك منه مزيد الصوم وقد يكون الرجل مصالحا في مقامه وان كان فوقه فوق (ودخل جماعة من الناس على) أبي بكر (السبلي) رحمه الله تعالى (في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوبك فاقبل عليهم برميهم بالحجارة فتهايروا فقال ما بالكم ادعيتهم بحبي ان صدقتم فاصبروا على بلائي) رواء القشيري في الرسالة ولغظه حبس السبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا محبوبك يا أبا بكر فاقبل برميهم بالحجارة ففر وافقال ان ادعيتهم بحبي فاصبروا على بلائي وأنشد السبلي فقال يا أيها السيد الكريم * حبلك بين الحشاعة مقيم يارافع النوم عن جفوني * أنت بما مربى علمي وقد روى صاحب مصارع العشاق نحوه هذه القصة (وللسبلي رحمه الله تعالى ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران)

وكان قارئ أهل مكة وعنه أخذ أهل مكة القراءة روى له الجماعة البخاري (فاتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتيسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعترض عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي) نقله صاحب القوت (و) حكى (عن بعض العباد) انه (قال اني أذنبت ذنبا عظيما فانا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف لو فرض جسمي بالمقاريض لكان أحب الي من أن أقول لشيء قضاء الله ليته لم يقضه) نقله صاحب القوت (وقيل لعبد الواحد بن زيد البصري العابد رحمه الله تعالى) ههنا رجل قد تعب دسسين سنة فقصده فقال له يا حبيب أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به بعد قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فأنما مضيت منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولائي استحي منك لان معاملتك بخسنة مدخولة) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا عمر بن بحر سمعت أبا عبد الله النجاشي قال قيل لعبد الواحد بن زيد ان بالبصرة رجلا يصلي ويصوم منذ خمسين سنة قال فأنما وجد فقال ان الله شكور ومن عمل له أنما به شيء أنابك من عملك له منذ خمسين سنة هل قنعت به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فهل أنست به بعد قال لا قال فأنما ثوابك من عملك المزيدي في الصوم والصلاة قال نعم قال لولائي استحي منك لان معاملتك بخسنة مدخولة انتهى (ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فتسترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لان مضيت منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم) ولغظ القوت أراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقرب فيكون في مزيدك لديه أعمال القلوب انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فزيدك منه مزيد الصوم وقد يكون الرجل مصالحا في مقامه وان كان فوقه فوق (ودخل جماعة من الناس على) أبي بكر (السبلي) رحمه الله تعالى (في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوبك فاقبل عليهم برميهم بالحجارة فتهايروا فقال ما بالكم ادعيتهم بحبي ان صدقتم فاصبروا على بلائي) رواء القشيري في الرسالة ولغظه حبس السبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا محبوبك يا أبا بكر فاقبل برميهم بالحجارة ففر وافقال ان ادعيتهم بحبي فاصبروا على بلائي وأنشد السبلي فقال يا أيها السيد الكريم * حبلك بين الحشاعة مقيم يارافع النوم عن جفوني * أنت بما مربى علمي وقد روى صاحب مصارع العشاق نحوه هذه القصة (وللسبلي رحمه الله تعالى ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران)

(وقال بعض عباد أهل الشام) وعلمائهم وهو أبو محير يزرجه الله تعالى كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى الخالفة لله عز وجل فان كان قد فسر هافانه لم يكشف معناها الفهم السامعين منه الحاضرين عنده فيحتاج تفسيرها الى تفسير حكى عنه انه قال (كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير به اولو كان بها شل) أي عيب ونقص (ظل يوارى بها يعني بذلك ان

بجماعة من الناس على السبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوبك فاقبل عليهم برميهم بالحجارة فتهايروا فقال ما بالكم ادعيتهم بحبي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللسبلي رحمه الله تعالى ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير به اولو كان بها شل يوارى بها يعني بذلك ان

الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه * وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل
للسرى احترق السوق وما احترق ذلك قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الخانوت بقيمة
عمرة توبة واستغفار من قوله (٦٦٢) الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام

عظيم من مقامات أهل
الدين ومهما كان ذلك
ممكنا في حب الخلق
وحظوظهم كان ممكنا
في حق حب الله تعالى
وحظوظ الآخرة قطعا
وامكانه من وجهين
أحدهما الرضا بالآلام
لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد
والجمامة وشرب الدواء
انتظارا للشفاء والثاني
الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب
ورضاه فقد يغاب الحب
بحيث ينغمر مراد
الحب في مراد المحبوب
فيكون ألد الأشياء عنده
سرور قلب محبوبه
ورضاه ونفوذ ارادته
ولو في هلاك روحه كما قيل
فما الجرح اذا أرضاكم
ألم * وهذا يمكن مع
الاحساس بالآلام وقد
يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الآلام
فالقياص والتجربة
والمشاهدة دالة على
وجوده فلا ينبغي أن
ينكره من فقد من
نفسه لانه انما يفقد
لفقد سببه وهو فرط حبه

الذهب) زينة الدنيا وهو (مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة الآخرة وهم يستنكفون
منه) أي فانت اذا أعطاك زينة الدنيا التي ذمها عندك أظهرت سننها وغرت بها واذا أعطاك زينة الآخرة
التي مدحها عندك وهو المصائب والبلايا والفقر تكذيبا لله تعالى ورداعا به ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي
الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء وتكذيبا لله تعالى ورداعا به ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي
الخلق ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعم الله تعالى فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا
كذا في القوت (وقيل انه وقع الحريق في السوق) بيغداد (فقيل للسرى) السقطي رحمه الله تعالى وكان له
دكان في ذلك السوق يتجر فيه فخرج في قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن (احترق السوق) واحترقت
دكاكين الناس (وما احترق ذلك) وسلم (فقال الحمد لله ثم) تفكرو (قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي)
أي سلامة مالي (دون المسلمين) لانها كملت رضا ظهرت منه في مكان الاسترجاع للمصيبة (فتاب من التجارة)
وتصدق بجميع ما في دكانه من السفط والآلة (وترك الخانوت بقيمة عمرة توبة) الى الله وكفارة (واستغفارا
من قوله الحمد لله) فشكر الله فعله فزهد في الدنيا ورفع الى مقام المحبة فواصله بذلك الرضا الى الرضا قال صاحب
القوت وبلغني انه كان يقول قلت كلمة فانا أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة يعني قوله الحمد لله وفي الخبر
من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين (فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى
ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان
ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالآلام لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد والجمامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء) والراحة (والثاني الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب ورضاه فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحبوب في مراد المحبوب فيكون ألد الأشياء
عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل

* فالجرح اذا أرضاكم ألم * وهذا يمكن مع الاحساس بالآلام) الحاصل في الحال (وقد يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الآلام فالقياص والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقد من نفسه
لانه انما يفقد لفقد سببه وهو فرط حبه * ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف عجائبه) كما قيل

ولو يذوق عاذلي صابقي * صابمعي لكنه ماذا قها

(فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي) منسوب الى الرافقة مدينة بجانب
الرقبة بناها المنصور وأتمها المهدي ونزلها الرشيد وهي الآن تعرف بالرقبة (قال كنت في مجلس بالرقبة عند
صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب) أي العود (وغنت)
البيتين (علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى
فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة
وأطبق فيه وغض عينيه فركاه فاذا هوميت) وأخرج أبو محمد السراج في مصارع العشاق من طريق أبي
الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفي قال رأيت ببغداد صوفيا حاضرا عند جارية بالكركخ تقول بالغضب

ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف عجائبه فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه * وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي قال
كنت في مجلس بالرقبة عند صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى * على العاشقين البكي ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن
أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغض عينيه فركاه فاذا هوميت

وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي ماتت فقال ان كنت صادقا قلت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا * وقال سمعون الحب كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية بفلس الرجل (٦٦٣) ليصلح لها حبسا فيبينها هو يحرك القدر

اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هذامكان قولك آه * وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا فلهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولي لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدوان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

يأبديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا أنت ساكنه غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتي الناس بالهج فتواجد وصالح ودق صدره الى ان أغشى عليه فسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا وذلك في سنة ٣٩٠ وحدث العتيبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه قال وليت صدقات بني عذرة قال فدفعنا الى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فاذا رجل لم يبق منه الا رأسه فقلت ما بك فقال كان قطاة علفت بجناحها * على كبدي من شدة الخفتان جعلت لعراف اليمامة حكما * وعرف نجدان هما شفياني ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ثم خدفاذا هو قد مات فاصلى من شأنه وصليت عليه فقبل لي أندري من هذا هذا عروة بن حوام (وقال الجنيد) قدس سره (رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو) أي الرجل (يتضرع اليه) ويتذلل له (ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال) الرجل (قد علم الله اني صادق فيما اورده) من المحبة (حتى لو قلت لي مات) يا فلان (كنت صادقا) فيمات يقول (فت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا وقال سمعون) بن جرة البغدادي (الحب) رجه الله تعالى (كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية أي مرضت بفلس الرجل ليصلح لها حبسا) وهو تمر ينزع فواه ويدق مع أقط ويحجن بالسنن ثم يذلل باليد حتى يبقى كالثر يدور بما جعل معه السويق (فيبينها هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه) ولم يحس بها (فقالت الجارية ما هذا قال هذاموضع قولك آه وحكى عن) أبي جعفر (محمد بن عبد الله) بن المبارك المحمري (البغدادي) نقه حافظ مات سنة بضع وخسين روى له البخاري وأبو داود والنسائي (قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا * لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا) ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ان شابا أشرف على الناس في يوم عيد وقال من مات عشقا لخال وألقى نفسه من سطح عال فرفع ميتا (فهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولي لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدوان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب) والله الموفق * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا) * ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في ازالته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين (وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا) منه (جهل بالتأويل) والتفصيل واتباع لما تشابه من التزويل (وغفلة عن أسرار الشرع) وبطلان قول هذا أوضح من ان يدل على فساده كما تقدم قريبا (فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلنا في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاما الدعاء فقد أعبدناه
 وكثرة دعوات رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 وسائر الانبياء عليهم
 السلام على ما نقلناه في
 كتاب الدعوات يدل عليه
 ولقد كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في
 اعلى المقامات من الرضا
 وقد اثني الله تعالى على
 بعض عبادته بقوله يدعوننا
 رغباً ورهباً واماناً كآ
 المعاصي وكرهتها وعدم
 الرضا بها فقد تعبد الله
 به عباده وذمهم على
 الرضا به فقال ورضا
 بالحياة الدنيا واظمأنا
 وقال تعالى رضاء بان
 يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم
 وفي الخبر المشهور من
 شهد منكر افرضى به
 فكأنه قد فعله وفي
 الحديث الدال على الشر
 كفاعله وعن ابن مسعود
 ان العبد ليغيب عن
 المنكر ويكون عليه
 مثل وزر صاحبه قبل
 وكيف ذلك قال يبلغه
 فيرضى به وفي الخبر لو أن
 عبداً قتل بالمشرك ورضى
 بقتله آخراً بالمغرب كان
 شريكاً في قتله وقد أمر
 الله تعالى بالحسد
 والمنافسة في الخيرات
 وتوفى الشرور فقال تعالى
 وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون

وسلم في أعلى المقامات من الرضا ولقد اثني الله تعالى على بعض عبادته بقوله يدعوننا رغباً ورهباً وقال صاحب
 القوت ولا ينقص الراضي من مقام الرضا عن مسألة مولاهم زيد الآخرة وملاح دنياه تعبد الله بذلك افتقار اليه
 في كل شيء لأن في ذلك رضاه ومقتضى تحذيره بمسألة الخلائق فان صرف مسأله الى طلب النصيب من المولى
 وابتغاء القرب حبالة وأثرة على ما سواه كان فاضلاً في ذلك لانه قد دخل قلبه اليه وجع همه بذلك وهذا مقام
 المحر بين وهو على قدر مشاهدته الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله
 كما يسأل عن جلالة أعماله بعلمه مدته عمره فهذا أصل فاعرفه فعليه عمل العاملين وهو طريق العارفين من السلف
 فلم يضرهم عندهم خلاف من خالف وان كان دعاؤه تمجيد السبيد وثناء عليه شغلاً بذكره ونسياناً للغيره ولها
 بحبه لانه يستوجب ذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عمله فهذا أفضل وهو مقام
 المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه في مقتضى حاله بالعمل فعلمه في وقته (وأما انكار
 المعاصي وكرهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضا بالحياة الدنيا
 واظمأنا) فذمهم على رضاهم بالدنيا بالمعاصي وبالتخلف عن السوابق وقال ولتصفي اليه أئمة الذين
 لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه ليقتلوا ما هم مقترون فعلمهم بذلك (وقال تعالى رضاء بان يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم) يعني مع الناس في القعود عن القيام بالجهاد وهو جمع التأنيت في رضى بالمعاصي
 والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها والى ونصر عنها أو ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى
 عليه بالرضا وأنه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومذمهم فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت (وفي الخبر
 المشهور من شهد منكر افرضى به فكأنما قد فعله) كذا في القوت وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف والنهي
 أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما من شهد منكر افكره كان كمن غاب عنه ومن غاب عن
 أمر فرضى به كان كمن شهد (وفي الحديث الدال على الخير كفاعله) رواه الامام أبو حنيفة عن علقمة بن
 مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً ومن طر يقهر واه العسكرى في الامثال ورواه البراء من حديث
 أنس ورواه ابن منيع من حديث ابن عباس بزيادة في أوله وآخره وقد تقدم في كتاب العلم ويوجد في بعض نسخ
 الكتاب الدال على الشر كفاعله وهكذا هو في القوت أيضاً وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث
 أنس باسناد ضعيف جداً (وعن ابن مسعود) رضى الله عنه (ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر
 صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به) نقلاً صاحب القوت (وفي الخبر لو ان عبداً قتل بالمشرك ورضى بقتله
 آخراً بالمغرب كان شريكاً في قتله) كذا في القوت قال العراقي لم أجده أصلاً بهذا اللفظ ولا بن عدي من حديث
 أبي هريرة من حضر معصية فكرها فأكفأ ما غاب عنها ومن غاب عنها وأجهزها كما أنما حضرها وتقدم في كتاب
 الامر بالمعروف انتهى قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الامر بالمعروف والنهي وضعفه (وقد أمر الله تعالى
 بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوفى الشرور فقال تعالى) سابقوا الى مغفرة من ربكم (قال وفي ذلك فليتنافس
 المتنافسون) وقال يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون فندب الى المسارعة والسباق وذم التخلف عنها بما
 حبس وعاق فعلى هذا طريق المؤمنين وفيها مقامات الموقنين وروى من طريق مرسل عن النبي صلى الله عليه
 وسلم من نظر الى من فوزه في الدين والى من دونه في الدنيا كتب الله صابراً شاكراً ومن نظر الى من دونه في الدين
 ومن فوزه في الدنيا لم يكتب الله لاصبر ولا شاكراً قال صاحب القوت فقيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد
 وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها لانه لا يتخلو أن يرى بعينه أو بقلبه عن معرفة بسيرة المتقدمين فيرى من فوزه
 في باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه فيكون صابراً شاكراً بمعرفة ما تنفع به ورضى وباختياره
 صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يتخلو أن يرى من فوزه في أمر الدين من العاملين
 والعالمين والزاهدين فيسارع الى ذلك ويسابق وينافس فيه اذ قد ندب الى ذلك فيكون حبالاً وحضاً على افتعال
 الخيرات واعمال الصالحات وأقل ما يفيد ذلك الازراء على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الامرين

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد في اثنتي عشرة رجلا ناه الله حكمته فهو يئسها في الناس (٦٦٥) ويعلمها ورجل آناه الله مالا فسلطه

على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آناه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بعض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الإعراف والنهي عن المنكر فلا نعيد

الآخرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه في أمر الدين من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صونه ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجسد أيضاً في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والرائعين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضاً صابراً شاكراً فيكون العبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله له من التبصرة والاعتبار (و) يشهد لما ذكرناه ما (قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله حكمته فهو يئسها في الناس ويعلمها ورجل آناه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان ومسلم من طريق ابن نمير ومحمد بن بشر ثلاثتهم عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه ورواه النسائي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد ولفظهم جميعاً لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آناه الله حكمته فهو يقضي بها ويعلمها وقد تقدم في كتاب العلم (وفي لفظ آخر) لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله مالا فهو ينفقه آناه الليل وآناه النهار (ورجل آناه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل و) آناه النهار) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً لكن بتقديم الشطر الثاني على الاول زاد صاحب القوت (فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل) فندب صلى الله عليه وسلم الى الحسد في أعمال البر وفضل الحسد على ذلك لان الله تعالى ندب الى التنافس في أعمال الخير فن حسد في هذه الثلاث ونحوها للغبطة بها والطلب لها لم يخرج منه ذلك من الرضا وكان له مزيد بعد أن لا يحب زوالها من أهلها ولا ينقصهم منها ولا أن لا يذكروا ولا يحبها هو أيضاً ليدكر كذا ذكرنا وادعج كما مدحوا فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شيء آفة ومن وقع فيها خفيدها عنه خير له لانه أسلم ولا فضل الا بعد حوز السلامة (وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم وقال تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (وقال تعالى) في مثله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) ثم قال ومن يتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما نولي ونصله جهنم فيبغض المبتدع والفاجر والظالم المعتدي وتركوا لانهم ونصرتهم واجب على المؤمنين (وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن) ولفظ القوت وقدره وينافي خبر ان الله أخذ على كل مؤمن من الميثاق والباقي - وواعو قال العراقي لم أجده أصلاً (وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) وله ما احتسب رواه الترمذي من طريق أشعث عن الحسن عن أنس وقد تقدم والشطر الاول متفق عليه من حديث شعبة عن قتادة عن أنس ومن حديث الأعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما ووالاهم حشر في زمنهم وفي لفظه بزيادة يوم القيامة وفي طريقه اسمعيل بن يحيى التيمي ضعيف انتهى قلت وفي بعض نسخ الكامل لابن عدي على أعمالهم بدل ووالاهم وقال الذهبي في الديوان اسمعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ ابن المبارك متروك هالك (وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شبة والبيهقي من حديث البراء بلطف ان أوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله (وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الإعراف والنهي عن المنكر فلا نعيد) وقال

صاحب القوت بعد ان ذكر حديث أوثق عرى الايمان ما لفظه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كالا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد الايمان بروح منه بعد كتبه في القلوب برحمته وفي الحب في الله الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والقول وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمناذرة والمباينة ولاجل ذلك صارت الموالاة لا ولياء الله والمعاداة لا عداية من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتحالف مولاك لتسليط العدو وغلبة هؤلاء الأتاك تبغض العصاة ولا تواليهم على المعاصي ولا تحبهم من أجلهم من قبل ان العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على المراقبة والمحافة منك ولم يسلط أيضا عليك في استحلال المحارم واستحسانها ولا التزين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقتراحها فان سلط على مثل هذا منك العدو وحتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما يرتكبون من الحرام أو ترضى به أو تدن به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل لان هذه العقود مربطة بعرى الايمان وهي وهو في قرن واحد مقرونان فهذان كثر الكثر التي تنحل عقد الايمان معها وتنقض عراه بهما من قبل ان الموالاة والمحبة لاعداء الله تعمل في أصل الدين وتجوذب اليقين فلا تبقى منه نور لانه ليس من عصي امامه فيما أمره مثل من قلب دولته وخرج عليه بالسيف وليس من وافق هوى نفسه فيما به نهى الله مثل من وافق ما وفق الله فيما كتب وأرسل فنبذ كتبه ورديده في أفواه الرسل مسكافان تكن مقامات هؤلاء الظالمين والفساقين توجب عليهم الرضا باحوالهم أو الشكر عليها فرضوا وشكر والزمهم أيضا أن يصبروا ويشتروا على ما شكر واعليه ورضوا به فيصير ذلك مقام الهم في الشكر والرضا عند القائل بهم واهم ووجبت عليه أيضا الهم أن يحبهم عليها ويواليهم فاذا وجب عليه ذلك لزمه أن يعينهم عليها ويامرهم بها وفي هذا تكذيب الكتب كلها ورد الرسل كلهم نعوذ بالله من رضا لا ينفع ومن حب لا ينفع كانهوذه من عمل لا ينفع ومن علم لا ينفع ثم ذكر الاخبار المتقدمه فقلادرو ويتأعن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهم ما دخل لفظ أحدهما في الآخر لوان عبد الصنفين بين قدميه عند الركن والمقام بعد الله عز وجل عمره يصوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل وليس في قلبه محبة وموالاة ولا ولياء الله ولا بغض ولا معاداة لاعدائه لما نفعه ذلك شيئا وقد جاء نحوه وبمعناه عن عمر وغيره ان أحدهم ليشيب في الاسلام ولم يوال في الله تعالى ولم يعاد فيه عدوا وذلك نقص كبير وفي معنى قوله أوثق عرى الايمان الخ وجهه خفي هو ان يحبك المؤمنون ويغضك المنافقون فتكون ذلك علامة وثيقة عروا ايمانك لان قوله الحب في الله يصلح ان تحب أنت و يصلح ان يحبك المؤمنون وكذلك البغض في الله يصلح ان يغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكذلك تحب الى المؤمنين حتى يحبوك وتبغض الى المنافقين حتى يبغضوك بالتباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبغضك اياهم فبدل ذلك على قوة ايمانك لانك لم تأخذك في الله لومة لائم منهم كما وصف بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعدك من المداينة والنفاق وأقرب الى الصدق والاخلاص والورع فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتولك فظفر بما تريد وتترك ما تحب داخل عليك بوصفهم فهذا على معنى قوله عز وجل أشد اعداء الكفار رجاء بينهم أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين (فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى) وانه مطلوب (فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد رأوا السكوت عن المنكرات مقامات الرضا وسموه

فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد رأوا السكوت عن المنكرات مقامات الرضا وسموه

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبirk في ايداع هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأى أنك وتدبirk وفعلا وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان (٦٦٧) من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا فاشتمول كنه كان مرادك

بشتمول كنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبirk الذي يدبرته فانا راض به ولولم يحصل لك ان ذلك نقصانا في تدبirk وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوان مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جالك اذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له لانك مرادك يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له ومن حيث انه مرضى وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضى ومن حيث انه مكر وهالا من حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غير وكسبه فهذا التناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبirk في ايداع هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأى أنك وتدبirk وفعلا وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتمول كنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبirk الذي يدبرته فانا راض به ولولم يحصل لك ان ذلك نقصانا في تدبirk وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوان مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جالك اذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له لانك مرادك يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له ومن حيث انه مرضى وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضى ومن حيث انه مكر وهالا من حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غير وكسبه فهذا التناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم

مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط الحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيباً وعدو عدواً وأما بغضه لك فاني أرضاه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلط عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامته لذلك فهو محقوت عندى لمقتته اياك وبغضه ومقتته لك أيضا عندى مكر وهالا من حيث انه مرادك فهو مرضى وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضى ومن حيث انه مكر وهالا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غير وكسبه فهذا التناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عييد من عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت (٦٦٨) من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته

ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضي به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهم اجبعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضي به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهم اجبعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

فالاولى السكون والتأديب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة الرضا وغرضنا الا أن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انهم من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السرفيه

لا ينافى قضاء التوكل واستقصائه في كتاب التوكل فهو أيضاً ينافى الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اطهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واطهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا ينافى وقد قال بعض السلف من حسن الرضا قضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أى في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيها ينافى الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة لاصانع والكل من صنع الله تعالى وقول مقاتل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذف في الرضا بل

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان الضعيف) القاصر النظر (قد بطن انهمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون) كما تقدم ذلك في الاخبار الواردة فيه (يدل على النهى عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي) وفشت (لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله) وهو مذموم منهى عنه (وذلك محال بل العلة في النهى عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون) منه (انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقى فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم) في تمريضهم (فيهاكون هز الاوضرا) ولا يوجد من يجهزهم بعدموتهم

ينبغي أن يسلم التسدير لمدبره والمملكة لما لكهاو يقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أنهم ما خير لي
 * بيان أن الفراع من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا * اعلم أن الضعيف قد يظن أن من سب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن الخروج من بلد يظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهما مفرار من قضاء الله
 تعالى وذلك بحال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا
 متعهدين لهم فها يكون هزا لوضرا

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن ابن قارب

البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واطهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً شر من بغداد قبل وكيف قال هو بلدت زدرى فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قبله كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شر طيا غصبان أو قارناً حيران ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف) تشديداً في أمره وزجراً في ذلك واستدل به من ذهب الى ان النهي فيه نهي تحريم كما هو مذهب الشافعي وقد تقدم ذلك في كتاب التوكل وذكرنا هناك ان تلك العلة التي أبدعها المصنف قد سبقه فيها الامام أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار (ولو كان ذلك للفرار من القضاء) كما يفهم بظاهره (لما أذن ابن قارب البلدة في الانصراف) والرجوع (وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل) فارجع اليه (واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه) ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه لما أمر الناس بالانصراف عن الشام وقد قاله بعضهم أتفر من قضاء الله فقال نعم نفر من قضاء الله الى قضاء الله (وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذمومة) وقال السكال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثرة فيه الفساد خوفاً من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضاً اذا فرغ من قضاء الله تعالى (فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم) دار السلام (بغداد) وهي المدينة المشهورة بالعراق بناها أبو جعفر المنصور وفيها الغلات أشهرها بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المحممة ودالين مهملتين ثم بغداد بالنون بدل الدال وروى بدال في آخره وروى بدال أولى مهملة والثانية مجمعة وهذا هو المغرب وعند المحدثين والكتاب ويقال بعكس ذلك ويقال معقدان بالميم بدل الباء والنون آخره وقد استوفيت ذلك في شرحي على القاموس والاسم أعجمي والعرب تختلف في ذلك وزعم بعضهم ان تفسيره بستان العدل وقيل عطية الصنم وهو على اللغة المشهورة الاولى التي ذكرناها ولذا كره ابن المبارك هذه التسمية وسماها المنصور دار السلام لان دجلة كان يقال لها وادي السلام وكان بناها في سنة خمس وأربعين ومائة في الوقت الذي اختاره له توجت المنجم وكان قد جع لبناناً مائة ألف رجل من جميع الاقاليم من أهل المعرفة بالبناء واحكامه ويقال لا تعرف في أقطار الارض مدينة مدورة سواها وقد استوفى أخبار بنائها وما يتعلق بها الخطيب في أول تاريخه لها (واظهارهم ذلك) أي الذم (وطلب الفرار منها) قال صاحب القوت وكذلك يجب ابن آدم عن عامله الاعتراف والتواضع وهو أيضاً أحد المعاني في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خاضوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً قبل هو الاعتراف عقيب العمل السيئ لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه فاما من قبلت عليه هذه المعاني فخلل مواقيت الأمور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من فوقه في الدنيا في غبطة على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه في استغفار نعمة الله عليه ويزدري بيسير ما قسم به ثم ينظر الى من هو دونه في الرزي من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له ووجه تأسياه في غبطة عن اتساعه الى القربات أو لعله أو يدخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر الى نفسه باهماله لتقصير غيره عن مثل فعالة فهذا أيضاً يكتب جزوعاً من الصبر كفوراً للنعمة باضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكراً وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين وروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين والذين همهم وان أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي فذلك أجدر أن لا أزدري نعمة الله علي وقد وصف هذا البلد الذي نحن فيه بمثل هذه المعاني والله المستعان (نقال ابن المبارك) فيما حدثناعنه (قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً أشد من بغداد قبل وكيف هو) يا أبا عبد الرحمن (قال هو بلدت زدرى) أي تحتقر (فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله) أي تعدص صغيرة قال (و) وحدثناعنه انه (لما قدم خراسان قبله) يا أبا عبد الرحمن (كيف رأيت) الناس في (بغداد فقال ما رأيت بها الا شر طيا غصبان أو قارناً حيران) نقله صاحب القوت (ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس) عن سكاها (وكان) ابن المبارك (يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لمقامه) ولفظ القوت ويقال انه كان يتصدق في كل يوم بدينار

وقد ذم العراق جماعة كعمر بن العز وركعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهم المولى له أين تسكن فقال العراق قال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء وذكر ركعب الاحبار يوماً (٦٧١) العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر

وفي الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقابلاً بينا أحدهم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بهما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أجد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريه شريف هذا يدل على أن من يلي بيعة

لاجل مقامه ببغداد الى ان يخرج الى مكة فبلغني انه كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً كقارة لمقامه ثم قال وقد وصفها الشافعي رضي الله عنه انها هي الدنيا وريناعنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرة لها وحدوثنا عن يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس اه وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن اسمعيل بن أحمد الضرير أخبرنا أبو عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمي بن يسار بن سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى الطحفي يقول سمعت أجد بن عباس يقول خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يحسف باهلها فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبوراً أربعة من الاولياء هم حصن من جميع البلاء قلت من هم قال الامام أجد بن حنبل ومعرفة الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اه (وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العز وركعب الاحبار) رحمه الله تعالى (وقال ابن عمر رضي الله عنهما) كذا في سائر النسخ وهو غلط ولفظ القوت فر وبنان عن عمر بن عبد العز بن انه قال (لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء) كذا في القوت (وذكر ركعب الاحبار يوماً العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال) قال صاحب القوت وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهاه عن الخروج الى العراق قلت رواء كذلك أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب (وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك) أي تسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام نقله صاحب القوت قلت وهذا قدر وي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان رواه الخطيب في المتفق والمفترق وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطية قال أجد ما كان به بأس ولينه غيره وروى ابن عساكر من حديث بسند فيه مجاهد ان الله خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء خلق الجذب وأردفه الزهد وأسكنه الحجاز وخلق العفة وأردفها الغفلة وأسكنها اليمن وخلف الريف وأردفه الطاعون وأسكنه الشام وخلق الفجور وأردفه الوهم وأسكنه العراق (وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه) بوجهه بحادثه (ثم قال أين تسكن) اليوم (فقال بغداد فأعرض عنه) الفضيل (وقال يا تينا أحدكم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة) نقله صاحب القوت (و) قد (كان بشر بن الحرث) رحمه الله تعالى (يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش) نقله صاحب القوت (وكان) رحمه الله تعالى (يقول لا تقتدوا بي في المقام بها) أي ببغداد (من أراد أن يخرج فليخرج) نقله صاحب القوت (وكان أجد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور) نقله صاحب القوت قال وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى فكان يفصح بها فيقول أما أنا فاني أصرت أن أموت ببغداد فهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من ابدال الصديقين (وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريه شريف هذا يدل على أن من يلي بيعة) (يدل على أن من يلي بيعة) أي بسكنها (تكثر فيها المعاصي) والمزبكرات (و) يقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر منها (قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بما يحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فان لا على الدوام بنا آخر جنان هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بما يحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فان لا على الدوام بنا آخر جنان هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة واذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلني اصادف يوما اتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لو هيب ايش تقول أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى احبه

البلاء ودمر) على (الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة) ولفظ القوت ومن سكن بلدا كثيرا المنكر ناطرها المعاصي وكان فيه من عجايب مطعم من اليه يرغب الى الله في اخراجه منه بحسن اختياره له أو كان مضطرا في المقام فيه لعله أو قلة ذات يد لا يستطیع حيلة في الخروج ولا يمدى طريقا لغلبة الفساد في أكثر الامصار فانه معذور عند الله بحسن نيته وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمان ورضى بحاله أو كان مقامه على هوى أو لاجتلاب أسباب الفتنة والدنيا قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها في التفسير اذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحوّل منه الى غيره وقبل اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر أضعف أو أقل من أهل المعروف ثم لم ينكر واذل فقد وجب الخروج منه ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون سنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها الآية ألا ترى كيف أخبر بترك رضاهم بالمقام وباتخاذهم وطلبهم الخروج فبذلك عذرهم ولا يصلح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى اه وقال السكال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثير فيه الفساد خوفا من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضا اذا فرغ من قضاء الله تعالى قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان عاقبة عجز أو عيلة وجب عليه كراهة ذلك بباطنه بعد الله عز وجل (فأذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث) أي أيهم أفضل (رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء) (لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى) (ان شاء أحباني أبدأ وان شاء أماتني غدا) (ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين) وتحاكموا اليه (فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا) قال صاحب القوت وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار فكذلك ينبغي ان يكون خروجه منها عن معنى دخوله بلا اختيار ولان مقام الرضا أعلى من مقام الشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى اللقاء وهـ ذا مقام في المحبة وهو حقيقة الزهـد في الحياة والذي يحب البقاء لخدمة وكثرة المعاملة فهو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن القان في العصمة وله أيضا مظاهر العات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنه سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه ففي الخبر أفضل المؤمنين إيماناً من طال عمره وحسن عمله هـ ذالان الاعمال مقتضى الإيمان اذ حقيقة الإيمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء وخدمة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتحتفي فيها علمته وهو أن يحب البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعته عليه من حب الحياة ويكره الموت لمنافرة الطبع فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله تعالى ولا لاجل طاعته وخدمته وهذا من الشهوة الخفية التي لا يخرجهما الحقيقة الزهـدي الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث الاعارف واحد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتدل بوصفه وهواه فليس به اعتبار في طريق ولا مقام (و) قد كان (اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد) المسكي تقدم التعريف به مرارا (وسفيان) بن سعيد (الثوري) ويوسف بن أسباط (الشيبياني) رجعهم الله تعالى (فقال الثوري) قد (كنت اكره موت الفجأة قبل اليوم وأتوهم وددت اني مت فقال الله يوسف) بن أسباط (لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم) تذكره الموت (قال لعلني اصادف يوما اتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لو هيب ايش تقول أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى احبه الى الله تعالى) قال (فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة) قال صاحب القوت يعني مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان فهم ذروا المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الانس والحب وأيضاً انه تعالى لما ذكر انه لا يحب البين من كل شدة وهول ورجاه لشهادتهم القريب وفي كل

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) * قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما محب وبوب والمحبة متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول اذا رأيته في فقد رأيته أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لا رأيته أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى (٦٧٣) الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس

العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الاعرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم أعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال وليكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قبل خدشنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه قبل خدشنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله ففجحت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة ففوت لي بذلك * ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطفرف قال ثم مجد عند البحر فأطال في سجوده (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك) وأطمانوا به (وانى أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض) وقربت لهم البعيد

كربير بحانمته لقرب الحبيب فبذل كل علوا وذل كل فضلا وكان بعض هذه الطائفة يقول سر العارف في الاشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام وان أخرج خراج أى ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين حكمين أيهما أمد به مال به وقال آخر قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد أى لا يقف على وصف اه وقد وجدت في الخلية لابي نعيم في ترجمة وهيب بن الورد ما يخالف ما ذكره صاحب القوت وتبعه المصنف قال حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سعد بن محمد البصري حدثنا ابن ابي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلنى أن أتوب فقال وهيب فانت قال ورزبه هذه البنية ثلاثا وددت انى مت الساعة

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) *

(قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما محب وبوب والمحبة متعوب) أشار بذلك الى ان المحب لا يقره قرار دون لقاء محبوبه فهو أبدا في تعب بخلاف المحبوب فانه مطلوب فهو أبدا في سكون وراحة وقرار (وقيل له أيضا الناس يقولون فيك) (انك واحد من السبعة) يعنى الاوتاد (فقال أنا كل السبعة) أى فى رأى كائنا أى السبعة (وكان يقول اذا رأيته في فقد رأيته أربعين بدلا قيل وكيف ذلك وأنت شخص واحد قال لا فى رأيته أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه) فاجمع في أخلاق أربعين رجلا (وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحجب عنه) وهذا كما نقله القشيري عن بعضهم انه أراد منه الخضر ان يصحبه فابى فستل عن ذلك فقال خفت ان يفسد على توكلى (وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا) قد عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم شيئا لم أعرفه (قيل ذلك) (وقيل لابي يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) رحمه الله تعالى (مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويحكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك) لان المشاهدة أسرار بين الله تعالى وعبيده ولا ينبغي كشفها للغير غير عبيده (قيل خدشنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه) فان العقول ربما لا تتحمل ذلك فيقع الانكار فيكون سببا للمقت أولان السامع ربما يحتمل نفسه على مثل ذلك من غير تردد فيقع في حرج (قيل خدشنا عن رياضة نفسك) وتهذيبها (في بدايتك) أى أول سألوكها (فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى ففجحت على فعزمت عليها ان لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة ففوت لي بذلك) وانما فعل ذلك لانه رأى فيها بقايا شهوة فنظر الى أجل لذاتها فاذا هى شرب الماء والنوم فتركهما ليسأصل الشهوة بالكلية وأعظم أسباب النوم شرب الماء فترك شرب الماء لينقطع عنه النوم ومن ذلك أهدي رجل الى الامام أبي بكر بن النور رحمه الله تعالى وكان من الزاهد من خيارنا فى أول ظهوره فقبله منه ووضعه عنده ثم أتاه الرجل ثانيا يوم فوجدنا خياره عنده كما كان وضعه فلامه على عدم أكله فقال يا هذا خفت انى ان أكلته غلبت الرطوبة على الدماغ فكان سببا للنوم (وحكى عن) أبي زكريا (يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (انه رأى أبا يزيد البسطامي) رحمه الله تعالى (في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطفرف قال ثم مجد عند البحر فأطال في سجوده (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك) وأطمانوا به (وانى أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض) وقربت لهم البعيد

لا يطفرف قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض

فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك وان قومًا طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك حتى عذنيها وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مدمتي أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشئ فقال أحدك بما يصلح لك أدخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملائكة السفلى وأراني الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدي ما رأيت شئ إلا استحسنته فأسألك اياه فقال أنت (٦٧٤) عبدى حقا تعبدني لاجل صدق لا فعل بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالني ذلك

وامتلائت به وبعبثت منه فقلت ياسيدي لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواء حكى ان أبا تراب الخشب كان محببا لبعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يومالو رأيت ابا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المر يد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبي زيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة قال فهيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فهيت الفتي من قوله وأنكره

(فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (واني أعوذ بكم من ذلك وان قومًا طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض) وزخارف الدنيا (فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (واني أعوذ بكم من ذلك قال) ولم يزل يذكر مثل ذلك (حتى عذنيها وعشرين مقاما من كرامات الاولياء) مما يكرم الله تعالى به اياهم قال (ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مدمتي أنت ههنا فقلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشئ) أي من أحوالك (فقال أحدك بما يصلح لك) اعلم انه تعالى (أدخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملائكة السفلى وأراني الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شئ رأيت) مما يحببك (حتى أهبه لك فقلت ياسيدي ما رأيت شئ إلا استحسنته فأسألك اياه) ونفي الاستحسان ههنا بالنسبة الى استغراقه في جمال مولاه (فقال أنت عبدى حقا تعبدني لاجل صدق لا فعلن بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلائت به وبعبثت منه فقلت ياسيدي لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة) جل وعز (سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواء) ومقام الغيرة من نتائج المحبة فان المحب يتخلى بأخلاق محبوبة فلا يبدى من أسرار محبوبة شئ إلا لاهله والا يكون فتنة عليهم ويشع على نفس من أنفاسه أن يصرفه لغير محبوبة (وحكى ان أبا تراب) عسكر بن الحصين (الخشبي) رحمه الله تعالى (كان محببا لبعض المريدين فكان يدينه) أي يقر به (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته) التي كان يجدها في مراقباته (فقال له أبو تراب يومالو رأيت ابا يزيد) البسطاخي (فقال) المريد (اني عنه مشغول) أي فلا أشغل وقتي بغير الله تعالى (فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لورأيت ابا يزيد هاج وجد المر يد فقال ويحك ما أصنع بأبي زيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبي زيد) عن سواء ولم يبق في رغبة لغيره (قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وياك تغتر بالله عز وجل) في تقر به لك (لورأيت ابا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال (فهيت الفتي من قوله وأنكره) عليه (فقال وكيف ذلك قال له وياك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وتري ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف) المريد (ما قلت) فوطن نفسه على رؤية أبي زيد (فقال اجلني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل) أي محل مرتفع مشرف على بمره (نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان) أبو يزيد (ياؤى الى غيضة فيها سباع) ووحوش (قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتي هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق) في الحال وغشى عليه (فحركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لابي يزيد ياسيدي نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا) في حبه (واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكسفت له سر قلبه) فاستغفره (فضاق عن جملة لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك) فلذلك شرطوا للمريدين ترقية أن يكون بالتدرج فلا يصل الى مقام هو أرفع مما كان فيه الا وقد آتس في مبادئه حتى يكون مطيعا لجملة والا فان ورد عليه مرة واحدة لم يتحمل بل وبما أهلكه وقد ينكشف للمريدين في محبة العارفين والنظر الى وجوههم في لحظة واحدة ما لا ينكشف لهم بالاجتهاد في مدة متطاولة ولذلك جعل مشايخ

الطريقة

فقال وكيف ذلك قال له وياك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وتري ابا

زيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال اجلني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان ياؤى الى غيضة فيها سباع قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتي هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لابي يزيد ياسيدي نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكسفت له سر قلبه فضاق عن جملة لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك

* ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا النفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قبل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة واسعة والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول ان أعطاك

(٦٧٥)

الطريقة العلية النفس بندية قدس الله أسرارهم الرابطة بالشيخ الكامل من جلة أركان الطريق (ولما دخل الزنج) وهم السودان الاحابيش من اللغائف (البصرة فقتلوا النفس ونهبوا الاموال) وأحرقوا الدور وارحل منهم من قدر وأطاق (اجتمع الى) أبي محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وكان اذذاك بالبصرة في دار خاله محمد بن سوار (اخوانه) وأصحابه (فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم) عن المسلمين (فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون) أي لا يدعون عليهم (قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى) اشياء (لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها) وكذلك لما دخل التتار الى خوارزم فقتلوا وسلبوا ونهبوا وكان اذذاك أبو الخطاب الحيري المعروف بالنجم الكبرى قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقال له أصحابه الاندعوا لله أن يدفعهم عنا فاني وسلم الامر الى الله تعالى فكان ممن استشهد مع أصحابه اذ ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة الالهية) واسعة (لاحد لها) والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم) عليهم السلام (فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة) مما لارآته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر (فان سكنت الى ذلك) الذي أعطيت به (حجبت به) أي فمكت ذلك بحجبت (وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل) لما في الخبر أشد الناس بلاء الانبياء والصالحون ثم الامثل فالامثل وقد تقدم (وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة ففوقت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لاحاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع) وأدعو (حتى صرفهن الله عني) وهذا من جلة الابتلاء لخواص محبيه (فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لا فلاسه عن مثلها) أي لحرمانه عنه (فلولم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال) لا (تظهر) الا (بعد مجاوزة عقبات) كؤدة (ونيل مقامات كثيرة أذناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى مختصنا بمحض الجول فهذه أوائل سلوكهم) ومبادئ ارادتهم (وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن العامة (وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين) فيطمئن قلبه ويستعجه الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة) وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألك الطريق (على يد شيخ كامل) يجري مجرى انكار من أنكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شككت

ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبت به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة ففوقت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لاحاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لا فلاسه عن مثلها فلولم يؤمن كل واحد لا بما يشاهده

من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة اذا ناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى مختصنا بمحض الجول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شككت

ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق كما قيل لبشر باي شئ بلغت هذه المنزلة قال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمرى وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسر لها عليك فقبل معناه سترها عن الخلق وقبل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت (٦٧٦) اليها وعن بعضهم أنه قال أفلقني اشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن

يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيت به فغالب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كفيف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم حتى كان أهل الزمة يستخرونه ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيئات الغريبة (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها (والراضية باحوالها) وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

خاصا (ونقيت) عن أوساخها (وصقلت) بادامة العمل عليها (وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة) أي قطعة (خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها) بعد الصقل (وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء) قدس الله أسرارهم (اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق) وأوائله (كما قيل لبشر) الخافي رجاء الله تعالى (باي شئ بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه) كنت (أسأله أن يكتم علي) حالي (ويخفي أمرى) على الخلق حتى لا يطلعون عليه (وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسر لها عليك) واختلف فيه (فقبل معناه سترها عن الخلق) فلا يطلعون عليه (وقبل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها) فيكون التفاتك حجاباً لك (و) حكى (عن بعضهم أنه قال أفلقني الشريق الى) ملاقة (الخضر) عليه السلام (فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيت به فغالب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر) أي منزلة (ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كفف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب) عني (فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم حتى كان أهل الزمة يستخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به) ويؤذونه (فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيئات الغريبة (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها (والراضية باحوالها) وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

ذله وخوله فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تآبي الاخفاء هم كما قال تعالى أولياي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم فغسي أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي وهو أستاذ الجنيد دعا رجلا الى طعام ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال (٦٧٧) قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة

الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشنت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتني فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فلحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بأص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى وفليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله تعالى ومناجياهم (مصدقاهم في أقوالهم مسلما لا حوالهم) (فغسي أن يحشر مع من أحب) فمن أحب قوما حشر معهم كافي الخبر وتقدم قريبا (ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله عز وجل في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي) بفتح الكاف والراء وسكون النون وكسر الموحدة أبو خليفة الصوفي (وهو أستاذ الجنيد) خرج الى عبادان ترجمه الخطيب في التاريخ وكرنا بالبحر اسان وقد وقع هنا في نسخ الكتاب تعفيف فليحذر (دعا رجلا الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت (و) حكى (عنه أيضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح) والديانة (فتشنت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتني فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فلحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي) وقد اعترض ابن القيم وغيره على المصنف في تقريره هذا الكلام والتسليم له وان هذا لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه العارفون منهم سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية وأثرونا الى بعضه في خطبة كتاب العلم (فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى أن شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس) الذي عليه (واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيتة جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود) وهم الرفقاء له في صنعة (وعند من يعرفك) ويعظمك (وأنت على ذلك) الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (قولك سبحان

حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى الرجل المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيتة جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عندهم اليهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد يقولك سبحان

الاعور عن علي مع تقديم وتأخير والحديث ضعيف (وفي حديث آخر أن الله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق
منهم مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق من أقال كلهم أيا بأكبر وأحبها إلى الله
السجاء) قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس من فروع عن أنس عن الله تعالى خلق بضعة عشر
وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة
شريعة وثلاثمائة شريعة وفيه وفي الكبير من رواه المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه
بلفظ الإيمان وللإيمان من حديث عثمان بن عفان أن الله مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض
لسؤال أبي بكر وكلها ضعيفة اه قلت وتعام حديث عثمان عند البزار من أقال بخلق منها دخل الجنة ورواه
الطبراني والحكيم وأبو يعلى بلفظ أن الله مائة وسبعة عشر خلقا في أنى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وأما
حديث أنس الذي رواه الطبراني في الأوسط فلفظه عنده أن الله عز وجل لو كان من زبرجدة خضراء جعله تحت
العرش كتب فيه أنى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم شهادة
أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقدرناه كذلك أبو الشيخ في العظمة وروى الحكميم من حديث أبي سعيد الخدري أن
الله تعالى ثلاثمائة وخمسة عشر شريعة يقول الرحمن وعزى لا يأتيني عبد من عبادي لا يسألني شيئا أبواحدة منهم
الأدخلة الجنة ولفظ حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة شريعة وثلاثمائة شريعة ليس منها شريعة يلقى الله
بها صاحبها الا وهو يدخل بها الجنة هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط وأما لفظ حديث المغيرة بن عبد
الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده فلفظه الإيمان ثلاثمائة وثلاثون شريعة من وافى بشريعة منهم دخل الجنة رواه
الطبراني هكذا فيه ما والبيهقي وابن النجار قال الحفاظ في الإصابة قال ابن حبان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن
ابن عبيد من كتاب الثقات روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام وقال ابن
عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان حديثه عند جابر بن سلمة انتهى وأخرج ابن السكن وابن
شاهين والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق المنهال بن بحر عن جابر بن سلمة عن المغيرة بن عبد الرحمن حديث أبي
عن جدي وكانت له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة الحديث
وسمى ابن السكن جده في روايته عبيد فقال وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى وأما حديث
السجاء خلق الله الأعظم فقد رواه أبو الشيخ وابن عباس من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال صلى الله عليه
وسلم رأيت ميرانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتى في كفة فربحت بهم ووضع أبو بكر في كفة
وجيء بأمى فوضعت في كفة فربحت بهم) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف انتهى قلت
ورواه الطبراني نحوه ولفظه رأيت البارحة كفى أدخلت الجنة فربحت من إحدى أبواب الثمانية فإذا أنا
بأمى قيام فعرضا على جلال وجلال وإذا الميزان منصوب فوضعت أمتى في كفة الميزان ووضعت في الكفة
الآخرى فربحت بهم ثم وضع جميع أمتى في كفة الميزان ووضع أبو بكر الصديق في الكفة الأخرى فربحت بهم ثم
وضع جميع أمتى في كفة الميزان ووضع عمر بن الخطاب في الكفة الأخرى فربحت بهم ثم رفع الميزان وروى أحمد عن
رجل من الصحابة رفعه رأيت الليلة في المنام كان ثلاثة من أصحابي وزوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن
ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر وأبي امامة وزنت بأمى فوضعت
في كفة وأمى في كفة فربحت بأمى ثم وضع أبو بكر مكاني فربحت بأمى ثم وضع عمر مكانه فربحت بأمى ثم وضع عثمان مكانه
فربحت بأمى ثم رفع الميزان وروى ابن عدى من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ وزنت بالخلق كلهم فربحت
بهم ثم وزن أبو بكر فربحت بهم ثم وزن عمر فربحت بهم ثم وزن عثمان فربحت بهم ثم ارتفع الميزان وروى الشيرازي
في الألقاب وابن منسدة وقال غريب وابن عساكر من حديث عرنجة الأشجعي وزن أصحابنا الليلة فوزن أبو بكر
فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فخف وهو رجل صالح قلت عرنجة بن شريح الأشجعي صحابي نزل الكوفة
وروى أيضا عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبو حازم الأشجعي وأبو يعقوب العبدى وغيرهم وروى

وفي حديث آخر أن الله
تعالى ثلاثمائة خلق من
لقيه بخلق منها مع
التوحيد دخل الجنة
فقال أبو بكر يا رسول
الله هل في منها خلق
فقال كلهم أيا بأكبر
وأحبها إلى الله السجاء
وقال عليه السلام رأيت
ميرانا دلى من السماء
فوضعت في كفة ووضعت
أمى في كفة فربحت
بهم ووضع أبو بكر في كفة
وجيء بأمى فوضعت في
كفة فربحت بهم

الطبراني في الكبير من حديث أسامة بن شريك وزن أحباب الليلة فوزن أبو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان ورواه ابن قانع وابن منده من طريق رجسة بن مصعب عن شريك عن الأشعث بن سليم عن الأسود بن هلال قال كان فينا عراقي يؤذن بالحيرة يقال له جبر فقال ان عثمان ان يموت حتى يلى هذه الأمة فقبل له من أين تعلم فقال اني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما سلم استقبلنا بوجهه فقال ان ناسا من أصحابنا وزنوا الليلة فوزن أبو بكر فوزن عمر فوزن عثمان فوزن قال ابن منده هذا حديث غريب بهذا الاسناد قال أبو موسى ذكره ابن منده في آخر ترجمة جبر بن عتيك والصواب انه غيره قال الحافظ وكذلك أفرد أبو عمر وقال فيه جبر الاعرابي المحاربي (ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه) قال العراقي متفق عليه قاترواه مسلم من حديث ابن مسعود بلغة لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي واقد كذلك وفي لفظ لمسلم لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقالوا اتخذ الله خليلاً ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن الزبير لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخى في الدين وصاحبي في الغار ورواه البخاري كذلك من حديث ابن عباس والبيهقي في الألقاب من حديث سعد ورواه ابن عساكر من حديث جابر لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن قولوا كما قال الله صاحبي وروى عبد الرزاق من حديث البراء لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله سوى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة) روي عن أبي يعقوب (يتنفع بها) * قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كما أشار الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة يتنفع بها) * قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كما أشار الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

للسبلي رحمه الله تعالى

صف لنا العارف والمحِب

فقال العارف ان تكلم

هناك والمحِب ان سكت

هناك وقال السبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم

حبك بين الحشامقيم

يارافع النوم عن جفوني

أنت بما صرني عالم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت

التي

وهل أنسى فأذكر ما نسيت

نسيت

أموت اذا ذكرتك ثم

أحيا

ولولا حسن ظني ما حديث

فأحيا بالمني وأموت شوقا

فكم أحيا عليك وكم

أموت

شربت الحب كسا بعد

كاس

فما نفذ الشراب وما

رويت

فلت خياله نصب لعيني

فان قصرت في نظري

عجبت

وقالت رابعة العدوية

يوما من يدلنا على حبيبنا

فقال خادمها حبيبنا

معنا ولكن الدنيا قاطعتنا

عنه وقال ابن الجلاء رحمه

الله تعالى أوحى الله الى

عيسى عليه السلام اني

اذا اطلعت على سر عبد

فلم أجذفيه حب الدنيا

والاستخوة ملائكة من حبي

وتوليته بجمع فلي

للسبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحِب فقال العارف ان تكلم هناك والمحِب ان سكت ههنا (نقله القشيري في الرسالة يشير به الى ان المحِب لما انكشف له من قرب الله وجهه وكاله فتقوى لذنه ويزيد نعيمه انشد ذلك طولا في اللسان وانبت اطال القصو ونظره عن طيب حاله فلو سكت ههنا بخلاف العارف فانه أبدا يتطلع الى ما تاب عنه وما سيأتي فيكون غالب حاله السكون والقبض فلو تكلم كاد أن يم لك ومن هنا قولهم من عرف الله كل لسانه (وقال السبلي رحمه الله تعالى) حين كان بالمارستان ودخل عليه جماعة فسألهم من أنتم قالوا نحن أحباؤك فرماهم بالحجارة فهر بوا فإل كذبتم لو كنتم أحبائي ما هربتم ثم أنشد

(يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشامقيم يارافع النوم عن جفوني * أنت بما صرني عالم) هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدمت الإشارة اليه (ولغيره) في هذا المقام قبل هو السبلي لماسياقي (عجبت لمن يقول ذكرتك ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت)

أي لان الذكرا انما يكون بعد النسب وان الغفلة أمدانم الذكرا فلا يقول ذكرت فان الحاصل لا يطالب بتحصيله ومن هنا قال الشيخ سعد الدين الكاشغري سألتني الشيخ عبد الكريم الحصري وقال ما الذي ذكر قلت لا اله الا الله فقال ما هذا ذكر هذا عبادة فقلت له أفد أنت فقال الذكرا ان تعلم انك لا تقدر على وجدانه

(أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حديث * فأحيا بالمني وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت * شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عجت)

وقرأ في آخر المسلسلات للحافظ أبي مسعود الاصبهاني أنشدني أحد بن علي الحافظ قال أنشدني عبد الله بن يحيى الزمن أنشدني محمد بن علي الصوفي عن أبي بكر السبلي

أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا ما أوصل ما حديث * وفي موق حياي ما كفاي فكم أحيا عليك ولا أموت * شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت

انتهى وقال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السبلي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابن عبيد ية قول كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته فكتب اليه أبو يزيد غيرك شرب يحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه خارج يقول هل من مزيد وأنشدوا

عجبت لمن يقول ذكرتك ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت

وقال القشيري في باب الذكرا كان السبلي ينشد في مجلسه

ذكرتك لاني نسيتك لحظة * وأيسر ما في الذكرا كرساني * وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان * فلما أرا في الوجدانك حاضري * شهدتك موجودا بكل مكان

نحاطبت موجودا بغيرتكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

(وقالت) أم الخير (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية قدس سرها المتوفية سنة ١٣٥ (يوما من يدلنا على حبيبنا فقال خادمها لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قاطعتنا

المعرفة والمحبة كلهم مشهور من حاله ولا يخفى عليها مقام المعية وانما قالت ما قالت وهي في مقام الاستغراق الذي هو من نتائج المحبة وغلب عليها الشوق الى المشاهدة والمحِب في مقام القرب قد يتقلب من يأخذ بيده ويتعلق بالاذيال فنهتها الخادمة على أن الوصول الى مقام المشاهدة لا يكون الا بعد المفارقة من هذا العالم فتمنع عنه

القواطع فما أدق نظرها رحمه الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (ابن الجلاء) الدمشقي رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (اني اذا اطلعت على سر عبد) وهو داخل القاب (فلم أجذفيه حب الدنيا

والاستخوة ملائكة من حبي وتوليته بحفلي) يشير به الى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وان لا يكون في القلب

وقيل تكلم سمعون يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين
يديه فلم يزل ينقر بمنقاره
الارض حتى سال الدم
منه فبات وقال ابراهيم
ابن ادهم الهى انك
تعلم ان الجنة لا ترن عندى
جناح بعوضة في جنب
ما أكرمتنى من محبتك
وأنتى بذكرك
وفرغتنى للتفكر في
عظمتك وقال السرى
رحم الله من أحب الله
عاش ومن مال الى الدنيا
طاش والاحق يغدو
ويروح فى لاش والعاقل
عن عيوبه فتاش وقيل
لرابعة كيف حبك
لرسول صلى الله عليه
وسلم فقالت والله انى
لا حبه حبا شديدا
ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخواين
وسئل عيسى عليه السلام
عن أفضل الاعمال فقال
الرضا عن الله تعالى
والحبه وقال أبو يزيد
الحب لا يحب الدنيا ولا
الآخرة إنما يحب من
مولاه مولاه وقال الشبلى
الحب دهش فى لذة
وحيرة فى تعظيم وقيل
المحبة ان تمحو ترك عندك
حتى لا يبقى فيك شئ
راجع منك اليك وقيل
المحبة قرب القلب من
المحبوب بالاستبشار
والفرح

حمل اسواه ولفظ القشيري في الرسالة وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطاعت على قلب عبد فلم
أجده حبا الدنيا والآخرة ملائمة من حبي (وقيل تكلم سمعون) بن حجرة المحب رحمه الله تعالى (يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فبات) قال القشيري سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت احدا بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فائق يقول سمعت سمعون وهو جالس في
المسجد يتكلم في المحبة اذ جاء طير صغير فربب منه ثم قرب ثم لم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الى
الارض حتى سال منه الدم ثم مات وفيه دلالة على ان الحيوان يسمع ويفهم وانما يمنع عليه الكلام الاعلى من
أفهمه الله كلامه (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى مشيرا الى عظم مقام المحبة (الهى انك تعلم ان الجنة
لا ترن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتنى من محبتك وأنتى بذكرك وفرغتنى للتفكر في عظمتك) رواه
أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مقسم حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجند قال سمعت المنصورى
يقول سمعت بشارا يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة اذا
أنت أنتى بذكرك ورزقتنى حبك وسهلت على طاعتك فاعط الجنة لمن شئت حدثنا أبو أحمد الحسين بن
علي التميمي النيسابورى حدثنا محمد بن المسيب الارغفاني حدثنا عبد الله بن خبيب حدثنا محمد بن بحر قال قال
ابراهيم بن ادهم اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة فسادونها اذا أنت وهبت لى حبك
وأنتى بذكرتك وفرغتنى للتفكر في عظمتك (وقال السرى السقطي) رحمه الله تعالى (من أحب الله
عاش) عيشة أبدية (ومن مال الى الدنيا طاش) عقله وتحير أمره (والعاقل عن عيوبه فتاش والاحق) الذى
نقص جوهر عقله (يغدو ويروح فى لاش) أى فى لاشي تقدم ذلك فى كتاب ذم الدنيا (وقيل لرابعة) العدوية
قد سرها (كيف حبك لرسول صلى الله عليه وسلم فقالت انى والله أحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخواين) وحكى عن أبي سعيد الخراز قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله
اعذرني فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني نقله القشيري (وسئل موسى عليه
السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله) فى أفعاله (والحبه) لجلاله وكلامه (وقال أبو يزيد) البسطامى
رحم الله تعالى (الحب لا يحب الدنيا والآخرة) أى لا يعمل بقلبه اليهما (انما يحب من مولاه مولاه) أى ذاته
ويقتصر نظره عليه (وقال الشبلى) رحمه الله تعالى (الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم) أشار بالجله الاولى الى
أوائل الحب فان الحب فى أوائل امره اذا لاحظ جلال المحبوب يدهش ويغيب عن عقله فاذا لحقت العناية أصبح
من دهشه فيلذع بما قام به من الحال وأشار بالجله الثانية الى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغره بالعبودية المحضة
اجلالا لعظمته ومهابة لكبريائه لا يفارقه فى هذا المقام الحيرة ولفظ القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا
علي الدقاق يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش انتهى والمعنى ان المحبة فى أول أمرها لذة يلذع بها المحب فاذا
غلب على قلبه شغفه بالله وغمره دهش (وقيل المحبة ان تمحو ترك عندك حتى لا يبقى فيها شئ راجع منك اليك)
ويقرب منه قول أبي عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تمح كل ما كان أحببت فلا يبقى لك منك شئ وقول الشبلى
سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ما سوى المحبوب نقلهما القشيري (وقيل ان المحبة قرب القلب من المحبوب
بالاستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجند المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستبارة والفرح انتهى
والمراد باقرب قرب مكانة لا قرب مكان وأشار بالاستبشار والفرح الى الانس الذى تنتجه المحبة فان المستأنس
بالقرب يستبشر ويفرح لانه غير متطلع الى فائت وقد يكون اشارة الى مقام الصفاء الذى هو احدى منازل
العبادى سلوكه وهو ان يكون القلب خاليا عن سائر الكدورات فينشئ يجد الرب تعالى القلب محلا قابلا للقرب
فيماؤه من أنواره ومعرفته وتحفه فعند ذلك يعمل القلب الى القرب من المحبوب بكل المعارف وينقض عليه
انقضاض الطائر الجاف الكبد من عدم الماء اذا رآه فى السماء وهو بغاية الفرح والاستبشار فعلى هذا يعلم
يقينان محبة عبد الله تعالى هى الميل اليه بالفرح والابتهاج كما قال الجند المحبة هى الميل بلانيل وأى نيل أشرف

(782)

من الميل اليه والقرب منه (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (الحبة بحوالا رادات واحراق) وفي نسخة واحتراق (جميع الصفات والحاجات) ويقرب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته وثبات المحبوب بذاته وقول الحلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبو بك بتخلع أوصافك وقول أبي يعقوب السوسى حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه كفى الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن المحبة فقال) هي (عطاف الله تعالى بقاب عبده اشاهده بعد الفهم المراد منه) (والاشاهدة تكون بالقلب كما ان لرؤية تكون بالبصر فاذا عطاه كذلك لا يعلم غيره أبدا وهذا هو معنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهبة والحياة والتعظيم وأفضلها التظيم والمحبة لان هاتين بتقيام مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه حبلا لا خوفا من ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم ثم يرجع لهم على التظيم والاحلال فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحتس القلوب وترجع بالهبة والرغبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق والانس وسئل سهل الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء منه أفضل والحب الذي يورث منه الحياء أفضل من الحياء وهو الشوق (وقال هرم بن حبان) العبد يرضى الله عنه له محبة ويعد من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أى لم يعمل قلبه اليها (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفرة) أى الكسل عن القيام بالخدمة (وهي تحسر في الدنيا وتروحه في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبد الله ابن محمد) البصري (سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد شمت من الحياء حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبلا للقائه قال فقلت لها فعلتي نعمة أنت من عملك قالت لا ولا يكن لحبي ايا وحسن ظني به افتراء يعذبني وأنا أحبه) روى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الحيرى قال الشوق ثمرة الحب ومن أحب الله اشتاق لقائه وقال أيضا بقدر ما يصل الى قلب العبد من السرور بالله يشناق اليه وعلى قدر شوق يخاف من بعده وطرده وقولها افتراء يعذبني وأنا أحبه يستفاد من قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (وأوحى الله الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم وورقي بهم وشوقي الي ترك معاصيهم لما تواشوا فالي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادني في المدبرين عني فكيف ارادني في المقبلين على يا داود أحوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدى اذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي اذار جمع الى (نقله القشيري في الرسالة مختصرا) (وقال أبو خالد) محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد الاصبهاني (الصفار) سكن نيسابور وقيل انه لم يرفع رأسه الى السماء نيفا وأربعين سنة وصنف كتابا في الزهد وروى عن أبي اسعيل الترمذي وعنه الحاكم أبو يعقوب الله وأبو علي النيسابوري الحافظ مات سنة ٣٣٩ (لحقني من الانبياء عابدا) من العباد (فقال انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق) ولا يخفى ان العمل على المحبة والشوق أفضل من العمل على الرجاء والخوف لرفعة مقام المحبة على غيره من المقامات (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كرى للذاكرين) لانه تعالى قال فاذا كرونى أذكركم (وجنتي للمطيعين) فان الجنة ان أطاع (وزيادتي للمشتاقين) الى أى زيادة النعيم (وأنا خاصة للمعجبين) الذين يعبدونى خاصة بالخوف من نار ولا طمعانى جنة (وأوحى الله تعالى

عنى وأجل ما يكون عندى إذا رجعت الى وأبو خالد الصغار لى نبي من الانبياء عابدا قال له انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال السبلى رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جدى مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه (٦٨٤) لمن يرانى ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى اتحنى

وصلى حتى اتعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار خلصته اليك شوقاً مني اليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيق والصدق شفىعى والطاعة حسبي والجهاد خلقى وقرعة عيني فى الصلاة وقال ذوالنون سبحان من جعل الارواح جنوداً مجنده فآرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت فى جبل الحكم رجلاً أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى صيرانى كاترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أحبائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فلا يكون لها ممر بها أبداً فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ولنذكر ما يتعلق بهذه المقامات معانى الشعب للبهيق وقوت القلوب وغبرهم قال البيهقي فى الشعب قدروا يناعن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً قال حبك الشئ يعمى وبصم قال الحلي قد يفهم من هذا ان من أحب الله تعالى لم يعتد المصائب التى يقضها عليه اساعته منه اليه ولم يستقل وطائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه كما ان من أحب أحداً من جنسه لم يتكد يبصر منه الا ما يستحسنه ويزيد إعجاباً به ولا يصدق من خبر المخبرين عنه الا ما يتخذ سبباً للولوع به والعلو فى محبته وعن عبد الله بن ابراهيم القرشى عن أبيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه يا عبد الله انى موصلك بحب الله عز وجل وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته فانك اذا كنت كذلك لم تذكر الموت متى أتاك وانى مستوصيك الله يا بنى ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم شخص ببصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بنى اسرائيل انى لا أقبل قولكم ولكن أقبل هممكم وهواكم من كان همهم وهواهم فى محبتي كان صميمته عندي تغد يساوت سبجاً و قاروا عن محمد بن سعيد الخوارزمي قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة قال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وان لا تخاف فى الله لومة لائم مع العطف المؤمنين والغلظة على الكافرين واتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وعن أبي زيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جدى مسيره (وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه الى من يرانى ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى اتحنى وصلى حتى اتعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار خلصته اليك شوقاً مني اليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيق والصدق شفىعى والطاعة حسبي والجهاد خلقى وقرعة عيني فى الصلاة) قال العرافى ذكره القاضى عياض من حديث على ولم أجده اسناداً اه قلت وسئل عنه الحافظ ابن حجر فى فتاويه فقال لا أصل له (وقال ذوالنون) المصرى رحمه الله تعالى (سبحان من جعل الارواح جنوداً مجنده فآرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا) والارواح البشرية لها مراتب خمسة وهى الروح الحساس والروح الخيالى والروح العقلى والروح الفكرى والروح القدسى والمرتبة الاخيرة هى المختصة بالعارفين وفيها تنجلي لواضع الغيب وأحكام الآخرة ووجه من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التى يقصر دونها الروح العقلى والفكرى وكل هذه الارواح نورانية لا ظلمة فيها (وقال بعض المشايخ رأيت فى جبل الحكم) بالضم وتخفيف الكاف من جبال الشام ما أوى عباد الله الصالحين (رجلاً أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى صيرانى كاترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أحبائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات) فلا يكون لها ممر بها أبداً (فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب) ولنذكر ما يتعلق بهذه المقامات معانى الشعب للبهيق وقوت القلوب وغبرهم قال البيهقي فى الشعب قدروا يناعن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً قال حبك الشئ يعمى وبصم قال الحلي قد يفهم من هذا ان من أحب الله تعالى لم يعتد المصائب التى يقضها عليه اساعته منه اليه ولم يستقل وطائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه كما ان من أحب أحداً من جنسه لم يتكد يبصر منه الا ما يستحسنه ويزيد إعجاباً به ولا يصدق من خبر المخبرين عنه الا ما يتخذ سبباً للولوع به والعلو فى محبته وعن عبد الله بن ابراهيم القرشى عن أبيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه يا عبد الله انى موصلك بحب الله عز وجل وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته فانك اذا كنت كذلك لم تذكر الموت متى أتاك وانى مستوصيك الله يا بنى ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم شخص ببصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بنى اسرائيل انى لا أقبل قولكم ولكن أقبل هممكم وهواكم من كان همهم وهواهم فى محبتي كان صميمته عندي تغد يساوت سبجاً و قاروا عن محمد بن سعيد الخوارزمي قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة قال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وان لا تخاف فى الله لومة لائم مع العطف المؤمنين والغلظة على الكافرين واتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وعن أبي زيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

من الشوق والهوى صيرانى كاترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والانس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق

من يحبه الله عز وجل فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجدا أو راكعا فان عجز عن ذلك استروح الى ذكر اللسان والثناء فان عجز استروح الى ذكر القاب والتفكير فاما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاء كسخاء البحر وشهقة كشهقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض وعن يحيى بن معاذ الرازي قال المحبة لا تصح الا من جهة المحبوب وليس من أحب يحبه وعن ابراهيم بن علي المديني قال من المحال أن تعرفه ولا تحبه ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ولا يشغلك به عن سواه وعن سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول من علامة الحب ترك ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله وحده وقال يحيى بن معاذ حقيقة الحب أن لا يرى شيأ سوى محبوبه ولا ترى سواه لك ناصرأ ولا معينأ ولا تستغنى بغيره عنه وعن وهب بن أبي حفاظ الأثبي قال قال لي راهب من الرهبان اذا استقرت المحبة في القاب ذهل عن الاهل والولد وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت راهبا في درخا يقول للحسن بن شاذب لا يكون الحب لله محبا حتى يحبه بكل الكمل فصاح الحسن بن شاذب وعن محمد بن أحمد المهدى قال سمعت علي بن الموفق مالا أحصيه وهو يقول اللهم ان كنت تعلم اني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت تعلم اني أعبدك حبا مني لجناتك وشوقا اليهم فأحرمنيها وان كنت تعلم انما أعبدك حبا مني لك وشوقا الي وجهك الكريم فأحجبني مرة واصنع بي ما شئت وقال ضيغم الجلاب ان حبه شغل قلوب مرديه عن التاخذ بمحبة غيره فليس لهم في الدنيا مع حبه لذة ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكثر عندهم من النظر الى وجهه وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذي النون قال من قتلته عبادته فدينه جنته ومن قتلته الشوق فدينه النظر اليه وعن عبد الله بن سهل قال سمعت يحيى بن معاذ يقول كم بين من يريد الوليمة للوليمة وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقي الحبيب في الوليمة ودخل سفيان الثوري على رابعة فقالت له يا سفيان ما تعدون السخاء فيكم قال اما عند أبناء الدنيا فالذي يجود بماله وأما عند أبناء الآخرة فهو الذي يجود بنفسه فقالت يا سفيان أخطأتم فهم افعال في السخاء عندك رجل الله فقالت ان تعبدوه حباله لا تطلب جزاء ولا مكافأة ثم أنشأت تقول

لولاك ما طابت الجنان ولا * طاب نعيم الجنة الخلد

قوم أرادوك للجنان فنا * لوها وقلبي سواك لم يرد

وعن ابراهيم بن الجنيد حدثنا سمعنا عبد الرحمن الكوفي وكان من العباد قال لقيني به لول الجنون يوما فقال لي أسألك قال قلت سل قال أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قال هذا السخاء في الدنيا وفي السخاء في الدين قالت المسارعة الى طاعة السيد قال فتر يد منه الجزاء قلت نعم بالواحد عشرة قال هذا في الدين فبيع ولكن المسارعة الى طاعة سيدك أن لا يطالع على قلبك وأنت تريد منه شيأ سواه وعن جامع بن أحمد قال سمعت يحيى ابن معاذ يقول العارفون رجالا من رجل مسرور بانه عبده ورجل مسرور بانه ربه فالاول يفرح بالله من نفسه لنفسه والآخري يفرح بالله من الله الله وقال هذا سرور الخبير فكيف سرور النظر وعن علي بن محمد بن حاتم قال سمعت الجنيد يقول بت ليلة عند السري فلما كان في بعض الليل قال يا جنيد أنت قائم قلت لا قال الساعة أوقفني الله بين يديه وقال يا سري لم تدرى لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق فادعوا كلهم في وادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بهم من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقي ألف خلقت الجنة فاشتغل من الالف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة فسلطت عليهم شيأ من البلاء فاشتغل عني بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة فقلت لهم ما أنتم لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتهم ولا من البلاء هربتم فقالوا فانك لتعلم ما تريد فقال اني أتزل بكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسي فتنبهون لذلك قالوا ألسنت الفاعل بنا قدر ضينا قلت فأنتم عبدي حقا وسئل يحيى ابن معاذ عن أشهى المجالس والذها قال الجلوس في ميدان التوحيد يشم من رائحته المعرفة ويسقي من كأس المحبة سبحان الله ما أله من مجلس وأعذبه من شراب قيل فاي الطعام أشهى قال لقمة من ذكراته عز وجل في فم الصبي بتوحيد الله إرفعهما من مائدة الرضا عن الله عند النظر لكرامة الله تعالى قبل فم عبيد المؤمنين قال

السرور بالايمن والنزعة بالقرآن قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال السري السرور بالله هو السرور والسرور بغير الله هو الغرور وعن أويس الاعور قال رأيت رجلاً مجنوناً يلهو تدهو وتقول في دعائها أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وعيت عينان لا يبكيان شوقاً اليك وجئت كفان لا يبتلان بالتضرع اليك ثم أنشأت تقول

يا حبيب القلوب أنت حبيبي * لم تزل أنت مني وسروري

وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول كنت في الطواف فرأيت ولهاً من المحنون وهو يقول حبك قتلتني وشوقك أثلقتني والاتصال بك اسقمي فبعت قلوب تحب غيرك وتلك خواطراً أنت بسؤالك وقال ذو النون الانس بالله نور ساطع والانس بالناس سم قاطع وقال صالح المري رأيت رجلاً مجنوناً وقد كتبت من وراء جيبها

أنت أنسى ومنيتي وسروري * قد أوى القلب أن يحب سواك

يا عز رزي ومنيتي واشتياقي * طال شوقي متى يكون لقاءك

ليس سؤلي من الجنان نعمي * غـ يراني أريد لها لاراك

وإذا على صدر جيبها مكتوب

حسب المحب من المحب بعلمه * ان الحبيب بيباه مطروح

والقلب منه ان تنفس في الدجا * بسهام لوعات الهوى مجروح

وعن علي بن سهل قال الانس بالله ان يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله فان الانس بهم هو الانس بالله تعالى وقال الفضيل كفي بالله محباً بالقرآن وتساو بالموت واعطاك في خشية الله علماً وبالاعتزاز بالله جهلاً وعن ابراهيم الخواص قال لا تطمع في لبن القلب مع فضول الكلام ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشوق ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالخلق وقال منصور بن عبد الله الاصمعي سئل الشبلي ما علامة صحة المعرفة قال نسيان كل شيء سوى معروفه فقيل ما علامة صحة المحبة فقال العجى عن كل شيء سوى محبوبه وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن قتادة يقول سمعت علي بن عبد الرحيم وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال الحب لئلا تغمي عن رؤية غير المحبوب فاذا تناهى سمي عشقاً وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول الشوق أعلى البرجات وأعلى المقامات اذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقاً الى ربه وحبال لقائه والنظر اليه وقال أبو عثمان في قوله تعالى ان أجل الله لآت هذه تعزية للمشتاقين معناه اني أعلم ان اشتياقكم الى غالب وانى أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشاقون وعن عبيد الله بن مسلم قال قال مالك بن دينار خرجت يوماً الى المقابر فاذا شابان بالسان يكتبان شيئاً فقلت لهما نشدتكما الله أن أمان كنتمما فقالا لا فسط مالك مغشياً عليه ثم أفاق فقال نشدتكما بالله ما كنتمما في أسفل سطر مالك بن دينار طفيلي يحب المحبين لله فلما كان الليل أتيت في منامي فقال قد كتبت فيهم المرء مع من أحب وقال أبو علي الجوزجاني ثلاثة أشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة فزيادة الخوف في ترك الذنوب لرؤية المحبوب وزيادة الرجاء في اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة في كثرة الذكر لرؤية المنفعة الخائف لا يستريح من الهرب والراجي لا يستريح من الطامع والمحبة لا تستريح من ذكر المحبوب فالخوف نار منور والرجاء نور منور والمحبة نور الانوار وقال أبو الحسن الوراق المحبة شعبة من الايمان بالله وهو أصل الجميع مراتب الاولياء وقال تشعب المحبة من دوام ذكر احسان الله في ذكر على الدوام احسان الله اليه تنسرح المحبة عن قريب وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فقال كيف لا يحبهم وما انفكت من تواتر نعمته قط ولا تنفك أبداً ولكن ضعف اليقين وكثرة المعرفة ونقص الايمان بحبك عن محبته والميل اليه وقال أبو سعيد الخزاز في هذا الحديث واعجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يحبل بكليته اليه وقال أبو عمر والزهري سألت الجنيدي عن المحبة قال تريد الإشارة قلت لا قال

تريد الدعوى قلت لا قال فايش تريد قلت عين المحبة قال ان تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده وعن بشر بن السري قال ليس من اعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سالم بن الداراني بم نال أهل الجنة المحبة من الله عز وجل قال بالعفاف وأخذ الكفاف وقال أبو عبد الله النباجي سال رجل الفضيل متى يباغ الرجل غاية حب الله قال اذا كان عطاؤه اياك ومنعه سواء وقال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شياً من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة وقال بعض القراء رأيت عتبة الغلام ذات ليلة فسال يقول حتى أصبح ان تعذبني فاني محب لك وان ترجني فاني محب لك وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي وسئل عن المحبة فقال مالك الى الشئ بكيتك محبة له ثم اشارك له على نفسك ومالك ثم موافقت له سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبك وفيما قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي قال وقال قوم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب قال وسئل روي عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قال لي ميت من سمعوا طاعة * وقلت لداي الموت أهلاً ومرحباً

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سئل الحسن البوشنجي عن الحب فقال بذل المجهود مع معرفتك بالمحبوب والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء وقال أبو عبد الله المغربي تفكر ابراهيم عليه السلام ليلة من الليالي في شأن آدم عليه السلام فقال يارب خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملائت أقواه الناس حتى يقولوا وعصى آدم ربه فآوى الله اليه أن يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديد وقال وهيب أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك غير انه ليس لك عندي ذلك الوالد الذي كان وقال سعيد بن عثمان بن عباس سمعت ذا النون وقد قيل له متى يانس العبد ربه فقال اذا خاف أنس ربه أما علمت انه من واصل الذنوب نجى عن باب المحبوب وقال أيضاً ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا اليه ما رجعوا فازهد في الدنيا ترا العجب وقال أيضاً وجدت حجرة بيت المقدس عليها أسطر مكتوبة فبحثت الى من ترجمها فاذا هو كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل ففكرت في هذه فاذا هي أصول لكل ما استعبد الله الخلق به وقال أحمد بن عيسى الكلابي سمعت يحيى بن معاذ الرازي ينشد

ان المليك قد اصطفى خداماً * مشوّد دين موصلين كراماً * ورزقوا المحبة والخشوع لربهم
فترى دموعهم تسبح سبحاناً * يحبون لباهم بطول صلاتهم * لا يسأمون اذا انجلي ناماً
قوم اذا رقد العيون رأيتهم * صفوا الشدة خوفهم أقداماً * وتخالهم من طول سجودهم
يخشون من نار الاله ضراماً * شغفوا بحب الله بطول حياتهم * فتجنّبوا لوداده الاثاماً

وقال الجنيد قال رجل للسري كيف أنت فأنشأ يقول

من لم يبيت والحب خشوفاً * لم يدرك كيف تفتت الاكباد

وقال محمد بن العباس الضبي سمعت أبا بكر بن أبي عثمان يقول وقام في مجلسه رجل من أهل بغداد فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه قال اذا خلعت خلفه كان صادقاً في حبه قال فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح فقال كيف ادعى حبه ولم أخل طرفه عين من خلفه قال فيكي أبو عثمان وأهل المجلس قال فجعل أبو عثمان يبكي وهو يقول صادق في حبه مقصر في حقه اه سياق الشعب وقد تركت منه كثيراً مما أوردته في أثناء كلام المصنف وفي كطب مصارع العشاق لابي محمد السراج في مصارع محبي الله عز وجل أنبأنا أبو القاسم الأزجى سنة ٤٤٠ أنبأنا أبو الحسن علي بن جعفر السيراني بحكمة قال حكى عن الجنيد انه قال أعرف من قتلته المحبة ولم يعرف المحبة فقلنا يقول الشيخ فقال قتله ما تحب فيه أخبرنا أبو القاسم الأزجى أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جهضم بحكمة سنة ٣٩٦ سمعت أحمد بن محمد يقول كان سهل يقول الناس ثلاثة صنوف صنف منهم

مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابيه ينتظر الكرامة وصنف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابيه ينتظر العفو وصنف منهم مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابيه ينتظر العقوبة حدثنا أبو القاسم الأزجي حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة حدثنا محمد بن عبد الله الشكلى حدثني محمد بن جعفر القنطري قال ذوالنون بينا أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها طمار شعر واذا هي ناحية ذابلة قد نوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاخران بالاشجان وعصفت الريح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت بحثت ثم قالت سيدى بك تقرب المنقربون فى الخلوات ولعظمك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات والجلال قد سلك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى القهار

يامؤنس الاررار فى خلواتهم * ياخير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متبها * فرح الفؤاد متبها بابها
من ذاق حبك لا يرى متبها * فى طول حزن فى الحشا اشعال

فقلت لها زينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك جبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحبيب حتى أراك
فما الجدى ذاولا ذاك لى * ولكن لك الجدى فى ذاولك

ثم شغقت شهقة فاذا هي قد فارقت الدنيا فبقيت أتعب بما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها الى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فقدمت وصليت عليها وهن خافى ثم احتملنها ومضين وأنشد محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ

أموت بدائى لا أصيب مداويا * ولا فرجا مما أرى من بلائيا
إذا كان داء العبد حب مليكة * فمن دونه يرجو طبيب ما مداويا
مع الله يمضى دهره مثل هذا * مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحيى جن من بعد صحة * وما بى جنون بى خلى لى ما بيا

أخبرنا القاضي أبو الحسن التوزى أخبرنا بن يحيى حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال نظرت رابعة الى رباح القيسى وهو يقبل صبيما من أهله ويضمه اليه فقالت أتجبه يا رباح قال نعم قالت ما كنت أحسب ان فى قلبك موضعافارنا المحبة غيره قال فصاح رباح وسقط مغشيا عليه ومن طريق أبي القاسم بن مروان سمعت أحمد بن عيسى الخزاز يقول دعتنى امرأة لى غسل ولدها ذكرت انه أوصى بذلك فلما كشفت عنه الثوب قبض على يدي فقلت يا سبحان الله حياة بعد موت فقال ان المحبين لله تعالى أحياء وان قبرا ومن طريق الحسين بن علي بن يحيى بن سلام قال قىما ليحيى بن معاذ زوى عن رجل من أهل الخبر قد كان أدرك الاوزاعى وسفيان انه مثل متى تقع الفراسة على الغائب قال اذا كان محبا لما أحب الله مبعضا لما أبغض وقصت فراسته على الغائب فقال ليحيى

كل محبوب سوى الله سرف * وهجوم وغموم وأسف
كل محبوب فعنه خلف * ما خلا الرحمن مامنه خلف
ان للحب دلالات اذا * ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه * دائم الغصة محزون دنف

أشعث الرأس خيصر بطنه * أصفر الوجه والطرف ذرف
 دائم التذكير من حب الذي * حبه غاية غايات الشرف
 فاذا أمعن في الحب له * وعلاه الشوق من داء كنف
 بأشر المحراب يشكو به * وإمام الله مولا وقف
 قائما قدما منه متصبيا * لهجائيتا لوبايات الصنف
 راكعا طور او طور اساجدا * باكا والدمع في الارض يكف
 أورد القلب على الحب الذي * فيه حب الله حقا فعرف
 ثم جالت كفه في شجر * ينبت الحب فسبح واقتطف
 ان ذا الحب لمن يعنى له * لالدار ذات لهو وطرف
 لا ولا الفردوس لا بالفها * لا ولا الحوراء من فوق عرف
 أخبرنا أبو الحسن بن النوري حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي حدثني علي بن أحمد بن جعفر قال أنشدنا ابن فراس
 لسمنون الحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
 فلما دعا قلبي هوذا أجاهه * فليست أراه عن فتائل يبرح
 رميت بين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
 فان شئت واصلني وان شئت لم تصل * فليست أرى قلبي لغيرك يصلح
 أخبرنا أبو بكر الخطيب حدثنا الحسن بن أبي بكر قال ذكر أبو عمر الزاهد أن سمنون الحب أنشده
 يامن فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه معروف
 يا حسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن اليك معروف
 أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم أنشدني عثمان بن محمد العثماني أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي
 لسمنون
 ولو قبل طأفي النار اعلم انه * رضالك أو مدنت لئامن وصالكا
 لقد مت رجلي نحوها فوطئتها * سرور الافي قد حطرت ببالكا
 أخبرنا أبو بكر الأرستاني أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال قال منصور بن عبد الله دخل قوم على السبلي في
 مرضه الذي مات فيه فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول

ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرضا فساووه فديته * لم تعنى لحرشا
 أخبرنا عبد العزيز بن علي أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني بكهنة حدثني محمد بن ابراهيم الاصمعياني بطرسوس
 سمعت أبا طالب يقول كنت مع سمنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقناديل معلقة فرأيت القناديل تشقق بعضها
 بعضها حتى تكسرت وقال جعفر الخاردي حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله
 ابن الفرج العباد قال قلت لأبي اسمعيل الموصلي وكان نصرانيا قد أسلم على يدي فخرج الموصلي وحسن حاله أخبرني
 ببعض أسرار فبكي ثم قال أنحسبك عنه كان والله كهيئة الرمانين معلق القلب هناك ليست له في الدنيا راحة
 قلت على علي ذلك قال شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه فنظرت الى الدخان
 يهوى من نواحي المدينة فبكي ثم قال لقد قرب الناس فبانهم شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب
 ثم سقط مغشيا فحنت بجماء فمسحت به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه الى السماء ثم
 قال قد علمت طول غمي وخزي وتردادي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسن أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فحنت بجماء
 فمسحت به وجهه فافاق فهاهنا بعد ذلك الاياما حتى مات رحمه الله تعالى اه وقال القشيري في رسالته في باب
 المحبة فاما آقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ايشار المحبوب على جميع

المحجوب وقيل مواطاة القلب اراد ان الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال أبو زيد المحبة استغلال
الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن
المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار به هذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون
الغالب على قلب المحب الا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والاحساس بها وقال أبو علي
الروذباري المحبة الموافقة وقال أبو عبد الله القرني حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقال
السبلي سميت المحبة محبة لانها تخرج عن القلب ما سوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام
سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت السبلي يقول المحبة أن تغار على
المحجوب أن يحبه مثلك وسميته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة
فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول وسميته يقول سمعت النصر باذى يقول محبة توجب حقن
الدماء ومحبة توجب سفك الدماء وسميته يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفر ايقول سمعت
سمعون يقول ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم
مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالحقاء ولا يزيد بالبر وقال ليس بصديق من ادعى محبته
ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط شروط الادب وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد

اذا صلت المودة بين قوم * ودام ولاؤهم سمع الشاء

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الارجاني يقول سمعت بندار بن الحسين يقول روي مجنون بن عاصم
في المنام ف قيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني محبة على المحبين سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قيل
لنصر باذى ليس لك من المحبة شيء فقال صدقوا ولكن لي دسراهم فهو داء احترق فيه وسميته يقول قال
النصر باذى المحبة في مجانبة السوء على كل حال ثم أنشد

ومن كان في طور الهوى ذاق سآوة * فاني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء تلقى ممن وصالها * أمانى لم تصدق كل كلمة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب ويقال المحبة تشويش في القلب يقع من
المحجوب ويقال المحبة فتنة تقع في القواد من المراد وأنشد ابن عطاء

غرست لاهل الحب غصنا من الهوى * ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصانا وأينع ضوءه * وأعقب لي مرا من الثمر المحلى

فكل جميع العاشقين هواهم * اذا نسبوه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب أوله نخل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك للنبي يعنى
وبهم فقال يعنى عن الغير غيرة وعن المحجوب هبة ثم أنشد

اذا ما بدالى تعاطفته * فاصدر في حال من لم يرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول
سمعت الحارث المحاسبي يقول المحبة يلك الى الشيء بكائيتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك
له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وسميته يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت عباس بن عصام يقول
سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصنع المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد لا آسرا أنا وقيل المحبة نار
في القلب تحرق ما سوى مراد المحجوب وقيل المحبة بذلك الجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النوري المحبة
هتك الاستار وكشف الاسرار وقال أبو يعقوب السوسي لا تصنع المحبة الا بالخرج عن رؤية المحبة الى رؤية
المحجوب بقائه علم المحبة وجدته بخط الاستاذ أبي علي ان في بعض الكتب المنزلة ان الله يقول عبدى أنا وحقق
لك محب فبحق عليك كن لي محبا وقال ابن المبارك من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع

وقيل المحبة ما يمتحق أن ترك وقيل المحبة سكر لا يصحوصاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود
لا يوصف وأنشدوا فاسكر القوم دور كاس * وكان سكرى من المدير
وكان الاستاذ أبو علي ينشد كثيرا

لى سكرتان وللذمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى
وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام وكان للاستاذ أبي علي جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت
تخدمه كثيرا فسمعه يقول كانت فيروز تؤذيني يوما وتستطيل على لباسها فقال أبو الحسن القارى لم تؤذيني
هذا الشيخ فقالت لاني أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب
وحكى ان بعضهم عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى
فغمض التي لم تدمع أربعين سنة لم يفتحها عقوبة لانها لم تبك على فراق حبيبته وفي معناه أنشدوا

بكت عيني غداة البين دمعاً * وأخرى بالبكاء بخلت علينا
فعاقت التي بخلت بدمع * بان أنغمضتها يوم التقينا
وقال بعضهم كلما ندنى النون المصرى فنذاكرنا المحبة فقال كفوا عنى هذه المسئلة لأن سمعها النفوس فتدعيها
ثم أنشأ يقول الخوف أولى بالمسئى * اذا ناله والحرزن
والحب يحمل بالتقى * وبالنقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعى وقيل ادعى رجل الاستهلال في محبة شاب فقال له
الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجهها وأتم جلالا فرفع الرجل رأسه يلهث وكان على سطح فألقاه من
السطح وقال هذا جزاء من يدعى هو أنا وينظر الى سوانا وقال أبو بكر البكائي حوت مسئلة في المحبة بمكة أيام الموسم
فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم
قال عمدا ذهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا مشر به
من كائن وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فبالله وان تحرك فبأمر الله وان
سكن فمع الله فهو بالله والله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا امر يدجرك الله يا تاج العارفين وقال أوحى الله
الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى أخبرنا حزة بن يوسف السهمي
أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم حدثنا هشيم بن همام حدثنا إبراهيم بن الحرث حدثني عبد الرحمن بن عفان حدثني
محمد بن أيوب حدثني أبو العباس خادم الفضيل قال احتبس بول الفضيل فرفع يده وقال اللهم بحبي لك ألا طلقته
عنى قال فصار حنا حتى شفى وقبل قالت رابعة في مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فتهفبها هاتف ما كفا
نفعك هكذا فلا تطنى بناطن الدوم وقيل الحب حرفان عامو باء فلاشارة فيه ان من أحب فليخرج عن روحه وبدنه
وبالاجتماع من اطلاق القوم ان المحبة هي الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقاب والمحبة توجب انتفاء
المباينة فان الحب أبد مع محبوبه سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت
أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أباحفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة أشياء فسق العارفين وخيانة
المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين اطلاق الطرف والاسان والسمع الى أسباب الدنيا ومنافعها
وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورويتهم
يغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته هذا ما أوردته في باب المحبة وقال في باب الشوق سمعت الاستاذ أباعلى يفرق
بين الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء وفي معناه أنشدوا

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتافا
سمعت أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت النضر باذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق
ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وقيل جاء أحمد الاسود الى ابن المبارك فقال رأيت

في المنام كأنك تموت الى سنة فاستعد للخرج فقال ابن المبارك لقد أحلستنا على أم عبد أعيش أنا الى سنة
لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقي يعني أبا علي رحمه الله تعالى
يا من شكك شوقه من طول فرقه * اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح من الشهوات سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول خرج داود
عليه السلام يوما الى بعض الصحاري منفردا فأوحى الله اليه مالي أراك وحدانيا فقال استأثر بالشوق الى لقاءك
على قلبي فخال بيني وبين صحبة الخلق فأوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتني بعبد أبق أثبتك في اللوح
المحفوظ جهنما وقيل كانت عجوز قدم بعض أفاريها من السفر وأظهر قومه السرور والعجوز تسكى
فقبل لها وما يبكيك قالت ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله عز وجل وسئل ابن عطاء عن
الشوق فقال احتراق الاحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأضداد وسئل أيضا الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان
الشوق منها يتولد وقال بعضهم للشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسبح على الملهقة فاذا وقع اللقاء طفي وإذا كان
الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقال فارس فلو لم يستأقن منورة بنو الله فاذا تحرك
اشتباقتهم أضاء النور ما بين السماء والارض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى
أشهدكم اني اليهم أشوق وسمعت الاستاذ أبا علي يقول في قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقاءك
قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق في الناس فاذا كان يكون ذلك الجزء أيضا فغاران
يكون شطبة من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أنهم من شوق المحبوبين ولهذا قيل
وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وقيل ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهادة سمعت
ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت جعفر ايقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول
الشوق أجل مقام العارف اذا تحقق فيه واذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عن اشتاق اليه وقيل أوحى
الله الى داود عليه السلام قل لشبان بني اسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق اليكم ما هذا الجفاء سمعت
الاستاذ أبا علي يقول بكى شعيب عليه السلام حتى عوى فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عوى فرد الله عليه بصره ثم
بكى حتى عوى فأوحى الله اليه ان كان هذا البكاء لاجل الجنة فقد أبغتهالك وان كان لاجل النار فقد أعدتلك منها
فقال لا بل شوقا اليك فأوحى الله اليه لاجل ذلك أخذ منك نبي وكليمي عشر سنين وقيل من اشتاق الى الله اشتاق
اليه كل شيء وفي الخبر اشتاقت الى ثلاثة علي وعمار وسلمان وسمعت الاستاذ أبا علي يقول قال لنا بعض المشايخ
أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حرة سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن
فرحان يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من أي شيء يكون بكاء المحب اذا ألقى المحبوب فقال انما يكون ذلك
سرور به ووجدا من شدة الشوق اليه ولقد بلغني ان أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر
وواجهه فهذا ما يتعلق بالشوق وقال في باب الرضا ما نصه قد تكلم الناس في الرضا وكل عبر عن حاله وشربه فهم
في العبارة عنه مختلفون كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فاما شرط العلم والذي هو لا بد منه فالراضي
بالله هو الذي لا يعترض على تقديره سمعت الاستاذ أبا علي يقول ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء انما الرضا ان
لا تعترض على الحكم والقضاء وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا سمعت الاستاذ أبا علي
يقول قال تلميذ لاستاذ هل يعرف العبد ان الله راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاء غيب فقال التلميذ يعلم
ذلك فقال كيف قال اذا وجدت قلبي راضيا عن الله علمت انه راض عني فقال الاستاذ أحسنت يا غلام وقال
النصر ياذي من أراد ان يباغ محل الرضا فليزج ما جعل الله رضاء فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين رضا
به ورضاء عنه فالرضاء مدبرا والرضاء عنه فيما يقضى وسمعت الاستاذ أبا علي يقول طريق السالكين أطول
هو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو ان يكون ذلك بالرضا والرضا بالقضاء وقال رومي

الرضا ان لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل ان يحولها الى يساره وقال الواسطي استعمل الرضا جهنم ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجور بالذنه ورويته عن حقيقة ما اطالع أي لان السكون عندهم الى الاحوال محجوب عن محو الاحوال فاذا استلذ رضاه وجد بقلبه راحة الرضا فيجب بحاله عن شهود حقه واقد قال الواسطي أيضا يا كرم واستحلاء الطاعات فاتهم سبهم قاتله وقيل قال الشيبلي بين يدي الجنة دلا حول ولا قوة الا بالله قال الجنة يد قولك ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء وقال أبو سليمان الرضا ان لا تسأل الله الجنة ولا تستعذب به من النار وقال ذو النون ثلاثة من اعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب في حشو البلاء سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول سمعت اسمعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبردي يقول قيل للحسين بن علي بن أبي طالب ان اباذر يقول انظر أحب الي من الغنى والسقم أحب الي من الصحة فقال رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يمتن غير ما اختار الله له وقال أبو عروء الدمشقي الرضا ارتفاع الخزع في أي حكم وقال ابن عطاء الرضا انظر القلب الى قديم اختيار الله لعبده وهو ترك الخط والروم الرضا استقبال الاحكام بالفرح وقال المحاسبي الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام وقال النوري الرضا سرور القلب بمر القضاء وقال الجري من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقال أبو تراب النخشي ليس ينال الرضا من الدنيا في قلبه مقدار وقال أبو عثمان الجري منذ أربعين سنة ما أفمنى الله في حال فكرهته وما تفتني الى غيره فسخطته اه ما قاله القشيري في الرسالة ومما نقلته من كتاب قوت القلوب قال الرضا هو حال الموفق واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا نذب النبي صلى الله عليه وسلم لم ابن عباس في وصيته له فقال اعمل بالله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعته الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال لابن عمر عبد الله كائنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك نذبه الى المشاهدة وهو الاحسان ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهو مكان العلم بان الله تعالى براه وايس بعد هذا مكان يوصف وكان سهل يقول أعرف في الموتى مقبرة عظيمة ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم وبعدي عليهم وراح برزقهم من الجنة وهم في هموم وكر وب في البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لما تواجدوا جميعا قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقال لقمان في وصيته ومن يفوض أمره ورضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه اكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره من الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الامور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شيء من اغتيابه بمقامه من ربه وفرحه بقيام الله مولاه عليه واستسلام الفعل للمولى في كل ورضاء منه بآذني شيء وتسليمه الاحكام والقضايا باعتماد حسن التدبير وكال التقدير فيها وتسليم العبد لمولاه ما في يده رضا بحكمه عليه وأن لا يشكو السيد الكريم الى العبد اللئيم ولا يتبرم به بل الحبيب ولا يفقد في كل شيء حسن صنع القريب وذكر عند رابعة رجها الله تعالى عابده عند الله تعالى منزلة وكان قوته ما ينقسم من ضربه لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فاضر هذا اذا كانت له منزلة أن يسأله فيجعل قوته في غير هذا فقال له اسكت يا بطال اما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه أن يتخيروا عليه أن ينقلهم من معيشته حتى يكون هو الذي يختار لهم وقد قال أيضا وليس القرني رحمه الله تعالى فيمار ويناه عنه وقال الامام قال الى أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعنا ما عصانا وقال الله تعالى في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة وحكي لئان بعض العارفين بحبه رجلي في الطريق فعبث بشئ فتجاء عن مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحدثت في الملائكة غير ضرورة ولا سنة لا تعجبني أبدا وأعمال طلاب الرضا من الله تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبع مائة ضعف وتضعف طالبي الرضا لا يحصى قال الله عز وجل يضاعف ابن يساعو قال تعالى فيضاعف له أضعاfo كثيرة قبل الحسنة الى ألف حسنة وقد قال الله

تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال وهو
أصدق القائلين مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة فيكم في هذه
الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم يضاعف لمن يشاءهم أهل الرضاعة وهم الذين اقترضوا
الله قرضاً حسناً لاجله فضاعف لهمضاعف كثيرة وهم الذين يغفر لهم لاجله دخلوا في قوله تعالى يغفر لمن يشاء
فمن عقل عن الله تعالى حكمته كان مع الله في حكم مسأله ما شهد لانه تعالى باختيار انشاء الاشياء وبمشيئته
بدأها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور ولا يكون مع نفسه فيمات هو ولا مع معتاده وعرفه فيما
يعقل وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة اني كثير الغفلة قليل المسارعة الى مرضاته فافوض بشئ
أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا فقال يا أخي ان استطعت أن تحبب الى أولياء الله وتقرّب من قلوبهم فافعل
لعلهم به يحبونك فان الله ينظر الى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظرة فلعله ينظر اليك في قلوبهم لمحبتهم لك
فيحبوك حياة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحاً وكذلك يقال ان الله تعالى ينظر الى قلوب
الصدقين والشهداء ف هؤلاء الذين عرفوه به اقرّبهم منهم ولدوام نظرهم اليه فهو وجههم ثم ينظر الى
قلوب قوم من قلوب قوم آخر ف هؤلاء الذين عرفوه بهم وأحبوه من محبتهم فهم وجههم اليه وأدلتهم عليه
فيعطهم نصيباً من نصيبهم كما أعطاهم شهادة ووجدان علمهم ورويان عن بعض الجبارية من العناية في فرط
كرم الله وغاية حلمه ان جباراً من الملوك قطع رعيته سنين فسكوا ذلك اليه فخرج بهم الى الصحراء فرفع رأسه
الى السماء وقال يا ساكن السماء اتسقين الغيث أو لنؤذيك فقال له وزراؤه كيف تؤذيه وهو في السماء
وأنت في الارض فقال اقل أولياءه من أهل الارض فيكون ذلك أذى له فارسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه
وجوده ومن حسن الادب والمعاملة اذا عملت صالحاً فقل أنت استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك
أطعك لان جاري جنودك واذا عملت سيئاً فقلت ظلمت نفسي وهو اى وشهو في اجترحت بجوارحي وهي
صفاتي ثم تعتقد في ذلك انه بقدره ومشيئته كان ما قضى فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون
في الحالين عاملاً مرضيه بالقول والعقود وينتفي عنك العجب في أعمالك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك
بظلمك وقد تغلب هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسناً شهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فاذا عمل سيئاً لم
يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبه ولم يرض له عمل نعوذ بالله من مشاهدة الضلال هذا
ما أورده في باب الرضا وقال في احكام المحبة ووصف أهلها اعلم أن المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق
تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لحسن أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسة أو ليقرّب ذلك الى الله
تعالى فهذه حدود الشئ الذي شبه الشئ والله تعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشئ منه اذ ليس كمثل شئ في كل
شئ ولان هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخله وقد تتغير لتغير
الاوراق وتقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله تعالى سابقة للاسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن
عناية العلياء لا تتغير أبداً ولا تنقلب لاجل ما بدأ القول تعالى ان الذين سبق لهم من الحسنى يعنى الكلمة الحسنى
وقبل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكلمه عالمين وقال لهم قدم صدق عند ربهم وقال في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا
يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه به منهم علم لان علمه سبق العلوم ومحبة
لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم ينتهى مع ذلك خاصية حكم من أحكامه من يمد من فضل اقسامه خالصة
لخالصين وموزنة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤل الى مقعد صدق عند صادق للسالكين ليس لذلك سبب
معمول ولا لاجل عمل معمول بل يجري مجرى سر القدر واطف القادر وافشاء سر القدر وكفر فلا يعلمه الا نبى أو
صديق ولا يطلع عليه من يظهر وما ظهر في الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب
من أولى الالباب وانما هي تبصرة وذكرى للمنيبين وتزودو بلاغ للعابدين وانما تستبين المحبة وتظهر

للعبد بحسن توفيقه وكلاعة عصمة مولائهم تعاليمه من غرائب علمه وخفايا عظمته وفي سرعة رد هم اليه في كل شيء ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شيء وكثرة استعمالهم بحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صلواته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسرارهم وقبوحه لافكارهم عن بواطن انعامه واستخراجهم منهم خالص شكره وحقيقة ذكره من عين اليقين فهذه طرقات المحبين له عن تشويق اطلاعهم بالحجة مزبذبات من المحب الأول وهو الله سبحانه لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته وأحققيقة علم بهب له كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله عليهم بالله لقد ترك الله علينا ثم قالوا وان كنا خاطئين فذكر واسالف خطايانا هم وأنه آثره بمالم يؤثرهم وقال الله تعالى في موهبة له آتيناها حكموا علما وكذلك تجزي المحسنين فذكر ما سالف من احسانه لآثره وذكر بعض من ينتمى الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرايت هذا الذي تذكر محبته اهتمت بسواه قال نعم قال فهل رأيت في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني استحيي لآخذ بترك ان محبتك معلولة ختم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك قال لكن أعرف من لا يدعى محبته وعلى ذلك ما أهتم بسواه منذ عرفه ورعباراه في ليلة سبع مرات وانما لم يهتم المحب بسواه من قبل انه لا ينسأه فكيف يذكره من لا ينسأه بل هو منذ كوربذا كرا لا ذا كرا بتد كبير أوتد كروهنا افضح المدعون وانكشف المستورون ان اهتم بغيره فقد نسبه والحبيب لا ينسى لانه لازم لهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والسموع وهو الشاهد والمشهد وهو الواحد والوجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعا * موضع فارغ غير الحبيب

وهو سقمى وصحنى وشغافى * وبه العيش ما حبيت يعايب

فن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح فمحال أن ينسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف يحول بغيره اللهم كيف وقد روينافي الخبر المناق لا يد كرحتى يد كرواذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود اذا قرئت عليهم التوراة مادوا لها فاذا رفعت لم يكن وراء ذلك شيء اه ما في القوت

* (فصل) قد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب ان المحبة ثمرة المعرفة فلزم أن ننسكهم على مقام المعرفة ونذكر آفاقا ويل الشيوخ فيه وقد ذكر صاحب القاموس منها جملة في كتاب البصائر والقشيري في الرسالة فلندكر سياق البصائر أولا فانه مشتمل على أكثر ما أورده القشيري مع زيادة توضيح وبيان فاقول قال صاحب البصائر الفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبيه ومقتضاه فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاقها وقواطعها وحال مع الله يشهد له بالمعرفة فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملاته ثم أخلص له في قصوده ونياته ثم انسب من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تظهر من أوساخه وادارانه ونخالقاته ثم صبر على أحكامه في نعمه وبلباته ثم دعا الله على بصيرة بدينه وإيمانه ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشهد بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ولم يزن بها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة واذا سمى به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تسكوا في المعرفة بآثارها وشواهد هافة قال بعضهم من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة فن ازدادت معرفته ازدادت هيبة وقال أيضا المعرفة توجب السكينة وقيل علامتها أن يحس يقرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريبا منه قال الشبلي ليس لعارف علاقة ولا لمحبة شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف فرار ولا لاحد من الله فرار وهذا كلام جيد فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بغيره فلا يتبقى فيه علاقة بغيره ولا تتر به العلائق الاوهى مجتازة وقال أحمد بن عاصم من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ويدل على هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم لله خشية وقال آخر من عرف الله ضاقت عليه الارض بسعتها وقال غيره

من عرف الله اتسع عليه كل ضيق ولا تنافي بين هذين الكلامين فإنه يضيق عليه كل مكان لا تساعه فيه على شانه ومطلوبه ويتسع له ماضق على غيره لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه فقلبه غير محبوس فيه والاول في بداية المعرفة والثاني في غايتها التي يصل اليها العبد وقال آخر من عرف الله تعالى صفاته العيش وطاب له الحياه وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخاوف وأنس بالله قال غيره من عرف الله فرت عينه بالله وقرت به كل عين ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه وعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي دعى الى الايمان به فعلى قدر جلاء تلك المرآة يترأى له فيها سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل كما قبل

اذا سكن الغدير على صفاء * فيشبهه ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء بالامراء * كذا الشمس تبدو والنجوم
كذا قلوب أرباب التجلي * يرى في صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة أن يبدو لك الشاهد وتفنى الشواهد وتنجلى العلائق وتنقطع العوائق ويجلس بين يدي الرب ويقوم ويضطجع على التأهب للقائه كما يجلس الذي قد شد أجماله وازمع السفر على تاهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ومن علامات العارف ان لا يطلب فلا يخاصم ولا يعاقب ولا يرى له على أحد حق وان لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت لانه ينظر في الأشياء بعين الفناء والزوال وانها في الحقيقة كالظلال والخيال وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطوهر البر والفاجر كالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين بكائه على نفسه وثناؤه على ربه وهذا من أحسن ما قيل لانه يدل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لهيئ الشاء على ربه وقال أبو يزيد بن عطاء نالوا المعرفة بتضييع مالههم والوقوف مع ماله يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله تعالى وقال الآخر لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطى ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفه عين وهو هذا يحتاج الى شرح فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن اذا كان اشغاله بغير الله فذلك اشغال الله وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة اركان الهيبة والحياء والانس وقيل العارف ابن وقته وهو ذا من أحسن الكلام وأخصره فهو مشغول بوظيفة وقته عمامضى وصار في العدم عمام يدخل بعد في الوجود فهمه عماره وقته الذي هو مادة حياته الباقية ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه ولهذا قيل العارف من أنس بالله فو حشيه من الخلق واقتصر الى الله فاغناه عنهم وذلك لله فاعزة فيهم وتواضع لله فرفعه بينهم واستغنى بالله فاحوجهم اليه وقيل العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول يعني ان العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره وقال أبو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي وقال ذو النون لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله وقال بعضهم رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وهذا كلام ظاهره منكر يحتاج الى شرح فان العارف لا يرائى الخلق طلبا للمنزلة في قلبه وانما يكون ذلك منه نصيحة وارشاد وتعليم فهو يدعو الى الله بعلمه كما يدعو الى الله بقوله واخلاص المريدين مقصور على نفسه وقال ذو النون الزهاد مملوك الآخرة وهم فقراء العارفين وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لون انائه وهذه كلمة رمز بها الى حقيقة العبودية وهو أنه يتلون في أقسام العبودية فبينما تراه مصليا اذا رأيته ذا كرا أو قارئا متعلما ومعلما ومجاهدا وحاجا ومساعد الضعيف ومعيننا للمجاهد في كل غنيمة بسهم فهو مع المنسبين منتسب ومع المتعلمين متعلم ومع الغزاة غاز ومع المسلمين متصل ومع المتصدقين متصدق وهكذا ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية وهو مستقيم على عبوديه واحدا لا ينتقل عنه الى غيره وقال يحيى بن معاذ العارف كائن بان وقد فسر كلامه على وجوده منها انه كائن مع الخلق بظاهرة بان عن نفسه ومنها انه كائن مع ابتناء الآخرة بان عن ابتناء الدنيا ومنها انه كائن مع الله بموافقته بان عن الناس بمخالفته

ومنها انه داخل في الاشياء خارج عنها يعني المراد لا يقدر على الدخول فيها والعارف داخل فيها خارج منها وقال
 ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ولا يعتد باطن من العلم ينقص عنه ظاهرا من
 الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله على هنك أستار محارم الله وهذا أحسن ما قيل في المعرفة وقال ليس بعارف من
 وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا يريدانه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء
 كانوا عبادا أو من أبناء الدنيا وسئل ذو النون عن العارف قال كان ههنا وذهب فسهل الجنيد عن معناه
 فقال لا يحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن السهل في المنازل فهو مع أهل كل منزل على الذي هم فيه يجد
 مثل الذي يجدون وقال بعض السلف نوم العارف يقظة وأنفاسه تسبح ونومه أفضل من صلاة الغافل وإنما
 كان نومه يقظة لأن قلبه حي فميتا تمانان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربه وإنما كان نومه أفضل
 من صلاة الغافل لأن بدنه في الصلاة واقف وقلبه يسبح في خشوش الدنيا والاماني وقيل بحالسة العارف تدعوك
 من ست الى ست من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الغفلة الى الذكر ومن الرغبة في الدنيا
 الى الرغبة في الآخرة ومن الكبر الى التواضع ومن سوء الظن به الى النصيحة انتهى كلام صاحب البصائر
 وزاد القشيري في الرسالة وقال السبلي وقد سئل عن المعرفة أولها الله وأخرها ما لا نهاية له وقال أبو حفص
 الحداد منذ عرف الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل وهذا في ظاهره اشكال واجل ما يحتمله ان عند
 القوم المعرفة فوجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع الى غيره كما
 ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتدكره فيما يسخله من أمر ويستقبله من حال فالعارف رجوعه الى ربه
 فاذا لم يكن مشغولا به لم يكن راجعا الى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه
 وبين من عاش بربه وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملول اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها
 أذلة وهذا معنى ما أشار اليه أبو حفص وقال أبو زيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لانه محيى رسومه
 وفنيت هويتة لهو به تغبيره وغيب آثاره بآثار غيره وقال الواسطي لانصح المعرفة في العبد استغناء
 بالله وافتقار اليه أراد بهذا ان الافتقار والاستغناء بالله من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لانها من صفاته
 والعارف محيى في معرفته فكيف يصح له ذلك وهو لا يستهلاكه في وجوده أولا استغراقه في شهوده وان لم
 يبلغ الوجود مخنطف عن احساسه فكل وصف هو له ولهذا قال الواسطي أيضا من عرف الله انقطع به بل خرس
 وانقمع وقال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك هذه صفات الذين بعد مرماهم فاما من تزول عن هذا
 الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا وقيل من عرف الله ذهب عنه رغبة الاشياء وكان بلا فصل ولا
 وصل وقيل المعرفة فوجب الحياء والتعظيم كما ان التوحيد فوجب الرضا والتسليم وقال ذو النون معاشره
 العارف كما معاشره الله تعالى يحملك عنك تعلقا باخلاق الله عز وجل وسئل ابن بزدا ينار متى يشاهد العارف
 الحق فقال اذا بدأ الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحلت الاخلاص وقال الخلاج علامة
 العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل غاية المعرفة شيان الدهش والخبرة وقال ذو النون
 اعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه وقال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب
 البر والتقوى فقال هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندي عظيم والذي يسرقو زني أحسن حالا
 من الذي يقول هذا ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرزرة وقيل لابي يزيد بما ذالت هذه المعرفة
 فقال يبطن جائع وبدن عار وقال أيضا العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه
 وقيل العالم يقتدي به والعارف يمتدى به وقال السبلي العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا كلام غيره لافظا
 ولا يرى لنفسه غير الله حافظا وقال أبو الطيب المسامري المعرفة طلوع الحق على الاسرار بمواصلة الانوار وقال
 أبو بكر الوراق سكرات العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى في نومه
 غير الله ولا في يقظته غير الله وسئل أبو تراب النخعي عن العارف فقال الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء وقال

أبو عثمان المغربي العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب وقال بعضهم المعرفة أمواج تغط وترفع
وتغط وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود وقال محمد بن الفضل المعرفة متجربة القلب
مع الله تنتهي وبه تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصلوات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً قال مؤلفه نجو من
تسويده في الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني محرم الحرام افتتاح
سنة ١٢٠١ أرانا الله خبرها وكلما ناضرها
قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى
الحسيني غفرت ذنوبه وسترت
عبوبه بمنه وكرمه آمين
حامداً لله ومصلحاً
ومسلماً

* (تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله كتاب النبوة والاخلاص والصدق) *

﴿ فهرست الجزء التاسع من كتاب اتحاف السادة المتقين شرح أسرار أحياء علوم الدين ﴾

صحيفة	صحيفة
١٧٤ الفن الثاني إستقراء الآيات .	٢ كتاب الصبر والشكر .
١٩٦ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف	٣ الشطر الأول في الصبر
بيان حقيقة الخوف	٤ بيان فضيلة الصبر
٢٠١ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	٨ بيان حقيقة الصبر ومعناه
٢٠٤ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه	١٤ بيان كون الصبر نصف الإيمان
٢٠٨ الطبقة الثانية من الخائفين	١٦ بيان الاسامي التي تتجدد للصبر
٢٠٩ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه	١٧ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف .
٢١٦ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما	٢٠ بيان مظان الحاجة إلى الصبر .
٢٢١ بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف	٣٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٢٣٤ بيان معنى سوء الخاتمة	٤٦ الشطر الثاني من الكتاب في الشكر
٢٤٤ بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبيا عليهم السلام في الخوف	الركن الأول في نفس الشكر
٢٥٠ بيان أحوال الصعابة والتأبين والسلف الصالحين في شدة الخوف رضى الله عنهم	بيان فضيلة الشكر
٢٦٣ كتاب الفقر والزهد	٤٩ بيان حد الشكر وحقيقته .
٢٦٥ الشطر الأول في الفقر	٥٥ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر
٢٦٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه	٦٣ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٢٧٢ بيان فضيلة الفقر مطلقاً	٧٨ الركن الثاني من أركان الشكر
٢٨٢ بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين بالقانعين والصادقين	٧٨ بيان حقيقة النعمة وأقسامها
٢٨٥ بيان فضيلة الفقر على الغنى	٩٩ بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها
٢٩٤ بياب آداب الفقير في فقره	١٢٩ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر
٢٩٦ بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال	١٣٥ الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر
٣٠٢ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة	١٣٥ بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
٣٠٩ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال	١٤٧ بيان فضل النعمة على البلاء
٣١١ بيان أحوال السائلين	١٥٠ بيان الأفضل من الصبر والشكر .
	١٦٣ كتاب الرجاء والخوف
	١٦٤ الشطر الأول في الرجاء
	١٦٤ بيان حقيقة الرجاء والترغيب فيه
	١٦٨ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
	١٧٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء

صحيفة

٣١٧ الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

بيان حقيقة الزهد

٣٢٤ بيان فضيلة الزهد

٣٣٧ بيان درجات الزهد وأقسامه .

٣٤٩ بيان فضيلة الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

٣٧٢ بيان علامات الزهد

٣٨٤ كتاب التوحيد والتوكل

٣٨٦ بيان فضيلة التوكل

٣٩٠ بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

وهو الشطر الأول من الكتاب

٤٦٠ الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل

٤٦٠ بيان حال التوكل

٤٦٨ بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

٤٧٣ بيان أعمال المتوكلين

٤٧٤ الفن الأول في جلب النافع

٤٩٢ بيان توكل المعيل

٤٩٩ بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب

٥٠٠ الفن الثاني

٥٠٦ الفن الثالث مباشرة الاسباب الدافعة للضرر

٥١٠ بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم

٥١٥ الفن الرابع في ازالة الضرر

٥٢١ بيان ترك التدابي قد يحمي في بعض الاحوال

٥٣٠ بيان الرد على من قال ترك التدابي أفضل

بكل حال

٥٣٦ بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكمثانه

٥٤٤ كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

صحيفة

٥٤٦ بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

٥٥٠ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى

محبة العبد لله تعالى

٥٥٩ بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

٥٧١ بيان ان أجل اللذات وأعلاها معرفة الله

تعالى والنظر الى وجهه الكريم

٥٧٩ بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة

على المعرفة في الدنيا

٥٨٥ بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

٥٩٤ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

٥٩٥ بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن

معرفة الله تعالى

٦٠٢ بيان معنى الشوق الى الله تعالى

٦٠٩ بيان محبة الله للعبد ومعناها

٦١٥ القول في علامات محبة العبد لله تعالى

٦٣٨ بيان معنى الانس بالله عز وجل

٦٤١ بيان معنى الانبساط والادلالات الذي تثمره

غلبة الانس

٦٤٦ القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى

٦٤٨ بيان فضيلة الرضا

٦٥٤ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

٦٦٣ بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

٦٦٩ بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان

المعاصي وان مذمتها لا يقدر في الرضا

٨٧٣ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم

ومكاشفاتهم

٦٨٠ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق

بنتفع بها